

القامرة مادة عبادة ع

تفسيرالقرآن الكريم

الجزء التاسع والعشرون من القرآن الكريم

الدكتور

عبد الله شحاته





أهيداف سيورة المليك

(سورة الملك مكية ، وآياتها ٣٠ آية ، نزلت بعد سورة الطور) .

وسورة الملك لها من اسمها أكبر نصيب ، إنها سورة تعرض بركات الله في هذه الدنيا ، وقدرته العالية ، وحكمته السامية ، فهر الخالق الرازق المهيمن ، المدبّر الحكيم المبدع ، الذي أبدع كل شيء خلقه .

وتستلفت السورة نظر الإنسان إلى خلق الأرض ، وخلق السماء والطير والرزق ، والسمع والأيممار ، والموت والحياة ، والزرع والثمار ، والماء والهواء والفضاء .

وتحث القلب على التفكير والتأمل ، والنظر في ملكوت السماوات والأرض ، وتهيج فيه البحث والاستنباط ليصل بنفسه إلى التعرف على قدرة الله وجلاله ، وسابغ فضله على الناس أجمعين .

مطلع السورة:

مطلع السورة مطلع جامع يهز القلب هزا ، وينبه إلى بركات الله وتعمه وقدرته :

تَسُرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ . (الملك : ١) .

وعن حقيقة الملك والقدرة ، تتفرع سائر الصور التي عرضتها السورة ، وسائر الحركات المغيبة والظاهرة ، والتي نبهت القلوب إليها.

«قمن الملك ومن القدرة كان خلق الموت والحياة ، وكان الابتلاء بهما ، وكان خلق السماوات وتزيينها بالمسر بالمسمايين ، وكان إعداد جهنم بوصفها وهيئتها وخزنتها ، وكان العلم باللسر والجمور، وكان جمل الأرض ذلولاً للبشر ، وكان أحساك الطور والجمور، وكان جمل الأرض ذلولاً للبشر ، وكان الخسف والخاصب والنكير على المكذبين ، وكان إمساك الطور في السماء ، وكان القهر والاستعلاء ، وكان الرزق كما يشاء ، وكان الإنشاء ، وهية السمع والأبصار والأفكدة ، وكان الخاف في الأرض والحشر ، وكان الماء الذي وكان الخاف في الأرض والحشر ، وكان الاماء الذي الماء الذي الإنتهاء مستمدة من ذلك المطلع ومدلوله ألشامل الكبيرية (١٠) .

مع آيات السورة

- ١ تبدأ السورة بتمجيد الله سبحانه بقوله: تَبَرْكُ أَلْنِي يَبْرُو ٱلْمُلْكُ .. (الداك: ١) . فهو كثير البركة تفيض بركته على عباده ، وهو المالك المهيمن على الخلق ، وهو القادر قدرة مطلقة بلا حدود ولا قيود ، يخلق ما يشام ، ويذهل ما يريد ، وهو على كل شيء قدير .
- > ومن آثار قدرته أنه حلق الموت السابق على الحياة واللاحق بها ، وخلق الحياة وهي تشمل الحياة الأولى والحياة الأخرة ، ليمتحن الإنسان بالوجود والاحتيار والعقل والكسب ، حتى يعمل في الحياة الأولى ليرى جزاء عمله في الحياة الأخرة .
- ٣- يرجه القرآن النظر إلى خلق السحاوات السبع ، ويذكر أنها طبقات على أبعاد متفاوتة ، وليس في خلقها
 خلل ولا اضطراب ، وانظر إليها بعينيك فهل تستطيع أن تجد بها نقمنًا أو عيبًا ؟
 - ٤ -- تأمل كثيرًا في هذا الكون وشاهد عجائبه ، فان تجد فيه إلا الإبداع والتنسيق ، والضبط والإحكام .
- ه لقد رفع الله السماء الدنيا، وخلق فيها الكواكب والتجوم زينة للسماء ، وهداية للمسافرين ، وهذه
 التجوم منها الباهر الزاهر والخافت ، والمنفرد والمجتمع ، ولكل نجم مكان ومسار وطريق خاص ،
 وهذه النجوم منها شهب تنزل على الشياطين الذين يحاولون استراق السمع ، والتنصت على كلام
 الملائكة ، فيرجمون بالشهب التي تقتلهم أو تخيلهم .
 - ٣ ومن كفر بالله فإنه يستحق عناب جهنم ، ويئس هذا المصير.
 - ٧ إن جهنم تتميز غيظًا أعلى من عصى الله ، وتغلى وتفور حنقا على الكفار.
- ٨ كلما أُلقى جماعة من الكفار في النار ، سألهم خزنة جهنم : ألم يأتكم رسول ينذركم هول هذا اليوم ؟
- ٩ ويجيب الكفار بأن الرسول قد جاءنا ، ولكن العمى أضلنا فكدبنا بالرسول ، وقلنا : ما أنزل الله من
 وحي ولا رسالة ، واتهمنا الرسول بالضلال والكذب .
- ١٠ ولو حكمنا عقلنا وسمعنا لاهتدينا إلى الحق وآمنا ، وحفظنا أنفسنا من هذا الهلاك ومن هذا العذاب.
- ٧١ لقد جاء هذا الاعتراف بالثنب متأخرًا في غير وقته ، فسحفًا وعذابًا لأصماب جهتم ، حيث لا يؤمنون إلا بعد فوات الأوان .
- ١٢ إن المؤمن يحس برقابة الله عليه ، ويخشى عقابه وإن لم يره بعينه ، أن يخشى ربه وهو فى خفية عن
 الأعين ، غائب عن أعين الناس ، وله مغفرة الذنبه وأجر كبير جزاء عمله .

- ١٣ ما يفعله العبد مكشوف ظاهر أمام الله ، وسيان أجهرتم بأقوالكم أم أسررتم بها فالله مطلع عليها .
- ٤١ ألا يعلم الشالق الأشياء التي خلقها؟ وهو سبحانه عالم بخفيات الأمور وبقائقها، وهو اللطيف
 الخبير.
- ١ ثم ينتقل يهم السياق من ذوات أنفسهم إلى الأرض التي خلقها الله لهم وذللها وأودعها أسباب الحداة.

فهذه الأرض تدور حول نفسها بسرعة ألف ميل في الساعة ، ثم تدور حول الشمس بسرعة حوالي خمسة وستين ألف ميل في الساعة ، ومع هذه السرعة يبقى الإنسان على ظهرها آمدًا مستريحًا مطمئذًا .

وقد جعل الله العواء المحيط بالأرض محتويًا للعناصر التي تحتاج إليها الحياة بالنسب الدقيقة : اللازمة ، فنسبة الأكسجين ٢١٪ ونسبة الأزوت أو النتروجين ٧٨٪ والبقية من ثانى أكسيد الكربون وعناصر أخرى ، وهذه النسب هي اللازمة لقيام الحياة على الأرض .

وحجم الأرض وحجم الشمس وحجم القمر ، ويُعدُ الأرض عن الشمس والقمر ، كل ذلك ينسب لازمة لاستمرار الحياة على ظهر الأرض .

إن الحيوان يستنشق الهواء فيمتص الأكسجين ويخرج ثانى أكسيد الكربون ، والنباتات تمتص ثانى أكسيد الكربون ، ويكيمياء سحرية يغنى النبات نفسه ، ويخرج الأكسجين الذي تتنفسه ويدونه تنتهى الحياة بعد خمس دقائق ، ولو كانت هذه المقايضة غير موجودة ، فإن السياة الحيوانية أو النباتية كانت تستنفد في النهاية كل الأكسجين أو كل ثاني أكسيد الكربون تقريبًا ، ومتى انقلب التوازن تمامًا ذرى النبات أو مات الإنسان .

والأرزاق المخبوءة في جوف الأرض من معادن جامدة وسائلة كلها ترجع إلى طبيعة تكوين الأرض والأحوال التي لابستها ، والله يتفضل على الإنسان بتسخير الأرض والنبات والفضاء والهواء له : لَمَشُوا فِي مَنَاكِهَا وُكُواً مِن رُزْقِي ... (الله : ١٠) . وإلى الله النشور والرجوع في يوم الحساب .

 ١٧ - هذه الأرض الذلول التي يأمن الإنسان عليها ويهدأ ويستريح تتحول - إذا أراد الله - إلى داية جامحة فيها الزلازل والبراكين ، كما يمكن أن يُنزل الله الصواعق والعواصف الجامحة التي تعصف بالإنسان وتدمره: وَيُوْبِلُ آلَهُمُ رَحِي فَهُمِبِ بَهَا مَن يُشَاءً ... (الرعد: ١٧).

- ١٨ ولقد كذب الكفار السابقون رسلهم ، فماقبهم الله أشد العقوية ، لقد غرق قوم نوح ، وأهلكت ثمود بمساعقة ، وأهلكت عاد برويح عاتية ، وأهلك فرعون وقومه بالغرق في بحر القلزم (البحر الأحمر) .
- إن الإنسان قوى بالقدر الذى وهبه الله من القوة ، ولكن هذا الكون الهائل رَمامه في يد خالقه ، ونواميسه من صنعه ، وما يصيب الإنسان منها مقدر مرسوم : إِنَّا كُلُّ كُيُّع ۖ كُلُفُتُكُمْ بَقُسُر . (التعر: ٤٩) .
- ١٩ فليتأمل الإنسان أسراب الطير ترتفع وتنخفض ، وتبسط أجنحتها وتقبضها ، في حركة معتمة تدعو إلى التأمل والثدير ، فقدرة الله ممسكة بهذا الطائر ، في قبضه ويسطه ، والله سبحانه ييسر له أمره ، ويهيئ وينسق ويعطى القدرة ، ويرخى كل شيء في كل لحظة ، رعاية الذيير البصير .
- ٢٠ من هذا الذي يحميكم من يطش الله وغضبه ٢ من هذا الذي يدفع عنكم يأس الرحمن إلا الرحمن ٩ إن الكافر في غرور ، يظن أنه أمن يعيد عن يطش الله به ، وما هو يبعيد .
- ٢٠ من يرزق البشر إن أمسك الله الماء ، أو أمسك الهواء ، أو أمسك الحياة عنهم ؟ إن بعض النفوس تعرض
 عن الله في طفيان وتبجح ونغور ، مع أنها تعيش عالة على الله في حياتها ورزقها .
- ٢٢ ترسم الآية مشهد جماعة يمشون على وجوههم ، أو يتعثرون وينكبون على وجوههم لا هدف لهم ولا طريق ، ومشهد جماعة أغرى تسير مرتفعة الهامات مستقيمة الشطوات فى طريق مستقيم لهدف مرسوم ، ثم تستفهم أيهما أهدى ؟ .
- ٢٣ لقد علق الله الناس ، وجعل لهم السمع ليسمعوا ، والأيصار ليروا ، والأفتدة ليتفكروا في جليل قدرة
 الله ، ولكن الإنسان قلمًا يفكر في شكر نعمة الله عليه ، وامتثال أمره واجتناب نواهيه ، والاعتراف له
 مالفضل والمنة .
- «ويذكر العلم أن حاسة السمع تبدأ بالأذن الخارجية ، والصوت يتقل منها إلى طبلة الأذن ثم ينتقل إلى التهه داخل الأذن ، والتيه يشتدل على أربعة آلاف قوس صغيرة ، متصلة بعصب السمع في الرأس ، وفي الأذن مائة ألف خلية سمعية ، وتنتهى الأعصاب بأعداب دقيقة ، دقة وعظمة تحير الألباب .
- ومركز حاسة الإيصار الدين ، التي تحتوي على مائة وثلاثين طيوناً من مستقبلات الضوء ، وهي أطراف أعصاب الإيصار ، وتتكون الدين من الصلبة والقرنية والمشيمة والشبكية .. وذلك بخلاف العدد الهائل من الأعصاب والأوعية» ⁰⁷ .

- أما الأنندة فهي هذه الخاصية التي صار بها الإنسان إنسانًا ، وهي قوة الإبراك والتمييز ، والمعرفة التي استخلف الله بها الإنسان في هذا الملك العريض .
- ٢٤ إن ربكم هو الذي برأكم في الأرض ، ويعتكم في أرجائها على اختلاف ألسنتكم وألوانكم ، وأشكالكم وصوريكم ، وكما بدأكم يعيدكم ، وإليه تحشرون وترجعون .
 - ٢٥ ويسألون سؤال الشاك المستريب عن يوم الجزاء والحساب.
- ٣٦ قل علم هذا اليوم عند الله ، وما على إلا البلاغ والبيان ، أما العلم فعند صاحب العلم ، الواحد بلا
 شريك .
- ٧٧ ولى أذن الله لرأى البشر يوم الحساب واقعًا لا محالة ، وعند هذه المفاجأة ورؤية الحساب والجزاء ، سيظهر الحزن والاستياء عليهم ، وتؤنيهم الملائكة ، وتقول لهم : هذا هن اليوم الذي كنتم تستعباون وقوعه . والأية جرت على طريقة القرآن في عرض ما سيكون حاضرًا مشاهدًا ، بمفاجأة شعورية تصويرية ، تقيدً المكتب والشاك وجهًا لوجه مع مشهد حاضر لما يكنن به أو يشك فيه .
- ٢٨ رُرى أن كفار مكة كانوا يتريصون بالنبي ﷺ أن يهلك فيستريحوا منه ومن دعوته ، فقال لهم الفران : سواء أهلك النبي عسب أمانيهم ، أو رحمه الله ومن معه ، فلن يغير ذلك من وضعهم ، لأن عنابًا أليمًا ينتظرهم ، وان تجيرهم الأصنام ، وان يجيرهم من الرحمن إلا الإيمان .
- ٢٩ إن المؤمنين في قربي من الرحمن ، فهم يؤمنون به ويتوكلون عليه ، وهم موصولون بالله ، منتسبون إليه . وسيتبين للكافرين من الضال ومن المهتدى ، ولمن تكون العاقبة في الدنيا والأخرة .
- ٣٠ أهبروني إن ذهب مارّكم في الأرض ، ولم تصل إليه الدلاء ، من يأتيكم بماء جارٍ نابع فانض متدفق . تشربونه عنبًا زلالاً .

وهكذا تختم السورة بهذه اللمسة القريبة من القلب، تذكره بغضل الله الذي أجرى الماء ، ولو شاء لحرم الإنسان مصدر الحياة ، ولا يتقد الإنسان من الله إلا الله ، قال تحالى : قُثِرُواً إِلَى ٱللَّهِ .. (الداريات ، ٥)

المعنى الإجمالي للسورة

قال الفيروزبادي :

معظم مقصود السورة : بيان استحقاق الله الملك ، وخلق الحياة والموت للتجرية والاختبار ، والفظر إلى السماوات للعبرة ، واشتعال النجوم والكواكب للزينة ، وما أعد للمنكرين من العذاب والعقوبة ، و ، ا وُعد به المتقون من الثواب والكرامة ، وتأخير العذاب عن المستحقين بالفضل والرحمة ، وحفظ الطيور في الهواء بكمال القدرة ، واتصال الرزق إلى الخليقة بالنوال والمنة ، وبيان حال أهل الضلالة والهداية ، وتعجل الكفار بمجىء يوم القيامة ، وتهديد المشركين بزوال النعمة بقوله ؛ فَعَن يُأْتِيكُم بِمَا وَ مُعِينٍ . (المك : ٣٠) .

أسماء السورة

لسورة تبارك في القرآن والسنة سبعة أسماء:

«سورة الملك لمفتتحها ، والمنجية لأنها تنجى قارئها من العذاب . والمانعة لأنها تمنع قارئها من عذاب القبر . والدافعة لأنها تدفع بلاء الدنيا وعذاب الآخرة عن قارئها ، والشافعة لأنها تشفع فى القيامة لقارئها ، والمجادلة لأنها تجادل منكرًا ونكيرًا ، فتناظرهما كيلا يؤذيا قارئها ، والمخلصة لأنها تخاصم زيانية جهنم ، لئلا يكون لهم يد على قارئها» ".

وفى شأن السورة قال رسول الله ﷺ: «إن سورةً من كتاب الله ما هى إلا ثلاثون آية ، شفعت لرجل فأخرجته من النار وأدخلته الجنة ، وهي سورة تبارك "" .

﴿ تَبْرَكَ الذِي بِيدِهِ الْمُلْكُ وَهُوعَلَى كُلِ مَنْ عِقِيدُ اللّهِ عَلَى النّوت وَالْمَيْوَة لِبَلُوكُمُ النّهُ وَمُ تَبْرَكَ الذّي عَلَى النّوت وَالْمَيْوَة لِبَلُوكُمُ النّهُ وَمُ النّهُ عَلَا اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ الللللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّ

المفردات ا

السلاي يسيسنه السمسلك ، له الأمر والنهي والسلطان .

المستق المسموت وأوجده وأوقكره أزلا

السيسيسلسوكسم؛ ليختبركم فيما بين الحياة والموت.

أحسسن عسمسلاء أصوبه وأخلصه ، أو أسرع طاعة .

ط ب عضها فرق بعض عمم طبق أو طبقة .

في طيوره شقوق وخروق ، أو خلال ،

كرأت والمراد التكرار بكثرة .

مَاعْرُا لعدم وجدان الفُطُونِ العَدِم وجدان الفُطُونِ :

وهبو حسير ، كليل متعب من كثرة المراجعة .

السحماء السنشيسا، السماء القربي منكم، وهي الأولى.

سيموسياسيسج ويكولكن عظيمة مضيئة .

رجوما للشياطين ، بانقضاض الشهب منها عليهم .

واعتدنا لهم هذاب السعير ، وأعددنا للشياطين أشدُّ الحريق ، يقال : سعرت التُّأَر فهي مسعورة وسعيرة ، أي : أوقدتها فهم مؤاب

تمعيد،

هذا الجزء التاسع والعشرون كلُّه من السور المكيّة ، كما كان الجزء الذي سبقه كله من السور المدنية . و قد عنى القرآن في مكة بما يأتي :

- (أ) غرس مقيدة الترحيد ، والإيمان بالله تعالى ، وبيان قدرته وعظمته وصفاته وأسمائه .
- (ب) مهاجمة عبادة الأوثان والأمسام، وبيان أنها لا تنفع ولا تضر، ولا تسمن ولا تغنى من جوم.
- (ج.) عرض مظاهر القدرة الإلهية في هلق الكون ، والسماء والأرض ، والجبال والبحار ، والليل والنهار ،
 والشمس والقمر ، وسائر المخلوقات ، كالإنسان والحيوان والطيور والوحوش والزواحف .
 - (د) الحديث عن القيامة والبعث والحشر، والجزاء والحساب، والجنة والنار.
 - (هـ) عرض قصص الأنبياء وجهادهم وكفاحهم، وتسجيل ذكراهم وأمجادهم، وبيان هلاك أعداثهم،

وسررة الملك نموذج عملي للسورة المكية ، فهي تبدأ ببيان ملك الله تعالى ، وسيطرته وإحاطة علمه ، بكل شيء في هذا الكون ، وهو سبحانه على كل شيء قدير .

ومن هذه القدرة خلق الموت والحياة للاشتبار والابتلاء ، حتى يتبيُّن الصالح من الطالح.

ومن هذه القدرة خلق السمارات سبع طبقات ، بعضها فوق بعض في غاية الكمال والإيداع ، مهما بحثت عن عيب أو خلل أو تثقق ، فلن تجد أي فطور أو تثققق ، لأنها أثر من آثار الكامل كمالاً مطلقاً .

التفسيره

١ - تَبْدُرُكُ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلَّ شَيْءٍ قَدِيرٌ .

تحاظمت بركة الله تعالى ، فهو سيمانه مالك العلك ، يحرَّ من يشاه ويذلَّ من يشاء ، بيده الخلق والأمر ، كل يوم هو في شأن ، يضم رفيمًا ويرفع وضيئًا ، يُفقر غنيًّا ويفنى فقيرًا ، يبتلى معافى ويُعافى مبتئى ، يخفض أفوامًا ويرفع آخرين .

وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَلْدِيرٌ ·

هو سبحاته القادر على كل شيء، له القدرة التامة، والتصرف الكامل في كلّ الأمور، من غير منازع . ولا مدافع.

٢ - ألَّذِي خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيْزَةَ لِيَبْلُوكُمْ أَلِكُمْ أَخْسَنُ عَمَلاً وَهُو ٱلْعَزِيزُ ٱلْفَلُورُ .

قدُر سبحانه الموت لكل ميّت ، والحياة لكل حيّ ، وقدّم الموت على الحياة لأنه أبلغ في الرهبة والقدرة ، فهو سبحانه الذي يتوفي الأنفس حين موتها ، ويتوفي أنفُّسُ النائمين عند نومها ، وهو سبحانه واهب الحياة ، وخالق الروح في الجسم .

قال العلماء :

ليس الموت فذاء والقطاعًا بالكلية عن الحياة ، وإنما هو انتقال من دار إلى دار ، ولهذا ثبت في الحديث الذي أخرجه البخارى ومسلم ، أن رسول الله ﷺ قال : «إن أحدكم إذا وُضع في قبره وتولَّى عنه أصحابه ، وإنه ليسمع قرع نعالهم ، يأتيه ملكان فيجلسانه ويسألانه"". الحديث .

وقال ﷺ عن قتلی الممشرکین یوم بدر : «والذی نفس محمد بیده ما أنتم بأسمع لما أ**تول منهم .** ولکتّهم لا پجیبون» ۱۳.

فالموت هو انقطاع تعلق الروح بالبدن ، ومفارقتها للجسم .

لِيُلْوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً ...

خلق الله أدم بيده ، ونفع فيه من روحه ، وأسكنه فسيح الجنة ، وأسجد له الملائكة ، وأنزله إلى الأرض واستعمره فيها ، وأنزل الكتب وأرسل الرسل ، ومنح الإنسان العقل والإرادة والاختيار ، ليظهر التفاضل ببن الناس ، ويرى سبحانه المحصن من المسيء ، ومن يستحق الثواب ومن يستحق العقاب .

فهو سبحانه عادل عدلاً مطلقاً ، ومن هذه العدالة إعطاء الإنسان الفرصة كاملة الدياه في، دَه الدنيا، ومعه إمكانيات الطاعة والمعصية، فمن اختار الطاعة كان أهلاً للجنة، ومن اختار المعصية كان أهلاً للنار، فمن دخل النار فلا يلومن إلا نفسه ، لأنه هو الذي آثر الهوى واتّباع الشيطان على الاستفاء، واتّباع هدى الرحمن .

قــال تـعـالى : فَأَمَّا مَن طَعَى ه وَءَاثَرُ ٱلْحَيَّوَةَ ٱللَّذُيَّا ه فَإِنَّ ٱلْجَعْجِيمَ هِـىَ ٱلْفَاؤَى ه وأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَام رَبُه ونهيى ٱلنَّفُسَ عَن ٱلْهَزَى اهَ فِانَ ٱلجَنَّةَ هِيَ ٱلْمَاأَوَى ! (النازمان: ٣٧ – ٤١). وهو سبحانه ٱلْمَزِيرُ ، الغالب في انتقامه ممن عصاه . ٱلْفَفُورُ ، لمن تاب إليه ،

٣ - ٱلَّذِي خَلْقَ سَيْعَ سَمَلُواتٍ طِبَّاقًا مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ ٱلرَّحْمَانِ مِن تَفْلُوتٍ فَٱرْجعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ.

لقد خلق الله سبع سماوات متطابقة ، كل طبقة فوقها أخرى ، وخلق ذلك في غاية الكمال والإبداع ، وليس في خلق الرحمن خلل أو اضطراب أو عيب أو تصادم ، بل قدرة الله هي التي منحت هذا الكون الإبداع والتكامل والجمال . `

قال تعالى : آللُهُ الَّذِى وَفَعَ ٱلسَّمَاوُاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ ثَوَوْنَهَا ثُمُّ آسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعُرْضِ وَسَحَّرَ ٱلسُّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلِّ يَهُرِى الأَجْلُ مُسَمَّى ... (الرعد: ۲) .

فَآرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ .

ردُّدُ بصرك في عالم السماء ، وقلِّبه في أرجائها ، هل ثرى في خلق الرحمن من عيوب؟

ونسب خلق السماء إلى الرحمن ليبين أنه من رحمة الله بِنَا أَنْ جِعَلَ السماء سقتًا مرفوعًا ، ممتنًا بلايين السنين ، لا يوجد فيها عيب أو خلل أو تشقق ، والناس تبنى بنايات محدودة ، وتحتاج إلى صيانة مستمرة ، وتدارك لما فيها من خلل أو قطور ، لكن خلق الرحمن كبير قديم ممتد ، والحر وكافر وشافر ، يتمتع بالكمال والإبداع وانعدام النظير .

قال تعالى : لَخَلْقُ ٱلسَّمَلُوْاتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ حَلْقِ ٱلنَّاسِ ... (غافد : ٧٠) .

٤ - ثُمُّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّبُن يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِنًا وَهُوَ حَسِيرٌ .

كرّر النَّظر وردَّد الطرف ، وارجع مرة أخرى ، بل مرة إلار مرة ، فمهما نظرت إلى السماء باحثًا عن عيب أو خلل أن فطور أو تشقق فلن تجد عيبًا ، وسريتَة إليك البصر كليلاً متمبًا ، فقد عَاد بدُون طائل .

إن الكون كتاب مفتوح ، ينظر فيه الأعمى والبصير ، وساكن القصور وساكن الأكواخ ، ينظر إلى السماء ، البدوى في الصحراء ، وراكب البحار ، والفلكي بالمنظار ، وكل واحد من هؤلاء يرى الجمال ، والإبداع ، لأن هذا الخلق خلق الله وتقديره وإبداعه ، فسيحانه ألَّلِي أَحْسُنَ كُلُّ شَيْءٌ خُلَقَةًر ... (السجنة: ٧).

وَلَقَدْ زَيَّنَا ٱلسَّمَاءَ ٱلدُّنيَا بِمَصَالِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا للشَّينَاطِينِ وَأَعْتَدَانا لَهُمْ عَذَاب ٱلسَّعِيرِ .

زين الله السماء الدنيا وهى القريبة مدًا ، أى السماء الأولى ، وفى صحيح البخارى أن السماوات سبع وأن النبى ﷺ صحد إلى السماء ليلة الإسراء والمعراج ، ورأى فى السماء الأولى آدم ، وفى الثانية يحيد رعيسى وهما ابنا الخالة ، وفى الثالثة يوسف وقد أعطى شطر الحسن ، وفى الرابعة إدريس ، وفى الخامسة هارون ، وفى السادسة موسى ، وفى السابعة إبراهيم عليه السلام .

وقد خلق الله النجوم في السماء لفوائد ثلاث:

الأولى: أن النجوم تُزيِّن السماء ، كما نزيِّن بيوتنا بالكهرياء .

الثانية: أنَّها رجوم للشياطين الذين يحاولون استراق السمع ، فيصيبهم الله بالشهب التي تحرقهم أن تخبلهم الثائفة: أن النجوم هداية للسائرين في الصحراء ، وللسائرين في البحار ، ولراغبي معرفة القبلة أن الجهات الأربع الأصلية .

والقرآن الكريم يلفت أنظارنا إلى السماء ونجومها المتلألثة ، حيث نجد نجومًا لامعة ، وأخرى خافئة وقمرًا منهرًا ، والسماء مناظر وجمال له مذاق خاص ، في أول الليل ووسطه وأخره ، والإنسان الذي يريد أن يخلو بنفسه للتأمل في ملكوت السماوات والأرض ، سيجدُ مجالاً للتدبر ، والانتقال من الصنعة البديعة إلى الصائح المبدع .

قال نعالى : إنَّ فِي عَلَىٰ ٱلسَّمَاؤَاتِ وَالْأَرْضِ وَآخِلَانِ ٱلْهَارِ وَاللّهَارِ لَا يَسْتِ لَأَوْلِي ٱلْأَلْمِثِ مَا لَكُولُونَ ٱللّهَ قِسْمًا وَقُلُونًا وَعَلَىٰ جَنُوبِهِمْ وَيَقَفَكُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَـُؤَاتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَنَا مَا خَلَفْتَ مَسْلًا بُسْطِلاً سُبْحَنْنَكَ فَلِقَا عَلَمَابِ ٱللّهَ إِن وَلَّامِ مِنْهِ : ١٩٥٠ ، ١٩٥١ .

ومع كون النجوم زينة للسماء ، فإنه ينفصل منها بعض الشهب لتصيب الجنيّ الذي يحاول استراق السمع ، واغتطاف أخيار السماء ، ونقلها إلى الكهان في الأرض .

قال تعالى: وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِّلسَّيَاطِينِ ...

وسيأتى إن شاء الله تمالى في سورة الجنّ ، ما يفيد أن الجن كانت ترمنٌ بعضها ، ويمىعد الجنيّ فوق كنف أخيه ، حتى يكون الأخير في السماء متمكنًا من استراق السمع ، فسلّعا الله عليهم الشُّهُب ، فلم يقدروا على استراق السمع . قال تمالى: وَأَنَا لَمَسْنَا ٱلسَّمَاءَ أَوْ جَلَنَاهَا مُلِثَتَ حَوَسًا شَلِيلًا وَشَهَبًا هِ وَأَنَا كُنَا تَقَفَدُ مِنْهَا مَقَامِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَهِمُ ٱلْأَنْ يَجِدُ لَهُ رَشِهَانًا وَصَدًا . (الجن ١٠٠١) .

وَأَعْتَدُنَا لَهُمْ عَلَابَ ٱلسَّجِيرِ .

أعددنا وهيأنا للشياطين في الأخرة عناب النار المستعرة التي تحرقهم وتهلكهم بعد إحراقهُم بالشهب في الدنيا

لطيفة

إن قيل : إن الشياطين خُلقوا من النار فكيف يعدُّبون بها ؟ قلنا : إن النار هي مادة خُلُفهم ، ولكنهم تحوُّلوا إلى أجسام أخرى قابلة للاحتراق بها ، كما تحوّل بنر آدم من الطين إلى أجسام خالية من الطين .

ألوان العذاب في جهتم

المفردات ا

أنشوا هيها ، طُرحوا فيها كما يُطرح الحطب في التار .

شــهــيــــق ، تنفسٌ كتنفس المتغيَّظ .

تسسقسسور ، تغلى بهم كغلى المرجل .

تسمسيس ينفصل بعضها من بعض .

البقبيعظ ، شدة الغضب .

فسيوج ، جماعة .

خبرتنشها، واحدها خازن، وهم مالك وأعوانه.

تحسديد رسول يتذركم بأس الله وشديد عقابه .

إن الستسم ، ما أنتم .

مُلال كبير؛ مُبلال بعيد عن الحق والمنواب.

فستحققا ، فبعدًا لهم من رحمة ريهم .

تمهيده

في هذه الآيات بيان لعذاب الذين كفروا بنار جهنم، وفيها وصف لجهنم بالصفات الآتية:

(أ) هي تتميز غضبًا وغيظًا على من عمى الله.

(ب) هي كائن حيّ له شهيق ، أي رغبة في الانتقام ممن عصى الله ، كرغبة البغلة في الشعير حين يقدم لها .

(ج.) لها فوران وغليان وتموُّج كتموِّج الحبُّ القليل في الماء الكثير.

(د) تسألهم الملائكة من خزنة جهتم : ألم يرسل إليكم رسول ؟ ويجيبون : لقد جاءت لنا الرسل فكذبنا بهم ، وينزول الوحى عليهم ، وسخرنا منهم .

(هـ) يندم الكافرون أشد الندم بحد فوات الأوان ، فيقولون : لو استخدمنا سمعنا وتأمَّننا وتفكّرنا ، أو استخدمنا عقولنا بالتروّى والتأمل ما كنّا في أهل جهنم .

(و) لقد اعترفوا بخطئهم ، وأنهم يستحقون النار ، فسحقا وهالاكًا لهم .

التفسير،

٣ - وَلِلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبِنْسَ ٱلْمَعِيرُ .

من جحد وجود الله ، وأنكر وحدائيّة الخالق سبحانه وتعالى ، وصمم على هذا الكفر تصميمًا أبديًّا ، فسيعذَّبه الله في نار جهنم ، ويئس المصير والمآل والمرجع أن يقيم إنسان في جهنم خالدًا مخلدًا فيها أبدًا .

٧ - إِذَا أَلْقُواْ فِيهَا سَمِعُواْ لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ .

عندما يُلقى الكَفَّار في جهنم ، يُسمع لها صوت المتلهف المشتاق إلى الانتقام ممن عصى الله ، وهي تغلى بهم كما يغلى الماء الكثير بالحب القليل ، والتعبير يجعل جهنم فيها صفات العقلاء ، الذين يغضبون لانتهاك حرمات الله ، ويجعل جهنم غاضبة ، تشهق شهيق البظة حين ترى الشعير سيقدم لها ، ثم تغلى بهم جهنم وتغور فورانًا شديدًا .

٨ تَكَادُ تَمَيَّرُ مِنَ ٱلْغَيْظِ كُلَّمَا أَلْقِيَ فِيهَا قَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتَهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَلِيرٌ .

تكاد جهنم تتقطع من الغيظ والغضب والرغبة في الانتقام ممن كفر بالله ، وجحد رسالات السماء ، وكلما ألقى في جهنم جماعة لينالوا العذاب توجّهت إليهم الزيانية بالسوال الآتي :

ألم يأتكم رسول ينذركم مثل هذا العذاب ؟ وهو سؤال توبيخ وتحقير وإيلام ، وفي نفس الوقت إلزام الكافر بالحجة ، واعترافه بأنه يستحق النار عدلاً من الله تعالى .

قَالُواْ بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَدِيرٌ فَكَدُبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزْلُ ٱللَّهُ مِن هَيْءٍ إِنْ أَشَمْ إِلَّا فِي ضَلَال كَبير .

قال الكفار لزبانية جهنم: القد أرسل الله إلينا رسولاً ، ينترنا هذا العذاب إن كفرناً ، لكننا غذباً الرسول ، واتهمناه بأنه كاذب فى دعوى الرسالة ، وأن الله لم يرسله رسولاً ، أن لم ينزل وحياً ، ولم يرسل رسلاً ، فما أنت أيها المدّعى للرّسالة إلاّ ضالً ، مجانف للحق ، بعيد عن الصواب ، مفتلق تعيش فى وهم كبير وكذبة عريضة .

١٠ - وَقَالُواْ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُمًّا فِي ٱصْحَسْبِ ٱلسَّعِيرِ .

لو كنا نسم سماع تأمّل وتقكّر ، أو نندبرُ بعقولنا ونتأمل في كلام الرسول لنا ، ما صِرْنا إلى الثّار ، ويئس المصير جهنم .

١١ فَأَعْتَرَ أَوْا بِلَائِهِمْ فَسُحْقًا لَأَصْحَلْبِ ٱلسَّعِيرِ.

لقد اعترفوا بذنبهم وكفرهم وجحودهم ، وأن قاوبهم كانت قد تحجرت ، وصمموا على الكفر ، ولم يتركوا لعقولهم سبيلاً إلى التفكّر والتأمل ، ثم اعترفوا بذلك بعد فوات الأوان ، فهلاكًا وعدايًا لهم .

روى الإمام أحمد من حديث أبى البخترى الطائى: «أن يهلك الناس حتى يعذروا من أنفسهم». . أس. وفي حديث آخر: «لا يدخل أحد النار إلا وهو يعلم أن النار أولى به من الجنة». أس.

مدح المتقين

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَضْفَوْنَ رَيَّهُم وِالْفَيْسِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجَّرَكِيدٌ ۞ وَأَسَرُّواْ فَوَلَكُمُّ أَوَاَجَهُ رُواَبِيَّةً إِنَّهُ عَلِيثًا بِذَاتِ الشُّدُودِ ۞ اَلاَ يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَيِيدُ ۞ هُوَ الَذِى جَعَلَ لَكُمُّ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِيهِا وَكُلُواْ مِن زِفْقِيتُو إِلَيْهِ النَّشُودُ ۞ ﴾

المفردات:

ينفشون ربهم بالقيب؛ يخافونه وهم غائبون عن أعين الناس فلا يحصونه.

الهم مقطرة وأجر كبير، الذنويهم، وأجر كبير هو الجنة.

ألا ينصلهم من خلق: كيف لا يعلم سرّكم كما يعلم جهركم ، وهو الخالق لكم ، فالخالق يعرف مخلوقه .

وهمو الملحليث، العالم بالخفيَّات.

الــــخـــيـــيـــر؛ يعياده ويأعمالهم .

الأرض السيولاء ماللة لينة سهلة تستقرون عليها.

مستساكسينها، جوانيها، أو طرقها وقجاجها.

السبينشييور؛ إليه وحده مهمة نشركُم ، أي إحيائكم من قبوركم للحساب والجزاء . أ

التفسيره

١٢ – إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشُوْنَ رَبُّهُم بِٱلْفَيْبِ لَهُم مَّفْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ .

إن الذين يشافون غضب الله ، ولا يجترئون على معصيته حال كونهم غائبين عن أعين الناس ، لهم غفران من الله لذنويهم ، وجزاء عظيم في الجنة .

وفي معنى الآية ما رواه البخاري في صحيحه أن رسول الله ﷺ قال : «سيحة يظلهم الله تعالى في ظلّه يوم لا ظل إلا ظله» ، وعدَّ منهم : «رجل دعته امرأة ذات منصب وجمال ، فقال : إنى أهاف، الله رب المالمين ، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم طماله ما أنفقت يمينه، ا أ. ١٣ - وَأَسِرُواْ قَوْلَكُمْ أَوِ آجْهَرُواْ بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ ٱلصَّدُودِ .

من أسباب نزول هذه الآية:

أن المشركين كانوا ينالون من الذبي ﷺ، فلما أطلعه الله تعالى على أمرهم؛ قال بعضهم لبعض: أُسرُّيا قراكم كيلا يسمعه رب مجمد، فقال الله تعالى لهم:

إذا أسررتم قولكم أن جهرتم به ، فإن علم الله تعالى شامل للغيب والشهادة ، فهو سبحانه يعلم السر وأخفى ، ويمتد علمه إلى حديث النفس وخواطرها ، ومكنون الصدور وبخائلها .

- هَال تعالى : وَ لَقَدْ حَلَقَنَا ٱلْإِنسَانَ وَلَعَلَمُ مَا تُوسُوسُ بِهِ نَفْسُهُ، وَلَحَنْ ٱلْحَربُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيلاِ . (ق: ١٦) .

٤ ١ – أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ .

ألا يملم الله الخفايا ويواطن الأمور للإنسان الذي خلقه ، وشقّ سمعه ريصره ، وهو الدّقيق في علمه ، الخبير بكلّ كانن قبل أن يكون ، إنه سبحانه خالقنا ورازقنا ، وهو العليم بخبايا نفوسنا .

قال الشاعر:

يا عالم الأسرار حسبى محنة علمنى بأنك عالم الأسرار

ه ١ – هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولاً فَآمَشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رَّزْقِهِ وَإِلَيْهِ ٱلنَّشْورُ .

أرسى الله الأرض بالجبال ، وحفظ سبحانه توارنها ، وأودع فيها الجاذبية ، وذلل الطرق ويسُر الرزق ، وأودع فى الأرض أقواتها وأرزاقها ، ويسُّر للإنسان طرق الكسب بالزراعة والصناعة والتجارة ، والعلوم والفنون وغيرها .

وأودع الله في الأرض المعادن والمياء ، والحديد والبترول ، وذلل الأرض لاستفادة الإنسان ، وفي ذلك دعوة من الله لنا ، لاستخدام طاقات الأرض وإمعارها ، فلا يكفي أن نستفرج البترول ، بل ينبغي تصنيع البترول والاستفادة بمشتقاته ، والناس لطول إلفهم بالأرض ينسون فضل الله عليهم في تسفير الأرض لهم .

ومعنى الآية :

لقد أنعم الله عليكم بأرض مذللة ممهدة للاستفادة بها في الزراعة والسير، واستخراج ما في باطنها، والبناء عليها، فسيروا في الأرض، وتمكُّلوا من نواحيها ومذاكبها، وسيطروا على أرض الإسلام ويلاده، واستفيدوا من خيرات بلادكم ورزق ربكم ، وإلى الله مرجعكم فيحاسبكم على أعمالكم ، وفي الآية دعوة لأمة الإسلام أن تلتمس العزّ والسؤدد ، باستثمار خيرات بلادها ، وتعاون المسلمين فيما بينهم ، وأن يكون هناك تكامل بين الأمة الإسلامية وتعاون وترابط ، حتى نكون كما أمر الله تعالى : صفًّا واحدًا كالبنيان المرصوص يعد بعضه بعضًا .

قال تعالى : إِنَّ هَالِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَآعَبُدُونِ . (الآنبياء : ٩٢) .

وقال 樂: «ترى المسلمين في توادُهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمي» (٩٠٠).

* * *

شدة بطش الله بالمكذبين

﴿ أَمِنهُمْ مَن فِي السَّمَاءِ أَن يَضْمِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِ كَ تَمُورُ ۞ أَمُ أَمِنتُمُ مَن فِي السَّمَاءَ أَن يُرْسِلَ عَلَيْتُكُمْ حَاصِبٌ أَمْسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ مَذِيرٍ ۞ وَلَقَدْ كَذَبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَكَيْف كَانَ نَكِيرٍ ۞ أَوَلَدَ يَوْ إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمُ مَنَقَنْتِ وَيَقْبِضَنَّ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّمْنَ أَيْهُ بِكُلِي مَنْعَ عَبَصِيرُ ۞ ﴾ بِكُلِ مَنْعَ عَبِصِيرُ ۞ ﴾

المفردات؛

من في السماء : هو ربكم الأعلى ، أو من في السماء عرشه .

يخسف بكم الأرض ، يغيبكم فيها ، ومنه قوله تعالى : فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ ٱلْأُرْضَ ... (القصص ٨١).

ت التردد في المجيء والذهاب عند وأصل المور : التردد في المجيء والذهاب

مساسب ا، ريحًا شيدة فيها حصياء تهلككم.

تسسديسر ، إنداري وتخويفي .

ن ک بیم ، إنكاري عليهم بإنزال العذاب بهم .

صحات: باسطات أجنحتها في الجرّ حين طيرانها تارة.

ويسق بيشن ، ويضممنها تارة أخرى .

تمهيد،

تكلمت السورة عن عذاب جهنم ، وهددت بعذاب نى الدنيا مثل خسف الأرض كما حدث لقارون ، أو الانتقام بمثل ما أصاب عاذًا وثمود وقوم فرح ، ولفتت الأنظار إلى دلائل القدرة في تيسير للطيران للطير في الجوّ ، صافًات أجدعتها تارة ، وقابضة أجنحتها تارة أخرى ، بإلهام الله وبديع قدرته .

التفسيره

١٦ ~ عَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَاءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِي تَمُورُ .

هذه الآيات تهديد ووعيد لكفار مكة الذين أنكروا الوحي والرسالة ، وفيها تهديد لكل كفّار عنيد .

ومعنى الآية :

هل تأمنون بطش الله وعقوبته ، بأن يخسف بكم الأرض كما خسفها بقارون فظل يهوى فيها ؟ وهو سبحانه فى السماء عرشه ، أو ملكه وملكوته ، أو أمره وقضاؤه ، وييده الخلق والأمر ، وهو القادر على أن يعذبكم بعذاب من فوقكم ، أو من تحت أرجلكم .

ونحو الآية قوله تعالى : قُلُ هُوَ ٱلْقَاوِرُ عَلَىٓ أَن يَيِّتَتُ عَلَيْكُمْ عَلَيْهُ مِن فَوْقِكُمْ أَرْ مِن يَحْتِ أَرْجِلْكُمْ ... (الأنماء: ٦٥)

١٧ - أَمْ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَاءِ أَن يُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ لَلبيرِ.

أى: بل هل أمنتم من فى السماء ملكه وسلطانه وأمره وقضاؤه ، أن يرسل عليكم ريحًا مصحوبة بحجارة من السماء ، كما أرسلها على قوم لوط ، وأصحاب الغيل بمكة ؟ وعند نزول العذاب بكم فسترون كيف تكرن شدة غضبى وقوة انتقامى .

١٨ وَلَقَدْ كَدَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِير .

كنب قوم نوح نوحًا ، فأدركهم الغرق ، واستمر تكذيب الرسل من قوم هود ومن قوم مسالح ومن قرم لوط كما كُذب موسى ، وكم كان عقاب السماء قويًّا مدمِّزًا ، أي كيف كان إنكاري وعقابي لمن كُنُبوا رسلي وحاربوا أشيائي ، ألم أنكر عليهم ؟ ألم أعاقبهم ? ١٩ – أَوْلَمْ يَرَوْاْ إِلَى ٱلطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَنْقُلْتِ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحْمَانُ إِنَّهُ, بِكُلَّ مَيْءٍ بَعِيرٌ .

أن لم ينظر الإنسان ببصره إلى أسراب الطير في الفضاء ، وكأنها وسيلة لاستعراض البراعة والجمال ، والطير يرتفع وينخفض ، ويستدير ، ويفرد جناحيه في أحيان كثيرة ، ويقبض جناحيه في أحيان تليلة ، أو يقبض جناحًا ويبسط جناحًا ، لقد ألهم الله الطير حياته وحركته وطيراته ، وألهم كل كائن عوامل وجوده وطرائق حياته ، ما يمسك الطير في السماء في حالات البسط والقبض إلا الرحمن الذي أبدع نظام هذا الكون ، وألهم كل كائن وسيلة حياته في هذه الدنيا .

إنه سبحانه بصير بكل شيء ، مُطَّلع على كل شيء ، مُسُبِكٌ بنظام هذا الكرن ، بديع السماوات والأرض .

* * *

استفهام وأجويته

المطردات ،

أم مستن هستا، بل من هذا ؟

جها تساد السكسم ، أعوان اكم ومنعة .

إن أمسك رزقيه ؛ إن أمسك الرحمن رزقه ، لا أحد غير الله يرسله .

لجواشي متوه تماده اف استك المداه

نيد و شراد منه .

مكيا على وجهه ، ساقطًا عليه لا يأمن العثور.

يحشي سوياء مستويًا منتصبًا سالمًا من العثور . (مثل للمشرك والموحُّ) .

متى هذا الوصد؛ في أيُّ وقت يتحقق الوعد بالحشر،

نستهسر مسهيس، منذر واضح الإنذار.

طلما رأوه زلضة؛ فلما رأوا العذاب قريبًا منهم.

سيسيستت، أصابتها الكآبة والمذلّة ، واسودت عُمًّا .

ت دور ون عليونه في الدنيا ، وتستعجلون أن يأتيكم استهزاء .

تمهيده

تويِّخ الآبات المشركين على عبادتهم غير الله ، مع أنهم يعيشون فى نعم الله وخيراته وأرزاقه ، وإذالك يسألهم : من هذا الذى ينصركم إذا أراد عذابكم ؟ إن الشيطان قد جعل الغرور يتملككم بأن الأصنام تنصركم من هذا الذى يرزقكم إذا أمسك الله عنكم رزقه ؟ والجواب : لا أحد ينصركم من عذاب الله ولا أحد يرزقكم غير الله ، وضرب الله مثلاً للمؤمن الذى وضح طريقه ، فهو يسير فيه فى الدنيا ، معدلاً فى سيره إلى المساجد وأداء الفرائض ، ويمشى على الصراط معتدلاً إلى الجنة يوم القيامة ، أما الكافر فإنه يتنكب الجادة ، فهو يمشى مكبًا على وجهه ، لا يتبين طريقه ، وهو يمشى على غير هدى بعبادة الأصنام ، وكذلك يُسحب على وجهه ، ويلقى به فى جهنم يرم القيامة .

ثم عدد نعم الله بإعطاء السمع والبصر والفكر واللب والخلق ، ويبُن أن الساعة آتية لا ربب فيها ، وحين يرى الكفار عذاب القيامة تعلق وجوههم الكآبة والمساءة .

التفسيره

. ٧ - أَمِّنْ هَالَمَا ٱلَّذِي هُوَ جُندٌ لِّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحْمَانِ إِن ٱلْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُودٍ .

يلمس القرآنُ القلوب ، ويوجه إليها هذا التساؤل ، وكان الشيطان يزين للكفار أنهم يُذُصرون بالأسنام ، فقال الله لهم :

من هذا الذي ينصركم ويحميكم من عذاب الله غير الله ؟ من هذا الذي يدفع عنكم بأس الرحمن إلاً الرحمن ؟ إنهم في غرور ، غَرِّهم به الشيطان ، حيث زين لهم أنَّ أصنامهم تحميهم ، مع أنهم يقيمون في غضب من الله ، فهو سيحانه يخلقهم ، وهم يحبدون غيره .

٢١ - أَمُّنْ هَذَاذَا ٱلَّذِي يَرْزُقُكُم إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ, بَلِ لَّجُّواْ فِي عُثُو وَنُفُودٍ .

إن الكون حافل بالأرزاق ، فالسماء والأرض والفضاء ، والليل والنهار ، والهواء والنبات والماء ، وسائر الموجودات كلّها أرزاق من الله ، بل والقوى العقلية المبدعة فى الإنسان ، كلّها من إبداع الخالق الرازق ، ولو حبس الله عنايته عن الإنسان لضلً وزلً .

ومعنى الآية :

من هذا الذي يرزقكم من فوقكم ومن تحتكم ومن خلجات أنفاسكم ، إذا أمسك الله عنكم رزقه ؟

والجواب: لا أحد يرزق غير الله ، لكن الكفار يسيرون في عتوّ واستكبار ، و.شراد عن الحق ، ونفور وامتعاض من دعوة الرسل .

٢٧ - أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمُّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقْهِم.

على طريقة القرآن الكريم فى التخييل الحسى والتجسيم ، نجد صورة رائعة لإنسان كاذر يتنكب الجادة ، ويكفر بالرسل ، ويُغضب مولاه ، وينصرف إلى المعاصى ، حال كرنه أعمى البصبرة ، مكبًا على وجهه أشبه بمن وضع وجهه فى الأرض وسار معتمدًا على يديه فهو لا يبصر الطريق المعتدل ، وإنما يههم على وجهه ، تأسره الشهوات ، وتستنزفه المعاصى ، حتى يحشر يوم القيامة ، ويتقى برجهه سوء العذاب يوم القيامة .

أما المؤمن فهو يمشى معتدلاً ، مرتفع القامة ، يعرف أين يضم قدميه ، لذلك يمشى فى مرضاة ربه ، ويستدر إلى الطاعات وما أمر به الله ، ويبتعد عن المحرمات وما نهى عنه الله ، ثم ينسادل الرحمن سبدانه وتعالى : أيهما أمدى سبيلاً وأقوم قيلاً ، من يمشون فى الظلمات ، ويتنكبون الجادة ، وتستهويهم المعاصى والننوب ؟ أمن يمشون على المصراط المستقيم فى طاعة الرحمن فى الدنيا ، ثم تتقدمهم أنوارهم وتحف بهم عن أيمانهم ، ويهديهم ربهم إلى الصراط المستقيم فى طاعة الطريق إلى الجنة ، ورضوان الله رب العالمين فى الأخرة ؟ والجواب : لا شك أن المستقيم أهدى وأفضل .

٢٣ - قُلْ هُوَ ٱلَّذِي ٓ أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَلْرُ وَٱلْأَفْتِدَةَ قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ .

الله تعالى هو الذي خلقكم ، خلق الخلق أجمعين ، هو الذي خلق الإنسان في أحسن تقويم ، وخلق له السمع ليسمع ويتأمّل ويهتدى ، وخلق الأيصار ، والعين فيها أعداد كليرة من مكونات الإيصار ، وهو سبحانه خلق القلوب والعقول للتفكّر والتأمّل والاعتبار، والإنسان مطالب بشكر هذه النّمم ، وشكر النعمة هو حُسن استخدامها فيما خلقت لأجله ، ولكنّ الإنسان قليلًا ما يشكر هذه النّمم ، مع أن شكر النعمة واجب على الإنسان نحو خالقه ، بأنَّ يحسن الاستماع إلى ما يغيد ، ويحسن النظر إلى ما ينفع ، ويحسن التأمل والقدير فيما يغيده وينفعه في دينه ودنياه وأخرته .

\$ ٢ - قُلْ هُوَ ٱلَّذِي فَرَأَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ .

قل لهم أبيضًا يا محمد: إن الله تعالى هو الذي خلقكم ويثكم ويزيعكم في الأرض ، مع اختلاف أنسنتكم وألوانكم ، ثم تحشرون وتجمعون إلى الله تعالى يوم القيامة للحساب والجزاء .

٥٧ - وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَالَمَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَالِقِينَ .

كان الكفار يسألون عن الساعة سرًال المستبعد لها ، المكدُّب بوقوعها ، المتشكك في أمورها ، فيقولون للمؤمنين : متى يكون هذا البعث الذي توعدوننا به ؟

إِنْ كُنتُمْ صَلْدِقِينَ .

في أن الحشر كائن لا محالة.

٧٦ - قُلُ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَّا لَلِيرٌ مُّبِينٌ .

أى : علم وقت القيامة عند الله وحده ، لا يعلم بها أحد سواه ، وأنا رسول من عند الله ، أنذركم إنذارًا واضحًا مبيئًا بالقيامة والساعة ، لتعملوا لها قبل حلولها .

وهي هذا المعنى يقول الله تعالى : يَسْتُلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَنَهَا ه فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَائهَا ه إِلَىٰ رَبَّكَ مُنهَهَا ه إِثْمًا أَنتَ مُناذِمُ مَن يُخشَلْهَا ه كَأَنْهُمْ يَرَوْ بَهُمْ أَنْمَ يَرُونُهَا لَمْ يَلْتُونًا إلاّ عَشِينًا أَوْضَحَنْهَا . (النازعات: ٤٧ - ٤٦) .

ويقول الله تعالى : إِنَّ ٱلسَّاعَةَ عَاتِيَةً أَكَادُ أَخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ فَفَس_{َ عِ}مَا تَسْعَىٰ ﴿ فَلَا يَصُدُّنَكَ عَنْهَا مَن لَّا يَفِينُ بِهَا وَآتَيْعَ هَوْلِنَهُ قَتْرَدُعُىٰ . (ط. ١٩٠، ١٥) .

٢٧ - فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيِّتَتْ وُجُوهُ ٱللَّذِينَ كَفَرُواْ وَقِيلَ هَلْنَا ٱلَّذِي كُتُم بِهِ تَدْعُونَ .

وينتقل القرآن إلى الحديث عن مشاهد اليوم الآخر ، حين يشاهد الكفّار العذاب قريبًا منهم ، أو حين يرونه بعد وقت قريب (وكل آتر قريب) فإذا شاهد الكافر أهوال جهنم ، ظهرت الكآبة والقتام على وجهه . قال تعالى : وُجُوهَ يَهْرَئِلِ مُسْفِرَةٌ ه صَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ه وَوُجُوهَ يَهْ مِنْلِهُ عَلَيْهَا غَيْرَةٌ ه تَرْهَقُهَا فَتَرَةٌ ه أَوْلَئِنِكَ هُمُ آلْكُنَّهُ ٱلْفَنْجَةُ أَدْ (هسد، ٨٤ - ١٤).

لقد اسربُت رجود الكفّار من هول العذاب الذي سيمطونه قريبًا ، ثم عنَّفتهم الملائكة وويختهم على كفرهم وعلى تكذيبهم بالعذاب .

وقالت لهم زبانية جهنم : هذا هو العذاب الذي كنتم تدُّعون عدم وقوعه ، أو كنتم تطلبونه وتستعجلون وقيعه استهزاء به وتكنيبًا له .

* * *

ختام سورة تبارك

﴿ قُلْ أَرَةَ الشَّرُ إِنَّ أَهْلَكُونَ اللَّهُ وَمَن مَعِي أَوْرَجِمَنَا هَمَن يُجِيدُ ٱلْكَيْفِرِينَ مِنْ عَدَابٍ أَلِيمِ ٥ قُلْ هُوَ الرَّحْنُ ءَامَنّا إِهِ. وَعَلَيْهِ وَوَكُلْنا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوفِي صَلَالِ ثَبِينِ ۞ قُلْ أَرَمَ يُمُّمْ إِنْ أَصْبَحَ مَا وَكُرْخُورًا فَنَ يَأْتِيكُرُ بِمَلْوِمِينِ۞ ﴾

المفردات :

ارايستسم، أخبروني أو أروني.

يجير الكافرين، يمنعهم أو ينجيهم أو يؤمُّنهم.

مُــــــورا، غائرًا، ذاميًا في الأرض لا يُنال.

بسماء معين ، جارٍ ، أو ظاهر سهل التناول ، أو تراه العيون لجريانه على الأرض .

تمهید ،

تختم سورة تبارك بثلاث آيات ، تؤكد حقيقة إيمان المؤمنين بالله ، وتوكُّلهم عليه ، ويقينهم بنصره ، وهي تهزّ إصرار الكافر على كفره ، وترشده إلى الضلال الذي يسير فيه ، فتقول للكافرين ما يأتي :

(أ) سواء مات محمد ومن معه من المؤمنين أو نصرهم الله ، فمن ينقذ الكفَّار من الهزيمة المنكرة في الدنيا أو من عذاب جهتم يوم القيامة ؟

- (ب) لقد اعتمد المؤمنون على ربهم وتوكاوا عليه ، أي عرفوا طريقهم وتربهم من خالقهم ، ويخولهم في جنته ، أما الكفار الجاحدون المكذبون للرسل فسيطمون غذا من هو الواقع في الضلال الظاهر .
- (جـ) هذا الماء الذي تشربونه إذا غار فى الأرض فأصبح بعيدًا لا تناله الدلاء ، من الذى يأتيكم بماء ظاهر تراه العين يجرى أمامكم ، يسقى زراعاتكم وحيواناتكم وأشخاصكم ؟

التفسيره

٧٨ - قُلْ أَرْوَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِي ٱللَّهُ وَمَن مَّعِي أَوْ رَحِمَنَا فَمَن يُجِيرُ ٱلْكَنْفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ.

أنتم مصرّون على الكفر ، ولا يُجير الكافرين من عناب الله سوى التوبة والإسلام والإيمان ، وكان الكفار يتمنون وقوع الهلاك لمحمد وأصحابه .

قال تمالى : أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ تُقَرِّلُونَ هِي رُبِّ ٱلْمُثُونِ ءِ قُلُ تَرَبُّصُواْ فَإِنِّى مَعَكُمُ مَنَ ٱلْمُثَوَّمِينَ . (الطهد: ٣٠ . ٣٠)

وخلاصة معنى الآية :

سواء مِثْنا أن قُطّنا فإننا سننتقل إلى الجنة ، وإذا رحمنا الله بالنصر عليكم فسيكرن لنا عز الدنيا وشرف الآخرة . أما الكفار فمن ينقذهم من الهزيمة في الدنيا ، أو عذاب جهتم يوم القيامة ؟

والآية تضع الظاهر مكان المضمّر، كأنّها تستدرجهم للتفكير في الإيمان ، فهي لم تقل : فمن يجيركم من عناب ألهم . وكأنها تفتح الباب للمضاطبين للتراجع عن الكفر ، أو لا تجبههم بأنهم كفّار ، لعلهم أن يتركوا المناد إلى التفكير في الإيمان .

٧٩ – قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَانُ ءَامَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي صَلَالٍ مُّبينٍ.

قل لهم يا محمد : الله رينا ، وهو الرحمن يشملنا برحمته وعنايته وفضله ، وقد تركلنا عليه واعتمدنا ، أما أنتم فستعلمون غدًا من الواقع في الضلال المبين .

والآية أيضًا لا تصرّح لهم بأنهم ضالون كافرون ، آثمون بعبادة الأصنام وترك عبادة الرحمن ، بل تترك لهم مجالاً للتفكير وعدم العناد . · ٣ - قُلْ أَزَعْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍ .

هنا تصريح بعداب الدنيا قبل عداب الأخرة ، والآية تلمس قلويهم فتقول : أخبرونى ، إن نهب ماؤكم ، بعيدًا في الأرض ، لا تستطيع الدلاء أن تنقله إليكم ، هل هناك أحدٌ غير الله يستطيع أن يأتيكم بماء ظاهر تراه العين ؟ فمن فضل الله أن أجرى الماء للناس ، يستغيدون به في الزراعة والشرب ونواحى الحياة المتعددة .

قال تعالى: وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلِّ شَيْءٍ حَيٍّ ... (الأنبياء: ٣٠).

وقال سبحانه وتعالى : أَفَرَ وَتُهُمُ آلْمَاءَ آلَدِى نَشْرِيُونَ ، وَأَشُمْ أَنزَ لَتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ آلْمُنزُ لُونَ ، لَوْ نَشَاءُ جَمَلُننهُ أَجَاجًا لَلْؤَلَا تَشْكُرُونَ . (الواحد: ٨٠ – ٧٠).

ويذلك تختم سورة الملك ، سورة أرست دعائم الإيمان بالله الخالق ، وحقيقة الابتلاء والرزق ، والطم المطلق ، والسر والنجوى ، سورةً تبين أن الكون كله في قبضة الله ، وفيها منهج حياة المؤمن مع ربه ومع نفسه ومع الناس .

خلاصة ما اشتملت عليه سورة الملك

١ -- وصف السماوات .

٢ - بيان أن نظام العالم لا عوج فيه ولا أختلاف.

٣ – وصف عذاب الكافرين في الدنيا والأخرة.

التذكير بخلق الإنسان ورزقه وأشباه ذلك .

+ + -



أهداف سبورة القليم

(سورة القلم مكية ، وآياتها ٢ ه آية ، نزلت بعد سورة العلق)

وتشير الروايات إلى أنها من أوائل السور التى نزلت من القرآن ، ونلمع من سياق السورة أنها نزلت السورة المهر بالدعوة الإسلامية في مكة ، حيث تعرض النبى الأمين ؟ للاتهام بالجنون ، فنزلت السورة تنفى عنه هذه التهمة ، وتصف مكارم أخلاقه ، وتتهدد المكذبين ، وتذكر قصة أصحاب الجنة الذين منعوا ركاة الثمار والفاكهة ، فأهلك الله جنتهم ، وكذلك يهلك كل كافر معاند ، وتوجهت السورة إلى أهل مكة بهذا الاستفهام الإنكارى : أَنْتَجْعَلُ ٱلْمُسْلُوسُ كَالْمُحْرِمِينَ ، (القام : ٣٠) . هل يستوى المستقيم واله أجر الم تُسْلُهُمُ أَهُمَ مُنْ مُغْرِمُ مُقْلُونً ، (القلم : ٣٤) . هل تطلب منهم أجرًا كبيرًا على تبليغ الرسالة ، فلا يستطيعون أداءه ولذلك يتناقلون عن اتباعك ؟

ثم تذكر السورة طرفًا من قصة يونس عليه السلام من باب التسلية والاعتبار ، وتختم السورة ببيان حقد الكافرين وحسدهم ، حتى أن عيونهم ينبعث منها شرار الحسد والغيظ ، ويتهمون النبي يَّأَثُ بالجنون ، وما يحمل إلا الذكر والهداية للعالمين .

مع آيات السورة

- ١ أقسم الله بالقلم والدواة والكتابة ، ليدل على عظيم شأنها في نشر الرسالات والدعوات والعلم والمعرفة ،
 وكانت أول آية من القرآن : أقُراً بأمّم رُبّك اللّذي خَلَق . (الطق: ١).
- ٣ ، ٧ نفى القرآن عن النبى ﷺ الاتهام الكاذب بالجنون ، ثم أثبت أن له أجرًا كاملاً غير منقوص على تبليخ الرسالة.
- ع ومدحه الله بحسن الخلق، فقال سبحانه: رُإِلَّكُ لَعَلَىٰ خُلُق مُظِيمٍ. (القلم: ٤). لقد كان خلقه القرآن، وكان
 جامعًا للصفات الكريمة، والقدوة الحسنة، فقد اتصف بالفصاحة والشجاعة والكرم والحلم، والأدب
 والعفة والنزاهة والأمانة، والصدق والرحمة والتسامح واللين وحسن المعاملة.

وكان ﷺ حسن الصورة ، معتدل البناء ، جياش العواطف ، قويًّا في دين الله ، حريصًا على تبليغ الرسالة ، قائدًا ومعلمًا ومريبًا وموجهًا ، أمينًا على وحي السماء .

وكانت عظمة أخلاقه في أنه تمثل القرآن سلوكًا وهديًا وتطبيقًا ، فكان قرآنًا متحركًا ، يجد فيه الصحابة القدوة العملية ، والتطبيق الأمين اللوجي ، فيقتدون بخلقه وعمله وهديه وسلوكه .

لُقَدُ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةً لَّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا . (الاحزاب: ٢١).

- ٥ , ٦ فسيكشف القد عن حقيقة الذبي وحقيقة مكذبيه ، ويثبت أيهم الممتحن بما هو فيه ، وأيهم الضال فيما يدعيه ، وستيمدر ويبصرون غلبة الإسلام ، واستيلاءك عليهم بالقتل والأسر ، وهيبتك في أعين الناس أجمعين ، وصيوروتهم أذلاء صاغرين .
- ٧ إن ربك هو الذي أوحى إليك ، فهو يعلم أنك المهتدى ، والمكذب بك ضال عن طريق الهدى ، وسيجازى
 كل إنسان بحسب ما يستحق .
- ٨ . ٩ وقد سارم الكفار النبي ﷺ، وعرضوا عليه أن يعبدوا إلهه يومًا وأن يعبد الهتهم يومًا ، فيصيب كل واحد بحظه من إله الأخر : فنزل قوله تعالى : قُلُ بُنَايُهَا الْكُغْرُونَ » لاَ أَخُبُهُ مَا تُعْبُمُونَ . (الكافرون : ٢٠١).

وفى كتب السيرة : أن الكفار حرّضوا أنبا طالب على أن يكفّ عنهم محمدًا ، وأن ينهاه عن عيب آلهتهم ، فقال النبئُ ﷺ لعمّه : «والله لو وشعوا الشمس فى يمينى ، والقمر فى يسارى ، على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه» .

وقد نزل الوحى ينهاه عن طاعة المكذبين ، وينهاه عن قبول المساومة أو الحل الوسط ، فإما إيمانًا أو لا إيمان: رَقُواْ أَنُوْ تُدْهِنُ كَيْدُهُونَ . (القلم ١٩٠ . والإدهان هو اللين والمصانعة ، أى : ودُ المشركون لو تلين لهم فى دينك بالركون إلى آلهتهم ، وتتخلى عن مهاجمتها ، حتى يتركوا خصاءك وجدالك .

 ١٠ - ١٣ - نزلت هذه الآيات في الوليد بن المغيرة ، وقيل - في الأخنس بن شريق ، وكلاهما كان ممن خاصموا رسول الله ﷺ وليوُّرا في حربه ، والآيات تصف هذا الكافر بتسع صفات كلها ذميم :

١ -- فهو حلَّاف ، كثير الحلف .

٢ -- مهين ، لا يحترم نفسه ولا يحترم الناس قوله .

٣ - همَّاز ، يهمز الناس ويعيبهم بالقول والإشارة .

- ٤ مشاء بتميم ، يمشى بين الناس بالنميمة والفتنة والفساد .
- ٥ مناع للخير ، بخيل ممسك ، وكان يمنع الناس من الإيمان ، ويهدد من يحس منه الاستعرار
 للايمان .
 - ٦ معتنر، متجاوز للحق والعدل، ثم هو معتنر على النبي ﷺ وعلى المسلمين.
 - ٧ أثيم ، كثير الآثام ، لا يبالي بما ارتكب ولا بما اجترح .
 - ٨ -- عُتل بعد ذلك ، جامع للصفات المذمومة ، وهو فظ غليظ جاف .
 - ٩ ونيم ، أي لصيق في قومه متهم في نسبه ، أو معروف بالشرور والأثام .
- ١٤ ٢٩ تذكر هذه الآيات موقفه من دين الله ، وجحوده بنعمة الله عليه ، فلأنه صاحب مال وولد ، إذا تلى عليه القرآن استهزأ بآياته ، وسخر من الرسول ، وهذه وحدها تعدل كل ما مر من وصف ذميم ، سَتَسِمُهُ عَلَى ٱلْمُحْرُولُومِ . (القام : ١٦) . أي : سنجعل له سمة وعلامة على أنفه ، والمراد أنا سنبين أمره بيانًا وإضحا حتى لا يخفى على أحد ، أو سنذله في الدنيا غاية الإذلال ، ونجعله معقوتًا مذمومًا مشهورًا بالشر.

قصة أصحاب الجنة

تتناول الآيات (٢٧ – ٣٣) قصة أصحاب الجنة ، وهم قرم ورثوا عن أبيهم بستاناً جميلاً مثمرًا يانكًا ، وكان أبوهم يخرج زكاة البستان ، ويوزع مقارًا منه على الفقراء والمساكين ، ولكنهم خالفوا أماهم ومنعوا حق الفقراء والمساكين ، فعاقبهم الله بهلاك البستان ، وكذلك يحاقب الكافرين يوم القيامة ، وقد عرضتها الآيات عرضًا رائمًا يمثل خطوات القصة ، وضعف تدبير الإنسان أمام تدبير الله الواحد الديان ، فلنسر مع الآيات :

- ۱۸ ، ۱۷ لقد استقر رأى أصحاب الجنة أن يقطعوا ثمرها عند الصباح ، دون أن يستثنوا منه شيئا للمساكين ، وأقسموا على هذا ، وعقدوا الذية عليه .
- ١٩ ٢ فطرق تك الجنة طارق من أمر الله ليلاً وهم نيام: فَأَصْبَحَتُ كَالْسُرِيمِ. (القلم ٢٠). أي كالبستان
 الذي صرمت ثماره أي قطعت ، كأنها مقطوعة الثمار ، فقد ذهب الطائف الذي طاف عليها بكل ثمرها.
- ٢١ ٢٤ فنادى بعضهم بعضًا في الصباح، وانطلقوا يتحدثون في خفوت، زيادة في إحكام التدبير، ويوصى بعضهم بعضًا بأن يحتجزوا الثمر كله، ويحرموا منه المساكين.

- ٢٠ وغدوا مصممين على حرد^(١١) المساكين ومنعهم وحرمانهم ، قادرين عند أنفسهم على المنع وحجب منفعتها عن المساكين .
- , ۷۷ سنلما شاهدرا بستانهم ورأوه محترقًا أنكروه ، وشكرا فيه وقالوا : أبستاننا هذا أم نحن ضالون طريقه ؟ ثم تيقنوا أنه يستانهم وقد حاق بهم الحرمان والندم .
- ٧٦ ٣٦ ويعد أن حدث ما حدث ألقى كل منهم تبعة ما وقع على غيره ، وتشاحنوا ، ثم تركوا التلاوم ، واعترفوا بالنطوع المنافعة المنافعة المنافعة .
- ٣٣- هكذا عذاب من خالف أمر الله ، ويحل بما آتاه ، وأنعم به عليه ، ومنع حق البائس الفقير ، وفى الآخرة. عذاب أكبر من هذا العذاب ، لكل جاحد بنعمة الله ، ولكل مكذب بالدين والإيمان ، فليعلم ذلك المشركين وأهل مكة ، وليحذروا عاقبة كغرهم وعنادهم .
- والقصة مسوقة لفاية معينة هي بيان عاقهة الجحود ومنع حق الله ، إنها عاقبة سيئة في الدنها وفي الأخرة ، وفي القصة تهديد للكافرين ، وعظة للمؤمنين .
 - . ٣٤ وفي مقابل ما أعد للكافرين ، بيان بالنعيم الذي أعد للمتقين .
- ٥٣ ٤٧ وعند ماتين الخاتمتين يدخل القرآن معهم فى جدل لا تعقيد فيه ولا تركيب، ويتحداهم ويحداهم ويحربهم بالسؤال تلو السؤال، عن أمور ليس لها إلا جواب واحد تصعب فيه المغالطة، ويهددهم فى الأهرة بمشهد رهيب، وفى الدنيا بحرب من العزيز الجبار القوى الشديد.
- ٤٨ ٥ ٣ ترجه الآيات النبى الكريم ﷺ إلى الصبر على تكاليف الرسالة ، والصبر على الأذى والتكذيب ، وتذكر له تجربة أم له من قبل ضاق صدره بتكذيب قومه ، وهو يونس عليه السلام .

قصة يونس

أرسل الله يونس بن متى عليه السلام ، إلى أهل قرية نينوى بجوار مدينة الموصل بالعراق ، فاستبطأ إيمانهم وبثق عليه تلكؤهم ، وضاق صدره بتكذيبهم ، فهجرهم مغاضبًا لهم ، وقاده الغضب إلى شاطئ البحر ، حيث ركب سفينة مع أهرين ، فلما كانوا في وسط اللجّة فقلت السفينة وتعرضت للغرق ، فأقرعوا بين الركاب للتخفف من واحد منهم ، لتخفّ السفينة ، فكانت القرعة على يونس ، فألقوه في اليم ، فابتلعه الحرت ، عندئذ فادى يونس ، وَهَنْ مَكَظُّومٌ . (القلم : ١٤٨) . معلوء غيضًا ، لوقوعه في كرب شديد ، في ظلمات اللبحر ، وفي بعلن الحرت ، وفي وسط اللجة ، نادى ريه : أن لاّ إِلَّكَ إِلاَّ أَنتَ سُبْحَنْكُ إِلَى كُنتُ مِنْ الطُّنْلِيسِّ. (الأنبياء: ٨٧) فتداركته نعمة من ربه ، فنبذه الحوت على الشاطئ مريضًا سقيمًا ، ثم يسر الله له الأمور، وإصطفاه وأوحى إليه ، وأرسله إلى مائة ألف أو يزيدون فآمنوا به ، وجعله الله من الصالحين ، حيث رد إليه الوحى ، وشفعه في نفسه وقومه .

٥ -- ٥٧ - وفي ختام السورة نجد مشهدًا للكافرين ، وهم يتلقون الدعوة من الرسول الكريم في غيظ عنيف,
 وحسد عميق ، ينسكب في نظارات مسمومة قاتلة يوجهونها إليه .

قال جار الله الزمخشري :

وَإِنْ يَكَاذُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَيْرُقِهُونَكَ بِأَبْصَدْرِهِمْ لَمَّا سَمِّعُواْ اللَّذَّكُو وَيَقُولُونَ أِنَّهُ لَمَجُّونَ . (الله. ١٩). يعنى انهم من شدة تخوفهم ، ونظرهم إليك سرًّا بعيون العداوة والبغضاء ، يكادون يزلون قدمك ، أو يهلكونك ، من قولهم : نظر إلى نظرا يكاد يصرعني ، أو يكاد يأكلني ، أى لو أمكنه بنظره الصرع أو الأكل لفعله .

وعن الحسن : دواء الإصابة بالعين أن تقرأ هذه الآية ، وقد كان الكفار يريدون إصابة النبي ﷺ بعيرنهم وحسدهم ، فعصمه الله تعالى وأنزل عليه الآية .

وقد صبح في المديث من عدة طرق: «إن العين لتدخل الرجل القبر، والجمل القدر» ١٠٠١.

وروى الإمام أحمد ، عن أبى ذر مرفوعًا : «إن العين لتولع بالرجل بإذن الله حتى يصعد حالقًا ثم يتردى منه:"").

ومما يحفظ المؤمن من الحسد خمسة أشياء ، هي :

١ – قراءة : قل أعوذ برب الفلق ، وقل أعوذ برب الناس .

٢ – إخراج صدقة .

٣ قراءة : (لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، يحيى ويميت ، وهو على كل شيء قدير)
 عشر مرات بعد صلاة المغرب ، وعشر مرات بعد صلاة الصبح .

٤ - قراءة قوله تعالى: وَإِن يَكَاذُ ٱللَّهِينَ كَفَرُواْ أَيْزِلْقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُواْ ٱللَّكُمْ وَيَقُولُون إِنَّهُ لَمجَنُونٌ . (١١١١ ٥٠).

٥ - وأهم شيء في الوقاية من الحسد ، الثقة الكاملة والاعتقاد اليقيني بأن الله هو النافع الضار ، وأن أهدًا
 لن ينفعك إلا بإذن الله ، ولن يضرك إلا بمشيئة الله .

المعنى الإجمالي للسورة

بيان محاسن الأخلاق النبوية ، وسوء أحلاق بعض الكفار ، وعذاب مانعى الزكاة ، وضرب المثل بقصة أصحاب الجنة ، وتقريع المجرمين وتوبيخهم وإقامة الحجة عليهم ، وتعديد المشركين المكنبين بالقرآن ، وأمر الرسول ﷺ بالصبر ، والإشارة إلى حال يونس عليه السلام في قلة الصبر على قومه ، وقصد الكفار رسول الله ﷺ ليصيبوه بالعين في قوله : وَإِنْ يَكَاذُ ٱللَّبِينَ كَفَرُواْ لَيُرْتِقُولُكَ بِأَبْصَـرِهِمْ لَمَّا سَعِفُواْ ٱللَّكُمْ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْفُونٌ . (انقاء: ١٥) .

أسماء السورة:

للسورة اسمان : سورة (ن) ، وسورة القلم .

والاسم الثاني أشهر من الأول.



تمهيك

تغيد كتب علوم القرآن الكريم أن سورة القلم من أوائل ما نزل من القرآن الكريم ، فأول سورة من القرآن الكريم نزلت هي سورة العلق ، وفي صدر السورة حثّ على القراءة والعلم ، وكذلك سورة القلم فيها مدح للكتابة والتعليم ، وفيها قَسَمٌ بالقلم والكتابة والتسطير ، لبيان أهمية ذلك في تبليخ الدعوة الإسلامية ، وإرتفاع شأن الأمّة .

وقد اختار الله رسوله أميًّا لمحكمة عليا: حتى لا يرتاب المبطلون ، ولا يظن الظانون أنّه نقل القرآن من الكتب السابقة ، وهذا النبيّ الأمى علَّم الناس الوحى ، وارتقى بأمّته من الجهل والتداير إلى العلم والتواصل .

وإذا كان صدر سورة القلم قد نزل مبكرًا ، فإن بقية السورة نزلت بعد ذلك ، ويرجّع الأستاذ سيد قطب فى تفسيره (فى ظلال القرآن) أن السورة نزلت تهاجم الكافرين وتهددهم ، وذلك يرمَّمَ أن تاريخ نزولها كان بعد الجهر بالدعوة ، أى بعد ثلاث سنوات من مرحلة الإسرار بالدعوة .

* * *

الخلق العظيم

﴿نَّ وَٱلْقَلَهِ وَمَا يَسْطُرُونَ ۞ مَا ٓأَنَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْثُونِ۞ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا عَثَرَ مَعْثُونِ ۞ وَإِنَّكَ لَعَلَ خُلُقٍ عَظِيمِ۞ فَسَتُبْصِرُ وَيُبْقِيرُونَ۞ بِأَيتِكُمُ ٱلْمَفْتُونُ۞ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن صَلَّعَن سَبِيلِهِ مَوْهُوَ أَعْلَمُ إِلَّهُ عَبْدِينَ۞﴾

المفردات:

ن ، حروف أقسم الله بها ، أو استفتح بها السور ، أو هي للتحدّى والإعجاز ، أو هي كالجرس الذي
 يُفرع فيتنبه التلاميذ للدخول المدرسة ، أو هي إشارة إلى أسماء الله تعالى أو صفاته .

یسطرون i یکتبون

ممنون، منقوص ، أو مقطوع ، يقال : منَّه السير ، إذا أضعفه ، والمنين الضعيف .

المفتون ، المجنون لأنَّه فُتن ، أي ابتلى بالجنون .

تمهيده

أقسم الله سبحانه وتعالى بانقلم والكتابة فتحالباب التعليم ، ولا يقسم الله تمالي إلا بالأمور العظام فقد أقسم بالشمس والقمر ، والسماء والليل والفجر ، وذلك لعظمة الخلق وجمال الصنع ، كما أقسم بالقلم والكتابة لبيان أثر العلم في رفع شأن الأمة ، ورقى شئونها الاجتماعية والعمرانية ، حتى تكون كما وصف الله تعالى : كُتُمُ حُونُ مُعَةً مُؤْخِرَتُ لِمُنْكُس ... (ال عمران: ١١٠) .

ثم مدح رسوله الأمين ﷺ بقوله : وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُق عَظِيمٍ .

التفسير

١ - ن وَٱلْقَلَم وَمَا يَسْطُرُونَ .

أقسم الله تمالي ببعض الحروف التي افتتح بها بعض سور القرآن الكريم ، مثل : ن ص ، حمّ ، طسم العر ، المص ، حم عسق ، كهيعص .

وهي حروف يقصد بها التحدّى والإعجاز، وبيان أن القرآن مكنَّنُ من حروف عربية تنطقون بها، وقد عجزتم عن الإنيان بمثله، فدلَّ ذلك على أنه ليس من صنع بشر، ولكنه تنزيل من عليم حكيم.

وقيل : هي أدرات للتنبيه ، كالجرس الذي يُقرع فيننبه التلاميذ لدخول المدرسة .

وَٱلْقَلَمِ .

أقسم الله بالقلم ، وهو رسيلة الكتابة وأداة التعليم ، تحريرًا لنا من الأمَّية ، وتوجيها لنا إلى فضل العلم وأممية الكتابة ، حتى قال القائل :

سعلم العلم واقرأ بحرف فيضار النبوة

فالبله قال ليحييي خبذ البكتاب بنقرة

ويمكن أن يراد بالقلم أيضًا ، القلم الذي يكتب به الملائكة ما فى اللوح المحفوظ ، ويسجَّلون به فى صحائفهم أعمال الذاس.

إن ديننا دين العلم والكتابة ، والتسابق العلمي والفكري ، ومن واجب الأمة الإسلامية أن تتسابق في ميادين العلم النظري والعملي والديني ، ليمود لها مجدما وعرَّها .

قال تعالى : قُلُ هَلْ يَسْتَوى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَايَعْلَمُونَ ... (الزمر: ٩) .

وقال سبحانه وتعالى : شَهِدُ ٱللَّهُ أَلْهُ إِلَّا إِلَّهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَتِكُةُ وَأُولُواْ ٱلْعِلْمِ ... (ال عمران ١٨).

وقال سبحانه وتعالى : وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَلُ نَصْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَغْفِلُهَمْ إِلَّا ٱلْعَلِمُونَ . (المنكبوت ٤٣).

وَهَا يُسْطُرُونَ .

وما يكتب بالقلم ، وما يسطُّر به من الكتب .

٢ - مَّا أَلتَ بِيعْمَةِ رَبُّكَ بِمَجْتُونِ.

كان الحقد والحسد على محمد ﷺ قد بلغ أشده من الكافرين ، فادعوا أن محمدًا مجنون ، وأن هذا القرآن أثر من أثار هذيانه وجنونه ، ومحمد ﷺ في الذروة العليا من العقل والحكمة والرشد ، قد أرسله الله لهبائية الناس ورحمتهم ، وإخراجهم من الثقامات إلى النور.

لذلك أنسم الله على أن محمدًا بسبب نعمة الله ورحمته به ، منتقر عنه الجنون ، مؤهلُ للرسالة ، موصول القلب بالله ، مثلق لنعم الله وفيوضاته .

٣ – وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْتُونٍ .

وإن لك من الله تحالى أجرا دائما ، وثرابا متصلاً لامِنَة فيه ولا نقصان ، بل هو فيض رحمة الله بك وحنانه عليك ، وتكريمه لك ، بسبب ما تلقاه من عنت المشركين وتكنيبهم لك .

٤ - وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُق عَظِيم .

هذه شهادة من الله لمحمد ﷺ ، الذي لختاره رسولا أمينا ، وأنزل عليه آخر رسالات السماء ، الرسالة التي اشتملت على صلاح البشرية ، وهداية الغاس ، وإخراجهم من الظلمات إلى النور .

وأنزل الله القرآن الكريم نورا وهداية وصلاحًا ، وكانت أخلاقه ﷺ قرآنا متحركا .

سئلت عائشة رضى الله عنها عن خلق رسول الله ﷺ ، فقالت : كان خُلُقه القرآن. (٥٠) رواه مسلم في صحيحه .

وفي المحميمين عن أنس قال: خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين، فما قال لي أفُّ قط، ولا قال للشيء فعلته لم فعلته، ولا قال للشيء لم أفعله ألا فعلته، وكان رسول الله ﷺ أحسن الناس خلقا. (١٠٠٠).

لقد تحمل الأذى في مكة قبل الهجرة ، ثم نصره الله عليهم ، وبخل مكة فاتحا منتصرا ، فعفا عن أملها ، وبخل الناس في دين الله أفواجا .

قال تحالى : فَبِمَا رَحْمَةٍ فَنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ زَلَوْ كُنتَ فَظَّا غَلِيظَ ٱلْفَلْبِ لَا نَفَطُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَأَعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَخْرِ ... (لل عدران : ١٥٩) . ٥ ، ٣ - فَسَتُبْصِرُ وَيُنْصِرُونَ ، بَأَيْبُكُمُ ٱلْمَفْتُونُ .

فسترى أيها الرسول الكريم ويرون من منكم المفتون المجنون ، من الذى سينهزم فى بدر ، وفى فتح مكة ، ومن الذى سينتصر .

وأغلب الظنّ أن أهل مكة حين اتهموه ﷺ بالجنون ، لم يكرنوا يقصدون ذهاب العقل ، بل كانوا يذهبون إلى أن الجن تزيّن له ما يقول وتقدمه له ، فيخلط كلام الجن بكلامه ، كما ادعى العرب أن لكل شاعر شيطانًا من الجنّ يعينه ويمدّه بالشعر .

قال تعالى : وَمَا تَنَوَّلَتَ بِهِ ٱلشَّيْطِينُ ، وَمَا يَبُغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ، إِنَّهُمْ عن ٱلسُّفَع لِمعَوْ وَلُون . (الشمراء ٢١٠)

وقال تعالى : لَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ الْأَمِينُ م عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنادِرِين . (الشمراء ١٩٣٠ ، ١٩٤) .

٧ - إِنَّ رَبُّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن صَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ .

استئناف لبيان ما قبله ، وتأكيد لما تضمنه من الوعد والوعيد .

إن الله أعلم من المجنون فيكما ، فالمجنون هو الذي ضلُ عن سبيل الهدى ، وتنكب الجادة ، واختار طريق الكفر والضلال ، وهو سبحانه أعلم بالمهتدى الذي بلَغ رسالة السماء ، وتمتع بالخلق المظيم ، وجمله الله هاتمًا للنبيين ، ومتعه بأسمى صفات البشر .

قىال تعمالى : إِنَّ ٱللَّهُ وَمَلَكِكَتُهُم يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ يَسَأَتُهَا ٱلَّذِينَ ءَامَتُواْ صَلُّواْ عَلِيه وسَلَّمُواْ تَسْلِيهُا . (الأمداب ٥٦)

وقد جعل الله طاعة الرسول من طاعة الله ، وجعله مبينًا وموضحًا للوحى ، وقائدًا لأمنه ، ومنعه الله بالشفاعة يوم القيامة ، ويسُر له النصر ويسر لأمنه فتحًا مبينًا ، ونصرًا عظيما.

قىال تىمالى : هُوَ ٱلَّذِينَ أُوسَلَ رَسُولُهُ, بِٱلْهُدَعَا وَقِينِ ٱلْمَعَلَى لِيُظْهِرُهُ, عَلَى ٱلدِّينِ كُلُهِ وَلَوْ كَرِهِ ٱلْمُطْرِكُونَ . (الصف ٩).

وقال تعالى : مِّن يُطِع ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهُ ... (النساء :٠٨).

وقال عز شأنه : وَأَلزَلْنَا إِلَيْكَ ٱلدُّكْرَ لِتُهَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزَّلَ إِلَيْهِمْ ... (النحل: ٤٤).

لا التقاء بين الإيمان والكفر

﴿ فَلاَ تُطِعِ ٱلْمُكَذِيِينَ ۞ وَدُّوا لَوَثَدِّهِنُ فَيُلْهِمُونَ۞ وَلاَتُطِعُ كُلِّ حَلَّافٍ مِّهِينٍ ۞ هَمَازِ مَشَّلَةٍ بِنَمِيدٍ ۞ مَّنَاحِ لِلْخَيْرِمُعْتَدٍ أَثِيدٍ ۞ عُتُلِ بِعَدَذَكِ كَنِيدٍ ۞ أَنْ كَانَ ذَا مَالِوَ بَشِينَ ۞ إِذَاتُنَانَ عَلَيْهِ مَا يَنْنَا قَالَ اَسْتَطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ۞ سَنَسِمُهُ عَلَ لَلْزُمُلُورِ ۞ ﴾ لَلْزُمُلُورِ ۞ ﴾

المطردات :

وتوالوتندش: تمنوا لو تلين لهم بعض الشيء ، وتصانعهم في الدَّين . قال الليث : الإدهان : اللين والمصانعة والمقاربة .

مسهسيسن ، محتقر في الرأى والتمييز.

مشاء بنميم : الذي يمشى بالنميمة بين الناس ليفسد بينهم .

مناع للخير، بخيل.

معستسم ، يتجاوز الحق ، ويسير في الباطل .

أشيسهم، كثير الأثام والذنوب.

مستُحصل ، غليظ القلب ، جاف العليم .

وتسييسم ، دعي ، معروف بالشر واللوم .

سنسمه ، نجعل له سمة وعلامة .

المخمرطوم؛ الأنف، والمراد: سلحق به عاراً لا يفارقه ، كالوسم على الأنف.

التفسيره

٨ - فَلَا تُطِع ٱلْمُكَلِّبِينَ .

أي: كما أنعمنا عليك بالرسالة والوحى والقرب، وأعطيناك الشرع المستقيم ، فلا تطع المكذبين.

وذلك أن رؤساء مكة دعوه إلى دين آباته ، فنهاه الله أن يطيعهم .

٩ – وَدُواْ لَوْ تُدْهِنُ فَيُنْجِئُونَ .

طلب كفار مكة من النبي ﷺ أن يعبد الهتهم وقتًا ما ، وأن يعبدوا إلهه وقتًا ما ، فإن كان في إلهه خير أصابوا منه ، وإن كان في الهتهم خيرً أصاب منه رسول الله ﷺ ، وتمنّوا أن يلين معهم ، وأن يتقرب من آلهتهم ، وأن يصل معهم إلى منتصف الطريق ، فلا يهاجم آلهتهم ، وأن يتقرب إليها أي تقرّب ، وأن يفطوا مثل ذلك مع إلهه ، لكن الله تعالى نهاه عن ذلك ، وبيّن أن الحق والباطل لا يلتقيان .

قال الحسن :

وَدُواْ لَوْ تُدْهِنُ لَيُدْهِنُونَ .

أي: لو تصانعهم في دينك ، فيصانعون في دينهم .

وقال ابن السائب: لو تلين فيلينون ك.

وقال ابن جرير الطبرى :

رأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال : ودّ هؤلاء المشركون يا محمد لو تلين لهم في دينك ، بإجابتك إبّاهم إلى الركون إلى آلهتهم ، فيلينون لك في عبادتك إلهك .

كما قال جل ثناؤه : وَلُوْلَا أَن كَتَمْنَكَ لَقَدْ كِدنُّ تُرْكُنُ إِلَيْهِمْ طَيْمًا قَلِيلاً . (الإسراه: ٧٤).

قال : وإنمًا هو مأخوذ من الدُّهن ، شبُّه التليين في القول بتليين الدُّهن .

واختلفوا فيمن نزلت فيه هذه الآيات على ثلاثة أقوال :

أحدها : أنه الوليد بن المغيرة .

الثاني: الأخنس بن شريق.

الفالث : الأسود بن عبد يغوث.

١٠ – وَلَا تُعلِغُ كُلُّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ .

وهو كثير الحلف بالباطل. مُّوِسْ، دنىء كذَّاب، فهو حين يكنب يقطى كذبه بالأيمان الباطلة، وكفى بذلك مهانة وذلاً له عند نفسه وعند الأخرين، ويكفى الكنب عيبا أن الله بدأ به تسم صفات مذمومة.

١١ - هَمَّاز مُشَّآءِ بِنَمِيم .

هو كثير الهمز واللمز ، بحَّاث عن عيوب النَّاس ، مما يدلَّ على عيب في ذاته ، وقد ذمَّ الله هذا الخُلُّق ، ونهى عن التماس عيوب الأَخرين .

قال تعالى : وَيْلُ لَّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ . (الهمزة :١) .

وقال تعالى : يَتَأَلِّهَا ٱللِّينَ ءَامَتُوا لَا يُسْخَرُ قَوْمٌ مَن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُولُواْ عَيْرًا مَنْهُمْ وَلَا يِسَاءٌ مِّن نَسَاءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنْ عَنْرًا مَنْهُنْ وَلَا تَلْوَرْقَ الْفُسَكُمْ وَلَا تَعَابُواْ بَالْأَلْفُلِسِ ... (السجرات : ١١) .

مُشْآءِ بنويم .

إنسان وصولى ، حاقد على تواصل الناس وترابطهم ، فهو يمشى بالنميمة، ويقطع أواصر الأخرة ، ويحوّل أصدقاء الأمس إلى متباغضين ، وفي الأثر: «من نمّ لك نمّ عليك ، ومن أخبرك بخبر غيرك أخبر غيرك بخبرك» .

وقد أخرج أبو داود ، والترمذي من حديث ابن مسعود أن رسول الله ﷺ كان ينهي أن ينقل إليه أحدٌ ما يغيّر قلبه على صاحب من أصحابه ، وكان يقول : «لا يبلّغني أحد عن أحد من أمىحابي شبئا ، فإني أحبّ أن أخرج إليكم وأنا سليم المسدس("").

وقد ثبت في الصحيحين عن ابن عباس قال : مر رسول الله ﷺ بقبرين فقال : «إنهما يعذّبان وما يعذبان في كبير : أما أحدهما فكان لا يستقر من البول ، وأما الآخر فكان يمشى بالنميمة، (١٠).

وروى الإمام أحمد ، عن رسول الله ﷺ أنه قال : «لا يدخل الجنة قتات» (١١٠).

وأورد الحافظ ابن كثير طائفة من الأحاديث النبوية الشريفة عند تفسير هذه الآية ، وكذلك صاحب (في طلال القرآن) .

وأنقل لك هذا الحديث:

روى الإمام أحمد أن رسول الله ﷺ قال : «ألا أخبركم بخياركم» ؟ قالوا : بلى يا رسول الله ، قال : «الذين إذا رؤوا ذُكِر الله عز وجل» ، ثم قال : «ألا أنبنكم بشراركم؟ المشَّاءون بالنميمة ، المفسدون بين الأحبة ، الباغون للبرآء العيب» "؟ .

١٢ - مُنَّاع لُلْخَيْرِ مُعْتَدِ أَثِيمٍ.

هو نموذج من نماذج الشر، فقد كان يمنع أولاده وأهله من الدخول فى الإسلام ، ويهددهم بمنع ماله ومعروفه ومساعدته عمن دخل فى دين محمد.

ولا يوجد خير أعظم من الإسلام ، فقد كان يمنع الناس منه ، كان ظالما معتديا ، وقد حارب القرآن الظلم والعدوان يجميع طرقه وأصنافه ، حتى في الطعام والشراب .

قال تعالى : كُلُواْ مِن طَيْبَلْتِ مَا رَزْقْتَلَكُمْ وَلَا تَطْغُواْ فِيهِ ... (طه : ٨١).

وهر أثيم يرتكب المعاصى والإثم بدون تحديد، وهو يدل على تنوّع المعاصى والأثام التي يرتكبها.

وقبل: إن الآية نزلت في الوليد بن المفيرة المخزومي ، كان موسرًا وكان له عشرة من البنين ، وكان يقول لهم ولأقربائه : من أسلم منكم منعته رِفْدي وعطائي ، وقبل: نزلت في أبي جهل ، وقبل: في غيرهما.

وقد ذكر العلماء أن العبرة بعموم اللفظ لا يخصوص السيب.

فالآيات تحذر من اتياع كل إنسان متمىف بهذه الصفات التسم:

١ - وَلَا تُطِعْ كُلُّ حَلَّاف .

۲ – مُهينِ .

٣ – هَمَّاز ،

٤ - مُثَاَّعِ بِنَمِيمٍ .

٥ ~ مُثَّاعِ لُلْخَيْرِ .

٣ – مُعتدِ

٧ – أثيم .

٨ - غُمُّلٌ بَعْدَ ذَالكَ .

٩ - زَيِيم .

وهذه الصفات ترسم نموذجا بلغ الغايات في الشرور والآثام.

١٣ - عُتُلِ يَعْدَ ذَالِكَ زَلِيمٍ ،

الجزء التاسع والعشرون

عُتُلٍّ . غليظ جاف ، يعامل الناس بالقلظة والفظاظة .

زُنِيم . معروف بالشرور والآثام ، كما تعرف الشاة بالزنمة وهي ما يتدلى من رقبتها .

قال سعيد بن جبير: الزنيم الذي يعرف بالشرّ، كما تعرف الشاة بزنمتها .

وروى عن ابن عباس أنه قال: هو الرجل يمرّ على القوم، فيقولون: رجل سوء.

وكلمة غُتُلٍّ . تعبر بجرسها وظلّها عن مجموعة من الصفات ، فقد يقال : إن العُثلُ هو الغليظ الجاف ، وإنه الأكبل الشروب ، وإنه الشره المثّاع للخير ، وإنه الفظّ في طبعه ، اللئيم في نفسه، السيئ في معاملته .

زَنِيمٍ.

وهذه خاتمة الصفات الكريهة المذمومة .

والزنيم من معانيها : اللصيق فى القوم ولا نسب له فيهم ، ومن معانى الزنيم : الذى اشتهر بين الناس بلزمه وخيثه ، وكثرة شروره .

١٤ – أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ .

لقد أعطاه الله المال والبنين ومنَ عليه بالنعم ، وكانت تستحق منه شكر النعمة ، وتصديق رسالة الرسول ، لكنّه قابل نعمة الله بالتكذيب والاختلاق .

ه ١ - إِذَا تُعْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَنْتُنَا قَالَ أَسَلْطِيرُ ٱلْأَوْلِينَ .

إذا قرئ عليه القرآن رفض الإيمان والتصديق به ، وقال: إنه أكاذيب السابقين التى دُوُنت في الكتب ، وليس من كلام الله .

وفى هذا المعنى قوله تعالى: فَرْبِي وَمَنْ حَلَفْتُ وَجِهْدًا وَ وَجَعْلَتُ لَمْ مَالًا مُمْدُودًا وَوَبِينَ شُهُودًا وَوَهَلْتُ لَهُ, تَعْهِيدًا وَثُمْ يَطْمَعُ أَنْ أَوِيدَ وَكُلَّ إِنَّهُ كَانَ لِا يُنِجَاعَتِها عَيْدًا و سُأَوْهِفُهُ سَمُودًا * إِنْهُ وَكُرْ وَقَدْرَ وَفَقَىلَ كَلَمْ عَلَى وَكُمْ كُيلَ كَيْفَ قَلْدَ وَثُمْ لَطَرْ وَثُمْ عَبَسَ وَبَسَرَ وَثُمَّ أَفَهُرَ وَآسَتَكُبْرَ وَقَالَ إِنْ هَسَلْمًا إِلَّاسِتُونَ فَيْرًا الْكِشْوِ. (العدود: ١١ - ٢٥)

والخلاصة:

لقد أعطاه الله المال والبنين ، فجعل الكفر مكان الشكر ، وكذَّب بأيات الله ، وقال : إنها أكاذيب السابقين .

١٦ - سَنَسِمُهُ عَلَى ٱلْحُرْطُوم .

سنتيَّض له وسائل الإذلال والمهانة ، فقد ذمَّه الخالق الكريم ، وسجُّل ذلك في كتابه الخالد .

والمعنى الحرفي للآية: سنجعل وسمًا وعلامة على أنفه ، ليتذكر كلُّ من رآه تاريخه ومذلَّته .

والأنف رمز الطلق والرفعة . يقال : أنف أشمّ ، للعزيز . وأنف في الرغام ، للذليل ، أي فسى التراب ، ويقال : ورم أنفه ، وحمى أنفه ، إذا غضب معتزًا ، ومنه الأنفة .

وقد أذلُّه الله يوم بدر ، وسينتظره ذلُّ أعظم يوم القيامة .

جاء في تفسير المراغي :

وفي التعبير بلفظ: أَلْخُرُ طُوم . استخفاف به ، لأنه لا يُستعمل إلا في الفيل والخنزير ، وفي استعمال أعضاء الحيوان للإنسان، كالمنشفر للشفة والظلف للقدم ، دلالة على التحقير كما لا يخفي .

والخلاصة :

سنذلَه في الدنيا غاية الإذلال ، ونجعله ممقوتا مذموما ، مشهورًا بالشرّ ، ونسمه يوم القيامة على آنفه ، ليُعرف بذلك كغره وانحطاط قدره .

قصة أصحاب الجنة

﴿ إِنَّا بَلَوْتَهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَبَ لِلْمُنَةَ إِذَا أَشَمُوا لِيَصْرِمُنَهَا مُصَبِحِينَ ۞ وَلاَيَسَتَنُونَ ۞ نَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِمِ وَلَهُ مَنْ اللَّهِ مُنْ اللَّهِ مُنْ اللَّهِ مُنْ اللَّهُ وَالْمَصْبِحِينَ ۞ أَن الْمَالِمَ عَلَيْهُ وَلَمُ وَالْحَلَقُوا وَلَمْ يَنَحَمُنُ اللَّهِ مَنْ اللَّهُ مَا اللَّهُ مَنْ اللَّهُ وَالْمَالُونَ ۞ اللَّهُ مَنْ اللَّهُمَ عَلَيْهُمْ عَلَيْهُ مُنْ اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ وَلَمُنَا إِنَّا الْمُنَالُونَ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ وَلَمُنَا إِنَّا الْمُنَالُونَ اللَّهُ اللْكُونُ اللَّهُ اللْمُلْعُلُكُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللِل

المفردات،

و الآفات . امتحدًّا هم بألوان من البلاء والآفات .

البستان.

ليحسرونها بعد نضجها .

مسيحين، وقت الصياح المبكّر.

ولا يست ثار منم المساكين .

طــانــف مــن ربك: طارق من عذاب ربك ، نار معرقة ، أو مماعقة أحرقت البستان .

كـــالصــريــم؛ كالليل البهيم في السواد، بعد أن احترقت.

المستسسادوا، نادى بعضهم بعضا.

اغسسسسفواه اخرجوا غدوة مبكرين.

مسارم يسن، قاصدين للصرم وقطع الثمار.

يست خاف تون، يتشاورون فيما بينهم بطريق المخافتة والمناجاة ، حتى لا يسمعهم أحد.

مسلسس حسيرد؛ على منع ، أو انفراد عن المساكين .

اض المناهدة على المناطريق جنتنا ، وما هذه هي .

______روم___ون، حرمنا خيرها بجنايتنا على أنفسنا.

أوسطهم وأيا.

السولا تسسيسحسون : هلا تذكرون الله ، وتتويون إليه من خبث نيتكم .

يستسلاوه سون ، يلوم بعضهم بعضا على عزمهم منع المساكين .

ط<u>الة من مت</u>مار متحاور من جيور الله .

ونفصص بيسبون واحون العفوء طالبون الخبر

تمهید د

يضرب الله مثلا وقصة ، قيل كانت بأرض اليمن ، قريبًا من صنعاء ، لرجل صالح كان يودى حق الله فى ماله ، ويترك للمساكين جانبًا من ثمار بستانه ، فلما مات أصر أولاده على منع حق المساكين ، وحلفوا ليقطعن ثمار للبستان فى الصباح الباكر خفية عن المساكين ، فجازاهم الله بما يستحقون ، وأرسل على بستانهم صاعقة أحرقته ، وجعلته أسود فاحمًا خاليًا من الثمار ، فحرمهم الله من بستانهم عقوبة لهم .

التطسيره

١٧ - إِنَّا بَلُوْنَنَهُمْ كَمَا بَلُوْنَا أَصْحَلْبَ ٱلْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُواْ لَيَصْرِمُنْهَا مُصْبِحين .

اختبرنا أهل مكة بالمال والغنى والبلد الأمين ، لكنهم لم يشكروا هذه النعمة ، وكذّبوا محمدًا مَيْنَ ، و وشأنهم فى ذلك شأن أصحاب الجنة ، وقصشهم مشهورة باليمن ، فقد كان البستان لرجل صالع يخرج زكاة بستانه ، ويجعل للمساكين بعد ذلك ما أخطأه الحاصد ، وما تبقّى تحت النخلة من ثمر ، فلما مات الأب أصرً أبناؤه أن يقطعوا ثمار البستان فى الصباح الهاكر .

١٨ – وَلَا يُسْتَغْنُونَ .

ولا يتركون شيئًا في بستانهم للفقراء والمساكين ، أو لم يقولوا إن شاء الله .

١٩ - فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِن رَبُّكَ وَهُمْ نَاثِمُونَ .

دبُروا كيدًا بليل ، وناموا غاظين عن أمر السماء ، فأرسل الله على البستان ليلاً صاعقة أحرقته ، . . وصار أسود فاحمًا ، لا أثر فيه المثمار ، وأصحابه في غفلة عما جرت به المقادير .

· ٢ - فَأُصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ.

أصبحت جنتهم كالبستان الذي صرمت ثماره ، وقطعت بحيث لم يبق فيها شيء ، أو أصبحت كالليل البهيم الحالك السواد من آثار الحريق ، جزاء رغبتهم في حرمان المساكين من أي شيء من ثمار جنتهم .

أخرج عبد بن حميد ، وابن أبى حاتم ، عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ : «إياكم والمعصية ، فإن العبد ليذنب الذنب الواحد فينسى به الباب من العلم ، وإن العبد ليذنب الذنب فيحرم به قيام الليل ، وإن العبد ليذنب الذنب فيحرم به رزقًا قد كان ميئ له» ، ثم تلا : فَطَافَ عَلَيْهَا طَآلِفٌ ... الآية ، «قد حُرموا خير جنتهم بذنبهم» .

٢١ ، ٢٢ - فَتَنَادُوْا مُصْبِحِينَ . أَنِ آغَدُواْ عَلَىٰ خَرْبُكُمْ إِن كُتُتُمْ صَلَومِينَ .

يصبور القرآن حال مؤلاء الناس ، غاظين عما دبره القدر ليلاً بإحراق بستانهم ، فانطلقوا في الصباح ينادي بعضهم بعضًا : هلموا نذهب إلى البستان لنجمع ثماره ونقطعها .

٢٢ ، ٢٤ - فَٱنطَلَقُواْ وَهُمْ يَتَحَلْفَتُونَ ، أَن لا يَدْخُلَنَّهَا ٱلْيَوْمَ عَلَيْكُم مَّسْكِينٌ .

وانطلقوا إلى عملهم ، يتشاورون في سرية وصوت منطفض ، ويومني بعضهم بعضًا بأن البستان لذا وحدنا ، ولم يعد فيه حق لمسكين أو فقير ، فأغلقوا أبوابه ، مع توصية الحرّاس ألا يُدخلوا أي مسكين إلى الجنة .

٥٧ -- وَغُدُواْ عَلَىٰ حَرْدٍ قَدْدِينَ .

أى : وساروا أول النهار قادرين على منع المساكين من دخول البستان ، أو منع أنفسهم من إيصال الثواب إليهم .

ولكلمة خُرْدٍ. معان كثيرة ذكرها المفسرون ، والمستفاد من سياق القصة أنهم ساروا يمنّون أنفسهم بتنفيذ خطّتهم ، ومنع المساكين من الاستفادة بجرّه من ثمار البستان ، ومنع أنفسهم من التخلّى عن هذه الرغبة ، أي أنهم مضوا لتنفيذ ما عزموا عليه ، حال كونهم على تنفيذه من وجهة نظرهم قادرين .

٢٩ ، ٧٧ - فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوٓا إِنَّا لَضَآالُّونَ ﴿ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ .

فلما شاهدوا جنتهم محترقة ، قالوا : لقد ضللنا الطريق فليست هذه جنتنا ، ثم تيقُّنوا منها ، فقالوا :

يَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ .

إنه بستاننا بعينه ، لكنًا حرمنا خيره بسبب عزمنا المؤكد على حرمان المساكين ، وأظهروا الندم والتلاوم بعد فوات الأوان وضياع البستان .

٧٨ - قَالَ أَوْسَطُهُمُ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبَّحُونَ .

قال أعقلهم وأحسنهم رأيًا : ألم أقل لكم اتقوا الله ، وتذكروا نعماءه ، واشكروه وعظموه بإخراج الزكاة والصدقة : وَوَاتُوا حُقَّارُ رُقِّمُ حَصَّاوِهِ ... (الأنعام : ١٤١) .

٢٩ - قَالُواْ شُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَلْلِمِينَ .

قالوا : تنزه الله عن الظلم ، إنا كنّا ظالمين لأنفسنا ، معتدين على حق المساكين . لقد اعترفوا بذنبهم بعد فوات الأوان .

، ٣ - فَأَقْبَلَ يَعْشُهُمْ عَلَىٰ يَعْضِ يَعْلَىٰ وَمُونَ .

أى : يلوم بعضهم بعضا على منم المساكين حقوقهم ، يقول هذا لهذا : أنت أشرت علينا ، ويقول الآخر: أنت فعلت ، فإن منهم من أشار بذلك ، ومنهم من استحسنه ، ومنهم من سكت راضيًا ، ومنهم من أنكره

٣١ – قَالُواْ يَلْوَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَلْغِينَ .

أهذوا يلومون أنفسهم ، وينادون على أنفسهم بالويل والثبور وعظائم الأمور ، حيث تكبّروا وطفوا. ومنعوا حق المساكين ، ولم يشكروا نعم الله عليهم كما شكرها أبوهم ، حتى أصابهم ما أصابهم.

وفي القصة عظة وعبرة ، وتحذير للإنسان من الطفيان وعدم شكر النعمة ، فالنعمة مجنونة ، وتحصينها بالشكر، واستخدامها فيما خلقت له .

٣٢ - عَسَىٰ رَأَيْنَا أَن لِيُدِلِّنَا خَيْرًا مُنَّهَا إِنَّا إِلَىٰ رَبَّنَا رَاعِبُونَ .

ترجو أن يعوَّضنا الله خيرًا من جنتنا ، إنا تاتبون نادمون على قطنا ، راغبون في فضل الله وعظيم ثوابه .

وعن مجاهد: إنهم تابوا فأبدلوا خيرًا منها.

٣٣ - كَذَالِكَ ٱلْعَذَابُ وَلَعَذَابُ ٱلْآخِرَةِ أَكْبُرُ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ .

جاء في الدرّ المنثور للسيوطي :

أخرج عبد بن حميد ، وابن المنذر ، عن قتادة في قوله تعالى : كَذَالِكَ ٱلْعَلَابُ . قال : عقوية الدنيا ، وُلَعَلَابُ ٱلْآخِرَة . قال : عقوية الآخرة .

ومعنى الآية :

ما فعلنا بأصحاب الجنة نفعه بكل من تعدّى حدودنا ، وعصىي رسلنا ، كما فعلنا بعاد وشعود وفرعون ، وعداب الأخرة أكبر وأشدٌ وأخزى ، فَرَ كَالُوا يُعَلَّمُونَ . أي : لو كان الكفار من أهل العلم لأفاقوا من غللتهم ، وأخذوا من العداب حدوهم ، ولما وقعوا فيما وقعوا فيه .

وجاء في ظلال القرآن ما يأتي :

وقبل أن يسدل الستار على المشهد الأخير نسمع التعقيب:

كَذَالِكَ ٱلْعَدَابُ وَلَعَدَابُ ٱلْآخِرَةَ أَكْنَهُ لَهُ كَالُواْ يَعْلَمُونَ .

وكذلك الابتلاء بالنعمة ، فليعلم المشركون أهل مكة :

إِنَّا بَلُوْ نَدَهُمْ كُمَّا بَلُوْ فَا أَصْحَنْبَ ٱلْجَنَّةِ ...

ولينظروا ماذا وراء الابتلاء، ثم ليحذروا ما هو أكبر من ابتلاء الدنيا وعذاب الدنيا:

وَلَعَذَابُ ٱلْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ .

مناقشة المشركين

﴿ إِنَّ الْمُنَقِينَ عِندَ رَهِمْ جَنَّتِ النَّهِمِ ۞ أَفَتَجَمَّ الْمُشْلِينِ كَالْمُجْرِهِينَ ۞ مَا لَكُرْكَفَ تَعَكَّمُونَ ۞ أَمْ لَكُرِكِنَ يُفِيدِنَدُ رُسُونَ ۞ إِنَّ لَكُرْفِيدِ النَّغَيِّرُونَ ۞ أَمْ لَكُمْ شُرِكَاهُ فَلْيَاتُولُ مِشْرَكَامُ الْفَيْمُ إِلَاكَ نَعِمُ ۞ أَمْ لَكُمْ شُرَكَاهُ فَلْيَاتُولُ مِشْرَكَمْ إِن كَانُولُ مَلْدِفِينَ ۞ يَوَمَ يُكَشَفُ عَن سَافِي وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَفَلا يَسْتَطِيمُونَ ۞ حَشِمَة أَتَسَرُهُ مَرْهُمُهُمْ ذِلْةً وَقَدَكَا فُولُهُ عَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُ سَلِيمُونَ ۞ ﴾

تمهيده

تفيد الآيات أن للمتقين عند الله جنات النعيم ، ولما سمع الكفار ذلك قالوا: نحن في الدنيا أحسن من المؤمنين ، وفي الأخرة سنكون أيضًا أحسن من المؤمنين ، أو على الأقل سنكون مثلهم ، فناقشهم القرآن " نقاشًا متنابعًا ، حاكمهم فيه إلى المنطق والعقل ، فقال :

أَفْتَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ .

هل يستوى من أطاع الله ومن عصاه ؟ هل يحكم بذلك عاقل ؟ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ .

ثم سألهم: هل عندكم دليل نقلى ، أو كتاب من السماء تدرسونه وتقرأونه بذلك؟

ثم سألهم : هل لديكم وعد من الله بأن لكم الجنة مثل المؤمنين ، أو بأن لكم ما تحكمون به وما تمتارونه ؟

وأمر الرسول أن يسألهم: من هو الزعيم فيكم بذلك ؟ وهل محكم شركاء يوافقونكم على ما تذهبون إليه ۱ فلتمضروا هؤلاء الشركاء في يوم يكشف فيه عن ساق من شدة الهول ، ويدعون إلى السجود لله ، فلا يستطيعون السجود لتصلّب ظهورهم ، وقد كانوا يدعون إلى السجود في الدنيا حال سلامة ظهورهم فلا يستجيبون ولا يسجدون .

التفسد ،

٣٤ - إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّنْتِ ٱلنَّعِيمِ .

في آيات سابقة تحدث القرآن الكريم عن قصة أصحاب الجنة ، التي انتهت بهلاك مروّع لبستانهم ، ثم قال تمالي : كُذَرِّكُ آتُعَدَّابُ وَتُعَدَّابُ آلاَّ جُرَةً أَكُثِرُ لَوْ كَانُواْ يَعْلُمُونَ .

وفي مقابل عذاب الكفار في الآخرة تحدث القرآن عن نعيم أهل الجنة ، فقال :

إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتِ ٱلنَّعِيمِ.

و المعنى:

إن للأبرار المؤمنين الذين اتقوا ربهم وراقبوه ، خشية لمقامه ، وطاعة لأوامره ، واجتنابًا لمحرماته ، والمتثالاً لكتابه ، والمتداء بسنة نبيه ﷺ ، هؤلاء المتقون لهم منزلة عالية عند الله في رضاه ونعيمه وقريه وحماه وفضله ، حيث يتمتعون بجنات في النعيم الكامل: وُفِيهًا مَا تُشْتِهِهِ ٱلْأَنْصُ رُتَلُهُ ٱلْأَخْسُ رَسَّلُ الْأَخْسُ رَسَّلُ الْأَخْسُ رَسَّلُ الْأَخْسُ رَسَّلُ الْأَخْسُ رَسَّلًا اللَّامُ اللَّامُ اللَّهُ مِنْ المنظمية اللَّهُ اللَّمْسُ وَلَلْكُ الْأَخْسُ رَسَّلًا اللَّهُ اللَّهُ اللَّمْسُ واللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّمْسُ واللَّهُ اللَّهُ الْمُعْلِمُ اللَّهُ ال

وفي الحديث الشريف: «فيها ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر» (٢٠).

قال مقاتل بن سليمان البلخي:

لما نزلت هذه الآية قال كذّار مكة للمسلمين: إن الله فضّاننا عليكم في الدّنيا فلابدّ أن يفضلنا عليكم في الآخرة، فإن لم يحصل التفضيل فلا أقل من المساواة، فردّ الله عليهم ما قالوا، وأكدُ فوز المتقين بقوله:

٣٥ - أَلْنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ .

أنحيف فى الحكم ، ونظلم المسلمين المتقين ونسوّى بينهم وبين المجرمين الذين أُجرموا بالشرك والكفر بالله ورسله ؟

٣٦ - مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ .

ماذا حدث لكم من فساد الرأى، وخبل العقل، حتى حكمتم بالمساواة بين الأخيار والأشرار.

وفي ذلك المعنى يقول الله تعالى : أَمُّ نَجَعُلُ ٱلَّذِينَ عَامَّواً وَعَمِلُواْ ٱلصَّلِحَاتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِي ٱلْأَرْضِ أَمْ يَجْعَلُ ٱلْمُنْقِينَ كَالْفُجَّادِ . (ص: ٢٨) . ٣٧ ، ٣٧ - أَمَّ لَكُمْ كِتَلْبٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ، إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ .

أفسدت عقولكم حتى حكمتم بذلك ، أم نزل عليكم كتاب يتدارسه الخلف عن السلف بأن الحكم بأيديكم تختارون ما يناسبكم منه ، وما تشتهون من نميم الجنة ؟

قال صاحب الطلال:

فهو التهكم والسخرية أن يسألهم إن كان لهم كتاب يدرسونه ، هو الذي يستمدون منه مثل ذلك المكم الذي لا يقبله عقل ولا عدل ، وهو الذي يقول لهم إن المسلمين كالمجرمين ، إنه كتاب مضحك يوافق هواهم ، ويتعلق رغباتهم ، فلهم فيه ما يتخيرون من الأحكام وما يشتهون ! وهو لا يرتكن إلى حق ولا إلى عدل ولا إلى معقول أو معروف ا

٣٩ - أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا بَلِغَةً إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَامَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ .

فإن لم يكن هذا ولا ذاك ، فهل معكم عهود موثقة على الله ، مستمرة مؤكدة إلى يوم القيامة بأن لكم ما تحكمون به ؟ أي ما تطلبون ينقذ ، كما ينفذ حكم الحاكم أو قضاء القاضي .

٤ - سَلْهُمْ أَيُّهُم بِلَا لِكَ زُعِيمٌ.

وجه اليهم السؤال ، وقل لهم : من منكم الزعيم الضامن بأن لكم على الله ما تشتهون وما تحكمون ؟ وهو تهكم ساخر عمرق بليغ ، يذيب الوجوه من الحرج والتحدّى السافر المكشوف .

١ ٤ - أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ فَلْيَأْتُواْ بِشُرَكَالِهِمْ إِن كَانُواْ صَدْيِقِينَ .

هل هناك من يشاركهم في ذلك الرأى ، وهو التسوية بين المسلمين والمجرمين ؟ وإن كان كذلك فليأتوا بهم إن كانوا ممادقين .

والمقصود : إن أحدًا لا يسلّم لهم بهذا ولا يساعدهم عليه ، كما أنّهم لا كتاب لهم ينطق به ، ولا عهد لهم به عند الله ، ولا رّعيم لهم يقوم به ويتصدّى لإنفاذه .

وربما لمعتملت الآية وجهاً لخر أو معنى آخر هو ما يأتى : لقد كان لكفار مكة شركاء لله فى العبادة ، هى الأصنام والأوثان مثل : اللات والعزّى ومناة ، والقرآن هنا ينسب الشركاء إليهم لا إلى الله ، ويتحدّاهم أن يأتوا بهؤلاء الشركاء فى يوم شديد الهول هو يوم القهامة ، يُومُ يُكَشّفُ عَن سَاقٍ ... ٢ ٤ - يَوْمُ يُكُشِّفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ .

أى: فليأتوا بهؤلاء الشركاء ليماونهم إذا اشتد الهول وعظم الأمر يوم القيامة ، والكشف عن الساق في تعبيرات اللغة العربية كناية عن الشدة والكرب ، فهو يوم القيامة الذي يشكّر فيه عن الساعد ، ويكشف فيه عن الساق ، ويشتد الكرب والضيق ، ويُدعى هولاء المتكبرين إلى السجود فلا يملكون السجود ، إما لأن وقته قد فات ، وإما لأن الهول قد شدّ أجسامهم وأعصابهم ، فترقفت ظهورهم فلا تستطيع الانحناء من العجز . والكرب المخيف .

و في الآية دليل على أنهم يحاولون السجود في الآخرة فلا يستطيعون ذلك ، بينما يوفُّق المؤمنون للسجود لله تحالي في ذلك اليوم .

٣ ٤ - خَلْشِعَةٌ أَيْصَلْرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةً وَقَدْ كَانُواْ يُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمْ سَلِمُونَ .

يحشر هؤلاء المشركون في حالة من الذلة والمهانة ، منكسرة أيصارهم ، تغشاهم المهانة والندامة والمذلّة والحسرة ، وقد كانوا يدعون إلى طاعة الله وشرعه في الدنيا ، وهم سالمون أصحاء معافون متمكنون من السجود فلا يستجيبون كبرًا وإعراضًا وأنفة من الاستجابة للحقّ ، لذلك عوقبوا بعدم قدرتهم عليه في الأخرة .

رُوي أنه كلما أراد أحدهم أن يسجد خرّ لقفاه على عكس السجود ، بخلاف ما عليه المؤمن .

أخرج البخاري ، ومسلم وغيرهما ، عن أبي سعيد قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «يكُوْفُ ربنا عن ساقه فيسجد له كلُّ مؤمن ومؤمنة ، ويبقى من كان يسجد فى الدنيا رياء وسمعة ، فيذهب ليسجد فيعود ظهره طبقًا واحدًا» (٢٠٠).

وقد أورد الحافظ السيوطى فى كتابه (الدر المنثور فى التفسير بالمأثور) طائفة من روايات هذا الحديث فى الصحيحين وفى كتب السنن .

وأنكر ذلك سعيد بن جبير ، فقد سُئل عن الآية : يُوْمُ يُكَخَفُ عَن سَاقٍ ... فغضب غضبًا شديدًا ، وقال : إن أقوامًا يزعمون أن الله سبحانه يكشف عن ساة ، ، وإنما يكشف عن الأمر الشديد ، وعليه يحمل ما في الحديث ، وقد أورد ذلك الألوسي في تفسيره ، (جزم ٢٩ ، ص ٣٥) .

وأرى أن الحديث صحيح ، وارد في الصحيحين وفي كتب السنن ، والسلف يقولون في المتشابه من الآيات والأحاديث : نؤمن بها كما وردت ، ونفرّض المراد منها إلى لله تعالى . والخلف يقولون : يجب تأويلها على معانٍ تليق بذات الله تعالى .

وكان الإمام الشافعي رضي الله عنه يقول: (إذا صح الحديث فهو مذهبي، واضربوا بقولي عرض الحائط).

ومن إعجاز القرآن الكريم أن الآية قد يكون لها معنى ، وتشير إلى معنى ، وتستتبع معنى .

والآية الكريمة : يُزُمُّ يُكَتُفَفُ عَن سَاقَقٍ ... تحتمل المعنى المجازى ، ويمكن فهمها على المعنى الحقيقى ، ولذا أن نأخذ برأى السلف فنقول : نرُمن بها كما وردت ونفرُض المراد منها إلى الله تعالى ، ولذا إن نأخذ برأى الخلف في أن كثف الساق كناية عن الشدّة والهول ، والله أعلم .

* * 1

ختام سورة القلم

المفردات :

فدرني ومن يكدب، أي كِلْه إلى فإني أكفيكه.

سنستسد وجهم، يقال: استدرجه إلى كذا، إذا استنزله إليه درجة درجة حتى يورَّطه فيه.

وأمسلس لسهسم؛ أمهلهم رأطيل لهم المدة، يقال: أملى الله له ، أي: أطال له السلاوة ، وهي المدة من الزمن . كسيسي مشتهين ، تدبيري قوي ً ، لا يقلت منه أهير .

مستقسسرم؛ غرامة مالية .

منشق السون: مكلِّفون أحمالاً ثقالاً ، فهم يسببها يعرضون عنك .

السفسيد، ما كُتب في اللوح ، واستأثر الله بعلمه .

يكت بون : يحكمون على الله يما شاءوا وأرادوا.

حسبكسم ريك، هو إمهالهم وتأخير نصرتك عليهم.

صاحب الحدوث ، يونس عليه السلام .

مسك فلم السقاء ، إذا ملأه . من قولهم : كظم السقاء ، إذا ملأه .

السسعسراء ، الأرض الخالية .

فاحست باه والمنطفاه بقبول تويته .

يــــزثــــقـــونك، ينظرون إليك نظرًا شديدًا يكاد يصرعك ويسقطك من مكانك لبغضهم لك.

المسجود القرآن

التفسيره

\$ 2 - فَلَرْنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهِمْلَا ٱلْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ .

يأتى أسلوب التهديد والوعيد لهؤلاء المشركين المكذبين.

أى : هلكي وإياه ، وكِلَه إلى لأجازيه بعمله ، وقيل : ذرنى ، أى لا تشغل قلبك به ، ودعنى وإياه فإنى مجازيه ومكافئه ، رهو بمعنى الأوّل ، والعرب تقول مثل هذا القول ، وإن لم يكن هناك أحد يمنعه منه .

سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ .

الاستدراج في كلام العرب هو الأخذ قليلاً قليلاً ، ومنه : درج الصبيّ ، إذا مشى قليلاً قليلاً .

وقال سفيان المثورى: الاستدراج هو إسباغ النُّعم ، ومنع الشكر.

وقيل: هو أنه كلما جدد ذنبًا ، جدد الله له نعمة.

وعن عقبة بن مسلم قال : إذا كان العبد على معصية الله ، ثم أعطاه الله ما يحب ، فليعلم أنه في استدراج .

وعن الحسن البصري قال : كم من مُسْتَدرَج بِحُسن الثناء عليه ، ومغرور بستر الله عليه .

وقيل : مَنَسْتَدُرجُهُم . أي : نمكر بهم من حيث لا يعلمون [٣٠]

وجاء في تفسير البغوى ما يأتي :

فَلَرْنِي وَمَن يُكَلُّبُ بِهَالَمَا ٱلْحَدِيثِ ...

أي : فَدِعْنِي والمكذبين بالقرآن ، وخلُّ بيني ويينهم -

قال الزجاج: لا تشغل قلبك بهم ، كِلْهم إلى فإنى أكفيكهم ، ومثله : ذُرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا . (المدثر: ١١).

ومعناه في اللغة : لا تشغل قلبك به ، وكله إلىّ فإني أجازيه ، ومثله قول الرجل : نرنى وإياه ، ليس أنه منعه منه ، ولكن تأويله : كِلّه إلىّ فإنى أكفيك أمره . ٣٠٠).

ه ۽ - وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَعِينٌ .

أى: أمهلهم ولا أباغتهم جهرًا ، بتأخير العذاب عنهم ، وأمنحهم كثيرًا من النعم ليزدادوا إثمًا ، وهم يحسبون أن ذلك لإرادة الخير بهم .

إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ .

إن تدبيري وعذابي لقويُّ شديد ، لا يُدفع بشيء ، فلا يفوتني أحد ولا يعجزني .

وأفاد صاحب الظلال ما يأتي :

إن المعركة بين الله وبين هؤلاء الظالمين المعتدين ، والرُسل والهداة سبب ظاهرى ، أمّا المسبب المحقق في المسبب المحقيقي فهو الله ، وهذا إنذار رهيب للإنسان المسكين الذي يمثّل نملة صغيرة أمام قدرة الله القادرة ، إن هذه القدرة كانت وراء الرسول ﷺ وصحيه في مكة ، وكانت أيضًا وراءهم في المدينة حين أصبحت لهم دولة وقوة ، فقال تعالى لهم : فَلَمْ تَشْتُلُوهُمْ وَلَاكِنُ ٱللّهُ تَسْلَهُمْ وَمَا وَمُرْتَ وَلَاكِنُ ٱللّهُ وَلَا الله الله الله الله الله (١٤) .

من كلام المضسرين

ورد هذا المعنى في كتاب الله تعالى في نحو قوله سبحانه : أَيَحَسَبُونَ أَنَمَا لُمِثُهُمْ بِهِ مِن مَّالرُوَآبِينَ . لُسَارِعَ لَهُمْ فِي آلْخَيْرَاتِ بَلَ لاَ يَشْعُرُونَ . (المؤمنين : ٥٥، ٥٥) .

وقوله تحالى: فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكُرُواْ بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا قَرِحُواْ بِمَا أُوتُواْ أَخَلَانَهُم بَعْتَةً فَإِذَا هُم مُثلِسُونَ (الأنعام: ٤٤).

وَأُمْلِي لَهُمْ إِنْ كَيْدِي مَتِينٌ .

أى: أَنْ شَرِهم وأَنْسِيّ في آجالهم ملاوة من الزمان على كفرهم وتمرّدهم علىّ ، لتتكامل حججى عليهم ، وإن كيدي لأهل الكفر لقرى شديد (٣٠).

وفى الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال : «إن الله تعالى ليملى الظالم حتى إذا أخذه لم يظله ، ثم قرأ : وَكُذَالِكَ أَخُذُرُ رَكَا إِذَا أَخَذَ الْقَرَىٰ وَهِيَ خَالِمَهُ إِنْ أَخَذُهُمْ أَلِيمٌ شَالِينٌ "" . (هود ١٠٢٠) .

٤٦ - أَمْ تَسْتَلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّفْرَم مُّتَقَلُّونَ .

ماذا أصاب هؤلاء القوم حتى أعرضوا عن رسالتك ؟

هل تطلب منهم جَنْلاً ومالاً إذا دخلوا في الإسلام ، فهم يعرضون عنك بسبب الغرم العظيم والدَّين الثقيل الذي يتوم به كاهلهم ؟

وخلاصة ذلك : إن أمرهم لعجيب ، فإنك تدعوهم إلى الله بلا أجر تأخذه منهم ، بل ترجو ثواب ذلك من ربك ، وهم مع ذلك يكنَّبونك ، ويكفرون بك جهلاً وعنادًا .

٧٤ - أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكُتُبُونَ .

هل عندهم علم اللوح المحقوظ ، بما هو كائن وما يكون ، فهم يكتبون منه ما يشاءون ، ويسطُرون ما يحتجُّن به عليك .

وقبل: المعنى أينزل عليهم الوحى بهذا الذي يحكمون به ، من أنهم على الحق ، ومحمد على الباطل. والجواب: ليس عندهم شره من ذلك .

٨٤ - فَآصْبِرْ لِحُكْم رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ .

اصبر يا محمد لحكم ريك في إمهال النصر ، وفي شدة البلاء عليك وعلى أصحابك ، لحكمة إلهية عليا ، هي تدريب المؤمنين على الصبر والمصابرة ، وتحمّل تبعات الجهاد ، وضَرَب الحق سبحانه نموذجًا عمليًا بنبى الله يونس حين كُتبه قومه ، وقد أرسله الله إلى قرية نينوي بالموصل ، فأبطأوا في الاستجابة لدعوته ، فهجر القرية غضبان منهم ، وركب سفينة تنقله إلى جهة أخرى ، وفي منتصف البحر أوشكت السفينة على الفرق ، وأُجريت قرعة لإلقاء أحد الركاب في البحر ، فخرجت القرعة على نبى الله يونس ، فألقى فى البحر، وفى شدة الظلمات والغم والألم نادى ريه : أَن لاَّ إِلَلهَ إِلاَّ أَنتَ سُبْخَلَنك إِنِّى كُنتُ مِنَ الطَّلْمِينَ. (الأنبيه: ۸۷).

فاستجاب الله دعاءه ، واللهم الحوت أن يقذفه على الشاطئ ، وأنبت الله عليه شجرة القرع فأظلكه ، ويسُّر له طريق النجاة ، وطريق العودة إلى الرسالة والهداية ، وأرسله الله إلى قرية بها مائة ألف أو يزيد فأمنوا به .

رُوى أنه ﷺ أَرَاد أَن يدعو على ثقيف ، لمُّا آذوه حين عرض نفسه على القبائل بمكة ، فنزل قوله تعالى: وَلاَ تَكُن كَمُناجِبِ ٱلْحُوتِ إِذْ لَاتَحَا وَهُوَ مُكَظُّرِمٌ .

وصناحب الحوت هو يونس عليه السلام ، وقد الثقمه الحوت ، وننادى ربه وهو فى ظلمات البحر ، والغمّ والكرب والضيق ، فاستجاب الله له .

قال تعالى: فَآسْعَجَبْنَا لَهُ, وَلَبَعِيْنَاهُ مِنَ ٱلْغَمَّ وَكَذَا لِكَ نُسْجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ . (الأنبياء ١٨٨).

وقد أراد الله تعالى أن يجعل الزُّسل نموذجًا عمليًّا في الصبر والمصابرة ، ليكونوا قدوة للمؤمنين ولأُصحاب الدعوات .

قال تعالى : فَأَصْبِرْ كُمَا صَبَرَ أُولُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لُّهُمْ ... (الأحقاف: ٢٥).

وقال عن شانه : خَتْنَ إِذَا آسَتَيْتَسَ الرُّسُلُ وَطَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِيُواْ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا ... (يوسف: ١١٠).

٩ ٤ - لُّولَآ أَن تَدَارَكُهُۥ يِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِ لَنَبِذَ بَالْعَرْآءِ وَهُوَ مَنْمُومٌ .

لولا أن وفقه الله للتوبة والمناداة والمناجأة ، والاستجابة له ، لنبذه الحوت بالأرض الفضاء الخالية من الأشجار ، حال كونه واقدًا في المذمّّة والملامة لهرويه من قومه الذين أرسل إليهم ثم ضاق بهم وتركهم .

وقيل : المعنى : لولا أن تداركته نعمة الله وفضله لبقى في بطن الحوت إلى يوم القيامة ، ثم نُبذ بعراه القيامة مذمومًا ، يدل عليه قوله تعالى : فُلُولاً أَنَّهُم كَانَ مِنْ ٱلْمُسَبِّحِينُ « لَلْبِثَ فِي بَعْلِيهِ إِلَى يُوم يُسُّعِلُ أَنَ

(الصافات: ١٤٣ ، ١٤٤)

وقرئ : رحمة من ربه ، وقرأ عبد الله ولبن عباس : تداركته . بتاء التأنيث .

٥ - فَأَجْتَبُاهُ رَبُّهُ, فَجَعَلُهُ, مِنَ ٱلصَّالِحِينَ.

فاختاره الله الخضله ونعمته ، بأن ردّ عليه الرحى ، وأرسله إلى ماثة ألف أو يزيدون ، وجعله من الكاملين في الصلاح بأن عصمه من أن يفعل فعلاً تركه أولى .

١ ٥ - وَإِن يَكَادُ ٱللَّذِينَ كَفَرُواْ لَيْزِلْقُونَكَ بَأَبْصَلْرِهِمْ لَمَّا سَمِعُواْ ٱلذَّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ, لَمَجْتُونٌ .

من شدة عداوة الكافرين وتأثير الهنضاء والحقد في نفوسهم ، ينظرون إليك نظر الحقد والحسد أن منّ الله عليك بالنبوة والرسالة ، ويتهمونك بالجنون والهذيان .

جاء في تفسير أبي السعود ما يأتي :

و المحتى : إنهم من شدة عداوتهم لك ينظرون إليك شرّرًا ، بحيث يكادون يصبيرنك بالعين ، إذ قد رُوى أنه كان في بني أسد عيّانون ، فأراد بعضهم أن يؤدّى رسول الله ﷺ بنظر عينه إليه ، فنزلت .

وفي الحديث : «إن العين لتُدخل الرجل القبر والجمل القدر»(١٦١) . ولعله من خصائص بعض النفوس (١٦١)

وعن الحسن : دواء الإصابة بـالعين أن تقرأ هذه الآية : وَإِنْ يَكُادْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَيَزْلِقُونَكَ بِأَلهَمَـُوهِمْ لَمَّا سَهُواْ ٱلذَّكَرْ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجُونُ ۚ وَمَا هَرَ إِلَّا ذِكْرَ لَلْمَلْوَينَ .

من كتاب

(روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني)

للعلامة الألوسي البغدادي

أى : يكادون يصيبونك بالعين ، إذ رُوى أنه كان فى بنى أسد عيّانون ، فأراد بعضهم أن يعين رسول الله ﷺ ؛ فنزلت .

وقال الكلبى: كان رجل من العرب يمكث يومين أو ثلاثة لا يأكل ، ثم يوفع جانب خبائه فيقول: لم أر كاليوم إبلاً ولا غنمًا أحسن من هذه ، فتسقط طائفة منها وتهّلك ، فاقترح الكفّار عليه أن يصيب رسول الله ﷺ ، فأجابهم وأنشد:

وإخمال أنك سميم محميمون

قد كان قومك يحسبونك سيدا

فعصم الله تعالى نبيه ﷺ ، وأنزل عليه هذه الآية ، وقد قيل : إن قراءتها تدفع ضرر العين ٢١٨١.

وعلّق الألوسى قائلاً: وإننا لا أزيد على القول بأنّه من تأثيرات النفوس ، ولا أكيّف ذلك ، فالنفض الإنسانية من أعجب مخلوقات الله عز وجل ، وكم طوى فيها أسرارًا وعجائب تتحير فيها العقول ، ولا ينكرها إلا مجنرن أو جهول ، ولا يسعنى أن أنكر العين لكثرة الأحاديث الواردة فيها ، ومشاهدة أثارها على اختلاف الأعضام (**).

أما صاحب الظلال فيقول:

رَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَيَزْنِقُونَكَ بِأَبْمَــٰرِهِمْ ...

فهذه النظرات تكاد تؤثر في أقدام الرسول ﷺ ، فتجعلها تزلّ وتزلق ، وتفقد توازنها على الأرض وثباتها ، وهو تعبير فائق عما تحمله هذه النظرات من غيظ وحنق ، وشر وحسد ، ونقمة وضغن ، وحمّي وسمّ ، مصحوبة هذه النظرات المسمومة المحمومة بالسب القبيح ، والشتم اللبذيء ، والافتراء الذميم .

وَيَقُولُونَ إِنَّهُ, لَمَجْنُونً .

وهو مشهد تلتقطه الريشة المبدعة، وتسجِلُه من مشاهد الدعوة العامة في مكة ، فهو لا يكون إلا في حلقة عامة ، بين كبار المعاندين المجرمين ، الذين ينبعث من قلوبهم وفي نظراتهم كل هذا الحقد الذمهم المحموم .

٥٢ - وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لَّلْعَالَمِينَ .

ما القرآن إلا تذكير للعالمين ، وبيان لجميع ما يحتاجون إليه من أمور دينهم ، فكيف يُحكم على من أنزل عليه القرآن بالجنون ، والقرآن مشتمل على النروة العليا من الفصاحة والبيان والتشريع والآداب وأخبار السابقين ، وحكم ما بين اللاحقين ، وأخبار القيامة والبعث ، وكلما تكرر حلا ، ولا تنقضى عجائبه ، وهو معجز بما فيه من علوم وننون وأخبار وأحكام يصدقها العلم ، ولا تتصادم مع العقل ، فهو حقًا تذكير للعالمين ، وسبيل من سبل الهداية لأهل المشارق والمقارب .

وقيل : معنى الذكر: الشرف والغضل ، لقوله تعالى : وَإِنَّهُ لَيْرَكُّرُ لُكُ وَلِقَوْمِكَ وَسُوْفَ تُسْتَقُونَ . (الزهرف - 13). وإذا تأملنا السياق أسركنا أن المواد هو: الوحى والرسالة ودعوة الإسلام تذكير للحالمين . كما قال سبحانه وتعالى: وَمَا أَرْسَلْنَكُ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَلْمِينَ . (الأنبياء: ١٠٧) .

وقد ادعى المستشرقون أن القرآن في مكة كان محليًّا للعرب ، ظلما انتقل المسلمون إلى المدينة وأصبحت لهم دولة ، بدأ النبي ﷺ يكاتب الملوك ويدعوهم للإسلام ، واتجه القرآن إلى العالمية ، وإذا علمنا أن سورة القلم من أوائل ما نزل بمكة أدركنا أن عالمية الدعوة كانت وهي في بدايات أمرها ، فهي دعوة الله إلى الناس كافة .

قال تعالى : وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَأَفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَلَلِيرًا وَلَلْكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لِا يَعْلَمُونَ . (سبا : ٢٨) .



خلاصة ما اشتملت عليه سورة القلم

- ١ محاسن الأخلاق النبوية إلى قوله تعالى : وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلِّقِ عَظِيمٍ .
- ٢ -- سوء أخلاق بعض الكفار وجزاؤهم من قوله تعالى: فَسَيُّهمْ وَيُبْعِمُ وَنَ . إلى قوله تعالى: سنسمهُ على أَنْحُرْ هُوم .
- ٣ ضرب المثل لهم بأصحاب الجنة من قوله تعالى : إِنَّا بِالْوَلْـهُمْ كُمَّا بِلُونَا أَصْحَبْ ٱلْجَنَّة ... إلى قول تعالى : كُنّا لِكُ ٱلْمُلْهِ أَنْ الْمُلْمُونَ .
 تعالى : كُنّا لِكُ ٱلْمُلْآ الْمُلْبُ وَ لَكُذَابُ ٱلْآخِرَةِ أَكُبُ أَيْمُلُمُونَ .
 - ٤ -- تقريع المجرمين وتوبيخهم وإقامة الحجج عليهم.
 - ٥ -- تهديد المشركين المكذبين بالقرآن في قوله تعالى : فَلْزُنِي وَمَن يُكَذَّبُ بِهَـٰذِهَ ٱلْعديثِ ...
 - ٦ أمره ﷺ بالمبر على أذى المشركين حتى لا يكون كصاحب الحوت .

+ + +



أهبداف سيورة الحاقسة

(سورة الحاقة مكية ، وآياتها ٢٥ آية ، نزلت بعد سورة الملك)

وهي نموذج للسورة المكية التي تستولي على القلوب بأهوالها ومشاهدها وأفكارها المتتابعة , وفواصلها القصيرة .

فى بداية السورة نلحظ هذه الرهبة من اسمها ، الحاقة ، لأن وقوعها حق يقينى ، ثم تصف مصارع المكنبين ، من ثمود إلى عاد إلى فرعون ، ثم تنتقل إلى مشاهد القيامة وأهوالها وصورها ، وتنوع الناس إلى فريقين : فريق يأخذ كتابه باليمين ، وفريق يأجذ كتابه بالشمال ، ويلقى كل فريق ما يستحق .

وفي العقطع الأحير من السورة تؤكد الأيات صدق رسول الله ﷺ ، وتنفى عنه تُهم المشركين ، وتثبت أن القرآن حق يقين ، من عند رب العالمين .

مع آيات السورة

١ - ٣ - الْحَالَةُ . مَا الْحَالَةُ ، وَمَا أَدْرَ سُكَ مَا الْحَالَةُ .

القيامة ومشاهدها وأحداثها تشغل معظم هذه السورة ، ومن ثم تبدأ السورة باسم من أسماه القيامة: أَلْحَالَّهُ ، أى : الساعة الواجبة الوقوع ، الثابتة المجىء ، وهي آتية لا ريب فيها ، من : حقّ يحقّ بالكسر ، أي وجب .

وهذا المطلع يوحى بقدرة القدير ، وضعف الإنسان ، فهو لن يترك سدى ، بل أمامه يوم كله حق وعدل. والألفاظ في السورة توحى بهذا المعنى وتؤكده :

آلَحَالَةُ، ثم يتبعها باستفهام حافل بالاستهوال والاستعظام ، مَا ٱلْحَالَةُ. ما هي ؟ أي شيء هي ؟ أي حقها أن يستفهم عنها لعظمها ، وهذا أسلوب من الكلام يفيد التفخيم والمبالخة في الغرض الذي يساق له .

وَمَا أَفْرَبُكُ مَا الْمَحَافِّةُ. أَى شَيء أعلمك ما هي ؟ فهي خارجة عن دائرة علم المخلوقات لعظم شأنها، ومدى هولها وشدتها ، ثم يسكت الأسلوب فلا يجيب على هذا السؤال ، لتذهب النفس في هوله وشدته كل مذهب . ومن أسماء القيامة الحاقة ، والقارعة لأنها تقرع القلوب بأهوالها .

- ٤ , ٥ تصف الآیات ما أصاب ثمود من العذاب ، وثمود كانت تسكن الحجر في شمال الحجاز ، بين الحجاز والشام ، وقد كذبوا نبيهم ، فأرسل الله عليهم صبحة أهلكتهم ، وسميت الصيحة هنا طاغية لأنها جارزت الحد في الشدة ، وسميت في سور أخرى بالصناعقة وبالرجفة وبالزائلة ، وهي صفات للصيحة تبين أثرها فيمن نزلت بهم .
- ٢ ٨ تصف الآيات قصة هلاك عاد ، وقد كذبوا رسولهم ، فأرسل الله عليهم ريحًا باردة عاتية ، استمرت سبع ليال وثمانية آيام ، حُسُومًا : متتابعة ، حتى هلك القوم أجمعون ، وقد كانوا يسكنون بالأحقاف ، في جنوب الجزيرة بين اليمن وحضرموت ، وكانوا أشداء بطًاشين جبًارين ، وكان الجزاء من جنس العمل .
- ١٠٠ تصف مجىء فرعون ومن تقدمه من الأمم التى كفرت بآيات الله، كقوم نوح وعاد وثمود، والقرئ
 التى انتفكت بأهلها ، أى انقلبت بهم ، وهن قرى قوم لوط ، فقد عصى هؤلاء رسل الله الذين أرسلوا
 إليهم ، فأخذهم الله أخذ عزيز مقتدر.
- ١١ ١٧ ترسم الآيتان مشهد الطرفان والسفينة الجارية ، تشير بهذا المشهد إلى مصرع قوم نوح حين
 كذبوا ، وتمتن على البشر بنجاة أصولهم التى انبثقوا منها ، والمشهور أن الناس كلهم من سلائل نوح ونريته .
- ١٧ ١٨ تصف الآيات أهوال القيامة رأحداثها ، فإسرافيل ينفخ فى الصور ، وتسرى الأرض والجبال ، وتدك كالكرة فيسترى عاليها بأسفلها ، عندنذ نزلت النازلة ، وجاءت القيامة . وقد انفرط عقد الكون المنظور ، واختلت روابطه وضوابطه التى تمسك به ، فترى السماء مشققه واهية مسترخية ، سافطة القوة بعدما كانت محكمة ، والسماء مسكن الملائكة ، فإذا انشقت تحلق الملائكة بجوانبها وأطرافها ، والعرب فوقهم يحمله ثمانية : أمانية أملاك ، أو ثمانية صفوف منهم ، أو ثمانية أمساف ، أو طبقات من مع ولا ما هم .

يُوْمِيْدُ ثُغُرِّضُرِكُ لاَ تُخْفَىٰ بِيكُمْ ضَالِيَّةً . (الماقة : ١٨) . قالكل مكشوف : مكشوف الجسد ، مكشوف النفس ، مكشوف الضمير ، مكشوف المصير .

ألا إنه لأمر عصيب ، وقوف الإنسان عريان الجسد ، عريان النفس ، عريان المشاعر ، عريان التاريخ ، عريان العمل ، ما ظهر منه وما استتر ، أمام تك الحشود الهائلة من خلق الله ، من الإنس والجن والملائكة ، وتحت جلال الله وعرشه المرفوع فوق الجميع .

- ١٩ ٢٤ تصف الآيات مشهد المؤمن الناجي ، وهو ينطلق في فرحة غامرة بين الجموع الحاشدة ، تملاً الفرحة جوانحه فيهتف : اقرأوا كتابي فأنا من الناجين ، لقد أيقنت بالجزاء والحساب : فيميش حياة ناعمة ، في جنة عالية ، ثمارها قريبة التناول ، ويقول لهم ربهم جل ثناؤه : كلوا وتمتعوا جزاء عملكم السابق وطاعتكم لربكم .
- ٥٧ ٢٩ تصف الآيات حسرة المشرك ، وبرئسه ويأسه ، فهو يتمنى أنه لم يأت للموقف ، ولم يؤت كتابه ، ولم يدر ما حسابه ، كما يتمنى أن لو كانت هذه القارعة هي القاضية ، التي تنهى وجوده أصلاً فلا يعود بعدها شيئاً .
- ثم يتحسر أن لا شىء نافعه مما كان يعتز به أو يجمعه ، فلا المال أغنى أو نفع ، ولا السلطان بقى أو دفع ، والرنة الحزينة الحسيرة المديدة فى طرف الفاصلة الساكنة ، وفى باء العلة بعد العر بالألف ، فى تحزن وتحسر تشعر بالحسرة والأسى والحزن العميق .
- ٣٠ ٣٧ ثم يقال لملائكة العذاب: هذوه إلى جهنم ، فيبتدره سبعون ألف ملك ، كلهم يبادر إلى جبل الغث في عنقه ، ويتقدم ليصطلى تار الجحيم ويشوى بها ، ويدخل في سلسلة طولها سبعون ذراعًا تلف على جميع جسمه ، وذراع واحدة من سلاسل الذار تكفيه ، ولكن الآية تكشف عن شدة العذاب وهوله , حفظنا الله من عذاب الذار .
- ٣٤ . ٣٣ تذكر الأيتان أسباب العذاب والسعير ، فقد خلا قلب هذا الكافر من الإيمان بالله ، كما خلا قلبه من الرحمة بالعباد ، ومن العطف على المساكين ، ومن الحث على إطمامهم والبر بهم .
- ٣٥ ٣٧ ولهذا لا يجد له صديقًا ولا حميمًا يؤنسه ، ولا يأكل إلا غسالة أهل جهنم من القيح والمعديد ، وهو طعام لا يأكله إلا المذنبون ، المتصفون بالخطيئة ، ظليتق الله كل غنى في ماله ، وليعلم أن للمساكين والأرامل والشيوخ والأطفال حقًا في هذا المال ، وسيترك المال لورثته ويسأل هو عن ركائه .
 - ٣٨ ٤٣ إن الوجود أضخم بكثير مما يرى البشر ، والكون معلوء بعقول فعالة غير عقولنا .

«إن الإنسان قد يكون جهازًا ، ولكن ما الذي يدير هذا الجهاز؟ لأنه بدون أن يدار لا فائدة منه ، والعلم لا يطل من يتولى إدارته ، وكذلك لا يزعم أنه مادى ، لقد بلغنا من التقدم درجة تكفى لأن نوقن بأن الله قد منح الإنسان قبسًا من نورهه [7] .

والآيات تقسم بما تشاهدون من المخلوقات ويما غاب عنكم . وقال عطاء : ما تبصرون من أثار القدرة ، وما لا تبصرون من أسرار القدرة . إن القرآن كلام الله ومنهج الله وشريعة الله ، وليس قول شاعر ولا قول كامن ، إنما مو قول رسول أرسل به من عند الله ، فحمله إلى عباد الله بأمانة وإخلاص في تبليغ الرسالة .

33 – ٢٦ – إن قدرة الله بالغة ، ولو كذب محمد علينا ، أن افترى بعضه ونسبه إلينا ، لعاجلناه بالعقوية ، وأربعتنا ربحه ، فكان كمن قطع وثينه . وهذا تصوير للهلاك بأفظع ما يفعله الملوك بمن يغضبون عليه ، إذ يأخذه السياف ببمينه ، ويكلمه بالسيف ويضرب عنقه .

٤٧ -- لا يمنعنا أحد من عقوبة محمد والتنكيل به إذا افترى علينا.

٤٨ - ٧٠ - إن القرآن يذكر القلوب التقية فتتذكر ، أن الحقيقة التي جاء بها كامنة فيها فهو يثيرها ويذكرها فتتذكر ، أما المطموسة قلوبهم فهم يكذبون بهذا القرآن ، والقرآن حجة على الكافرين في الدنيا، وحسرة عليهم إذا رأوا عذاب الأخرة .

وهذا القرآن عميق في الحق، عميق في اليقين، تنزيل من رب العالمين، فعلينا أن نعظم الله وأن ننزهه ونُحكُ، وينعترف له بالقدرة والعظمة: فَسَبِّح بْاسُم رَبُّك ٱلْفَقِيم، (الحالة: ٥٠).

المعنى الإجمالي للسورة

الخبر عن صعوبة القيامة ، وهلاك الأمم المكنبة لرسلها ، وذكر نفخة الصور ، وانشقاق السمارات ، وحال السعداء والأشقياء في وقت قراءة الكتب ، وذل الكفار مقهورين في أيدى الزبانية ، وإثبات أن القرآن العقران السعداء والأسقياء في قوله : فَسَمَّح بِأَسْمِرَبُكَ أَنْطِهم العظيم وحي من عند الله ، وليس بقول شاعر ولا كاهن ، والأمر بالتسبيح (٢٠ في قوله : فَسَمَّح بِأَسْمِرَبُكَ أَنْطِهم (المقلق ٢٥).

أهوال القيامة

﴿ اَلْمَا أَقَدُّ مَا الْمَا اَقَدُ مَنَ وَمَا اَدَرِكَ مَا الْمَاقَةُ الْكَافَةُ اللّهُ وَمُودُ وَعَادُ إِلْقَارِعَةِ اللّهِ الْمَاعِيَةِ اللّهِ الْمَاعِيَةِ اللّهِ اللّهُ اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهُ اللّ

المقردات ،

المحاقسة: القيامة ، من حقّ الشيء إذا ثبت ووجب ، أي : الساعة الثابتة المجيء ، الواجبة الوقوع .

التسارعة ، القيامة ، سميت بذلك لأنها تقرع القلوب بأهوالها .

التطاغية ، الواقعة التي جاورت الحدُّ في الشرة والقوة .

الصرمسر و الشديدة الصوت التي لها صرصرة .

حسسومسا، متتابعة ، واحدها حاسم ، والحسم القطع والاستثصال.

صسرعسى؛ هلكي لا حراك بهم ، واحدهم صريم ، أي ميت.

أعجاز الخل، أصول نخل قد تآكلت، وخلت أجوافها.

الباقية ، البقاء .

المؤتشكات، المنقلبات، وهي قرى قوم لوط، جعل الله عاليها ساظها بالزلزلة.

الخاطئة والخطأ

رابسيسة ، زائدة في الشدة ، من ربا الشيء إذا زاد .

طفى الماء ، تجاوز حدّه وارتفع .

حملتاكم؛ حملنا آباءكم وأنتم في أصلابهم.

السجساريسة ، السفينة التي تجرى في الماء .

تسعيها: تحفظها أذن من شأنها أن تحفظ ما سمعته .

تمهيده

تشتمل الآيات على بيان أن يوم القيامة حق لا شك فيه ، وتذكر طائفة من أخبار الأمم التي كذّبت رسلها ، فأصابها هلاك الاستئصال ، فتمود أهلكت بالصاعقة ، وعاد أهلكت بريح صرصر عاتية ، وأهلك فرعون وقومه بالغرق ، وأهلك قوم لوط بالزلزال الشديد الذي دمُر قُراهم ، وجعل عاليها سافلها ، وأهلك قوم نوح بالطوفان .

التفسير،

١، ٣، ٢ - المَعْلَقُهُ مِ مَا الْحَاقَةُ ، وَمَا أَدْرَ عَلَكُ مَا ٱلْحَاقَةُ .

افتتاح يهول النفس والقلب ، افتتاح معجز رهيب ، يتحدث عن القيامة ، فهي حاتَّة بمعنى أن عذابها حق للكافرين ، ونعيمها حق للمؤمنين ، وحسابها حقُّ ليتميز الخبيث من الطيب .

مًا ٱلْحَالَّةُ . استفهام للتعظيم والاستهوال ، أي من حقها أن يُستفهم عنها لعظم أهوالها .

وَمَّا أَدُرُ سُكُ مَا ٱلْمَالَقُةُ .

أي شيء أعلمك بها أيها الرسول؟ فهي خارجة عن دائرة علم المخلوقين لعظم شأنها وشدة هولها.

إنها سورة تستولى على النفس بجرسها وفواصلها ، وتتابع معانيها ، فى قصم الجبُّارين ، ووصف القيامة ، وما فيها من عذاب للمجرمين ونعيم للمؤمنين .

وقد ذهب عمر إلى النبي ﷺ فوجده في الصلاة قد بدأ سورة الحاقة ، فاستولت السورة على نفسه ، وأخذ بجلال القرآن وعظمته وبلاغته وبيانه وتتابم معانيه ، وأعلن إسلامه .

عَادًا بَالْقَارِعَةِ .
 خَدُبُتُ ثُمُودُ وَعَادًا بِٱلْقَارِعَةِ .

تحدُّث صدر السورة عن القيامة وهي الحاقَّة ، ثم انتقل إلى الحديث عمَّن كذب بها ، وهم :

ثمرد قوم منالح ، وكانوا يسكنون بالنجر في شمال المجاز ، بين الحجاز والشام ، وقد سلّط الله عليهم الصبحة الطاغية ، تطويهم طيًا ، وتغمرهم غمرًا ، وتعصف يهم عصفًا ، وتطفى عليهم فلا تبقى لهم ظلاً .

وأما عاد فكانوا يسكنون في جنوب الجزيرة بين اليمن وسلطنة عمان ، وكانوا أشداء بطَّاشين جبّارين ، وقد كنَّبوا بالقارعة التي تقرع القلوب بأهوالها .

أى كذبت ثمود وكذبت عاد بالقارعة التي تقرع الناس بأهوالها ، وتقرع السماء فتنشق على غلظها . وتقرع الأرض والجبال بالدك والنَّسْف ، وتقرع النجوم بالطمس والسقوما.

• فَأَمَّا ثُمُودُ فَأَهْلِكُواْ بِٱلطَّاغِيَةِ.

أهلك الله ثمود بالصيحة التى تجارزت الحد في الشدة والقوة ، وصاحبها الرجفة والزلزال المدمر، وقد سمحت ثمود لقدار بن سالف أن يطعن الناقة طاغيًا معتديًا ، وقد أهلكهم الله جميعًا لأنهم رضوا بغمله.

قال تعالى: كَلَّبُتْ تُمُودُ بِطَغُوسُهَا و إِذْ ٱلنَّبَتُ أَشْقَتْهَا ه فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ باقة ٱللَّه وسُقَيْها و المُكلَّمُوهُ فَقَوُرُهَا فَلَتُمْمَ عَلَيْهِمْ رُبُّهُم بِلَنْبِهِمْ فَسَوَّنْهَا » وَلا يَحَافُ عُقَيْنَها . (الشمس ١٠ . ١٥) .

٣ – وَأَمَّا عَادٌ فَأَلْمَلِكُواْ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ.

كانت عاد قوية البنيان ، شديدة المراس : فَأَسْتَكُمُرُوا فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقُّ وَقَالُواْ مَن اشدُ مَا فَوَّةً ...

(مصلت ۱۵۰)

فأرسل الله عليهم ريحًا مزمجرة ، ذات صوت مخيف ، وبرد قارس ، وقوة قاهرة ، نقتل المعتدين ، فهي غَارِّةٍ . قاهرة للمعتدين ، نقَّيت عن قلويهم وأهلكتهم .

٧ - سُخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبَّعُ لَيَالِ وَلَصَائِيَةً أَيَّامٍ خُسُومًا فَتَرَى ٱلْقَرْمُ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أغجازُ نخل حاوية .

استمرت الربح العاتية المزمجرة العاصفة المدمرة ، سبع ليال وثمانية أيام مثتابعات ، دون فترر أو انقطاع . قال ﷺ: «تُصرت بالصياء وأهلكت عاد بالدبور» (١٠٠ (رواه الشيخان).

لقد قطعت رقابهم ، وتركتهم هلكي لا فائدة فيهم .

حُسُومًا . قاطعة كعد الحسام ، أو متتابعات ، أو نحسات ، كقوله تعالى : في آيَّام نُحِسَاتٍ ... (فصلت : ١٦).

قال ابن كثير: جعلت الربح تضرب بأحدهم الأرض ، فيخرّ مينًا على أمّ رأسه ، فينشرخ رأسه وتبقى جثته هامدة ، كأنها قائمة النخلة إذا حُرّت بالا أغصان ، إنه لمنظر رهيب ، وصورة معبرة عن الدسار الشامل والهلاك الكامل .

لْتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَحْلِ خَاوِيَةٍ .

ترى قبيلة عاد هلكى، مصروعين متناثرين ، كَأَلَهُمْ أَعْجَازُ نُطْلٍ. بأصولها وجنوعها . خَاوِيَّةٍ . فارغة تأكلت أجرافها فارتمت ساقطة على الأرض هامدة .

٨ – فَهَلُ ثَرَىٰ لَهُم مِّنْ يَالِيَةٍ .

أي: بادوا جميعًا ، وأهلكوا عن آخرهم ، ولم يجعل الله لهم خلفًا .

قال تعالى : فَأَصْبَحُواْ لَا يُرَى إِلَّا مَسَاكِتُهُمْ ... (الأحقاف: ٢٥) .

٩ -- وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُ, وَٱلْمُؤْتِفِكَـٰكُ بِٱلْخَاطِئَةِ .

وجاء فرعون موسى ، ومن قبله من الأمم التى كفرت بآيات الله ، كقوم نوح وعاد وثمود ، والقرى التى انقلبت بأملها ، وصار عالهها سافلها ، بسبب الفعلة الخاطئة التى ارتكبتها هذه القرى ، وهى قرى قوم لوط التى اقتلعها جبريل ، ورفعها على جناحه قرب السماء ثم قلبها ، وكانت خمس قرى .

بِّأَلْخَاطِئَةِ . بِالفعلة الخاطئة المنكرة ، وهي الكفر والعصيان .

١ -- فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَلَهُمْ أَخْلَهُ رَّابِيَةً . `

أى : عصت كل أمة رسولها ، فعصى قوم نوح نوحًا ، وعصى قوم لوط رسولهم لوطًا ، فأخذهم الله تعالى أخذة شديدة زادت فى الشّدّة على هلاك من سبقهم من الأمم ، لأنّ جِرائمهم زادت فى القبح والشناعة على سائر الكفار .

١١ - إِنَّا لَمَّا طَعَا ٱلْمَاءُ حَمَلُنَاكُمْ فِي ٱلْجَارِيَةِ .

يمتن الله على عباده جميعًا بإغراق المكذّبين، ونجاة نوح ومن معه من المؤمنين، حيث كان الناس جميعًا من نسل نوح عليه السلام، فمنهم من استمرّعلى إيمانه، ومنهم من آثر الكفر والضائل، والأصل أن كلّ شيء عند الله بمقدار، فما نزلت قطرة ماء من السماء إلا بأمر ملك من الملائكة، وحين دعا نوح ربّه؛ ـَعَا رَبُهُ إِلَيْ مُقَالُوبٌ فَاتَصِرْ ، (لقدر: ١٠).

استجاب الله سبحانه له ، كما قال تعالى : فَقَتَحْتَا أَيُوْابَ ٱلسَّمَاءِ بِمَاءٍ شُهُهِي وَفَجُوْلَا ٱلْأَرْضُ عُيُولًا لَٱلْقَمَّ الْمَاءُ عَلَيْ ٱلْمُرِقَدُ قُدِيرَ وَحَمَلُتُكُ عَلَىٰ دَاتِ أَلْوَاجِ وَدُسُو هِ تَعْوِى بِأَعْثِيتَا جَزَاءٌ لِّمَن كَانْ كَابُر و ولقد لَّو كُنْسُهَا ءايَّهُ فَهُلُ بِن مُلْكِر . (القدن ١١ - ١٥) .

والآية هنا في سورة الحاقة تعرض صورة الماء طاغيًا زائدًا مرتفعًا ، متجاوزًا للحدود المألوفة ، طاغيًا ومرتفعًا فوق الجبال ، يُعْرق كل شيء بإذن الله ، ثم سخّر الله السفينة الجارية ، تحمل نوحًا ومن معه من المؤمنين ، متجاوبة مع الكون كلّه في الخضوع لأمر الله ومشيئته .

قال تعالى : وَقَالُ ٱزْتَكُواْ فِيهَا بِسُمِ ٱللَّهِ مَجْرَسْهَا وَمُرْسَنْهَا إِنَّ رَبِّى لَفَلُورٌ رُجِيمٌ ه وهي لَخوى بهم لجي مَوْج كَالْجَالِ .. (هـد. ٤١ ـ ٤٤).

١٢ - لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةُ وَتَعِيَهَا أَذُنَّ وَاعِيَّةً .

جعلنا الطوفان الذى أصاب المنطقة كلها بالغرق، وأغرق جميع الكافرين المكذبين، وجعلنا السفينة التى تجرى على سطح الماء وتسير فوق أمواج كالجبال، تحركها مشيئة الله، وتوقفها إرادته فى تكريم المؤمنين، جعلنا ذلك تذكرة لكل مؤمن، بل لكل من يتأتّى منه التذكر والنظر، ولتحرص على عبرتها وتعيها أذن تعى الكلام، وتحفظه وتستفيد منه.

قال تعالى : إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْقُوَّادَ كُلُّ أُوْلَلَيْكَ كَانَ عَنْهُ مَسْتُولاً . (الإسراء : ٣٦) .

من تفسير ابن كثير

روى ابن أبى حاتم ، عن على بن أبى طالب قال : لم تنزل قطرة من ماء إلّا بكيل على يدى ملك ، فلما كان يوم نوح أنن للماء دون الخرّان ، فطفى الماء على الخرّان ، فخرج ، فذلك قوله تعالى : إنّا لُمّا طَغَا آلْمَاءُ ... أى : زاد على الحدّ بإنن الله . حَمَلْتُنكُمْ فِي آلْجَارِيَةِ . ولم ينزل شيء من الريح إلا بكيل على يدى ملك ، إلا يوم عاد فإنه أذن لها دون الخزّان ، فخرجت ، فذلك قوله تعالى : بريح صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ .

ولهذا قال تعالى ممتنا على الناس : حَمَلْنَكُمْ فِي ٱلْجَارِيَةِ . وهي السفينة الجارية على وجه الماء .

لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً ...

أى: وأبقينا لكم من جنسها ما تركبون على تيار الماء في البحار الله

كما قال : وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْفُلْكِ وَٱلْأَنْعَلَمِ مَا تَرْكُبُونَ . (الرَخرف : ١٢).

وقال تعالى : وَعَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْخُونِ ، وَخَلَقْنَا لَهُم مَّن مُثْلِهِ مَا يَرْكُبُونَ .

(یس: ٤١،٤١).

* * *

بعض أهوال القيامة

﴿ فَإِذَانُفِحَ فِي ٱلصُّودِ نَفَخَةٌ وَلَيدَةٌ ۞ وَجُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَلِغِبَالُ فَدُكَنَا دَكَّةَ وَجِدَةٌ ۞ وَفَعَتِ ٱلْوَاقِمَةُ ۞ وَأَنشَقَتِ السَّمَاةُ فَغِيَ يَوْمَ لِزَوَاهِينَّةٌ ۞ وَٱلْمَلَكُ عَلَىٓ أَرْجَآبِهِا ۚ وَيَجِّلُ عَرَّشَ رَئِكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَ لِزُمُنَائِنَةٌ ۞ يَوْمَ لِرِثْعَرِضُونَ لَا تَغَفَى مِنكُرْخَافِيةٌ ۞ ﴾

المفردات:

تنضخة واحدة ؛ النفخة الأولى لخراب العالم .

حسلت الأرض ، رُفعت من أماكنها بأمرنا .

هـد المساد فدقتا وكسرتا ، أو فسويتا .

وانشقت السماء ؛ تفطرت وتصدّعت من الهول .

عملى أرجائها ، جوانبها وأطرافها .

يومنذ تعرضون ، بعد النفخة الثانية للحساب والجزاء .

تمهيك

شرع القرآن الكريم في بيان تفاصيل أحوال القيامة وأهوالها ، وابتدأ بمقدماتها .

التفسيره

١٣ - فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَ'حِلَةٌ .

فإذا نفخ إسرافيل في الصور – وهو القرن أو النفير – نفضة واحدة ، هي النفضة الأولى التي يصبعق عندها من في السماوات ومن في الأرض ، وتموت الخلائق كلّها إلا من شاء الله .

قال تعالى : وَلَفَحَ فِي آلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي آلسَّمَاوَاتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شاءَ آللَهُ فُمَ أَفْحِ فِيه أَعْرِى الْمِؤَا هُمُ إِنَّامٌ يَنظُورُونَ . (الزمر : ١٨) .

١٤ - وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْحِبَالُ فَلَاكُمَا ذَكُهُ وَاحِدَةً .

رفعت الأرض والجبال من أماكنها ، وضرب بعضها ببعض ، حتى تندق وتتفتت ، وتصير كتيبا مهيلا .

وقيل: المراد: فبسطتا بسطة واحدة ، وسويتا فصارتا أرضا لا ترى فيها عوجا ولا أمتا . أي لا تبصر انخفاضا ولا ارتفاعًا .

١٥ – فَيَوْمَعِلْهِ وَقَعْتِ ٱلْوَاقِعَةُ .

ففى ذلك الحين قامت القيامة الكبرى ، وحدثت الداهية العظمى .

١٦ – وَٱلشَّقْتِ ٱلسَّمَاءُ لَهِيَ يُوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ .

تشققت السماء على غلظها ، وتعلقت الملائكة بأرجائها ، وتفطّرت السماء، فهي في ذلك اليوم مسترهية ساقطة اللقوة ، ليس فيها تماسك ولا صلاية .

أى: لقد كانت السماء مستوية ، لا فطور فيها ولا تشقق ، تبحث العين فيها عن عيب أو خلل فلا تجد ، أما الآن فالسماء واهية ضعيفة ممزقة .

١٧ - وَٱلْمُلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَاتِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَعِلِ ثَمَنيَةً .

عند انشقاق السماء يوم القيامة تتعلق الملائكة بأطرافها من هول الموقف ، ومن خوف الجبار ، وهناك ثمانية من الملائكة ، أر ثمانية أمسناف أو صفوف ، يحملون عرش الله تعالى . روى الطبرى، عن ابن عباس هي تفسير قوله تعالى: وَيُحُولُ عُرْشَ رَبَّكُ فُوقَهُمْ يُوْمَئِذٍ لَمُسْيَعٌ. قال: شمانية صفوف من الملائكة لا يعلم عِنتهم إلا الله ، وهي صفوف من وراء الصفوف.

قَالَ ابْن كثير : يحتمل أن يكون المراد بهذا العرش : العرش العظيم ، أن العرش الذي يرضع في الأرض يرم القيامة لفصل القضاء ، والله أعلم . 1 هـ .

وجاء في تفسير القاسمي :

ومثله مثل الفيوب التي يؤمن بها ، ولا يجب اكتناهها ، ونهب بعضهم إلى أن المراد بالعرش : ملكه تعالى للسماوات والأرض ، و.. فَمَنْيَةُ . السماوات السبع والأرض ، وعبارة وَيُحُولُ ، بالجذب . مُرْشُ رُبُّكَ . أي : فوق الملائكة الذين هم على أرجائها يوم القيامة . أي : فوق الملائكة الذين هم على أرجائها يوم القيامة . أن كشيئةً . أي السماوات السبم والأرض (٢٠٠)

١٨ -- يُوْمَئِدِ تُعْرَطُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةً .

أمًا المؤمنين فقظهر للناس أعمالهم ، وصدقة السُّر ، وكل ما عملوه ابتغاء وجه الله ، فيزداد سرورهم . وأما الكافرون والمنافقون ، فيظهر للناس سوء أعمالهم ، فيزدادون حسرة .

والعرض هذا عبارة عن المساءلة والمحاسبة.

رُوى عن عمر بن الخطاب أنه قال: حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسُبوا ، ورنوا أنفسكم قبل أن توزنوا ، فإنه أخف عليكم في الحساب غدًا أن تحاسبوا أنفسكم اليوم ، وتزيّنوا للعرض الأكبر: يُؤمِّئِكٍ تُعْرَضُونَ لاَ تَخْلَيْ مِنْكُمْ خَالِيَّةً .

وروى الإمام أحمد، والترمذى، وابن جرير أن رسول الله ﷺ قال: « يُعرض الناس يوم القيامة فلات غرُضات ، فأما عرضتان فجدال ومعاذير ، وأمّا الثالثة فعند ذلك تطير الصحف فى الأيدى، فأخذ بيمينه ، وآخذ بشماله » . "".

قال المفسرون: وكل من الحمل والعرض لا يعنى التجسيم والتشبيه بالمخلوقات، وإنما للتصوير والرمز والتقريب إلى الأذهان.

وقال صاحب الظلال ما يأتي:

وَ ٱلْمَلَكُ عَلَىٰ أَرْجَائِهَا وَيُحْمِلُ عُرْهِنَ رَبُّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَعُكِ فَمَكِيَّةً .

والملائكة على أرجاء هذه السماء المنشقة وأطرافها ، والعرش فوقهم يحمله ثمانية تمانية أملاك. أو ثمانية معلوك. أو ثمانية معلوك منهم ، أو ثمانية معلوك منهم ، أو ثمانية معلوك منهم الله ، لا ندرى نحن من هم ولا عامم ، كما لا ندرى نحن ما العرش ، ولا كيف يحمل . ونخلص من كل هذه الغيبيات التى لا علم لنا بها ، ولم يكلفنا الله من علمها إلا ما قص علينا ، نخلص من مفردات هذه الغيبيات إلى الظل الجليل الذي تخلهه على الموقف ، وهو المعطوب منا أن تستشعره ضمائرنا ، وهو المقصود من ذكر هذه الأحداث ، ليشمر القلب البشرى بالجلال والرهبة والخشوم في ذلك اليوم العظيم ، وفي ذلك الموقف الجئيل

يَوْمَلِدٍ تُغْرَطُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ .

«فالكلّ مكشوف: مكشوف الجسد ، مكشوف النفس ، مكشوف الضمير ، مكشوف العمل ، «كشوف المصير ، وتسقط جميع الأستار التي كانت تحجب الأسرار ، وتتعرى النفوس ، وتتعرى الأجساد ، وتبرز الغيرب يروز الشهود ...» ۳۰ .

وألا إنه لأمر عصيب، أعصب من دان الأرض والجبال، وأشدَ من تشقق السماء! وقوف الإنسان عربان الجسد، عربان النفس، عربان المشاعر، عربان التاريخ، عربان العمل ما ظهر منه وما استتر، أمام تلك الحشود الهائلة من خلق الله، من الإنس والجن والملائكة، وتحت جلال الله وعرشه المرفوع فوق الجمهري ٣٩٠،

* * *

سعادة من يأخذ كتابه بيمينه

﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوفِ كِلْنَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُهَ هَا أَوْمُ الْكِنْبِيّةِ ۞ إِنْ ظَنَتُ أَلِّ مُكَانِ حِسَايِة ۞ فَهُوَ فِيصَةِ زَاضِيَةِ۞ فِ جَنْكَةٍ عَالِيكةٍ ۞ قُطُوفُهَا دَائِيةٌ ۞ كُلُواْ وَاشْرَبُواْ هَنِيتًا بِمَا أَسَافَتُمْ فَعُرِفِ ٱلْأَيْدِ لَلَالِيَةِ ۞﴾

المفردات

هـــاؤم: خذوا.

ظ<u>ن</u> مامت علمت .

مسسلاق ، معاين .

راضمها ورضي بها مناحبها .

عسائيسة ، مرتفعة المكان .

قسط وقسها ، جمع قطّف ، وهو ما يجتني من الثمر .

دائسيسة ، قريبة التناول .

المستسيساء بلا تنفيص ولا كدر.

بساأسلشتم؛ بما قدمتم من الأعمال الصالحة في الدنيا.

المخطاسيسة والماضية

تمهيده

بعد أن ذكر أن الناس جميعا يُعرضون على الله تعالى للحساب ، ولا يخفى عليه شيء من أعمالهم ، فصُل أحكام هذا العرض .

فذكر أنَّ من أرتى كتابه بيمينه يشتد فرحه ، فيقول لكل من يقابله : هذا كتابى خدوه فاقرأوه ، لقد كنت متيقنا من لقاء ربّى ، ومن الحساب والجزاء ، فينال نصيبه من السعادة فى عيشة هنيئة ، وجنة عالمية المكان والمكانة ، ثمارها قريبة التناول ، ويقال لهؤلاء المؤمنين : كلوا هنينا ، واشربوا مريئا ، بما قدمتم من الأعمال الصالحة فى الدنيا .

التفسيره

١٩ – فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَلْبَهُ, بِيَمِيدِهِ فَيَقُولُ هَاوُمُ آفَرَءُواْ كِتَلْبِيَةً .

يأخذ السعداء يوم القيامة كتبهم بأيمانهم ، فيثقون بالنجاة والفوز ، ويقولون الإخوانهم : تلك كُتُبُ النجاة والسعادة ، هذه كتبنا ، اقرأوها للسعدوا بها كما سعدنا .

• ٢ -- إِنَّى ظَلَنْتُ أَنَّى مُلَكِنْ حِسَابِيَهُ .

لقد كنت متيقنا بيوم الحساب والجزاء ، مراقبا لربِّي في حياتي ، مخلصا له في العمل .

٢١ - فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ .

هذا المؤمن يأخذ كتابه بيمينه ، ويدخل الجنة راضيا مرضيا ، فهو فى عيشة هنينة سعيدة ، راض صاحبها بالجنة والنعيم والحبور، أو هر فى عيشة مرضية ، يرضى بها صاحبها ولا يبغضها ، فهى فاعل بمعنى مفعول ، على حدّ قولهم : ماء دافق بمعنى مدفوق ، أى أن المعيشة لو كان لها عقل لرضيت لنفسها بحالتها ، ولفرحت بها فرحًا عظيما .

وفي الصحيح عن رسول الله ﷺ : «إنهم يعيشون فلا يموتون أبدا ، ويصحُون فلا يمرضون أبدا ، ويتممون فلا يرون بوُسًا أبدا ، ويشبُون فلا يهْرَمُون أبداء (٢٠٠)

٢٢ -- فِي جَنَّةٍ عَالِيَّةٍ .

فى جنة رفيعة المنزلة ، عالية المكان والمكانة ، وقد ثبت فى الصحيح «إن الجنة مائة درجة ، ما بين كلّ درجتين كما بين السماء والأرضى ٣٠٠٪.

قال ابن كثير:

في جُنَّةٍ عَالِيَّةٍ . أي : رفيعة قصورها ، حسان حورها ، نعيمة دورها ، دائم حبورها . اهـ

والجنة نعيم متصل ، بها أنهار من لبن ، وأنهار من عسل ، وأنهار من ماء غير اسن ، وأنهار من خمر للَّهُ للشاربين ، ولهم فيها من كل الثمرات ومغفرة من ربهم . وُلِيّهَا مَا تُشْعِيه ٱلْأَنْضُ وِتِلْدُ ٱلْأَعْمُ

(الزخرف ٧١)

الجنة فيها ما لاعين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر.

٢٣ - قُطُوفُهَا دَائِيَةً .

ثمارها قريبة التناول ، ينالها القائم والقاعد ، والمضطجع والمتكئ .

٢٤ - كُلُواْ وَٱشْرَبُوا هَنِيْتُ بِمَا أَسْلَفُتُمْ فِي ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَّةِ .

أى: يقال لهم على سبيل التكريم والتقدير: كلوا أكلاً هنيئا شهيًا مغيدًا، واشربوا شربا مرينا ، بصحة وعافية ، ونعيم دائم . يسبب ما قدمتم في الآيام الماضية من أيام الدنيا ، من عمل صالح ، وسلوك محمود، والتزام بالطاعات ، ولجتناب للمعاصى ، وطاعة لله وتقرب إليه ، وبعد عن كل ما يُغضبه ، فأنتم في الجنة تستمتعون بنعيمها ، وفي قريمي ورضوان وتكريم من الله رب المالمين .

شقاء أهل الشمال

﴿ وَآمَا مَنْ أُوقَى كَنَكُمُ فِيشِمَالِمِ فَقُولُ يَلْتَنِي لَرَّأُونَ كِنْبِيمَ ۞ وَلَرَّأَدْرِ مَاحِسَابِيمَ ۞ يَلْتِمَا كَانَتِ اللَّهِ مَا لَهُ مَنْ اللَّهِ مَنْ اللَّهِ مَنْ اللَّهِ مَنْ اللَّهِ مَنْ اللَّهِ مَنْ اللَّهِ مَنْ اللَّهُ اللَّهُ مَنْ اللَّهُ اللَّهُ مَنْ اللَّهُ اللَّهُ مَنْ اللَّهُ اللْمُنْ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللْمُوالِمُ اللْمُوالِمُ اللَّهُ اللْمُنْ اللَّهُ اللْمُنْ اللَّهُ اللْمُ اللِهُ اللَّهُ اللْمُوا

المقرداتء

يسا ليستسهدا ، يا ليت الموتة التي مِثَها في الدنيا .

كالت القاضية ؛ القاطعة لأمرى وحياتي ، فلم أبعث بعدها .

مسالسيسه ، ما لي من المال .

سلطانيه : حجتى التي كنت أحتج بها في الدنيا ، أو ملكي وسلطاني .

المسط المعلوا الغلُّ في يديه وعنقه .

الجحيم متأوه ؛ أدخلوه ، أو أحرَّقُوه فيها .

فاسلكوه، فأدخلوه فيها.

لايستحش: لا يحث ولا يحرُّض.

حسمسيسم؛ قريب مشفق يحميه ، أو صديق ينتفع به .

غسساسيسن : صديد أهل النار ، وما يسيل منهم من قيح ودم .

الخاطئون؛ الآثمون أصحاب الخطايا ، من خطئ الرجل: إذا تعمَّد الذنب ، لا من الخطأ المضاد للصواب.

تمهید :

تصف الآيات حال الأشقياء الذين يأخذون كتابهم بشمالهم ، فيرون العذاب رأى العين ، فيتمنّى ذلك الكافر أن لو كانت حياته قد انتهت إلى غير صحوة ولا حساب . حيث يجد نفسه تلقاء النار، وجها لوجه ، ولا مال بيده ، ولا سلطان ينفعه ، ثم يسمع قول الجبار سبحانه وتعالى : خُذوه فضعوه فى الأغلال والسلاسل ، وألقوه فى جهنم يصطلى بحرُها وسلاسلها ، لأن قلبه كان قلباً نكدا ، خاليا من الإيمان بالله ، خاليا من الرحمة والشفقة بالمساكين والمحتاجين ، نليس له اليوم هاهنا صديق ينفعه ، أن قريب يعاونه ، وليس له طعام يأكله إلا عصارة أهل النار من القيج والصديد الذى لا يأكله إلا أصحاب الخطايا والكفر ، أعاذنا الله من النار ومن عذابها ، أمين .

التفسيره

٢٥ - وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَلِبَهُ, بشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَلْكَتِنِي لَمْ أُوتَ كِتَلْبَةً.

يلقى السعداء الجنة والتكريم، ويلقى الأشقياء العذاب والإهانة.

والمعنى:

وأما الأشقياء فإنهم يأخذون كتابهم بشمالهم ، وهو علامة الذل والمهانة ، لما يرون في كتابهم من المطلها والدنوب ، وما ينتظرهم من العذاب والهوان ، فيتمنى أنّه لم يؤت كتابه مطلقا ، لما يحمل كتابه من الأعمال القبيمة .

قال سبحانه وتعالى : وَوُضِحَ ٱلْكِتُلْبُ فَتَوَى ٱلْمُحْرِبِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وِيقُولُون يُسْوَيُلْتُنا مَال هَمْلَمَا ٱلْكَتَسْبِ لاَيْعَالِوْ صَفِيرَةً وَلاَ كَبِيرَةً إِلاَّ أَحْصَنْهَا وَوَجَدُواْ مَا عَبِلُواْ حَاضِرًا وَلاَيْظَلِمُ رَئِّكُ أَخَلًا . (الكيف 4) .

٢٧ ، ٢٧ - وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِية ، يَسْلَيْتُهَا كَالْتِ ٱلْقَاضِية .

ليتنى لم أعرف حسابى ، ولم أشاهده ، لأن الكتاب الذى استلمته حافل بالخطايا والذنوب ، ثم يندب حظه طويلاً ويصبح متفجعا : يا ليت الموت الذى تم فى الدنيا كان النهاية ، ولم أبعث ولم أحاسب .

قَالْ قَعَادَةَ : تَمنَّى الموتَ ، ولم يكن شيَّ في الدنيا أكره إليه منه .

٢٨، ٢٩ - مَا أَغْنَىٰ عَنِي مَالِيه و هُلَكَ عَنِي شُلْطَائِية .

لم ينفعني ما كان لي في الدنيا من نهب وفضَّة ، وحرث وزرع ، ودور وقصور ، وحشم وخدم ، فقد وفدت على ربِّي وحيدًا فريدًا .

قال تعالى : وَلَقَلَةُ حِشُمُونَا أُورَاتَكَا كُمَّا خَلَقَنَكُمُ أَوَّلَ مُرَّةٍ وَفَرَكُمُ مَّا حَوَّلْنَكُمْ وَرَآءَ ظُهُودٍ كُمْ ... الأنماد ١٩٤٠. هلك عنى سلطاني وحجتي ويطلت وضاعت ، أو ذهب ملكي وتسلَّطي وجبروتي ، ويقيت ذليلا مهينا .

٠ ٣ ، ٣١ ، ٣٢ - خُلُوهُ فَقُلُوهُ * ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ * ثُمَّ فِي سِلْسِلَةِ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ .

يأمر الله تعالى الملائكة أن يأخذوه للمذاب ، وأن يشدُوا بالأغلال والقيود يده إلى عنقه ، ثم يأموهم الله ألا يجعلوا جسمه إلا فى الجحيم ، حتى يصطلى بنارها ويحترق بعذابها ، ثم يوضع فى سلسلة طولها سبعون ذراعًا ، يلفُ بها جسمه من أوله إلى آخره ، وذراع واحدة تكفى لتعذيبه ، لكن الله جعل سلسلة العذاب سبعين ذراعًا لإرادة الوصف بالطول ، لأنها إذا طالت كان الإرهاق أشد ، والعذاب أقسى وأعنف .

٣٣ ، ٣٤ – إِنَّهُ, كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ، وَلَا يَحُضُ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ

إن السبب فى هذا العذاب المؤلم هو أنه كان لا يرْمن بالله العلى العظيم ، فقد كَدُّب بالله تعالى ، وكفر بالجزاء والحساب ، وخلا قلبه من الرحمة ، فلم يعطف على المساكين ، ولم يحضَّ غيره على إطعام المساكين ، وكأنَّ الآية نداءً جهير فى الدعوة إلى الإيمان ، وإلى الحثُّ على التراحم والتعاطف والتعاون ، فى ، رعاية المساكين .

وعن أبى الدرداء أنه كان يحض امرأته على تكثير المرق لأجل المساكين ، وكان يقول : خلعنا نصف السلسلة بالإيمان ، أفلا خفلع نصفها الآخر ؟

٣٥، ٣٦ - فَلَيْسَ لَهُ ٱلْيُوْمَ هَلْهُنَا حَمِيمٌ * وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ .

ظيس له يوم القيامة قريب يدافع عنه ، أو صديق وفيٌّ يكفيه شر الدذاب ، ولا يجد طعامناً يأكله إلا الغسلين ، وهو غسالة أهل الذان ، وما يسيل من أبدانهم من القيح والصديد والدمّ .

٣٧ لُا يَأْكُلُهُ إِلَّا ٱلْخَلْطِئُونَ .

لا يقبل على هذا النوع من الطعام إلا من تعمد ارتكاب الأخطاء في الدنيا ، أي تعوَّد على الإجرام والآثام .

قال المفسرون:

لًا يَأْكُلُهُ إِلَّا ٱلْخَلْطِئُونَ .

أي: لا يأكله إلا الأثمون المجرمون المرتكبون للخطايا والآثام.

وَٱلْخَلْطِّـُونَ . جمع خاطئ وهو الذي يتعمد الذنب ، والمخطئ الذي يفعل الشي خطأ دون قصد ، ولهزا قال : ٱلْخَلْطِـُونَ . ولم يقل : المخطئون .

وهَى آية أَخْرَى يقول القرآن الكريم : أُيُّس لَهُمْ طَعَامُ إِلَّا مَن ضَرِيعٍ ، (الغاشية ٦٠)

والضريع شيء في النار كالشوك مرُّ منتن .

وقال قتادة :

الغسلين هو شرطعام أهل النار.

وقد تحدث القرآن عن وصف طعام أهل النار بأنه طعام بشع ملهب للجوف ، حارق للأمعاء ، فبحتاج أكله إلى الشرب ، فيشرب ماء شديد الحرارة يشوى الوجوه ، ويزيد العطش ويلهبه

قال تعالى: إِنَّا أَعْقَدُنَا لِلطَّلْلِمِينَ ثَارًا أَخَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَخَيُّواْ يُعاثُواْ بِمَاءٍ كَٱلْمُهْلِ بِشُوى ٱلَّوْ بَنُوهِ بِشَنَ آلشَرَابُ وَسَاءَتُ مُرَّفَقًا . (الكهف : ٢٩) .

وقال تمالى : أَذَائِكَ عَيْرٌ لُؤُلاَ أَمْ صَجَرةُ الرَّقُومِ هِ إِنَّا جَمَلَتُنَهَا فِئْنَةً لَلطَّائِمِينَ هِ إِنَّهَا شَحْرةُ وَفَرْجُ فَيْ أَصْلُو الْجَجِيمِ هَ ظَلْفُهَا كَأَنَّهُ رُدُوسُ السَّيْنَطِينِ هَ فِإِنَّهُمْ لَاكِلُونَ مِنْهَا لَمَائِكُونَ مَنْهَا الْبُطُونَ هَ فَمْ إِنَّ لَهُمْ عَالَيْها لشرْبًا مُنْ حَجِمِهُ فَهِ إِنْ مُرْجَعَهُمْ لَإِنِّي الْجَحْجِمِ. (الصالحات : ٦٢ – ٦٨) .

وقال تعالى: إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُومِ * مُقَامُ ٱلْأَئِيمِ * كَالْمُهُلِ يَعْلِي فِي ٱلْمُطُونَ * كَالْمَ ٱلْحصيمِ * خُذُوهُ فَاتَعْلُوهُ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلْجَدْمِيمِ * فُعُ صُبُّواً فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَلمابِ ٱلْمَعْمِيمِ * ذُقَ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْغَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ * وانْ هـنذا ماكتشبه به تغترُونَ. الله هان ١٤٠٠ - ١٩٠٤

القرآن ليس شعرا ولا كهانة ، بل هو وحي الله

﴿ فَلاَ أَقْدِمُ بِمَا تَجْمِرُونَ ﴿ وَمَا لاَ نَجْمِرُونَ ۞ إِنّهُ الْفَوْلُ رَسُولِ كَرِيدٍ ۞ وَمَا هُوَ فِقُولُ شَاعِرٍ قَلِكُ مَّا أَوْمَثُونَ ۞ وَلا بِقَوْلِ كَاهِ وَقَلِكُ مَّا لَقَدَّكُرُونَ ۞ اَنْزِيلُّ مِن زَيِّ الْمَالِينَ ۞ وَلَا نَفُولُ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ ۞ لَأَخْذَ عَامِنَهُ بِالْكِينِ ۞ ثُمَّ لَقَطَعْنَا عِنْهُ ٱلْوَبِينَ ۞ فَمَا مِنكُر مِنْ خيجٍ زِينَ ۞ وَإِنَّهُ النَّذِكُرُةُ لِلْمُنْقِينَ ۞ وَإِنَّا لَتَعْلَمُ أَنَّ عِنكُمُ كُذِينِنَ ۞ وَإِنَّهُ المَصْرَةُ عَلَ الْكَفِينَ ۞ وَإِنَّهُ النَّعِينِ ۞ فَسَيَّمَ فَاتْمِ رَقِكَ ٱلْفَظِيمِ ۞ ﴾

المطردات :

هالا اقسام ، أقسم و «لا» مزيدة .

بما تبصرون ، بالمشاهدات المرئيات .

وما لا تبصرون: المغيبات المستورات ، أو أقسم بالكون وخالق الكون .

إنه تقول رسول: يبلّغ عن الله ما أوحى إليه .

تقول مليشا : افترى واختلق وادّعى علينا .

بالسيمين ، بيمينه ، أو بالقوة والقدرة .

السوتسيسة ، نياط القلب ، أو نخاع الظهر ،

صنه حاجزين ، مانعين الهلاك عنه .

السحسسرة اندامة عظيمة .

فسيّح باسم ريك ، تزّمه عمّا لا يليق به تعالى .

تمهيده

فى ختام السورة أقسم الله تعالى بما يفيد تعظيم القرآن ، وأنه منزل من عند الله على قلب محمد ﷺ، وليس القرآن شعرًا ولا سحرًا ولا كهانة ، بل هو تنزيل من رب العالمين .

سبب النزول،

قال مقاتل:

سبب ذلك أن الوليد بن المغيرة قال: إن محمدًا ساحر، وقال أبو جهل: شاعر، وقال عقبة. كاهن، فقال الله تمالى: فَأَكَّ أَفْسِمُ ، أَي: أَنْسِم .

التفسيره

٣٨ ، ٣٩ - فَارَّ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ، وَمَا لَا تُبْصِرُونَ .

أى: أقسم بما تشاهدونه بأعينكم في هذا الكون ، مثل السماء والفضاء والهواء ، والأرض والجب والبحار ، والأشجار والأنهار ، والنبات والإنسان ، والحيوان والجماد ، وسائر ما ترونه بأعينكم في هذا الكون الفسيح .

وُمَا لا تُبْصِرُونَ ، مثل المملائكة والجنّ والجاذبية ، والقيامة والبعث والحشر والصراط ، والجنة والغار ، وسائر ما غاب عن عيونكم في هذا الكين الفسيح الأرجاء ، وفي اليوم الأخر وما فيه

• ٤ - إِنَّهُ, لَقُوْلُ رَسُولِ كَرِيمٍ .

إن هذا القرآن ليس سحرا ولا شعرًا ولا كهانة ، بل هو رسالة الله إلى رسوله محمد عِنْجُ ، يقوله ويقرؤه ويبلُّغه عن الله تعالى...

١ ٤ - وَمَا هُوَ بِقُوْلِهِ شَاعِرٍ قَلِيلاً مَّا تُؤْمِنُونَ .

وليس القرآن كلام شاعر ، فقد اشتمل على بدء الخليقة ، وأمور التشريع ، وبيان الحلال والحرام ، ورصف اليوم الآخر .

أما الشعر فله أوزان وقافية ، ويدخل في التشريع وغير التشريع ، ويكون صادقا وغير صادق ، ويتحدث الشعراء عن أمور لا يقطونها ، ولا يترجمونها إلى واقع .

قال تعالى : وَٱلشَّعْرَاءُ يُتَجِّهُمُ ٱلْفَاوُرِنَ هَ أَلَمْ تَرَ أَلَّهُمْ فِي كُلُّ وَادٍ يَهِيمُونَ هَ وَأَنْهُمْ يَقُولُونَ مَا لا يَفْعَلُونَ . (الشعراء ۲۷۵ - ۲۷۲)

قَلِيلاً مَّا تُؤْمِنُونَ .

أى أنكم لا تؤمنون أصلا ، أو تؤمنون إيمانا قليلا ، بمعنى أنهم يمترفون بأن الله هو الذي خلقهم ، ومع ذلك يعبدون معه الأصنام والأوفان .

٢ ٤ - وَلَا بِقُوْلِ كَاهِنِ قَلِيلاً مَّا تُذَكَّرُونَ .

فالقرآن منهج متكامل للحياة ، يتفق مع القِطَرة ويُقتع العقل ، أما الكهانة فهى كلمات متناسقة ، لا تُكُرِّن منهجا محيطا بالكرن والحياة كما نجده فى القرآن .

فمن الكهانة قول بعض الكهَّان :

(والقمر الباهر ، والكوكب الزاهر ، وما في الأرض من سائر ، من منجد وعاثر ، لقد سبق هاشم أمية إلى المآثر) .

أما أيات القرآن فتفيد أن الكون كلُّه في رعاية الرحمن مثل:

إِنَّ ٱللَّهُ يُمْسِكُ ٱلسَّمَدُوَاتِ وَٱلْأَوْضَ أَن تَوُولَا وَلَيْن زَالْقَا إِنْ أَمْسَكُهُمَا مِنْ أَخَو مِنْ بَعْدِهِ إِلَّهُ, كَانَ خَلِيمًا فِقُورًا . (هاهار: ١٤) .

ومثل قوله سبحانه : إِنَّ اللَّهُ فَالِئُ اَللَّهُ عَالِيُّ اللَّهُ فَالِئُ اللَّهُ عَالِيُّ الْمَنْتِ وَالْمَوْ اللَّهُ فَأَنِّى تُوْلِحُونَ وَ فَالِنَّ الْوَصْبَاحِ وَجَعَلَ الْمُنْ صَكَنَ وَالشَّمْسُ وَالْفَمْرُ حَسْبَانُ ذَالِكَ تَفْدِيرُ ٱلْفَرِيرِ الْقَلِيمِ .

(الأنمام: ٩٦،٩٥)

ومثل قوله عن وجل : قُلِ ٱللَّهُمُّ مَنلِكَ ٱلْمُلْكِ وَلِيَى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَنَفِرِعُ ٱلْمُلْكَ مِن تَشَاءُ وَكُلِنَّ مَن فَشَاءُ بِيَعِلِكَ ٱلْخَيْرُ وَأَنْكَ عَلَىٰ كُلِّ هَـٰيُّ قَلِيعٍ أَنْكِ فِي ٱلنَّهِارِ وَتُولِعُ ٱلنَّهِيَّ مِنَ النَّهَاءُ وَيُعِرِعُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمُنْتِ وَتَخْرِعُ ٱلْمُنِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ وَتُرَوُّقُ مِن تَشَاءُ بِغَيْرٍ حِسَّابٍ. (ال عدران : ٢٧، ٢٧).

والكاهن يعتمد على الشياطين في نقل بعض الأخيار عن السماء ، والقرآن ورد بسبُ الشياطين ، فلا يعقل أن يكون بإلهامهم ، والقرآن الكريم فيه لفتات ليس من طبيعة البشر أن يلتفتوها ، مثل التعبير عن العلم الشامل الدقيق اللطيف ، في قوله تمالى : وعِندُهُ, مَفَاتِحُ ٱلْقَبِّبِ لِا يُعْلَمُهُمّا إِلَّا هُوْ وَيُعْلَمُ مَا فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَا تُسْقُطُ مِن وَرُقَعٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَكُو سَبِّهِ فِي ظُلُمَتِ ٱلْأَرْضِ وَلا رَضْبِ وَلا يَاسِ إِلَّا فِي كِنْسِمِ شُهِن . (الأنماء: ٥٠).

\$ 1 - تَنزيلٌ مِن رَّبِّ ٱلْقَالَمِينَ .

أي أن القرآن تنزيل من عند الله تعالى ، وهو وحيي السماء.

قال تعالى: بَلْ هُرَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ه فِي لَوْحٍ مَّخَفُوظِي . (البروج ٢٢٠٢١).

وقد انتقل القرآن الكريم من رب العرة جلّ جلاله إلى اللوح المحقوظ، ونزل به جبريل الأمين على النبى ﷺ، وتلقاه النبى ﷺ عن جبريل الأمين، وتلقته الأمة عن النبى ﷺ، وقد أُضيف القرآن الكريم إلى جبريل على أنه المبلّغ به عن الله، مثل قوله تعالى : وَإِنَّهُ رَقَتِهِلَ رَبِّ ٱلْصَلْفِينَ » نزلَ بِهِ ٱلرَّوحُ ٱلأَمِينُ ، عَلَيْ قُلْكَ لِشَكُّونُ مِنَ ٱلْمُعْلِينَ . (المفراء: ١٩٧ - ١٩٧) .

ومثل قوله تمالى : إِنَّهُ رَلَقُولُ رَسُولِ كُرِيمِ ، حيث أضاف القرآن إلى النبى ﷺ على أنه المثلقى عن جبريل ، وقال بعض المفسرين : المراد بالرسول الكريم هو جبريل عليه السلام .

فالقرآن الكريم ليس شعرًا وليس كهانة ، وليس من عمل البشر ومستعهم ، والعرب كانت تعرف ذلك ، وتعرف أن القرآن فوق مستوى طاقة البشر ، وليس قولهم : شاعر أو كاهن ، إلا مشاغبة من المشركين اللفت الأنظار عن القرآن الكريم ، لذلك أجاب الله تعالى يقوله :

تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَلْمِينَ .

أي: هو وهي السماء ، أنزله الله رب العالمين على رسوله محمد ﷺ .

قال عمر بن الخطاب: خرجت أتعرض لرسول الله في قبل أن أسلم ، فوجدته قد سبقنى إلى العسجد، فقمت خلفه ، فاستفتح سررة الحاقة، فجعلت أعجب من تأليف القرآن ، فقلت: هذا والله شاعر كما قالت قريش ، فقرآ : وإلا بقول كالجن قويش ، فقرآ : والا بقول كالجن قويش ، فقرآ : ولا بقول كالجن قويش ، فقرآ : ولا بقول كالجن قليب كان موقع ، فهذا من جملة قليباً ما تُذَكّرُونَ و تَنْإِيلٌ مَنْ رَبِّ ٱلْمُنْفُونِنَ . إلى آخر السورة ، فوقع الإسلام في قلبي كل موقع ، فهذا من جملة الأسباب التي جعلها الله مؤفرة في هداية عمر بن الخطاب رضي الله عنه ا"".

\$4 ، 49 ، 49 ، 49 - وَلَوْ تَقُولُ عَلَيْنَا بَعْضَ آلَاً قَارِيلِ ﴿ لَأَخَلَلْنَا مِنْهُ بِٱلْبَهِينِ ﴿ لُمُ الفَطْفَنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿ فَمَا مِنكُمْ

بغضب بمش الملوك على من يكذب عليه ، حيث يمسك السياف بيمين الجانى ثم يكفحه بالسيف ، ويضرب عنقه فيقطع منه الوتين ، وهو عرق متصل بالقلب إذا قُطح تُصْمَى على صاحبه رمات .

فَمَا مِنكُم مِّنْ أَخَدِ عَنْهُ حَسْجِزِينَ .

فما يستطيع أحد من الناس أن يحجزنا، أو يحول بيننا وبينه في إهلاكه وقتله وقطع وبينه ، إذ ليس ذلك في قدرة أحد أو إمكانه .

ولمًا لم يَحَبُث شيء من ذلك ، كان محمدٌ رسولاً من عند الله ، صادقا في أنَّ وحي السماء ينزل عليه ، وفي أن القرآن تنزيل من رب المالمين .

٨٤ - وَإِنَّهُ, لَعَلْكِرَةٌ لَلْمُتَّقِينَ.

وإن القرآن الكريم لوسيلة لتذكير المرّمنين ، وإرشاد المتقين ، وإلهام الذاكرين ، وهمنّ المتقين بالذكر لأنهم هم المستفيدرن بالقرآن ، والمنتفعون بترجيهاته ، والخاشعون عند سماعه .

قال تعالى : ٱللَّهُ لَوْلَ أَخْسَنَ ٱلْحَلِيثِ كِتَنْهَا مُتَشَابِهَا مُثَانِيَ تَفْشَعِرُ مِنْهُ جَلُودُ ٱللَّينَ يَخْشُونَ رَايُهُمْ لُمْ تَلِينُ جُلُومُهُمْ وَلَقُونُهُمْ إِلَىٰ ذِكْمِ اللَّهِ ذَالِكَ هَدَى ٱللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاتُهُ وَمَن يُصْلِقُ اللَّهُ لَقَا لَهُ مِنْ هَادٍ . (الزمر: ٣٣) .

٩ ٤ - وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكُلِّمِينَ .

نحن نعلم أن منكم من يكتُب بالقرآن ، ويدَّعي أنه سحر أن شعر أن كهانة أن أساطير الأولين ، ولا يصدُّق بأنَّه كلام رب العالمين ، أي نحن نعرف المكذبين ، ونعلم المصدَّقين ، وسنجازي ونعاقب المكذبين كفرًا وعنادا وجحودًا .

كما قال تعالى: وَجَعَدُواْ بِهَا وَآسْتَقَنَتُهَا أَنفُسُهُمْ ظُلُمًا وَعُلُوا ... (النمل: ١٤).

وقال عز شأنه : فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَلْكِنَّ ٱلطَّلْلِمِينَ بِعَايَلْتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ . (الانعام ٣٣٠).

• • وَإِنَّهُ, لَحَسْرَةٌ عَلَى ٱلْكَـٰلِهِ بِنَ .

وإن هذا القرآن العظيم لحسرة على الكافرين ، أي هو مصدر حسرة وندامة ، وأسف وحرن ، لأنهم يعرفون صدقه ، وقوته وبلاغته ، وتأثيره فيمن سمعه ، ويمنعهم الكبر أو التعاظم ، أو سرء الطويّة من الاستجابة للقرآن والإيمان به . وفي كتب السيرة: أن ثلاثة من كبار كُفّار قريش كانوا يتسللون بالليل لاستماع القرآن ، وفي الصباح يتواصون بعدم العودة لمثل ذلك ، ويعترفون بقوة القرآن ، وصدق محمد ﷺ ، ثم يمنعهم الحسد من الإيمان.

أو المعنى: القرآن حسرةً على الكافرين في الدنيا ، حين يرون كتيبة الإسلام كل بوم في ازدياد وانتصار وتقدم ، متى فُتحت مكة ودخل الناس في دين الله أفواجا، والقرآن حسرة على الكافرين في الأخرة ، حين يرون منازل المتقين في الجنة ، ومنازل الكافرين في جهنم ويئس المصير .

١ ٥ -- وَإِنَّهُ, لَحَقُّ ٱلْيَقِينِ .

وإن القرآن لهو اليقين الصادق ، والحق البين الواضح وضوح الشمس ، لظهور آياته وتشريعاته وأدابه ونظام أسلويه ، وإضافة الحق إلى اليقين من إضافة الصفة إلى الموصوف ، أى لهو اليقين الحقّ ، أو هو من إضافة الشىء إلى نفسه مع اختلاف اللفظين ، كما في قوله تعالى : حَبِّل ٱلْوِريد . (ق ١٦) . إذ الحيل هو الوريد .

قال المفسرون:

إن مراتب العلم ثلاثة: أعلاما حق اليقين، ويليها عين اليقين، ثم يليها علم اليقين

فيق اليقين كعلم العاقل بالموت إذا ذاته ، وعين اليقين كعلم العاقل بالموت عند معاينة ملائكته. وعلم اليقين كعلم العاقل بالموت في حياته ، ومعرفته بأن كل نفس ذائقة الموت .

٥٢ - فَسَبِّحُ بِٱسْمِ رَبُّكَ ٱلْعَظِيمِ.

نزَّه ربك تنزيها مصحوبا بكل ما يليق به من طاعة وإخلاص ، ومواظبة على مراقبته وتقواه

وينزيه الاسم الكريم ، تنزيه للذات العلية ، فهو سبحانه وتعالى منزه عن كلُ نقص ، متصف بكل كمال ، مستحق للحمد والذكر والشكر على أنعمه ، وعلى إنزاله القرآن العظيم مستملا على صعفوف المهداية .

وفى الحديث الشريف: «كلمتان خفيفتان على اللسان ، ثقيلتان فى الميزان ، حبيبتان إلى الرحمن . سيحان الله ويحمده ، سبحان الله العظيم ». (").

وفي الأفر : «الباقيات الصائحات هي : سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم» .



أهنداف سورة المصارج

(سورة المعارج مكية ، وآياتها ٤٤ آية ، نزلت بعد سورة الحاقة)

تبدأ السورة بهذا المطلع المتميز ، وهو سؤال سأله أحد الكافرين عن يوم القيامة ، سؤال تهكم أو استعجال لهذا اليوم .

وفى الإجابة على هذا السؤال وصفت السورة يوم القيامة وألوان الهوان النفسى والحسى الذى يصيب الكافرين فيه ، ثم وصفت هلم الإنسان وجزعه ، واستثنت المؤمنين الموصولين بالله ، فهم فى يقين ثابت وأدب كريم .

تنوع أساليب القرآن :

سورة المعارج جولة من جولات المعركة الطويلة الشاقة التي خاصها القرآن في داخل النفس البشرية ، وخلال درويها ومنحنياتها ، ورواسبها وركامها ، وهي أضغم وأشق من المعارك الحربية .

لقد سلك القرآن كل سبيل ليصل إلى نفوس المشركين ويقنع الجاحدين ، ويُثبّت المؤمنين ، ولون القرآن في طرق الهداية والدعوة ، ومواجهة النفوس الجامحة .

«فتارة يراجهها بما يشبه الطوفان الغامر ، من الدلائل الموحية والمؤثرات الجارفة ، وتارة يواجهها بما يشبه السياط اللائمة ، وتارة يواجهها بما يشبه المناجاة الحبيبة ، والمسارة الودود التى تهفر لها المساعر وتأدن لها القلوب ، وتارة يواجهها بالهول العرجب والصرخة المفزعة التى تفتع الأعين على الخطر الداهم القريب ، وتارة يواجهها بالكوم والرجاء الذي يهتف لها بها ويناجيها ، وتارة يواجهها بالأمل والرجاء الذي يهتف لها ويناجيها ، وتارة يتخيل مساريها ودويها ومنحنياتها ، فيلقى عليها الأضواء الكاشفة ... ومنات المسات والمؤثرات ، يطلع عليها قارئ القرآن الكريم» "الوهو يتابع تلك المعركة الطويلة التى قادها القرآن على عادات الجاهلية وركامها حتى انتصر عليها .

وسورة المعارج لون من ألوان البيان القرآنى ، فى تقرير حقيقة الأخرة ، وما فيها من جزاء ، وموازين هذا الجزاء ، وإقرار هذه الحقيقة فى النفوس . وتكاد تكون لونا من ألوان السياط الملائعة ، والأصواء الكاشفة التى ساقها القرآن لتفتح عيون المشركين على ما هم فيه من ضلال ، وما ينتظرهم من حساب وعقاب .

مع آيات السورة

١ – ٥ – يسأل المشركون ٥٠٥ رسول الله ﷺ سؤال استهزاء عن العذاب الذي يخوفهم به ، ويجيب الله
سبحانه بأنه واقع لا شك في وقوعه ، ولا يستطيع أحد دفعه ، وهذا العذاب من الله ذي الدرجات العلى ،
ويأمر الله نبيه بالصبر الجميل الهادئ .

 ٢ - ١٤ - كان الكفار ينكرون حقيقة الأخرة ، ويرونها بعيدة الوقوع ، وقد لقيت منهم معارضة نفسية عميقة ، وكانوا يتلقونها بغاية العجب والدهشة والاستغراب .

وقد ببنت الآيات أن ذلك اليوم قريب الوقوع ، وكل آتر قريب ، ثم رسمت مشاهد هذا اليوم في مجال الكون وأغوار النفس ، وهي مشاهد توجى بالهول الشديد في الكون وفي النفس ، وهي يوم القهامة تكون السماء ، كَالْهُول . والمهل : ذوب المعادن الكدر ، أي كدردي الزيت . وتكون الجبال ، كَالْهُول . أي كالمسوف الهامن المنتفش ، ويتمنى الكافر في ذلك اليوم لو يفتدي من العذاب ببنيه ، وزوجته وأخيه ، وقبهلة موجميع من في الأرض وهي صورة للهول الشديد الذي يصبب الكافر فيتمنى النجاة ولو قدم أعز الناس إليه ، ومن

١٥ – ١٨ – تردع الآيات هذا الكافر عن تلك الأمانى المستحيلة ، في الافتداء بالبنين والعشيرة . وتبين للكافر أن ما أمامه هو النار ، تتلظى وتتحرق ، وتنزع الجلود عن الوجوه والرءوس نزعا ، وهي غول مفزعة تنادى من أعرض عن الحق ، وحرص على المال ويخل به ، ليدخل فيها .

١٩ - ٢٩ - جُول الإنسان على الهلم فهو قليل الصبر، شديد الحرص، يجزع إذا نزل به الغسر والألم، فلا يتصور أن هناك فرجا، ومن ثم يأكله الجزع، ويمزقه الهلم، كما يظلبه الحرص والبخل عند وجود المال والعافية.

٢٧ – ٣٥ – تستثنى الآيات المصلين ، فإنهم يحافظون على صلاتهم ، فتمنحهم المسلاة الثبات والاستقرار ، وتراهم صابرين في البأساء ، شاكرين في النعماء ، يخرجون زكاة أموالهم ، ويتصدقون على الافقراء ، ويصدقون بيوم الجزاء ، ويخافون غضب الله وعقابه ، ويتسمون بالاستقامة والعفة ، وحفظ الفروج

عن الحرام ، والتمتع بالحلال من الزوجة وملك اليمين ، وأداء الشهادة بالحق والعدل ، والمحافظة على الصلاة في أوقاتها ، وأداء سننها وأدابها وخشوعها ، تلك الصفات هى صفات هذا الفريق المؤمن الذي يستدق الجنة والتكريم ، ويتمتع بالنعيم الحسى والنعيم الروحى: أولننك في جنّلتٍ مُكْرُمُون.

(المحارج ٢٥).

٣٦ - ٣٧ – تعرض الأيتان مشهدا من مشاهد الدعوة في مكة ، والمشركون يسرعون الخطل إلى المناص الخطل إلى المناص المنا

٣٨ - أيطمعون في دخول الجنة وهم على هذا الحال من الإعراض والتكذيب؟.

۳۹ ~ ۶۱ – لقد خُلقوا من ماه مهين ، وهم يعلمون أصل خلقتهم ، إن الله قادر على أن يخلق خيرا منهم ، وهم لا يسبقونه ولا يفوتونه ، ولا يهروون من مصيرهم المحتوم .

٤٧ ، ٤٣ – ثم تتجه الآيات في الختام إلى وعيدهم وتهديدهم بيوم الجزاء ، يوم يخرجون من القبور مسرعين ، كأنما هم ذاهبون إلى نصب يعبدونه ، وهم ، 'يوفِطُونْ . أي يسرعون .

٤٤ – وترسم الآية الأخيرة سماتهم ، وتلمح صورة نليلة عانية ، في ذلك اليوم الذي كانوا يوعدون به ، فيستريبون فيه ويشكون .

المعنى الإجمالي للسورة

دبيان جزاء الكافر في استعجال العذاب ، وطول القيامة وهولها ، وشغل الخلائق في ذلك اليوم المهيب ، وتصوير النفس البخرية في السراء والضراء ، وييان محافظة المؤمنين على خصال الخير ، وطمع الكفار في غير مطمع ، وذل الكافرين يوم القيامة» الله في قوله تمالي : خَنْمَعَةُ أَبْصِـرُهُمْ تَرْعَقُهُمْ ذَلَةً ذَالِكَ آيْوَمُ ٱلَّذِي كَالُواْ يُوعَلُّونَ . (المعارج: ٤٤) .

أسماء السورة :

من أسماء السورة: سأل بسآلل الفتتاحها بذلك ، والمعارج لقوله تعالى فيها · مُن ٱللَّه ذي ٱلْمُعارج .

أهوال القيامة

مِلْقَةِ الْخَرِّ الْحِيمِ

﴿ سَأَلَ سَآبِلُ إِهِذَابِ وَاقِعِ ۞ لِلْكَنفِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ۞ مَنَ اللهِ ذِي الْمَمَانِجِ۞ مَثُرُجُ الْمَلَيْهِ كَهُ وَالرُّومُ إِلَيْهِ فِي وَمِكَان مِقْدَارُهُ مَضِينَ اَلْفَ سَنَةِ ۞ مَا مَيْرِ صَبَرًا جَيدُلا ۞ إِنَّهُمْ بَرُوْنَهُ بِعِيدًا ۞ وَنَرَنهُ وَ إِبَال ۞ يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاةُ كَالْمُهِلِ ۞ وَتَكُونُ البَّبِالُ كَالْمِعْ فِي ۞ وَكَنفِتُ فَلْ جَيدًا ۞ وَنَصِيلتِهِ اللّهِ يَقْوَدُ الْمُعْمِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَاب يَوْمِيلِ بَيْنِهِ فِي الْأَرْضِ جَيعَامُمُ تَنْجِيدِ ۞ كَالْمُ إِنَّهُ الطَّلِي ۞ نَزَاعَةً لِلشَّوى ۞ وَنَصِيلتِهِ اللَّي تُتَوِيدِ ۞ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَيعَامُمُ تُنْجِيدِ ۞ كَانَّ إِنْهَ الطَلِي ۞ نَزَاعَةً لِلشَّوى ۞ تَعْمِيلتِهِ اللّهِ عَلْ اللّهِ صَلْحَ اللّهُ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَى الْمُرْمِونَ اللّهُ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ اللّهِ عَلَيْهِ عَلَى الْمُعْمِيلَةِ عَلَيْهِ عَلَيْهُ اللّهُ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَى الْأَرْضِ جَيعَامُ مُنْ الْمُعْمَى الْمُعْمِلِي اللّهُ عَلَى الْمُعْمَالِي اللّهُ عَلَيْهِ عَلَيْهُ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَى الْمُعْمَالِي عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَى الْمُعْمَالِي اللّهُ الْمُ اللّهُ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهُ وَلَيْهِ عَلَيْمَ الْمُنْ السَّمَالَةُ عَلَيْهِ عَلَيْكُونُ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَى الْمُعْمِلِي اللّهُ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلْمَتَكِي عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْكُونُ السَّعْمِيلِي الْمُعْمِيلِيَّةُ الْمُعْلِي الْمُعْلَى الْمُؤْمِنِ عَلَيْمَ عَلَيْهِ عَلَيْكُونَ عَلَيْهِ عَلَى الْمُؤْمِالْوَلِي الْمُعْلَى الْمُعْمِى الْمُعْلَى الْمُعْلَى الْمُؤْمِعِيلِي الشَّوْمِ عَلَيْمِ عَلَيْكُونَ الْمُؤْمِنِي الْمُؤْمِلِيلُونَ الْمُؤْمِنَ عَلَيْكُوا مِنْ الْمُؤْمِنَ الْمُعْلِيلُونُ الْمُؤْمِنَ عَلَيْكُونُ الْمُعْلَى الْمُؤْمِنِيلُونَ الْمُؤْمِلِيلِهُ الْمُؤْمِلِيلُونَ الْمُعْلِيلُونَ الْمُؤْمِنَ الْمُؤْمِنَ الْمُؤْمِنِ الْمُؤْمِلِيلِيلِيلُونَ الْمُؤْمِلِيلُونَا الْمُؤْمِلِيلُونُ الْمُؤْمِلُ الْمُؤْمِلِيلَا الْمُؤْمِلُ الْمُؤْمِلُ الْمُؤْمِلِيلِهِ الْمُعْلِيلُ

المفردات :

السيس السه داهسع ، إنه واقع لا محالة ، ونازل وحاصل ، لا مانع يردّه .

السلام.

هاصبر صبرا جميلا ، الصبر الجميل : هو الذي لا جزع فيه ، ولا شكوى لغير الله .

المسم مسهد الله دردي الزيت ، وهو ما يكون في قعر الإناء منه ، أي كعكر الزيت .

الصعب عن الصوف المصبوغ ألوانًا .

السحسمسيسم، القريب.

يسمت روق هسم ، يبصر الأحماء الأحماء ويرونهم .

ولار يتمنى.

والسمسجسرم، المذنب،

صاحبها، زوجته.

فصبي استسه، عشيرته.

تــــه و تضمّه و يأوى اليها .

السطامين ، هي النار .

تسسيدهسيو، تجذب وتحضر من أعطى ظهره للحق وأعرض عن الطاعة ، للدخول فيها .

وجسمسع فسأوعسى: جمع المال فجعله في وعاء ، وكنزه ولم يؤدُّ حقه .

تمهيده

كان أهل مكة يسخرون من عناب جهنم ، أو يستبطئونه ويقول بعضهم لبحض : إن محمدًا يخوفنا بالعناب ، فما هنا العناب ، ولمن هو ؟ وكان النضر بن الحارث ومن لف لقه ، يقولون إنكارًا واستهزاه :

ٱللَّهُمُّ إِنْ كَانَ هَلَهُ هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكُ قَلْمُطِرْ عَلَيْنَا حِجارَةٌ مُنَ ٱلسَّمَاءِ أَوِ آلت بِعَلْمَ وِ البَيْمَالِ ٢٠٠). فنذلت هذه الآيات .

وسورة المعارج تأتى بعد سورة الصاقة التى تحدثت عن القيامة ، وعن تبدّل الكون ونهاية الحياة. وسورة المعارج تتحدث عن هذا الأمرلكن من منظور نفسى ، فالكافر يتمنى أن يفتدى نفسه من العذاب بأولاده وزوجته ، وإخوته وعظيرته ، ومن فى الأرض جميعًا ، لينجو من هول العذاب ، لكن لا أمل فى ذلك ، فجهنم تنزع فروة رأسه ، وتتحول جهنم إلى عنق طويل يبحث عن الكفّار المعرضين عن الحق ، وتصف يهم ليصطلوا بنارها: كَلاَّ إِنَّهَا لَقَعْلُ مَرْاعَةً للشَّرْعَ فَى تَنْحُولُ مَنْ أَخْرَ وَتَوْلُى وَرَجَعْهَ فَالْرَضِيّ . (المعارج ١٥ - ١٨٤).

التفسيره

١ ، ٧ ، ٧ ، ٤ - سَأَلَ سَآلِهِا " بِعَلَمْ وَاقِعِ هِ لَلْكَنْفِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ ه مَنَ اللَّهِ ذِى ٱلْمَعَارِجِ ه تَعْرُجُ ٱلْمَلَشِكَةُ
 أَلَّارُ رُحُ إِلَيْهِ فِي يَوْم كَانَ مِنْقَدَارُهُ خَطْمِينَ أَلْفَ سَنَةٍ .

دعا داح ، وطلب كافر من كفار مكة لنفسه ولقومه نزول عذاب واقع لا محالة ، والسائل هو النضر ابن الحارث ، من صناديد قريش وطواغيتها ، لما حَوَّفهم رسول الله ﷺ بالعذاب قال استهزاء : ٱللَّهُمُّ إِنْ كَانَ هَلْذًا هُوُّ آلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلِيَنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَاةِ أَرِ ٱلْجَنِّا بِمَلْابِ إَلْهِم . (الأنفال : ٢٢) .

فأهلكه الله يوم بدر ، ومات شرَّ ميتة ، ونزلت الآية بنمُّ ، وهذا العذاب نازل بالكافرين لا محالة ، لا يستطيع أحد أن يدفعه أو يمنعه ، لأنه من الله الخالب ، ولا يفلب الله غالبً .

مَّنَ ٱللَّهِ ذِي ٱلْمَعَارِجِ .

هذا العذاب نازل وصادر من الله تعالى ، صاحب المصاعد التى تصعد منها الملائكة وتنزل بأمره ورحيه .

نَعْرُجُ ٱلْمَلَنْفِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ ...

تصعد الملائكة وجبريل الأمين من سماء إلى سماء ، إلى عرش الرحمن ، حيث تهبط أوامره سبهانه وتعالى ، ويد القدرة تملك برمام هذا الكون ، وترفع السماء ، وتبسط الأرض ، وتسفّر السحاب والفضاء ، وتُيسًر مصاعد الملائكة إليه ومعها أعمال العباد .

روى البدهارى فى صحيحه أن رسول الله ﷺ قال: «يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنبل وملائكة بالنبار، ويجتمعون فى صلاة العصر وفى صلاة الفجر، اقرأوا إن شئتم قول الله تعالى: وَقُرْءَانَ ٱلْلَهُمْ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْلَهُمْ إِنَّ مُرْءَانَ ٱلْلَهُمْ كَانَ مُشْهُودًا، (الإسراء ٧٨)، فيصعد الذين باتوا فيكم فيسألهم ريهم: كيف تركتم عبادى ؟ فيقولون: يا ربنا، تركناهم وهم يصلون، وأتيناهم وهم يصلون، وأعيناهم وهم يصلون، وأغيناهم وهم يصلون، وأغيناهم وهم يصلون

والملائكة عباد مكرمون ، لا يعصون الله ما أمرهم ويقعلون ما يؤمرون .

فِي يَوْمِ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ .

أى: ذلك العذاب واقع لهؤلاء الكفّار في يوم طويل، يمتد طوله إلى خمسين ألف سنة.

قال ابن عباس : هو يوم القيامة ، جعله الله على الكافرين مقدار خمسين ألف سنة ، ثم يدخلون النار للاستقرار .

والجمع بين هذه الآية ، وبين قوله تعالى : في يَوْم كَانَ مِقدَارُهُ وَأَلْفَ سَنَةٍ مُّمَّا تُعدُّونَ . (السجدة : ه) .

أن القيامة مواقف ومواطن ، فيها خمسون موطنا ، كل موطن ألف سنة «وأن هذه المدة الطويلة تـَـفـَــُ: على المؤمن حتى تكون أهف عليه من صلاة مكتوبة يصليها في الدنياء ١٣٧.

٥ - كَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلاً.

امبر أيها الرسول على أذى قومك ، وتحمل ذلك موقدًا بوعد الله تعالى ، مع اليقين الكامل بأن الله معك ، وإن يتخلى عنك ، وقد أمر جميع الأنبياء بالمبر واليقين بالنصر ، والمبر الجميل هو ما كان صاحبه متيقدًا بثواب الله ، راضيًا بقضائه وقدره ، موقدًا بأن يد الله وراء الأحداث ، وقد قضت أن يقاوم الكفار بسالات السعاء ، ريستبعدوا خضوعهم لها ، وأن يتحك الرسل أعباء الرسالة في ثقة ويقين .

ُ هَال تعالى : فَآصَوْرُ كُمَّا صَمَرُ أُولُوا ٱلْقَوْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلاَ تَسْتَعْجِل لَهُمْ كَالُهُمْ يَوْمَ يَرُون مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلَيُّواْ إِلَّا سَاعَةً مَّنْ لَهُارِ بَلَكُ عَلَى (الأحداف: ٣٥) .

وقال تعالى : حَتَّى إِذَا ٱسْتَيْشُسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّواْ أَنَّهُمْ قَدْ كُلِيُواْ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا ... (يوسف: ١١٠٠.

٢ ، ٧ - إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا ﴿ وَلَوَاللَّهُ قَوِيبًا .

إن هؤلاء الكفار يستبعدون العذاب ، ويرونه بعيدًا ، أو غير نـازل بهم ، ويتشككون في وقوعه ، ونر ه نـمن قريبًا ، فهو في قبضتنا وتحت تصرفنا ، وما نؤخره إلا لأجل معدود ، وكل أتر قريب .

٩ ، ٨ - يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَاءُ كَالْمُهْلِ ، وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَالْعِهْنِ .

تفقد السماء تماسكها ، وتنشق وتتشقق يوم القيامة ، وريما رجعت إلى حالتها الغارية الأولى .

قال تعالى: وَيَوْمَ تَشَفَّقُ ٱلسَّمَاءُ بِٱلْفَصْمِ وَازُّلَ ٱلْمَلَائِكَةُ تَنزِيلاً ۞ ٱلْمُلْكَ يَوْمَلِ ٱلحَقُّ لِلرَّحْمَدِنِ وَكَانَ يَوْمًا عَلَمَ ٱلْكَنْفِرِينَ عَسِيرًا ، (الفرقان: ٢٨٠ ، ٢٧). والمهل دردى الزيت ، أن الزيت العكر ، ولون السماء الآن يميل إلى الخضرة ، فيتغيّر لونها ويشبه ما أذيب من النّحاس والرصاص والغضة ، ويتحوّل لونها من الخُضْرة إلى الحمرة .

وَتَكُونُ ٱلْحِبَالُ كَٱلْعِهْنِ .

تكون الجبال متنافرة متطايرة في الجوّ، تشبه الصوف المنفوش.

وعن الحسن : تسيَّر الجبال مع الرياح ، ثم تنهدُّ ، ثم تصير كالعهن ، ثم تنسف فتصير هباء .

وقال الزمخشري في تفسير الكشاف :

المراد بالعهن المنفوش : الصوف المصبوخ ألوائنًا ، لأن الجبال جُدَّدُ بيض وحمر مختلف «وانها ، وعرابيب سود ، فإذا يُسُّت رطوِّرت في الجَنِّ أشهب العهن المنفوش إذا طيرته الربح .

١٠ - وَلَا يَسْئَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا.

لا يسأل صديق صديقه ، ولا قريب قريبه عن شأنه ، لشقل كل إنسان بنفسه ، وذلك لشدّة ما يحيط بهم من الهول والغزع .

۱۱، ۱۱، ۱۳، ۱۳، ۱۴ – يُمَمَّرُو لَهُمْ يُودُّ ٱلْمَجْرِمُ لَوْ يَقْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِيلَمِ بِيَنِيهِ ۥ وَصَنْحِجَبِهِ وَأَحِمِهِ ۥ وَفَصِيلَتِهِ آتَى تُنْوِيهِ ۥ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ جَعِيهَا ثُمَّ يُنجِيهِ .

أى: ببصر الحميم حميمه ، والصديق صديقه ، والقريب قريبه ، لا يخفى منهم أحد عن أحد ، ولا يتساءلون ، ولا يكلّم بعضهم بعضا من شدة الهول ، وانشغال كل إنسان بنفسه .

قال ابن عباس:

يُبَصُّرُونَهُمْ . أي : يعرف بعضهم بعضا ، ويتعارفون بينهم ، ثم يفرّ بعضهم من بعض .

يود الكافر أن يفدى نفسه من العذاب بأعزّ ما يملك ، ويتمنّى أن يقدم أبناءه وروجته وأهاه وعشيرته التى تؤريه وتضمّه إليها إذا ألمت به ملمّة ، ويتمنى أن يقدم أيضًا جميع من فى الأرض ، ليفتدى نفسه من الحذاب ، فيقدم أعزّ الناس عليه ، بل كل من فى الأرض رغبة فى النجأة من العذاب فى ذلك اليوم .

١١ ، ١٩ - كَالَّا إِنَّهَا لَظَيْ ، نَزَّاعَةُ لَّلَسُّوى .

كُلاً . حرف ردع وزجر ، أي : ليرتدع المجرم عن هذه الأماني ، فلا فداء ولا شفاعة ، فليرتدع الكافر الأثيم عن ذلك ، فليس ينجيه من عذاب الله فداء ، بل أمامه جهنم تتلظّى نيرانها وتلتهب ، وتتلمظ غضبًا على من عصى الله ، وتلتهم الكافر فتنزع وتقتلع أطرافه ، وتلتهم جلدة رأسه فتبتّكها وتقطّعها ثم تعاد .

قال المفسرون:

لزُّاعَةٌ لِّلشَّوْعُ ، والشواة جلدة الرأس ، تنزعها بشدة من الإنسان ، كلما قلعت عادت كما كانت ، زيارة في التنكيل والعذاب ، وخصّها بالذُكر لأنها أشدُ أجزاء الجسم حساسية وتأثرًا بالنار .

١٨ ، ١٧ - تَدْعُواْ مَنْ أَذْبَرَ وَتَوَلَّىٰ . وَجَمَعَ فَأَوْعَيْ .

تدعو جهنم يدم القيامة إليها كل أصحابها ، وكل من استحق العذاب فيها ، تلقط الكافرين من أرفى المحسر ، كما يلقط الطير الحبّ ، وتناديهم بلسان فصيح مبين ، تقول بلسان حالها ، أو بلسان بخلقه الله فهها : تعالوإلى ، وتعذبها في داخلى ، واحتلوا أماكنكم في جهنم ، يا كل من أدبر وولى دبره لدعوة الإسلام، وأعرض عن سماع القرآن ، وإنشفل بجمع المال الحرام ، وكنزه في وعام ، وربط عليه فلم يؤد زكاته .

قال ابن كثير:

وَجَمَعُ قُلْوَعًى . أي : جمع المال بعضه على بعض ، فأوعاه أي أوكاه (أي ربط عليه ، وحبس حق الله قيه) ومنع الواجب عليه في النقلات وإخراج الزكاة .

وقد ورد في الحديث : «ولا توعى فيوعى الله عليك» (^{٢١٦}، أي : لا تحبس حق الفقير والمسكين ، فيضيلً الله عليك ، وكان عبد الله بن حكيم لا يُربط له كيس ، يقول : سمت الله يقول : رُجَمَع فارُغيٍّ .

وقال الحسن البعبري: يا ابن أنم ، سمعت وعيد الله ثم أوعيت الدنيا .

وقال قعادة : وَجَمَعَ فَأُوْعَيْ . كان جموعًا قمومًا للخبيث .

وقال المفسرون: جمع المال ولم يؤد زكاته ، وتشاغل به عن دينه ، وزها باقتنائه ، وتكبر وتجبر فكان جفوعا منوعا .

الخصال العشر التي تعالج طبع الإنسان

المفردات:

هــــــا وهمسما ، كثير الجزم ، شديد الحرص .

جــــزوعـــا؛ كثير الجزع والأسى.

عسلى صلاتهم داشمون، مواظبون عليها ، لا يشظهم عنها شاغل.

والذين في أموالهم حق معلوم ، قدر معين يستوجبونه على أنفسهم ، تقريباً إلى الله ، وهو الزكاة .

السيب مستحسب روم ، من العطاء لتعقفه عن السؤال .

مشيق استعظامًا لله تعالى.

المجاوزون الحلال إلى الحرام.

لأماناتهم وعهدهم راعون ؛ لا يُخِلُون بشيء مما اؤتمنوا عليه ، ولا مما أعطوا عليه العهد للوفاء به .

تمهيد :

بعد الحديث عن أوصاف يوم القيامة ، تحدثت السورة عن طبائع البشر ، واتَصافهم بالجزع والهلم والمنع التى تجمع أصول الأخلاق الذميمة ، ثم استثنى المؤمنين الذين يعملون صالح الأعمال ، ويتصفون بعشر صفات كريمة ، وهى جماع المثل الأعلى لمن يكين قدوة يقتدى به في خُلقه وسلوكه .

لتفسيره

٧٩ ، ٧٠ ، ٢١ - إِنَّ ٱلْإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا هِ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جِزُوعًا هِ وَإِذَا مِسَّهُ ٱلْخِيرُ مَنُوعًا .

تلك صفات جِبلِّيَّة فطرية في الإنسان ، أي الكافر أو أيّ إنسان لم يأنس قلبه بنور الإيمان ، من شأن أن يتصف بالهلع ، وهو شدة الحرص وقلة الصبر ، فلا يصبر على بلاء ، ولا يشكر على نعماء .

إِذَا مَسَّهُ ٱلشُّرُّ جَزُوعًا .

أى: إذا أصابه الفقر أن المرض ، أن المصيبة في ماله أن زرعه ، أن أسرته أن منزله ، اشتدُ جزعه وحزته. وشكراه .

وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْحَيْرُ مَنُوعًا .

وإذا جاء إليه المال أن الجاه ، أن السلطان أن العافية ، منع خيره عن الفقور والبتيم ، والأوملة والمصاب ، ويخل على غيره .

روى الإمام أحمد ، وأبو داود أن رسول الله ﷺ قال . «شرُّ ما في رجل شعُّ هالم ، وجبن خالم، "".

وقال ﷺ: «عجبًا لأمر المؤمن إن أمره كله خير ، إن أصابته سرًاء بتكر فكان خيرًا له ، وإن أصابته ضرًاه صبر فكان خيرًا له، ٣٩.

٢٧ - ٢٧ - إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ، ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلاتهِمْ دَاتِمُون .

استثنى الله مدن اتصف بالهلع والجزع والمنع فئة المصلين ، فإن الصلاة تربط المؤمن بالله ، وتجعله يحنّ إلى الوقوف بين يديه وطاعته ، وامتثال أمره واجتناب نواهيه ، فتزيده الصلاة يقبنًا وهدوه بالر، وانشراح صدر وجميل عطاء .

ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآثِمُونَ .

فهم مستعرون فى المحافظة عليها ، لا يتركون صلاة مفروضة ، بل يودون جميم الفرائض ، ويحفُونها بالنوافل .

وقيل : معنى : ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ ذَآئِمُونَ .

أي: خاشعون في الصلاة ، يتدبرُون معاني ما يقرأون ، وما يُسبِّحون ويحمدون ويكبُرون ، فهم في الصلاة جسمًا وررحًا ، مداومون على الخشوع داخل الصلاة ، مداومون على إتمام ركوعها وسجودها وخشوعها ، وذلك بمعنى قوله تعالى: قَدْ أَلْمُعَ ٱلْمُؤْمُونُ وَ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صُلاَتِهِمُ صُنْفُونُ ((المؤمنين ، ٢٠).

ومن معانى المداومة على الصلاة الاستمرار في الصلاة وإكمالها ، بإسباغ الوضوء لها وأدائها في أول الوقت ، وصلاة النوافل معها ، والبعد عن المعصية واللغو وكل ما يضاد الطاعة .

قال تعالى : إِنَّ ٱلصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكُرِ ... (العنكوت: ٤٥).

وفي الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: «أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قلَّ» [10].

٢٤ ، ٧٥ -- وَٱلَّذِينَ فِي آمْوَا لِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ . لَلسَّآلِل وَٱلْمَحْرُومِ .

لقد أوجبوا على أنفسهم حقًا معلومًا في أموالهم ، فهم أوجبوا على أنفسهم فريضة الزكاة في أموالهم أو تجارتهم أو زراعتهم ، أو أموال الرُكاز وما يستخرج من باطن الأرض ، يخرجون زكاته ، وينفقونها في مصارفها الشرعية ، ويقدَّمون الزكاة والصدقة للسائل الذي يسأل ، وللمحروم المتعفف الذي لا يسأل .

قال تعالى : يَحْسَبُهُمْ ٱلْحَاهِلُ أَغْنِيآءَ مِنْ ٱلْتَقُفُو تَقُرِقُهُم بِسِيمَنْهُمْ لَا يَسْتَلُونَ ٱلنّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُعْفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنْ ٱللَّهُ بِهِ عَلِيمٌ . (البقرة : ۲۷۷) .

٢٦ - وآلْلِينَ يُصدَّنُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ.

والذين يوقنون بيوم الجزاء يقينًا صادقًا لا «لك فيه ، كأنهم يرون القيامة ، ويشاهدون الحساب والجزاء ، وهذا يدفعهم إلى العمل الصالح والسلوك الحميد ، لأنَّ الكثيرين يُصدَفون بيوم الدين لكن من ترجم التصديق إلى سلوك وعمل هو الفائز ، بتجنيه الحرام ، وإقباله على الطاعات ، ويعده عن المفهيات ، وتجنُّبه للشبهات ، وانشقاله بمرضاة ربَّه .

٢٧ ، ٢٨ - وَٱلَّذِينَ هُم مَّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ، إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ .

إنهم يخافرن غضب الله وعقابه ، فلا يأمنون مكره ، ولا يجترئون على معاصيه ، وفى كتاب (إحياء علوم الدين) للإمام أبى حامد النزالي ، (باب فى فضل الرجاء والأمل فى رحمة الله) ثم (باب فى فضل الشوف والإشفاق من غضب الله) ، ثم ذكر أن الخوف والرجاء جناحان يطير بهما المؤمن فى سماء الطاعات ، وإذا زاد الرجاء عن حدِّه صار طمعًا بدون عمل ، وإذا زاد الخوف عن حده صار يأسًا من رحمة الله ، والمؤمن مطالب بالجمع بين الخوف والرجاء ، فإذا كان الإنسان في مرحلة الشباب والقوَّة ، وجب أن يغلّب الخوف على الرجاء حتى يعصمه ذلك من المعصية ، وإذا كان في مرحلة الشيخوخة والضَّعف ، وجب أن يغلب الرجاء على الخوف حتى يلقى الله وهو متمثّع بالأمل في رحمته وقبول توبته .

إِنَّ عَلَابَ رَبُّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ .

إن عذاب الله واقع حتمًا بكل من يستحقُّه.

قال تعالى : ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ... (الأنفال : ٢) .

وقال عزَّ شأنه : وَٱلَّذِينَ يُؤْلُونَ مَا ءَاتُواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَّةَ اللَّهُمْ إلىٰ ربَّهِمْ راجعون . (المومن، ن ٦٠)

وقال تعالى : فَلَا يُأْمَنُ مَكُرُ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَاسِرُونَ . (الأعراف . ٩٩) .

٣٠ ، ٢٩ – وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَلْفِظُونَ هِ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْواجِهِمْ أَوْ ما ملكتَ أيْمائهُمْ فاتَّهُمْ غيرٌ ملُومين .

أباح الإسلام الاتصال الجنسى بين الزوج والزوجة ، ورسم لذلك نظامًا وآدابًا ، مثل عقد الزواج الصحيح ، والنفقة والعشرة بالمعروف ، وطاعة الزوجة لزوجها ، وقيام الزوج بواجباته ، والزوجة بواجباتها .

وفي هذه الآية ما يفيد أنَّ المؤمنين من صفاتهم حفظ فروجهم عن الزنا واللواطة ، وبعدهم عن الفاحشة ، لكن الله أباح لهم إشباع رغبتهم وجماع زوجاتهم اللاني أحلهن الله لهم .

أوْ مَا مَلَكُتْ أَيْمَنْهُمْ . وهن الأسيرات من الجهاد في سبيل الله ، يباح لمن ملكها أن يستبرئ رجمها ليتأكد من خلوَها من الحمل ، وله جماعها بعد العدّة ، فإذا حملت صارت أم ولد ، أعتقها وادها ، ونهى الإسلام عن بيع أمّهات الأولاد ، وهذه العلاقة الصريحة النتليفة من محاسن الإسلام ، دوت أباح الزواج الشرعى والتّسرّي بملك اليمين ، وقد نظر الإسلام إلى الرّق نظرته إلى نهر يجرى ، فضروَ المنابع ووسّع المصبّات ، وكان ذلك حربًا بأن يجفّ نهر الرق ، والأن .. انتهى الرق بحمد الله مدنيًا ودينيًا

لكن التقارير تشير إلى أن هناك تجارة رائجة كبيرة ، هى ثالث نجارة فى العالم ، بعد تجارتى السّلاح والمخدّرات ، تلك التجارة هى تجارة الرقيق الأبيض ، تباع فيها ملايين النساء والأطفال والبنات ، بفصد الاتجار فى الجنس ، وهناك عصابات دولية تحدد ثمن كل فتاة وكل ولد وكل امرأة والقرآن نزل والزنا منتشر ، فحرّم الزُّنا واللواط والمثلية الجنسية ، وشجّع الزُّواج الحلال ، والعلاقات النظيفة الواضحة .

قال تعالى : وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُو جِهِمْ حَنْفِظُونَ ، إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَا جِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَنْهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ .

فهم لديهم شهرة ورغبة رفوّة ، لكنهم يحفظون فروجهم عن الحرام ، ولا يبيحون لأنفسهم الجماع إلا مع زرجاتهم الشرعيات ، أو جواريهم اللاتى يملكونهن بعلّك اليمين الذى كان معاملة بالمثل لمن يحاريهم الإسلام فى بلاد الفرس والروم وغيرهما ، وكان الإسلام مضطرًا أن يعامل أسيرات الحرب بمثل ما تعامل به الأسيرات المسلمات فى تلك البلاد ، ومع ذلك وحتى القرآن بالرقيق ، وحث على العتق ، وجعل عتق الرقيق . كفارة لأخطاء يتكرر وقوعها فى المجتمع ، مثل كفارة الظهار ، والحنث فى اليمين ، والقتل الخطأ ، وغير
ذلك .

إن غيرنا يبيح تعدد العشيقات والعُشَّاق، أما الإسلام قلا يبيح إلا علاقة شرعية نظيفة أمينة واضمة.

٣١ – فَمَنِ ٱلنَّفَىٰ وَرَآءَ ذَالِكَ فَأُولَا بِمَكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ .

فمن أنشأ علاقة أثمة مع غير زوجته ، أو مع غير ما ملكت يمينه ، فإنه معتر أثم ، حيث ترك زوجته الحلال ، وأنشأ علاقة أثمة مع من لا تحلُّ له .

قال ﷺ: «رأيت ليلة أسرى بى رجلاً بين يديه طعام هنى، نضيج ، وطعام خبيث نيِّى ، فجعل الرجل يترك الطعام الهنىء النضيج ، ويأكل من الطعام الخبيث النيّع ، فقلت : ما هذا يا جبريل ؟ قال : هذا الرجل من أُمْتُك تكونُ عنده زوجته حلالاً طيبًا ، فيتركها ويبيت بامرأة خبيثة ، والمرأة من أمثك تقوم من عند زوجها حلالاً طيبًا طاهرًا ، فتتركه وتبيت برجل خبيثه ،

قال الطبرى :

من التمس لقرجه منكحًا سرى زوجته أن ملك يمينه ، فقاعلو ذلك هم العادُون الذين تعدُّرا حدود ما أحلَّ الله لهم إلى ما حرمه عليهم ، فهم الملومون . ا هـ.

٣٧ - وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ .

هم يحافظون على الأمانة ويوفون بالعهود ، وقد تكررت توصية القرآن الكريم والسنّة المطهرة بالمحافظة على الأمانة والوفاء بالعهد . قال تعالى : إِنَّ ٱللَّهُ يَامُرُكُمْ أَنْ تُؤُدُّواْ ٱلْأَمَنَنْتِ إِلَى ٱلْمَلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بين آلناس أن تحَكُمُوا بَالْمَلْل ...
(النساء ٥٨٠)

والأمانة الكبرى هي طاعة الله وعدم الشرك به ، والالتزام بنواميس الإسلام وفرانضه ، وأركانه وآدابه ، فالمسلاة أمانة ، والكيل أمانة ، والوزن أمانة ، وكذلك الزكاة والمسيام والحج ، وسانر شعائر الإسلام .

قال تعالى : إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَالَةَ عَلَى ٱلسَّمَنُوٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبالِ فَابِيْنِ أَن يَحْمَلُنها وأَشْفَقُن مِنْها وحملها آلونسْنُنُ ... (لاهزاب: ٧٧).

وقال تعالى : وَأَوْفُواْ بِٱلْعَهْدِ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْتُولاً . (الإسراء ٣٤٠).

وقال تعالى : وَٱلْمُولُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَنْهَذُواْ ... (البقرة : ١٧٧) .

وقال ﷺ : «يا معشر الناس ، انسمنوا لى ستًا أضمن لكم البينة : اصدقوا إذا حدثتم ، وأوفوا إذا عاهدتم ، وأدّوا الأمانة إذا اوتمنتم ، وغضوا أيصاركم ، واحفظوا فررجكم ، وكُوّوا أيديكم،'''''

٣٣ - وَٱللَّذِينَ هُم بِشَهَادًا تِهِمْ قَالِمُونَ .

يؤدون الشهادة احتسابًا لهجه الله ، ويؤدونها على وجهها الصحيح ، لما يرتبط بها من أداء الحقوق ، وصيانة الأمانة ، بل الشهادة نفسها أمانة من الأمانات ، وقد أفردها بالذكر لأهمرتها

قال تعالى : وَأَقِيمُواْ ٱلشَّهَـٰئِدَةَ لِلَّهِ . . . (الطلاق: ٢) .

وقال تعالى : وَلَا تَكُتُمُواْ ٱلشَّهَادَةَ وَمَن يَكُتُمْهَا فَإِنَّهُ وَاللَّهُ لَلَّهُ . . . (البقرة ٢٨٣) .

وقد أمرينا أن نُودُى الشهادة على وجهها الصحيح ، بدون ميل إلى قريب أو شريف ، أو غنى أو فقير ، أو قريب أو حبيب ، إظهارًا للصلابة في الدين ، ورغبة في إحياء حقوق المسلمين .

قال تعالى : يَنْلَقُهَا ٱلَّذِينَ عَامَنُواْ كُونُواْ قَوْمِينَ بِٱلْقِيسُطِ لِحُهَدَاءَ لِلْهُ وَأَوْ عَلَيْ الفَسِكُمْ أَو ٱلوالدين وآلاُلُورِينَ إِن يَكُنْ غَيُّا أَوْ فَقِيرًا الْآلِلُهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلَا تَتَبِعُواْ ٱلْهُوَىٰ أَن تَعْدِلُواْ وَإِن تَلُواْ أَوْ تَعْرِضُواْ فَإِنْ ٱللّهَ كَانَ بِما تَعْمَلُونَ عَبِيرًا . (النساء: ١٣٥).

٣٤ - وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلاَتِهِمْ يُحَافِظُونَ .

يحافظون على إقامة المسلاة بتغريخ القلب لها ، وتدبّر التلاوة ، واستحضار الخشوع والخضوع في القراءة والقيام والركوع والسجود ، مع طهارة الهدن والثوب والمكان والقلب .

قال المفسرون:

والدوام غير المحافظة ، فدوامهم عليها أن يحافظوا على أدائها ، لا يُخلُون بها ولا يشتغلون عنها بشىء من الشواغل ، ومحافظتهم عليها أن يراعوا إسباغ الوضوء لها ، ومواقيتها ، ويقيموا أركانها ، ويكملوها بسننها وآمابها ، ويحفظوها من الإحباط باقتراف المآثم ، فالدوام يرجع إلى نفس الصلوات ، والمحافظة ترجم إلى أحوالها ٩٠٠.

وإذا نظرنا إلى الصفات العشر وجدنا أنّها بدئت بالمسلاة ، وختمت بالصلاة ، مما يدل على العناية بها ، والتنويه بشرفها ، فهى صلة بين المخلوق والخالق ، وهى عماد الدين ، وهى وسيلة القربى والزلفي إلى الله رب العالمين .

و خلاصة الصفات التي اتصف بها المؤمنون ، عشر صفات هي :

١ - المبلاة .

٢ -- المداومة عليها في أوقاتها.

٣ ~ إقامتها على الوجه الأكمل بحضور القلب، والخشوع للرب، ومراعاة سننها وآدابها.

3 -- التصديق بيوم الجزاء يقينًا واعتقادًا وسلوكًا.

إخراج الزكاة وإعطاء الصدقات من أموالهم للفقراء والمحرومين.

٦ - مراعاة العهود والمواثيق.

٧ -- أدام الأمانات إلى أهلها .

٨ - حفظ فروجهم عن الحرام.

٩ -- أداء الشهادة على وجهها.

١٠ -- الخوف من عذاب الله .

٣٥ - أُوْلَائِكَ فِي جَنَّلْتٍ مُّكُرَّمُونَ .

أى: هولاء المتَّصفون بتلك الصفات الحميدة يستقرُون في جنات النعيم . يلقون فيها ما تشتهيه الأنفس وتلدُّ الأمين ، ويلقون فيها صنوف التكريم الحسَّى ، والتكريم المعنوى ، ويشمل ذلك القربي من الله , والتمتم برضوان الله ، ولذة النظر إلى وجه الله العظيم ، والحصول على رضوان الله فلا يسخط عليهم أبيًا.

ختام سورة المعارج

﴿ فَالِ الَّذِينَ كَفَرُواْقِ لَكَ مُعْطِعِينَ ﴿ عَنِ الْمَدِينِ وَعَنِ الشَّمَالِ عِنِنَ ﴿ الْمَالَعَمُ حُكُّ الْمَرِي مِنْهُمْ أَن يُدَّخَلَ جَنَّةَ فَعِيمِ ﴿ كُلَّ أَيْاَ خَلَقْنَهُم مِّمَا يَعْلَمُونَ ﴿ اللهِ فَذَرْهُمْ يَخُوشُواْ وَيَلْمَبُواْ حَنَّى يُلَعُواْ وَمُكُر إِنَّا لَقَيْدُونَ ۞ عَلَ أَن نُبُكِلَ خَوْلَيْنَهُ وَمَا عَنْ يُمِسْبُووَنَ ﴿ اللهِ فَذَرْهُمْ يَخُوشُواْ وَيَلْمَبُواْ حَتَّى يُلْعُواْ وَمُكُمْ الذِي يُوعَدُونَ ۞ يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْحَجَدَافِ مِرَاعًا كُنَّهُمْ إِلَى نُصُبِي وَفِضُونَ النَّهُ الذِي عَمَا اللهُ عَنْهُمْ مَنْ اللهُ عَلَيْهِ مَا اللهُ عَلَيْهُمُ اللهِ عَلَيْهِ اللهُ عَنْهُمْ وَلَا اللهُ عَنْهُمُ اللّهُ عَلَيْهِ اللّهُ اللهُ عَلَيْهُمُ اللّهُ اللهُ اللهُ اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ عَلَيْهُ اللّهُ الْوَاللّهُ اللّهُ الللللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُولُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ الللّهُ اللللللّهُ الللل

المقردات ،

قب الجهة التي تليك .

مسهسط مسيس ، مسرعين نحوك ، مادّين أعناقهم إليك ، مقبلين بأبصارهم عايك ، لوظفروا بما يجعلونه هُزُوّا .

ب مسب وقب ين ، بمغلوبين ، إن شئنا تبديلهم بخير منهم .

هنرهم يخوشوا ويلعبوا ، اتركهم في باطلهم الذي تحودوا الدخول فيه واقترافه والحديث عنه ، ولا تعبأ بلعبهم في بلعبهم في دنياهم فإنه لا يجدى .

الــــــنصـــــــــــــ، كل شيء منصوب كالعلم والراية ، وكذا ما ينصب للعبادة ، والأنصاب جمع جمع . يــــــــوفف ــــــون ، يسرعون .

تـــرهــــقـــهـــم؛ تغشاهم.

تمهيد:

تستعرض الآيات أعمال الكافرين ، واستماعهم للرسول ﷺ ثم نفارهم من دعوته ، وادعاءهم أنهم أنهم الله خلق الناس أولى بالجنة ونعيمها من الفقراء البسطاء أصحاب محمد ﷺ ، ثم ردّ عليهم القرآن بأن الله خلق الناس جميعًا من نطقة مزرة ، ثم سوَّى الله الإنسان بشرًا سويًا ، وكرُّمه بالعقل والإرادة والاختيار ، وحكم بأن من سما بنفسه وزكُّاها بالطاعة والامتثال لأمر الله فله الجنة ، وبأنَّ من دسَّى نفسه وآثر الكفر والمعصية فله للحذاب يوم القيامة ، ثم أقسم للحق سبحانه بنفسه أنه قادر على أن يهلكهم ، وينشئ خلقاً أطوع لله منهم ، ثم أمر نبيًّ ﷺ أن يتركهم وشأنهم ولا يُبالى بهم ، فسيلقون الجزاء يوم القيامة ، حين يخرجون من فُبورهم مسرعين ، كأنهم ذاهبون إلى أصنام منصوبة لعبادتها ، فهم يسرعون أيُهم يستلم المُسْنم أوَّلا ، وسيحشرون أذلاء ، ناكسة رؤوسهم ، ذليلة عيونهم ، حيث يقال لهم : هذا هو اليوم الذي وعدتم به في الدنيا فأنكرتم واستكبرتم .

سبب النزول ،

ذكر الواحدى في سبب نزول قوله تعالى : أَيْطْمَعُ كُلُّ آمْرِي مِّنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ لَعِيمٍ.

قال: كان المشركرن يجتمعون حول النبي ﷺ ، يستمعون كلامه ، ولا ينتفعون به ، بل يكذّبون به ويستهزئون ، ويقولون: لكن دخل هؤلاء الجنة ، لندخلتُها قبلهم ، وليكونن لنا فيها أكثر مما لهم ، فأنزل الله تعالى هذه الآية .

التفسير،

٣٦ ، ٣٧ - فَمَال ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ ه عَن ٱلْيَمِين وَعَن ٱلشَّمَال عِزِينَ .

كان كفار مكة يسرعون الخطي إلى الكعبة ، ويلتفون جماعات جماعات حول النبي ﷺ ، يسمعون ما يقوله ثم يحرَّفونه ، ويستهزئون بكلام النبي ﷺ ، ويسخرون من فقراء المؤمنين ، ويقولون : إن دخل هؤلاء الجنة لندخلتُها قبلهم ، فأنزل الله هذه الآيات .

والمعنى:

أى شيء حملهم على الإسراع تجاه المكان الذي تجلس فيه يا محمد ، حال كونهم متحلّقين عن يعينك وشمالك ، فرقًا متعددة ، كل فرقة تعتزى وتنتسب إلى غير ما تنتسب إليه الفرقة الأخرى ، لقد حرموا أنفسهم من الهدى ، وأمامهم رسول كريم يحمل وحى السماء ، فلم يهتدوا به ، وأصروا على الكفر والضلال ، ومحاولة الاستماع للقرآن استماع الباحث عن عيب ، الكاره للهداية ، فما أظلمهم لأنفسهم ، حيث باعوا الهدى واشتروا الضلالة ، مم قرب الوسيلة منهم ، فقد حرموا أنفسهم من أبلغ نافع ، مع وجوده قريبًا منهم ، مند حرووا أنفسهم من أبلغ نافع ، مع وجوده قريبًا منهم ،

٣٨ ، ٣٩ - أَيُطْمَعُ كُلُّ آمْرِي مُنْهُمْ أَن يُذْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ . كُلَّا إِنَّا خَلَقْنَلْهُم مُمَّا يَعْلَمُونَ .

تجاوز الكفّار حدودهم حين قالوا: لثن دخل أتباع محمد الجنة ، وهم فقراه بسطاه ، لندخلتُها قبلهم . فنحن أفضل منهم في الدنيا ، وسنكون أفضل منهم في الأخرة .

وكان جواب القرآن لهم:

كُلًّا . حرف ردع وزجر ،

لقد خلفتا النَّاس جميعًا من منى يمنى ، أى أن الله سوى بين الناس جميعًا في الخلق ، وترك لكل إنسان العقل والإرادة والاختيار ليسلك طريقه في الدنيا عن قصد وإرادة واختيار فأمًا من طفي ، وعاثم أَلْحَوْلُهُ اللَّئِنَّ وَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِي ٱلْمُأْوَعُ ، وَأَمَّا مُنْ خَافَ مَفَامُ رَبِّهِ وَنَهِي ٱلنَّفُسِ عن آلهوئ ، فإنَّ آلجِتَه هر آلهاؤ يْ

(الدارعات ۲۷ - ۱۱)

وفي الحديث الشريف : «الخلق كلهم عيال الله ، الله ربُهم وهم عباده ، يتفاضلون عنده بالتقوى ، ويدركون ثوابه بالعمل المسافح» .

وقال تعالى : يَنْأَلُهُمُ الثَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكْرٍ وَأَنفَى وَجَعَلْنَكُمْ شُعُوبًا وقيائل لتعارفوا إنَّ انحُو مكم عند الله أَنْفَاكُمُ إِنَّ اللهُ عَلِيمٌ خَسِرٌ . (الصحوات: ١٣).

وخلاصة المعنى:

أيطمع هزلاء الكفار — وحالتهم واضحة من الكفر والتكذيب فرسولى — أن يدخلوا الجنة ؟ كلا ، إن أعمالهم تقودهم إلى جهنم ، لقد خلقناهم مما يعلمون ، من نطفة مزرة ، ليعملوا ويطيعوا . فتكبّروا وأعرضوا ، فصاروا أهلا للفار لا للجنة . أخرج أحمد ، وابن ماجة ، عن رسول الله ﷺ قال : «يقول الله تعالى : ابن آدم ، أنَّى تعجزنى وقد حلقتك من نطفة مزرة ، حتى إذا سويتك وعدلتك مشيت بين بردين ، وللأرض منك وديد ، فجمعت ومنعت ، حتى إذا بلغت التراقى أتى أوان الصدقة: "".

و ٤ ، ١ ٤ - فَلا أَفْسِمُ بِرَبُ ٱلْمَشْدِ قِ وَٱلْمَغْدِبِ إِنَّا لَقَدْدِرُونَ ، عَلَىٰٓ أَن أُبَدَّلَ حَيْرًا مَنْهُمْ وَمَا نَحَنْ بِمَشْبُوقِينَ .

أى أقسم بالله الخالق ، رب المنثارق والمغارب ، أى مشارق الشمس والقمر والنجوم ومغاربها ، فللشمس فى كل يوم من أيام السنة منزلة لشروقها ومنزلة لغرويها ، وكذلك القمر والنجوم ، أو المراد مشارق الشمس وهى فى كل لحظة تشرق فى مكان وتغرب عن مكان ، وكذلك القمر والنجوم ، وكل ذلك يوهى بالعظمة والجلال ، والقدرة والإبداع للخالق المبدع الذى أحسن كلّ شىء خلقه .

قال تعالى : لَخَلْقُ ٱلسَّمَوَاتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَسْكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ . (عافر : ٥٧).

وقد أقسم القرآن بجهتى الشرق والغرب ، والمراد بهما الجنس ، فهما صادفان على كل مشرق من مشارق الشمس ، وعلى كل مغرب من مغاربها ، ويذلك يتبين أنه لا تعارض بين مجىء لفظتى الشرق والغرب تارة بصيغة المغرد ، وتارة بصيغة المثنى ، وتارة بصيغة الجمم .

فقال تعالى : رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَا إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِلْهُ وَكِيلاً . (المزمل: ٩) .

وقال تعالى: رَبُّ ٱلْمُشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمُشْرِقِينِ. (الرحمن: ١٧).

أي : مشرق ومغرب الشتاء والصيف ، أو الشمس والقمر .

وقال تعالى : فَلاَّ أَقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَارِقِ وَٱلْمَعَارِبِ إِنَّا لَقَاعِيرُونَ .

والمقصود بيان عظمته تعالى وقدرته ، ويديع خلقه ، والتهوين من أمر الكافرين .

عَلَىٰٓ أَن لَٰبَدَّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ .

أى: أقسم برب المشارق والمغارب إنا لقادرون على أن نذهب بهؤلاء الكافرين كما أملكنا من سيقهم من المكذبين ، وأن نأتى بقوم أطوع لله منهم ، وأفضل استقامة ، وأكثر اعترافًا بفضل الله ، وما نحن بمغلوبين على أمرنا ، ولا توجد قوة تمنعنا عن تنفيذ ما نريد ، سوى أن حكمتنا البالغة اقتضت تأخير عقوبتهم . قال تعالى : يَكَأَيُّهَا آثنَاسُ أَثُمُ ٱلْلُفُورَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ آلَفَيْنُ ٱلْحَمِيدُ . إِن يشأَ يُذْهِبُكُمُ ويأت بخلقِ جديدٍ . وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَعْزِيزٍ . (داطر: ١٥ – ١٧) .

٢٤ – فَلَرْهُمْ يَتُحُوصُواْ وَيَلْعَبُواْ حَتَّىٰ يُلَنَّقُواْ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِي يُوعَدُونَ .

وما دام الأمر كذلك ضاترك هؤلاء الكفار يخوضوا في باطلهم ، ويلعبوا في لهوهم وأثامهم، واستخفافهم بوعيد الله وقدرته ، حتى يجدوا أمامهم يوم القيامة وجهًا لوجه ، ذلك اليوم الذي وعدهم القرآن به ، وحذَّرهم من عذابه وعقابه ، والمراد من الآية التهديد والوعيد بذلك اليوم ، الذي سيجدونه أمامهم وفيه جميم أعدالهم .

قال تعالى: وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرًا وَلاَ يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحْدًا . (الكهف: ٤٩).

 ٤٤ - ٤٤ - يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَٱنْهُمْ إِلَىٰ نَصْبِ لِيوفطون و حنشعة الصرْؤهم ترفقهم ولة ذا لك آلزوة الذي كانوا إيرعمدون .

اذكر يوم يقومون من قبورهم مسرعين لتلبية النداء ، والوقوف في عرصات القيامة الخصل القضاء، كأنهم في إسراعهم إلى ساحة القيامة ، كما كانوا في الدنيا يهرولون إلى شيء منصوب علم أو راية أو صنم من الأصنام .

قال المفسرون:

كان الإسراع إلى المعبودات الباطلة وسائر الطواغيت من عادات المشركين ، وكانوا إذا أبصروا أصنامهم أسرعوا إليها، يحاول كل منهم أن يستلم الصنم أوّلا، وفي هذا التشبيه تذكير بسخافة عقولهم، وتهكم بإسراعهم إلى الباطل، وفرارهم من الحق.

خَلْشِعَةً أَبْصَلُوهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةً ذَالِكَ ٱلَّذِهُمُ ٱلَّذِي كَانُواْ يُوعَدُونَ .

إنهم يحشرون يوم القيامة أذلاء ، منكسرة عيونهم ، تغشاهم المذلة والمهانة والعذاب والهوان في ذلك المبور و المبوران في ذلك المبورة ، يدم القيامة ، الذي توعُدهم القرآن به وحذّرهم من عذابه ، لقد كانوا في أعيادهم يسرعون إلى أصنامهم ، فرحين لاهين عابثين في باطلهم ، لكن الصورة اختلفت عند قيامهم من قبورهم ، فإنهم يحشرون أذلاء مرهقين ، قد بدا الانكسار في عيونهم ، وإرهاق المذلة على أبدانهم ، بسبب استهتارهم بذلك العوم ، واستبعادهم لوقوعه .

ويذلك تتوافق بداية السورة ونهايتها ، فقد كانت البداية سؤال سائل من الكافرين عن يوم القيامة ، سؤال استبعاد واستنكار ، وكانت نهاية السورة رؤية اليوم عبانًا ، والإسراع لتلبية الداعى إلى المحشر في حالة من العذاب والهوان والانكسار ، وقد شاهدوا القيامة مشاهدة فعلية واقعية .

قال تعالى: يَوْمَ لَعِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوْمَ لَوَ أَنْ يَنْتَهَا وَيَنَاهُ أَمَناً بَعِيدًا وَيُحَدِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ, وَاللَّهُ زَمُوكَ بِالْجَادِ . (ال عموان : ٣٠) .

* * *

خلاصة ما اشتملت عليه سورة المعارج

- ١ وصف يوم القيامة وأهواله .
 - ٢ وصف النار وعدايها.
- ٣ -- صفات الإنسان التي أوجبت له الجحيم ، وصفات المصلِّين الفائزين .
 - ٤ -- وعيد الكافرين ، وظهور المذلة والانكسار عليهم يوم القيامة .

+ + +



أهداف سورة نوح

(سورة نوح مكية ، وآياتها ٧٨ آية ، نزلت بعد سورة النحل)

فكرة السورة:

السورة قصة نبى كريم من أولى العزم من الرسل، أرسله الله إلى قومه ليدعوهم إلى الإيمان فقاوموا دعوته وأنكروا رسالته ، فلفت فوح نظرهم إلى التأمل في خلق السماء والشمس والقمر ، والأرنس والنبات وسائر المخلوقات ، ولكنهم صمُّوا أذائهم عن سماع الحق ، وحجبوا عيونهم عن النظر في الأدالة الواضحة والحجة الدامغة ، فاستحقوا عقاب الله وأغرقوا بالطوفان في الدنيا ، ولهم في الاخرة عذاب شديد .

أهداف الرسالات :

السورة نموذج حى لمعاناة الرسل مع أقوامهم ، وجهادهم فى سبيل الدعوة ، لقد مكن نوح مع قومه ألف سنة إلا خمسين عاما ، وما آمن معه إلا قليل ، ولقد كان عناد قومه سببا فى هلاكهم ، وكأن الله أواد أن يحذر أهل مكة من العناد ، وأن يذكرهم بمن أهلك من الكافرين .

قال تعالى: وَكُمْ أَهْلَكُنَّا مِنْ ٱلْقُرُونِ مِنْ بَغْدِ نُوحٍ وَكُفَىٰ بِرِبِّك بِلُنُوبِ عِباده خبيراً بصيرًا . (الإسواء ١٧).

يعنى لقد ألهلك الله قوم نوح ، وألهلك من بعده عددًا كبيرًا كعاد وثمود وفرعون ، وكان هلاكهم جزًاء عادلاً ومقاباً مناسباً لقوم يعلم الله إصرارهم على الكفر وبعدهم عن قبول الحق .

لقد صبر الرسل وصابروا من أجل إبلاغ الدعوة إلى أقوامهم ، وحملوا كلمة الله ناصحة نقيه واضحة سليمة ، وعرضوها أمام العيون والقلوب لتبصر وترى آثار قدرة الله وعظيم خلقه ، وليكون إيمانها عن بينة ويقين ، ولقلا يحتج إنسان يوم القهامة بأن الرسالة لم تبلغه .

قال تعالى : رُّسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنلِوِينِ لِتُلاِّيكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌ بْعَدَ ٱلرُّسُل ... (النساء ١٦٥).

ومن هؤلاء الرسل خمسة كانوا أكثر معاناة مع أقوامهم ، وهم : نوح ، وإبراهيم ، وموسى ، وعيسى ، ومحمد ﷺ . وقد كان جهادهم مع أقوامهم آية في تحمل البلاء ، والصبر على الإيذاء والعناد .

قال تعالى : فَأَصْبِرْ كُمَّا صَبَرَ أُولُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ ... (الأحقاف: ٣٠) .

لقد صبر نوح دهرا طويلا على قومه ، وألقى إبراهيم غى النار ، وأردى موسى أبلغ الأذى فصبر ، وحاول اليهود الإيقاع بالمسيح ، والإغراء بقتله فرفعه الله إليه ، وكان خاتم الرسل محمد ﷺ يتحمّل صنوف الأذى وألوان الاضطهاد بمكة ، ويتحمل نفاق المنافقين وكيد اليهود بالمدينة .

ولكن العاقبة كانت للمتقين ، لقد أدى الرسل واجبهم ، وينُغوا رسالتهم ، ونجاهم الله مع المرّمنين ، ثم عاقب الجاحدين .

وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتْنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ، إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ، وَإِنَّ جُندَنا لَهُمُ ٱلْعَلِيُونَ .

(الصافات: ۱۷۱ – ۱۷۳).

مع آيات السورة

 ١ – ٤ - أرسل الله نوحا عليه السلام ليدعو قومه إلى عبادة الله وطاعته ، وقد بلّغ نوح دعوة ربه إلى قومه ، ولخص دعوته في ثلاث كلمات: اعبدوا الله وحده ، واتقوه وآمنوا به عن يقين ، وأطيعوا رسولكم فيما يأمركم به وينهاكم عنه .

ويهذا الإيمان تستحقون مغفرة الله لكم ، والبركة في أعماركم ، ولا شك أن للطاعات مدخلا في راحة البال ، واستقرار العيش ، ومدوم النفس ، وهذا بلا ريب يطيل العمر ويجعله مباركا حافلا بالأعمال النافعة .

 ٩ – ٩ – تعبر الآيات عن جهود نبى كريم فى دعوة قومه إلى الإيمان ، فهو يؤدى رسالته ، وينهض بدعوة قومه ، ويناجى ربه قائلا :

لقد دعوت قومى إلى عبادتك والإيمان بك فى الليل والنهار ، وانتهزت كل فرصة مناسبة لدعوتهم وإرشادهم ، ولكنهم لم يستجيبوا لدعوة الله ، وقابلوها بالجحود والعناد ، وأغلقوا فى وجه الدعوة قلويهم ، وسدوا منافذ العلم إلى نفوسهم ، فجعلوا أصابعهم فى آذائهم ليمنعوها من السمع ، وغطوا عيونهم بثيابهم ليمنعوها من الإبصار ، واستمروا فى عنادهم وكفرهم .

وقد لوّن نرح في أسائيب الدعوة ، فدعاهم علنا في أماكن التجمع فلم يستجيبوا ، فدعا كل فرد على حدة وحاول استمالة الأشخاص وإقناعهم فلم يلق قبولا . ١٠ – ١٧ – وقد دعاهم إلى التوبة والإنبانة رطلب المغفرة من الله، فإذا صدفوا في توبتهم غمرهم
 الله بالنمم، وأذزل عليهم المطر، ورزقهم الأموال والذرية، والبساتين النضرة والمياه الجارية.

٩٣ – ٢٠ – إمّ لا تعظمون الله وهو خالق الأولين والأخرين فى أطوار وجودهم؟ وجميع ما فى الكون يدل على الله، فالسماوات السبع المتطابقة بعضها فوق بعض، والشمس والقمر، وخلق الإنسان ونموه كما ينمو النبات، ثم عودته إلى الأرض بعد الموت، والأرض الممهدة المهيأة للانتفاع بما فى باطنها من كنوز ومعادن، وما فى ظاهرها من زراعة وممناعة وتجارة، كل هذه المخلوقات تدل على الإله الخالق.

٢١ – ٢٥ – في هذا المقطع نسمع آلام نبى كريم ، قدم لقومه سائر الحجيج والبراهين ، ولكن قومه قابلوا دعوته بالتكنيب والعصيان ، واتبعوا الخاسرين الهالكين ، والزعماء المضللين ، وبيتوا أمرهم بالكيد لنرح ودعوته ، وتواصعوا بالذكر الأصنام الخمسة لنرح ودعوته ، وتواصعوا بالذكر الأصنام الخمسة الكبار وهي : ود ، وسواع ، ويغوث ، ويعوق ، ونسر ، وهي أصنام كان قوم نوح يعددونها ثم عبدتها العرب. وهنا ضاف تو حرب بقدمه وضلالهم البعيد ، فدعا الله أن يزيدهم ضلالاً جزاء عنادهم ، لقد ارتكبوا كثيرا من الأخطاء ولذلك أغرقهم الله بالطوفان ، ثم أدخلوا في عذاب القبر وعذاب النار ، ولم يجدوا أحدا ينصرهم وينقذهم من عذاب الله ، وهكذا جزاء كل كافر معاند ، أن يحل به بطش الله القوى الغالب.

أَنَّمَ تَرَكَيْفَ قَضَلَ رَثُكَ يَعَادِ ه إِرَّمَ ذَاتِ آلْبِمَادِ ه آلْبِي لَمْ يَشْلَقُ مِثْلُهَا فِي ٱلْبَلْـدِ ، و وفدو آلَّدين جابوا آلصْغَرَ بِالْوَادِه وَقِرْعَوْنَ ذِى آلَاؤْوَادِهِ ٱللَّهِينَ طَغُواْ فِي آلْبِلَـدِ . فَأَكْثَرُواْ فِيهَا آلفسَادَه فصبّ عليهم رَبُك سؤط عدابٍ ، إِنَّ رَبُّكَ كِالْمِوْصَادِ . (اللهم: ١- ١٤) .

٢٧، ٢٦ – وفي آخر السررة زفرات نبى مكلوم، مكث ألف سنة ثم قوبل بالجمود، فقال: يارب أهلك جميع الكافرين، ولا تترك منهم، جميع الكافرين، ولا تترك منهم أحدا، وليس ذلك حبا في الانتقام، ولكن رغبة في نظافة الأرض منهم، لأن بقاءهم كفارا يضفى منه أن يفتنوا المؤمنين ويضلوهم بالرغبة أو الرهبة، ولا يخرج من أصلاب هؤلام الكافرين إلا فاجر كافر، فالإناء ينضع بما فيه.

٢٨ – وفي آخر آية تبتل نبى كريم بدعاء ندى رضى ، يطلب فيه مغفرة الله له ولوالديه ، ولمن دخل في دعوته وأمن به ، ولسائر المؤمنين والمؤمنات ، أما الظالمون فلا يستحقون الهداية التي أعرضوا عنها ، بل يستحقون أن يزيدهم الله ضلالا إلى ضلالهم ، فمن أعرض عن الله سلب الله عنه الهدى والتوفيق ، وتركه يتخبط في دباجير الظلام : سُمواً الله فَسَيهُمُ " . . (التوبة : ٢٧) .

المعنى الإجمالي للسورة

الهدف الرئيسي للسورة بيان دعوة نوح ، وحرصه على إيمان قومه ، وقد حوت هذه الدعوة ما يأتي :

- (أ) ملك تركهم للذنوب ، وأنهم إذا فعلوا ذلك أكثر الله لهم المال والبنين .
 - (ب) النظر في خلق السماوات والأرض والأنهار والبحار.
- (جـ) النظر في خلق الإنسان ، وأنه يخلق في الأرض كما يخلق النبات ، وأن الأرض مسخرة له
 بتصرف فيها كما يشاء.

وبينت السورة كفر قوم نوح وعنادهم ، وعقابهم في الدنيا والآخرة .

* * 1

إرسال نوح عليه السلام إلى قومه

﴿ إِنَّا أَنْسَلْنَا نُوسًا إِلَى فَوْمِهِ أَنَّ أَنْذِرْفَوْمَكَ مِن فَبْلِ أَنْ يَأْلِيهُمْ عَذَابُ أَلِيدُ ﴿ فَالَا يَفَوْرِ إِنِي لَكُمْ نَلِيرٌ مُّيِئِنُ ۞ أَنِ اعْبُدُوا اللّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيمُونِ ﴿ ۖ } يَغْفِرْ لَكُمْ مِن دُنُويِكُرُ وَيُؤَخِّ رَكُمُ إِلَى آَجُلِمُ سَمَّى إِنَّ أَجُلَ اللّهِ إِذَاجَاءَ لَا يُؤَمِّزُ لَوَكُنتُ مُنَّالُمُونَ ﴿ اللّهِ ﴾

المفردات:

المسمى قصوا منهم مكان جزيرة العرب ومن قرب منهم.

عسسناك ألسيسسم؛ مؤلم في الدنيا بالطوفان ، ومؤلم في الأخرة بنار جهنم .

تستنيسر مسبسيت، منذر موضّع ، بيّن الإنذار .

يقضر تكم من ذنوبكم، يُغفر لكم ذنوبكم التي سبقت في الجاهلية.

ويؤخركم إلى أجل مسمّى: يمدّ في أعماركم إلى الأمد الأقصى الذي قدره الله لكم.

إن أجل الله إذا جاء لا يؤخّر، ما قدره الله لكم ، إذا جاء على الوجه المقدّر به أزلاً لا يؤخّر ، فبادروا في أوقات الإسهال .

التفسيره

١ - إِنَّا أَرْسَلْنَا تُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَدلِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيهُمْ عَذَابٌ ألِيمٌ .

رسالة الرسل

كان أدم عليه السلام الأب الأول للبشرية ، ولعل رسالته اقتصرت على أبناته وأحفاده ، وكان بين أدم ونوح عشرة قرون ، انحرفت فيها البشرية ، وعبدت أوثانا من دون الله تعالى ، فأرسل الله نوحًا إلى قومه . وهو أوّل رسول أرسل إلى قومه ، وأطول الرّسل عمرًا ، وريما كان أطول البشر عمرًا ، لقد جاءت إليه الرسالة وعمره أريعون عامًا ، ثم مكن في قومه رسولاً ألف سنة إلا خمسين عامًا ، ثم جاء الطوفان فأغرق الكافرين ، ونجّى الله المؤمنين ، ثم مكث نوح في قومه ستّين عامًا بعد الطوفان .

لقد طالت رسالة نوح ، وطال تكذيب قومه له ، مع تدرّع نوح بالصبر والحلم ، والجدال الواضع المبين ، حتى تحدّاه قومه قائلين : يُلْتُوحُ قَلْدَ جَلَدُلْقَنَا فَأَكْرُتَ جِدَانَا فَأَبُنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ المُلْدَقِينَ . المبين ، حتى تحدّاه قومه قائلين : يُلْتُوحُ قَلْدَ جَلَدُلْقَنَا فَأَكْثُرُتَ جِدَانَا فَأَبُنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ المُلْدَقِينَ . (٣٤ مد : ٣٧)

الحكمة من إرسال الرسل

خلق الله الإنسان من تراب ، ثم نفع فيه من روحه وأسجد له الملائكة ، ومنحه المقل والحرية والاختيار ، وجعله أهلا للطاعة وأهلا للمعصية ، ثم أرسل الله له الرسل ، وأنزل له الكتب ، لإرشاده إلى الحق والغير والإيمان ، وتحذيره من الكفر والمغنيان ، وقد جاهد الرُسل جهادًا مستمرًا من عهد نوح الأب الثاني للبشرية إلى عهد محمد ﷺ خاتم المرسلين ، جاهد الرُسل وتحمّلوا التكذيب والتعذيب والقتل من أجل الدعوة إلى الإيمان ، ويجان حجة الله تعالى على عباده ، وحتى يكون للجنة أهلها عن عدالة وبيئة ، وللنار أهلها عن عدالة وبيئة .

قال تعالى : زُسُلاً مُبُنِّرِينَ وَمُنْفِرِينَ قِلْاَيْكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُبِيَّةٌ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا . (النساء: ١٦٥)

أرسل الله الرُّسل دعاة إلى الإيمان ، وهداة للبشرية ، ومعلَّمين للحق والخير ، ولا يتقاضين أُجِرًا على تبليغ الرسالة ، وإنما ينقُدُون تعاليم السماء ، ويبلُغن الوحى ، وينصحون الناس ، ويذكّرون الخلق بقدرة الخالق وفضله ، ونعمائه وعدالته ، ويبيئون للناس أن هناك بَكْثًا ونشرًا وحسابا وجزاء وجنة ونارًا ، فمن أطاع فله الجنة ، ومن عصى الله وكتُّب رسله فله النار .

قصة نوح في سورة نوح

وسورة نوح تصل قصته ، ودعوته ، وأدلته على هذا الإيمان ، وجهاده الطويل ليلاً ونهارًا ، وسرًا وجهارًا ، ثم تكنيب قومه له ، وغرق الكافرين منهم ، ونجاة المؤمنين ، وطَّلَّ هذا ديدن البشرية وعقوبة تكذيبها ، مثل قوم عاد ، وقوم ثمود ، وفرعون وملته ، وغيرهم .

قال تعالى : وَكُمْ أَهْلَكُنَا مِنَ ٱلْقُرُونِ مِنْ بَعْلِ نُوحٍ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِلْلُوبِ عِبَادِهِ يَجِيرُ أَ بَعِيرًا . (الإسراء :١٧).

لقد استمرت رسالة الرسل فى خاريخ البشرية الطويل ، وهى من رحمات الله وأفضاله ، أن يرسل الرسل ، وأن ينزل الكتب ، وأن يدعو الناس إلى الإيمان ، وأن يحذُرهم من الكفر والعصيان ، وأن يُمهل العصاة لطهم أن يتوبوا ، فإذا تابوا قَبِل تويتهم .

قال تعالى: إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلثَّوْابِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَلِّهُرِينَ . (البقرة: ٢٢٢) .

عود إلى التفسير

إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنِدِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيهُمْ عَلَىابٌ ألِيمٌ.

الله تعالى هو الذي يتحدث عن فضله بعباده ، فيقول : إننا أرسلنا نوحًا رسولا من عند الله إلى قومه في جزيرة العرب رما حولها ، ليقول القومه : إنّى أحذركم من عبادة الأوثان ، موضع لكم أن العبادة لا تكون إلا لله الواحد الأحد ، الخالق الوازق ، المتّصف بكل كمال ، المنزّ، عن كل نقص .

٧ - قَالَ يَنْقُومِ إِنِّي لَكُمْ نَلِيرٌ مُّينٌ .

قال نرح لقومه : يا عشيرتي ويا قومي ، إنى لكم نذير واضع الإنذار ، صاحب رسالة ودعوة إلى عبارة الله ، وترك عبارة الأصنام .

٣ - أَنِ آعْبُدُواْ ٱللَّهُ وَٱلْقُوهُ وَأَطِيعُونِ .

تتلفص رسالة نوح في هذه الأمور الثلاثة :

(أ) عبادة الله وحده ، والخضوع لأمره ، وامتثال أحكامه ، واجتناب تواهيه .

(ب) تقوى الله ، ومراقبته وخشيته ، فهو الرقيب الحسيب المطلع على كلُّ شيء .

(ج) طاعة الرسول ، فهو مبلّغ عن الله تعالى ، قال سبحانه : من يُطِع ٱلرُّسُولَ الْقَدْ أَطَاع ٱللّه ...

(النساء ، ۸۱)

٤ - يَفْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرُكُمْ إِلَىٰ أَجَل مُّسَمَّى إِنْ أَجَل ٱللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤخُرُ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ .

إن عبادة الله وتقواه وطاعة رسوله ، تؤدى بصلحبها إلى مغفرة الله ومرضاته ، والبوكة في العمر ، والنجاة من العذاب في الدنيا ، ودخول الجنة في الأخرة . لقد كان نوح واضحا وضوح الشمس في رائعة النهار ، حيث قال لقومه ما يأتي :

إن الإيمان بالله تعالى يحقق لكم مغفرة الله لننويكم التى ارتكبتموها قبل الإيمان ، ويحفظكم من عذاب الله فى الدنيا ، ويؤخّر حياتكم إلى الأجل المضروب لكم فى الأزل ، فقد قدّر الله تعالى لكل إنسان أجله وعمره ورزقه ، وهو جنين فى بطن أمّه ، وعقاب الله للكافرين إذا نزل بهم لا يتأخّر ، كما أن أجل الإنسان فى هذه الدنيا لا يتقدم ولا يتأخر .

إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخِّرُ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ .

وقال تعالى: فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لاَ يَسْتَتْخِرُونَ سَاعَةً وَلاَ يَسْتَقْدِمُونَ . (النط : ٦١).

وقال سبحانه وتعالى : وَإِذْآ أَزَادُ ٱللَّهُ بِقُومٍ سُوَّا فَلَا مَرْدٌ لَهُ, وَمَا لَهُم مِّن دُولِهِ مِن وَالْيه (الرعد:١١) .

* * *

جهاد نوح في تبليغ الدعوة

﴿ قَالَ رَبِ إِنِ دَعَوْتُ قَرْمَى لِبَلَا وَنَهَالَا ۞ فَلَمْ يَرْدِهُ مُرْدُعَلَةِ عَالَا فِرَارًا ۞ وَإِنِي كُلَمَا دَعُوثُهُمْ لِنَهُ فَرَدُعَلَةِ عَالَمُ فَرَائُمُ وَأَصَرُوا وَاسْتَكُمْرُوا دَعُونُهُمْ لِنَهُمْ وَأَصَرُوا وَاسْتَكْمَرُوا اسْتَكَمَرُوا اسْتَكَمَرُوا اسْتَكَمَرُوا اسْتَكَمَرُوا اسْتَكَمَرُوا اسْتَكَمَرُوا اسْتَكَمَرُوا اسْتَكَمَرُوا اسْتَكَمَرُوا الْسَلَمَ اللَّهُ وَالْمَرْتُ لَكُمْ إِنَّهُمُ إِنْمُ اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ الل

المشردات

فيستسبب سرارا ، تباعدًا ونفارًا من الإيمان .

جعلوا أصابعهم في آذائهم ، سدّوا مسامعهم عن استماع الدعوة .

است فشوا شيابهم ابالغوا في التغمُّي بها كراهة لي .

بسريسيل السممساء : الممان الذي في السماب ،

____لرازًا ، غزيزًا متتابعًا .

لات حيون ليليه وقيارًا ؛ لا تخافون عظمة الله .

عيدة كم أطبوارًا ؛ مدرجًا لكم في حالات مختلفة .

سم ماوات طهر القساء متطابقة بعضها فوق بعض ، كالقباب من غير مماسة .

ي وزاء مذِّرًا لوجه الأرض في الظلام .

الشمس سمراجا : مصباحًا مضيئًا يمحق الظلام .

الب تكم من الأرض ؛ أنشأكم من طينتها .

الأرض بسيطان فراشًا مبسوطا للاستقرار عليها.

سميلا فحجاجاً علَّرقاً واسعات.

تمهيده

تصور الآيات الكريمة لجتهاد نوح عليه السلام في دعوة قومه إلى الهداية والإيمان ، وكأنما يناجي ريه ويشرح مهمته فيما يأتي :

لقد دعا قومه ليلاً ونهارًا ، أى بذل جهدًا متتابعا كبيرا ، لكنّهم أعرضوا عنه ، ولم يهقدوا بل عائدوا، وقد قاوموا دعوته ، حتى وضعوا أنامل أصابعهم فى آذانهم حتى لا يسمعوه ، وغُسُّوا وجوههم حتى لا يشاهدوه ، وقاوموا الإيمان بإصرار واستكبار .

وقد لزُّن ذوح في دعوته ، حيث دعاهم سرًّا ، ثم علنا ، ثم جمم بين الجهر والسر .

أثعم اثله

عرض نوح لبيان نعم الله وأفضاله على عباده ، ومن هذه النعم ما يأتى :

(أ) قبول الاستغفار والتوية لمن تاب وأناب ، ثم التغضل بالنَّعم .

(ب) إنزال الأمطار، ويتبعها إنبات النبات.

- (ج) توسعة الرزق بالمال والبنين.
- (د) الإمداد بالبساتين والأنهار الجارية.

ثم التفت إليهم نوح متسائلا عن سبب عدم تعظيمهم لله وعدم طاعتهم له سبحانه ، فقد منّ الله على الخليقة بما يأتى :

 ١ -- تطوّر مراحل تخليق الجنين في بطن أمّه ، وتطوّر حياة الإنسان من الطفولة إلى الشباب ، ثم الرجولة والكهولة والشيشرية.

- ٢ -- خلق سبع سماوات متطابقة .
- ٣ جعل الشمس سراجا مضيئا بذاته ، والقمر منيرا يستمدُّ ضوءه من غير م
- غ خلق أدم من تراب ، وخلق ذريته من المثيّ الذي يتكون من الغذاء ، وهو ينبت من الأرض .
 - ه خَلْق الإنسان من الأرض ، ثم عودته إليها عند الموت .
- ٦ جعل الله الأرض مسلّحة أمام العين كالبساط ، ويسّر بها الطرق الواسعة الممهدة ، التي تيسّر الانتفاع بالأرض ، والانتقال بين أرجائها .

التفسيره

ه ، ٣ - قَالَ رَبَّ إِنَّى دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلاً وَنَهَارًا ﴿ لَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَاءِي ٓ إِلَّا فِرَارًا .

شكا نوح إلى ربّه قائلا: لقد دعوت قومى إلى الإيمان دعاءً مستمرًّا ، لم أقصَّر عنه ، ولم أنقطع عن تقديمه بالليل أو بالنهار ، فمن الناس من ينقطع لعمله بالنهار ، ومنهم من يعمل بالليل ، فكان نوح ينتهز الفرصة المناسبة لمن يدعوهم ، لكنّهم قابلوا دعوته بالكنود والجحود ، والرفض والفرار منه ، بل كان الرجل يوصى أولاده بعدم الإيمان بنوح عليه السلام .

٧ - وَإِلَّى كُلَّمَا وَعَوْتُهُمْ لِتَعْفِرَ لَهُمْ جَعَلُواْ أَصْـلْحِمُهُمْ فِي عَادَاتِهِمْ وَآسْتَعْشُواْ ثِيَاتِهُمْ وَأَصَرُواْ وَآسَتَكُثُرُواْ
 آستِكَاوًا

إنها صورة معبَّرة عن فرار هؤلاء القوم من دعوته ، وخوفهم من مقابلته ، وإصرارهم على العذاد والمكابرة ، فكلما دعاهم نوح إلى الله ليغفر لهم ذنويهم ، أعرضوا عنه إعراضًا شديدا ، ورضعوا أنامل أصابعهم في آذانهم لثلا يسمعوا صوته . والتعبير هذا يوحى بأنهم حاولوا وضع أصابعهم كلها في آذانهم ، ليتأكدوا من أنَّ صوت نوح ان يصل إليهم ، لذلك قال : جَعَلُواْ أَصُلِعُهُمْ فِي عَاذَالِهِمْ ... ولم يقل : جعلوا أناملهم في آذانهم .

كما أنهم جعلوا ثيابهم فوق وجوههم ، حتى لا يشاهدوا نوحًا ، رغبة في الإصرار على الكفر والعناد، وقد أصرُّرا على كفرهم ، واستكبروا استكبارًا شديدا في عناد وتكبّر ، وعدم استجابة لدعوة نوح عليه السلام.

وقد أخبر القرآن الكريم عن كفّار قريش بما يثبت عنادهم وتكبّرهم ، فقال : وقال ٱللّبين كَفُرُواْ لَا تُسْمَعُواْ لِهَلْدًا ٱلْقُرُوَّالَا وَٱلْفُواْ فِيهِ لَمُلَكُمْ تَعْلِيُونَ . (فسك: ٣١) .

٨ ، ٩ - قُمَّ إِلِّي فَعَوْتُهُمْ حِهَارًا * ثُمَّ إِلِّي ٓ أَعْلَنتُ لَهُمْ وَٱسْرَرْتُ نَهُمْ إِسْرارًا .

قدم نوح دعوته إليهم في كل وقت ، سواء كان ذلك ليلاً أو نهارًا ، وسلك كلُّ سبيل إلى دعوتهم.

فدعاهم سِزًا في البداية ، ثم دعاهم جهرًا مرة ثانية ، ثم قرن بين العلانية والسُّرية حسب الحالة الأنسب لكل مفهم .

ثم وضَّح ما وعظهم به ، فقال:

١ - فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبُّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا.

أى: قلت: آمنوا بالله تعالى ووحده ، وتوبوا إليه من الكفر وعبادة الأصنام ، فإن الله يغفر لكم ويقبل تويتكم ، ويحسن مثوبتكم .

١١ - يُرْسِلِ ٱلسَّمَاءَ عَلَيْكُم مُنْزَارًا.

إن التربة والاستغفار واللجوم إلى الله من أسباب نزول المطر المتتابع الذي يتسبب في حياة الأرض بالزراعة ، وخروج الحبّ والخير .

قَالُ قَتَادَةً : كَانُوا أَهُلَ حُبُّ للدِنْيَا ، فاستدعاهم إلى الأَخْرَة مِنْ الطريق التي يحبُّونها . ا هـ .

وكانوا قد أمديبوا بالقصط وقلة النريّة وعقم النّساء ، فوعدهم إن آمنوا أن يرفع الله عنهم القصط، وييسر لهم الرزق. وقد تكرر هذا المعنى في القرآن الكريم حيث ربط القرآن بين صلاح القلوب واستقامتها على هدى الله وبين تيسير الأرزاق وعموم الرخاء .

قال تعالى : وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰ فَامْتُواْ وَٱلْقُواْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكُسْتِ مِّنَ ٱلسَّمَاءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْنَكِن كَلَيْواْ فَأَخَلْمَنْهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ . (الأعواف: ٩٦) .

وقال عن شأنه : وَلَوْ أَنَّ أَهُلَىَ ٱلْكِنْدِ، وَالَوْ أَنَّ أَهُلَىَ ٱلْكِنْدِ، وَالَّوْ أَنَّ أَهُلَى الْكِيمِ ، وَلَوْ أَهُمْ أَقَامُوا ٱلْفُرُونِيْرُ وَمِنْ أَوْلَ إِلَيْهِم مَن رَّبِهِمْ لَأَكُواْ مِن فُوقِهِمْ وَمِن تَحْدَ أَرْجُلِهِم .. (المادة : ١٥٠، ١٥) .

وهذه القاعدة التي وضعها القرآن قاعدة صحيحة ، تقوم على أسبابها من وعد الله ومن سنة الحياة.

قال تعالى : وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي ٱلرُّبُورِ مِنْ بَعْدِ ٱلذُّكْرِ أَنَّ ٱلأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِي ٱلصَّلْلِحُونَ . (الأنبهاء: ١٠٥) .

لقد كان الاتحاد السوفيتي من أعظم الدول ، وسادت فيه الجاسوسية وإهدار قيمة الإنسان ، وتفككت دوله وانهار كيانه .

«ونجد في أمريكا وفرة في الأرزاق، وتمكينًا في الأرض، ومع ذلك نجد هبوطًا في المستوى الأخلاقي، وهبوطًا في تصور الحياة إلى الدرك الأسفل، فيقوم كلّه على الدولار» (١٠٠).

لقد بين القرآن أن الله يختبرنا بالخير والشرفتنة ، قال تمالى : وَيُنْلُوكُمْ بِالشَّرُ وَٱلْخَيْرِ فِتَةً ... (الأنبياء : ٣٥)

إن الأمة الإسلامية مدعوة إلى الرجوع إلى هدى القرآن الكريم والسنة المطهرة ، والارتفاع إلى مستوى الأحداث ، والتقدم العلمى والعملى ، والرقى فى السلوك والأخلاق ، لتعود بحق : حُيِّرٌ أُمَّةٍ أَخْرِجَتْ إلنَّاس ... (ال عمران : ۱۹۰).

وان نجد بابا مفتوحا لمن الدنيا وسعادة الآخرة أوسع من ياب الله ، والفهم الصحيح لكتابه ، والقدوة الذكية لسُنَّة نبينا ، والتبصِّر بأحداث أيامنا ، وفقه الواقع الذي نعيش فيه ، حتى يغيَّر الله ما بنا من تخلف وهوان .

> كما قال سبحانه وتعالى: إِنَّ اللَّهُ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْم شَى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْسِهِمْ... (الرعد:١١). -وكما قال سبحانه وتعالى: إِنْ تَعَمِّرُواْ اللَّهُ يَنَصُرُّ مُرَّيِّتِ أَلْفَائِمَكُمْ . (معد:٧).

١٢ - وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَال وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَكُمْ جَنَّلْتُ وَيَجْعَل لَكُمْ أَلْهَارًا .

إن إيمانكم بالله والتوية والاستغفار ، يكون مصدرًا للرزق والمطر وتيسير الأموال والأولاد ، أي يكن أموالكم وأبناءكم ويجعل لكم الحدائق الظليلة ، والبساتين الفسيحة ذات الأشجار المظلّة المثمرة ، ويجهل لكم الأنهار تجرى خلالها .

لقد حرُّك نوح فيهم الرغبة في الغني والمال والأولاد ، والزروع والبساتين والأنهار ، وييَّن أن كغرهم بالله وعبادة الأوثان مصدرُ القحط والبلاء ، وأن الطاعة والإيمان مصدرُ الخيرات والبركات .

ثم عاد نوحٌ فهزَّ نفوسهم هزًّا ، وحرَّك قلوبهم نحو الإيمان ، فقال :

١٣ - مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا .

ما لكم لا تعظمون الله حق تُعَظِيمِه ، ولا تشافون بأسه ولا انتقامه ، ولا تتقربون إليه بالطاعة ، ولا تشفرن عقوبته بترك الممامي .

١٤ -- وُقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا .

وقد خلقكم في أطوار مختلفة ، ومراحل متعددة تدلُّ على كمال قدرته .

فقد خلقنا الله من النطقة ، ثم جمل النطقة (وهى الحيوان المنوى الذى يتم به إخصاب بويضة الأنثى) تتحول إلى علقة (أى قطعة دم تعلق بجدال الرحم وتمسك به لتكون فى قرار مكين) ، ثم مضعة (أى قطعة لحم قدر ما يمضغ الإنسان فى فمه) ، ثم تتحول المضغة إلى هيكل عظمى أولاً ، ثم تكسى العظام لحماً ثانيا، ثم ينفخ الله فيه الروح فيصبح خلقاً أخر وإنسانا سويا .

قال تحالى: ؛ وَلَقَدُ عَلَقَنَا الْمُصْفَقَ عِطْلَمُ وَنَ لَسُلَلَهُ مَن طِينٍ ه ثُمَّ جَعَلَنَاهُ نُطَلَعُ فى فَحَلَقُنَا الْفَلَقَةَ مُشْفَقَةَ فَحَلَقَنَا الْمُصْفَقَةَ عِطْلَمُ فَكَسُمُونَ الْمِطَاءُ مُ أَصْفَا ثُمَّ أَنشَأَتُكُ أَخْسُونَ الْمُطَاقِينَ ثُمِّ إِلَّكُم بَعْدَ ذَالِكَ فَمَيْقِونَ ه ثُمُّ إِلْكُمْ يَوْمَ الْفَيْسَقُونَ مَنْ وَاللّهِ مَا اللّهِ عَلَي ثُمُّ إِلَّكُم بَعْدَ ذَالِكَ فَمَيْقُونَ ه ثُمُّ إِلْكُمْ يَوْمَ الْفَيْسَقُونَ عَلَيْنِ (اللسفسنون: ١٧ -١١).

ونلحظ أن الإنسان في حياته يبدأ طفلاً ، ثم يافعا ، ثم فتّى ، ثم شابا ، ثم رجلا ، ثم كهلا ، ثم شيفا ، فهي أطوار متعددة . قال تعالى : ٱللّٰهُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعْفِي ثُمِّ جَعَلَ مِنْ يَعْدِ ضَعْفِي قُرَةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ يَعْدِ قُرَةٍ مَنْفُا وَشَيْبُهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَابِقِ ﴾ (الربع: ٤٥).

١٥ ، ١٩ - أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا ﴿ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرُ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا .

ألم تشاهدوا بأعينكم نعم الله تعالى فوقكم : هذه السماوات الممتدة امتدادًا بعيدا ، وهى محكمة البناء ، وأيضنا متطابقة ، كل سماء فوق الأخرى ، وكل سماء طبق الأخرى أيضنا من غير مماسة ، وهى فى غاية الإحكام والإتقان .

قال تعالى: مَّا تَرَى فِي خَلْق ٱلرَّحْمَان مِن تَفَاوُتٍ ... (العله: ٣) .

وقد جعل الله القمر نورا يضيء ظلام الليل ، ويمكِّن الناس من أداء مهامهم في البرُّ والبحر والجوّ.

وجمله متدرجا ، فيبدأ هلالا صغيرا ، ثم يكبر إلى أن يصير بدرًا كامل الاستدارة ، ثم يتناقص حتى يعود هلالا صغيرا ، ثم يستتر لهلة أو ليلتين ، وذلك لنعرف عدد السنين والحساب .

قال تعالى : يَسْتَلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ قُلْ هِي مَوْقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ... (البقرة : ١٨٩) .

وجعل الله الشمس سراجا مضيقًا يستضىء به أهل الدنيا ، والسراج ما كان ضوءه من ذاته كالشمس ، والمنير ما استمد نوره من غيره كالقمر ، وهذا من إعجاز القرآن ، أنه عبّر عن الشمس بالسراج ، وعن القمر بالنور .

وقد تقرر فى علم المذلك أن نور الشمس ذاتى فيها ، ونور القمر عرضى مكتسب من نور الشمس ، فسبحان الذى أحاط بكل شىء علما ، وقد أنزل هذا القرآن على نبى أُمِّىّ ، وأنزله بهذه الدُمّة التى تبين أنه ليس من تأليف بش ، ولكنة تنزيل من حكيم عليم .

ونحو الآية قوله تعالى : هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَاءٌ وَٱلْقَهَرُ أُورًا وَقَلْدُوْهُ, مَنَاذِلَ لِتَقْلَمُواْ عَدَةَ ٱلسُّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَالِكَ إِلَّا بِٱلْحَرَّ يُلْقَصُلُ ٱلآيَاسَةِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ . (يونس: ٥)

١٧، ١٨ - وَٱللَّهُ أَلَبُتُكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ بَاتًا . ثُمُّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِحْرَاجًا .

كما يُفَرِج النبات من الأرض ويتغذى بتريتها ، خلق الله آدم من تراب الأرض ، وهلق ذريته من النطقة ، وهي مكونة من اللَّم ، والنَّم خلاصة النَّبات ، والنبات من الأرض ، وهناك صلة بيننا وبين الأرض ، فهي أمّنا نعيش عليها ، ونتمتع يخيراتها ، وندفن في ترابها . قال تعالى : مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَازَةَ أُخْرَىٰ . (مله ٥٥) .

ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْوَاجًا .

ثم يعيدنا الله إلى الأرض عند الموت ، حيث ندفن في ترابها ، ثم يخرجنا الله إخراجا محققا لا ربي فيه ، عند البعث والحشر والحساب والجزاء ،

٢٠ ، ١٩ - وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا ، لَتَسْلُكُواْ مِنْهَا سُبُلاً فِجَاجًا .

من نعم الله أنه جعل الأرض لنا بساطا معتدًا ، نزرعها ونحصد خيراتها ، وننتفع بثمراتها ، وجيل لننا فيها طرقا واسعة للتنقل فيها ، أن مسالك ومعابر بين الجبال لننتقل من مكان إلى مكان .

أى أن نرحا لفت أنظارهم إلى بديع صنع الله فى خلق السماء والأرض ، والشمس والقمر ، وآلناق الكرن ، وآداق النُّس .

قال تعالى : سَنُويهِمْ ءَايَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي ٓ أَنفُسِهِمْ حَتَىٰ يَنَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ . . (فصلت ٥٣).

t * *

شکوی نوح إلى ربّه سبحانه وتعالى

﴿ قَالَ فُحُ ۗ زَيِّا إِنَّهُمْ عَصَوْفِ وَاتَبَعُواْ مَن لَهُ يَزِهُ مُمَالُهُ ، وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَازًا ﴿ مَا مَكُرُواْ مَكُمُ اللهُ عَلَيْ اللهَ عَلَمُ وَلَا نَدُرُنَ وَذَا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوفَ وَيَسْرًا ﴾ وَقَدْ أَصَلُوا عَالَا يَعُوثَ وَيَعُوفَ وَيَسْرًا ﴾ وَقَدْ أَصَلُوا عَلَيْ اللّهَ عَلَيْ اللّهُ عَلَيْهِ إِلَا المَسْلَانِ ﴾

المطردات ا

الصغسار ؛ الخسران .

مكراكبارا : كبيرًا عظيما .

لاتشرن الهتكم ، التزموا عبادتها ولا تتركوها على الإطلاق.

ود وسيواع ،أسماء أصنام كانوا يعبدونها .

مهياره

يعرض نوح شكواه على ريه القدير ، فقد قدّم نوح النصح والإرشاد ، سرًا وجهرًا ، ليلاً ونهارًا ، ومع كل ما فعل هرب القوم منه ، وخالفًوا أمره ، وتركوا دعوته ، وساروا وراء دعاة أثمين ، غرّهم المال والجاه ، والأولاد والسلطان ، فازدادوا خُسُرانا وكفرانا ، ويبيتوا الاحتيال على البسطاء والعامة ، وألحوًا عليهم بالكفر والبعد عن نوح ، والالتزام بعبادة الأصنام ، خصوصا أكبر الأصنام وهي خمسة : ودّ ، وسواع ، ويغوث ، ويعوق ، ونسر ، ولقد ضل هؤلاء الكفار وأضلوا كثيرا من العامة ، وهذا دعا نوح ربه بأن يزيد هؤلاء الظالمين الطفاة ، دعاة السوء والكفر ، ضلالا وبعدا عن الهداية ، عقوية عاجلة في الدنيا ، وسبيلا إلى النار . في الأخرة .

التفسيره

٢١ . ٢٢ - قَالَ لُوحٌ رَّبَّ إِنَّهُمْ عَصَوْفِي وَأَتْبَعُواْ مَن لَّمْ يَزِفْهُ مَالُهُ, وَوَلَفُهُ; إِلَّا حَسَارًا ، وَمَكَزُواْ مَكُرُا كُبَّارًا .

كرّر نوح شكواه إلى الله الخبير العليم ، فقال :

وَمَكَرُواً مَكْرًا كُبَّارًا .

دبُّروا الكيد لإغراء البسطاء والدهماء من العامة ، بالكيد واستمرار التوصية لهم بالابتعاد عن نوح ، والاستمرار على عبادة الأمسنام .

كما يقول الضعفاء لهؤلاء الكبراء المضللين يوم القيامة : بَلُ مُكُرُّ ٱلْبَرِّ وَٱلْتَهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَاَ أَن **نَكُثُرُ بِاللّهِ** وَلَجَمَّلُ لَهُ الدَّافَل ... (سها: ٣٣) .

٣٣ - وَقَالُواْ لَا تَلَرُنُ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَلَرُنْ وَلَّا وَلَا شُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا .

قال هؤلاء القادة المضطلون لأنباعهم: لا تتبعوا نوحا ولا تعبدوا رب نوح ، ولا تتركي) عبادة آلهتكم ، أى التى عبدتموها سابقا فصارت آلهتكم ، لإثارة النخوة فيهم حتى يتعصبوا لها ، ولا تتركرا عبادة الأصنام والأوثان كلها ، وخصوصا عبادة الخمسة الكبار . وَلا تَذَرُنُ وَدًا وَلَا شُوَاعًا وَلَا يَغُوثُ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا.

وهي أصنام انتقلت إلى العرب فيما بعد ، وهي أسماء لأشخاص صالحين ، زين الشيطان لبعض أتهاعهم أن يتخذوا لهم صوراً ورموزا ، ليكون هذا أنشط لهم في العبادة والاقتداء ، فصوروهم ، فلما ماتوا وجاء آخرون دباً إليهم إبليس ، فقال : إنما كانوا يعبدونهم ، ويهم يُسقون المطر ، فعبدوهم . اسما

وقد أخرج البخارى ، وابن المنذر ، وابن مردويه ، عن ابن عباس قال . مبارت هذه الأوثان في العرب بعدُ ، فكان :

رُدُّ : لكلب .

سُواع ؛ لهُديل ،

يَغُوث : لغُطيف بالجَرْف عند سبأ .

يُعُونَ : لهمدان .

نسر : لِحَدْيِر آل ذي الكُلام . اهـ.

وهناك أصنام أخرى لأقوام آخرين ، مثل :

اللات: لثقيف بالطائف.

الْعُزَّى : لسُليم وغطفان وجُشم.

مناة : لخُزاعة بقديد.

أساف: لأهل مكة،

نائلة : لأهل مكة،

هُبَل: لأهل مكة ، وهو أكبر الأصنام وأعظمها عندهم ، ومن ثمّ كان يوضع فوق الكمبة ١٩٠١.

وليس العراد أن أعيان هذه الأصنام صارت إليهم ، بل العراد أنهم أخذوا هذه الأسعاء ، وسمّوا بها أصنامهم . ٤ ٢ - وَقَدْ أَضَلُواْ كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ ٱلطَّلْلِمِينَ إِلَّا صَلَالًا .

أى : أضلُ القادة المبطلون خلقا كثيرا بهذه الأصنام ، أن أضلت الأصنام خلقا كثيرا ، حيث تهمُّوا أنها آلهة حقا ، وأنها تنفع أن تضرّ ، وهو وهم خاطئ ، وقد استمرت عبادتها قرونًا كثيرة ، فقلدهم التُّاس بدون أدلة عقلية أن نقلية ، أن برهان أن حجة .

كما قال إبراهيم عليه السلام في دعائه لله : وَأَجْتَبْنِي وَبَيْ أَنْ نَعْبَدُ ٱلْأَصْنَامُ هِ رَبِّ إِنَّهِنَّ أَطْلَلْنَ كَثِيرًا مَنَ النّاس ... (إيراهيم : ٣٠، ٣٠) .

وَلَا تَزِدِ ٱلطَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا.

توجه نوح إلى ربه بعد أن يئس من هداية هؤلاء الطغاة المضللين ، قائلاً : لا تزد هؤلاء الطّالمين المشجّعين للناس على عبادة الأصنام إلا ضلالاً ويمناً عن الهداية .

كما قال موسى عليه السلام حين دعا على فرعين وملئه : رَبُّنا ٱطْعِسْ عَلَيْ ٱمْوَالِهِمْ وَٱشْلُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَدَ يُؤْمِدُواْ حَمِّيْنَ مِرُواْ ٱلقَدْابَ ٱلْأَلِيمَ . (يونس: ٨٨٨).

وقد استجاب الله لنوح فأغرق قومه المكذبين ، واستجاب الله لموسى فأغرق فرعون وملأه .

ختام سورة نوح

﴿ يَمَّا حَطِيتَ نِهِمُ أُغَرِقُوا فَأَدْخِلُوا فَارًا فَلَرَعِدُواْ لَهُمْ مِن دُونِ اللَّهِ أَصَارًا ۞ وَقَالَ فَحُ رَّبِ لَانَذَرْعَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلكَفِيرِن دَيَّارًا ۞ إِنَّكَ إِن تَذَرُهُمْ يُضِلُواْ عِسَادَكَ وَلَا يَلِدُوَّا إِلَّا فَاجِرًا كَفَارَا ۞ رَّبِ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَلِدَى وَلِمَن دَخَلَ بَيْقٍ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَانِرِهُ الظَّالِينَ إِلَّا بَازًا۞﴾

المفردات:

مما خطيئاتهم دمن أجل ذنويهم وآثامهم.

. أغــــرقــــوا ، بالطوقان .

هأدخلوا نازا ؛عذابا في القبر.

هيـــــان ، أي أحدًا ، يقال : ما بالدار ديار ، أي : ما بها أحد .

إلا فاجراكفارا؛ من سيفجر ويكفر ، فوصفهم بما يصبرون إليه لوثوقه بذلك ، نتيجة لتجربته الطويلة .

تسم الله ، إذا أهلكه .

تمهيده

ذكر القرآن شكرى نوح إلى ربه فبين هنا استجابة الله له ، وإغراق الكافرين من قوم نوح ، وأنهم لم يجدوا من يدفع عنهم ، ولم تنفعهم الأصنام للتي عيدوها من دون الله .

ثم أخبر بدعاء نوح على قومه ، وعال نوح ذلك بأنهم ضالون ، ولا يلدون إلا كغُـارًا ضمالاً ، ثم ختم السورة بدعاء نوح لنفسه ولوالديه وللمؤمنين والمؤمنات بالمغفرة .

التفسيره

٥٧ - مَّمَّا خَطِيْتَ اللَّهِمُ أُغْرِقُوا ۚ فَأَدْجِلُواْ نَارًا فَلَمْ يَجِدُواْ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ انصارًا .

بسبب ذنويهم ، وإعراضهم عن الإيمان ، وإصرارهم على الكفر ، أغرقهم الله بالطوفان ، ثم أنطهم النار في عناب القبر ، أو أنطهم نار جهنم ، فلم يجدوا أحدًا ينصرهم ، ولم تنفعهم الأصنام التي عبدوها من دون الله ، لقد حاق بهم سوء عملهم ، فأملكهم الغرق في الدنيا ، ولهم عناب السعير يوم القيامة .

وقديب من ذلك قوله تعالى: فَلَاعَا رُبُّهُم أَنِّي مَغْلُوبٌ فَالتَصِرْ وَفَقَتَحْنَا أَبُوابَ ٱلسَّمَاءِ بِمَآءٍ مُتُهمرٍ .

(القمر: ۱۱،۱۰)

٢٦ - وَقَالَ نُوحٌ زَّبٌ لَا تَلَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ الْكَلْفِرِينَ دَيَّارًا .

قوضح الآية أن غوقهم المذكور في الآية السابقة كان بسبب ذفويهم ، وبسبب دعاء نوح عليهم ، فقد طال مكثه فيهم ، وما آمن منهم إلا قليل ، وأخيره الله : أنَّه رُقَن يُؤمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلاَّ مَن قَدْ ءامن فلاَ تَرْبَعْسُ بِمَا كَانُواْ يُقَطُّولُ . (هود : ٣٤) .

فدعا الله أن يُهلك جميع الكافرين ، وألا يترك منهم أحدًا يسكن دارًا.

لقد مكث نرح فيهم ألف سنة إلا خمسين عاما ، وسلك كل سبيل إلى دعوتهم ، لكنهم صمُّوا آذائهم ، وتحجُّرت قلوبهم ، وكانوا طغاة بغاة ظالمين ، فدعا نوح ريه أن يُطهِّر الأرض من الظالمين ، وأن يفسلها بالطوفان ، حتى لا يكون هؤلاء الطغاة عقبة في وجه إيمان الجيل الجديد . ٧٧ - إِنَّكَ إِنْ تَلَرْهُمْ يُضِلُّواْ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُواْ إِلَّا فَاجِرًا كَفَارًا.

إنك يا ربننا إذًا تركت هؤلاء الكافرين الطفاة فسيحملون الناس على الشرك بدعوتهم لعبادة الأصنام.

وهم في نفس الوقت يحدّرون ذريتهم من اتباع نرح ، فكان الرجل يأتى بابنه إلى نرح ، ويقول له : لحذر من هذا الرجل فلا تتبعه ، فقد حدَّرني أبي من اتباعه ، وإننا أحذرك من اتباعه .

وتبين لنوح أن الضلال أصيل فيهم ، فهم أباطرة في الضلال والإضلال ، لذلك قال نوح :

إِنَّكَ إِن تَلَرْهُمْ يُعِيلُواْ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓاْ إِلَّا فَاحِرًا كُفَّارًا .

إنك إن تتركهم أحياء يتسببوا في إضلال المؤمنين من عبادك بحيلهم وكيدهم ، وأبناؤهم سيتبعوفهم ويكونون مثلهم في الفجور والكفران .

٢٨ - رَّبُّ آخْفِرْ لِي وَلِوَالِدَى وَلِمَن فَحَلَ يَتِي مُوْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَاتِ وَلا تَزدِ ٱلطَّالِمِينَ إلَّا تَبَارًا.

تختم السورة بهذه الأية الكريمة ، وهي ترنيمة بعاء من نبيٌّ صالح .

رَّبُّ آغْفِرْ لِي.

قالرسول بشر، في حاجة إلى مغفرة الله وستره وتوفيقه ، ثم دعاء لوالديه ، وبر العؤمن بوالديه من أصدان الأندان.

ثم دعاء لكل من دخل بيته مؤمنا ، مشتركا معه في حقيقة الإيمان . فَبَيْن المؤمنين أَهُوهَ عامة ، ورحم يحد أن توصل ، لذلك هتم دعاءه يقوله :

وَ لِلْمُوْمِنِينَ وَٱلْمُوْمِنَاتِ .

أى: واغفر لجميع المؤمنين والمؤمنات ، وذلك يدل على سرَّ عجيب ، وآصرة قوية "ديما بين المؤمنين والمؤمنات ، مهما تباعد الزمان أو المكان ، فإن أخرَة الإيمان بالله أصرة قوية ، ورباط وثيق بين المؤمنين من عهد آدم إلى قيام الساعة .

وَلَا تَزِدِ ٱلطَّللِمِينَ إِلَّا تَبَارًّا.

أي: أهلك هؤلاء الطالمين لأنهم عقبة في سبيل دعوة الإيمان والخير.

وقد استجاب الله دعاءه فأغرق الظالمين ، ونجى المؤمنين .

وسجَّلت السورة كفاح هذا النبي الكريم ، والرسول الصابر الذي لوّن في أسلوب دعوته ، وصبر وصابر ، ليكون قدوة وأسوة للدعاة والهداة . والله ولي القوفيق .

* * *

وكان ختام تفسير سورة (ثوح) مساء الجمعة ٢٨ من ذي الحجة ١٤٢١ هـ ، الموافق ٢٣ من مارس ٢٠٠١ م.

والحمد لله الذي يتعمته تتم الصالحات ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى أله وصحهه أجمعين ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .





أهسداف سسورة الجسن

(سورة الجن مكية ، وآياتها ٢٨ آية ، نزلت بعد سورة الأعراف)

وهى سورة تصمح كثيرًا من المعلومات الخاطئة لأهل الجاهلية عن الجن ، حيث كانوا يزعمون أن محمدًا ﷺ بتلقى ما يقوله لهم من الجن ، فتجىء الشهادة من الجن أنفسهم بهذه القضايا التى يجحدونها ويجادلون فيها ، ويتكذيب دعواهم فى استعداد محمد من الجن شيئًا .

والجن لم يعلموا بهذا القرآن إلا حين سمعوه من محمد ﷺ، فهالهم وراعهم ومسّهم منه ما يدهش ويذهل ، فانطلقوا يحدثون عن هذا الحدث العظيم الذي شغل السماء والأرض ، والإنس والجن والملائكة والكواكب ، وترك آثاره وتتاثجه في الكون كله ، وهي شهادة لها قيمتها في النفس البشرية حتمًا .

أوهام عن الجن

كان العرب يبالغون في أهمية الجنّ ، ويمتقدون أن لهم سلطاناً في الأرض ، فكان الواحد منهم إذا أمسى بوابا أن قفر لجاً إلى الاستمادة بعظيم الجن الحاكم لما نزل فيه من الأرض ، فيقول : أعوذ بسيد هذا الوادى من سفهاء قومه .. ثم يبيت آمنًا .

كذلك كانوا يعتقدون أن الجن تعلم الغيب ، وتخير به الكهان فينبئون بما يتنبأون ، وفيهم من عبد للجنّ ، وجعل بينهم وبين الله نسبًا ، وزعم أن له سبحانه وتحالى زوجة منهم تلد له الملائكة . وهكنا نجد كثيرًا من الأوهام والأساطير تغمر قلوب الناس ومشاعرهم ، وتصوراتهم عن الجن فى القديم ، ولا تزال هذه الأوهام تسود بعض البيئات إلى يومنا هذا .

ونجد في الصف الآخر متكرين لوجود الجِن أصلاً ، يصفون أي حديث عن هذا الخلق المغيب بأنه حديث خرافة .

وبين الإغراق في الوهم ، والإغراق في الإنكار ، يقرر الإسلام حقيقة الجن ، ويصمح التصورات العامة عنهم ، ويحرر القلوب من خوفها وخضوعها لسلطانهم الموهوم .

الجن في القرآن

تحدث القرآن الكريم عن الجن فى عدد من السور، وقد عالج القرآن الأخطاء الشائعة عن الجن ، وأثبت المقبقة فيما يتصل بهم ، وأعطى للإنسان صورة واضحة دقيقة متحررة من الوهم والخرافة ، ومن التعسف فى الإنكار الجامح ، فالجن عالم نؤمن به ويخصائصه كما وردت فى القرآن الكريم ، والجن لا يظهر للعين ولا يراه الإنسان بحاسة البصر .

قال تعالى : إِنَّهُ يَرَسْكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ... (الأعراف: ٢٧) .

والجن منهم الضالون المضلون ، ومنهم السنج الأبرياء الذين ينخدعون ، ومنهم المستقيمون على الطويق المستقيمون على الطويق المستقيمون على الطويق القويم والمنهج السليم ، وليس للجن معرفة بالغيب ، وليس الجن مع وقية الله ، وليس بينهم وبين الله صهر ولا نسب ، وقد كان إبليس من الجن ثم فسق عن أمر ربه وتمحض للشر والفساد والإغواء ، وقد خلق الجن من الذار ، كما خلق الإنسان من الطين .

وقد سُخرت الجن لسليمان عليه السلام ، فمنهم من كان يبنى له المساجد والمنازل والأبنية المختلفة ، ومنهم من كان يغومى فى البحر يستخرج له اللؤلؤ والياقوت والأحجار الكريمة ، وسلطه الله على المردة والخارجين على القانون ، فكان يقيدهم فى السلاسل والأغلال ، ويسخرهم فى الأعمال ، ويرهقهم بأنوان العناب ، وقد جعل الله السيطرة على الجن منحة خاصة لسليمان عليه السلام ، فقد سأل ريه ملكاً لا يتهيأ لأحد من بعده ، فأعطاه الله ملك الريح والجن والشياطين والمردة :

قَالَ رَبِّ آغَفِرُ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَا يَسُبَّى لِأَحْدٍ مَنْ بَعْدِيَ بِاللهِ أَنتَ ٱلْوَهَابُ ، فَسَعْرَنَا لَهُ آلِزِيعَ مَعْرِى بِاللّهِ رُحَاةَ حَيْثُ أَصَابَ ، وَالسَّمْسِلِينَ كُلْ ثِنَاءٍ وَحُواصِ، وَعَاحَرِينَ مَقَرَيْنَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ، هنذا عَطَالُونا فَآمَنْ أَوْ أَمْسِكُ بِعَنْمٍ حِسَاسٍ ، وَإِنَّ لَهُمْ عِنذَنَا لُوَلُقِي رَحُسُنَ مَعَاسٍ . (ص : ٣٥ – ٤٠) .

«إن الكرن من حولنا حافل بالأسرار ، عامر بالأرواح ، حاشد بالقرى ، وهذه السورة من القرآن — كفيرها – تمنحنا جوانب من الحقائق في هذا الوجود ، تعين على بناء تصور حقيقى صحيح للوجود ، وما فيه من قرى وأرواح وحيوات تمج من حولنا ، وتتفاعل مع حياتنا ، وهذا التصور هو الذي يميز المسلم ، ويقف به وسمًا بين الوهم والخرافة ، وبين الادعاء والتطاول ، ومصدره هو القرآن والسُّنة ، وإليهما يحاكم المسلم كل تصور آخر ، وكل قول ، وكل تفسير» (**)

استماع الجن للقرأن

فى كتب السُّنة ما يفيد أن الجن قد استمعت للقرآن عرضًا دون قصد ، فأسلمت وأمنت ، وانطلقت تدعو قومها إلى الإسلام .

وفي روايات أخرى أن الذبي ﷺ انطاق متعمدًا ليبلغ دعوته إلى الجن ، وقد افتقده أصحابه ذان ليلة فاشتد بهم القلق ، وباتوا بشر ليلة بات بها قوم ، فلما أصبحوا جاءهم النبي يُثرَّة من قبل حراء ، فقال: «أتانى داعى الجن فذهبت معهم فقرأت عليهم القرآن» . والروايتان السابقتان واردتان فى الممحيح ، إحداهما عن ابن عباس تقول إن النبي ﷺ لم يعرف بحضور النفر من الجن ، والرواية الثانية عن ابن مسود تقول إنهم استدعوه ، ويوفق البيهقى بين الروايتين بأنهما حادثان لا حادث واحد

وفي رواية ثالثة لابن إسماق أن الجن استمعت إلى النبي ١٠٠٪ ليلة عودته من الطائف قبل الهجرة.

ولعل الجن قد استمعت للنبي ﷺ أكثر من مرة ، وكان في استماع الجن للنبي بمكة قبل الهجرة تطبيب لخاطره ، وتصديق لدعوته ، وتحقيق للحق بشأن الجن ، وتصحيح لمفاهيم الجاهلية عن الجن، وإرشاد للمسلمين ليكون إيمانهم عن بيئة ، وقد ساقت سورة الجن كثيرًا من الحقاءة عن الألوهية والعقيدة والرحدانية ، وإخلاص العبادة لله سبحانه ، فهي سورة الجن ولكنها توجيه وارشاد وتعليم للخلق أجمعين.

أسماء السورة

نلاحظ أن السورة فى القرآن تسمى بأغرب شىء فيها أو أهم شىء فيها ، فسورة البقرة اشتمك على قصة قتيل شُرب بقطعة من البقرة فربت إليه الحياة ، وسورة أل عمران اشتملت على قصة مريم ابنة عمران، وسورة النساء اشتملت على ذكر أحكام النساء ، وسورة المائدة اشتملت على قصة المائدة التي نزلت من السماء استجابة لدعاء عيسى عليه السلام .

كما سمى الله سبحانه سور كتابه بأسماء تبعث على النظر والاعتبار ، وتوجب النفكير ، فسمي بالأنعام ، وبالحشرات كالنمل والنحل والعنكيوت ، ويما هو ألطف من ذلك كالنور ، كما سمى ببعض الأنبياء كيوسف ويونس وهود ، ويبعض الأخلاق كالتوبة ، ويبعض الكواكب العلوية كالشمس واللهر والنجم ، ويبعض الأوقات كالليل والفجر والضمص ، ويبعض المعادن كالحديد ، ويبعض الأماكن كالبله، ويبعض النبات كالتين ، وكل ذلك مما نراه . وهذا سمى هذه السررة بحالم لا نراه وهو عالم الجن، وهو عالم لم يعرف في الإسلام إلا من طريق الوحى، وليس للعقل دليل عليه، فالمؤمن يؤمن بالغيب، ويؤمن بالملائكة ويالجن على نحو ما ورد في القرآن.

وسميت السورة سورة الجن لأنها تحدثت عنهم ويدأت بذكرهم ، فقالت : قُلُ أُوحِيَ إِلَىَّ ٱلْهُ ٱسْتَهُمْ لَفُر مَّن الْجِنُ لَقَالُواْ إِنَّا سَهِنَنَا قُرِعًانَا عَجِبًّا . (الجن : ١) .

مع آيات السورة

- ٢ ، ٧ تطالعنا السورة بأن الجن فوجلت باستماح القرآن الكريم ، فقالوا لقومهم : إننا سمعنا كتابًا بديمًا
 یبدی إلى الحق وإلى الطریق المستقیم ، فصدقنا به ، ولن نعود إلى ما كنا علیه من الإشراك بالله .
- ٣- ثم نزُهوا ربهم عن الزوجة والولد، فقالوا: علا ملك ربنا وسلطانه أن يكون ضعيفًا ضعف خلقه ، الذين تضطرهم الشهوة إلى اتخاذ صاحبة ، أو ملامسة يكون منها الولد ، وكانت العرب تزعم أن الملائكة بنات الله ، جاءته من صهر مع الجن ، فجاءت الجن تكنب هذه الخرافة الأسطورية ، في تسبيح لله وتنزيه له .
- ٤ وأن الجهال من الجن كانوا يقولون قولا شططا بعيدًا عن الصواب ، بنسبة الواد والصاحبة إليه تعالى.
- وأنهم كانوا يستعظمون أن يجرز أحد على الكذب على الله، فلما قال لهم سفهاؤهم إن لله صحيحة
 وولذًا، صدقوهم لأنهم لم يتصوروا أنهم يكذبون على الله.
- ٦ وأن رجالاً من الإنس كانوا يستعينون في القفر برجال من الجن فزادوا الجن بذلك طغيانًا وغيًا، إنهم
 لما استعانوا بالجن خوفًا منهم ولم يستعينوا بالله ، استذارهم ولجترأوا عليهم .
- ٧ ظنّت الطائفة الظالمة من الجن أن الله لن يبعث رسولاً إلى خلقه يدعوهم إلى توحيده والإيمان برسله واليم الأعتقاد في حكمة الله واليم الأعتقاد في حكمة الله ويمان برسله ويمان برسله ويمان برسله ويمان المؤلف للإعتقاد في حكمة الله وكماله . وهزلاء النفر من الجن المؤمن يصححون لقومهم ظنّهم ، والقرآن في حكايته عنهم يصمح المشركين أوهامهم .
- ٩ ، ٩ كان الجن يحاولون الاتصال بالملأ الأعلى ، واستراق شىء مما يدور فيه بين الملائكة ، عن شئون
 الخلائق فى الأرض ، ثم يوحون ما التقطوه لأوليائهم من الكهان والعرافين ، الذين يستغلون الكثير من
 الحق فيمزجونه بالكثير من الباطل ، ويروجونه بين جماهير الناس .

- ويعد رسالة النبى محمد 瓣، حاولت الجن استراق السمع من السماء فلم يتمكنوا ، لأن الحراسة شددت على السماء ، ومن حاول استراق السمع ومعرفة الغيب رجم بالشهب فقطته أو تخبله .
- ٩ إن الجن لا تعلم شيئًا عن الغيب المقدر للبشر ، ولا يدرون الحكمة من حراسة السماء بالشهب ، ولا ماذا قدر الله لعباده فى الأرض ، أعذابًا أراد الله أن ينزله بهم ، أم أراد بهم ربهم الهدى ، بأن يبعث فيهم رسولاً مرشئًا يهديهم إلى الحق وإلى طريق مستقيم .
- ١١ من الجن الصالح والطالح ، ومذهم المسلم والجائر ، فهم مثلهم مثل الإنسان في طبيعته ، ليهم
 استعداد للخير والشر، إلا من تمحض منهم للشرّ وهو إبليس وقبيله .
- ٧٠ إن الله قادر علينا حيث كنا فلا نفوته هربًا ، فهم يقررون ضعف المخلوق أمام الخالق ، ويشعرون بسلطان الله القامر الغالب .
- ١٣ لما سمعنا القرآن صدقنا به وأقررنا بأنه من عند الله ، ومن يصدق بالله وبما أنزله على رسله فلا يخاف نقصًا من حسناته ، ولا هواذًا ولا جورًا ، لأن المؤمن في حماية الله وعونه ورعايته ، وسينال جزاءه وافرًا كاملاً.
- 4 -- من الجن فريق مؤمن أطاع الله واستقام على الهدى، وفريق قاسط جائر مائل عن الصواب، وقد وصل
 الغريق المؤمن إلى الصواب حين اختار الإسلام وحرص على الرشد والاعتدال.
- ١٥ أما الجائرون عن سنن الإسلام فشأنهم أن يكونوا حطبًا لجهنم ، تتلظى بهم وتزداد اشتعالاً ، كما تتلظى الذار بالحطب .
- ١٦ يلتفت القرآن في الخطاب، وينتقل من الحديث على لسان الجن إلى مخاطبة الرسول والخلق أجمعين فيقول: لو استقام الإنس والجن على ملة الإسلام لوسعنا عليهم أرزاقهم، ولبسطنا لهم خيرات الحياة.
- ۱۷ وهذه النعم للاختيار والايتلاء ، فمن شكر النعمة وأحسن التصرف فيها استحق بقاءها ، ومن أعرض عن منهج الله بخل في العناب الشاق الذي يعلوه ويظهه ولا يطيق له حملا .
- ۱۸ -- إن السجود أو مواضع السجود -- وهى المساجد -- لا تكون إلا لله ، فهناك يكون التوحيد الخالص ، ويتوارئ كل ظل لكل أحد ، ولكل قيمة ، ولكل اعتبار ، وينفرد الجو للعبودية الخالصنة لله .
- ۱۹ لما قام منحمد ﷺ يعبد الله ، كاد الجن يكونون جماعات بعضها فوق بعض تعجبًا مما شاهدوا من عبادته ، وسمعوا من قراءته ، واقتداء أصحابه به قيامًا وركومًا وسجودًا ، وأخذوا ورُهشوا من جلال

- ما سمعوا ، وروعة ما شاهدوا ، وهو دليل على انشقال السماء والأرض والملائكة والجن بهذا الوحى ، وعلى الجدّ الذي يتضمنه : إِنَّهُ رُقُولٌ فُصِّلُ و رَمَا هُو بَالْهَرُلُو. (الطارق: ١٤٠ ، ١٤).
 - ٢٠ قل يا محمد للناس: إنما أعبد الله وحده ، ولا أشرك بعبادته صنعًا ولا وثنًا ولا مخلوقًا.
 - ٢١ قل: إنى لا أملك لكم نفعًا ولا ضرًّا ، فالله وحده هو الذي يملك الضرّ ويملك الخير .
- ٣٢ ، ٣٢ إنى لا أجد ملجأ أو حماية من دون الله ، إلا أن أبلغ هذا الأمر ، وأودى هذه الأمانة ، فهذا الأمر ليس أمرى ، وليس لى فيه شيء إلا التبليغ ، ولا مفرلي من هذا التبليغ ، والرسالة ليست تطوعًا ، وإنما هي تكليف صارم جازم لا مفر من أدائه ، فالله من ورائه .
- يقول الله تعالى : يَنْكَلُهُا ٱلرَّسُولُ بَلَغْ مَا أَنْزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبُكَ وَإِن لَّمْ تَفَعُلْ فَمَا بَلُفْتَ رِسَالَتُهُ, ... (المائدة : ١٧). ومن يكذب برسالات الله فإن له نارًا يصلاها ، خالدًا فيها إلى غير نهاية .
- ٢٤ وإذا كان المشركين يركنون إلى قوة وإلى عدد ، ويقيسون قرتهم إلى قرة محمد ﷺ والمؤمنين القلائل
 معه ، فسيطمون حين يرون ما يوعدون ، أى الغريقين هو الضعيف المخذول ، القليل المهزول .
- ٢٥ ويتجرد الرسول وينفض يده من أمر الغيب ، فالعذاب الذي يتوعد به الكافرين ليس له فيه يد ، ولا بعلم له موء أم بعدد يجعل الله له أمدًا ممتدًا ، سواء عذاب الدنيا أن عذاب الأخرة ، فكله غيب في علم لله .
 - ٢٦ والله سبحانه هو المختص بالغيب دون العالمين.
- ٧٧ والرسل الذين يرتضيهم الله لتبليغ دعوته ، يطلعهم على جانب من غيبه ، هو هذا الوحى موضوعه ، وطريقته ، والملائكة الذين يحملونه ، ومصدره ، وحقظه فى اللوح المحفوظ ... إلى آخر ما يتملق بموضوع رسالتهم ، مما كان في ضمهر الغيب لا يعلمه أحد منهم .
- وفى الوقت ذاته يحيط بهؤلاء الرسل الأرصاد والحراس من الحفظة ، للحفظ وللوقاية ، يحمونهم من وسوسة النفس وتمنياتها ، ومن الضعف البشرى فى أمر الرسالة ، ومن النسيان أو الانحراف ومن سائر ما يعترى البشر من النقص والضعف .
- و الخلاصة : إنه يدخل حفظة من الملائكة يحفظون قوى الرسول الظاهرة والباطنة من الشياطين ويعصمونه من وساوسهم .

٢٨ - وهذه الحراسة الشديدة ليظهر الله للناس أجمعين أن الملائكة قد أبلغوا رسالات ربهم ، غير مشوية بتغليط من الجن أو من الجنون ، وهو سبحانه محيط علمًا بجميع أحوال أولئك الوسائط ، وهو سبحانه أحصى كل شيء عددًا ، فلا تقتصر إحاطته على ما لدى الرسل ، بل يحيط بكل شيء إحصاء وعدًا ، وهو أدى أن أن أن أن الإحادة والعلم . ويهذا الإيقاع الهائل الرهبيت تختم السورة التي بدئت بروعة الجن من سماع القرآن ، ويُحتمت بإحاطة الله الشاملة لمن يؤدون رسائته ، وحمايته لمن يبلغون دعوته ، وقد وسع علمه السماوات والأرض وكل ما في الوجود .

المقصد الإجمالي للسورة

اشتملت سورة الجن على مقصدين:

- حكاية أقوال صدرت عن الجن حين سمعوا القرآن ، كوصفهم له بأنه كتاب يهدى إلى الرشد ، وأن الربُ
 سبحانه تنزه عن الصاحبة والولد ، وأنهم ما كانوا يظنون أن أحدا يكذب على الله ، وأن رجالاً من الإنس
 كانوا يستعيذون في القفر برجال من الجن ، وأن الجن طلبوا خبر العالم العلوى فمنعوا ، وأن الجن لا
 يدرون ماذا يحل بالأرض من هذا المنع ، وأن الجن منهم الأبرار ومنهم الفجار ، ومنهم مسلمون
 وجائرون عادلون عن الحق .
- Y ما أُمر النبى ﷺ بتبليغه إلى الخلق ، ككرنه لا يُشرك بربه أحدًا ، وأنه لا يملك لنفسه ضرًا ولا نفعًا ، وأنه لا يمنعه أحد من الله إن عصاه ، وأنه ﷺ لا يدرى متى يكون وقت تعذيبهم فالعلم لله وحده ، وأن الغب لا يعلمه إلا الله ، ثم من اهمالهي من الرُّسل .

* * *

استماع الجن للقرآن الكريم بشمير الله التَّمَّزُ الرَّهَدُ الرَّمُزُ الرَّهَدِيمَ

﴿ قُلْ أُوحِى إِنَّ أَنَّهُ السَّمَعَ نَفَرِّمَنَ الْجِينَ فَقَالُواْ إِنَّا سَعِمْنَا قُوَّ اَتَا عَبَا ۞ يَهْدِى إِلَى الرُّشَدِ
فَامَنَا بِهِ وَلَنَ أَشْرِكَ بِرِيَّنَا لَحَالُ۞ وَأَنَّهُ, تَعَلَى جَدُّ رَنِنَا مَا اَغَنَدَ صَحِبَةً وَلا وَلَدَا ۞ وَأَنَّهُ,
فَامَنَا بِهِ وَلَنَ أَشْرِكَ بِرِيَّنَا لَحَلَا۞ وَأَنَّهُ, تَعَلَى جَدُّ رَنِنَا مَا اَغَنَدَ صَحِبَةً وَلا وَلَدَا ۞ وَأَنَّهُ,
كَاكَ يَقُولُ سَفِيهُمَنَا عَلَى اللّهِ مَطَطُلُ ۞ وَأَنَّا طَنَنَا أَن نَن نَقُولَ الإِنسُ وَالْجِنُ عَلَى اللّهِ كَذِبًا۞
وَأَنْهُمُ طَنْوا كَمَا ظَنَنهُمُ أَن وَلَهُمْ رَهَقًا ۞ وَأَنْهُمُ ظَنُواْ كَمَا ظَنَنهُمُ أَن
لَنْ يَبْعَثَ اللّهُ أَحْدًا۞﴾

المفردات ،

أوحى إلى الوحى شرعا : إعلام الله تعالى أنبياءه ما يريد إبلاغهم به من الشرائع والأعبار بطريق خفى . المنطور ، ما يين الثلاثة والمشرة .

البجن ، واحدهم جنّى ، كروم ورومي .

عبيها، بديعًا مباينًا لكلام الناس، في حسن النظم ويقة المعنى.

جدُّ رينا ، عظمته وسلطانه وجلاله ، يقال : جدُّ فلان في عيني ، أي : عظُم ، قال أنس : كان الرجل إذا قرأ البقرة وآل عمران جدُّ فينا ، أي : جل قدره وعظم .

السشية: الجاهل أو الأحمق.

شطيطًا؛ غلوًّا مجاوزًا الحدَّ، في نسبة الصاحبة والولد إلى الله.

يمعوذون ؛ يلتجئون ، وكان الرجل إذا أمسى بقفر قال : أعوذ بسيد هذا الوادي من سفهاء قومه .

رهــقــا؛ تكبرًا، وأصل الرهق: الإثم وغشيان المحارم.

التفسيره

٩ - قُلْ أُوحِيَ إِلَى أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ لَقَرَّ مِّنَ ٱلَّحِنَّ فَقَالُوٓ أَ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجبًا .

قل يا مصد لقومك : إن جبريل أخبرني بأنَّ جماعة من الجنَّ ، قد استمعت القرآن من النبي ﷺ وهر قائم في صلاة الفجر بعد عودته من الطائف ، فقال الجن لأخوانهم راقومهم :

إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا .

أى: باهرًا عجيبًا بديعًا في حسن نظمه ، ودقة معانيه ، فهو عجيب باهر في أسلوبه ونظامه ورمط معانيه ، وهو عجيب باهر في رشاقة ألفاظه ، وتسلس أفكاره ، وهو عجيب باهر فيما اشتمل عليه من أحكام وتشريع وأداب ، وأخبار عن الأمم الماضية ، ومشاهد للقيامة والحساب والجزاء ، والصراط والمهزان ، والجنة والتار.

٢ - يَهْدِي إِلَى ٱلرُّشْدِ فَعَامَنَا بِهِ وَلَن نُسْرِكَ بِرَبَّنَا أَحْدًا .

هذا القرآن يبدى إلى الرُسُد ، وإلى العقل والحكمة والهداية ومرضاة الله ، وإلى البعد عن اللَّرْق والطيش والنساد والانحراف ، لذلك آمنًا بهذا الكتاب المتميزُ ، الهادى للرشاد والحكمة ، ولن نشرك بعبادة الله أحدًا ، بل نعبد الله وحده لا شريك له .

٣ - وَأَنَّهُ تُعَلَّىٰ جَدُّ رَأْتَا مَا أَتُخَذَّ صَلْحِبَةً وَلا وَلَدًا .

الجدُّ: العظمة والسمور.

وفي الأثر: كان الرجل إذا قرأ سورة البقرة جدُّ فيناً. أي : جلُّ قدره.

والمعنى :

تنزه الله ، وجل قدر ربنا ، فهو إله منزه عن كل نقص ، منصف بكل كمال ، ليس فى حاجة إلى صاحبة ، وليس فى حاجة إلى ولد ، إنما يحتاج إلى ذلك الإنسان ليأنس بالزوجة ، ويفتنر بالولد ، ويحتمى به عند الكبر ، أما الله جلّ جلاله ، وتقدّست أسماره ، فلا يحتاج إلى زوجة أو ولد ، وإنما هو سبحانه منزه ، عند نله ، فهو الإله الحقّ ، المنزه عن الاحتياج إلى أيّ شيء ، المستغنى عن كل شيء .

والخلاصة: تنزُّه الله العظيم الجليل عن أن يقذذ زوجة أو ولدًا.

﴿ وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى ٱللَّهِ شَطَعًا .

إن الجاهل فينا والأحمق ، أو ضعيف العقل ، أو إبليس كان يقول على الله قولاً بعيدًا عن الصواب ، بعيدًا عن الحق والاعتدال ، حيث كان يدّعى أن للهُ صاحبة أو وادا ، أو كان إبليس يدعوهم إلى عبادة غير الله .

ه - وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّن تَقُولَ ٱلْإِنسُ وَٱلْحِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَلِّهُا .

ظننا أن أحدًا من الإنس أو الجن لا يجرو على أن يكنب على الله الجليل العظيم ، فلما سمعنا القرآن يُترُّه الله الواحد الأحد عن الشريك وعن الصاحبة والولد ، تيقنًا بصدق القرآن ، ويافتراه وكتب من ادعى أن لله صاحبة أو ولذا أو شريكًا ، حيث كان السفهاء يررُجون أن الله تزرج من سراة الجن ، فأنجبت له الملائكة ، وادعوا أن الملائكة بنات الله ، وأن لله زوجة من الجنّ ، وكل هذه المفتريات أدركرا كذبها بعد سماع القرآن ، ووصول الإيمان إلى قلويهم ، فأدركوا على الفور كنب هذا السُّفة ، وهكنا الإيمان حين تخالط بشاشته القلوب ، وكأن هذه الآية نداء جهير لأهل مكة ، يقول لهم : أما تشاهدون أن الجن سمع القرآن مرة واحدة ، فاهتدى وآمن وصدّق بالله ربًا ، وبالإسلام دينًا ، ويمحمد ﷺ نبيًا ورسولاً ، وبالقرآن كتابًا سماويًّا منزلاً من عند الله على رسوله ، هاديًا إلى الرشد والحقّ ، وأنتم تسمعون القرآن منذ الجهر بالدعوة ، وتعرضون عن

٣ - وَأَلَّهُ, كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُودُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْحِنَّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا .

كان الرجل من العرب في الجاهلية إذا أمسى في قفر من الأرض قال: أعوذ بسيد هذا الوادي ، أو بعزيز هذا المكان ، من شرّ سفهاء قومه ، يريد الجن وكبيرهم فيبيت في جواره حتى يصبح .

وهذه الاستعادة من الإنس بعزيز الجن وكبيرهم ، زادت الجنّ تههّا وكيزًا ، وصلفًا وعُثوًّا ، حيث قالت الجنَّ : سُدنا الإنس والجنّ ، أن أن الجن زادوا الإنس خوفًا وفَرَقًا ، بل زادوهم كُفُرًا ، إذ الاستعادة لا تكرن إلا بالله ، وأن تعظيم الجنّ والخوف منهم ، واعتقاد أن لهم ضررًا أو نفكًا بدون إذن الله ، يؤدي إلى قساد المقيدة .

وخلاصة المعنى :

كان بعض رجال الإنس يتحمّنون ويتعوّدون يسادة الجنّ ، فعيثت الجن بهزلاء الناس ، ورائدتهم خوكًا وقلقًا واضطرابًا ، ويؤخذ من ذلك أن المؤمن يتحمّن بالقرآن الكريم والسنة الصحيحة ، كما ورد في المأثورات . ومما يتعوذ به المؤمن من الحسد والعين والسحر والجن ما يأتي :

١ – قراءة الفاتحة .

٢ -- آية الكرسي .

٣ -- خواتيم سورة البقرة .

٤ -- يسم الله ما شاء الله ، لا قوة إلا بالله .

٥ - قل هو الله أحد ، والمعوذتين .

٢ - فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَلْفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّاحِمِينَ . (يوسف: ٦٤) .

٧ - إخراج مندقة .

 (أعينك بكلمات ربنا التامّات المباركات، ما علمت منها وما لم أعلم، من سرّ ما ينزل في الأرض وما
 يخرج منها، وما يصعد إلى السماء وما ينزل منها، ومن طوارق الليل والنهار، إلا طارقًا يطرق بخير يا رحمن).

٩ - اليقين الجازم بأن بهد الله الفلق والأمر، وأن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشىء ما نقعوك إلا بشىء قد كتبه الله بشىء قد كتبه الله بشىء قد كتبه الله على من يضروك بشىء ما ضروك إلا بشىء قد كتبه الله عليك، فهذا البقين هو الصحفرة الصحفاء التى تتكسر عليها سهام الحاسدين والمؤذين.

إن العقيدة الصادقة بأنُّ بيد الله كلَّ شيء، وأن الجن لا تستطيع نفعًا أو صَرًّا إلا بإذن الله، ذلك هو الذي يبدد الخوف والقلق، ويبعث على الرضا وراحة البال وسعادة النفس.

٧ - وَأَنَّهُمْ ظَنُواْ كُمَا ظَنتُمْ أَن لِّن يَبْعَثَ ٱللَّهُ أَحَدًا .

ظنَّ بعض الإنس كما ظن الجن أن الله لن يبعث رسولاً لهداية الناس ، وإخراجهم من الطّلمات إلى النور ، وإرشادهم إلى العقيدة الصحيمة ، والتفكير الأمثل السوىّ .

أو تُفهم الآية على النحو الآتي :

ظنَّ كفار قريش كما خلف الجن أنه لا بعث ولا حشر ، ولا حساب ولا جزاء ، وكلاهما فهم خاطئ. فالله يرسل الرسل لهداية الناس ، والله أكد أن البحث حق : قُلْ بَنْيَ رَزْقَي تَيْتُشُّ ... (التفايين ٧).

حتى يجازي كل إنسان بما عمل ، بالإحسان إحسانًا ، وبالسوء سوءًا.

معلومات عن الجن

﴿ وَاَتَّا لَمَسْنَا السَّمَةَ فَوَجَدَنَهَا مُلِمَّتُ حَرَسَا شَدِيدَاوَشُهُمُّا ۞ وَأَتَاكُنَا نَعَمُدُ مِنْهَا مَقْعِدَ لِلسَّمَعِ فَمَن يَسْتَعِع الْآنَ يَعِدَلَهُ شِهَا بَارَصَدُا ۞ وَأَنَا لَانَدْرِيَ اَشَرُّ أُرِيدَ بِمِن فِي الْآرُضِ أَمْ أَوَادَ بِمِ رَجُهُمُ رَشَدَا ۞ وَأَنَامِنَا الصَّلُوحُونَ وَمِنَا دُونَ ذَلِكَ كُنَاطُرَا بِيَ وَدَدًا ۞ وَأَنَاظَنَنْ أَانُ لَنَ نُعْجِدَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَلَن نُعْجِزَهُ هَرَا الصَّلُوحُونَ وَمِنَا دُونَ ذَلِكَ كُنَاطُرَا بِيَ وَدَدًا ۞ وَأَنَاظَنَنْ أَنَا المُسْلِمُونَ وَمِنَا الْفَسَلِمُونَ وَمِنَا الْفَسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهُنَهُ مَعْمَا الْفَدَسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهُنَهُ مَعَلَى اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ وَمَن أَسَلَمُ فَأُولُو لِجَهُنَهُ مَعَلَى اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ الْمُعَلِّدُ وَمَن لِعُرُولُ لِحَمْلَ اللَّهُ اللللْمُلِلَا اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ

المطردات:

وأنا المسنا السماء ، طلبنا خبرها كما جرت بذلك عادتنا .

شـــنيــندا، قويًا.

السيماع.

الشـــــهب، ولحدها شهاب، وهو الشعلة المقتبسة من ثار الكواكب.

رمست دا، أرصد له ليرمي به .

طسرائسق قسددا، جماعات متفرقة ، وفرقًا شتى ، أو مذاهب مختلفة .

تــــــددا: جمع قدة ، وهي القطعة من الشيء .

تُعبجلُ السلسة : نفوته ونتقلُّت منه .

هـــريــا : هاربين إلى السماء .

السبسخس؛ النقص على سبيل الظلم.

المناسطون، الجائرون والمائلون عن طريق الحق.

تحصروا رشداء قصدوا طريق الحق والمنواب.

حـــطــها، وقودًا للنار.

السطسريسقسة : هي طريق الإسلام .

غــــا، كثيرًا.

ننشتنهم فيه: لنختبرهم ، أيكفرون أم يشكرون .

يسلسكسه ، يدخله .

التفسيره

٨ - وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَاءَ فَوَجَنْنُهَا مُلِكتُ حُرَسًا شَدِيدًا وَشُهُيًا .

أى: طلبنا بلوغ السماء والتتمت على أخبارها كما كنًا نفعل في الجاهلية ، فوجدنا السماء قدمائت بالحرّاس الأشداء من الملائكة ، التي تمنع الجنّ من استراق السمع والتقاط أخبار السماء ونقلها إلى الكهان فيزيد الكاهن على الكلمة الولحدة تسمًا ، فيصدق في كلمة ويكنب في الباقي ، فإذا عيروه بالكذب وعدم تحقق ما قاله ، أجاب الكاهن : ألم أخيركم بشأن كذا يوم كذا ، وقد صدق ؟

وإذا حمل الجني خبر السماء ، وأقلت من حراسة الملائكة تبعه شهاب من نيران الكواكب ، يقتله أو يخبله ، ويمنعه من نقل أسرار السماء .

وفى الأحاديث النبوية المسحيحة ما يفيد أن الجنّ كانت ترصّ بعضها فوق بعض ، فيضع الجني أن يسم أثنامه فوق كتف الأخلى ومكذا ، حتى يستطيع آخر جنّى أن يسمع خبر السماء ، وأن يتنصت على كلام الملائكة ، تقول لبعضها مثلاً : قضى الليلة بموت فلان ، أن نمثر فلان ، فينقل الجنّى الخبر إلى الكهّان ، فيكذب الكاهن مع الكلمة تسعًا ، فلما أرسل الله محمدًا يُثِيَّة شدت الحراسة على السماء ، فمن أراد أن يقعد في مكان قريب من السماء لاستراق السمع ، منعه الحراس وأحرقته الشهب بنيرانها لا تتعطاه ، والغرض من نلك حفظ الوحى والقرآن الكريع من استراق الشهاطين .

٩ - وَأَنَّا كُنَّا لَقُعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَهَن يَسْتَمِعِ ٱلَّآنَ يَجِدُ لَهُ, شِهَابًا رَّصَمًّا .

أى: كنا فى الجاهلية نجد أماكن خالية نجلس فيها ، ونقعد لاستماع حديث الملائكة مع بعضها ، لكن الأمر تغيّر ، فمن حاول الجلوس لاستماع أخبار السماء وجد شهابًا محرقًا من النار ، مترصدًا له ليقتله أو ليخبله ،

١٠ - وَأَنَّا لَا نَدْرِى ٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَكًا.

لقد تغير الحال عما ألفناه ، فقد كنّا نسترق السمع ، ونجلس في مقاعد قرب السماء نسمع أخهار الغيب في الجاهلية ، والآن شُددت الحراسة على السماء ، ومُنعنا من استراق السمع ، لا ندرى ، هل هذا العمل بسبب عذاب أراده الله بأهل الأرض المكنبين لرسله ، أم أراد الله بهم خيرًا وفضلاً حين يرسل رسولاً ، فيوُمنون به ويهندون برسالته .

١١ - وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَالِكَ كُنَّا طُرَآلِينَ قِدَدًا .

تخبر الجن عن نفسها بأنها نوعان : المؤمنون الصالحون المستقيمون على أمر الله ، والكافرون الرافضين للإيمان .

كُنَّا طُرِّ آلِقَ قِلَدُا .

كنًا مذاهب مختلفة ، وجماعات متعددة ، بعضها بالغ الحسن في الصلاح ، ويعضها دون ذلك في الدرجة والاستقادة ، أو يعضها كافر فاجر ، فكنًا فرقًا شتى ، وأديانًا مختلفة .

قال سعيد بن المسيب : كنَّا مسلمين ويهودا ونصارى ومجوسًا .

١٧ - وَأَنَّا ظَنَتُنَّا أَن لَّن تُصْحِرَ ٱللَّهَ فِي ٱلْأَرْض وَلَن تُصْحِرَهُ, هَرَبًا .

تيقنًا وتأكدنا أننا في قبضة الله وسلطانه أينما كنًا ، فأين المهرب من قضاء الله وقدره ، وبيده · سبحانه الخلق والأمر ؟

قال القرطيي: أي علمنا بالاستدلال والتفكّر في آيات الله أنّا في قبضته وسلطانه ، لن نفوته بهرب ولا غيره . ا هـ . وقال غيره : لن نعجز الله في الأرض مع بسطها وسعتها وكثرة فجاجها ، وتشعب طرقها ، فلا نقوت. إذا أراد بنا أمرًا أينما كنًا فيها ، ولن نستطيع أن نقلت منه — عز وجل — هربًا إلى السماء ، وإن هرينا قلن نخلُصُ منه ، وذلك لشدة قدرته وعظيم سلطانه .

هذه هي الجن تعترف بعجزها وانكسارها أمام القوة الواحدة الخالبة على هذا الكون ومن فيه.

٩٣ -- وَأَنَّا لَمُا سَمِعْنَا ٱللَّهُدَىٰ ءَامَنَّا بِهِ فَمِن يُؤْمِنُ بِرِبَّه فلا يخافُ بِخْسَا و لا رهقًا .

يعود الجن إلى سعادتهم بالإيمان والقرآن ، فيقولون : وأنا لما سمعنا القران يتلى -- وهو هداية ورشد -- آمنا به ، وصدقنا بالإسلام ، ويرسالة محمد ﷺ ، فالمؤمن في رعاية الله وعدالته ، وحاشا لله أن يظلم أحدًا .

قال تعالى : مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَلَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَءَامِنتُمْ . . (النساء ١٤٧) .

فمن يؤمن بالله فلا يخاف بخسًا ولا نقصًا من حسناته ، ولا يخاف رهفًا ، أي . إرهاقه بالسيئان أو بالهوان والمذلّة .

قال تعالى : إِنَّ ٱللَّهُ لَا يُطْلِمُ مِثْقَالَ ذُرَّةٍ وَإِن تكُ حَسَنةً يُصَاعِفُها وَيُؤْت مِن لَذَنْهُ أَجْرًا عظيمًا . (النساء : ١٠).

وقال عن شأنه : فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرهُ ، وَمِن يَعْمِلُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شرًّا يرهُ . [الزلزلة ١٨٠٧].

١٥ - ١٥ - وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَلْسِطُونَ فَمِنْ أَسْلَمَ فَأُولَشْك تحرُواْ رَشْدًا ، وأَمَّا ٱلْقَلْسِطُونَ فَكَانُواْ
 الجَهَيَّمُ حَقَلًا.

الجنّ طائفة منها المسلم المؤمن المستقيم الذي رجّع جانب الخير على جانب الشر ، شأن مسلم الإنس ، ومنهم الجائر الظالم .

فأما المسلم فقد الحتال الرشد ، وبحث وتحرّى عن عقيدته التي يدين بها ، فاختار الإسلام ، وأما الكافرون الظالمون فقد أثروا الضلال والعناد ، فمألهم جهنم ، وسوف يكونون وقود النار وحطبها .

رُوى عن سعيد بن جبير رحمه الله ، أن للحجاج بن يوسف الثقفى قال له حين أواد قتله : ما تقول في ٢ فقال سعيد: قاسط عادل ، فقال القوم : ما أحسن ما قال ، فقال الدراج يا جهلة ، إنه سمّانى ظالمًا مشركًا ، وتلا لهم قوله تعللى : وَأَمَّا ٱلْقَنْسِطُونَ فَكَالُواْ لِجهَتَمْ حطبًا . وقوله عز وجل : ثُمَّ ٱلّذِينَ كَفُرُواْ بِرَبُّهِمْ يَعْدِلُونَ . (الأنعام : ١) .

١٧ - ٢٠ - وَٱلْوِ ٱسْتَقْدُمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لِأَسْقَيْدُهُم مَّاءً عَلَقًا و تُنْفِيتُهُمْ فِيهِ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِخْرِ رَبّهِ يَسْلُكُمْ
 ١٤ - ١٧ - وَٱلْوِ ٱسْتَقَدْمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لأَسْقَيْدُهُم مَّاءً عَلَقًا و تُنْفِيتُهُمْ فِيهِ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِخْرِ رَبّهِ يَسْلُكُمْ

يلتفت الخطاب ويتغير من الحديث على لسان الجن إلى خطاب موجُّو من الله تعالى لنبيه وللبشرية كلها ، يدعوها إلى الهداية والإيمان بالله ، ويبين أن سعادة الدنيا والآخرة في طاعة الله ورسوله ، والتمسك بأهداف التشريع الإلهي .

والمعنى:

لو أن الجن والإنس استقاموا على طريقة الإسلام لأغدق الله عليهم النَّمم ، وحفَّتهم بركات السمام ، فحيث يكن الماء يكين المال ، وحيث يكن المال تكون الفتنة والاعقبار .

أَتَفْعِنَهُمْ فِيهِ ...

لتعاملهم معاملة المختبر ، حيث تعطيهم النعمة وترى تصرُّفهم حيالها .

وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ زَبِّهِ يَسْلُكُهُ عَلَابًا صَعَمَّا.

ومن أعرض عن هدى الله ، واعتار العاجلة على الآجلة ، ترك الله قلبه الشقاء والعذاب المتصاعد الأليم ، الذي يعلوه ويغلبه ولا يطيق له حملا .

والآيتان تشيران إلى سنة من سنن الله ، وهي إسعاد من يختار طريق الهدى ، لأنه متناسق مع الكون ، خاضع لأمر الله ، متوافق مع سنن الله ، ومع نواميس الكون والحياة ، وأن من يعرض عن هداية الله وشرعه يُصَبِّ بالتماسة والعذاب الداخلي الذي لا يطيق حمله ، ولا التغلب عليه .

وقويب من ذلك قوله تحالى : وَلَقَدْ كَتُبَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنْ يَعْدِ ٱللَّذِي أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِيُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّلِيلِمُونَ . (الأنبياء : ٥٠٠)

وقوله عن شانه : وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْفَرَىٰ ءَامَنُواْ وَالْقُوْاْ لَقَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَنْتِ مِّنَ ٱلسَّمَاءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَلَكِن كَلَّمُواْ فَأَخَلْنَاهُم بِمَا كَانُواْ يُكْسِبُونَ . (الأعول: ٣٦) .

وفى صحيح البخارى : «إن هذا المال حَضَرَة حارة ، فمن أخذه بحقة فنعم المعونة هو ، ومن أخذه من غير حقّه كان كالذي يأكل ولا يشيع ، وإن مما ينبت الربيع ما يقتل حيفًا أو يلمّ ، إلا آكلة الخضراء ، أكات حتى إذا امتلاًت خَاصِرتُأهُا (جنباها) استقبلت عين الشمس فظاطت ويالت: [10] وفي صحيح مسلم أن رسول الله ﷺ قال: «أخوف ما أخاف عليكم ما يخرج لكم من زهرة الدنياء، قالوا: وما زهرة الدنيا؟ قال: «بركات الأرض»(٩٠).

وجاء في تفسير القرطبي : أن رسول الله ﷺ قال : «والله ما الفقر أخشى عليكم ، وإنما أخشى عليكم أن تُبسط عليكم الدنيا كما بُسطت على من قبلكم ، فتنافسوها كما تنافسوها ، فتهلككم كما أهلكتهم والله

* * *

صدق العقيدة

﴿ وَأَنَّ ٱلْمَسَنِحِدَ لِلّهِ فَكَلَ تَدْعُوا مَعَ اللّهِ أَحَدًا ﴿ وَأَنَّهُ اللّهَ فَامَ عَبَدُ اللّهَ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْدِيدَ اللّهِ فَلْ إِنِي لاَ أَمْلِكُ لَكُرُّ صَرَّا وَلاَ رَسُكًا اللّهِ فَلْ إِنِي لاَ أَمْلِكُ لَكُرُّ صَرَّا وَلاَ اللّهِ فَلِي لِللّهِ فَلِي لَكُمْ صَرَّا وَلِللّهِ فَرِسَلَكِيدٍ فَي فَلْ إِنِي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ صَرَّا اللّهِ وَرِسَلْكِيدٍ فَي فَلْ إِنِي لَهُ اللّهِ فَلَ اللّهِ وَرِسَلْكِيدٍ وَمِن اللّهِ اللّهِ عَلَى اللّهِ وَرِسَلْكِيدٍ وَمِن اللّهِ اللّهِ عَلَى اللّهِ وَرِسَلْكِيدٍ وَمَن يَسْهِ اللّهِ اللّهِ وَرِسَلْكِيدٍ وَمِن اللّهِ عَلَى اللّهِ وَرِسَلْكِيدٍ وَمِنْ اللّهِ اللّهِ اللّهِ وَرِسَلْكِيدٍ وَمِنْ اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهِ وَرِسَلْكِيدٍ وَمِنْ اللّهِ اللّهِ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ وَرَسُولُهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ وَرَسُولُهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ الللللللّهُ الللللللّهُ الللللللللّهُ الللللللّهُ الللللللّهُ اللللللللّهُ الللللّهُ اللللللللللللللللللللللللللل

المفردات

فيلا تسدون فلا تعبدوا .

مصلحة على الشاعر:

يا لهف نفسي ونفسي غيرُ مُجُدية عني وما من قضاء الله مُلْتحدُّ

بسلاغسامسن السلسه، تبليغًا لرسالاته، أي: لا أمك لكم إلا البلاغ، أي: تبليغ الرسالات.

حستى إذا رأوا ما يوعدون ، ما يوعدون به من العذاب في الدنيا كوقعة بدر ، أو في الآخرة بعذاب النار .

هسي علم وق و عند حلول العذاب بهم يوم بدر، أو يوم القيامة.

مِنْ أَضْعَفْ نَاصِرا وَأَقِلُ عَدَدًا ، مِنْ أَضْعِفْ أَعَوَانًا ، وأَقِلَ عَدِدًا ، هِن أَم هِم .

سبب النزول ،

سبب نزول الآية (١٨):

وَأَنَّ ٱلْمُسَلِّحِدُ لِلَّهِ ... الآية .

أخرج ابن أبي حاتم ، عن ابن عباس قال : قالت الجن : يا رسول الله ، الذن لذا ، فنشهد معك الصلوات في مسجدك ، فأنزل الله : وَأَنَّ الْمَصْلُحِةِ لَلِّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا . وروى ذلك أيضًا عن الأعسش .

وأخرج ابن جرير ، عن سعيد بن جبير قال : قالت الجن للنبي ﷺ : كيف لنا نأتي المسجد ونحن ناءُون عنك ، أى : بعيدون عنك ، أو كيف نشهد الممالاة ونحن ناءُون عنك ، فنزلت : وَأَنْ ٱلْمُسْلِحِدُ لِلَّهِ ... الآية . . سب نوول الآية (، ۲) :

قُلْ إِنْمَا أَذْعُواْ رَبِّي ... سبب نزولها كما ذكر الشوكاني: أن كفار قريش قالوا للنبي ﷺ: إنك جئت بأمر عظيم ، وقد عاديت الناس كلهم ، فارجم عن هذا فنحن نجيرك .

سبب نزول الآية (٢٢) :

قُلُ إِلَّى أَنْ يُوْمِرُنِي ... أخرج ابن جرير ، عن حضرمى أنه نكر أن جنيًا من الجن من أشرافهم ذا تَتَع قال : إنما يريد محمد أن يجيره الله ، وأنا أجيره ، فأنزل الله : قُلْ إِلَّي لَنْ يُجِرِزُي مِنْ ٱللَّهُ أَحَدٌ ... الآية . ٢٩٠] . . افتضست ،

١٨ - وَأَنَّ ٱلْمُسَلِّحِدَ لِلَّهِ فَلَا تَلْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا .

كان المشركون يضعون الأصنام حول الكعبة ، ويدعونها ويتقربون إليها مع عبادتهم لله تعالى ، فأنزل الله تعالى هذا التوجيه الإلهى ، يفيد أن المساجد لله وحده ، فلا يجوز أن يُعبد صنم أو وثن أو شغمص مع الله عز وجل ، أى أخلصوا المساجد لتوحيد الله وعبادته عبادةً خالصة له ، ولا تدعوا معه أى أحد من المخلوقين .

وقال سعيد بن جبير : نزلت في أعضاء السجود ، أي هي لله فلا تسجدوا بها لغير الله .

وفى الحديث أن رسول الله ﷺ قال : «أُمرتْ أن أسجد على سبعة أعظم · على الجبهة - وأشار بيدم إلى أنفه - واليدين ، والركبتين ، وأطراف القدمين، " " . فلا يجوز السجود بها الخير الله .

وقيل : المعنى : أفردوا المساجد لذكر الله ، ولا تتخذوها هُزُوًا ومتجرًا ومجلسًا وطرقًا ، ولا تجعلها لغيرالله فيها نصبيهًا .

وفي الحديث: عمن نشد ضالة في المسجد فقولوا. لا رئها الله عليك ، فإن المساجد لم تبن لذلك، ١٣٠٠.

وروى ابن عباس أن النبى ﷺ كان إذا دخل المسجد قدّم رجله اليمنى وقال : وأنّ آلمسجد للّهِ لُلاّ تَلْمُواْ مَعَ آللهِ أَحْدًا . «اللهم أنا عبدك وزائرك ، وعلى كلّ مزُور حقّ ، وأنت خير مزُور ، فأسألك برحمتك أن تلكّ رقبتى من النار، ، فإذا خرج من المسجد قدّم رجله اليسرى وقال : «اللهم صبّ على الخير صبّا ، ولا تنزع عنى صالح ما أعطيتنى أبدًا ، ولا تجعل معيشتى كنًّا ، واجعل لى في الأرض جنًا» . أي غنى .

١٩ - وَأَنَّهُ, لَمَّا قَامَ عَبَّدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُواً يَكُونُونَ عَلَيْه لِبدًا .

وأنه لما قام رسول الله ﷺ يعبد ربه في صلاة الفجر في بطن نخلة ، ويزم أصحابه خلفه في نظام وعبادة ، ومتابعة في الركرع والسجود ، تجمُّع الجنّ وتراكموا متزاحمين ، متعجبين مما رأوه من عبادته، ومما تلاه من القرآن العظيم .

و اللبه: الشيء الذي تلبُّد بعضَه فوق بعض ، ولفظ: لِبُلَّا . جمع لبدة ، وهي الجماعة المتزاحمة ، ومنه لبدة الأسد للشعر المتزاحم في رقبته .

وقد وصف الله نبيه محمدًا صلى بأنه عبد الله ، تكريمًا وتشريفًا له ١٠٠٠ .

وقيل:

معنى الآية : لما قام عبد الله (محمد) ﷺ يدعو ربه ، ويعبده وحده ، مخالفًا المشركين في عبادتهم ، كاد المشركون يزدحمون عليه ، متراكمين ، لا ليسمعوا ويطيعوا ، وإنما ليجدوا نفرة أو وسيلة ينفذون منها ، لتنفير الفاس من القرآن الكريم .

والرأى الأول أرجح ، لأن الأفار قد وردت ، في أن الجن قد التقوّا حول النبي ؟ ? ? ، حين سمعوه يقرآ القرآن ، وهو الموافق للآية الأولى من سورة الجنّ .

قال الزبير بن العوام : هم الجنّ ، حين استمعوا القرآن من النبي ﷺ ، كادوا يركب بعضهم بعضًا ، ازدحامًا عليه .

٢ - قُلْ إِنَّمَا أَدْعُواْ رَبِّى وَلَا أَشْرِكُ بِهِ أَحَدًا.

قل يا محمد لأهل مكة ، وللإنس والجن وسائر من تدعوهم للإسلام : إن دعوتى خالصة مجردة لعبادة الله وحده ، ولا أعبد مع الله صنعًا ولا وثنًا .

سبب النزول:

قال كفار قريش للرسول ﷺ: إنك جئت بأمر عظيم ، وقد عاديت الناس كلهم ، فارجع عن هذا فنحن نجيرك ؛ فنزلت الآية تأمر الرسول ﷺ أن يخبرهم بأنه يعبد ربّه وحده لا شريك له ، ولا يشرك بعبادته أحدًا ، وأنه لا مجير له من عذاب الله ، ولن يجد ملجأ أن ملتحدًا يحميه من عذاب الله إن أراده به .

٢١ - قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكَ لَكُمْ ضَرًّا وَلاَ رَشَدًا .

إنه التُجرُّد الكامل ، ويبان وظيفته ﴿ وهى الدعوة إلى الله وتبليخ الرسالة ، أمَّا الهداية أو الغواية ، فذلك بيد الله وحده ، الذي يهدى من يشاء ويضل من يشاء ، وييسر الهداية للمتقين ، ويسلب الهدى عن المسالين .

وفي الحديث الشريف: «أفلا نتكل يا رسول الله» ؟

أى : أَفَلَا نَعِتَمِد عَلَى أَنَّ كُلُّ إِنسَانَ قَد حُدِد مِمِيرِهِ إِلَى الْجِنْةِ أَو إِلَى النَّارِ ؟

فقال ﷺ: «لا ، اعطوا فكلَّ ميسر لما خَلق له ، إن الله عز وجل يقول : فَأَمَّا مَنْ أَعْظَىٰ وَآتَفَىٰ ﴿ وَصَدَّقَ بِالْتَحْسَنَىٰ ﴿ فَسَنِّسَرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ﴾ وَأَمَّا مَنْ مَجَلِ وَآسَتَخْنَىٰ ﴾ وَكَلَّبَ بِالْعَضْنَىٰ ﴿ فَسَنَيْسَرُهُۥ لِلْغَصْرِى . ٥٠٠ (الديل: ٥ - ١٠).

قال ابن كثير:

وقوله تعالى : قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلاَ رَشَدًا .

أى: إنما أنا عبد من عباد الله ، ليس لى من الأمر شيء في هدايتكم ولا غوايتكم ، بل المرجع في ذلك كلُّ إلى الله عز وجلٌ . ا هـ .

٧٣ ، ٧٧ – قُلل إِنِّى لَن يُجِرَنِي مِنْ اللَّهِ أَحَدُّ وَلَنْ أَجِدُ مِن دُولِهِ مُلْتَحَدًّا هِ إِلَّا بَلَنْهَا مَنَ اللَّهِ وَرِسَـلَنَجِهِ وَمَن يَعْصِ اللَّهُ وَرَسُولُهُ, فِإِنَّ لَهُ مَا وَجَهَنَّمَ خَلِلِينَ فِيهَا آبُلنا .

قل يا محمد: إننى رسول الله، أبلغ رسالته، ولا أتأخُّر عما أمرنى به ربى، ولا يملك أحد أن يجيرنى من عذاب الله، ولا تملكون أنتم ذلك، بل ولا تمك الدُنبا كلها أن تحميني من عذاب الله إن أوادني بسوء، فلا راز لما يويده ، وإن أجد من دون الله ملجاً أو مهريا أو ملتحدا أركن إليه ، فما من قضاء الله مهرب. وليس من أمر الله مفرّ.

وفي هذا المعنى يقول الله عز وجل : وَإِذَا أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ مُوَّاا فَلاَ مَرْدٌ لَمْرَ وَمَا لَهُم مّن دُولِهِ مِن وَالرِ. (الرعد: ١١)

إِلَّا بَلَنْغًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَلَلْتِهِ ...

إن المخلص والنجاة لى من عناب الله لا يكمن إلا في أن أبنّغ رسالة ربي إليكم ، فليس عليُّ إلا البلاغ ، وأنا لا أملك هدايتكم ، فالله وحده هو الذي يملك ذلك ، فأنا متجرد لتبليغ الرسالة ، ولا يحميني من عالب الله إلا تبليم ما أرسلت به إليكم ، وحمل الرسالة والقرآن إلى مسامحكم .

كما قال تعالى : يَكَالَّهُمُ الرَّسُولُ بَلَغُ مَا أَنزِلَ إِلَّكَ مِن رُبِّكَ رَإِن لَمْ تَفَعَلْ فَمَا بَلَفْتَ رَسَاتُتُمُ ... (المائدة :١٧). قال ابن كلير : أى لا يجيدنى منه ويخلَّمَننى إلا إبلاغى الرسالة التى أرجب الله على أدامها .

وَمَن يَعْصِ ٱللَّهُ وَرَّسُولُهُم فَإِنَّ لَهُم نَارَ جَهَنَّمَ خَلِدِينَ فِيهَا أَبَدًا .

أى: أنا أبلغكم رسالة الله ودعوته إلى التوجيد ، والإيمان بالله ربًا ، وبالإسلام دينًا ، وبمحمد ﷺ نبئًا ورسولاً ، ومن يعص الله ورسوله فجزارَه نار جهنم خالدين فيها ، أى ماكثين فيها أبدا على الدوام ، ولا محيد لهم عنها ولا خروج لهم منها ، فقد كانوا عازمين على الشرك بالله أبدًا مدّة حياتهم ، فعاقبهم الله بالغلود في النار أبدًا مدّة آخرتهم .

وقوله : أَلِمُنَا ، دليل على أن العصيان هنا هو الخرق ، وإنما جمع خَلِابِينَ . حملا على معنى مَنْ ، لأن لفظها مغرد ومعناها جمم .

٢٤ - حَتَّى إِذَا رَأُواْ مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَصْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُ عَدَدًا .

حتى إذا رأى المشركون المعائدون ما يوعدون من الهزيمة في بدر ، أو عذاب جهنم يوم القيامة ، فسيعلمون من هو الضعيف المخذول ، المهزوم أمام خصمه ، هم أم المؤمنون في الدنيا ، ومن هو الضعيف المهزوم أمام الآخر ، هم أم الله عز وجل وملائكته وجنده يوم القيامة ، وقد نُصر المؤمنون يوم بدر وهُزم المشركون ، وفي القيامة سيدخل المؤمنون الجنة ، ويدخل الكافرون النار .

قال صاحب الظلال:

وإذا كان المشركون يركنون إلى قوة وإلى عدد ، ويقيسون قوتهم إلى قوة محمد ﷺ والمؤمنين القلائل معه ، فسيعلمون حين يرون ما يوعدون - إما في الدنيا وإما في الآخرة - مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَنَدًا . وأيّ الغريقين هو الضعيف المخذول، القليل الهزيل . ا هـ .

* * *

ختام سورة الجن

﴿ قُلْ إِنْ أَدْرِى آَفَرِي مِنَا تُوعَدُونَ أَمْ يَجَعَلُ لَهُ رَبِيّ آمَدًا ٥ عَلِمُ ٱلْعَبْبِ فَلَا يُطُعِرُ عَلَى عَيْدِهِ أَفَيْدِ فَلَا يَنْظُهِ رُعَلَى غَيْدِيهِ أَعَدُ اللّهُ إِلَا مَنِ أَرْتَفَى مِن رَسُولِ فَإِنَّهُ مِسَلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَكُ اللّهُ مِنَا لَدَيْمِ وَأَحْمَى كُلُ شَيْءٍ خَلْفِهِ رَصَكُ اللّهَ عَلَمُ اللّهُ مَا لَدَيْمِ وَأَحْمَى كُلُ شَيْءٍ عَدُمُا ﴿ فَاللّهِ مِنَا لَدَيْمِ وَأَحْمَى كُلُ شَيْءٍ عَدُمُا اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهُ اللّ

المقردات :

السيفين واستتن

ارتضيين اختار واصطفى

أصاط بسما تديهم ، علمه علمًا تامًّا .

وأحصى كل شيء عندا: ضبط كل شيءٍ معدودًا محصورًا.

تمهيد :

أمر سبحانه وتعالى رسوله أن يقول للناس إنه لا علم له بوقت الساعة ، ولا يدرى أقريب وقتها أم بعيد، وأنه لا يعلم شيئًا من الغيب إلا إنا أعلمه الله به ، وهو سبحانه يعلم أن الرّسل قد أبلغوا رسالات ربّهم ، ويعلم الأشياء إجمالاً وتفصيلاً ، وكان الكفار يتساءلون : متى يكين هذا اليوم الذي توعينا به ؟ فأنزل الله هذه الآيات .

التفسيره

٥٧ - قُلُ إِنْ ٱلْمُرِيّ ٱقْرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَلْهِ رَبَّيّ أَمَلًا .

كان النبي ﷺ كلما حُرِّف المشركين أهوال الساعة ، وأهوال الحساب والجزاء ، وأهوال يوم القيامة ، قال المشركين : متى يكين هذا اليوم الذي تَحُرِّفنا به ؟ سؤال استبعاد وتشكك ، فأنزل الله ردًّا عليهم أن القيامة ستقرم قلمًا ، ولا علم لي كرسول مبلًغ عن الله بوقتها ، هل قريب أم بعيد ، فذلك لا يعلمه إلا الله .

قال تمالى : يَسْتَلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ آيَّانَ مُرْسَلَهَا ه فيمَ أَنتَ من ذكُر سُها ه إلى ربُك مُنتها ها إلمّا أَنتَ مُلِيرُ مَن يُخَسِّنَهَا . (النازعات: ٤٧ - ٤٥) .

وفي الصحيح أن النبي ﷺ شتل عن الساعة فقال: «ما المسئول عنها بأعام من السائل، وسأنبثك عن أشراطها (علاماتها): أن تلد الأمة ربُتها، وأن يتطاول رعاة الإبل البهم في البنيان، وأن يصبح المفاة العالة سادة الأمميه ٢٠٠٠.

و المعنى :

من علامات الساعة كثرة العقوق حتى أن الابن يستخدم أمّه كخادمة ، والبدو الرّحل يتطاولون في بناء العمارات العالية ، ويرسَّد الحكم إلى الحقاة الحثالة ، أو أن من لا أصل له ولا تاريخ يزيّنه يصبح سيد الموقف .

ونادى أعرابى على النبى ﷺ بصوت جهورى ، فقال : يا محمد ، متى الساعة ؟ قال : هويحك إنها كائنة ، فما أعددت لهاء ؟ قال : أما إنّى لم أعدّ لها كثير صلاة ولا صيام ، ولكنّى أحب الله ورسوله ، قال ﷺ : هأنت مع من أحببت ، قال أنس : فما فرح المسلمون بشء فرحهم بهذا الحديث "".

٢٦ - عَالِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا.

الله تعالى وحده هو عالم الغيب ، فلا يطلع على هذا الغيب أحد سواه ، ومن هذا الغيب علم الساعة.

قال تعالى : إِنَّ ٱللَّهُ عِندَهُ، عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنزَلُ ٱلْغَيْثُ ويَعْلَمُ مَا فِي ٱلْأَرْحام وما تذرى نفْسَ مَاذا تكُسِبُ غَلَا وَمَا تَمُوى نُفُسِرٌ بِأِنِّ ٱللَّهِ عِندُ مِن إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ عَجِينٌ . (لقمان : ٢٤) . ٧٧ - إِلَّا مَن ٱزْتَصَىٰ مِن رَّسُولِ فَإِنَّهُ, يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَكَيَّهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا .

لختص الله وحده بعلم الغيب ، لكن من ارتضاه سبحانه واختاره لرسالته ، سواء أكان من الملائكة كجبريل ، أم من البشر كمحمد ﷺ ، فإنّ الله تعالى يُعلمه بشىء من الغيب ، بالطريقة التى يختارها الله ، وفى الوقت الذى يشاؤه الله ، وعندما ينتقل الوحى أو الغيب إلى الرسول من الملائكة أو إلى الرسول من البشر فإن الله تعالى يبسر له حراسة مترصدة تحفظه من جميع الجهات ، ليظلُ الوحى في مكان أمين حتى يصل إلى البشر غير مختلط بمعرفة الشياطين له .

وعن الضحاك : ما يُحث نبى إلا ومعه ملاتكة يحرسونه من الشياطين ، الذين يتشبُّهون بصورة الملك ، هإذا جاء شيطان في صورة الملك ، قالوا : هذا شيطان فاحذره ، وإن جاء الملك قالوا : هذا رسول ربك .

و الخلاصة : إن الله تعالى يسدّر حفظة من الملائكة ، يحفظون قواه الظاهرة والباطنة من الشياطين ، ويعمسونه من وساوسهم .

وفي الأيتين (٧٠ ، ٢٧) من سورة الجن دليل على أن الرسل – عليهم السلام – مؤيدون بالمعجزات ، ومنها الأهبار عن بعض المغيبات .

قال تعالى حكاية عن عيسى عليه السلام : وَالْبَشَكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَشْخِرُونَ لَهِي يُبُوتِكُمْ . . (ال عمران : ١٩). وفي قوله تعالى : إِلَّا مَنِ أَرْفَعَنِي مِن رَّسُولِي . . .

إشارة إلى إبطال الكهانة والسحر والتنجيم : لأن أصحابها أبعد شىء عن ارتضاء الله ، وأدخل ما يكون في سخطه وغضبه .

وقد أفاد القرطبي في تفسير الأيتين أن الغيب لله وحده لا يطلع عليه إلا من ارتضى من رسله ، وليس المنجم ومن ضاماه ، ممن يضرب بالحصى ، وينظر في الكتب ، ويزجر بالطير ممن ارتضاه من رسول ، فيطلعه على ما يشاه من غيبه ، بل هو كافر بالله ، مُقْتر عليه بحدّسه وتضمينه وكذبه ، وليت شعرى ما يقول المنجم في سفينة ركب فيها ألف إنسان ، على اختلاف أحوالهم وطوالعهم ، وتباين مواليدهم ، ودرجات نجومهم ، فعمّهم حكم الغرق في ساعة واحدة ، فلا فائدة أبدًا في عمل المواليد ، ولا دلالة على شقى ولا سعيد ، ولم ويبق إلا معاندة القرآن العظيم ، وفيه استحلال دمه على هذا التنجيم .

قل للمنجم صَبَّحَة الطوفان هل ولد الجميع بكوكب الغَرَق

«وقيل لأمير المرّمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه لما أراد لقاء الخوارج : أتلقاهم والقمر في العقرب ؟ فقال رضى الله عنه : فأين قمرهم ؟ وكان ذلك في آخر الشهر .

فانظر إلى هذه الكلمة التى أجاب بها ، وما فيها من المبالغة فى الرد على من يقول بالتنجيم , والإلمام لكل جاهل يحقق أحكام النجوم .

وقال له مسافر بن عوف: يا أمير المؤمنين ، لا تسر في هذه الساعة ، وسر في ثلاث ساعات يمضين من النهار، فقال له على رضى الله عنه : ولم ؟ قال : إنك إن سرت في هذه الساعة أصابك وأصاب أصحابك بلاء وضرٌ شديد ، وإن سرت في الساعة التي أمرتك بها ظفرت وظهرت وأصبت ما حلبت . فقال على رضى الله عنه : ما كان لمحمد ﷺ منجم ولا لنا من بعده − في كلام طريل يحتج فيه بآيات من التنزيل − فمن صدَّقك في هذا القول لم آمن عليه أن يكون كمن اتخذ من دون الله نذا أو ضدًا ، اللهم لا طير إلا طيرك ولا خير إلا خيرك ، ثم قال للمتكام : تكذبك ونخالفك ونسير في الساعة التي تنهانا عنها . ثم أقبل على الناس فقال : يا أيها الناس إياكم وتعلم النجوم إلا ما تهتدون به في ظلمات البر والبحر ، وإنما المنجم كالساهر، والساحر كالكافر ، والكافر في الذار ، والله لئن بلغني أنك تنظر في النجوم وتعمل بها لأخلدتك في الحبس ما يقين ويقيت ، ولأحرمتك العطاء ما كان لي سلطان . ثم سافر في الساعة التي نهاء عنها ، ولقى القوم فقتلهم وهي وقعة النهروان الثاباتة في الصحيح لمسلم .

ثم قال: أو سرنا في الساعة التي أمرنا بها وظفرنا وظهرنا لقال قائل - سار في الساعة التي أمر بها المنجم . ما كان لمحمد ﷺ منجم ولا لنا من بعده ، فتح الله علينا بلاد كسرى وقيصر وسائر البلدان ، ثم قال: يا أيها الناس ، توكلوا على الله وثقوا به ، فإنه يكلي ممن سواه» ""،

٧٨ – لِمُعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُواْ رِسَلْلَسْتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَذَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلُ شَيْءٍ عَدْدًا .

ليعلم الله سبحانه وتعالى علم مشاهدة وواقع ، كما علمه غيبًا وأزلاً في علمه القديم ، أن الرّسل عليهم السلام قد أيلغوا رسالات ربهم كما طلب منهم ، وألزموا العباد الحجة بهذا البلاغ ، وقد أحاط سبحانه وتعالى الما عند الرّسل من المسلام من البشر ، ظاهرًا ويباطنًا من الأحكام والشرائع ، ويما يسره لهم من الحفظ وتأمين وصول الرسالات سالمة من كل تغيير أو تبديل ، وأحاط علمه سبحانه وتعالى بكل شيء في الكون ، وذلك مثل القطر والمطر والرمال وورق شيء في الكون ، وذلك مثل القطر والمطر والرمال وورق الأشجار وماء البحار، ويالأفراد والجماعات والأمع وسائر المخلوقات .

وأورد القرطبي عدة آراء في تفسير هله الآية ، من بينها ما يأتي :

لقد أخبر الله تعالى نبيه محمدًا ﷺ بحفظ الوحى ، ليعلم أنّ الرُّسل قبله كانوا على مثل حالته من التبليغ بالحقّ والصدق ، أو ليعلم أن جبريل ومن معه قد أبلغوا إليه رسالة ريه .

وقال الزجاج : ليعلم الله أن رسله قد أبلغوا رسالاته ، كقوله تعالى : وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱللِّهِنَ جَنَهَدُواْ مِنكُمْ وَيَعْلَمُ ٱلصَّبْرِينَ . (ل عدران ١٤٢).

أي: ليعلم الله ذلك علم مشاهدة كما علمه غيبًا .

وقال مجاهد : ليعلم من كذُّب الرُّسل أن المرسلين قد بلُّغوا رسالات ربهم .

وقرأ الجماعة: لَيُّعْلَمُ . يفتح الياء ، وتأويله ما ذكرناه ، وقرأ ابن عباس ومجاهد وحميد ويعقوب بضم الهاء ، أي ليُعْلَمُ الناس أن الرسل قد أبلغوا ١٩٨م .



أهبداف سبورة المتزمييل

(سورة المزمل مكية ، وآياتها ٢٠ آية ، نزلت بعد سورة القلم)

وهي سورة تحمل النداء الإلهي للنبي الكريم بقيام الليل ، وقد جعله الله فريضة في حقه ، ناظةً في . حق أمته .

قال تعالى : وَمِنْ ٱلَّيْلِ فِتهَجُدْ بِهِ نافلةً لُّك عسى أن ينعثك ربُّك مقامًا مُحْمُودًا . (الإسراء ٧٩).

وفي كتب السنة ما يفيد أن هذه السورة من أوائل ما نزل من القران الكريم ، فقد كان الذبي عيش بين بين يقدمه في الجاهلية ، ثم حبب الله إليه الخلوة ليتأمل في «لكوت السماوات والأرض ، وليعده الله لتعمل أعباء الرسالة ، ثم فجأه الوحي وهو في غار حراء ، حيث قال له جبريل : اقرأ ، قال النبي : «ما أنا بقارئ ثلاث مدل مراد ، هنال عبريل : أقرأ بأسم ربّك آلذي خلق م خلق آلإنسش من علق ، أقرأ وربّك آلأكرمُ ، آلذي عُلمُ الله عليه من علق م أقرأ وربّك آلأكرمُ ، آلذي عُلمُ الله عليه من علق م أقرأ وربّك آلأكرمُ ، آلذي عُلمُ

وقد عاد النبي 激素 إلى خديجة وأخبرها الدبر ، فقالت له أبشر يا ابن عم واثبت ، فوالذي نفس خديجة بيده ، إنى لأرجو أن تكون نبي هذه الأمة .

ثم فتر الوحى مدة عن النبى 義等 إلى أن كان بالجبل مرة أخرى ، فنظر فإذا جبريل ، فأدركته منه رجفة ، حتى جثا وهوى إلى الأرض ، وانطلق إلى أهله يرجف يقول : «رطوني ، دتروني» ، ففعلوا ، وظل يرتجف مما به من الروع ، وإذا جبريل يناديه : يا أيها المزمل ، يا أيها المدثر .

وسورة المزمل تعرض صفحة من تاريخ الدعوة الإسلامية ، إنها تنادى الذرى الكررم ، وتأمره بقيام الليل ، والصلاة وترتيل القوآن ، والذكر الخاشع المتبتل ، والاتكال على الله وحده ، والصبر على الأذى ، والمجر الجميل للمكذبين ، والتخلية بينهم وبين الجبار القهار.

وتنتهى السورة بلمسة الرفق والرحمة ، والتخفيف والتيسير ، والتوجيه للطاعات والقربات ، والتلويح برحمة الله ومغفرته : إِنَّ اللَّهُ غُفُورٌ رُحِيمٌ ، (المزمل: ٢٠) . والسورة تمثل صفحة من جهاد النبي الكريم ، وصحبه الأبرار في سبيل الدعوة إلى الله ، وحشد جميع الطاقات من أجل هذه الدعوة ، فقد قام النبي ﷺ في مكة والمدينة داعيا إلى الله ، صابرا محتسبا ، مهاجرا ومجاهدا ومربيا ، وناشرا لدعوة الله بكل ما يملك ، منذ قال له القرآن: ثُمِّ آثْلُنَ إِلاَّ قَلِيلاً . (الدزما: ٢) .

وكان قيام الليل هو الزاد الروحى ، والتعبقة الإلهية لهذا القلب الكريم ، حتى يصدع بالدعوة ، ويتحمل فى سبيلها كل بلاء ، وليصبر ويصابر ، وليحتسب كل جهد فى سبيل الله : وَٱصَّبِرْ عَلَىٰ مَا يُقُولُونَ وَٱلْعَبْرُهُمْ هُجُرًا جَوِيلًا . (قدرنما : ١٠).

مع آيات السورة

- ٢ -> أسر الله رسوله أن يقوم من الليل ثلثه أن نصفه أن ثلثيه ، فهو مخير فى ذلك ، وأن يقرأ القرآن الكريم على مهل وتؤدة ، مع حضور القلب لتدير معانيه وفهم مقاصده .
- والغرّان يسره الله للقراءة ، ولكنه ثقيل في ميزان الحق ، ثقيل في أثره في القلوب ، تقيل في قيمته
 الراجحة ، ومعانيه الراقعة ، وما فيه من تكاليف وأعباء .
 - ٦ إن قيام الليل هو أكبر موافقة بين القلب واللسان ، وأعدل قولا .
 - ٧ وفي النهار متسع لشئون المعاش ، ولك فيه تصرف في مهام أمورك ، واشتغال بمشاغلك .
- ٩ . ٨ واتجه إلى الله بالعبادة وحضور القلب ، واذكره وتضرع إليه ، في إنابة وطاعة وإخلاص ، فهو رب
 الكون كله ، والتو كل عليه هو التوكل على القرة الوجيدة في هذا الوجود .
- ١٠ وامسر على ١٠ يقولون في حقك وحق ربك ، واهجرهم هجرا جميلا ، بأن تجانبهم وتغضى عن زلاتهم ولا تعاتبهم .
- ١١ ثم ترعد المشركين وتهددهم ، وقال لنبيه ﷺ: اترك عقابهم لي وحدى ، فأنا كفيل بهم ، هؤلاء الذين تنعموا في نعمائي ، أمهلهم وقتا قليلا من الزمن ، وسترى ما يحل بهم .
- ٣ ، ١٧ إِنَّ لَفَيْنَا أَنْكَالاً . أَى: قيودا ثقيلة توضع فِي أُرجلهم ، كلما أرادوا أن يرتفعوا جذبتهم إلى أسقل ، ثم هناك الجحيم ، والطعام دو الغصة ، الذي يعزق الطوق ، والعذاب الأليم ، وكلها جزاء مناسب لمن كفر بنعمة الله .
- ١٤ ويعتد الهول في يوم القيامة إلى الأرض فتضطرب وتهتز ، وإلى الجبال فتتمزق أجزاؤها ، وتصير كالصوف المنفوش أو كومة الرمل المهيلة ، يعد أن كانت حجارة صماء متماسكة .

- ٩٦ ، ٦٠ ويلتفت القرآن إلى أهل مكة فيخاطبهم ، ويهز قلويهم هزاً ، ويخلعها خلعا ، بعد مشهد الأرض المجهد الأرض والجبال وهي ترتجف وتنهار ، فيحذرهم مما أصاب فرعون الجبار ، وقد أخذه الله أخذ عزيز مقترر ، ومضمون القول : لقد أرساننا إلى فرعون رسولا فعصاه : فأخذناه أخذا وبيلا ، وأرسلنا إليكم رسولا شاهدا عليكم ، فاحذروا أن تعصوه فيصيبكم عثل ما أصابه .
- ٧١، ١٨ وهبوا أنكم لا تؤخذون فى الدنيا كما أخذ فرعون ، فكيف تثقون عذاب يوم القيامة ، وهو هول يُشهب الولدان ، وتنشق السماء من شدته ، وكان وعد الله ثابتًا مزكذًا لا خلف فيه ، وهو سبحانه فعال لما يريد .
- ١٩ وأمام هول الأخرة يقول لهم: إن هذه الآيات تذكرة وعبرة ، فمن شاء اعتبر بها ، واتخذ طريقا إلى
 الله وهو آمن سالم ، قبل مجيء هذا الهول العصيب .
- ٧٠ وفي الآية الأخيرة من السورة نجد لمسة التخفيف الندية ، ودعوة التيسير الإلهي ، فقد لبى النبي ﷺ الدعوة إلى قيام اللهل مئي المنابع عنه اللهل مؤلى المسلمون الدعوة ، وتجافت جنوبهم عن المضاجع ، وقاموا الليل مثى تورمت أقدامهم من طول القيام ، فقال القرآن : إن ربك يعلم أنك تقوم الليل ، ويرى تقلبك في الساجيين، والله يعلم أنكم لن تحصوا ساعات الليل إحصاء تاما ، فإذا زدتم على المفروض ثقل ذلك عليكم وكلنتم ما ليس بفرض ، وإن نقصتم شق هذا عليكم ، فقاب عليكم ورجع بكم من تثقيل إلى تخفيف ، ومن عسر إلى يسر ، وطلب إليكم أن تصلوا ما تيسر من الليل على قدر طاقتكم .

وإن لهذا التخفيف حكمة أخرى ، وهى أنه علم أن سيكون منكم مرضى، وأخرون يسيحون في الأرض يطلبون من فضل الله بالتجارة أو العلم ، وأخرون يقاتلون فى سبيل الله ، فقد علم الله أن سيأذن لكم فى الانتصار ممن ظلمكم بالقتال ، فصلوا ما تيسر لكم من صلاة الليل بدون تليب بقس محدد ، وأقيموا الصلاة المغروضة ، وأقوا الزكاة الواجبة ، وتصدقوا بعد ذلك قرضا لله ، يبدّق لكم خيره، ويرده الله إليكم أضعافا مضاعفة ، وما تقدموا لأنفسكم من صدقة أو عمل صالح فى الدنيا ، تجدوا ثرابه عند الله يوم القيامة ، خيرا مما أوتيتم فى دار الدنيا ، وأعظم منه أجرا ، واتجهوا إلى الله مستففرين ، إن الله غفور رحيم .

إنها لمسة الرحمة والتخفيف بعد عام من الدعوة إلى القيام ، وقد خفف الله عن المسلمين فجعل قيام الليل لهم تطوعا لا فريضة .

أما رسول الله ﷺ فقد مضى على نهجه مع ربه ، لا يقل قيامه عن ثلث الليل ، يناجى ربه ويستمد منه العون والتوفيق في أداء رسالته . وَمَا تُوفِيقِيّ إلاّ بَاللّهِ عَلَيْهِ تُوكُلُتُ وَالِيهُ أَنِيبُ . (هور ١٨٨٠).

ì

خلاصة أحكام السورة

أمر الله عز وجل رسوله ﷺ بما يأتي :

١ – قيام ثلث الليل أو نصفه أو ثلثيه .

٢ – قراءة القرآن بتؤدة وتمهل.

٣ - ذكر ربه ليلا ونهارا بالتحميد والتسبيح والصلاة.

التوكل على الله والاعتماد عليه.

الصبر على ما يقول الكفار عنه من أنه ساحر أو شاعر، وأن يهجرهم هجرا جميلا بمجانبتهم
 ومداراتهم ، وأن يكل أمرهم إلى ريهم فهو الذي يجازيهم ، وسيرى عاتبة أمرهم .

- التخفيف من صلاة الليل ، بعد أن شق ذلك عليهم لأعذار كثيرة ، والاكتفاء بما تيسر من صلاة الليل ،
 فقى الصلاة المفروضة غنية للأمة ، مع إيتاء الزكاة ودوام الاستففار .

بنداء إلهي



﴿ يَتَأَيُّ الْمُزْمَلُ ۗ وَ الَّمَا الْاَقِيلَا ۞ يَضَفَهُ أَلَا القَصْمِنُهُ قَلِيلَا ﴿ آلَهُ اَوْدِهُ عَلَيه وَرَبِّ الْمُزَانَ تَرْتِيلًا ۞ إِنَّاسَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ۞ إِنَّ نَاشِتُهَ ٱلْتَلِهِ مَ اَشَدُّ وَطُنَا وَأَقُومُ فِيلًا ۞ إِنَّ اللَّهُ وَ النَّمْ وَاللَّمْ مِنْكُ وَنَبْتُلْ إِلَيْهِ بَنْتِيلًا ﴿ آلَهُ مُرَالًا اللَّهُ مِنَا اللَّهُ مِنَا اللَّهُ مِنَا اللَّهُ وَمِنْكُ اللَّهُ مُو اللَّهُ مِنْ اللَّهُ اللَّهُ مُو اللَّهُ مِنْ اللَّهُ اللَّهُ مُنَا اللَّهُ مُنَا اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ مُولِلًا ﴾ واللَّهُ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ اللَّ

المقردات

المحرِّم المتلفُّف بثيابه (النبي ﷺ).

السب السياسي من غروب الشمس إلى طلوع القجر.

لمعقه أو انقص منه قليلا ؛ انقص من النصف قليلا إلى الثلث.

رائسك السقيسران: اقرأه بتمهّل وتبيين حروف.

قسولاً ثسقسيسلا : شاقا على المكلفين ، أو له وزن واعتبار حيث يكون سببا في هداية أمة .

فسافسية السلسيان العبادة التي تنشأ به وتُحدث ، أو إحياء ما بين المغرب والعشاء ، أو إحياء الساعات التالية لصلاة المشاء

أق وم قد يكل : أثبت قراءة لحضور القلب فيها .

- ب حا : تصرفا وتقلبا في شواغلك .

تبتل المه تبتيالا ؛ انقطع إلى عبادته تعالى ، واستغرق في مراقبته .

التفسيره

، ، » ، » ، ؛ – يَتَكَبُهَا ٱلْمُرْسُلُ ، فَمِرَالَيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ، نَصْفَهُ: أَوِ آتَفُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ، أَوْ ذِهُ عَلَيْهِ وَرَقُلِ ٱلْفُرْعَانَ تَرْيِيدًا .

أول ما بُدئ به ﷺ من الوحى الرؤيا الصادقة في النوم ، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ، ثم حبب إليه الخلاء ، فكان يخلو في غار حراء ، يتعبد فيه الليالي نوات العدد ، ثم يعود إلى خديجة فيتزود لمثلها ، حتى فجأه الرحى وهو في غار حراء ، حيث ضمّه الملك ضمًّا شديدا حتى بلغ منه ﷺ المبلد فقال ؛ آقراً . قال ﷺ : ما أنا بقارئ ، أي لا يعرف القراءة ، وتكرر ذلك ثلاث موات .

ثم قال له : ٱقْرَأْ بٱسْم رَبُّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ . (العلق: ١) .

وعاد ﷺ إلى مكة فدخل على خديجة ، وأخيرها الخبر ، ثم قال : «زملُوني ، دتُروني». أي : غطوني ولغُوني في ثياب ، لهبدأ روعه ﷺ ٣٩.

وسورة المزعل هي السورة الرابعة في النزول ، سبقتها سورة العلق ، ثم نّ ، ثم المدكر ، ثم نزلت المزمل . يَتَأَمُّهُ ٱلْمُدُّمُّةً ! يَتَأَمُّهُ ٱلْمُدُّمُّةً !

يا أيها المتلفف بثيابه .

وقيل : كان ذلك تذكيرا له باللحظة التي كان فيها بعد نزول الوحى أوّل مرة ، وناداه الله بذلك تأثيسًا لقلبه ، وملاطفة له .

وقيل : يا أيها المزمل بالنبوة ، والملتزم بالرسالة .

قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلاً .

شمُر عن ساعد الجدّ، والمجر المنام ، واستعدّ للقيام بين يدى الملك العلام ، إنها فترة الإعداد لتلقى الوحى ، والجهاد فى سبيل تبليغ الرسالة ، وهذه المهمة تحتاج إلى تعبئة روحية ، وشدة اتصال بين المخلوق والخالز ، أن . استعدُ لقيام الليل ، إلا القليل منه تقضيه فى النوم والراحة ، للاستعانة بذلك على تبليغ الرسالة .

نُصْفَهُ مَ أُو ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً

أي: قُم نصف الليل، أو أقل من النصف قليلا، وهو الثلث.

أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتُلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلاً .

وقيل: خُيِّر بين قيام نصف الليل ، أو ربعه ، أو ثلاثة أرباعه ، والرأى الأوَّل أولى .

وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلاً .

اقرأ القرأن في عناية وترتيل وتبيين ، وتجميل للصوت ، وأداء حسن ، فإن ذلك أعون على تبيُّن المعانى ، وانشغال القلب مع اللسان .

روى الحاكم أن رسول الله ﷺ قال: «زينوا القرآن بأصواتكم».

وروى البخاري ومسلم أن رسول الله على قال: «ليس منا من لم يتغنُّ بالقرآن، "".

أى : يُحسِّن صوته ويجمِّله ، ويهذِّبه ويجوَّده ، ليْعظُّم تأثير القرآن في قلوب سامعيه .

وروى البخارى ومسلم أن النبي ﷺ قال لأبي موسى الأشعرى: «اقد أعطيت مزمارًا من مزامير أل داود» . (**). فقال أبو موسى الأشعري: يا رسول الله ، لو كنت أعلم أنك تسمم لجيرته لك تحبيرًا.

٥ - إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا لَقِيلًا .

أى : تهيأ روحيا بقيام الليل ، واستعد للمناجاة والمسلاة والتهجد ، وشفافية الروح والعبادة والمناداة ، لأن وحيا ثقيلا من عالم الغيب ، سيصل إليك مع جبريل الروح الأمين .

أو لأن هذا القرآن كلام الله ، مشتمل على الأمر والنهى والحلال والحرام ، والتشريح والقصمص ، وهو كلام له وزن وقيمة وثقل ، وليس كلامناً سفسافا لا فقل له .

أو هو ثقيل في ميزان العبد يوم القيامة.

أو هو يحرِّك القلب والنفس والفؤاد إلى معرفة الخالق ، والتجاوب مع هذا الكون الخاضع لأمر الله تعالى .

قال تعالى : لَوْ أَنْزَلْنَا هَالْمَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلِ لِّرَأَيْتِهُ, خَشِيًّا مُتَصَدِّعًا مَنْ خَشَيَةِ ٱللَّهِ وَبِلْكَ ٱلْأَطْعَالُ مَعْرِيُهَا للنَّاس لَعَلَهُمْ يَفَكُرُونَ . (المصدر: ٢٧) .

وفى الصحيح عن عائشة رضى الله عنها قالت : ولقد رأيت النبي ﷺ ينزل عليه الوحى في اليوم الشديد البرد وإن جبينه ليتفصد عرقا . (٣٠) .

وقال الإمام فخر الدين الرازي في التفسير الكبير:

والمراد من كرنه ثقيلاً هر عِظْم قدره وجلالة خطره ، وكل شئ عَظْمَ خطره فهو ثقيل ، وهذا معنى قول إن عباس : قُولاً لللهِ اللهِ عني كلامًا عظيما .

٣ - إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا .

نَاشِكَةُ ٱلْبَيْلِ . ساعات الليل ، وقيل : الصلاة بين المغرب والعشاء ، وقيل : ناشئة الليل هي الساعات التي تلي صلاة العشاء ، وقيل : هي الثلث الأخير من الليل .

وفى المسحيح: «ينزل ربنا كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الأخير ، فيقول : يا عبادى ، هل من داع فأستجيب له ، هل من مستغفر فأغفر له ، هل من تاتب فأتوب عليه ، هل من طالب حاجة فأقضيها له ، حتى يطلع الفجره . ^{٨٨} .

وقيل: ناشئة الليل هي جميع ساعات الليل وأوقاته ، حيث جعل الله ليلاً سُباتا ، ونومًا وراحة ، فقيام المؤمن يصلّى في ظلام الليل ، وقد غارت النجوم ، ونامت العيون ، ويقى الله الحي القيوم ، يجعل لهذه الصلاة مذافًا خاصًا ، حيث يترك المؤمن فراشه ويتجافي عنه ، ويدعو ربّه .

كما قال تعالى : تَعَجَافَىٰ جُنُولُهُمْ عَنِ ٱلْمُصَاحِعِ يَلَّعُونَ رَبُّهُمْ خُوفًا وَطَمْعًا وَمِمَّا رَزَقَتَهُمْ يُفِقُونَ • فَلَا تَعْلَمُ نَفَسَّ مَا أَخْفِى لَهُم مِّن قُرَّوا أَعْبُن جَزَاءٌ بِمَا كَانُوا يُعْمَلُونَ . (السجدة : ١٦، ١٧) .

وقال تعالى : كَانُواْ قَلِيلاً مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ء وَبِٱلْأُسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ، (الذاريات : ١٨ ، ١٨) .

وفى الحديث الشريف : «عليكم بقيام الليل ، فإنه دأب الصالحين قبلكم ، ومطردة للدُّاء عن الحسدين . ٣٠٠. وقيام الليل يكون سبيا في نور القبور على أصحابها ، وفي قيام الليل صفاء وهدوء وراحة وسعارة . وموافقة القلب للسان ، وتغلّب على الخلود إلى النوم .

ومعنى الآية :

إِنَّ نَاشِئَةٌ ٱلَّيْلِ . ما ينشأ في ساعات الليل بعد العشاء .

هِيَ أَشَدُّ وَطُنًّا . أجهد للبدن ، أو أشد مواطأةً وموافقةً بين القلب واللسان .

وَٱلْوَمُ قِيلًا . أثبت وأبين قولا لهدوء الأصوات ، وانقطاع الحركات ، وذلك أعون للنفس على التدبر والتأمل في أسرار القرآن ومقاصده .

٧ - إِنَّ لَكَ فِي ٱلنَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا .

الشبح منا مو التصرف في الأعمال والأشغال.

لقد جعل الله النهار معاشا ، وفيه تصرف وتقلّب واشتغال طويل بشتون الإنسان ، فليكن الليل وهدومُه مبعث العبادة والمناجاة وذكر الله ، أي : يكفيك النهار للتصرف في أشغالك ، وتفرغ بالليل لعبادة . ربك .

٨ - وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبُّكَ وَتَبَتُّلْ إِلَيْهِ تَشِيلًا.

اذكر ربك بالتسبيح والتهليل ، والتحميد والاستغفار ، وثلاوة القران والتهجد .

وَتَبَتُّلُ إِلَيْهِ تُبْتِيلاً .

انقطع إليه انقطاعا ، أي : حين تذكر الله اجمع مع ذكر اللسان موافقة القلب ، والتفرغ لعبادته ومناجاته ، والصفاء والنقاء في ذكره .

والتبتل. هو الاشتغال الدائم بعبادته ، والانقطاع لطاعة الله تعالى .

ومنه قولهم: امرأة بتول ، أي : منقطعة عن الزواج ، ومتفرغة لعبادة الله .

وهذا الانقطاع والتفرّغ مقصودٌ به : انشغال الجوارج والذهن والفكر في وقت الذكر بالله .

وفى الحديث الشريف : «أوصانى ربى بتسع : الإخلاص لله فى السر والعلن ، والقصد فى الغنى والفقر ، والعدل فى الرضا والغضب ، وأن أعقو عمن ظلمنى ، وأصل من قطعنى ، وأعطى من حرمنى ، وأن يكون صعتى فكرا ، ونطقى ذكرا ، ونظرى عيراء .

وقد أمرنا الله تعالى بذكره وشكره وحسن عبادته ، ومن الدُّعاء : «اللهم أعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك» .

وقال تعالى : يَسْأَلُهُمَا ٱلَّذِينَ عَامَتُوا ٱلْأَذُكُرُوا ٱللَّهُ ذِكْرًا كَثِيرًا » وَسَبْحُوهُ بُكُرُهُ وَأَصِيلًا » هُوَ ٱلَّذِي يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَّتِكُنُهُ رِلِيْحْرِجُكُم مِنَ ٱلظُّلَمَتْتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَكَانَ بَالْمُؤْمِينَ رَحِيمًا . (الأحزاب: ١٤ – ٤٢) .

ولعلُ ذلك أعون على تلقى الوحي والنهوض بشنون الرسالة.

٩ - رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَا إِلَّهُ إِلَّا هُوَ فَأَتَّخِذُهُ وَكِيلًا .

هو سبحانه وتعالى رب للمشرق الذى تشرق منه الشمس ، والمغرب الذى تغرب منه الشمس ، والمراد أنَّ الجهات كلها لله وتحت تصرفه .

لذلك ورد في القرآن الكريم:

رَبُّ ٱلْمَشْرِ لَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِيِّيْنِ . (الرحمن: ١٧) .

أى : مشرقى الشمس والقمر ومغربيهما ، أو مشرقى الصيف والشتاء ومغربيهما .

وورد في القرآن الكريم أيضا قوله تعالى : فَلاَّ أَقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشْئُوقِ وَٱلْمَقُئُوبِ إِنَّا لَقَنْدِرُونَ . (المعارج. ٠٤).

أى: مشارق الشمس التى هى ٣٦٠ مشرقا ، بعدد أيام السنة ، ومغاربها التى هى ٣٦٠ مغربا ، بعدد أيام السنة . وكذلك مشارق القمر والكواكب ومغاربها .

لاَّ إِلَّا هُوَ ... لا إله غيره ، ولا ربِّ سواه .

فَأَتَّخِذْهُ وَكِيلاً . فاعتمد عليه ، وفرَّض أمرك إليه ، وتوكَّل عليه حق التوكل .

قال تعالى : وَمَن يَتُوكُلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُةً ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَللغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا . (الطلاق: ٣) .

وشحو الآية قوله تعالى: فَأَعْبُدُهُ وَآصَّطَبِرُ لِعِبَلْدَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ, سميًّا . (مريم ٢٥٠) .

وقوله سبحانه وتعالى: إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينٌ . (الفاتحة : ٥) .

* * *

تهديد الكفّار وتوعّدهم

﴿وَأَصْبِرْعَلَ مَا يَعُولُونَ وَأَهَجُرُهُمْ هَجُراجِي لَا ۞ وَذَنْ فِ وَالْمُكَذِينَ أَوْلِ التَعَدَةِ وَمَهَا لَهُرُ قَيِكُ ۞ إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَا لَا وَجِيسَا ۞ وَطَعَامًا ذَاعْصَة وَعَذَابًا أَلِيمًا ﴿ " هُوَمَ مَرَّ مَرَّ وَالْجِبَالُ وَكَاتَ الِلِّهِ الْكَوْيَامَ هِيلًا ۞ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُو رَسُولًا شَهِدًا عَلَيْكُو كَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولًا ۞ فَعَصَى فِرْعَوْتُ الرَّسُولَ فَأَخَذَنَهُ أَخَذَا وَبِيلًا هُ " ﴾ فَكَيْفَ تَنَقُونَ إِن كَفَرْتُمْ هُوكًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا ۞ السَّمَاءُ مُنْفَطِرُ بِهِ - كَانَ وَعَدُهُ مَفْعُولًا ﴿ " الْقَالِ اللهِ عَلَى اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهُ عَلَى اللهُ اللهُ

المفردات :

هجرًا جميلاً ؛ اعتزالا حسنا لا جزع فيه .

دُرنى والمكتبين ، دعنى وإياهم فسأكفيكهم .

أولين السُّعسمسة ؛ أميماب التنعم والترفُّه ، ويكسر النون الإنعام .

مهلهم قليلا : أمهلهم زمانا قليلا ، بعده النكال.

أئــــكـــالا : جمع نكل ، وهو القيد الثقيل أو الشديد .

دًا هَمُسَـــــــــة، يغمن به فلا يستساغ في الحلق، كالضريع والزقُوم، والغسلين والشوك من نار، فلا يخرج ولا ينزل.

يوم ترجف الأرض: تضطرب وَتَتَزَّلُزلُ (يوم القيامة).

كشيب اسهيلا ؛ رملا مجتمعاً ، سائلا مُثْمَالاً .

أخسدًا وبسيسلا : شديدًا ثقيلاً ، وخيمَ العُقْبي .

السماء متقطرية ، شيء مُنشق في ذلك اليوم لِهُوْلِه .

كان ومده مفعولا ، إن وعده تعالى بمجىء ذلك اليوم كائن لا محالة.

تمهيده

ذكر الله تعالى إرشاداته لنبيه ﷺ بالصبر والهجر الجميل ، ثم ذكر سبحانه وتعالى أهوال يوم القيامة وشدائده التي يشيب الولدان من هوانها ، وتتشقُّق السماء منها .

التفسير،

١ - وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلاً.

اصبر يا محمد على ما يقولون فى حقك وحق ربك ، فقد قالوا : شاعر وكاهن ومجنون ، ويختلق أساطير الأولين ، كما قالوا عن الله : إن له صاحبة ، وإن له ولدا . أى تذرع بالصبر ، فالداعية محتاج إليه ليبلغ دعوته ، ومحتاج إلى الصبر فى تحمّل الأذى .

قال تعالى : فَأَصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُواْ ٱلْقَوْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ... (الأحقاف: ٣٥).

وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلاً .

أى: بلغ دعوتك اليهم ، وليس عليك هداهم ، إن عليك إلا البلاغ ، ثم تنعُ عنهم، ولا ترد على أذاهم ، ولا تقابل الإساءة بمثلها ، والهجر الجميل هوالذي لا عتاب معه .

قال الإمام الرازى :

والمعنى: إنّك لمّا اتخذتنى وكيلا ، فاصبر على ما يقولون ، وفوّض أمرهم إلىّ ، واعلم أن مهمات العباد محصورة فى أمرين : فى كيفهة معاملتهم مع اللّه ، وقد ذكر سبحانه ذلك فى الآيات السابقة ، وفى كيفية معاملتهم مع الخلق ، وقد جمع سبحانه وتعالى كلّ ما يُحتّاج إليه فى هذا الباب فى هاتين الكلمتين .

وذلك لأنّ الإنسان إما أن يكون مخالطا للنَّاس ، أو مجانبا لهم ، فإن كان مخالطا لهم فعليه أن يصبر على إيذائهم ... وإن كان مجانبا لهم فعليه أن يهجرهم هجرًا جميلا ... بأن يجانبهم بقلبه وهواه ، ويخالفهم في أفعالهم ، مع المداراة والإغضاء . ا هـ .

وقال أبو المدرداء : إنا لنبشَ في وجوه أقوام ونضحك إليهم ، وإن قلوينا لتبغضهم أن لتلعفهم . والمؤمن محتاج إلى الحكمة وإلى حسن التصرُّف ، وفعل الأمر المناسب في الوقت المناسب . قال تعالى: يُأتِي ٱلْجِكُمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُوكَ ٱلْجِكُمَةَ فَقَدْ أُوتِي خَيْرًا كثيرًا وما يذكّر إلا أوُلوا ٱلْأَلْسِ. (البقرة: ٢٦٩)

١١ - وَذَرْنِي وَٱلْمُكَدِّبِينَ أُولِي ٱلنَّعْمَة ومَهَّلُهُمْ قليلاً .

. روى أن هذه الآية نزلت في صناديد قريش ، ورؤساء مكة من المستهزئين .

والمعنى:

استرح أنت يا محمد ، واترك هزلاء المكذبين المترفين بالنعمة ، المغرمين باللذائذ والشهوات ، وأمهلهم بعض الوقت ، فإنه يوشك أن ينزل بهم عذابى وانتقامى ، والأية واردة مورد الوعيد والتهديد، فقد كانوا على جانب من الغنى والجاه والنعمة ، لكنهم لم يشكروا الله على نعمته ، ولم يُصدُقوا رسوله ، فاستحقّوا العقاب والهزيمة يوم بدر ، ولهم عقاب أخر في الأخرة .

وفي هذا المعنى يقول الله تعالى: نُمتَّهُمْ قليلاً ثُمَّ نططرُهُمْ إلى عذاب غليظ . (اقدان ٢٤).

قالت عائشة رضى الله عنها: لما نزلت هذه الآية لم يكن إلا يسيرا حتى وقعت وقعة بدر.

١٢ ، ١٣ - إِنَّ لَدَيْنَا أَلكَالاً وَجَحِيمًا . وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَلَابًا أَلِمًا .

إن عندنا لهولاء الكفّار المكتبين بهدى السماء ، قيودًا وأغلالاً ، ونارًا متقدة مؤججة مضطرية ، جَعِيمًا ، وطعاما ذا شوك يأخذ بالدا ، ، فلا يدخل ولا ،خرج ، كالضريع والزقوم والغسلين ، وألوانا أخرى من العذاب المؤلم ، من بينها الهوان والمذلّة والقتام ، وتوقّم أأوان العذاب .

قال تعالى: وَوْجُوهٌ يَوْمَلِيهِ بَاسِرةٌ * تَجُلُنْ أَن يُفْعِل بِها فاقرة . (النيامة ٢٥ . ٢٠) .

٤ ١ -- يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ ٱلْجَبَالُ كَتِيبًا مَهِيلًا .

إن ألوان العذاب والجحيم ، وأموال القهادة وآلامها التي تحية. بالكافرين تكون يوم يعند الهول إلى الكون كلّه ، فترتجف الأرض وتهتزً ، وتميد بأملها ، وتتزلزل زلزالاً شديدا .

ويحدث مثل ذلك للجبال ، فتتحول إلى رمال مجتمعة ، رخوة لينة متحركة ، لا تثبت عليها الأقدام .

قال تعالى : إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا م وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالُهَا . (الزلزلة ٢٠١).

وقال سبحانه : وَسُيِّرَتِ ٱلْحِبَالُ فَكَالَتْ سَرَابًا . (النبأ: ٢٠) .

وقال تعالى: وَإِذَا ٱلْجِبَالُ نُسِفَتْ . (المرسلات: ١٠).

والمراد : ما أعظم هول هذا اليوم ، وما أشد زلازله .

يَوْمَ تَبَكُلُ ٱلْأَوْصُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَالسَّمَنُونَ وَيَزُوا لِلْهِ ٱلْمَاحِدِ الْقَهَادِ ، وَتَزَى ٱلْمُجْوِمِينَ يَوْمَئِدِ مُقَرِّينَ فِي ٱلأَصْفَادِ ، سَرَايِلُهُم مَنْ فَطِرَانِ وَتَعْشَىٰ وَجُوهُمُ ٱلنَّارُ ، لِيَجْوَى ٱللَّهُ كُلِّ فَضَى مَّا تَسَيَتْ إِنَّ ٱللَّهُ مَنْ إِنَّ اللَّهُ مَنْ اللَّهِ عَلَى اللَّهِ عَلَيْهِ الْمُجْسَابِ.

(إبراهيم: ٨٤ – ٥١)

١٥ ، ١٩ – إنّا أرَسَلْنَا إِلَكُمْ رَسُولاً هَـْفِهَا عَلَيْكُمْ كَنَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولاً . فَعَصَى فِرْعَوْنَ ٱلرَّسُولَ فَاصْلَدَتُهُ أَخَلُهُ وَبِيلاً .

من شأن القرآن أن يُلَون القول ويصرفه ، وقد كانت آيات سابقة تتحدث عن ألوان العداب في الأهرة ، وعن أهرال القيامة ، وهذا جابه القرآن أهل مكة وكل من كذّب الرُّسل .

و المعنى: لقد أرسلنا إليكم رسولا كريما ، هو خاتم المرسلين ، وإمام المتقين ، وصاحب الخلق العظيم ، وسيشهد عليكم يوم القيامة بأنه بلغكم الرسالة ، وأدى الأمانة ، وقدَّم النصيحة ، وقد قابلتموه بالتكذيب والإيذاء ، مع أنه ولد بينكم ، وعرفتم صدقه وأمانته ، ثم اسكثرتُم عليه الرسالة والنبوة ، لأنه يتيم فقير .

وقد أرسلنا رسولاً سابقا إلى فرعون ملك مصر ، فعصى فرعون الرَّسول ، وكنَّب موسى واستكبر ، فأغرقه الله في الماء ، وانتقم منه انتقاما مربعا ، وعذبه عذابا تقيلاً غليظًا وُبيلاً .

وستكون عاقبتكم أشد وأنكى من فرعه ن ورسولكم سيشهد عليكم بأفعالكم ، ولو آمنتم لشهد لكم بهذا الإيمان .

١٧ - فَكَيْفَ تَتَقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوَلْدَانَ شِيهًا .

لقد حذرهم القرآن وأنذرهم ، ووضع أمام أبصارهم مشاهد القيامة التي يشيب منها الوليد ، من طول ذلك اليوم وشدة هوله ، فالألام والأحزان تشيّب الإنسان قبل أوان شبيه .

قال أبو الطيب المتنبى:

والهم يخترم الجسيم نحافة ويشيب ناسية الصبى ويهرم

وفى وصايا قدماء المصريين ، يقول أب لابنه . (يا بننى ، تخبّر امرأة بسيطة ، صغيرة في أمالها وتطلعاتها ، فالعرأة التي لا تقنع تشيّبك قبل المشيب) .

١٨ - ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرُ لِهِ كَانَ وَعْلُهُ, مَفْعُولاً .

إن أهوال ذلك اليوم تصيب البشر ، فيشبب الصبى من هول هذا اليوم ، فكيف بالكافر الفاجر ؟ والسماء القوية المتماسكة تنشق على غلظها ، وتنفطر وتتشقق بسبب القيامة .

قال تعالى : وَيَوْمَ تَشَقُقُ ٱلسَّمَاءُ بِٱلْمُصَمْ وَنُزُلْ ٱلْمَنْكِكَةُ تَنزِيلاً ؞ ٱلْمُلْكُ يؤمنا، ٱلْحقُ للرَّحَمَّن و كانَ يُؤمًّا عَلَى آلْكَنْفِرِينَ عَسِيرًا ، (الفرقان: ٢٠،٧٠).

كَانَ وَعْدُهُ, مَفْعُولاً .

كان وعد الله واقعا لا خلف فيه ، فما شاء الله فعل ، وما أراده كان مفعولا وواقعا لا محالة . قال المفسرون : أي كان وعد ربك نافذًا ومفعولاً ، لأنه سبحانه لا يخلف موعوده .

وربينما تزازل هذه الآيات قوائم المكنبين ، تنزل على قلب الرسول ﷺ والقلة المؤمنة المستضعفة بردًا وسلامًا . إذْ يحسُّون أن ربهم معهم ، وأن الله لا يدع أولياءه لأعدائه ، ولو أمهل أعداءه إلى حين، السلام

١٩ - إِنَّ هَذَالِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلاً .

إن هذه الآيات التي سبقت ، والمواعظ التي اشتملت عليها ، ومشاهد القيامة فيها تذكرة للناس ، وتنبيه للأفئدة ، وإيقاظ للضمائر ، وتوجيه للقلوب حتى تتجه إلى ربّها ، وتتذكّر أخرتها ، وتغبق من غفلتها ، فمن شاء الهداية فباب الله مفتوح ، والطريق إليه واسع ، فمن تحرك في قلبه الإيمان فليطرق باب الله تعالى .

قال تعالى : وَمَن يَعْمَلْ سُوَّا أَوْ يَطْلِمْ نَفْسَهُ، ثُمُّ يَسْتَغْفِر ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّه غَفُورًا رُحِيمًا . (النساء ١١٠).

ختام سورة المزمل

﴿ إِنَّ رَمَّكَ يَعَلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدَّنَ مِن ثُلُقِي أَيَّلِ وَيَصْفَهُ وَثُلُثُهُ وَطَآفِفَةٌ مِنَ الَّذِينَ مَمَكَ وَاللَّهُ يُفَدِّرُ الْقَرَءُ لَوَا مَانَيْسَرَ مِنَ الْقَيْنَ عَمْ أَن سَيَكُونُ مِنكُرَ الْقَرَعُ وَاعْرَبُوا اللَّهُ مَا مَنْكَ مُنْ فَضَل اللَّهُ وَعَا حَرُُونَ يُقْلُونَ فِي سَبِيلٍ لَلَّهُ مَا خَرُونَ يَضَرِقُونَ فِي سَبِيلٍ لَلَّهُ فَعَا حَرُونَ يَقَمِنُ وَالْقَيْمُ وَالْمَلْوَةَ وَعَامُوا الْفَكَوْةَ وَاقْرِضُوا اللَّهَ قَرَصُهُ حَسَنانًا وَمَا لُقَيْمُ وَالْمَلْفَ مَنْ مَاللَّهُ مَنْ مَا اللَّهُ مَا اللَّهُ مَا اللَّهُ مَا اللَّهُ مُواللَّهُ اللَّهُ مَنْ مَا اللَّهُ مَا مُعَلَّمُ اللَّهُ مَا مُعَلِّمُ اللَّهُ مَا اللَّهُ مَا اللَّهُ مَا مُعَلِّمُ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ مَا مُعَلِّمُ اللَّهُ مَا مُعَلِّمُ وَمُعَلِمُ اللَّهُ مَا مُعَلِّمُ اللَّهُ مَا مُعَلِّمُ اللَّهُ مَا مُعَلِّمُ اللَّهُ مِنْ مَالْمُ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مَا مُؤْمَلُونَ مَنْ اللَّهُ مَا مُنْصِلًا اللَّهُ مَا مُعَلِّمُ اللَّهُ مَا مُنْ اللَّهُ مُواللًا مُعَلِّمُ اللَّهُ مَا مُعَلِّمُ اللَّهُ مَا مُعَلِّمُ اللَّهُ مُولِي اللَّهُ مُولَكُونَ وَالْمُعْمُ اللَّهُ مَا مُعَلِّمُ اللَّهُ مُعَلِّمُ اللَّهُ مُولِنَا مُعْلَمُ اللَّهُ مِنْ مَا مُعَلِّمُ اللَّهُ مُولِمُ اللَّهُ مُولِلِكُمْ وَاللَّهُ مُولِمُ اللَّهُ مُولِمُ اللْمُعْلِمُ اللَّهُ مُولِمُ الْمُعْلَمُ الْمُعْلَمُ اللَّهُ مُنْ الْمُعْلَمُ وَالْمُعْمُولُ اللَّهُ مُولِمُ اللَّهُ مِنْ مُنْ الْمُعْلِمُ اللَّهُ الْمُعْلَمُ الْمُعْلِمُ اللْمُعْلِمُ اللْمُعْمُولُ اللْمُعْلِمُ اللْمُعْلِمُ الْمُعْلِمُ اللْمُعْمِلِمُ اللْمُعْمِلُولُ الْمُعْلِمُ اللْمُولُولُ اللَّهُ مِنْ الْمُعْلِمُ الْمُعْلَمُ الْمُؤْمِلُولُ اللْمُعْمِلِمُ اللَّهُمُ مُولِمُ اللْمُعْمُولُولُولِمُ اللْمُعْلِمُ الْمُعْلِمُ اللْمُعْلِمُ اللْمُعْلِمُ اللْمُعْلِمُ اللْمُعْلِمُ الْمُعْلِمُ اللْمُعْلِمُ اللْمُعْلِمُ اللْمُعْلِمُ الْمُعْلِمُ الْمُعْلِمُ اللْمُعْلِمُ الْمُعْلَمُ الْمُعْلِمُ الْمُعْلَمُ الْمُلِمُ الْمُلْمُ الْمُنْ الْمُلْمُ الْمُلْمِعُلِمُ الْمُلْمُ الْمُل

المفردات:

د _______ اَقل .

والله يقشر الليل والنهار ، يعلم مقادير ساعاتهما .

أن السن تصحصوه الا يمكنكم الإحصاء ، وضبط الساعات .

ه تاب علي كم الترخيص في ترك القيام المقدِّر ، ورفع التبعة عنكم .

القرأواما تيسر من القرآق ؛ فصلُوا ما تيسر لكم من صلاة الليل.

يضربون في الأرض ، يسافرون فيها للتجارة ونحوها .

وأقـــرضــوا الـــاـــه ؛ أنفقوا في سبيل الخير عن طيب نفس .

تمهيده

بدأت السورة بالأمر بقيام اللّيل ، واستمر هذا الأمر مدة سَنة ، يقوم فيها النبى ﷺ وأصحابه ، ويعد مرور سنة نزلت الآية الأخيرة من سورة المزمل ، ترخّص لهم في ترك القيام لعدة واجبة كالثاث أو النصف أو تثلى الليل ، وتثلث الليل ، وتثلث الليل ، وتثلث من القرآن لهلا بدل صلاة الليل ، وتثلث مسلاة الليل ، وتثلث من القرآن لهلا بدل صلاة الليل ، وتثلث من القرآن لهلا بدل مسلاة الليل على أصحابه ، وأمرّي الجاهامة الصلاة وإيتاء الزكاة والصدقة .

التفسيره

٧ - إِنْ رَبِّكَ يَعْلَمُ أَنْكَ تَقُومُ أَذْتَىٰ مِن ثُلْفَى أَتْبَلِ وَبِصْفَةً، وَفُلْفَةً, وَطَائِفَةً مَن آللين معك وَاللّهُ يَقَدُرُ النّلُ وَالنّهَارَ عَلَمُ أَن لَن تُحْمُونَ فَيْكُم مُرْضَىٰ وعاخرُونَ يَقْدَرُونَ فِي عَلَيْكُمْ أَن لَمْ يَشْرُ مِن الْقَرْعَان عَلمَ أَن سَيْكُونَ بِيكُمْ مَرْضَىٰ وعاخرُونَ يَقْدَرُونَ فِي اللّهُ عِنْقَوْمُواْ مَا تَيسَرُ مَنْهُ وَالْمِهُواْ الصَّلْوَةَ وَعَالُونَ أَلِي سَبِلِ اللّهِ فَاقْوَعُواْ مَا تِيسَرُ مِنْهُ وَالْمَهُواْ السَّلْوَةَ وَعَالُواْ اللّهُ إِنْ اللّهُ وَمَا عَلَمُواْ لِمُنْفَعِدُواْ اللّهُ إِنْ اللّهُ وَمَا فَقَدُمُواْ إِنْ اللّهُ اللّهُ وَمَا فَهُمُواْ وَاللّهُ إِنْ اللّهُ إِنْ اللّهُ فَلَهُ إِنْ اللّهُ فَلَهُ وَلَا لَهُ إِنْ اللّهُ إِنْ اللّهُ فَوْمُ اللّهُ اللّهُ وَمَا فَقَدُمُواْ إِنْ الْفَلِيمُ مُن خَيْرٍ تَجِدُوهُ عَلَمُ اللّهُ عَلَمْ أَنْ إِنْهُمْ إِنْ اللّهُ فَاللّهُ وَاللّهُ إِنْ اللّهُ فَلْهُ مِنْ عَلَمْ اللّهُ فَاللّهُ وَاللّهُ إِنْ اللّهُ فَلَاللّهُ فَاللّهُ وَاللّهُ إِنْ اللّهُ فَاللّهُ فَاللّهُ اللّهُ فَا إِنْهُوا إِنْ اللّهُ إِنْ اللّهُ فَاللّهُ فَا إِنْهُ إِنْ اللّهُ وَاللّهُ إِنْ اللّهُ وَاللّهُ إِنْ اللّهُ فَاللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللللّهُ اللّهُ اللللللّهُ

تمثّل هذه الآية الحنان واللُّطف والفضل الإلهي ، والرحمة والتربية المثلى ، فقد شاء الله أن يأمر الأمّة بقيام اللَّيل في أول الإسلام ، ليغرس في قلوبها الإيمان والصفاء والمناجاة والجهاد ، والاستعداد لتحمل تبعات الدعوة .

ويعد عام من قيام ثلث الليل أو نصفه أو ثلثيه ، نسخ الله ذلك عنهم والتمس لهم العذر ، لأنهم لا يسهل . عليهم إحصاء الثلث أو النصف أو الثلاثين ، فريما زادوا وأقاموا الليل كله أو جلّه ، كنـوع من الاحتياط ، والله تمالى هو الذي يحصى ساعات الليل والنهار .

وقد علم الله وشاهد ورأى النبى ﷺ وطائفة من أصحابه يقومون جانبا من الليل ، لا يقل عن الثلث وريما زاد إلى النصف ، أو قريبا من الثلثين ، وسجّل الله لهم هذه العبادة ، والامتثال لأحر الله العلى الكريم كما سجل لهم صعوبة إحصاء ساعات الليل ، فقبل عملهم وتاب عليهم ، وأسقط عنهم وجوب قيام جزء من الليل ، وندب لهم قراءة ما تيسر من القرآن ، أو صلاة ما تيسر من الصلاة ، أيا كانت الصلاة ، فيمكن أن تكون صلاتى العغرب والعشاء ، أو صلاة ناشئة الليل بعد صلاة المغرب ، أو صلاة ركعتين فقط ، أى افعلوا أى عبادة متيسرة من الصلاة .

وبيُّن حيثيات الحكم فيما يأتي :

(أ) وجود بعض المرضى الذين يشق عليهم قيام الليل.

(ب) وجود بعض التجار النين يشغلون نهارهم بالبيع والشراء والسفر ، وتمضير ما يلزم للتجارة وشنونها .

(جـ) وجود بعض المجاهدين الذين يقاتلون أعداء الإسلام ، رغبة فى ثواب الله ، ولإزاحة طراغيت الكفر من وجه الإسلام . من أجل مرزّلاء ، الذين يشقّ عليهم قيام اللّيل ، مع وجود المَرْض أو التجارة أو الجهاد ، يسر الله عليهم بقراءة ما تيسر من القرآن ، وإقام الصلاة المكتوبة في أوقاتها ، بشروطها وخشوعها ونواقلها ، وأداء الزكاة المفروضة ، وإخراج الصدقة والتطوع بمساعدة الفقواء والمساكين وأصحاب الحاجات ، وكل ما يفعله الإنسان من خير أو معروف ، أو عهادة أو صلح بين اثنين ، أو صلة رحم ، أو أيّ عمل يردّى إلى رفع شأن الإسلام ، أو نفع المسلمين ، يلقى ثواب هذا الخير عند الله يوم القيامة ، أعظم أجرًا وأوفى ثوابا ، وعليكم أن تستغفروا الله وتتوبوا إليه ، لتكفير ننوبكم ، ولرفع درجاتكم ، فإن الله غفور للمستغفرين ، رحيم بالمؤمنين .

قال القرطبي :

غَفُورٌ ، لما كان قبل التوبة رَّحِيمٌ . بكم بعدها .

وفى ختام السورة دعوة المتعبّدين والمنفقين ومقدمى الخير أن يستغفروا الله ، وأن يطلبوا منه الصفح والعفر ، إذ ربما كانوا لم يخلصُوا النيّة فى الإنفاق، أو لم يحسنوا العمل فى الإقراض ، وربما تدخلت شهرة خفيّة من حبّ المحمدة ، أو التظاهر بالخير بين الناس ، فالاستففار لمحو السيئات والإخلاص النبّات ولذكر الله وتصحيح العبادات .

نسأل الله أن يرزقنا إصلاح النيّة ، وإخلاص العبادة ، وأن يففر لنا ويرحمنا ، كما قال سبحانه وتعالى : وُآغَفُ غُنّا وَآغَبُر ثَاوَ آرَحُمْنَا أَلتَ مَوْلَتُنا فَالصُرْنَا عَلَى ٱلْقُوْمِ ٱلْكَلْفِرِينَ . (البقرة : ٢٨٦) .

وصل اللهم على سيندًا محمد ، وعلى آله وصحبه وسلم . أمين .

* * *

تم تفسير سورة (المزمل) بعد منتصف ليلة الجمعة ٥ من المحرم ١٤٢٢ هـ ، الموافق ٣٠ من مارس ٢٠٠١، والحمد لله رب المالمين .



أهبداف سبورة المدثسر

(سورة المدار مكية ، وآياتها ٦٠ ٥ آية ، نزلت بعد سورة المزمل)

وينطبق على سورة المدثر – من ناحية سبب نزولها ، ووقت نزولها - ما ينطبق على سورة المزمل. فهناك روايات بأنها هي أول ما نزل بعد سورة العلق ، ورواية أخرى بأنها نزلت بعد الجهر بالدعوة ، وإينام المشركين للنبي ﷺ .

ويمكن التوفيق بين هذه الروايات ، بأن صدر سورة المدثر أول ما نزل من القرآن بعد سورة العلق ، وهو من أول السورة إلى قوله تعالى : وَلَرْبُكَ فَاصَّبِرُ ، (المدثر : ٧) .

وأن الآيات التالية قد نزلت بعد الجهر بالدعوة ، وربما كانت تعنى شخصًا صعينا هو الوليد بن المغيرة™.

وأيها ما كمان السبب والمناسبة ، فقد تضمنت السورة في مطلعها ذلك النداء العلوى ، بانتداب النهاء العلوى ، بانتداب النهي الله الأمر الجلل ، وانتزاعه من النوم والتدثر والدفء إلى الجهاد والكفاح والمستقة . (انظر الآيات من ١ - ٧).

ثم تضمنت بعد هذا تهديدًا ووعيدًا للمكذبين بالآخرة ، ويحرب الله المباشرة ، كما تضمنت سورة المزمل سواء بسواء . (لنظر الآيات من ٨ – ١٧) .

وتُعيِّن سررة المدشر أحد المكنبين بصفته ، وترسم مشهدًا من مشاهد كيده ، على نحو ما ورد في سورة القلم ، وربما كان الشخص المعنى هنا وهناك واحدًا ، وقد قيل إنه الوليد بن المغيرة . (انظر الآيات من ١٨ – ٣٠) .

ثم تتحدث السورة عن عالم الغيب ، ووصف سقر ، والملائكة القائمين عليها ، وعددهم وامتحان الله لعباده بذلك العدد ، وذلك في آية واحدة طويلة هي الآية (٣١) .

ثم تتحدث عن مشاهد الكون ، وأدلتها على وجود الله . (انظر الآيات من ٣٢ - ٣٧) .

كما تعرض مقام المجرمين ، ومقام أصحاب اليمين ، حيث يعترف المكذبون اعترافًا طويلاً ، بأسباب استحقاقهم للارتهان والقيد في يوم الجزاء والحساب ، يعقب عليه بكلمة الفصل في أمرهم ، الذي لا تنفعهم فيه شفاعة شافع . (انظر الآيات من ٣٨ – ٤٨) .

وفى ظل هذا المشهد المحترى ، والاعتراف المهين ، يتسامل مستنكرًا موقف المكتبين من الدعوة إلى التذكرة والنجأة من هذا المصير ، ويرسم لهم مشهدًا ساخرًا يثير الضحك والزراية ، من نفارهم الحيواني الشموس . (انظر الآيات من ٤٩ – ٥١) .

ويكشف السياق عن حقيقة الغرور الذي يساورهم فيعنعهم من الاستجابة لصوت المُنكِّل الناصع ، ويبين أنه الحسد للنبي ﷺ ، والرغبة في أن يؤتى كل منهم الرسالة ، والسبب الآخر هو قلة التقوى . (انظر الأبنين ٥٣ ، ٥٣) .

ولحى المفتام يجيء التقوير الجازم الذي لا مجاملة فيه ، ورد الأمر كله إلى مشيئة الله وقدره . (انظر الأيات من ١٥٥ - ٥٦) .

وهكذا تمثل السورة حلقة من حلقات الكفاح النفسى ، الذى كافحه القرآن للجاهلية وتصوراتها فى قلوب قريش ، كما كافح العناد والكيد ، والإعراض الناشئ عن العمد والقصد يشتى الأساليب .. والمشابهات كثيرة بين اتجاهات هذه السورة ، واتجاهات سورة المزمل ، وسورة القلم ، مما يدل على أنها جميمًا نزلت متقاربة ، لمواجهة حالات متشابهة .

وسورة المدثر قصيرة الآيات ، سريعة الجريان ، منوعة الغواصل ، يتند إيقاعها أحيانًا ، ويجرى لاهنًا أحيانًا ، ويخاسمة عند تصوير مشهد هذا المكنب ، وهو يفكر ويقدر ويعبس ويبسر .. وتصوير مشهد سقر لا تبقى ولا تذر لواحة للبشر .

مع آيات السورة

 ١ - ٧ - بدأت السورة بنداء الذبى الكريم ﷺ ليقوم بأمر جليل هو إنذار البشرية ، وتخليصها من الشر في الدنيا ، ومن الذار في الأخرة .

ثم يوجه الله رسوله ﷺ في خاصة نفسه ، بأن يكبر ريه وحده ، فهو سبحانه الكبير المتعال ، وهو القرى المتين ، وهو على كل شيء قدير . ويوجهه إلى التطهر بأنواعه ، ويشمل طهارة الثوب ، وطهارة البدن ، وطهارة القلب ، ليكون أهالا للتلقى عن المالاً الأعلى ، ويوجهه إلى هجران الشرك ، وموجبات العذاب ، والتحرز والتطهر من مس هذا الدنس . ويوجهه إلى إنكار ذاته ، وعدم المنّ بما يقدمه من الجهد أن استكثاره أن استعظامه ، فكل ما يقدمًا الإنسان من خير هو بتوفيق الله وعونه ، وذلك يستحق الشكر لله لا المنّ والاستكثار .

ويوجهه أخيرًا إلى الصبر على الطاعة ، والصبر على الأذى والتكنيب ، وعدم الجزع من أذى المخالفين .

٨ - ٣٠ - حين ينفع إسرافيل في الصور، بجد الكافرون أمامهم يومًا عسيرًا ، لا يسر فيه ولا هوارة,
 بل يجدون الحساب السريم ، والجزاء العادل ، والعقاب الرادع .

وقد روى ابن جرير الطبرى أن الآيات نزلت في الوليد بن المغيرة ، حين فكر في تهمة يلمطها بالنبي هي الدعى أن النبى ساحر ، وقد كان الوليد يسمى الوحيد لأنه وحيد في قومه ، فماله كثير ، فيه الزرع والضرع والتجارة ، وله عشرة أبناء يشهدون المحافل والمجامع ، أسلم منهم ثلاثة : خالد وهشام والوليد ، وقد بسط الله له الرزق ، وطال عمره مع الجاه العريض والرياسة في قومه ، وكان يسمى ريحانة قريش .

ويتجه السياق إلى تهديد هذا المشرك فيقول: خلّ بيني وبين هذا المشرك ، الذي أخرجته من بطن أمه وحيدًا ، لا مال له ولا ولد ، ثم بسطت له الرزق والجاه العريض ، فكفر بأنم الله عليه .

لقد أعطيته المال الكثير ، ورزقته بنين من حوله حاضرين شهودًا ، فهو منهم في أنس وعزوة ، ومهدت له الحياة ، ويسرتها له تيسيرًا ، ثم هو يطمع في مزيد من الثراء والجاه .. كلا ، لن نزيده من نعمنا ، بل سنّذهب عنه كل ما أنعمنا به عليه ، لأنه كان معاندًا ومعارضًا لآيات القرآن الكريم ، سأكلفه ما لا يطيق من كرية وضيق ، كأنما يصعد في السماء ، أو يصعد الجبال الوعرة الشاقة .

إنه فكر وتروى ماذا يقول في القرآن ، ويماذا يصفه حين سئل عن نلك ، ثم لعن كيف قدر ، ثم نظر إلى قومه في جد مصطنع ، وقطب وجهه عابسًا ، وقبض ملامح وجهه باسرًا ليستجمع فكره ، فقال : ما هذا القرآن إلا سحر ينقله محمد عن السحرة ، كمسيلمة وأهل بابل ، وليس هذا من كلام الله ، وإنما هو من كلام البشر.

سأدخله سقر، وما أعلمك بشأنها ، إنها شيء أعظم وأهول من الإبدراك ، فهي : لاَ تُبْقِي وَلاَ تَلَرُ ، (المداد : ١٨). فهي تكنس كنسًا ، وتبلع بلمًا ، وتسعو محوًا ، فلا يقف لها شيء ، ولا يبقى وراءها شيء ، ولا يفضل منها شيء، وهي : لُوَّاحَدُّ لَلْبُكْرِ ، (المداد : ٢٩) . تلوح الجلد فتحرقه وتغير لونه .

وعلى الذار تسعة عشر ، لا ندرى أهم أفراد من الملائكة الغلاظ الشداد ، أم صفوف ، أم أنواع من الملائكة وصنوف . ٣١ - ولم نجعل المدبرين لأمر النار إلا ملائكة ، فمن يطيق الملائكة ومن يغلبهم ؟

وما جعلنا عددهم تسعة عشر إلا امتحانًا للذين كفروا ، وليستيقن الذين أوتوا الكتاب بصحة القرآن ، لأنهم يرون أن ما يجيء فيه موافق لما في كتبهم ، ويزداد الذين آمنوا إيمانًا ، وذلك بتصديق أهل الكتاب له ، وتستشعر قلوب المؤمنين حكمة الله في هذا العدد ، وتقديره الدقيق في الخلق ، وتثبت هذه الحقيقة في تلوب أهل الكتاب ، وقلوب المؤمنين ، فلا يرتابون بعدها فيما يأتيهم من عند الله .

وليقول الذين في قلوبهم مرض النفاق والكافرون: ماذا أراد الله بهذا العدد المستغرب استغراب المثل؟

كذلك يضل الله من يشاء من المنافقين والمشركين ، لسوء استعدادهم ، ويهدى من يشاء من المؤمنين ، لتزكية نفوسهم ، وترجيه استعدادهم للخير ، وما يدلم جموع خلق الله إلا هو ، وإن خزنة النار وإن كانوا تسعة عشر ، فإن لهم من الأعوان والجنود من الملائكة ما لا يعلمه إلا الله سبحانه ، وما هذه السورة إلا تذكرة للبشر.

٣٧ – ٧٧ – كلا وحق القمر ، والليل إذا تولى ، والصبح إذا تجلى ، إن الآخرة وما فيها ، أن سقر والحمد والكل نفس والجنود التي عليها ، هي إحدى الأمور الكبيرة العجيبة ، المنذرة للبشر ، بما وراءهم من الخطر ، ولكل نفس أن حقار طريقها ، وأن تتقدم في سبيل الخير أن تتخلف عنه .

٣٨ - ٨٨ - تعرض الآيات مقام أصحاب اليمين ، فهم في جنات يسأل بعضهم بعضًا عن المجرمين.

ويقال لهم: أيها المجرمون ما الذي أنخلكم في جهنم؟ فيعترفون اعترافًا طريلاً مفصلاً ، يتناول الجرائر الكليرة التي انتهت بالمجرمين إلى سقر.

قالوا: دخلنا جهنم لأننا لم نك من المؤمنين، ولم نك نطعم المسكين، وكنا نخوض فى الباطل مع الخائضين، وكنا نكنب بيوم الجزاء والحساب، حتى جاءنا الموت الذي يقطع كل شك، وينهى كل ريب، فما تنفعهم بعد ذلك شفاعة الشافعين، لأنه يكون قد انقضى وقت الإمهال.

٤٩ – ٥٦ – فما لهم عن التذكرة معرضين ، إنّا كان الحال فى الآخرة سيكرن كما وصفنا فى الآيات السابقة ، فما بالهم معرضين عن القرآن ، كأنهم – فى هربهم من سماع كلام الله ونفورهم منه – حمير نافرة ، فرت من أسد تطلب النجاة من بطشه ، ثلك هيئتهم الظاهرة .

ثم يرسم القرآن نفوسهم من الداخل، وما يعتلج فيها من المشاعر ، فيبين أن الحسد هو الذي منعهم من الإيمان ، بل يرغب كل منهم أن يكون في منزلة الرسول ، وأن يؤتي محمدًا تنشر على الناس وتعلن ، وإنما حملهم على ذلك أنهم لا يصدقون بالآخرة ، ولا يخافون أهوالها ، إن هذا القرآن تذكرة تنبه وتذكر. فمن أراد الانتفاع بالقرآن قرآء وانتفع به .

وما يهتدون إلا بمشيئة الله ، وهو سبحانه أهل بأن يُتقى عذابه ، وتُرجى مغفرته ، وهو سبمان صاحب المغفرة يتفضل بها على عباده وفق مشيئته .

مقاصد السورة إجمالا

أمر النبي ﷺ بدعوة الخلق إلى الإيمان ، وتقرير صعوبة القيامة على أهل الكفر والعصيان ، وتهديد الوليد بن المغيرة الذي منحه الله مالاً وفيرًا ، وعشرة من البنين ، ويسط له في العيش لكنه قابل هذه النعم بالجحود والعناد .

وذكر جل شأنه كيف استهزأ الوليد برسول الله ﷺ: وكيف اتهمه بالسحر ، فأنذره الله تعالى بسقر، ثم وصفها ووصف زبانية الجحيم ، وعذاب أهل النار ، ثم ذكر تعالى الآبرار ونعيمهم ، والمجرمين وصفاتهم ، وهى البعد عن الصلاة والإيمان ، والبخل بالمال ، والخوض في إيذاه المؤمنين ، لقد سلبوا هداية السماء ، ففروا من سماع القرآن فرار حمر الوحش إذا رأت أسدا ، وحرمت قلوبهم بركة التقوى ، والله تعالى هو الجدير بأن يتقيه العباد ، فهو أهل التقوى وأهل المففرة .

برشادات للنبي ﷺ في بدء الدعوة

﴿ يَكَانُهُمُ اللَّمُنَةِ ثُرُ۞ قُرَفَا لَذِرْ۞ رَبَّكَ فَكَيْرَ۞ وَلِيَابَكَ فَطَفِرْ۞ وَالزُّجْرَفَا هُمُّرُ۞ وَلَا تَمْنُن تَمْتَكُونُرُ۞ وَلِرَبِكَ فَاصْدِر ۞ فَإِذَا نُقِرَفِ النَّاقُورِ۞ فَلَاكَ يَوْمَهِ ذِيقَمُّ عَسِدُّ عَلَى الْكَفِينِ فَنْ غَيْرِيمِرِ۞﴾

المضردات :

المسمسلة من المتلفف بثيابه عند نزول الوحى عليه ، وهو النبي ﷺ .

و من مضجعك ، أوقع قيام عزم وتصميم .

وريك قي كسيسر ، المصم ريك بالتكبير والتعظيم ، أو يقول : الله أكبر.

وشيبانك شعطهر ، طوّر ثيابك من النجاسات ، فإن التطهير واجب في الصلاة ، أو هو كناية عن تطهير النفس من المذام ، والتخلّق بالأخلاق الجسنة .

والرُخِرَ شاهبجر ، الرُّجز (بضم الراء وكسرها) العذاب ، أي : اهجر المآثم المرجبة للعذاب .

ولا تمنن تستكثر، ولا تعط مستكثرًا، أي: رائيًا ما تعطيه كثيرًا، أو لا تمنن على الله بعيادتك مستكثرًا إياها.

والريك فاصبير ، ولوجه ربك وابتغاء مرضاته ، فتخلق بالصبر .

إذا نقر في الناقور ، فإذا نُفخ في الصور البعث والنشور .

التفسيره

٢ ، ٢ - يُنَالُّهُا ٱلْمُدَّثُّرُ ، قُمْ فَأَنذِرْ .

روى الشيخان أن رسول الله 秦拳 قال : «جاورت بحراء شهراً ، فلما قضيت جوارى نزلتُ ، فنودينُ , فرفعت رأسى ، فإذا الملك الذي جاءنى بحراء ، فرجعت فقلت : دثرونى ، فأنزل الله : يتآنِّها ٱلْمُنْتُرُ ، فُمُ قَاتِلْرٍ٣٣.

والمعنى:

يا أيها المتلفف بثيابه ، أو المتدثر بالنبوة والكمالات النفسية ، أو المتنشَّى بثوبه رُعها من رؤية الملك ، قُم من مضبحك ، أو قم قيام عزم وتصميم ، وشمَّر عن ساعد الجدّ ، فقد جاء الأمر الإلهى باصطفائك رسولاً ، وجاء الأوان لتباشر مهمتك ، لندعو الناس إلى توحيد الله والإيمان به ، وتحذرهم من عذاب الأهرة.

قال ابن كثير: قُمْ فَأَللِرْ . أي: شمر عن ساق العزم وأنذر الناس.

٣ - وَرَبُّكَ فَكَبَّرْ .

اخصص ربك بالتكبير والتعظيم ، فنواصى الخلائق بيده ، ولا يصدّنك شيء عن الانذار .

وقيل: المعنى: قل الله أكبر في بداية الصلاة.

ءُ - وَثِيَابَكَ فَطَهُرْ .

طهُر ثبابك من النجاسات ، ولجعلها طاهرة لتصبح بها الصلاة ، وطهُر نفسك من المعاصى والذنوب، يقال : فلان طاهر الإزار ، كتابة عن طهارة النفس والبعد عن الفصفاء .

٥ - وَٱلرُّجْزَ فَآهْجُرْ .

الرُجز هو العذاب ، والمراد : الهجر المعاصى والذنوب ، وابتعد عن عبادة الأوثان والأصنام التي يعبدها قومك ، واهجرها ولا تقريها ، والعراد : ابتعد عن أسباب العذاب ، وقد يكون الخطاب للنبي 義 والعراد كل من يتأتى منه الخطاب .

٣ - وَ لَا تَمْنُن تَسْفَكُونُ .

ولا تعط مستكثرًا ، أي رائيًا ما تعطيه كثيرًا ، أو لا تمنن على أصحابك وغيرهم بتبليغ الرهى ، مستكثرًا ذلك عليهم ، أو إذا أعطيت أحدًا عطية فأعطها لوجه الله ، ولا تمنّ بعطيتك على الناس .

٧ - وَلَرَبُّكَ فَأَصْبِرْ.

ولريك وحده ، ومن أجل مرضاته سبحانه وتعالى ، فاصبر على تبليغ الدعوة والرسالة ، وتحمَّل في سبيل ذلك ما تتحمله .

قال تعالى: إِنَّمَا يُوَفِّي ٱلصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْر حِسَابٍ . (الزمر: ١٠) .

وقال الرّسل ﷺ: «يقول الله تعالى: إذا وجُهت إلى عبد من عبيدى مصيية في بدنه أو ماله أو والده ، ثم استقبل ذلك بصبر جميل ، استحييت منه يوم القيامة أن أنصب له ميزانًا، أو أنشر له ييوانًا» .

﴿ فَإِذَا نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ .

فإذا نفخ إسرافيل فى الممور – الذى هو القرن أو النفير ~ النفخة الثانية ، قامت الناس من قبورها ، تستعد لأمر الحساب والجزاء ، وتجد الكثير من هول هذا اليوم ، الذى تشيب فيه الولدان ، وتضع فيه كل ذات حمل حملها ، وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ، ولكن عذاب الله شديد .

قال تعالى : وَلُفِحَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَاوُاتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْصِ إِلَّا مَن شَاءَ ٱللَّهُ ثُمَّ تُفِحَ فِيهِ أَخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامُ يَنظُولُونَ . (الذير ١٨٠).

٩ ، ١ ٠ - فَلَالِكَ يَوْمَعِلْ يَوْمٌ عَسِيرٌ ، عَلَى ٱلْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ .

والمراد : اصبر يا محدًد على أذاهم ، فأمامهم موقف رهيب ، هين ينفخ فى الصُّور ، فيخرج الناس من قبورهم ، وقد شاهدوا يومئذ يومًا عسيرًا شديدًا ، على الكفار غير سهل .

والمراد أن عُسْره كامل، ليس عسيرًا من وجه ويسيرًا من وجه آخر، بل هو عسير من جميم الوجوه.

غُيُّرُ يُسِرِ ، أي : غير سهل ولا ميسر على الكفّار ، بل هو يسير على المؤمنين ، حتى يكون كما بين الظهر والعصر ، عسير على الكافرين .

أخرج ابن سعد ، والحاكم ، عن بُهْرْ بن حكيم قال : أمُّنا زرارة بن أوفى فقرأ المدّثر ، فلما بلغ قوله تعالى : فَإِذَا لُقِرْ فِي ٱلنَّاقُورِ . هُرٌ ميثًا فكنت فيمن حمله .

وأخرج ابن أبى حاتم ، وابن أبى شيبة ، والإمام أحمد ، عن ابن عباس قال : لما نزلت : أَوْلاً نُفِرُ فِي آلَاُلُّورِ . قال رسول الله ﷺ: «كيف أَنْمُ وصاحب الصُّور قد التقم القُرْن ، وحَنَى جبهته يستمع متى يؤمر، ؟ قالوا : كيف نقرل يا رسول الله ؟ قال : «قولوا : حسبنا الله ونعم الوكيل ، وعلى الله توكلناه .

عناد الوليد بن المغيرة

﴿ ذَرْنِ وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدُا ۞ وَجَعَلْتُ لَهُ مَا لاَ مَمَدُودُا ۞ وَنِينَ شُهُودُا ۞ وَمَهَدتُ لَهُ مَا لاَ مَمَدُودُا ۞ وَنِينَ شُهُودُا ۞ وَمَهَدتُ لَهُ مَا لاَ مَمَدُودُا ۞ وَنَينَ عَلَيْهُ وَكُمْ تَعْدَدُ ۞ ثُمَّ يَطُولُ اللهُ عَلَى اللهُ اللهُ عَلَى اللهُ اللهُ عَلَى اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ ا

المفردات

فرنى ومن خلقت وحيدا؛ دعنى وإياه ، فإنى أكفيكه .

سيمسخوداء كثيرًا.

شـــــهـــــودا؛ حضورًا معه يمكة يتمتع بمشاهدتهم .

ومهيدت لله تبمهيداء بسطت له الرياسة والجاه العريض.

سارهـــــــــه ، سأكلُّفه .

منسسم ودا، عقبة شاقة لا تُطاق.

إنسسه السكسسر، إنه فكر ماذا يقول في شأن القرآن والرسول من الاختلاق.

وقسسسسدر، ورتب وهياً في نفسه قولاً كانباً في القرآن والنبيّ.

هـــــه عينيه .

بســـــر، كلح وجهه.

المسواح المامن الرَّحته الشمس ، إذا سوَّدت ظاهره وأطرافه .

السيسيم واحدها بشرة ، وهي ظاهر الحادي

صليها تسعة عشر، يتولى أمر النَّار، ويلى تعذيب أهلها تسعة عشر ملكًا، أو صفًّا، أو صنفًا.

تمهيده

تغيد كتب الحديث والسيرة أن هذه الأيات نزلت في شخص مُعينُ هو الوايد بن المغيرة ، وقد سمع القرآن الكريم فتأثر به ، وذهب إلى قومه من بني مخروم فقال: والله لقد سمعت من محمد أنفا كلاماً ما هو من كلام الإنس ولا من كلام البن ، والله إن له لحلاوة ، وإن عليه لطلاوة ، وإن أعلاه لمُثير، وإن أسقله لمُثير ، وإن أسلاه الوليد ، والتمبرف إلى منزله ، فقالت قريش : صَبَاً والله الوليد ، والتمبيرة قريش كنها ، فقال ألوليد ، والتمبيرة قريش عنها أوليد ، ما لي أراك كنها ، فقال الوليد : ما لي أراك كنها ، فقال الوليد : ما لي أراك حديثًا بابن أخيى ؟ فقال : وما يمنعني أن أحزن ، وهذه قريش يجمعون لك نفقة يعينونك على كير سنك ، حريثًا بابن أخيى أن تعالم محمد ، وأنك تنحل على ابن أبي كيشة وابن أبي قصافة التنال من فضل علمامه ؟ ويزعمون أنك يفت الإن أبي كيشة وابن أبي محمد وأصحابه من الطمام حتى يكن لهم الأوولذا؟ وهل شبع محمد وأصحابه من الطمام حتى يكن لهم نقال لهم : تزعمون أن محمداً مجنون فهل رأيتمون يكن لم المام حتى المناون اللهم لا ، قال : تزعمون أن محمداً مجنون فهل رأيتموه يشاؤا : اللهم لا ، قال : تزعمون أنه كذاب ، فهل رأيتموه عليه بشيئاً من الكذب ؟ قالوا : اللهم لا ، قال : تزعمون أنه كذاب ، فهل جريتم عليه شيئاً من الكذب ؟ قالوا : اللهم لا (وكان رسول الله ﷺ يسمى الأمين قبل النبوة لمدقه) ثم قالوا : فما هو ؟ قال : ما هو إلا ساحر ، أما رأيتموه يفرق بين الرجل وأهله ولاء ورده ومواليه ، فهر ساحر ، وما يقوله سحر يأثره عن مسيئمة وأهل بابل ، فارتج النادن فرحاً ، وتفوقوا محجبين بقوله ، متحجبين منه ؛ فنزلت هذه الآيات

وقد كان الوليد يسمى الوحيد، لأنه وحيد فى قومه ، فمالُه كثير، فيه الزرع والضَّرع والتجارة ، وكان له بين مكة والطائف إبل وخيل ونعم ، وعبيد وجوار ، وله عشرة أبناء يشهدون المحافل والمجامع ، أسلم منهم ثلاثة : خالد ، وهشام ، والوليد ، وقد بسط الله له الرزق ، وطال عمره مع الجاه العريض والرياسة فى قومه ، وكان يسمى ريحانة قريش .

التفسير،

١١ - ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا.

أى: دعنى وحدى ومن خلقته ، فأنا أكفيك أمره ، وأغنيك في الانتقام منه عن كل منتقم .

قال ابن عباس وغيره: نزات هذه الآية وما يعدها في الوليد بن المغيرة ، بل قيل إن هذا القول متفق عليه .

قال مقاتل:

المعنى: خلّ بينى وبينه فأنا أنفرد بهلكته ، وفى هذا وعيد شديد على تمرده ، وعظيم عناده واستكباره ، لما أُوتِيه من بسطة المال والجاه ، وكان يقول : أنا الوحيد ابن الوحيد ، ليس لى فى العرب نظير ، ولا لأبى نظير ، وقد تهكم الله به ويلقبه ، وصرفه عن الغرض الذى كانوا يقصدونه ، من مدحه والثناء عليه إلى ذمّه وعيبه ، فجمله وحيدًا فى الشر والخبث .

ولك أن تتصور مخلوقًا ضعيفًا أمام قدرة الخالق المدبّر ، الذي يقول للشىء كن فيكين ، وذكر المفسرون أن هذا الشقى – الوليد بن المفيرة – ما زال بعد نزول هذه الأبية في نقص من ماله وولده حتى هلك .

١٢ - وَجَعَلْتُ لَهُرِ مَالاً مُمْدُودًا .

بسطت له في المال والزراعة والنماء والتجارة.

قال ابن عباس: كان ماله معدودًا بين مكة والطائف.

وقال مقاتل: كان له يستان بالطائف لا تنقطع ثماره صيفًا ولا شتاءً.

١٣ - وَيَنِينَ شُهُودًا .

أى : وأولادًا مقهمين معه فى بلده ، يحضرون معه المحافل والمجامع ، لا يحتاجون إلى السفر من أجل التجارة والمال بسبب غنى والدمم ، حيث كان مستأنسًا بهم ، وله بهم عزَّ ومنعة .

قال المفسرون : كان له عشرة بنين لا يفارقونه سفرًا ولا حضرًا ، أسلم منهم ثلاثة : خاك ، وهشام ، والوليد . ٣٠٠ .

١٤ - وَمَهَّدتُ لَهُ, تَمْهِيدًا .

يسرت له أسباب الجاه والسلطان ، والعزُّ والسيادة ، فكان في قريش عزيزًا منهمًا ، وسيدًا مطاعًا .

٩٥ - ثُمُّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدٌ .

أى : لم يقنع ولم يشبع ، بل كان يتطلع إلى المزيد من حطام الدنيا ، لشدة حرصه وجشعه .

قال في ظلال القرآن : لعله كان يطمع في أن ينزل عليه الوحي ، وأن يعطى كتابًا . ا هـ.

ولعله كان أحد العظماء الذين عنتهم قريش حين قالت: قَوْلاً نُزُلَ هَلْمَا ٱلْقُوْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَوْيَتَيْنِ عَظِيمٍ . (الزهرف: ٣١) .

١٦ - كَلَّا إِنَّهُ, كَانَ لِآيَلَتِنَا عَنِيدًا.

كلا : حرف ردع ورجر.

أى: كلا لن أزيده فقد وقف معاندًا سلمرًا من القرآن ومن الرسول ، حيث ادعى أن محمدًا سلمرً يفرُق بين المرء وزوجه ، والمرء وعشيرته ، ويعد أن مدح القرآن استفزّه أبو جهل وحرُّف، على أن يقول في النبي محمد ﷺ وفي القرآن كلاما سيئًا ، فكان كما قال القرآن الكريم : أَفْرَءُتُ ٱللَّهِي تُولِّي وَأَعْظَىٰ قَلِيلًا وَأَكْتَكَنَى (النيم: ٣٤ ، ٣٣).

ومعنى أكدى: منع ، أي أعطى مدحًا للقرآن قليلاً ، ثم منع ذلك العطاء وتكمر على عقبيه .

١٧ - سَأَرْهِقُهُ, صَعُودًا.

سأكلُّنه مشقة من العذاب الذي لا راحة له فيه ، ولعل ذلك يشير إلى عذابه النفسي في الدنيا ، حيث يسير في طريق وعر شاق ، ويقطع الحياة في قلق رشدة وكرية وضيق، فإذا كان يوم القيامة كُلُف بالمسعود إلى أعلى جبل في جبنم ، ثم يقذف به من شاهق ، ثم يتكرر ذلك العذاب مع التصميد في الطريق ، وهو أشقً السير وأشدًه إرهائنًا ، فإذا كان دفعًا من غير إرادة من الشخص ، كان أكثر مشقة وأعظم إرهائنًا .

١٨ - إِنَّهُۥ فَكُرَّ وَقَلَّارَ .

تأتى هذه الآيات كالتعليل لما سبقها ، أي أنه قد استحق العذاب بسبب مواقفه المعادية للإسلام .

فقد ثبت أنه قد مدح القرآن الكريم حين سمعه من رسول الله ﷺ، وحين سمعه من أبى بكر المديق، و فقالت قريش: صبأ والله الوليد، ولذن صبأ الوليد لتصبأن قريش كلّها، فذهب إليه أبو جهل ، وحرُّضه على أن يقف موقفًا معاديًا لمحمد ﷺ وللقرآن الكريم ، فذهب إلى قومه وقال: تزعمون أن محمدًا مجنون أو ساحر أو كذاب أو شاعر، فهل جريتم عليه الجنون أو السحر أو الكنب أو الشعر، قالوا: لا ، ثم قال قومه له: فماذا تقول أنت يا أبا الوليد ؟ فأخذ يعمل عقله ، ويعيد التفكير والتقدير مرازًا ، حتى يقول قولاً يخالف ضميره ، ويخالف مدحه السابق للقرآن ، ويتناسب مع إعراضه عن الحق بعد ظهوره له ، واستكباره عن الهدى بعد أن لاحت بوادره ، فاتهم محمدًا بالسُحر، وأنه يفرق بين للمره وقومه ، والمرم وزوجته ، والمرة .

والمعد

إِنَّهُ مَ فَكُرُ وَقَدَّرُ .

إنه فكر في أمر القرآن ومحمد ﷺ، وقدُر وزُور كلامًا في نفسه ، قد حضَّره ليقوله عن القرآن ، عنازًا ومكابرة .

١٩ - لَقُتِلَ كُيْفَ قُلْرَ .

أى: لعنه الله وأخزاه ، كيف زور هذا الكلام الذي فرحت به قريش ، وعظم ألم النبي على منه .

٠ ٧ - ثُمُ أُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ .

تكرير للتأكيد ، وتعجُّبُّ من إبداعه فى الشرّ ، أو ثناء عليه تهكمًا ، أو حكاية لما كرروه عند سماع كلامه .

هالعرب تقول : قتله الله ما أشجعه ، وأهزاه الله ما أشعره ، يريدون أنه قد بلخ المبلخ الذي هو مقبق بأن يُحسد ، ويدعى عليه حاسده بذلك .

والآيات ممورة باهرة لهذا الشيطان الذي عرف الدقّ، ثم نكص عن اتّباعه ، ثم دير كلاًما مماديًا للقرآن وللرسول الأمين ، يستحق أن يدعى عليه بأن يُلتل ، وأن يتكرر قتله لقاء ما قال من الزور والبهتان ، واتهام القرآن بأنه سحر يؤثر .

٧١ ، ٢٧ ، ٢٧ ، ٢٣ ، ٧٥ ، ٥٠ – ثُمُ نَظَرَ ، لُمُ عَنِسَ وَبَسَرَ ، ثُمُ أَدَبَرَ وَآسَتكُبُر ، فَقَال إِنْ هَـلذَا إِلَّا سِحْقُ يُؤْثُورُهُ إِنْ هَـلاَنَا إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ .

ثم أعاد النظر والتَّروى ، والتأمُّل في الطعن في القرآن ، ثم قطَّب وجهه لمَّا لم يجد مطعنًا يطعن به القرآن ، وكلح وجهه ، وتغير واكفهرُ ، وأظهر الكراهة ، ثم أعرض عن الإيمان ، واستكبر عن الانقياد ، والإصفاء للقرآن ، وجاء بقول يخالف ضميره فقال :

إِنْ هَلَدَآ إِلَّا سِخْرٌ يُؤْثَرُ .

ما هذا إلا سحر ينقل ويروى ويحكى ، نقله محمد عن غيره ممن قبله ، وحكاه ورواه عنهم ، فليس بكلام الله .

إِنَّ هَلَدُآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ.

اختلقه محمد من عند نفسه ، ونسبه اله زورًا.

وقد رأيت أن القرآن الكريم جاء بكلمة لُمِّ، بعد الآيات (١٩، ٢٠، ٢١)، ليبين أنه كان يتروي ويتأتى بعض الوقت في تفكيره ، لكن الآية (٢٥) جاءت بدون حرف العطف للإفادة بأنه قال : إن هذا إلا سحر يؤثر ، وأتهم بعده بدون فاصل : إذْ هَلْلاً إِلّا قَرْلُ ٱلْشُرْ.

أى: أسرع فى اتهام القرآن بأنه سحر ، ويأنه قول البشر ، بدون تأثُّ أن تفكير ، كما يقول الإمام الامضفرى فى تفسير الكشَّاف.

وبعد أن عرض القرآن تهمه الباطلة ، وتفكيره المستكبر عن الحق ، أتبع ذلك بمآله الذي ينتظره .

٣٩ ، ٧٧ ، ٧٧ ، ٣٩ ، ٣٩ ، ٣٠ - سَأَصْلِيهِ مَقَرَ هِ وَمَا أَقْرَبُكَ مَا سَقَرُ هِ لاَ يُتَقِي وَلاَ تَلَدُ هِ لُوَاحَةٌ لَلْبَشْرِ هِ عَلَيْهَا بِشَعَةَ عَشَرَ .

أي: سأدخله جهنم ، وسأغمره فيها من جمهم جهاته .

وسقر من أسماء الذَّار، وإنما سميت جهنم سقر من : سقرته الشمس ، إذا أذابته ولوَّحته ، وأحرقت جلد. يجهه .

وَمَا أَدُرُ سَلْكُ مَا سَقَرُ .

أيُّ شيء أعلمك ما سقر، والمراد: تعظيم هولها وآلامها، وما يصيب الكافرين من ألوان عذابها.

لاَ تُبْقى وَ لاَ تَذُرُ.

لا تترك في الكافرين عظمًا ولا لحمًا ، ولا دمًا ولا شيئًا إلا أهلكته ، فهي تبلع بلمًا ، وتمحو محوًا ، ولا يقف لها شيء ، ولا يبقى وراءها شيء ، ولا يغضل منها شيء ، ثم يعاد أهلها خلقًا جديدًا ، فلا تتركهم بل تعاود إحراقهم بأشد مما كانت .

قال تعالى : كُلُّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدُّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرُهَا لِيُلُوقُواْ ٱلْعَذَابَ ... (النساء: ٥٦).

وتبرز جهنم الأهلها لترهبهم بعذابها ، قال تعالى : وَإُرَّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ . (الشعراء: ١٩) .

لَوَّاحَةً لَّلْبُشَرٍ .

تلفح الجاد لفحة فتدعه أسود من الليل ، وتنزل الآلام بالجلود ، ويبدل الله الجلود ليذوق أهلم. العذاب .

عَلَيْهَا ثِسْعَةً عَشَرَ .

يحرس جهنم زيانية أشداه أقوياء ، عددهم تسعة عشر ملكًا ، أو صفقًا أو صنفًا ، والجمهور على أن المراد بهم النقباء ، فمعنى كونهم عليها : أنهم يقولون أمرها وتعذيب أهلها ، وإليهم رئاسة زيانيتها ، وأما جملتهم قالعبارة تعجز عنها ، كما قال تعالى : وَمَا يُعَلَّمُ جُلُودَ رُبُكًا إِلاَّ هُوَ وَمَا هِيْ إِلَّا دَكُرِي لَلْمُسْرِ . (الددر: ٣١).

وفي الصحيح عن عبد الله بن مسعود أن رسول الله ﷺ قال : «يوتى بجهنم يومنذ لها سيعون ألف زمام ، مع كلّ زمام سيعون ألف ملك يجرّونها» ١٣٠١ .

* * *

خزنة جهنم

﴿ وَمَاجَمَلْنَا أَصَّحَبُ النَّارِ إِلَّا مَلْتَهِكُمُّ وَمَاجَعَلْنَاعِدَ تَهُمْ إِلَّافِشْنَةُ لِلَّذِينَ كَفُرُوا لِيَسْتَيْفِنَ الَّذِينَ أُوثُوا الْكِنَبَ وَلَا اللَّذِينَ اللَّهِنَ اللَّهُ مَن اللَّهُ مَن يَشَاهُ وَيَهْدِي مَن بَشَاةً وَمَا يَعْلَمُ مُوثُور وَنَمَا وَاللَّهُ مِن اللَّهُ مَن اللَّهُ مَن اللَّهُ مَن اللَّهُ مَن اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ مَن اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ وَمَا لَكُونُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ مَا اللَّهُ اللَ

المقردات :

أصحاب الشار ؛ خزنة جهنم .

مــــلائــــكـــة، أي : ليسوا بشرًا مثلكم يُطافُّون .

في تستيد و سبب فننة واختبار وامتحان ، أو ضلال للذين كفرول

لسيستي قبن، ليستبين، أو ليوقن.

أوتوا الكتاب، اليهود والنصاري.

م______من نفاق وبشك .

م المستقرب استغراب المثل ، أو ماذا أراد الله بهذا العدد المستقرب استغراب المثل.

ج ــــ ودريك، خلقه من الملائكة وغيرهم.

كيـــــــلاء حقًّا .

أديــــد، ولَّي وذهب.

أسيب فسيسرا أضاء وانكشف وأشرق

إنها الإحدى الكبر ، إن سقر الإحدى الدواهي العظيمة .

أن يستسقسدم، إلى الخير والإيمان والجنّة.

يستساخسر؛ يتخلف عن الإيمان إلى الكفر.

تمهيده

وردت روايات فى كتب التفسير والحديث تفيد أن أبا جهل بن هشام ، لما سمع قوله تعالى : عُلَهُمُ إلسُّعَهُ عُشَرُ ، قال لقريش : فكلتكم أمهاتكم ، أيخبركم محمد أن خزنة النار تسعة عشر ، وأنتم الدُّهم (الشجعان) ، أفيعجز كل عشرة مذكم أن يبطشوا بواحد منهم ، ثم نخرج من جهنم ؟ فقال له أبو الأشدُ بن كلدة الجمحى – وكان شديد البطش – : أننا أكفيكم سبعة عشر ، واكفونى أنتم الذين ، فنزل قوله تعالى : وَمَا جَعَلْنَا أَصْحُلْبَ آلكارٍ إلاَّ مَلْكِكَةً . أَى : لم نجعلهم رجالاً فيستطيع الكفار مضاليتهم .

التفسير،

٣١ - وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَلْبَ اللّهِ إِلَّا مَلَئِيكَةٌ وَمَا جَعَكَا عِلْمُهُمْ إِلَّا فَقَتَهُ لَلّهِينَ كَفُرُواْ لِيَسْتَقِينَ ٱللّهِينَ أُوقُواْ ٱلْكِحَلْبَ وَيُؤَدَادَ ٱللّهِينَ عَامَتُواْ إِيمَنْنَا وَلَا يُرْتُابَ ٱللّهِينَ أُوقُواْ ٱلْكِحَلْبَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَلِقُولَ ٱللّهِينَ عَامِنُواْ إِللّهُ مِنَ يَمَنَا وَيُهْلِينَ أُوقُواْ ٱلْكِحَلْبِ اللّهِ يَعِلَّمُ جُمُودَ وَلِكَ إِلّا هُوْ وَمَا هِيَ إِلّا وَكُونَى لِلْمُطْرِ. أُرَادَ ٱللّهُ بِهِنْذَا مَثَلاَ كَذَلِكَ يُعِبِلُ ٱللّهُ مَن يَمَنَا وَيُهْلِينَ مَن يَشَاءً وَمَا يَقِلُمُ جُمُودَ وَلِكَ إِلّا هُوْ وَمَا هِيَ إِلّا وَكُونَى لِلْمُطْرِ.

لم نجعل زبانية جهنم أفرائه من البشر حتى يزعم كفار مكة أنهم يستطيعون التغلّب عليهم ، بل هم ملائكة لا حدود لطاقاتهم ، فقد استطاع جبريل وحده أن يقتلم قرى قوم لوط ، وأن يرفعها إلى السعاء ، ثم يهرى بها هيث جعل الله عاليها سافلها ، وأمطر عليهم حجارة من سجيل ، فالملائكة قوة خارقة للمارة , ولا تأخذهم الرحمة أو الرأفة بأمل النَّار .

قال تعالى : عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لا يَعْصُونَ ٱللَّه مَا أَمْرِهُمْ وَيَفْعُلُونَ مَا يُؤْمُرُونَ . (التحديم : ١).

ولأن الملائكة أشد خلق الله بأسًا ، وأقواهم بطشًا ، فلا يقدر أهل النار عليهم ، ولا يستطيعون مغالبتهم.

وَمَا جَعَلْنَا عِلْتَهُمْ إِلَّا فَتَنَّهُ لِّلَّالِينَ كَفَرُواْ ...

أى: امتحانًا للكفار ، واختبارًا لهم ، حيث استبعدوا أن يكون العدد القليل كافيًا لتعذيب أهل جهنم ، وما علموا أن أحوال القيامة لا تقاس بأحوال الدنيا ، وليس للعقل فيها مجال ، ولأنهم قالوا : لم هذا العدد بالذَّات ، ولم يكملوا عشرين ؟ وما علموا أن أفعال الله تعالى لا تعلل ، فقد ذكر الله ذلك العدد لحكمة لا يعلمها إلاً هو سبحانه وتعالى ، كما أفاد بذلك الفخر الرازى في تفسيره الكبير .

لِيسْتَيْقِنَ ٱللِّينَ أُوتُوا ٱلْكِتَلْبَ وَيَرْدَادَ ٱللِّينَ ءَامْتُواْ إِيمَانًا ...

ليتيقن الذين أوتوا الكتاب – وهم اليهود والنصارى – بأنّ محمدًا صادق ، وأن القرآن حقّ ، حيث إن العدد الذي ذكره القرآن الكريم ، هو نفس العدد الذي ذكرته الكتب السماوية التي بين أيديهم .

ويزداد الذين آمنوا إيمانًا بصدق نبيُّهم ، وكتاب ربهم ، حين ينضمَ إيمانهم بذلك إلى إيمانهم بسائر ما أُذزل .

قال الآلوسى: أخرج الترمذى ، وابن مردويه ، عن جابر قال : قال ناس من اليهود لأناس من المسلمين: هل يعلم نبيكم عدد خزنة جهنم ؟ فأخبروا بذلك رسول الله ١٤٣٣ ، فقال : «هكذا وهكذا» في مرة عشرة ، وفي مرة تسعة .

وينلك ترى أن ازدياد النين آمنوا إيمانًا ، حيث يزيدون تصديقًا لنبيّهم ولكتاب ربّهم ، وحيث يجدون ذلك مؤيدًا بما في الكتب السابقة .

وَلَا يَرْتَابَ ٱللَّذِينَ أُوتُوا ٱلْكِتَابَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ...

أى: فعلنا ذلك ليكتسب أهل الكتاب اليقين من نبوته ﷺ، وليزداد المؤمنون إيماناً على إيمانهم، ولتزول كل شبهة قد تطرأ على قلوب الذين أوتوا الكتاب، وعلى قلوب المؤمنين، وهذا الكلام تأكيد لما قبله، من الاستيقان وزيادة الإيمان ، ونفى لما قد يعترى المستيقن من شبهة وشكٌّ ، فإذا جمع لهم إثبات اليقين ونفى الشك ، كان آكد وأبلغ .

وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مِّرَضٌ وَٱلْكَنْفِرُونَ ...

أى: ليقول المنافقون والكافرون بمكة ، المصرُّون على التكذيب.

مَاذَا أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَلَا مَفَلاً ...

ما الذي أراده الله بهذا العدد (١٩) المستغرب استغراب المثل ؟ وأي حكمة قصدها الله من جعل الملائكة تسعة عشر لا عشرين ؟ ومرادهم إنكار الأمر من أصله ، وأنه ليس من عند الله ، وأنه لو كان من عند الله لما جاء بهذا العدد الناقص ، كما يقول الزمخشري .

كَلَّا لِكَ يُعِبِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ...

كذلك يضلُ الله من يشاء من الكافرين ، ويهدى من يشاء من المؤمنين ، ولله الحجة البالغة والحكمة العالية .

ولا يُضلُ إلا من آثر الهوى ، وكره الهدى ، وأثر المياة الدنيا ، فالجحيم هي مأواه ، ولا يهدى إلّا من تأمُّل في دلائل الإيمان ، وآثر الأخرة على الدنيا ، وخاف مقام ربه واستهدى بهدايته .

وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ...

أى: لا يعلم عددهم وكثرتهم وقدرتهم وقرتهم إلا الله تعالى ، ثلا يترهم متوهم أنهم تسعة مشر فقط. وقد ثبت فى حديث الإسراء الذى أخرجه الشيخان ، فى صفة البيت المعمور الذى فى السماء السابعة : «فإذا هو يدخله فى كل يوم سبعرن ألف ملك ، لا يعودون إليه آخر ما عليهم» .

وروى الإمام أحمد ، عن أبى ذر قال : قال رسول الله ﷺ : وإنى أرى ما لا ترون ، وأسمع ما لا تسمعون ، أمَّت السماء رحُثُ لها أن تنشاء ما فيها موضع أربع أصابع إلا عليه ملك ساجد ، لو علمتم ما أعلم لضحكتم قليلاً ، ولبكيتم كثيرًا ، ولخرجتم إلى الصُّعدات تجأرون إلى الله تعالىء ^(م).

أخرجه أحمد ، والترمذي ، وابن ماجة ، وقال الترمذي : حسن غريب .

وأخرج الحافظ الطبراني ، عن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ : «ما في السماوات السبع موضع قدم ولا شبر ولا كف ، إلاّ وفيه ملك قائم أو ملك سلجد أو ملك راكع ، فإذا كان يوم القيامة قالوا جميعًا : سبحاتك ما عبدناك حق عبادتك ، إلا أنّا لم نشرك بك شيئًا». وقد أورد الحافظ ابن كثير في تفسيره – وغيره من المفسرين – طائفة من الأحاديث النبوية الشريفة تبين كثرة جنرد الله تعالى ، وامتلاء السماء بملائكة سلجدين راكمين .

كما قال تعالى : وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّأَقُونَ مِ وَإِنَّا لَتَحْنُ ٱلْمُسَبَّحُونَ . (المسافات: ١٦٦،١٦٥).

وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشْرِ .

ليست سقر التى ذكرنا لكم أن عليها تسعة عشر ملكًا ، إلا تذكرة للبشر ، ليتعظوا ويتجنبوا حرّها ولهبيها ، ويذكروا قدرة الله الواسعة التى لا تحتاج إلى ملك ولا إلى تسعة عشر ، ويعلموا كمال قدرة الله وأنه لا يحتاج إلى أعوان وأنصار .

٣٢ - كَلَّا وَٱلْقَمَرِ .

كُلُّ ، حرف ردع وزجر ، لمن أنذر بسقر ولم يخف ، وأقسم بالقمر .

٣٣ - وَٱلَّيْلِ إِذْ أَدْبَرُ .

وأقسم بالليل إذا ولَّى وذهب.

٣٤ - وَٱلصُّبْحِ إِذَاۤ أَشْفَرَ .

وأقسم بالصبح إذا أضاء وانكشف فيه ضوء النهار ، حيث يتبدد ظلام الليل ، ويبدأ نور النهار بصورة مبهرة تُظهر للعين آثار القدرة .

٣٥ – إِنَّهَا لَإِحْذَى ٱلْكُبُرِ .

إن سقر لإحدى الكبر العظائم ، والخطوب الجسام ، أى أن سقر التى تهكم بها ويخزنتها الكافرون ، لهى إحدى الأمور العظام ، والدواهى الكبار التى قلّ أن يوجد لها نظير أو مثيل فى عظمها ، وفى شدة عناب من يمسطى بنارها .

٣٦ - لَلِيرًا لَّلْبُشَرِ.

لقد ذكرها الله إنفارًا للبشر، وردعًا لهم عن التمادي في الكفر والضلال، فالذُّنُر هذا بمعنى الإنذار. قال الحسن : والله ما أُنذر الشلائق بشرء أبهـ. من معنم.

٣٧ - لِمَن شَآءً مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمْ أَوْ يَتَأَخَّرَ .

لقد ذكرنا ما ذكرنا في هذه السورة ، أو في وصف جهنم ، تحذيرًا للبشر من جهنم وأهوالها ، وهذا التحذير لمن شاء أن يتقدم نحو الإيمان والإسلام والهداية والرضوان ، أو يتأخر إلى الكفر والفسوق والعصيان ، فإنه يمهّد نفسه للنهران .

قَالَ ابن عباس : من شاء اتبع طاعة الله ، ومن شاء تأخَّر عنها بمعصيته .

وقال الحسن : هذا وعيد وتهديد وإن خرج مخرج الخبر. كقوله تعالى : فَمَن شَاءَ فَلَيُلِينَ وَمَن شَاءً فَلَنَكُنُّ ... (الكمه: ٢٩).

في ظلال القرآن الكريم

الله تعالى إذا كلف مَلكًا بشيء وهبه القدرة التي ينفذ بها ما كُلف به، فانشغال الكفار بعدد الملائكة من حُرَّاس جهنم في غير موضعه ، لأن الأمر متعلق بقدرة الله وإرادته ، وهو إذا أراد شيئًا قال له كن فيكين ، والملائكة : لا يُقصُونَ آللهُ مَا أَمْرُهُم وَيَفَعُلُونَ مَا يُرُعُرُونَ . (التحريم : ١) . وإذا كانت الملائكة قد كُلفت بالقيام على سَقر ، فهم مزوَّدون من قبله تعالى بالقوَّة المطلوبة لهذه المهمة ، ولا طاقة للبشر في مغالبة قدرة الله ، وَاللّه غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرُو وَلَنكِنَّ أَكُثُورَ ٱلناس لاَ يَقَلُمُونَ ، (يوسف : ٢٠) .

والقسم بالقمر يلفت النظر إلى التأمل في هذا الكوكب ، وتنقلُه من هلال إلى بدر ثم تناقصه ، ثم التملّي بجلاله وجماله ، كأنه يفسل النفس والقلب .

وقلُ أن يستيقط قلبُ لمشهد الليل عند إدباره ، في تلك الهدأة التي تسبق الشروق ، وعندما هبدأ هذا الوجود كلّه يفتح عينيه ويفيق ، ثم لا ينطبع فيه أثر من هذا المشهد ، وتدبّ في أعماقه خطراتٌ رفّافة شذافة . شذافة .

وقلُ أن يستيقظ تلبُّ لمشهد الصبح عند إسفاره وظهوره ، ثم لا تنبض فيه نابضة من إشراق وتفقع ، وانتقال شعورى من حال إلى حال ، يجعله أشدَّ ما يكون صلاحية لاستقبال النور الذي يشرق في الشمائر ، مع النور الذي يشرق في النواظر .

والله تعالى الذي خلق القلب البشري ، ويعلم ما ينبعث فيه ، من استقبال ما في القمر ، وما في الليل ، وما في الصبح ، من عجائب الدُّمة المبدعة ، والحكمة المدبِّرة ، والتنسيق الإلهي لهذا الكون ، لذلك يلفت القرآن النظر إلى جمال الكون ونظامه ، بتلك الدقة البالغة التي يحيِّر تصورها العقول (١٠٠). وجاء في التفسير المنير للدكتور وهية الزحيلي ما يأتي :

أقسم الله تعالى بالقمر والليل والصبح تشريفًا لها ، وتنبيهًا على ما يظهر بها وفيها من عجائب الله وقدرته ، وقوام الرجود بإيجادها ، والمقسم عليه أنّ سقر (جهنم) إحدى الدواهي ، وأنها نذير للبشر أو ذات إنذار . ا هـ .

* * *

الحوار بين أصحاب اليمين وبين المجرمين

﴿ كُلُ نَسْهِ بِمَاكَسَبَة رَعِينَةً ۞ إِلَّا أَصَبَالَيونِ ۞ فِ جَنَّتِ يَسَاة أُونَ ۞ عَنِ الشَّجِ مِينَ ۞ مَكُنَا مَاسَكَ كُونِ سَعَرَ ۞ مَالَمَة مِينَ ۞ وَكُنَا مَاسَكَ كُونِ سَعَرَ ۞ مَالُونِ ۞ وَكُنَا مَاسَكَ كُونِ سَعَرَ ۞ مَالَكُمُ مِنْ الْمُعَيِّرَ ۞ وَكُنَا مَعْدَ الْمُعْدَ مِنْ الْمُعْدِ مِنْ ۞ حَقَّ النَّعَالُ الْمِينُ ۞ فَمَا النَّعَمُ مُرَسَّمَت الْمُعْرَ وَمُعْمِ مِنْ ۞ كَأَنَهُمُ حُمَّرًا مُّسَتَعِينَ ۞ فَمَا الْمُعْمِ وَالتَلْكِرَةُ مُعْمِ مِنْ ۞ كَأَنَهُمُ حُمَّرًا مُّسَتَعِينَ ۞ فَمَا اللَّهُ مُوا التَّلُونَ وَمُعْمِ مَا مُنْ اللَّهُمُ حَمَّرًا مُسْتَعَدُورًا ۞ فَمَن مَنْ اللَّهُ وَقَلْ مُسْحُمَا مُنْشَرَةً ۞ كَالْمَرُ وَنَا إِلَّا اللَّهُ مُوا اللَّهُ مُوا النَّمُونَ وَكُونَ إِلَّا الْمُنْعِرَةُ ۞ فَمَن شَلَة وَكُونُ وَهُ وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا الْمُنْعِلَى اللَّهُ مُوا النَّمُونَ وَاللَّهُ وَالْمُ اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ مُوا اللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَالْمُ اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَالْمُ اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَالْمُ اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَالْمُ اللَّهُ وَاللَّهُ وَالْمُ اللَّهُ وَالْمُ اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ وَالْمُولِ الْمُعْلِى اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَالْمُ اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ وَالْمُ اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ الْمُعْلِى الْمُؤْمِلُ اللْمُعْمِقُ اللَّهُ الْمُعْلِي الْمُؤْمِلُ اللَّهُ وَلَا الْمُؤْمِلُ اللْمُؤْمِلُ اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ الْمُؤْمِلُ اللْمُعْلِى الْمُؤْمِلُولُ اللْمُعْمِلُ اللَّهُ اللْمُعْلِي اللْمُؤْمُ اللْمُؤْمُ اللْمُؤْمُ اللْمُعْلِي اللْمُعْمِلُ اللْمُعْمُ اللْمُعْمِلُولُ اللْمُؤْمُ اللْمُعْمِي اللْمُعْلِمُ اللْمُعْمِلُ اللْمُعْمِلُ ا

المطردات

يسماكسيت رهيشة ، مرهونة عند الله تعالى بعملها .

يتساءلون عن المجرمين : يسأل بعضهم بعضًا عن الكافرين .

منا سنليك كم فني سنقير ؛ أيُّ شيء أنظكم التار؟

ك نسا المحروش، نشرع في الباطل ولا نبالي به .

مسع السخسائف بيسن ، مع الشارعين من أهل الباطل في باطلهم.

ي و الجزاء .

المربيد مقدماته.

فما تهم عن التذكرة معرضين، فما لأهل مكة عن العظة بالقرآن منصرفين.

حيم رمست نطرة: حمر وحشية ، شديدة النفار.

م من الرُّماة القنُّص .

كالا السه السائكسرة ؛ حقًّا إن القرآن عظة .

أهــــــ الله تعالى حقيق بأن يُثقى عذابه ، أو أن بتقده عداده .

وأهلل السمة مسلمرة : حقيق بأن يغفر لمن آمن به وأطاعه .

تمهيده

كان أهل مكة في نفارٍ وإعراض عن القرآن الكريم ، وهو هداية ونور ، لكنّهم أعرضوا عنه ، وأسرعوا في البعد عنه إسراع الحُمُن الوحشية حين تُحسُّ بالأسد يطاردها ، أو مجموعة من الصيادين المقتنصين ، وقد قال أبو جهل للنبي ﷺ : ان نؤمن لك حتى تأتى كل واحد منا بكتاب من السماء عنوانه : من رب العالمين إلى فلان ابن فلان ، ونُوْمر فيه باتُباعك . وقد استعرضت الآيات جانبًا من مشاهد الآغرة .

التفسيره

٣٨ - كُلُّ نَفْس بِمَا كَسَيَتْ رَهِينَةٌ .

كل إنسان مرتهن بعمله يوم القيامة ، فمن أطاع الله وأدّى واجبه في الدنيا فقد أعتق نفسه من نار جهنم ، ومن عصى الله ولم يلتزم بأرامره ، ولم يجتنب نواهيه ، كان مرتهنّا في جهنم ، ليصطلى بنارها جزاءً وفاقًا لعمله .

وفي الحديث الشريف: «... كل الناس يغدو ، فبائع نفسه فمعتقها أو مويقها».

٣٩ - إِلَّا أَصْحَلْبَ ٱلْيَعِينِ.

وهم المسلمون المخلصون ، أى : لكن أصمحاب اليمين غير مرّتهنين ، فقد فكوا رقابهم بممالح أعمالهم ، وتفضل الله عليهم فضاعف حسناتهم ، وضاعف ثوابهم .

٤٤ ، ٤١ ، ٤٢ - فِي جَنْدَتِ يَعَسَآءَلُونَ ، عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ ، مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ .

يقيم أصمحاب اليمين في جنات عالية ، يتنعمون فيها نعيمًا أبديا سرمديا ، ثم يسأل بعضهم بعضًا عن عصاة أمل النار ، الذين كانوا يجاورونهم في الدنيا ، أو يتطاولون عليهم ، ويسغرون منهم ، فيقل الدوّمن للكفار في جهنم: أيُّ شيء أدخلكم جهنم وجعلكم تسلكون عذابها ، وتصلون لهيبها ، وتذوقون أمالها؟

٣٤ ، ٤٤ - قَالُواْ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ، وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ .

لَجابِ الكفار عن سببِ دخولهم جهنم ، بأنّهم كانوا لا يؤدون الصلاة ، ولم يخضعوا لربّهم ، ولم يعيدو حق عبادته .

وَلَمْ نَكُ تُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ .

وكنا لا نزدًى الزكاة ، ولا تعطف على الفقراء والمساكين ، ولا نتعارن مع الضعفاء والمحتاجين ، أي أنّهم لم يؤدّوا حقّ الله وهو عبادة الله وحده لا شريك له ، ولم يؤدّوا حق الفقراء والمساكين بإخراج الزكاة ، ، مع التصدّق والإحسان والعطف على المساكين والمحتاجين .

ه \$ - وَكُنَّا نَخُو ضُ مَعَ ٱلْخَالِمِينَ .

وكنا نلعب مع اللاعبين ، ونستهزئ بالمؤمنين ، ونقول عن محمد: هو شاعر أو كاهن أو كذاب ، أق لا نبالي بالخوض في الباطل ، ولا نتحرز عن مشاركة المكتّبين بالإسلام والمُتهِمين للقرآن بالزور والبهتان .

٤٦، ٤٧ – وَكُنَّا نُكَلِّبُ بِيَوْمِ ٱللَّذِينِ ﴿ حَتَّىٰ أَتَكَا ٱلْيَقِينُ .

وكنا ننكر البعث والحساب والجزاء ، والقيامة والجنة والنار ، وقد استمرت حياتهم على ارتكاب هذه الكبائر الأربعة ، وهي :

١ - ترك الصلاة رترك عبادة الله .

٢ - ترك الزكاة وترك العطف على المساكين.

٣ - الخوض مع الخائضين في الباطل والزُّور والبهتان.

3 - التكذيب بيوم القيامة .

ومجموع هذه الأربعة يؤدِّي إلى تصور خاطئ عن الكون والحياة ، والدنيا والآخرة .

وتغيد الآيات أنهم استعروا على كفرهم وسوء أعمالهم ، حتى جاءهم الموت . وهذا عند جمهور المفسرين . وقال ابن عطية : اليقين عندي : صحة ما كانوا يكذُّبون به من الرجوع إلى الله تعالى والدار الآخرة .

٨٤ - فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ ٱلشَّلْفِعِينَ .

هناك شفاعة للمؤمنين من العلماء والملائكة والأنبياء والصالحين ، وهم لا يشفعون إلا لمن أذن له الرحمن ورضى له قولاً ، أي أن الشفاعة مِئةً إلهية لمن يستعقها من أمل التوحيد ،أما الكفار فإن لهم جهتم خالدين فيها أبدًا ، وعلى فرض وجود شافعين لهم من الأنبياء والمسالحين والعلماء والمرسلين ، فإن ذلك لن ينفعهم ، ولن ينقذهم من عذاب الثار، فما تنفعهم شفاعة الشافمين.

٤٩ – فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ .

ما الذي حمل كفار مكة على الإعراض والابتعاد عن القرآن ، وعن هدى محمد ﷺ ، والانصراف عن , الإسلام ؟

قال مقاتل :

الإعراض عن القرآن من وجهين:

١ – الجحود والإنكار.

٢ - والوجه الآخر ترك العمل به.

ونلاحظ أن القرآن الكريم يسمَّى تذكرة ، لاشتماله على التذكرة الكبرى والموعظة العظمي .

٥٠ ، ٥١ -- كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَعَفِرَةٌ . فَرَّتِ مِن فَسْوَرَةٍ .

إن القرآن الكريم سبب للهماية واطمئنان النَّفس، والإيمان وسعادة الدارين ، لكن هرلاء الكفار نفروا من تذكير القرآن لهم نفورًا شديدًا ، أشبه بنفور الحُمُّر الوحشية إذا شاهدت أسدًا يحاول اقتناصها ، أو مجموعة منزية على الاقتناص والصيد من الصيادين المهرة ، وهو تشبيه يزرى بهم ، ويجعلهم يخرجون من دائرة الأدميين الذين يتفاهمون أو يتفهمون القرآن والتذكرة إلى دائرة الحُمُر التي تركض وكضًا شديدًا عندما تجدما يدعوها إلى النُّفار والفرار.

وقديب من ذلك قوله تعالى : خَلَلْ ٱلذِينَ حَمَّلُواْ التَّوْرَىكَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمُثَلِّ ٱلْحِمَارِ يَعْمِلُ ٱشْفَارًا بِمُسْ خَلُ الْقُومُ الذِينَ كَذَّهُواْ بِثَالِثَ إِلَّهُ وَٱللَّهُ لاَ يَهْدِي ٱلْقُومُ الْقُلْوَالِينَ . (الجمعة : ه) . والقسورة: إمّا جماعة الرماة الذين يتصيدون الحمر الوحشية ، أو الأسد ، وسمى قسورة لأنه يقهر السباع ويقسرها ويستولى عليها قسرًا.

قال ابن عياس:

الحمر الوحشية إذا عاينت الأسد هريت ، كذلك هؤلاء المشركون إذا رأوا محمدًا ﷺ هريوا منه ، كما يهرب الحمار الوحشي من الأسد .

٢ ٥ - بَلْ يُرِيدُ كُلُّ آمْرِي مَّنْهُمْ أَن يُؤْمَىٰ صُحُفًا مُنَشَّرَةً .

كان الحقد والصعد يحمل كبراء مكة وعظماءها على عدم الإيمان جحودًا وكبرًا ، بل كل واحد من
هزلاء الكبراء كان يطمع أن ينزل عليه وحي السماء ، مكتوبًا في صحفر مفتوحة كما كان يكتب القرآن
الكريم ، والله تمالى أعلم حيث يجعل رسالته ، فهو لا يختار الرُسل لمنزلتهم المادية ، أو عظم موقعهم
المالى ، ولكن لاعتبارات يعلمها الله ، منها الخُلق والطهارة والسمو والأمانة ، ورجاحة العقل والاستعداد
للنهوض بأمر الرسالة ، وقد أشار القرآن إلى هذه المعاني .

قال تعالى : ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ . . . (الأنعام : ١٧٤) .

وقال تعالى : ألله يُصْطَلِي مِنَ ٱلْمَلَكِكَةِ رُسُلاً وَمِنَ ٱلنَّاسِ ... (الحج: ٧٥).

وقال سبحانه : وَقَالُواْ لَوْلَا نُوْلَ مُلْذًا ٱلْقُوْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَةِينَ عَظِيم . (الزهرف : ٣١) .

وقد بلغ من حنق أبى جهل وجماعة من قريش على النبى ﷺ أن قالوا : يا محمد ، اثتنا بكُتُبِ من رب العالمين مكتوب فيها : إنى قد أرسات لكم محمدًا .

ونظيره ما حكاه الفرآن من قولهم : أَوْ يُكُونُ لَكَ يَيْتُ مِّن وُخُرُفٍ أَوْ تَوْقَىٰ فِي ٱلسَّمَاءِ وَلَن نُؤْمِنَ لِوُلِيَك حَتَىٰ تُتُوْلَ عَلَيْنَا كِتَابُ لِشَرْقُهُ قُلْ مُسْجَعَانَ رَبِّي هَل كُنتُ إِلاَّ بَشِرًا لِسُولًا . (الإسواء: ٩٣)

وقال مجاهد :

أرادوا أن ينزل على كل واحد منهم كتاب من السماء ، فيه : من رب العالمون إلى فلان ابن فلان ، إن محمدًا رسول الله فاتهمه .

٣٥ – كُلًّا بَل لَّا يَخَافُونَ ٱلْآخِرَةَ .

كُلًا . حرف ردع وزجر.

أى: لا أفعل ما يطلبون ، فإن الله يعطى للناس العقل والإرادة والاختيار والكسب ، ويرسل للناس الرُّسل ، وينزل الكتب السَّماوية ، ويترك للبشر حرية الاختيار ، فعن أثر الهدى والإيمان فله البجنة ، ومن أثر الدنيا وشهواتها فله النار ، وهزلاء كفَّارُ حكة لا يخافون الأخرة ، ولا يؤمنون باللواب والعقاب ، بل أثروا الدنيا وباعوا الأخرة ، فلذلك يُعرضون عن التذكرة ، ويقترحون على النبي الشها العالمات متعددة تتعلق بمتع الدنيا ومظاهرها .

\$ ٥ ، ٥٥ - كُلَّا إِنَّهُ لَذُكِرَةً ، فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُ .

يرْدعهم القرآن مرة أخرى ، ويخبرهم أن هذا القرآن تذكرة وتنبيه ، حيث يلفت النظر إلى الخلق والكون ، والصباح والمساء ، والزروع الناضرة ، والمطر الهاطل ، والسحاب المسير ، والأرض والسماء ، والجبال والبحار ، والليل والنهار ، ويبين أن هذا الكون البديج المنظّم لابد له من شائق رازق ، مبدع قادر ، فعال لما يريد .

فَمَن شَآءً ذَكَرَهُر.

فمن أراد القرآن قرأه واتعظ به ، وتذكر ما فهه ، واهتدى بهدايته ، وجعل له الله حسنة في الدنيا وحسنة في الأغرة ، ومن شاء أعرض عن هذه التذكرة ، وكذّب بها وكفر ، فاستحق المهانة في سقر .

٣ ٥ – وَمَا يَلْأَكُرُونَ إِلَّا أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقُوىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَعْفِرَةِ.

تُختم سررة المدثر ببيان طلاقة المشيئة الإلهية ، فهو سبحانه خالق الإنسان ، وهو العليم بما توسوس به نفسه ، فمن رأى منه – سبحانه – الاستجابة للحق ، والرغبة في الهدى ، يسر له اليسرى ، ووفقه وأعانه ، ومنحه الهداية والمعونة ، واللطف والخير ، ومن دسًى نفسه ، وآثر الهوى والشهوات ، وأعرض عن هدايات السماء ، سلب الله عنه الهدى والتوفيق ، والاستماع للتذكرة ، والاستفادة بهدى القرآن الكريم .

قال المفسرون :

وما يتعظون به إلا أن يشاء الله لهم الهدى ، فيتذكروا ويتعظوا ، وفيه تسلية للنبي ﷺ ، وترويح عن قلبه الشريف ، مما كان يخامره من أعراضهم وتكنيبهم له .

هُوَ أَهْلُ ٱلنَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ .

الله عز وجل أهلّ لأن يُتقى ، وأن يطاع فلا يُعمّى ، وأن يُذكر فلا يُنسى ، وأن يخاف الإنسانُ مقامَ ربّه ، وينهى النفس عن الهوى ، والله تمالى أهل للمغفرة والرحمة ، امن اتقاه وأطاعه .

روى الإمام أحمد ، والترمذي وحسَّنه ، عن أنس أن رسول الله ﷺ قرأ هذه الآية : هُوَ أَهُلُ ٱلْقُوْيُ وَأَهُلُ الْمُغْوِرَة . ثم قال : وقال ربكم : أنا أهل أن أتقى ، همن اتقانى ظم يجعل معى إلهًا ، شأنا أهل أن أغفر له ٥٠٠

* * 1

تم يحمد الله تفسير سورة (المنثر) مساء الثلاثاء ٩ من المحرم ١٤٢٢ هـ ، الموافق ٣ من أبريل ٢٠٠١م بمدينة المقطم بالقاهرة .

نسأل الله تعالى القبول والتوفيق ، وصل اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، ومن _ تمهم بإحسان إلى يوم الدين .

اللهم لجعلنا جميعًا من أهل التقرى ، ومن أهل المغفرة . اللهم آمين .





أهداف سيورة القيامة

(سورة القيامة مكية ، وآياتها ٥ ٤ آية ، نزلت بعد سورة القارعة)

وهي سورة تتحدث عن القيامة ، وعن النفس اللوامة ، وتحشد على القلب البشرى من الحقائق والمؤثرات ، والصور والمشاهد، ما لا قبل له بمواجهته ولا التقلُّك منه .

ومن تلك الحقائق الكبيرة التى تحشدما السورة في مواجهة القلب البشرى، حقيقة الموت القاسية الرهيبة التى تواجه كل حي ، وتتكرر كل لحظة ، ويواجهها الكبار والصغار ، والأغنياء والفقراء ، والأقوياء والضماف ، ويقف الجميع منها موقفا واحدا ، هو الاستسلام والخضوع لقدرة العلى القدير : إِنِّي رَبُّكَ بُونِيًا. آَفْمَـاَقُ ، (القيامة : ۲۰).

ومن تلك الحقائق التي تعرضها السورة ، حقيقة النشأة الأولى ، وأن من خلق الإنسان من نطنة ، قادر على أن يعيده مرة أخرى : أَيْحَسُبُ ٱلْإِنسَنُنُ أَنْ يُرْكُ صُدُى هَ أَيْمَ يَكُ نُطُفَةً مُّنَ شَيِّرٌ يُمْتُي . (القيامة : ٣٠ ، ٢٧).

ومن المشاهد المؤثرة في السورة ، مشهد القيامة ، وقد وقف الجميع للحساب ، وزاغت الأبصار ، واشتد الهول ، ولقى كل إنسان جزاءه : يُمْتَالُ أَيْنَ يُؤُمُّ ٱلْقِيْسَةِ و فَإِنْكَا بَرِقَى ٱلْبُصِرُ ، (القيامة ، ٢ ، ٧) .

ومن هذه المشاهد ، مشهد المؤمنين المطمئنين إلى ربهم ، المتطلعين إلى وجهه الكريم ، ومشهد الآخرين المقطوعي الصلة بالله : وُجُوهُ يُؤمِّتِها نَّامِورَةٌ مَ إِلَى رُبَّهَا الْطَوْرَةُ وَ وَرُجُوهٌ يَوْمِئِلٍ اَلْسِرَةُ وَ إِلَى رُبَّهَا الْطَوْرَةُ وَ وَرُجُوهٌ يَوْمِئِلٍ الْسِرَةُ وَاللهِ اللهِ : ٢٢ – ٢٤٤.

وهكذا يشعر القلب وهو يواجه هذه السورة ، بأنه محاصر لا يهرب ، مأخوذ بعمله لا يفات ، لا ملجأ له من الله ولا عاصم ، وهكذا تعالج السورة عناد المشركين وإصرارهم ، وتشعر الإنسان بالجد الصارم الجازم في شأن القيامة ، وشأن النفس ، وشأن الحياة المقدرة بحساب دقيق .

وقد لونت السورة وزاوجت بين حقائق الآخرة ، وحقائق الخلق والإبداع ، ومشاهد الموت والحساب ، وتكفل الله بشأن القرآن وحفظه ، وتلك خصيصة من خصائص الأسلوب القرآني ، حيث يخاطب القلب البشرى بشتى الأساليب والمؤثرات والحقائق والمشاهد ، مما يأخذ عليه كل طريق ، ويقوده إلى الإذعان والتسليم .

مع آيات السورة

١ , ٢ – يقسم الله تعالى بيوم القيامة وعظم هوله ، وبالنفس التي تلوم صاحبها على الخير والشر ،
 وتندم على ما فات ، يقسم أن الهحث حق .

٣، ٤ - يرد سبحانه على بعض المشركين الذين لا يؤمنون بالبعث، وقد كانت المشكلة الشعورية عند المشركين هي صعوبة تصورهم لجمع العظام البالية ، الذاهبة في التراب ، المتفرقة في الثري ، وإعادة بعث الإنسان حيا .

والنص يؤكد عملية جمع العظام ، بما هو أرقى من مجرد جمعها ، وهو تسوية البنان ، وتركيبه في موضعه كما كان ، وهي كناية عن إعادة التكوين الإنساني بأدق ما فيه ، حتى يتمثل الإنسان بشرا سويا ، لا ينقصه حتى تسوية أصابعه ، وما حملت من خاصيات مموزة .

٥ , ٦ - لا يجهل ابن آدم أن ربه قادر على أن يجمع عظمه ، ولكنه يريد أن يداوم على فجوره فيما
 ستأنف من الزمان ، ولا يتخلى عنه ، ومن ثم فهو يستبعد وقوع البعث ، ويستبعد مجىء القيامة .

٧ - ٩ - ذكر سبحانه من علامات يوم القيامة أمورا ثلاثة :

(أ) فالبصر يخطف ويتقلب سريعا سريعا ، تقلب البرق وخطفه .

(ب) والقمر يخسف ويُطْمس نوره .

 (ج.) والشمس تقترن بالقمر بعد افتراق ، ويختل نظامها الفلكي الممهود، - حيث ينفرط ذلك النظام الكوني الدقيق.

١٠ - ١٢ - يتساءل الإنسان المرعوب: أين المقر من جهنم؟ وهل من طجأ منها؟

ولا ملجأ ولا وقاية ولا مفر من قهر الله وأخذه ، والرجعة إليه والمستقر عنده ، لا مستقر عند غيره .

قال السدّى: كانوا إذا فزعوا في الدنيا تحصنوا بالجبال ، فقال الله لهم: لا وزر يعصمكم منى .

١٣ – يُحبَرُ الإنسان حين العرض والحساب بجميع أعماله : قديمها وحديثها ، أولها وأخرها ، منفرها وكبيرها .

وفي الحديث : «سبع يجري أجرها للعبد بعد موته وهو في قبره : من علَم علما ، أو لُجري نَهرا ، أو حقر بقرا ، أو غرس ظلا ، أو بني مسجدا ، أو ورزق مصحفا ، أو ترك ولها يستففر له بعد موته». ١١. ١٥ - بل الإنسان على نفسه بصيرة ، بل الإنسان حجة بينة على نفسه ، وفي ذلك اليوم تنطق جوارحه بما فعل ، فسمعه ويصره ويداه ورجلاه وجميع أعضائه تشهد عليه ، ويتضح الحق ، ولو جاء يكل الأعداد .

١٦ - تكفل الله بشأن القرآن ، وحيا وحفظا وجمعا وبيانا ، وليس للرسول ﷺ من أمره إلا حمله
 وتبليفه .

وقد كان الرسول الأمين ﷺ شديد اللهفة والحرص على استيعاب القرآن وحفظه ، مما كان يدعوه إلى متابعة جبريل عليه السلام في التلاوة آية آية ، وكلمة كلمة .

قلما نزلت هذه الآية ، كان رسول الله ﷺ إنا أتاه جبريل أطرق وسكت ، فإذا ذهب قرأه كما أمره الله.

١٧ – ١٩ – إن علينا جمعه في صدرك الشريف، وقراءته على لسانك، فلن تنساه أبدا، بل نمن سنجمعه في صدور المرمنين ، وتحفظ قراءته ، فإذا تلاه عليك الملك فاستمع له ، ثم اقرأه كما أقرأك , ثم إننا بعد حفظه وتلاوته ، ثبيته لك ونلهمك معناه .

۲۰،۲۰ – إنكم يا بنى آدم خلقتم من عجل، وطبعتم عليه، فقعجلون فى كل شىء، ومن ثم تحبون العاجلة، وتذرين الآخرة.

۲۲ ، ۲۳ – فى ذلك اليوم – يوم القيامة – ستكون هناك وجوه حسنة ناعمة ، تنظر إلى جلال الله ، وتتمتم برضوانه ، وهي متعة دونها كل متمة .

إن روح الإنسان لتستمتع أحيانا بلمحة من جمال الإبداع الإلهى في الكون أو النفس ، تراما في الليلة القدام ، أن الصحراء المنسابة ، أو القحراء ، أن الصحراء المنسابة ، أو القحراء ، أن الصحراء المنسابة ، أو الروض البهيج ، أن الطلعة البهية ، أو القلب النبيل ، أو الإيمان الوائق ، أو الصبر الجميل ، إلى آخر مطالع الجمال في مذا اللهجود .. فقعم ها النظمية ، وتفيض بهنا السحادة ، فكيف بها وهي تنظر إلى جمال ذات الله ؟ وتستمتع بهذه السعادة الغامرة التي لا يحيط بها وصف ، ولا يتصور حقيقتها إمراك ؟

۲۶ ، ۲۰ - ورجود الفجار تكون يوم القيامة عابسة كالحة ، مستيقتة أنها ستصاب بداهية عظيمة تقصم ظهرها وتهاكها .

٢٦ – ٣٠ – تعرض الأيات مشهد الاحتضار، حين تبلغ الروح أعالى الصدر، وتشرف النفس على الموت، ويقول أهل المحتضر: من يرقيه للشفاء مما نزل به ؟ والتمسوا له الأطباء فلم يُغْذُوا عنه من فَ فضاء الله شيئا، وأيقن المحتضر أن ما نزل به نذير الفواق من الدنيا والمال والأهل والولد، ويطلت كل

حيلة ، وعجزت كل وسيلة ، والتوت ساقه بساقه ، فلا يقدر على تحريكهما ، وتبين الطريق الواحد الذي يساق إليه كل حي في في نهاية المطاف : إِنِّي رَبُّكُ يُؤْمِئِد الْمُسَاقُ .

إن المشهد ليكاد يتحرك ويغطق ، وكل آية ترسم حركة ، إنه مشهد الموت الذي ينتهي إليه كل حى ، الموت الذي يصدرع الجبابرة ، بنفس السهولة التي يصدرع بها الأقزام ، ويقهر المتسلطين كما يقهر المستضعفين سواء ، الموت الذي لا حيلة للبشر فيه ، وهم مع هذا لا يتدبرون القوة القاهرة التي تجريه .

٣١ – ٣٣ – ورد أن هذه الآيات تغنى شخصا معينا بالذات ، قيل : هو أبو جهل (عمرو بن هشام) ، وكان يجى أدام الله على م وكان يجىء أحيانا إلى رسول الله ﷺ بسمع منه القرآن ، ثم يذهب عنه فلا يؤمن ولا يطيع ، ولا يتأسب ولا يخشى ، ويؤذى رسول الله ﷺ بالقول ، ويصد عن سبيل الله ، ثم يذهب مختالا بما فعل ، فخورا بما ارتكب من الشر ، كأنما فعل شيئا يذكر ، ويَتَكُفَّى أَى: يمط في ظهره ويتماجب تعاجبا تقيلا كريها .

وكم من أبى جهل في تاريخ الدعوة إلى الله ، يسمع ويعرض ، ويتفنن في الصدُّ عن سبيل الله ، والأذى للدعاة .

٣٥ ، ٣٥ – ويل لك مرة بعد أخرى ، وأهلكك الله هلاكا أقرب لك من كل شر وهلاك ، وهر تعبير اصطلاحى يتضمن التهديد والوعيد ، أو معناها : أجمل بك وأحرى . ثُمَّ أُوْلَىٰ لَكَ فَأَرْفَىٰ . أى : يتكرر هذا الدعاء عليك مرة أخرى .

٣٦ – أيحسب الكافر أن يترك مهملا ، لا يُؤمر ولا يُنهى ولا يُبعث ولا يُجازى؟ لقد كانت الحياة في نظر القوم حركة لا علة لها ولا هدف ولا غاية .. أرحام تدفع ، وقبور تبلع ، ويين هاتين لهو ولعب ، وزينة وتفاخر ، فلفتت الآية نظر الإنسان إلى التقدير والتدبير في حياته ، وأنه لابد من الهجث والجزاء ، ليتميز المسالح من الطالح ، والمؤمن من الكافر ، ثم يأتي ما بعدها بالدلائل الواقعية على هذا القول .

٣٧ - ٣٩ - قما هذا الإنسان؟ مم خلق؟ وكيف كان؟

ألم يك نطفة صغيرة من الماء من منى يراق؟ ألم تتحول هذه النطفة إلى علقة ذات وضع خاص فى الرحم ، تعلق بجدرانه لتعيش وتستمد الغذاء ؟ فمن ذا الذي ألهمها هذه الحركة ؟ ومن ذا الذي وجهها هذا الانجاء ؟ ثم من ذا الذي خلقها بعد ذلك جنينا معتدلا منسق الأعضاء ، مؤلفا جسمه من ملايين الملايين من الشالايا الحاليا الحاليا الحية ، وهو في الأصل خلية ولحدة مع ويضة ؟

ومن ذا الذي قاد هذه الخلية ، وهي خلية صغيرة ضعيفة لا عقل لها ولا مدارك ولا تجارب؟ ثم في النهاية .. من ذا الذي جعل من الخلية الواحدة .. الذكر والأنثى ؟

إنه لا مفر من الإحساس باليد اللطيفة المديرة ، التى قادت النطفة المراقة فى طريقها الطويل ، حتى انتهت بها إلى ذلك المصير : فَجَعَلَ مِنْهُ الرَّوْجِيْنِ ٱلدُّكَرُ وَٱلْأَتْقِيّ .

• ٤ - وقى ختمام السورة يجيء هذا الاستفهام القوى الحاسم : أَلْيَسَ ذَٰلِكَ بِقَلْدِرِ عَلَىٓ أَنْ يَعْمِى الْمَوْمَ إِلَّهُ وَعَلَى اللهِ وَاللهِ وَعَلَى اللهِ وَاللهِ وَاللّهِ وَاللهِ وَاللّهِ وَاللّهُ وَالل

قال تعالى : وَهُوَ ٱلَّذِي يَبْدَوُّا ٱلْحَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ, وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ... (الروم : ٢٧) .

وإذا سمم المؤمن هذه الآية الأخيرة من سورة القيامة فليقل: بلي قادر.

لَحْرِج الإمام أحمد ، وأبو داود ، والحاكم وصححه ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : من قرأ منح و منكم : وَالْفِينِ وَالْزِيْقُونِ ، وانتهى إلى آخرها : أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكُم الْحَكِمِينَ ، فليقل : بلى ، وأنا على ذلكم من الشاهدين ، ومن قرأ : لاَ الْفُسِمُ بِيُوْمُ الْفِينَاعُةِ. فانتهى إلى آخرها : أَلَيْسَ ذَالِكَ بِقَدْمٍ عَلَى أَلْنُ يُحْمِي الْمُونَى . فليقل : أما بالله » .

؛ بلى ، ومن قرأ المرسلات فبلغ : فَإِلَى حَدِيثِ بَعْدُهُ يُؤْمِئُونَ . فليقل : آمنا بالله » .

مقصود السورة

بيان هول القيامة وهيبتها ، وبيان إثبات البعث ، وتأثير القيامة في أعيان العالم ، حيث يزوغ البصر ويُخلم القمر ، وتنكبر الشمس ، ويفزع الإنسان ويقول : أين المفر ؟

وفي ذلك اليوم سينال كل إنسان جزاء عمله.

وبينت السورة أداب سماع الوحى ، والوعد باللقاء والرؤية ، وبينت هول الاحتضار ، وقدرة الله على البدء والإعادة ، وبعث الموتى وحسابهم وجزائهم ، في قوله سبحانه : ٱلَّيْسَ ذَالِكَ بِقُلْدِرِ عَلَيّ أَنْ يُحْبِيَ: ٱلمُونَىٰ:

﴿ لَا أَقْيَمُ يَرِّمُ الْقِينَدَةِ ۞ وَلَا أَقْيَمُ إِلنَّقُسِ اللَّوَامَةِ ۞ أَجَسَبُ الْإِنسَنُ اَلَنَ بَعَمَ عِظَامَهُ ۞ بَلَوْنَدِرِينَ عَلَىٰ اللَّهِ عَنَائَهُ ۞ بَلْ يُهِمُ الْإِنسَنُ لِيقَجُّرَااَمَهُ ۞ يَسَتُلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِينَةِ ۞ فَإِلَٰ إِنَّ اللَّهُ وَلَا اللَّهِ اللَّهِ عَلَىٰ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهُ عَلَىٰ اللَّهُ عَلَىٰ اللَّهُ عَلَىٰ اللَّهُ عَلَىٰ اللَّهِ اللَّهُ عَلَىٰ اللَّهُ الْمُنْ اللَّهُ عَلَىٰ اللَّهُ عَلَىٰ اللَّهُ عَلَىٰ اللَّهُ عَلَىٰ اللَّهُ عَلَىٰ اللَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ اللَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ اللَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ اللْعَلَىٰ اللَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ اللَّهُ عَلَىٰ اللَّهُ عَلَىٰ اللَّهُ عَلَىٰ اللَّهُ عَلَىٰ اللَّهُ الْمُؤْمِنِ اللْعَلَىٰ اللَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ اللْعَلَىٰ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ الْمُؤْمِنِ اللْعَلَىٰ الْمُؤْمِنِ اللْعَلَىٰ اللْمُلْعِلَىٰ اللْعَلَىٰ اللَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ الْمُؤْمِنِ اللْمُؤْمِنِ اللْمُلِمُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الْمُؤْمِنِ الْمُؤْمِنِ الْمُؤْمِنِ الْمُؤْمِنِ الْمُؤْمِنِ اللْمُؤْمِنِ الْمُؤْمِنِ الْمُلْمُ اللَّهُ الْمُؤْمِنِ الْمُؤْمِنِ الْمُؤْمِنِ الْمُؤْمُ الْ

المفردات:

لا أقس مزيدة .

بالششس السلوامية ، كثيرة اللوم والندم على ما قات .

أيسحسب الإنسسان، أينان الكافر.

الن نجمع عظامه اأن لن نقدر على إعادة عظامه وجمعها من أماكنها المتفرقة.

نسوى بسنسائه «البنان: الأصابع أن أطرافها ، فنرد عظامها كما كانت على صغرها بقدرتنا ، فكيف بكيارها .

اسي شجر أصامه اليدوم على فجوره مدّة عمره.

السيمسر ادهش وتحيّر فزعا مما رأى من أهوال يوم القيامة .

خسيف السقيمير اذهب ضوءُه.

وجُمع الشمس والقمر ، في الطلوع من المغرب مُظلمَين .

أيين السمية سرّ: المهرب من العذاب أو الهول -

ووزر الاملُجأ ولا مَنْجَى له من الله .

يع ين يَصيرة ؛ حُجة بيئة ، أو عين يَصيرةً .

وثو الشيء معاذيره: ولوجاء بكلٌ عُذر لم ينفعه .

لتفسيره

١ - لَا أَقْسَمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَلَمَةِ .

أقسم بيوم القيامة ، وهو اليوم الذي يقوم الذّاس فيه من قبورهم ، حفاة عراة غرلا ^(١/١) كما وادتهم أمهاتهم ، وهو اليوم الذي تبدّل فيه الأرض غير الأرض والسماوات ، وهو اليوم الذي يشيب فيه الوليد , ويحشّر الذاس في أرض المحشّر ، ويتم القضاء .

٢ -- وَلاَ أَقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللُّوَّامَةِ .

وأقسم بالنفس اللوامة التي تلوم صاحبها على التقصير في الطاعات ، وتلوم صاحبها على فعل السبئات.

قَالَ مجاهد: هي النفس الخيرة التي تلوم صاحبها على الشرّ، لمّ فعله ؟ وعلى الخير، لِمّ لم يستكثر * منه ؟

٣ - أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَانُ أَلَن نَجْمَعَ عِظَامَهُ.

جواب القسم في الآيتين الأولى والثانية محذوف وتقديره: لتبعثنٌ ، وسُرَعْ حذف الجواب دلالة هذه الآية عليه .

سبب النزول :

روى أن عدى بن ربيعة قال لرسول ﷺ : يا محمد، حدثنى عن يوم القيامة ، متى يكون أمره ؟ فأخبره رسول الله ﷺ ، فقال : لو عاينت ذلك اليوم لم أصدقك ، ولم أومن بك ، أن يجمع الله هذه العظام بعد بِلاها؟ فنزلت الآية .

وقد عنى القرآن الكريم بتأكيد أمر البعث والجزاء، وبيان حكمته، وهي أن يكافأ الطائع، وأن يعاقب العامبي، وحقى لا تكون الحياة عبدًا. ____ وقد استبعد الكفار أن تدب الحياة في العظام البائية ، وقد بيّن القرآن أن إعادة الخلق سهل هين على الله ، قال تمالى : كُمّا بَعَدْأَا أَوْلَ خُلِقَ تُعِدُهُ . . . (الأنبياء : ٤٠٠) .

ويُروى أن أميَّة بن خلف جاء بعظم قد رمّ ويلى ومنار ترابا ، فغرك العظم بين يديه ونفخ فيه ، وقال: يا محمد ، أتزعم أن ربك يبعث هذا بعدما رمّ ويلى وصار ترابا ؟ قال: «نعم ، ويبعثك ويدخلك النار».

وَأَنزِل الله تعالى الآيات الأخيرة من سورة (يس) للردّ على منكرى البعث.

قال تعالى : وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَلَسِى خَلْقَهُ, قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَامَ وَهِيَ رَبِيمٌ وَ قُلْ يُحْسِهَا ٱلَّذِي أَنشَأَهَا أَوْلَ مَرُّةٍ وَهُوَ بِكُلُّ خَلْقَ عَلِيمٌ . (يس: ۷۷، ۷۷) .

عُ - بَلَىٰ قَلْدِرِينَ عَلَىٰ أَن تُسَوَّى بَنَانَهُ.

أى: نجمع عظام الإنسان بعد تفرّقها ، وصيرورتها رميما ورفاتا ، حال كوننا قادرين على تأليف جمعها ، وإعادتها إلى التركيب الأوَّل ، وعلى أن نسرَى أصابعه .

أو نسوًّى سلامياته على صغرها ، ونضم بعضها إلى بعض ، كما كانت من غير زيادة أو نقصان .

وهمنً الأصابع بالذات ، لما فيها من دقة التركيب ، وظهور أثار القدرة ، وإبداع الصانع جلَّ جلاله في خلقها، حتى ترُخذ بصماتُ الإنسان عند الحاجة إلى ذلك ، لأنه يكاد يكرن لكل إنسان بصمة خاصة به، وهذا من إعجاز القرآن الكريم حيث لم يكتشف هذا الأمر إلا من وقت قريب .

٥ – بَلْ يُرِيدُ ٱلْإِنسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ.

بل إن الحامل للإنسان على إنكار يوم القيامة شيء آغر، هو استعرار فجوره واستيفاء لذائذه ، وعدم خضوعه لأوامر الوحى ، وهذا هو الذي جعله ينكر البعث والحشر والحساب ، حتى يدوم على فجوره في مستقبل أيامه ، فيقدّم الذنب ، ويؤخر التربة .

قال سعيد بن جبير : يقدم الذنب ويؤخر التوبة ، حتى يأتيه الموت على شر أحواله .

٣ - يُسْتَلُ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيَامَةِ .

يسأل سؤال استبعاد واستنكار: متى يجيء يوم القيامة ؟

قسال تعسالى : وَيُشُولُونَ مَنْيَ هَلْمَا ٱلْوَعْلَةِ إِنْ كُشُمُ صَلَيْقِينَ • قُل لَكُم شِعَادُ يَوْمِ لا تَسْتَلْمُوونَ عَنْهُ سَاعَةٍ وَكَ تَسْتَقْلُمُونَ . (سِها ٢٠،١٧٠) .

قال الآلوسي في تفسيره:

وفيه أن من أنكر البعث يرتكب أشد الفجور لا محالة .

٧ ، ٨ ، ٩ ، ٨ - أَفِلَنَا يَرِقَ ٱلْبَصَرُ ، وَخَسَفَ ٱلْفَكَرُ ، وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْفَكَرُ ، يَقُولُ ٱلإِنسَانُ يَوْمِلٍ أَيْنَ آلْفَقُرُ

إذا فوجئ الإنسان بأهوال القيامة، وقف البصر واندبهر ، وتخشّع وتحارٌ من شدة الأهوال ، ومن عظم ما نشاهده يوم القيامة من أمور ، ومنه قول ذي الرّمة :

وله أن لقبال الحكيم تعرضت لعينية ميُّ سافرًا كاد يبرق

وَ غَسَفَ ٱلْقَمَرُ .

ذهب ضوءُه وانطمس نوره .

وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ .

حيث تطلع الشمس من مغربها ، وكذلك القمر ، ولا ضوء للشمس ولا للقمر في ذلك الحين .

يَقُولُ ٱلْإِنسَانُ يَوْمَعِدِ أَيْنَ ٱلْمَقَرُّ .

عندما يشاهد الإنسان هذه العلامات الكبرى ، التى تزازل الوجدان والقرّاد ، يبحث عن مهرب خربًا من الله تعالى ، أن هومًا من جهتم .

١١ - كَلْالَا وَزُنَ

ردع وزجر لكل كافر، أي لا حماية ولا ملجأ، ولا وقاية ولا مهرب من عذاب الله.

١٢ - إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَعِلْهِ ٱلْمُسْتَقُرُّ .

إلى الله وحده ، لا إلى غيره ، يكون مستقر العباد وحسابهم وجزاؤهم ، وخلودهم في الجنة أو في النار.

١٣ - يُنَبُّوا ٱلْإِنسَانُ يَوْمَئِلِمِ بِمَا قَدْمَ وَأَخْرَ .

يُخبر الإنسان يوم القيامة بجميع أعماله التي قدّمها ، وأثاره التي أقرّها .

وعن مجاهد : بأول عمره وآخره .

١٤ - إِلَ ٱلْإِلسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ يُعِيرَةً.

بل الإنسان حجة واضحة على نفسه، وجوارح الإنسان تشهد عليه، وهو مستبصر بما فعل في دنياه.

قال تعالى : يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَنْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ . (النور : ٢٤).

١٥ ~ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُ, .

أى: الإنسان شهيد على نفسه ، عالم بما فعله ، فهو حجة بينة على أعماله ، ولو اعتذر أو أنكر لما تُبل نه .

وقال ابن عباس وغيره: إن المراد سمعه ويصره ، ويداه ورجلاه وجوارحه ، وكلها تشهد عليه بالحق .

وَلُّو أَلْقَىٰ مَعَاذِرَةُ. . ولو اعتذر يومئذ بباطل لا يقبل منه .

وقال مجاهد : معاذيره حجته .

قال ابن كثير: والصحيح قول مجاهد وأصحابه.

كقوله تعالى : ثُمُّ لَمْ تَكُن لِتَنتَهُمْ إِلَّا أَن قَالُواْ وَآللَّهِ رَاتَنا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ . (الأنعام : ٢٣).

وكقول تعالى : يَوْمَ يَتَعَنُّهُمْ ٱللَّهُ جَمِيهَا لَيَنظِلُونَ لَهُ, كَمَا يَسْظِلُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ ٱللَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ أَلاّ إِلَّهُمْ هُمُ آلْكُنلِيُونَ . (المجادلة: ١٨).

فإذا حاول الإنسان الإنكار شهدت عليه جوارحه ، ويقال له : كُفِّي بِنُفْسِكُ ٱلَّيْوَمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا .

(الإسراء: 31)

أى: لا مجال للإنكار في ذلك اليوم ، لأنه اليوم الحق ، وهناك الحفظة والكرام الكاتبون ، لأنه يوم يحق فيه الحق، ويمحق الباطل .

التفرغ التامُّ لسماع الوحي

﴿ لَا تَحْرَ إِلَّهِ مِلِسَانَكَ لِتَمْ جَلَى بِهِ = ۞ إِنَّ عَلَيْنَا جَمَّهُ مَ وَقُرْهَ اللهُ ﴿ فَإِذَا قَرَأَنَهُ فَالْبَعْ قُرْمَ اللهُ ﴿ لَهُ عَلَيْنَ اللهُ وَلَهُ اللّهُ وَلَّهُ اللّهُ وَلَهُ اللّهُ وَلَهُ اللّهُ وَلَهُ اللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَا لِللّهُ اللّهُ اللّهُ وَلَا لَهُ وَلَهُ اللّهُ وَلَا لللّهُ وَلَا لَا لِللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ وَلَهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ الللللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ

المطردات:

التصجيل به التأخذه على عجل مخافة أن يتفلُّت منك .

إن علينا جمعه ، إن علينا جمعه في مدرك لثلا يتفلُّت منك .

وقررآنده : أي : قراءته ، أي إثباتها في لسائك

ق رأة جبريل عليك .

شاشبع قرآنه : فاستمع قراءته ، وكررها حتى ترسخ في نفسك .

ي السائسة : تفسير ما فيه من الحالل والحرام ، وبيان ما أشكل من معانيه .

المعاجلة ، دار الدنيا .

تسافييسوة ، متهللة بشرًا بما ترى من النعيم .

نساظ سرة ؛ أي تنظر إلى ربها عيانا بلا حجاب .

بـــاســـرة : شديدة العبوس ، كالحة متغيرة مسودة .

تـــــــــــــــــــن، تستيقن.

فالقرية : أي: داهية عظيمة تكسر فقار الظهر .

تمهيد :

أخرج البخارى ، ومسلم ، وآحد ، عن ابن عباس قال : كان رسول الله ﷺ إذا أُنزل الوحى يُحرُك به لسانه ، يريد أن يحفظه ، فأنزل الله : لا تُحَرِّكُ بِدِ لِسَائلَة ﴿ يَعْجَلُ بِهِ ... ﴿ اللَّهِ ... ﴿ اللَّهِ عَالَمُ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهُ اللّ

وتُبِينَ الآيات فضل الله على نبيه ، فقد تكفُّل الله تعالى لنبيه ﷺ بثلاثة أمور :

١ – جمع القرآن في قلبه .

٢ – قراءة القرآن على لسانه .

٣ - توضيح معانيه وإرشاده إلى بيان القرآن وتفسيره.

ثم تفيد الآيات ما يأتي:

الناس تؤثر العاجلة وتهمل الآخرة .

والناس في الآخرة فريقان:

مؤمنون ناظرون إلى ربِّهم ، وهي السعادة الكبرى ، والمنَّة العظمي على المقربين من أهل الجنة .

وكافرون محجوبون عن رؤية الله عز وجل ، وجوههم يعلوها القتام والشحوب والآلام، ونفوسهم تتوقع العظائم والدواهم التي تكسر فقرات الظهر .

اللهم احفظنا، وقنا عداب النار، وأدخلنا الجنة مع الأبرار، بفضلك وكرمك يا عزيز يا غفار.

التفسيره

١٩٠١٧، ١٩٠ - ١٩ - لَا تُحَرِّلا بِع لِسَالَكَ لِشَخْلَ بِهِ وإنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ, وَقُرْءَاللهُ, ه فَإِذَا قَرَّالَتُهُ فَأَنْتُهُ فَوْمَاللهُ. ثُمُّ إِنَّ عَلَيْنَا بِيَاللهُ, .

لا تتعجل بقراءة القرآن خلف جبريل ، حشية أن يضبع منك شيء من القرآن ، بل امست فترة قراءة جبريل ، وتفرّغ تماماً للاستماع والإنصات ، فقد تكثّل الله تعالى يحفظ القرآن في قلبك ، كما تكثّل الله بأن تقرأ القرآن بلسانك مرتّلا ، كما أنزل عليك .

فتمهل والزم السماح ، فإذا قرأه جبريل عليك وانتهى من الوجى ، فأتبع ذلك بقراءتك القرآن ، كما سمعته من جبريل عليه السلام .

وتفيد الآيات ما يأتي :

النهى عن تحريك الرسول ﷺ لسانه بالقرآن أفناء قراءة جبريل ، وقد تكفّل الله تعالى لرسوله 纖 بثلاثة أمور:

١ - حفظ القرآن في قلبه.

٢ -- ضمان صيانة لسان الرسول ﷺ من الزال عند تلاوته للقرآن .

٣ - شرح القرآن وتفسيره للرسول ﷺ.

وبذلك يكون الرسول ﷺ أعلم الناس بالقرآن الكريم: حفظا وثلاوة وتفسيرًا.

ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ.

أى : تكللنا ببيان معانى القرآن لك ، وما فيه من الصلال والحرام والآداب والأحكام ، حتى تكون معانى القرآن واضحة في فؤادك .

قال الزمخشرى:

كأنه كان يعجل في الحفظ والسؤال عن المعنى جميعا ، كما ترى بعض الحرُّاص على العلم .

ونحو الآية قوله تعالى : وَلاَ تَعْجَلْ إِلْلَقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَى ٓ إِلَيْكَ وَحَيُّهُ, وَقُل رُبّ زِذْبِي عِلْمًا .

(118:46)

، ٢ ، ٧ ٧ - كَلَّا بَلْ تُعِبُّونَ ٱلْفَاحِلَّةَ ، وَتَلْمُرُونَ ٱلْآخِرَةَ .

أنتم يا بنى آدم تحبّرن الدنيا ، وما فيها من شهرات ولذائذ ، وتتركون الآخرة وما توجب عليكم من صلاة وصيام ، وزكاة وحجّ ، وأكل الحلال ، والبعد عن الحرام والشبهات ، واتباع المأمورات ، واجتناب المنهيات .

٢٢، ٢٢ - وُجُوهٌ يَوْمَثِلِ نَاضِرَةٌ ، إِلَىٰ رَبُّهَا مَاظِرَةٌ .

وُجُوهً يُوْمَئِلٍ . أي في الآخرة والقيامة . نَّاضِرَةٌ . مستبشرة ناعمة ، فرحة راضية .

قال تعالى : تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ لَعَثْرَةَ ٱلتَّعِيمِ ه يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقِ مُنْخُومٍ ه حِتَشْمُهُر مِسْكُ وَفِي ذَالِكَ فَلَيْسَافُسِ ٱلْمُنْسَافِسُونَ ، (المطلقين ٤٤٠ – ٢٦) .

إِلَىٰ رَبُّهَا نَاظِرَةً .

وهذه الرجوه الناضرة تنال النعيم والقربي ، والسعادة والسرور بنظرهما إلى ربّها ، ويكون ذلك أسعد شيره لأهل الجنة .

قال تعالى : لللَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ... (يونس: ٢٦).

فالحسنى هى الجنة، والزيادة هى تفضّل الله عليهم بالرّضا فلا يسخط عليهم أبدا ، ويرؤية ربّهم سبحانه وتعالى ، رؤيةً منزهة عن الكم والكيف ، والطول والعرض ، فنحن فى الدنيا عيوننا فانية والله باقر، والفائى لايرى الباقى ، فإذا كان يوم القيامة منحنا اللهُ أبصارًا باقية .

وقد طلب موسى رؤية الله فى الدنيا ، فلم يُجب إلى نلك ^{سم}. أمَّا فى الآخرة فإن الثابت عند أمل السنّة والجماعة أن أمل الدرجات العالية فى الجنة يرون ربهم ، رؤية نؤمن يها ونفوَ فس حقيقة المراد منها إلى الله تمالم .

وفي منظرمة الجوهرة ، وهي منظومة فنية في علم التوحيد :

ومنه أن يدرك بالأبصار لكن بالاكيف ولا انحصار

أي: من عقيدة ألمل السنة والجماعة أن السعداء في الجنّة يرون ربهم ، بدون تحديد بصفة أو جهة أو مسافة ، وهذه الرزيّة هي أعلى نعيم ، وأسمى غاية لأهل القضل والدرجات الطّي في الجنة .

وقد ثبتت هذه الرؤية في الأحاديث الصحاح من طرق متواترة عند أئمة الحديث ، لا يمكن دفعها ولا منعها ، وقد أورد الحافظ ابن كثير طائفة من الأحاديث الصحيحة في تأييد رؤية المؤمنين لربهم في الدار الأخرة ، نسرق منها ما يأتي :

في المسجيدين ، عن جرير قال : نظر رسول الله ﷺ إلي القعر ليلة البدر ، فقال : «إنكم ترون ربكم كما ترون هذا القعر ، فإن استطعتم أن لا تغلبوا على مسلاة قبل طلوع الشمس ولا قبل غروبها فافعلوا، (١٩٠٠)

وفي الصحيحين عن أبى موسى قال: قال رسول الله ﷺ: «جنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما، وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما، وجا بين القوم وبين أن ينظروا إلى الله عزَّ وجلُّ إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن» (١٠٠٠).

وفي صحيح مسلم ، عن صعيب ، عن النبي ﷺ قال : وإذا دخل أمل الجنة الجنة — قال — يقول الله تمالى : تريدون شيئًا أن يدكم ؟ فيقولون : ألم تبيض وجوهنا ، ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار ، قال : فيكشف الحجاب ، فما أعطوا شيئًا أحب إليهم من النظر إلى ربهم وهي الزيادة» ، ثم تلا هذه الآية : لَّلُمِينَ ، أَضَمُواْ الْخُصُنْيُ وَزَوْلَكُ أَدْ . (يونس: ٢٦) . ٥٠٩ .

ففي هذه الأحاديث أن المؤمنين ينظرون إلى ربهم عزٌّ وجل في العرصات وفي روضات الجنات.

وروى الإمام أحمد ، عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : دان أدنى أهـل الجـنة منزلة لينظر في ملك ألنى سنة يرى أقصاه كما يرى أدناه ، ينظر إلى أزواجه وخدمه ، وإن أفضلهم منزلة لينظر في وجه الله كل يوم مرتين ٢٠٩٩ .

قال الحسن : وُجُوهُ يُوْمِيُلٍ نَاهِرَةٌ . قال : حسنة . إِلَيْ رَبُّهَا نَاظِرَةً . قال : تنظر إلى الخالق ، وحق لها أن تنضر وهي تنظر إلى الخالق ⁰⁹ .

ع ٢ - وَوُجُوهٌ يَوْمَعِلْمِ يَاسِرَةٌ .

وفريق أخر من الكفار ترى وجوههم يوم القيامة كائحة ، شديدة السُّوَاد ، يعلوها القتام والذلة والعبوس .

ه ٢ -- تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ .

تترقع أن ينزل بها عذاب أبهى وأعظم مما تلقاه في جهنم.

فَاتْرُهُ . أي : داهية تقصم فقار الظهر ، لشِّتها وسوء حالها ووبالها .

وشتان ما بين المرتبتين:

فالمتَّقُون في جنات النعيم ، ورضوان رب العالمين ، ورؤية الله تعالى تكريما لهم .

والكافرون وجوههم كالحة ذليلة ، مسوية يعروها الفتام ، وتتوقع أن تنزل بها ألوان العذاب التي تقصم الظهور.

وقريب من هذا المعنى قوله تعالى : يَوْمَ تَبْيَضُ وُجُوهٌ وَتُسْوَدُّ وُجُوهٌ ... (أل عمران : ٢٠٦).

وقوله سبحانه وتعالى : وُجُوهَ يَوْمَئِلٍ مُسْفِرَةٌ ه صَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ ه وَوُجُوهُ يَوْمَلِدٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ • تَوْهَلُهَا فَقِرَةُ هَ أُوْلَئِلِكُ هُمُ آلْكَفَرُهُ ٱلْفَصِرُةُ . (عيس : ٢٨ - ٤٤).

تفريط الكافر في الدنيا ، وإثبات البعث

﴿ كَلَّ إِذَا لِمَنْ التَّمَا فِي هُوَ فَعَلَمَنَّ وَقِهُ وَطَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ هُوْ الْفَقْتِ السَّاقُ السَّاقِ ﴿ إِلَا رَبِكَ مَرَّمَ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ وَالْمَارَقِ اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ الْمُنْ اللْمُواللَّهُ اللَّهُ الْمُنْ الْمُنْ الْمُنْ الْمُنْ اللَّهُ الْمُنْفِي اللَّهُ اللْمُل

المفردات :

الأجلة .

بالقت التسراقين، وصلت الروح لأعالى الصدر.

مما نزل به .

وظ المحتضر.

السه السفراق أن هذا الذي نزل به هو فراق الدنيا .

والثقت الساق بالساق ، التصقت ساقه بساقه ، والثوت عليها عند رعدة الموت ، وقيل : الساق كناية عن الشدة ، ومنه : قامت الدنيا على ساق ، وقامت الدنيا على ساق ، وقامت الحرب على ساق .

السبمسيداق، سُرْق العباد إلى الجزاء.

يتبختر في مشيته اختيالاً .

أولسي لك فيأولسي وهلاك لك أيها المكتَّب ، أو قاريك ما يُملكك .

مُ دائى: مهملاً ، فلا يكلف بالشرائع ولا يُجازى.

نطقة من منتي يمنى : ماء المني يصب ويراق من الأصلاب في الأرحام.

هسوى ، فعدُّله وكمُّله ونفخ فيه الروح .

السروج سيسن ، النوعين .

تمهيده

تُميف الآيات حالة الاحتضار ونزول الموت بالإنسان ، وتظلت الدنيا من بين بديه ، وإقبال الأخرة عليه .

وقيل : نزلت الآيات في أبي جهل حين مشي إلى أهله مختالاً مفتخرًا ، فقال له النبي ﷺ : «أولى لك. فأولى ، ثم أولى لك فأولى» .

ثم أقامت الآيات الدليل على صحة البعث من وجهين:

١ - أن يثاب الطائم ويعاقب العاصى.

 ٢ - كما قدر سيحانه على الخلق الأول ، وأوجد الإنسان من منى يمنى ، فإنه قادر على الإعادة والبعث .

التفسيره

٢٦ - كُلَّةَ إِذَا بَلَفَتِ ٱلثَّرَاقِيَّ .

كُلًّا . ردع وزجر عن إيثار العاجلة ، أي : ارتدعوا يا معشر المشركين عن ذلك ، وتنبُّهوا لما بين أبديكم من الأهوال والمخاطر ، فالموت يدرك كل حيّ ، ومن مظاهره بلوغ الروح التراقي ، وهي عظام الصدر، ويكني بذلك عن القرب من الموت ، ومنه قول ابن الصمة :

عنها وقد بلغت نقوسهم التراقي

ورب عظيسة دانخت عنها

٢٧ - رُقِيلُ مَنْ رَاقِي .

أى: قال أهل الميت وأقاريه: من راور يرقيه ، رغبة في شفائه ، أو طبيب يداويه ، ويطب ويشفي هنا المريض .

٢٨ - وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلْفِرَاقُ .

أيقن المحتضر بنهاية الحياة ، ويداية الممات .

قال الإمام الرازى: ولعله إنما ستّى اليقين هنا بالظنّ ، لأن الإنسان ما دامت روحه متطقة بيدنه يطمع فى الحياة لشدة حبّه لهنده الحياة العاجلة ، ولا ينقطع رجاؤه عنها ، فلا يحصل له يقين الموت ، بل الغان الغالب مع رجاء الحياة . ٣ ٩ ، ٧ ٩ - وَٱلْتُفُتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ هِ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَتِكِ ٱلْمُسَاقُ .

انتهت الحياة ، والتَّصقت ساق بساق والتوت عليها عند هلع الموت ، فالساق هنا ساق حقيقية .

ويصح أن يراد بالساق الشدَّة ، ومنه : وقفت الحرب على ساق .

وقال ابن عباس : التفت شدة فراق الدنيا بشدّة إقبال الآخرة .

ونحوه قرل عظاء : لجتمع عليه شدة مفارقة المألوف من الوطن والأهل والولد والمنديق ، وشدة القدوم على ربه عز وجل .

إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَعِذِ ٱلْمُسَاقُ .

أي : إلى الله عز وجل مساق العباد ، ورجوعهم من الدنيا إلى الآخرة .

قال تعالى : إِنَّ إِلَىٰ رَبُّكَ ٱلرُّجْعَىٰ . (العلق: ٨) .

وفي الآخرة يجازي كل إنسان بعمله ، ويدخل الأخيار الجنة ، ويساق الفجار إلى الذَّار .

٣٣ ، ٣٣ - فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ * وَلَدْكِن كَدَّبَ وَتُولِّىٰ * ثُمُّ ذَهَبَ إِلَىٰ أَهْلِهِ يَتَمَطَّىٰ .

فلا صدق بالقرآن ، ولا صلَّى للرحمن .

أو: لا صدَّق بالله ووحدانيته ، بل اتخذ الشركاء والأنداد ، وجحد كتبه التي أنزلها على أنبيائه .

وَلَا صَلَّىٰ. أَى: لم يخضع لله راكمًا وساجدًا ، متبتـلا ملتزما بالفرائض والأوامر ، مجتنبا للمحرمات والنواهي.

قال أبو حيان في البحر المحيط :

والجمهور على أن هذه الآيات نزلت في أبى جهل ، وكادت تُصرَّح به في قوله : يَتَعَطَّعُ . فإنها كانت مشيته ، ومشية قومه بنى مخزوم ، وكان يكثر منها .

وَ لَلْكِنْ كُلُّتِ وَيَوَلُّلِ.

كذب بالقرآن ، وأعرض عن النبي محمد ﷺ ، وكان أبو جهل يأتي إلى النبي ﷺ فيسمع القرآن ، ثم يخرع مُعرضًا فلا يؤمن ولا يطيع ، ولا يتأدب ولا يتشى ، ويؤدى رسول الله ﷺ بالقول ، ويصد عنه الناس ويحترهم منه .

ثُمُّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِ يَتَمَطَّىٰٓ.

ثم يذهب أبو جهل إلى قومه مختالا متكبرا ، متباهيًا بما فعل ، فخورًا بما ارتكب من الشرُّ.

والتعبير القرآنى يتهكم به ريسخر منه ، ويصوّر حركة اختياله بأنه : يَتَمَطَّىٰ . يمطّ في ظهره ، ويتعاجب تعاجبا ثقيلا كريها .

وكم من أبى جهل في تاريخ الدعوة إلى الله ، يسمع ويُعرض ، ويتفنن في الصدُ عن سبيل الله , ويفتخر بما مكر وبما أفسد في الأرض .

٣٤ ، ٣٥ - أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ • ثُمُّ أَوْلَىٰ ثَلَكَ فَأَوْلَىٰ .

ويلٌ لك أيها الشقيُّ ، ثم ويلُّ لك .

قال المقسرون:

هذه العبارة في لغة العرب ذهبت مذهب المثل في التخويف والتحدير والتهديد ، وأصلها أنها أفعل تفضيل من : ولهه الشيء ، إذا قاريه وبنا منه ، أي : وليك الشرُّ وأيشك أن يصبيك، فاحذر وانتبه لأمرك . الهـ.

ونلحظ أن القرآن الكريم كان يقود معركة ثقافية ضد هؤلاء المكذبين ، فقد عرض القرآن أربعة أعمال. لأبي جهل ، هي:

فلا صدق ، ولا صلى ، ولكن كنَّب وتولَّى ، ثم ردَّ عليه بوعيد مكون من أربعة هي :

أَوْلَىٰ لَكَ فَأُولَىٰ * ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأُولَىٰ .

وفي الصحيح أن النبي ﷺ حنَّر أبا جهل وتوعَّده ، فاستكبر أبو جهل ، وأبي وأعرض، فقتله الله يوم بدر.

ثم عرض القرآن أدلة عقلية على وجوب البعث ، وسهولة وقوعه على الله تعالى .

٣٦ - أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى .

سُدّى ، مهملا في الدنيا لا يكلُّف بشرع ، مهملاً في القبر لا يُبعث ولا يُحاسب .

أيظن الإنسان أن يتركه الله في الدُنيا مهملاً ، بدون أن يرسل إليه الرسل ، وينزل إليه الكتب ، ويبين له الحلال والحرام ، والتشريع وأخبار الأولين ، ومشاهد القيامة والبعث والحشر ، والصراط والميزان . أو أن يهمله في قبره فلا يبعثه ليكافئ الصالحين ، ويعاقب الظالمين .

قال تعالى : إنَّ ٱلسَّاعَةَ وَاتِيَّةً أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ . (طه : ١٥).

وقال عز شأنه : أَمْ نَجْعَلُ ٱللِّينَ عَاصُواْ وَعَبِلُواْ ٱلصَّلِحَسْتِ كَٱلْمُفْسِينَ فِي ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجَعَلُ ٱلْكُتِّينَ كَٱلْفُجُّارِ . (مَن ٢٨:

إزن لابد من دار للثواب والعقاب ، والبعث والقيامة .

٣٧ - أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَنِيٍّ يُمْنَىٰ .

استدراً القرآن في هذه الآية وما بعدها على طلاقة القدرة التي قادت خلق هذا الإنسان ، وقد كان نطقة من منى يمنى ، يُلاف المنى من صلب الرجل إلى رحم المرأة، فيتمُ تلقيع البويضة ، وتحمل خمسائهم، الأبوين مغصّبة ملقمة .

٣٩ ، ٣٩ - ثُمٌّ كَانَ عَلْقَةً فَخَلَقَ فَسَوِّىٰ ﴿ فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذُّكَرَ وَٱلأَلْفَىٰ .

ثم تحولت النطقة الملقّحة إلى مراحل معينة يمربها الجنين ، في بطن أمّه ترعاها يد القدرة الإلهية ، من نطقة إلى علقة ، (قطعة دم تعلق بجدار الرَّحم ، وتمسك به تماما ليكين قراراً مكينًا لها) ، ثم تتحول إلى مضغة (قطعة لحم قدر ما يمضغه الإنسان) ، ثم تتحول إلى عظام ، ثم يكسى العظام لحما ، ثم يصبح خلقًا أهر متكاملا ، فيه كل وسائل الحياة .

مَنْ الذي خلق مذا النطق منسق الأعضاء ، مرافقًا جسمه من ملايين الملايين من الخلايا الحية ؟ من الذي قاد مذه الرحلة المديدة للجنين ، وهو خليقة صغيرة ضعيفة لا عقل له ولا مدارك ولا تجارب ؟ ثم في النهاية .. من ذا الذي جمل من الخلية الواحدة الذكر والأنثى ؟

إنها اليد اللطيفة المدبرة التي قادت النطفة المراقة في طريقها الطويل، حتى انتهت بها إلى ذلك الممبر.

فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزُّوْجَيْنِ ٱلذُّكَرَ وَٱلْأَنْنَي .

أي: فجعل من هذا الإنسان صنفين ونوعين: ذكرًا وأنثى ، يقدرته تعالى.

هذا هو أصل الإنسان وتركيبه ، تقويه يد القدرة الإلهية ، من منى يمني إلى بنشر متكامل ، هذا الخالق العدبّر اللطيف الخبير الذي أوجد الإنسان في بداية حياته ، أليس قادرا على أن يعيده مرة أخرى ، وأن يحييه بعد مماته ،

وفي هذا المعنى يقولُ الله تعالى في أواثل سورة المؤمنون :

وَ لَقَدْ حَلَقُنَا ٱلْإِسْسَانَ مِن مُسْلَلَهِ مِّن طِينٍ ه ثُمَّ جَعَلْتُكَ لُطُفَةً فِي قَرَارٍ مُّكِينٍ ه ثُمَّ حَلَقُنَا ٱلْمُطْفَةَ عَلَقُهُ فَحَلَقُنَا ٱلْمُفَلَةَ عَلَقُهُ وَمُخَلِّقُنَا الْمُفَلَةُ مُخْلِفًا عَاضَرَ قَتِبَارِكُ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْحَلِيقِينَ ه ثُمَّ إِلَّكُم يَقَدَّ مُعْلَقَةً فَحَلَقُنَا ٱلْمُعْمِقَةً مِطْمُلُ فَكُسُونَا الْبِطْدَمَ لَحَمَّا فَمُ ٱلشَّائِمُ خَلَقًا عَاضَرَ قَتِبَارِكُ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْحَلَيْقِينَ ه وُمُّ إِلَيْكُم يَقَدَ ذَا لِكَ لَمَنْكُونَ هَ ثُمَّ إِلْكُمْ يَوْمَ ٱلْقِينَامَةً لِمُتَعْلِقًا لَمُنْقِدِنَ * ١٤ ص ١٦٠).

٥ = أَلَيْسَ ذَا لِكَ بِقَادِرِ عَلَىٰٓ أَن يُحْبِى ٱلْمَوْتَىٰ .

أليس هذا الإله الخالق المبدع ، المنشئ للإنسان والكون بقادر على أن يعيد الحياة مرة أخرى ، ويحيى المرتى ، ويبعثهم من قبورهم ، بعد جمع ما تقرق من أجزائهم الأصلية ؟

بلى ، إنه قادر .

وكان ﷺ إذا وصل إلى قراءة هذه الآية قال : «سبحانك بلى» وأحيانا يقول : «سبحانك اللهم فبلى». : وفي حديث صححه الحاكم قال ﷺ: «من قرأ : لاَ أَقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيْسُمَةِ . فانتهى إلى : أَنْيُسَ ذَالِكَ بِقُدْبِرِ عَلَىٰ أَنْ يُحْمَى ٱلْمُؤْتِىٰ . فليقلْ : بلى» : أى : بلى قاس .

* * *

تم تفسير سورة (القيامة) بحمد الله تعالى عصر يوم السبت ١٣ من المحرم ١٤٢٧ هـ ، الموافق ٢٠٠١/٤/٧ .



أهبداف سبورة الإنسبان

(سورة الإنسان مكية ، وقيل مدنية ، وآياتها ٣١ آية ، نزلت بعد سورة الرحمن)

وقد اختلف في مكيتها ومدنيتها ، وفي المصحف المتداول أنها مدنية ، ولكن آيات السورة وسياتها وموضوعاتها تحمل الطابع المكي ، وهي أقرب إلى أن تكون مكية .

والمكي من القرآن هو ما نزل بمكة قبل الهجرة ، والمدنى هو ما نزل بالمدينة بعد الهجرة .

وهناك سور متقق على مكيتها ، وسور متفق على مدنيتها ، وسور مختلف فهها ، من العلماء من يري أنها مدنية ، ومنهم من يري أنها مكية ، ومن هذه السور سورة الإنبيان .

وقد غلب على السور المكية الحديث عن الألوهية ، والتحذير من عبادة الأصنام ، والتذكير بالبعث والجزاء ، ولفت الأنظار إلى مشاهد الكون ونواميسه ، وآيات الله في الآفاق ، ودلائل القدرة الإلهية في الطلق والنفس .

وغلب على السور العدنية وصف غزرات الرسول ﷺ ، وحالات المجتمع المعذى ، والحديث عن المنافقين واليهود ، والغناية بتشريع الأحكام ، ونظام المجتمع ودعاتم الحكم السليم .

والقرآن في مجموعه كتاب هداية ، ودعوة إلى القيم ومكارم الأخلاق ، وحث على الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله والبوم الأخر ، ودعوة إلى تهذيب النفس ، وحث على الفضيلة والاستقامة ، وتقوى الله ومراقبته .

وهذه المعانى نجدها في السور المكية والمدنية ، وفي السور المختلف في مكيتها ومدنيتها ، كسورة الإنسان .

ولا نملك نحن إلا أن نقول: سورة الإنسان سورة من القرآن الكريم يختلف الترجيح في مكيتها ومدنيتها ، ونرى أن أسلوبها أقرب إلى أسلوب القرآن المكي ، ويذلك تكون جميع سور جزء (تبارك الذي بيده الملك) مكية .

تسلسل أهكار السورة

سورة الإنسان نداء رخمُّ نديُّ للإنسان أن يتذكر أصله الذي خلق منه ، ويتذكر فضل الله عليه ، حيث خلقه بشرًا سويا ، ويسر له طريق الخير والشر ، ليختار بإرادته وكسبه ، وعقله وطاقاته ومداركه .

ويذلك تذكر السورة أصل الخلق ، والمدارك والطاقات التى منحها الله للإنسان ، وميُره بهذا على جميع المخلوقات ، حيث منحه الإرادة والاختيار ، والسمع والبصر ، ليسمع ويزى ويفكر ويتدبر ، ثم يختار بإرادته وكسبه ، وهذه ميزة خاصة بالإنسان وحده في هذا الكون .

فالملاك مطبع طاعة مطلقة ، والحيوان مزود بالإدراك دون الاختيار ، والكون كله مسخر بمشيئة الله ، وخاضع لنواميسه خضوع القهر والفلدة .

والإنسان زُود بالعقل ليختار الطاعة لله أو المعصية ، وهذا هو أساس الابتلاء والاختبار ، فإن أطاع صار أهلا لرضوان الله وجنته ، وإن عصى صار أهلا لغضيه وناره .

وقد ذكرت السورة عذاب أمل النار في آية واحدة ، وهي الآية الرابعة ، واسترسلت في وصف نعيم أهل الجنة وثوابهم في الآيات من (٥ – ٢٧) ، أي في جزء كبير من للسورة.

ثم يتجه الخطاب إلى الرسول الأمين ﷺ، لتلبيته على الدعوة ، وتوجيهه إلى الصبر ، وانتظار حكم الله في الأمر ، والاتصال بريه ، والاستعداد منه كلما طال الطريق ، وذلك في الأيات من (٢٣ – ٢٧) .

وفي الجزء الأخير من السورة تذكير للكافرين باليوم الثقيل الذي لا يحسبون حسابه ، والذي يخافه الأبرار ويتقونه ، والتلويح لهم بهوان أمرهم على الله الذي خلقهم ، ومنحهم ما هم فيه من القوة ، وهو قادر على الذهاب بهم ، والإتبان بقوم آخرين ، لولا تفضله عليهم بالبقاء لتمضى مشيئته في الابتلاء ، ويلوح في ختام السورة بعاقبة الابتلاء ، وذلك في الآيات من (٢٧ – ٢١) .

مع آيات السورة

١ - قد أتى على هذا النوع - نوع الإنسان - زمن لم يكن موجودا ، حتى يعرف ويذكر .

والحين : طائفة من الزمان غير محدودة ، وعن ابن عباس وابن مسعود : أن الإنسان ههذا آدم ، والحين محدود ، وذلك أنه مكث أربعين سنة طينا ، إلى أن نفخ فيه الروح فصار شيئا مذكورا بعد كونه كالمنسى ٩٠١. ٢ – إنا خلقنا الإنسان من نطفة ، اختلط فيها ماء الرجل بماء المرأة ، مريدين ابتلاءه واختباره بالتكليف فيما بعد ، إذا شبَّ ويلغ الحلم ، فجعلناه سميعا بصيرا ليتمكن من استماع الآيات ، ومشاهدة الدلائل ، والتمثل والتفكر.

ومقصود الآية : نحن نعامل الإنسان معاملة المختبر له ، أيميل إلى أصله الأرضى فيكون حيوانا نباتيا معدنيا شهوانيا، أم يكون إلهيا معتبرا بالسمع والبصس والفكر؟

٣ - بينُن الله المؤسسان الطريق السوى ، بإرسال الرسل ، وإنزال الكتب ، وهو بالخيار ، إما أن يكون شاكرًا لنعجم الخيار ، إما أن يكون كافرا فيعرض ويكفر ، ويختار الفعلال على اللهدى .

إنا هيأنا لمن كفروا بنممتنا سلاسل للأقدام ، وأغلالاً تشدّ بها أيديهم إلى أعناقهم ، كما يُعطى
 بالمجرمين في الدنيا ، ونارا تتسعر يلقى فيها بالمسلسلين المفلولين .

ثم تصف الآيات بعد ذلك نعيم المتقين ، وصفا طويلا لم نجد مثله فى سورة سابقة ، ويستعر هذا الرصف من الآية (٥) إلى الآية (٢٢) ، أى (١٨) آية من مجموع آيات السورة وهى (٢١) آية ، أى أن أكثر من نصف السورة يصف نعيم المتقين وكيّهم وملابسهم وخدمهم ، وما هم فيه من نعمة ورضوان وملك كبير.

ولنسر مع هذه الآيات التي تصف نعيم المتقين:

٥ . ٦ – إن شراب الأبرار في الجنة ممزوج بالكافور ، يشربونه في كأس تُغترف من عين تُعجِّر لهم
 تفجيرا في كثرة روفرة ، وينتفعون بها كما يشاءون ، ويتبعهم ماؤها إلى كل مكان ، يحبون وصولها إليه.

قال مجاهد: يقودونها حيث شاءوا ، وتتبعهم حيث مالوا ٢٠٠٠ .

> كانوا يوفون بالنذر فيفعلون ما اعتزموا من الطاعات وما التزموا من الواجبات ، أي أنهم يؤدون
 ما أرجبه الله عليهم بأصل الشرح ، وما أوجبوه على أنفسهم بالنذر .

وهم يستشعرون الخشية من يوم القيامة ، ذلك يوم شديد عذابه ، عظيم خطره ، كالنار يتطاير شروها فيعم شرُها .

٨ - وكانوا يطعمون الطعام ، ويقدمون المعونة النافعة لكل مسكين عاجز عن الاكتساب ، ولكل يتيم
 مات كاسبه ، ولكل أسير لا يملك لنفسه قوة و لا حيلة .

٩ - رحين يقدمون الطعام والمعونة النافعة لكل مسكين عاجز عن الاكتساب، ولكل يتيم مات كاسبه
 لا يترفعون على عباد الله ولا يشعرون بالاستعلاء والعظمة ، إنما يقدمون المعونة في إخلاص وتجرد لوجه
 الله ، ولا ينتظرون شكرا ولا إعلانا .

قال مجاهد وسعيد بن جبير: أما والله ما قالوه بألسنتهم ، ولكن علم الله به من قلريهم ، فأثنى عليهم به ، ليرغب في ذلك راغب ٢٠٠٦ .

 ١٠ – لقد أخرجوا الصدقة لوجه الله ، ولسان حالهم يقول : إنا نفعل ذلك ليرحمنا ربنا ، ويتلقانا بلطفه في يوم عبوس ، تعبس فيه الوجود ، قمطرير شديد العبوس .

قال السفى : وصف اليوم بصفة أهله من الأشقياء ، نحو : تهارك صنائم ، والقمطرير شديد المهوس ، الذي يجمع ما بين عينيه . (١٠٠)

١١ - فحفظهم الله من شر ذلك اليوم ، وكسا وجوههم نضرة ونضارة ، وتنعما وفرحا وسرورا.

١٢ - وجزاهم بصبرهم على الإيثار والتزامهم بأمر الله جنة يسكنونها ، وحريرا يلبسونه .

ثم تصف الآيات مساكن أهل الجنة ، وشرابهم وأوانيه وسقاته ، وما تفضل به عليهم ريهم ، من فاهر اللباس والحلى ، وأصناف الذهيم فتقول :

۱۳۰ – هم في جلسة مريحة مطمئنة ، الجر حولهم رشاه ناعم ، دافئ في غير حر ، ندى في غير برد ، فلا غير برد ، فلا شمس تلهب النسائم ، ولا زمهرير وهو البرد القارس .

١٤ – ظلال الجنة قريبة من الأبرار ، مظللة عليهم ، وقطوفها وثمارها قريبة دانية في متناول أيديهم ، ينالها القائم والقاعد والمتكئ .

١٥ – ١٩ – يُطاف عليهم بآنية من فضة بيضاء، في صفاء الزجاج ، فيُرى ما في باطنها من ظاموها ، ثم مما لم تعهده الأرض في آنية الفضة ، وهي بأحجام مقدرة تقديرا ، يحقق المتاع والجمال ، ثم هي تمزج بالزنجبيل كما مُزجت مرة بالكافور ، وهي كذلك تملأ من عين جارية تسمى سلسبيلا ، لشدة عنوبتها واستساغتها للشاربين ، وزيادة في المتاع فإن الذين يطوفون بهذه الأوانى والأكواب هم غلمان صباح الوجره ، لا يقمل فيهم الزمن ، ولا تدركهم السن ، فهم مخلدون في سن الصباحة والصبا والوضاءة ، وهم هذا وهناك كاللؤلز المنثور .

٢٠ -- تجمل هذه الآية خطوط هذا الذهبيم ، وتلقى عليه نظرة كاملة فلحصة ، تلخص وقعه في القلب
 والنظر ، فإذا نظرت في الجنة رأيت نعيما عظيما ، وملكا كبيرا لا يحيط به الوصف .

٢٩ – ثم تخصص هذه الآية مظهرا من مظاهر النعيم والملك الكبير، فتقول: إن لباس أهل الجنة السندس، وهو الحرير الرقيق، والإستبرق وهو الحرير السميك المبحان، وقد حكوا أساور من فضة، وتدرج السندس، وهو الحرير الرقية الإسترائية عندارج الكمال، حتى وصل إلى: وَسَقَدُهُمْ رَبُّهُمْ . وأضاف السقى إلى ذاته للتشريف والتخصيص. شَرابًا طُهُورًا . مبالقة في طهارته ونظافته بخلاف خمر الدنيا، فهو عطاء كريم من معط كريم، وهذه تضاف إلى قيمة ذلك النفيم.

٢٧ - ثم ختم وعدهم بالود والتكريم ، فقال : إِنَّ هَلْدًا كَانَ لَكُمْ جَزْآءً وَكَانَ سَعْيُكُم مُّشْكُورًا .

أي: يقال لهؤلاء الأبرار هذا القول ، زيادة فى سرورهم : إن هذا الذى أعطيناكم من الكرامة ، كان ثوابا على أعمالكم المسالحة ، وكان عملكم فى الدنيا مشكورا، حمدكم عليه ربكم ورضيه لكم ، فأثابكم به من الكرامة .

وهذا النطق من الملأ الأعلى يعدل هذه المناعم كلها ، ويمنحها قيمة أخرى فوق قيمتها ، لأنها جزام على ممل ، وثواب لإنسان اشتار الهدى والطريق المستقيم والعمل الصالح ، فاستحق النميم والتكريم .

٢٣ – وبعد أن بين الله سبحانه ما في الجنة من نعهم ، ذكّر نبيه ﷺ بنعمة الرسالة تسلية لفؤاده ، وحدا له على المناسب والثبات ، فقال : إنّا نَحْنُ زُرْقًا عَلَيْكَ ٱلْقَرْوَانَ تَرْبِيلٌ .

إن القرآن من عند الله تعالى ، أنزله منجما مفصلا فى ثلاث وعشرين سنة ، ليكون أسهل لحفظه وتفهمه ودراسته ، ولتكون الأحكام آتية وفق الحوادث التي تَجِدُّ فى الكون ، فتكون تثبيتا لإيمان المؤمنين وزيادة فى تقوى المتقين .

٢٤ – اصبر على أمر الله واثبت على الحق ، ولا تتبع أحدا من الأثمين إذا دعاك إلى الإثم ، ولا من الكافرين إذا دعاك إلى الإثم ، ولا من الكافرين إذا دعاك إلى الكفر ، إن الأمور موهونة بقدر الله ، وهو يمهل الباطل ويملى للشر ، كل أولئك لحكمة يعلمها يجرى بها قدره ، وينفذ بها حكمه : فَأَصَّرُ لُحُكُم رَبُّكُ وَلاَ تُعلَّم مَنْهُمْ وَاللهُ أَوْ كُمُورًا .

ونهيه ﷺ عن طاعة الآثم والكفور – وهو لا يطيع واحدا منهما – إشارة إلى أن الناس محتاجين إلى مواصلة الإرشاد، لما رُكِّب فى طباعهم من الشهوة الداعية إلى لجتراح السيئات، وأن أحدا لو استغنى عن توفيق الله وإرشاده لكان أحق الناس يذلك هو الرسول المعصوم ﷺ.

۲۲،۲۵ – ودُم على ذكره في الصباح والمساء، والخلوة والجلوة، وصلَّ بعض الليل كصلاتي المغرب والعشاء، واسجد له بالليل وسبحه طويلا، لأنه مصدر القوة والعناية، وينبوع العون والهداية،

ومن وجد الله وجد كل شئ ، فالصلة به هى السعادة الكبرى ، والعناية العظمى ، والزاد المقيقى المسالح لهذه الرحلة المضنية في طريق الحياة .

٢٧ – إن هؤلاء المشركين بالله يحبون الدنيا ، وتعجبهم زينتها ، وينهمكون في لذتها الفائية ، ويتركون اليوم الثقيل الذي ينتظرهم هناك بالسلاسل والأغلال والسعير ، بعد الحساب العسير .

والآية تثبيت للنبى ﷺ والمؤمنين في مواجهة المشركين ، إلى جانب أنها تهديد ملفوف، لأصحاب العاجلة بالهوم الثقيل .

۲۸ – يتلو ذلك التهديد التهوين من أمرهم عند الله ، الذي أعطاهم ما هم فيه من قوة ويأس ، وهو قادر على أن قادر على أن الذهاب بهم أن هم لا يعجزون الله يقوتهم ، وهو الذي خلقهم وأعطاهم إياها ، وهو قادر على أن يخلق أمثالهم فه وهم الدي لل أمثالهم فهو فضله ومنته ، وهو قضارُه وحكمته .

٢٩ - إن هذه السورة بما فهها من ترتيب بديع ، ونسق عجيب ، ورعد ووعيد ، وترغيب وترهيب هي تذكرة وتبصرة لكل ذي عقل ويصيرة ، فمن شاء الخير والنجاة لنفسه في الدنيا والآخرة فليتقرب إلى ريه بالطاعة ، وليصدق بالقرآن والرسول الكريم ﷺ فنلك هو الطريق إلى الله .

 ٣٠ - ريعقب على ذلك بإطلاق المشيئة ، ورد كل شئ إليها ليكون الاتجاه الأخير إليها ، والاستسلام الأخير لحكميا : وَمَا يُعْلَمُونَ أَإِلَّا أَنْ يُشَاءَ اللهُ ...

أى : وما تشاءون اتخاذ السبيل الموصلة إلى النجاة ، ولا تقدرون على تحصيلها ، إلا إذا وفقكم الله لاكتسابها ، وأعدكم لنيلها . ذلك كى تعلم قلوب البشر أن الله هو الفاعل المختار ، المتصرف القهار .

إِنَّ ٱللَّهُ كَانَ غَلِيهًا. بما يصلح العباد . حَكِمًا ، وضع كل إنسان في موضعه من الهداية والضلال ، فهو يعين المنقين على القيام بولجبهم ، ويسلب عونه عن المشركين ، فيتيهون في بيداء الضلال .

٣٩ - يُدْخِلُ مَن يَشَاءَ في رَحْمَتِهِ ... فيهديه ويوفقه للطاعة بحسب استعداده . وَٱلطَّلْهِمِنَ أَعَدُ لَهُمْ عَلَابًا . وقد أملي لهم وأمهلهم ، لينتهوإ إلى هذا العذاب الأليم .

وهذا الختام يلتتم مع المطلع ، ويصور نهاية الابتلاء الذي خلق الله له الإنسان من نطقة أمشاج . ووهبه السمع والإبصار، وهداه السبيل إما إلى جنة وإما إلى نار.

مجمل ما تضمئته السورة

اشتملت سورة الإنسان على خمسة مقاصد:

١ - خلق الإنسان .

٢ - جزاء الشاكرين والجاحدين.

٣ - وصف النار وصفا قصيرا في آية واحدة ، ووصف الجنة وصفا مسهبا في قرابة (١٨) آية.

٤ - ذكر المئة على رسول الله ﷺ، وأمره بالصبر وقيام الليل.

٥ - المئة على الخلق بإحكام خلقهم ، وإضافة كلية المشيئة إلى الله تعالى .

أسماء السورة :

نهذه السورة ثلاثة أسماء:

١ - سورة: هَلْ أَتَىٰ . لمفتتحها .

٢ - سورة الإنسان لقوله تعالى: هَلُّ أَتَّى عُلَى ٱلْإِنسَان .

٣ - سورة الدهر لقوله تعالى : حِينٌ مِّنَ ٱلدُّهْرِ ..

خلق الإنسان

_أللّه التّحِز الرّجيء

﴿ هَلْ أَقَدَ هَلَ ٱلإِنسُنِ مِينٌ مِن الدَّهُ رِلَمْ يَكُن شَيْعًا مَّلَكُورًا ۞ إِذَا خَلَقَنَا ٱلإِنسَنَ مِن نُطُفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ٥ إِنَّا هَدَيْنَهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كُفُورًا ١٠٠٠

المقردات: "

هـــل أتـــي، قد أتي، .

الإنسان، أدم عليه السلام.

حبيبة ، وقت وزمان ، وقيل : طائفة محدودة من الزمان ، شاملة الكثير والقليل .

السطاه مسر ؛ الزمان الممتد غير المحدود ، ويقع على مدة العالم جميعها ، وعلى كل زمان طويل غير

مسن تسطيفية ، من ماء يقطر وهو المنيّ . وكل ماء قليل في وعاء فهو تطفة .

أمشاج ؛ أخلاط ، جمع مسَّج (بفتحتين) ، كسبب وأسباب ، يقال : مشجت الشيء ، إذا خلطته ، أي : من اختلاط ماء الرجل وماء المرأة وامتزاجهما.

نسيت السيمة ، نختبره بالتكليف ، أي : مريدين المتباره عند التكليف والتأهُّل .

في حمل ناه ، بسبب ذلك .

سميما بصيرا، ليتمكن من مشاهدة الدلائل واستماع الآيات.

هديناه السبيل: بينًا له طريق الهداية وطريق الضلال: بإرسال الرسل: وإنزال الكتب، ومنحه العقل والفكر والإرادة والاختيار.

تمهید :

-- تغيد التوراة أن الله تعالى ألقى الكرة الملتهبة , فانغصلت منها السماء والأرض , ويذيد القرآن الكريم أن الكون ظلَّ مَدَّة طويلة من الزمان غير صالح لحياة الإنسان عليه ، حيث كانت السماء مسبًام لا تمطر , والأرض صمّاء لا تنبت ، وذلك يسبب شدة الحرارة في كل منهما ، ثم هدأت الحرارة في الأرض والسماء ، وفقق الله السماء بالمطر ، وفقق الأرض بالنبات ، وتكوّن الهواء والفضاء ، والغشاء الحاجز الهاقي للأرض ، من مجموعات الشهب والنهازك .

وقد عقد مؤتمر علمي في الولايات المتحدة الأمريكية في أبريار ١٩٩٣ م تقريباً ، للبحث في عمر الكون، وانتهى المؤتمر إلى أن عمر الكون ١٣ بليون سنة ، منها ٦ بلايين سنة كان الكون ملتهبا لا يصلح لحياة الإنسان عليه ، وعمر الإنسان على ظهر الأرض قراية ٧ بلايين سنة .

وقد أقاد القرآن الكريم أن الله خلق الكرن في سنة أيام ، منها يومان لخلق الأرض ، ويومان لخلق البحار والأنهار والنبات والجبال ووسائل إعمار الأرض ، ومنها يومان لخلق السماء وما فيها من نجرم وأبراج وأفلاك ، وقد استجابت السماء والأرض لأمر الله وأظهرتا الخضوع والانحناء والانقياد لأمر الله ،

قال تعالى : أَوَلَمُ يَرَ ٱللَّهِنَ كَفُرُواْ أَنَّ ٱلسَّمَـُوْتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَنَا رَثَقًا لَفَتَقَنَـُهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَاءِ كُلُّ شَيْءٍ حَلَّى أَلَا يُؤْمِئُونَ . (الأسهاء : ٧٠) .

وقال تعالى ؛ قُل أَفِتُكُمْ فَتَكُمُّرُونَ بِاللَّهِي خَلَق الْأَوْسَعُ هِي يَوْمَيْنِ وَتَعْقَلُونَ لَمُّهِ أَلْمَالَهِينَ ﴿ وَجَعَلَ فِهِا وَوْاسِيَ مِن هُوْفِهَا وَبَعْرُكُ فِيهِا وَقَلَدُ فِيهَا أَقُولَتُها فِي أَرْبَعَهُ إِلَيْم سَرَاءً لَلسَّالِيلِنَ ﴿ فُمُ السَّتَوَى إِلَى السَّنَاءِ وَهِي وَجَعَلَ فَهَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ الْفِيا عَوْمًا وَكُونًا فَلِقا أَلْبَنَا عَالِيمِنَ ﴿ فَقَصْدُهُنَّ سَنَعَ سَمَدًا سِنِهِي يَوْمَيْنِ وَأَوْسَى فِي كُلُّ سَنَامٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَا السَّمَاءُ اللَّذَانِ بِمُصَلِّمِحَ وَجِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيمُ ٱلْفَونِيرَ الْقَلِيمِ . (مصلت: ١ - ١٧) .

التفسير،

١ - هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ ٱللَّهْ لِلْمُ يَكُن شَيْقًا مَّلْكُورًا .

قد أنى على الإنسان زمن طويل ، لم يكن موجودًا في هذا الكون ، فقد كان في عالم العدم ، ثم خلق الله أدم بعد خلق الكون بستة بلايين سنة ، وكأن الحق سبحانه وتعالى خلق الكون في ستة أيام ، وقضى بأن يترك الكون هذه المدة في الخلق واللوجود ، حتى يكون بعد هذه المدّة صالحا لوجود الإنسان عليه ، حيث كانت للسماءُ رتقاء لا تعمل ، والأرضُ بالتالي لا تنبت ، وعندما وُجِد الإنسان على ظهر الأرض ، وُجِد الماء ، وجعله الله سبب الحياة ، والنبات والزرق ، واستعرار الأحياء على ظهر الأرض .

قال تعالى : أَوَلَمْ يَرَ ٱللَّيْنِ كَفُرُواْ أَنَّ ٱلسَّمَـُوْتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَنَا رَقَّا لَفَتَقَدُهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَاءِ كُلُّ هَيْءٍ حَيُّ أَلَّلَا يُلْمُنُو لَنَّ (الانبياء : ٣٠) .

أى أن الله تعالى هيّا للإنسان البيت الذي سيسكنه وهو الكون ، فجعل السماء المسَّاء تَتَفَقَى بالمطر ، وجعل الأرض الصماء تتفقق بالنبات ، وجعل الماء أساس الحياة بقدرة الله .

ثم إن الذي أوجد الإنسان من العدم قادر على إعادته بعد الموت للبعث والحشر والحساب والجزاء.

قال تعالى : وَهُوَ ٱلَّذِي يَبْدُواْ ٱلْحَلْقَ ثُمَّ يُصِدُهُ . . . (الروم : ٢٧) .

قال ابن كثير : يخبر تعالى عن الإنسان أنَّه أوجده بعد أن لم يكن شيئا يُذكر لحقارته وضعفه . أهـ . وقال المفسوون : هَارُ أَلَّرُ . معنى قد أقد ..

والغرض من الآية :

تذكير الإنسان بأصل نشأته ، فقد كان شهنًا منسبًا ، لا يفعلن له ، وكان فى العدم نرة فى صلب أبيه ، وماءً مهينا ، لا يعلم به إلا الذى يريد أن يخلقه ، ومرّ عليه حينٌ من الدهر كانت الكرة الأرضية خالية منه ، ثم خلقه الله وأبدح تكوينه وإنشاءه ، بعد أن كان مفمورًا ومنسيا لا يعلم به أحد .

٢ - إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَانَ مِن تُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ لِيُقَلِيهِ فَجَعَلْتِنْهُ سَمِيعًا بَصِيرًا.

لقد خلقنا الإنسان من ماء مهين هو المنيّ الذي ينطف من صلب الرجل ، ويشتلط بماء المرأة فيتم تلقيح البويضة ، ويتكون منهما هذا المخلوق العجيب وهو الإنسان .

أُمثّناجٍ. أى: أخلاط، وهو ماء الرجل وماء المرأة إذا اجتمعا واختلطا، أو يشير إلى اختلاط الصفات الوراثية فى الرجل بالصفات الوراثية فى المرأة، ومع الصفات المتعددة لكل منهما يخلق الله بشرا سويا يحمل خصائص وراثية، لها خريطة بديعة، صنع الله الذى أتقن كل شئ.

وقال ابن عباس : أَمْشَاجِ . أي : أطوار مختلفة ، فإن النطقة تصدير علقة ثم مضغة ، وهكذا إلى تمام الخلق ونفخ الروح . نُتَلِهِ . نجعله صالحا للاختبار والابتلاء والتكليف فيما بعد .

فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا يَصِيرًا.

أعطيناه السمع ليسمع أدلة الحق والهدى ، والبصر ليُحيِّز النور من الظلام ، والنافع من الضارُ , والإيمان من الكفر.

ويُطلقُ السمع والبضر ويراد بهما أدلة التعقُّل والتمييز والاختيار.

وقد يراد بهما الحاسَّتان المعروفتان ، وخصهما بالذكر لأنهما أعظم الحواسُ وأشرفها .

٣ - إِنَّا هَدَيْنَاهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كُفُورًا .

بينًا له الطريق، ووُخُسمنا له الفكرة ، من خلق الإنسان عاقلاً سميعا بصيرا ، متمتعا بالعقل والإراده والاغتيار، والفهم والتبصّر، حتى يختار بنفسه طريق الهدى والإيمان والشكر لله تعالى ، أو يختار طريق الكفر والطفيان وإيثار الهوى على الهدى ، والكفر على الإيمان .

وكأنَّ الآية تداءُ جهير لهذا الإنسان ، ترّكد أن اللَّه أوضع لك سبل المعرفة ، وأعطاك العقل والإرادة ` والسعع والبصر ، وأدوات الفكن والتيصّر .

قال تعالى: وَهَنَيْتَلَهُ آلَجُهُدُيْنِ. (البلد: ١٠) . أي : بِينًا له طريق الخير وطريق النشر ، وهو الذي يؤثر أحدهما على الأخر.

قال تعالى : فَأَمَّا مَن طَغَىٰ . وَوَاتَرَ ٱلْحَيْوَةُ ٱللَّنَٰ ، فَإِنْ ٱلْجَنِّحِيمَ هِيَ ٱلْمَأْزَىٰ . وَأَمَّا مَنْ حَافَ مَقَامَ رَبُّهِ وَلَهَى ٱلقُسَ عَن ٱلْهَزَىٰ ، فَإِنْ ٱلْجَنَّةُ هِيَ ٱلْمَازُىٰ . (النازعات : ٣٧ - ١٤) .

جزاء الكفار والأبرار يوم القيامة

﴿ إِنَّا آَعْتَدُنَا لِلْكَفِرِينَ سَلَسِلاً وَأَغْلَالُا وَسَعِيرًا ۞ إِنَّ ٱلْأَثْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسِكَانَ مِزَاجُهَاكَانُ شَرِّهُ مُسْتَظِيرًا ۞ عَيْنَايْشَرَبُ بِهَا عِبَادُ اللّهِ يَفْجِرُونَهَا تَفْجِيرًا ۞ يُوفُنَ بِالْنَّذِينَةَافُونَ يُومَاكَانَ شَرُّهُ مُسْتَظِيرًا ۞ وَظَعِمُونَ الطَّمَامَ عَلَ حُيِّمِ مِسْتَكِمانَ وَيَسِمَا وَأَسِيرًا ۞ إِنَّا نَظْمِمُكُولُونِهِ اللّهِ لَاثُولِهُ مِنْ مُعْرَفَوُلُا ۞ إِنَّا غَالَمُ مِنَ اللّهِ مُنْ اللّهُ مَنْرَ فَوَقَهُمُ اللّهُ شَرَدَالِكَ ٱلْمُؤْمِ وَلَقَنْهُمْ مَفْرَةُ وَمُرُولًا ۞ وَجَرَعُهُم بِمَاصَةُ وَاجْدَا ۞ ﴾

المقردات ؛

سللاسل ، قيودًا بها يقادون ، وبها في النار يسحبون .

أضمسلالاً ، جمع غلّ ، تجمع بها أيديهم إلى أعناقهم ويقيدون .

كــــاس ، خمر ، أو رُجاجة فيها خمر .

مسزاجهها، ما تُمزج الكأس به وتُحفظ.

كسافسورا ، ماء الكافور في حسن أوصافه .

عين ، أو خمر عين .

يشسرب بسها ، يشرب منها أن يرتوى بها .

يشجرونها ، يُجرُونها حيث شاءُوا من منازلهم ،

يوفون بالنشر ؛ إذا نذروا طاعة فعلوها .

مستبطيئ وفاشيا منتشرًا غاية الانتشار.

يوما عيوشا ، تكلح فيه الرجوء لهوله .

قبم طريس: شديدًا صعبًا ، كأنه التفُّ شُرَّه بعضه ببعض .

تمهيد،

تحدثت السورة عن جزاء الكافرين وعذابهم في الثَّار بالسلاسل والأغلال والقيود والنار المستعرة ، وذلك في آية واحدة . ثم تحدثت في (١٧) آية عن ألوان نعيم المتقين في الجنة ، لثبين أن رحمة الله واسعة ، وأن رحمته سبقت غضبه ، فقد تكلّم عن عذاب الكفار في آية واحدة ، وأعقب ذلك بالحديث عن المتقين ونعيمهم في الجنة في (١٧) آية . وهذا أطول حديث عن المتقين ونعيمهم في الجنة ، لايزيد عليه إلا الحديث عن السابقين وأصحاب اليمين في سورة الواقعة .

التطسير ،

إِنَّا أَغْتَدْنَا لِلْكَنْفِرِينَ سَلْسِلاً وَأَغْلَلْا وَسَعِيرًا.

إذا أعددنا للكافرين بالله سلاسل يقادون بها في جهنم ، كلُّ سلسلة ذرعها سبعون ذراعًا ، وأغلالاً وقيرياً تقيَّد بها أيديهم إلى أعناقهم ، لمزيد من الهوان والإذلال .

قال الحسن: تُجعل الأغلال في أعناق أهل النار، لا لأنهم أعجزوا الله، ولكن إذلالاً لهم.

كما أعد لهم نازًا تتأجِّج ، وهي النار الموقدة المسعَّرة التي يحرقون بها ويذوقون ما فيها من عذاب وهوان

ونظير الآية قوله تعالى : إِذِ ٱلْأَغْلَالُ فِي أَغْنَقِهِمْ وَٱلسَّلَاسِلُ يُسْخَرُونَ ، فِي ٱلْحَرِيمِ ثُمُ فِي ٱلنارِ يُسْجَرُونَ . (غاند، ٧٢٠١)

٥ ، ٣ - إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسِ كَانَ مِزَاجُهَا كَالُورًا ، عَيْنَا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادْ ٱللَّهِ يُفَجُّرُونَهَا تَفْجِيرًا .

يبدأ الحديث عن النعيم الذي يلقاه الأبرار في الجنة:

إنهم يشربون خمرًا حلالاً طيبة ، مزاجها الكافور ، وخمر الجنة كلها لذة ومتعة ، ومع ذلك تدزج بكافور بارد أبيض طيب الرائحة ، ليكمل ربح الخمر وطعمها ويطيب ، ويمزج بماء عين يشرب منها عباد الله الممالحون ، يجرونها إلى حيث يريدون من منازلهم وقصورهم ، وينتفعون بها كما يشاءون ، ويشقّونها شقًا كما يشق النهر ويتفجر الينبوع ، فهم يشيرون إلى الماء فيسير حيث أرادوا ، ويجرى حيث شاءوا من جالسهم ومحالهم .

يُفَجُّرُونَهَا تَفْجِيرًا .

والتفجير: الإنباع ، فهى تنبع من المكان الذي يرغبون أن تنبع منه ، وتسير حسب رغباتهم ، زيادة في إكرامهم وإسعادهم .

، ابن کثیر :

يُفَجِّرُ ونَهَا تَفْجِيرًا .

أى: يتصرفون فيها حيث شاءوا ، وأين شاءوا من قصورهم ودورهم ومجالسهم ومحالّهم .

وقال مجاهد:

يُفَجِّرُ ونَهَا تَفْجِيرًا . يقودونها حيث شاءوا ، ويمسَّفونها حيث شاءوا .

٧ - يُوفُونَ بِٱلنَّذُرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ, مُسْتَطِيرًا .

إذا نذروا نذرًا للهُ من صلاة أن صيام ، أن صدقة أن حج أن غيرها ، وفوًّا بالنذر ، ومن وفَّى بما أرجبه على نفسه ، كان بما أوجبه الله عليه أشد وفاء .

أى: إنهم يؤدُّون الواجبات التى فرضها الله عليهم ، ويؤدون الواجبات التى فرضوها على أنفسهم ، مخافة يوم القيامة الذى تتشقق فيه السماء ، وتثنائر الكواكب ، وتُنسفُ الجبال ، وتغيَّر البحار ، ويشيب الولدان ، وتضم كل ذات حمل حملها ، وفيه غير ذلك من الأهوال ، ممتدة منتشرة فاشية .

قَالَ قَتَادة : استطار والله شر ذلك اليوم ، حتى بلغ السماوات والأرض .

٨ - وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبُّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا .

ويُطعمون الطعام للمحتاجين إليه ، ويقدمون الطعام للجياع والفقراء والمحتاجين والأسارى .

قال المفسرون : والمراد من إطعام الطحام : الإحسان إلى المحتاجين ومواساتهم بأيّ وجه كان ، وإنما خُصُّ الطعام لكونه أشرف أنواع الإحسان ، فلا جرم أنّ عُبِّر به عن جميع وجره المنافع .

والمسكين: هو العابيز عن الاكتساب، والهتيم: هو الذي مات أبوه وهو صغير، فعُرم الناصر والكفيل، والأسير: هو من أسر في الحرب من المشركين.

وقد كان الغبي ﷺ يرصى المسلمين بإكرام الأسرى ، فكان المسلمون يكرمونهم ويؤثرونهم على أنفسهم ، وكلمة (الأسير) تشمل من كان من المسلمين ومنّ كان من غير المسلمين .

فمن صنيع هؤلاء الأبران الإحسان إلى الفقراء والمحتاجين واليتامى ، وإكرام الأسرى ، وسائر الفتات المحتاجة للعطف والصدقة ، حِسُبةً لوجه الله تعالى ، لا يفعلون ذلك تظاهرًا أو رياءً ، أو رغبةً فى الثناء والحمد . ٩ - إِنَّمَا تُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا تُرِيدُ مِنكُمْ جَزَّاءً وَلَا شَكُورًا .

إنما نحسن إليكم ابتغاء مرضاة الله وثوابه ، والدار الآخرة ، لا نطلب منكم على الإحسان شكرا ولا محمدة ولا ثناء ، ولا أن تشكرونا لدى الناس .

قال مجاهد وسعيد بن جبير: أما والله ما قالره بالسنتهم، ولكن علم الله به من قلوبهم، فأثنى عليهم به، ليرغب في ذلك راغب.

. ١ - إِنَّا نَخَافُ مِن رُّبَّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطُرِيرًا .

إنما نفعل ذلك الإطعام لوجه الله ولأننا نشأف الأخرة والحساب والجزاء ، ونخشى موقف الفلائق في يوم يشتد عبوس أهله ، فسمى اليوم عبوساً لشدة عبوس أهله ، وكلوح وجه من فيه ، وتقطيب وجوههم وجباههم .

قال الطبرى: يقال: يوم قمطرير، أي: شديد عصيب.

فهم يشافون مول يوم القيامة ، وشدة قسوته وصعوبته وطوله .

١١ – فَوَقَالُهُمُ آللَّهُ شَرَّ ذَالِكَ ٱلَّيَوْمِ وَلَقَنَّلُهُمْ نَصْرَةً وَسُرُورًا .

حماهم الله وحفظهم من شر ذلك اليوم وشدته وهوله ، وأعطاهم نضرةً في وجوههم ، وسرورا في قلويهم ، لقد عمت السعادة قلويهم ، وظهر ذلك في نضرة وجرههم .

قال تعالى : تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَعْمَرَةُ النَّعِيمِ . (المطففين : ٢٤) .

قال ابن كثير:

وهذا كقوله تعالى : وُجُوهٌ يُوْمَئِلِ مُسْفِرةٌ ، ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ . (عبس : ٣٨ ، ٣٩) .

وذلك أن القلب إذا سُرُ استنار الوجه، قال كعب بن مالك في حديثه الطويل: وكان رسول الله 養嶺 إذا سُرُ استنار وجهه كأنه فلقة قمر . وقالت عائشة رضى الله عنها : دخل على رسول الله 義義 مسرورًا تُنرِكُ أسارير وجهه .. الحديث .

١٢ - وَجَزَالهُم بِمَا صَبَرُواْ جَنَّةً وَحَرِيرًا.

بسبب صبرهم علي الطاعات يغطونها . كالصلاة والصيام والزكاة ، ويسبب صبرهم عن المعاصى يبعدون عنها ، ويسبب صبرهم على المصائب ، أنخلهم الله الجنّة ، يتمتعون فيها بألوان النعيم ، ويجدون فهها ما لذّ وطاب : منزلا رحبا ، وعيشا رغدًا ، ولباسًا حسنًا ، ومن لبس الحرير من الرجال في الدنيا لا يلبسه في الأََّمرة ، نعم . لقد كافأهم الله يسبب صبرهم بالجنة ونعيمها ، وبالحرير يتمتعون به .

* * *

مساكن أهل الجئة وأشربتهم وخنتمهم

﴿ نَتَكِينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَايَةِ لَا يَرَوَنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمَهِ وَلَ ۞ وَدَانِيَةُ عَلَيْمٍ ظِلَالْهَا وَذَٰلِلَتَ فَعُلِيمَ فِلْلَهُا وَذَٰلِلَتَ فَعُلِيمَ فِلْلَهُا وَذَٰلِلَتَ فَعُلِيمَ فَعُلُومُهَا فَلْوَلُهَا الْفَلِيمَ وَعَلَيْهُ وَقَلَوْ فَالْفَاعُومُ وَعَلَوْ فَ فَالِيمِ اللّهِ فَعَلَيْهِ وَمَلُونُ فَعَيْمِ وَلِلّهُ وَعَلَوْ فَ وَعَلَيْ فَاللّهُ عَلَيْهِ وَلِلّهُ وَقَلُونُ عَلَيْهِ وَلِلّهُ وَلَا اللّهُ عَلَيْهِ وَلَاللّهُ وَلَا اللّهُ عَلَيْهُ وَلَا اللّهُ عَلَيْهُ وَلَا اللّهُ عَلَيْهُ وَلَا اللّهُ وَلَا اللّهُ عَلَيْهُ وَلَا اللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَا اللّهُ عَلَيْهُ وَلَا اللّهُ وَلّهُ اللّهُ وَلَا اللّهُ وَلّهُ وَلّهُ اللّهُ وَلَا اللّهُ اللّهُ وَاللّهُ وَلَا اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ وَلَا اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ وَلّهُ اللّهُ اللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَا اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ وَلّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الل

المفردات،

الأرائسيسك، جمع أريكة ، وهي سرير منجَّد مُرْيَن ، في بيت يزين بالقباب والأُسِرَة والستور. . زمسه سريسرا ، بردًا خديدًا ، أو قمرًا .

دائية عليهم ظلائها : قريبة منهم ظلال أشحارها .

ذلك قطوفها ، قريت ثمارها لمتناولها .

كـــــواب، جمم كوب، وهو قدح لا عروة له ولا غرطوم.

قسسواريسسر؛ جمع قارورة ، وهي إناء رقيق من الزجاج ، توضع فيه الأشرية .

ق التروه الذي أدر الذي أدر الذي

ح المامة فيها خمر، أو رُجاجة فيها خمر،

تسمى سلسبيلا ، سهل الدخول في الحلق لعذوبته وصفاته .

ي<u>ـطوڤ صليـهم</u>، يخدمهم برفق وعناية .

والمبين والعبد،

م خاصون ، باقُون دائمون لا يهرمون .

ية المناه من المناولة المناق المناق الحسن والصفاء.

شيباب سندس و ثياب من ديباج رقيق .

است تا سیسرق، حریر غلیظ .

تمهيده

هذه الآيات استدرار في وصف نعيم أهل الجنة ، فيها أرصاف مساكنهم ، وكيفية جلوسهم فيها ، وأشريتهم وأوانيهم ، وخدمهم واعتدال هوائهم ، ثم أشارت الآيات إلى تجمّلهم بمحاسن الثياب والحليّ ، وذكرت في النهاية أن هذه النمم جزاء عملهم .

التفسيره

١٣ - مُتَكَكِينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرْآلِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَزِيرًا.

يصف القرآن نعيم أهل الجنة ، في جلوسهم هادئين هانئين مستمتعين ، متكثين فيها على الأسرّة المظللة بالحجال والكِل (الناموسية) ، داخل بيت يزيّن بالقباب والستور (أشهه بالبيت الذي أعدّه أحد الأغنياء لمروسه عند زفافها).

وهواء الجنة معتدل ، لا فيه حرارة شديدة ، ولا برودة قوية .

جاه فى الحديث: «هواء الجنة سُجْسج ، لا حَرُّ ولا قرُّ» والسجْسج : الظل الممتد كما بين طلوع الفجر وطلوع الشمس . ١٤ – وَدَائِيَةً عَلَيْهِمْ طِلَنْلُهَا وَذُلَّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلاً .

ظلال الجنة قريبة من أصحابها تدنو لهم وتقترب منهم ، وثمار الجنة وقطوفها في متناول أيدبهم ، إذا كان أحدهم قائمًا تناول الثمر دون كلفة أو مشقة موإذا كان قاعدًا أو مضّحِمًا فكذك ، فهذا تذالمِلها ، لا يردُ اليد عنها بُعد ولا شوك ، ولا يخفى أن الجنة ليس فيها شمس ولا قمر ، ولا جرُّ ولا برد ، فيكون معنى دنوُ الظلال وقريها من أهل الجنة ، أن الظلال وضعت بحيث لو كانت هناك شمس لكانت الظلال واقية لهم من حرَما وهجيرها ، أي: النعيم مضاعف في الجنة ، وكل ما يطلبونه يجدونه تحت أيديهم وتصرفهم .

جاء في غرائب القرآن:

وَذُلَّلَتْ . أي : لا تمتنع على قُطَّافها كيف شاءوا .

١٦، ١٥ – وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِنَائِيَةٍ مِّن لِعِمَّةٍ وَأَكُوابِ كَانَتْ قَوْارِيزًا ۚ فَوَارِيزًا مِن فِعَةٍ فَلدُّوهَا تَقْدِيرًا .

هذه ألوان من النعيم ، وألطاف من الرب الكريم ، فيطوف الخدم عليهم بأوان من فضة ، وأكراب لا غرى لها ولا خراطيم ، ولا مثيل لها في الدنيا ، لأن الأكراب في الدنيا إما أن تكون من فضة ، وإما أن تكون من زجاج ، أما الأكراب في الجنة فمانتها من الفضة ، ومع ذلك فهي في شفافية (القوارير) أي الزجاج ، بحيث يرى باطنها من ظاهرها ، وظاهرها من باطنها ، وقد قُدر الشراب والكرب على قدر حاجتهم ، لا يزيد عنها ولا ينقص ، وهذا ألذً لهم ، أو فَدَر الخدم الطائفون عليهم الأكراب والشراب على قدر حاجة أهل الجنة ، بدون زيادة أو نقصان ، أو قدر الله تعالى لهم ذلك بتقديره ، فهو الذي يقول للشيء كن فيكين .

قال ابن عباس :

قُدُّرُوهَا تُقْلِيرًا . أتوا بها على قدر الحاجة ، لا يغضلون شيئًا ، ولا يشتهون بعدها شيئًا .

١٧ -- وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلاً.

يسقى أهل الجنة كأسًا من الفمر ممزوجة بالزنجبيل ، فقارة يمزج الشراب للأبرار بالكافور وهو باره ، وتارة يمزج بالزنجبيل وهو حار ليعتدل ، أمًا المقرّبيون فإنهم يشربون من كل منهما صرفًا .

١٨ - عَيُّنَا فِيهَا تُسَمِّىٰ سَلْسَبِيلاً.

ويسقون من عين في الجنة تُسمى السلسييل، سُميت بذلك لسلاسة ماتها ، وسهولة جريها وانجيارها واستساغتها في حلوقهم ، والفائدة في تسمية العين بالسلسبيل بعد أن ذكر أن الخمر تمزج بالزنجبيل ، أن العرب تستلذ الزنجبيل وتستطيبه لطيب رائحته ، ولأنه يُحدث لذعًا في اللسان ، ويهضم المأكول ، ولهنا يذكرون الزنجبيل في وصف رضاب النساء ، فذكر القرآن أن الخمر رغم أنها تمزج بالزنجبيل إلا أنّها في طبعم الزنجبيل وليس فيها اللّذع ، بل فيها السلاسة وسهولة الانحدار في الحلق ، وسهولة المساغ كالسلسمان

١٩ – وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانَ مُتَخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ خَسِبْتَهُمْ أَلْؤُلُوا مُنْفُودًا .

يخدم الأبرار فى الجنّة غلمان وفتيان فى سن البلوغ وحداثة الصباء ولعل الحكمة فى ذلك أنهم فى سنّهم هذه يكونين أخف فى الخدمة ، وأسرع فى الاستجابة لمخدومهم ، وهم مع ذلك باقون على هذه السنّ، لا يشيبون ولا يهرمون ولا يتغيرون ، وهم فى جمالهم ورضاءة وجوههم كاللؤاؤ المنثور المُنْرَّق ، لأنهم مُتغرّقين فى المجالس ، فى جنّباتها وياحاتها وساحاتها ، والدر المنثور يكين أكثر صفاء منه منظرمًا فى سك .

"ال الرازي في التفسير الكبير:

هذا من التشبيه العجيب، لأن اللؤائ إذا كان متفرقًا يكون أحسن في المنظر، الوقوع شعاع بعضه على بعض ، فيكون أروع وأبدع .

، ٢ - وَإِذَا رَأَيْتَ ثُمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا .

وإذا نظرت إلى الجنة هناك ، رأيت نعيمًا دائمًا ، وملكًا كبيرًا واسعًا ، ورأيت نعيمًا مقيمًا ، وفضلاً عظيمًا ، لا حدود له ولا غاية ، وأقل أهل الجنة منزلة من له قدر الدنيا وعشرة أمثالها ، كما ثبت في المسحيح .

٢١ - عَلْيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ مُحضّرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَخُلُّواْ أَسَاوِرَ مِن فِضّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا .

ما أجمل نعيم الجنة ، وما أكمل هذا النعيم ، إن الثمار تقترب منهم ، والطلال قريبة منهم ، ويطاف عليهم بأوانى الفضة وأكواب من فضة في صفاء الزجاج ، ويسقون الخمر ممزوجة بالزنجبيل في هناء السلسبيل ، ويطوف عليهم الفلمان الحسان كأنهم اللؤلؤ المنثور ، وأمامهم النعيم الكبير ، وفوق كل ما سبن تعلوهم ثياب من أنواع الحرير الرقيق وهو السندس ، والطليط وهو الإستبرق ، في ألوان خضراء منعيزة تتناسق مع النعيم والفكريم ، ويلبسون أساور من فضة يتحلون بها ، وقد سبق أنهم يتحلون بأساور اللهب واللؤلؤ، أي أنهم يلبسون أساور الفهب حيثاً ، واللؤلؤ حيثاً ، على التعاقب ، وأحيانًا يجمعين بينها في وقت ولحد .

وفي سورة الكهف قال تعالى : يُخَلُّونَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ ... (الكهف: ٣١) .

وفي سورة فاطر قال تعالى: يُحَلُّونَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن فَعَبِ وَلُؤُلُّوا وَلِيَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ، (فاطر: ٣٣).

والمقصود أن الله جمّلهم بأحسن الثياب ، وأنواع الحرير الرقيق والغليظ ، وجمّلهم بأساور متعددة من اللغضة والذهب واللؤلق ، وهناك تكريم معنوى أسمى وأعلى ، إنه تكريم إلهى ، حيث تأتيهم الأكواب بدون واسطة .

وَسَقَالُهُمْ رَأَهُمْ شَرَابًا طَهُورًا . أي : طاهرًا لم تدنَّسه الأبدى ، وليس بنجس كخمر الدنيا .

قال الطبرى :

سُقى هؤلاء الأبرار شرابًا طهررًا ، ومن طهره أنه لا يصير بولاً نجسًا ، بل رشحًا من أبدانهم كرشع المسك ، رُرى أن الرجل من أمل الجنة يكسم له شهرة مائة رجل من أمل الدنيا ، فإذا أكل سُقى شرابًا طهورًا ، فيصير ريشمًا يخرج من جلده أطيب ريحًا من المسك الأنشر⁰⁰⁾.

من تفسير ابن كثير

وَسَقَالُهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا .

أي: طهر بواطنهم من الحسد والحقد، والغلُّ والأذي، وسائر الأخلاق الرديئة.

رُوى عن أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه ، أنه قال: إذا انتهى أهل الجنة إلى باب الجنة وجدوا هنالك عينين ، فكأنما ألوموا ذلك ، فطريوا من إحداهما ، فأذهب الله ما فى بطونهم من أذى ، ثم اغتسلوا من الأخرى ، فجرت عليهم نضرة النعيم ، فأخبر سبحانه وتعالى بحالهم الظاهر وجمالهم الهاطن "".

٧٧ - إِنَّ هَلِلَمَا كَانَ لَكُمْ جَزْآءٌ وَكَانَ سَتَهُكُم مَّشْكُورًا.

يقال لأمل الجنة تكريمًا لهم ، وتقديرًا لطاعتهم لربّهم : إن هذا الجزاء الكبير ، والنعيم والرضا والمثوية ، والفضل الإلهى عليكم ، جزاءً عادل لأعمالكم ، وقد كان عملكم وسعيكم فى الدنيا مشكورًا من الله لكم ، فما أعظم الفضل الإلهى الجليل ، إنه يوفّق للطاعة ، ويهدى المؤمنين إلى طريق الخير ، ثم يعطيهم المنازل العالية فى الجنة ، ثم يتفضل عليهم بالتكريم والرضوان . كما قال تعالى: كُلُواْ وَآشْرُبُواْ هَيْتِكُا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيةِ . (الماةة: ٢٤).

وكما قال تعالى : وَنُودُوّا أَنْ لِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِلْتُمُّوهَا بِمَا كُتُمُّ لَغَمُلُونَ . (الأعراف: ٤٣).

قال في صفوة التفاسير:

وَكَانَ سَغْيُكُم مُشْكُورًا .

أى: وكان عملكم مقبولاً مرضيًّا ، جُوزيتم عليه أحسن الجزاء مع الشكر والثناء .

* * *

تنزيل القرآن ، وذكر الله ، والصلاة له

المفردات :

السمسياء هو الفاجر المجاهر بالمعاصي .

الكسفسور ، هو المشرك المجاهر يكفره .

بـــــكــــرة ، أول النهار .

سحصور مال.

سيبحبه : تهجد .

وراءهـــم؛ أمامهم.

شددت أسرهم ، أحكمنا ربط مفاصلهم بالأعصاب والعروق.

بدائيًا أمثالهم؛ أهلكناهم، ويدلنا أمثالهم في شدة الخلق.

تمهيد د

هذه هى الآيات الأخيرة فى سورة الإنسان ، نزلت ومكة تعرض على الرسول ﷺ المال والثروة ، وعتبة ابن ربيمة يقول للنبي ﷺ: ارجع عن هذا الأمر حتى أزرُجِك ابنتى ، فإنى من أجمل قريش بنات.

والقرآن ينزل يثبّت الرسول الكريم ﷺ ، ويومنّح أن القرآن الكريم قد أنزله الله منجمًا لحكمة إلهية عليا ، فعليك أيها الرسول بالمسر وذكر الله والتهجد بالليل ، وهذه كلها زاز للدعاة ، حيث يصلون أنفسهم بالخالق عابدين متبتلين ، ثم تتحدث الآيات عن كفار مكة الذين يحبون العاجلة ، أى المال والنساء والخمر والملذات ، وينسون الآخرة ، والله وحده هو الذي خلقهم ، وإذا شاء أتى بخلق جديد أطوع لله منهم ، ثم تسند المشيئة إليه سبحانه ، فهو سبحانه فعال لما يريد ، وهو على كل شيء قدير .

التفسيره

٢٣ - إِنَّا نَحْنُ نَرُّكُنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ تَنزِيلاً .

إنا نحن الإله الحق الذي بيده الخلق والأمر ، قد : نَزَلْنَا عَلَيْكَ أَلْقُرُ ءَانَ تَنزِيلاً . فهذا القرآن من عندنا ومن أمرنا : نَزَلَ بِهِ الرَّوْحُ الْأَمِنِ ، عَلَىٰ قَلْبِكُ فِتَكُونَ مِنَ الْمُعْلِرِينَ . (الشراء : ١٩٤٢ ، ١٩٤

وهذا القرآن ليس سحرًا ولا شِعْرًا ولا كهانة ، ولا أساطير الأولين كما يدعى الكافرون ، وقد أنزلناه منجمًا مقسمًا فى ثلاثة وعشرين عامًا ، ولم ننزله دفعة واحدة ، بل أنزلناه مفرقًا ليجيب على أسئلة السائلين ، ويثبُّت المؤمنين ، ويشرح أحكام الدّين ، ويقدّم الأدلة على الوحدانية ، ومعدق رسالة محمد ﷺ ، وأخبار الأمم السابقة ، ومشاهد القيامة والبحث والحشر والجزاء والعقاب .

فالقرآن كتاب ربِّنا ، أنزله الله على محمد ﷺ مفرقاً لتثبيت فؤاده ، وللرد على أسئلة المشركين ، وليحمل النابل على محمد ﷺ مفتريات ، وليحمل النابل على إعجاز القرآن ، فقد تحداهم أن يأتوا بمثله ، ثم تحداهم أن يأتوا بعشر سور مثله مفتريات ، ثم تحداهم أن يأتوا بسورة واحدة ، وقد عجزوا في كل هذه المراحل مع طول مدة التحدّى ، ومع الحروب المنتابعة التى حَصَدَت رجائهم ، ويقمت أطفالهم ، ورمات نساءهم ، واستمرار التحدّى ، واستمرار الحاجة إلى الردّ على القرآن والرسول ، مع وجود الشعراء والبلغاء والفصحاء ، والخطباء والأدباء ، وأسواق الأدب التي

يتبارون فيها بالقصيدة المتميزة والشعر الجيد، والخطبة الغصيحة، والقول المتميز، ثم لم يجرؤ واحد منهم أن يقدم مثل القرآن، ولا مثل عشر سور منه، ولا مثل سورة واحدة، ولزمهم العجز إلى يوم الدين.

كما قال تعالى . قُل لِيْنِ آجَتَعَمَّتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْحِنُّ عَلَىٰٓ أَنْ يَأْتُواْ بِمِثْلِمِ هَذَا ٱلْقُرَّعَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ . يَعْشَهُمْ إِيْفُسُ ظَهِيرًا . (الإساء ١٨٨) .

٢٤ - فَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبُّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ عَالِمًا أَوْ كَفُورًا .

اصبر يا محمد لأمر الله وحكمه وقضائه وقدره ، واصبر على تكاليف الوحى والرسالة والدعوة ، ولا تستريب لما يعرضه عليك المشركون من المال أو الزواج من بناتهم ، ولا تتكدر ولا تحزن بوعيدهم وتهديدهم لك ، فقاله سُنّة الدعات.

أخرج عبد الرزاق ، وابن جرير ، وابن المنذر ، عن قتادة أنه بلغه أن أبا جهل قال : لئن رأيت محمدًا يصلّى لأطأنُ عنقه ؛ فأنزل الله : وَلا تُعَلِّم مُؤْمِمٌ وَاللهمُ أَوْ كُفُورًا .

ومن أمثلة الأثم: أبوجهل الذي وقف في سبيل الدعوة ، وآدى رسول الله ﷺ ، ونهاه عن المسلاة عند الكميلة عند الكميلة منذ الكفية ، ومن أمثلة الكفور : الوليد بن المغيرة الذي سمع القرآن الكريم فتأثر به ، وقال عنه كلامًا حسنًا ، وومدهه مدحًا جميلاً ، ثم استُجاب لاستثارة قومه له ، وعدل عن الإيمان ، وانضم إلى حلف الكفر والطغيان .

و ٢ - وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبُّكَ لِكُرَّةً وَأَصِيلًا .

البكرة أولى النهار ، والأصيل من العصر إلى المغرب ، وذكّر الله يحتاج إلى استحضار القلب في مناجاته والتعبد بذكره ، والمؤمن يذكر الله أول النهار متحدثاً بفضله ، طالبًا منه المعونة والبركة والتوفيق، ويذكر الله في آغر النهار التماسًا لفضله ومغفرته ويركته وهدايته .

ويراد بالبكرة والأصيل أيضًا طول النهار.

قال المفسرون : صلّ لريك وأكثر من عبادته وطاعته في أول النهار وآخره ، في الصباح والمساء.

٢٦ - وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَٱسْجُدْ لَهُ, وَسَبَّحْهُ لَيْلاً طَوِيلاً .

انتهز مجىء الليل لتسجد لله وتصلَّى صلاة التهجد، وتسبُّم بحمد الله تعالى.

وقيل: المواد من الذكر بُكَّرَةً . صلاة الصبح . وَأُصِيلاً . صلاتا النظهر والعمس . وَمِن ٱلْيَالِ فَأَسْجَدُ لَهُر . ضلاتا المغرب والمشاء .

وَسَبُّحْهُ لَيْلاً طُويلاً .

اغتذم فرصة الليل ، أو الثلث الأخير من الليل للتسبيح والتحميد والاستغفار .

والآيتان تشيران إلى اللجوء إلى الله وعبادته وذكره ، كما تشيران إلى صلاة الليل ، وهي مندوية للمسلمين ، فريضة على النبي ﷺ.

قال تعالى : وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لُّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَلُكَ رَبُّكَ مَقَامًا مُحْمُودًا . (الإسراء: ٧٩) .

وقريب من ذلك قوله تعالى : وَأَقِمِ ٱلصَّلَوَة طَرَقَى ٱلنَّهَارِ وَرَقَفًا مِّنَ ٱلنَّالِ إِنَّ ٱلْخَسَنَت يُلْهِينَ ٱلسَّبَّات دَالِك دِيْرَى لِلذَّكِرِينَ وَٱصْبِرُ فَإِنَّ ٱللَّهُ لَا يُعْضِعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ . (هـر: ١٠٤٠، ١٨٠).

وقوله تعالى : وَلَقَدْ نَعَلُمُ أَلُكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ هَ فَسَيِّعْ بِحَمْدِ رَبُكَ وَكُن مُنَ ٱلسَّنجِينَ . (الحجر: ٩٠،٩٧٠)

٧٧ - إِنَّ هَنْزُلَاءٍ يُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ وَيَفَرُونَ وَرَآءَهُمْ يُومًا لَقِيلاً .

إن هؤلاء أهل مكة ، وبالأغص الأغنياء والسادة والكبراء ، يُحبون أمور الدنيا العاجلة مثل المال والنساء والخمر ومتع الدنيا العاجلة ، ويهطون ما أمامهم من يوم ثغيل شديد ، يشيب فيه الوليد ، وتضع كل ذات همل حملها ، وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد .

وقيل : إنها نزلت في يهود ، والعبرة يعموم اللفظ لا بخصوص السبب ، فهي تنظيق على كل من يؤثر شهوات الدنيا ، ويهمل الآغرة والحساب والجزاء ، والعمل الصالح لذلك اليوم .

٢٨ - نَحْنُ خَلَقْتَنْهُمْ وَشَدَدْنَا أَشْرَهُمْ وَإِذَا هِنْنَا بَدُّنْنَا أَمْعَنْلَهُمْ تَبْدِيلاً.

أي: نحن لا غيرنا ، خلقنا الناس جميعًا من العدم ، ومنحناهم الحياة والقوة والسمع والبصر، وأحكمنا خلقهم .

وَشَدَدُنَا أَسْرَهُمْ ...

أحكمنا خلقهم وربط مفاصلهم بالأعصاب والعروق ، حتى كانوا أقوياء أشداء ، فكم فى خلق الإنسان من عجائب ، أضف إلى ذلك جمال الخلق ، والتركيب والإبداع ، وتيسير الحركة ، واستخدام آلاته ، كاليدين والرجلين والأذنين ، والدينين والفم والأنف ، والأعضاء التناسلية ، وسائر القوى الموجودة بالإنسان فضلاً عن العقل والمخ والأعصاب ، والفهم والذكاء والاستنباط .

قال تعالى : وَفِي ٓ أَنفُسِكُمْ أَفَلاً تُبْصِرُونَ . (الذاريات: ٢١) .

وقال تعالى : يَنَاتُهُمَا ٱلْإِنسَانُ مَا خُرِكَ بَرِبُكَ ٱلْكَرِيمِ هِ ٱلَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّ مِكَ فَعَدَلَكَ وَ فِي أَيَّ صُورَةٍ مَّا شَاءً رَكِّمُكَ . (الانطال: ٢ - ٨) .

وَإِذَا شِئْنَا يَدُّلْنَا أَمُّمُلْلَهُمْ ثَبْلِيلاً.

ولى أردنا لأهلكتاهم وأوجدنا بدلهم خلقًا آخر يكون أطوع وأعبد لله منهم ، وقد وردت الآية مورد. التهديد والوعيد .

وقريب من ذلك قوله تعالى : يَنَاتَّهَا آثناسُ أَلْتُمْ آلْفَقْرَاءُ إِلَى آللَّهِ وَآللُهُ هُوَ ٱلْغَيُّ ٱلْحَمِيدُ ، إِن يَشَأَ يُلْهَيِّكُمْ وَيَأْتِ بِخَلِقٍ جَلِيدٍ ، وَمَا ذَالِكَ عَلَى آللَّهِ بِحَزِيدٍ . (الماه: ١٥ – ١٧) .

٧٩ - إِنَّ هَالِهِ كَذْكِرَةٌ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبَّهِ سَبِيلاً. `

إن هذه الآيات الكريمة ، والسورة العظيمة ، بما فيها من الترتيب العجيب ، والتُنسيق البديم ، والوعد والوعيد ، والترغيب والترهيب – تذكرة للمتأملين ، وعظة للعقلاء والمفكّرين ، فمن أراد الخير لنفسه ، والسعادة والنجاة ، فليتخذ طريفًا إلى طاعة ريّه ، والإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله ، والخضوع لأمره والتقرب إلى الله بما يحبّه ويرضاه .

٣٠ - وَمَا تَشَاءُونَ إِنَّا أَن يَشَاءَ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا .

لا يستطيع أحد أن يهدى نفسه ، ولا يدخل فى الإيمان ، ولا يجرّ لنفسه نفعًا ، أو يدفع عنها ضررًا ، إلا بترفيق الله ومشيئته . وهذه الآيات فى القرآن للكريم تُفهم من خلال ما ورد من آيات كثيرة حول ذلك الموضوع: ذلك أن "
الله تعالى خلق الإنسان ، وأعطاه العقل والإرادة والاختيار ، وهداه النجدين ، ويبن له الطريقين ، طريق
الهدى وطريق الضلال ، وأرسل له الرسل ، وأنزل له الكتب ، فإذا تدبر الإنسان وتأمل ، وسار خطوات فى
استخدام العقل والرأى ، والتدبر والتأمل ، منحه الله الرضا والتوفيق ، ويسر له الهدى والرشاد ، وإذا أحجم
الإنسان عن استخدام عقله ، ومحم على السير فى طريق الفواية والسير وراء شهواته ونزواته ، وأطاع
الشيطان ، وأعرض عن ذكر الرحمن ، سلب الله عنه الهدى والترفيق .

قال الإمام محمد عبده :

للعبد إرادة واختيار ، ولله تعالى إرادة عليا وحكمة وتدبير ، والجمع بين إرادة العبد وإرادة الله تعالى تحتاج إلى شيء من الانحناء والتسليم .

وقال المراغي في تفسيره ما يأتي :

وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ ٱللَّهُ ...

أى: وما تشاءون اتخاذ السبيل الموصلة إلى النجاة ، ولا تقدرون على تحصيلها إلا إذا وفقكم الله لاكتسابها ، وأعدّكم لنيلها ، إذ لا دخل لمشيئة العبد إلا في الكسب ، أما التأثير والطق فلمشيئة الله عز وجل ، فمشيئة العبد وحدها لا تأتى بضير ولا تدفع شرا ، وإن كان يثاب على المشيئة المسالحة ، ويؤجر على قصد الخير ، كما في الحديث : «إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرئ ما فوي» (١٧٠

إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا .

أي : إن الله عليم بنن يستحق الهداية فيبسرها له ، ويقيض له أسبابها ، ومن هو أمل للغواية ، فيصرفه عن الهدى ، وله الحكمة البالغة والحجة الدامعة . اهـ.

٣١ - يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحْمَتِهِ وَآلطُّلِمِينَ أَعَدُّ لَهُمْ عَدَابًا أَلِيمًا.

فهو سبحانه حكيم منزه عن الظلم ، فمن رأى فى قلبه الرغبة فى الهدى والإيمان ، والطمع فى المغفرة ، والرجاء فى الرحمة ، يسًّر له ذلك وأعانه عليه ، ومن ظلم نفسه بالمعاصى ، وأعرض عن طاعة الله سلب الله عنه الهدى ، وأعدُّ له عذاباً أليماً فى الأخرة .

وفي الحديث الشريف أن النبي ﷺ قال لأصحابه ذات يوم : «هؤلاء أسماء أصحاب الجنة ، بأسمائهم وأسماء آبائهم وأسهاتهم ، لا يزيدون ولا ينقصون ، وهؤلاء أسماء أصحاب النار ، بأسمائهم وأسماء آبائهم وأمهاتهم ، لا يزيدون ولا ينقصون» . قال الصحابة : أفلا نتكل على ذلك يا رسول الله ؟ قال : «لا ، اعملوا فكلُّ ميسر لما خلق له . إن الله عز وجل يقول : فَلَمَّا مَنْ أَعْظَىٰ وَاتَّقَىٰ » وَصَدُقَ بِالْنَصْمَىٰ » فَسَنِّسَرُو، لِلْيُسْرَىٰ ، وَأَمَّا مِنْ يَعْوِلُ وَ اللَّهِ عَلَى اللهُ عَزْ وجل يقول : فَلَمَّا مِنْ أَعْظَىٰ وَاتَّقَىٰ » وَصَدُق بِالْنَصْرَىٰ اللهِ عَنْ مِنْ اللهِ عَنْ مَا مَا اللهِ عَنْ مَا مَا اللهِ عَنْ اللهُ عَلَى اللَّهُ عَلَيْدُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَيْكُوا اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَيْكُونَ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللّ

قال ابن كثير:

إِنَّ ٱللَّهُ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا.

أى: عليم بمن يستحق الهداية فييسرها له ، ويُقيّض له أسبابها ، ومن يستحق الغواية فيصرفه عن الهدى، وله الحكمة البالغة ، والحجة الدامخة ، ولهذا قال : إِنَّ ٱللّهُ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا .

ثم قال: يُدْخِلُ مَن يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَٱلطَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا.

أي: يهدي من يشاء ويضلٌ من يشاء ، فمن يهده فلا مضلٌ له ، ومن يضلل فلا هادي له ٩٠١.



أهبداف سيهرة المرسلات

(سورة المرسلات مكية ، وآياتها ٥٥ آية ، نزلت بعد سورة الهمزة)

سورة المرسلات قصيرة الآيات ، عاصفة الملامح ، شديدة الإيقاع ، كأنها سياط لاذعة تلهب صدور المنكرين ، وهي توقف القلب البشرى وقفة المحاكمة الرهيبة ، حيث تواجهه بسيل من الاستفهامات والاستذكارات والتهديدات ، تنفذ إليه كالسهام المسنونة .

«وتمرض السورة عددا من المشاهد المتنوعة ، عن الكون وخلق الإنسان ، واليوم الآخر ، وهذاب المجرمين ونعيم المتقين ، وعقب كل مشهد تلفع القلب المذنب لفحة من التهديد والوعيد ، حين تقول: والمجرمين ويتكرهذا التعقيب عشر مرات في السورة ، وهو لازمة الإيقاع فيها ، وهو أنسب تعقيب لملاحها الحادة، ومشاهدها العنيفة، وإيقاعها الشديد .

وهذه اللازمة تذكرنا باللازمة المكررة في سورة الرحمن ، عقب عرض كل نعمة من نعم الله على العباد: فَبِأَيُّ وَأَكْنَا كُكُنُهَانِ.

كما تذكرنا باللازمة المكررة في سورة القمر ، عقب كل حلقة من حلقات العذاب : فَكَيْفَ كَانُ عَلَّابِي وُلُلُو . وتكرارها هنا على هذا النحو يعطى السورة سمة خاصة ، وطعما مميزا حادًّا» (***) .

تسلسل أهكار السورة

تبدأ السورة بقسم عامضة ثائر ، بمشهد الرياح أن الملائكة ، يتبعه عشر جولات متتابعة ، تثير في النفس طائفة من التأملات والمشاعر والخواطر ، والتأثرات والاستجابات .

 ١ - فالآيات من (٨ - ١٥) تصف مشاهد القيامة ، وتصور الانقلابات الكونية الهائلة في السعاء والأرض ، وفي هذا اليوم تنفهي حسابات الرسل مع البشر ، ويتبين الصادق من الكاذب .

Y - والآيات من (١٦ - ١٩) تصف مصارع الغابرين ، وتشير إلى سنن الله في المكتبين ، فكما أهلك قوم فوج بالغرق ، وأهلك أمم عاد وثمود وفرعون ، فهو يفعل ذلك بكل مكذب يرسالات السماء ، وهدى الأنبياء .

- ٣ والآيات من (٢٠ ٢٤) تصف النشأة الأولى ، وما تشير إليه من تقدير وتدبير.
- ع والآيات من (٢٥ ٢٨) تصف الأرض التي تضم أبناءها إليها ، أحياء وأمواتا ، وقد جهزت لهم
 بالاستقرار والجبال والمياه .
 - ٥ والآيات من (٢٩ ٣٤) تصف حال المكنبين يوم القيامة ، وما يلقونه من تقريع وتأنيب.
- ٦ والآيات من (٣٥ ٣٧) استطراد مع موقف المكذبين ، ويهان ألوان العذاب والهوان الذي يتعرضون له .
- ٧ والآيات من (٣٨ ٤٠) تصف ضعف الإنسان ، وفقدان حيلته أمام الجمع والحشر والحساب
 والجزاء .
 - ٨ -- والآيات من (٤١ ٥٥) تصف نعيم المتقين ، وطعامهم وشرابهم وتكريمهم .
 - ٩ والآيتان (٤٦ ، ٤٧) خطفة سريعة مع المكذبين في موقف التأنيب .
- ١٠ والآيات من (٤٨ ٥٠) وصف لحال المكذبين ، ولمتناعهم عن الإيمان وعن الاستجابة لآيات القرآن .

ويعض هذه المشاهد قد سبق نكرها ، وتكرر ورويها في القرآن الكريم ، وفي السور المكية بوجه خاص ، ولكنها تعرض هذا سريعة أغاذة ، لها رنين وجدة في مشاهد جهنم ، وفي مواجهة المكنبين بهذه المشاهد ، وفي أسلوب العرض والخطاب كله ، ومن ثمَّ تبرز شخصية خاصة للسورة : حادة الملامح ، متنوعة في أساليب الخطاب ، متنقلة من قسم إلى خبر إلى استفهام إلى أمر ، فذلك كلام الله ، ومن أحسن من الله

مع آيات السورة

٧ - ٧ - يقسم الله بطوائف الملائكة ، يرسلها بالمعروف والإحسان ، وأوامره الكريمة ، فتعمف عصف الرياح مسرعة ، وتنشر شرائعه في الأرض ، فتفرق بها بين الحق والباطل ، ويلقى الملائكة إلى أنبياء الله نكرا يريد الله تبليغهم إياه ، عنرا للمحقين ، وننرا للمبطلين ، يقسم الله بهولاء الملائكة على أن ما توعدون من مجىء القيامة واقع لإ مصالة .

وقيل: إن القسم في هذه الآيات بالرياح وآثارها في الكون، ونشرها السماب في الأفق.

وقيل إن القسم في الآيات الثلاث الأولى بالرياح متنابعة كعرف الفرس، فَأَلْعَدْمُهُمْتُ عَصْفًا. الشديدة المهلكة ، وَالنَّذْمُوْتُ نَشْرًا . التي تنشر المطر ، فأقسم سبحانه بالرياح النافعة والضارة .

والقسم في الآيات (٤ - ٦) بالملائكة ، فإنها تنزل بأمر الله على الرسل ، تفرق بين الحق والباطل , وتلقى إلى الرسل وحيا فيه إعذار إلى الخلق وإنذار .

ولعل من إعجاز القرآن أن الآية تشير إلى معنى وتحتمل معنى ، وتستتبع معنى آخر ، ولعل هنا التجهيل والخلاف في مفهوم الآية مقصود لله ، ليكون أثرها أقرى في النفس .

وقد ذكر ابن جرير الطبرى تفسير هذه الآيات ، وعند تفسير : وَٱلْتَشْرُ ا َ بَيْنَ أَنْ بعض المفسرين قال : هي الرياح ، ويعضهم قال : هي المطر ، ويعضهم قال : هي الملائكة .

ثم عقب الطبرى بقوله : وأولى الأقوال فى ذلك عندنا بالمحواب أن يقال : إن الله تعالى أقسم بالناشرات نشرا ، ولم يخصمص شيئا من ذلك دون شىء ، فالرياح تنشر السحاب ، والمطر ينشر الأرض ، والملائكة تنشر الكتب ، ولا دلالة من وجه يجب التسليم له على أن المراد من ذلك بعض دون بعض ، فنلُ ذلك على أن المراد بالآية كل ما كان ذاشرا . (١٠٠١ .

٨ – ١٥ – يوم تطمس النجوم فيذهب نورها ، وتفرج السماء ، أى تشق ، وتنسف الجبال فهي هباء ، وإلى جانب هذا الهول في مشاهد الكون ، تعرض السورة أمرا مرتجلا ، هو موعد الرسل لعرض حصيلة الدعوة والشهادة على الأمم ، والقضاء والفصل بين كل رسول وهومه : يُوم يَجمُعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ لَهُمُولُ عُذَا الدعوة والفصل بين كل رسول وهومه : يُوم يَجمُعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ لَهُمُولُ عُذَا البعدوة ويكل ما ورد على ألسنة أرجعُم ... (المائدة ١٩٠١) . وفي هذا اليوم عذاب وخزى لمن كذب بالله ورسله وكتبه ، ويكل ما ورد على ألسنة أنبياته وأضيرها به .

١٩ - ١٩ - تجول هذه الآيات في مصارع الأولين والآخرين ، وفي ضرية واحدة تكشف مصارع الأولين ، من قوم نوح ومن بعدهم ، وتكشف مصارع الآخرين ، ومن لف لفهم ، وعلى مد البصر تنبدى المصارع والأشلاء ، فهي سنة الله التي لا تتبدل ، من سيادة الصالحين ، وهلاك المجرمين ، وفي الآخرة هلاك وعذاب شديد للمكتبين .

٧٥ – ٢٨ – هذه الآيات جولة في خصائص الأرض ، وتقدير الله فيها لحياة البشر ، وإيناعها الخصائص الميسرة لهذه الحياة : أَلَمْ نَجْعُلِ الْأَرْضُ كِفَاتًا . (١٠٠١ تحتضن بنيها وتجمعهم . أَحَبَّاهُ وَأَمْوَاتًا وَ وَجَعْلُنَا فِهَا رَوْسِي شَلْمِحَنَّتٍ .. ثابتات سامقات ، تتجمع على قممها السحب ، وتنحدر عنها مساقط الماء العاب ، أفيكون هذا إلا عن قدرة وتقدير ، وحكمة وتدبير ؟ أفبعد هذا يكذب المكذبون ؟ وَبُلْ يُوْمَئِلُ لَلْمُكَلِّينَ.

٢٩ – ٣٤ – تنتقل الآيات إلى وصف مشهد من مشاهد القيامة ، والكفار ينطلقون بعد طول احتباس إلى العذاب الذي كانوا يكذبون به في الدنيا .

إنه انطلاق خير منه الارتهان والاحتباس: آنطَلِقُواْ إِلَى ظِلَّ فِي ثَلَثْثِ شَعَبٍ. وهو دهان جهنم ينشعب لعظمه تلاف شعب ، وتمتد السنته إلى أقسام ثلاثة كلها أشد من بعض ، ولكنه ظل خير منه الوهج: لا ظَلِيلٍ وَلا يُغْيِيلُ مَن وَلا يُغْيِيلُ بَانه ظل خانق حار لافح ، وتسميته بالظل من باب التهكم والسخرية ، فهو لا يظل من حر ذلك اليوم ، ولا يقى من لهب جهنم . 90%.

إِنَّهَا تُرْمِي بِشَرَرٍ كَٱلْقَمْرِ هَ كَأَلَّهُ، جِمُلْكَ مُفَّرً . أي أن هذه النار يتطاير منها شرر متفرق في جهات كثيرة ، كأنه القصر عظما وارتفاعا ، وكأنه الجمال الصفر لونا وكثرة وتتابعا وسرعة هركة ، وفي اللحظة التي يستغرق فيها الحس بهذا الهول ، يجيء التحقيب المعهود : كَالْ يُوْجُولُ لِلْمُكَذِّينَ .

٣٥ – ٣٧ – هذا يوم لا يتكلمون فيه بحجة نافعة تنقفهم مما هم فيه ، وين كانت لهم حجة لما عُذبوا هذا العذاب ، ولا يؤذن لهم بالاعتذار ولا يقبل منهم ، فالهلاك لمن كذب بعذاب يوم القيامة .

وقد سئل ابن عباس رضى الله عنه عن هذه الآية وعن قوله تعالى : ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمُ ٱلْفِيَاحَةِ عِندُ رَبُّكُمْ تَخْصُمُونَ ، (الزمر: ٢١) . فقال: في ذلك اليوم مواقف ، في بعضها يختصمون ، وفي بعضها لا ينطقون ، أو لا ينطقون بما ينفعهم فجعل نطقهم كلا نطق. (١٠٠٠ . والعرب تقول لمن ذكر ما لا يفيد : ما قلت شيئا .

٣٨ – ٤٠ – هذا يوم الفصل لا يوم الاعتذار، وقد جمعناكم والأولين أجمعين، فإن كان لكم تدبير فيريره، وإن كان تلكم تدبير في هذا تقريح فدبروه، وإن كانت لكم حيلة في دفع العذاب ، وفي هذا تقريح لهم على كيدهم للمؤمنين في الدنيا ، وإظهار لعجزهم وقصورهم حينئذ، فهم في صمت كظيم ، وتأنيب ألهم . والويل الشديد في ذلك اليوم للمكنبين بالبعث والجزاء .

١٤ – ٥٥ – إن المتقين في ظلال حقيقية ، هي ظلال الأشجار على شواطئ الأنهار ، فلا يصيبهم حرّ ولا قرّ ، ويتمتعون بما تشتهيه أنفسهم من الفواكه والمأكل الطيبة ، ومع التكريم الحسي يلقون ألوان التكريم المعنوى ، فيقال لهم على مرأى ومسمع من الجموع : كُلُواْ وَآفَرَ الْإِنَّ هَيْتًا لِهَا كُتُمْ تَعْمَلُونَ . جزاء بما عملتم في الدنيا من طاعة ربكم ، واجتهدتم فيما يقربكم من رضوائه ، فهل جزاء الإحسان إلا الإحسان في الجنة؟ ويمثل هذا الجزاء نجزى كل الذين يحسنون في أعمالهم وأقوائهم ، وشأنهم الإحسان ، ويقابل هذا النعيم الويل للمكذبين .

٢٦ – ٤٧ – كلوا وتمتعوا قليلا في هذه الدار بقية أعماركم ، وهي قليلة العدى بالنسبة للأغرق , وهذاك ستحرمون وتعذبون طويلا : وَبَالْ يُوْجَادُ لِلْمُكَلِّمِينَ .

إن هذه السورة ببنائها التعبيري ، وإيقاعها الموسيقي ، ومشاهدها العنيفة ، ولذعها الحاد ، حملة لا يثبت لها كهان ، ولا يتماسك أمامها إنسان ، فسيحان الذي نزل القرآن وأودعه ذلك السلطان .

مقاصد السورة

من مقاصد سورة المرسلات ما يأتي :

- ١ -- القسم بالملائكة على أن البعث حق ، وأن القيامة آتية .
- ٢ الإخبار عن هلاك القرون الماضية ، ووعيد المكتبين بنفس المصير.
- ٣ المنَّة على الخلائق بنعمة الخلق والتكوين ، وسائر النعم في الأنفس والأفاق .
 - ٤ وصف عذاب المكذبين بما تشيب من هوله الولدان.
- وصف نعيم المتقين وما يلقونه من الكرامة في جنات النعيم ، وبيان عظمة الخالق وكمال
 قدرته .

القسم ومشاهد القيامة



﴿ وَالْمُرْسَلَتِ عُمُّهُ ۞ فَالْمَصِفَتِ عَصْفًا ۞ وَالتَّشِرَتِ نَشَرُ ۞ فَالْمَزِقِتِ فَرَقًا ۞ وَالتَّشِرَتِ نَشَرُ ۞ فَالْمَزِقِتِ فَرَقًا ۞ فَالْمُلِينَةِ ۞ فَإِذَا التَّجُومُ الْمِسَتُ ۞ وَإِذَا السَّمَلُ الْفَيْدِ وَ ﴿ وَإِذَا التَّمُلُ الْفَيْدِ وَهُمُ الْمَسْلُ وَاللَّهُ مُلْ أَفِيْدَ ۞ فَإِذَا الرُّسُلُ أَفِيْتَ ۞ فَإِذَا الرُّسُلُ أَفِيْتَ ۞ فَإِذَا الرُّسُلُ أَفِيْتَ ۞ وَإِذَا الرُّسُلُ أَفِيْتُ إِنَّ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مَا اللَّهُ مَا المُسْلُقَ وَاللَّهُ مَا اللَّهُ مَا اللْمُلُلُ اللَّهُ مَا اللَّهُ مَا اللَّهُ مَا اللَّهُ مَا اللْمُعْمِقُ مِنْ اللْمُعْلِقُ مَا اللْمُعْمَلُ اللَّهُ مَا اللَّهُ مَا اللَّهُ مَا اللَّهُ مَا اللَّهُ مَا اللَّهُ مَا اللْمُعْمِلُ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللْمُعْمِلُ اللَّهُ مِنْ اللْمُعْمِلُ اللَّهُ مِنْ اللْمُعْمِلُ اللَّهُ مِنْ اللْمُعْمِلُ اللْمُعْمِلُ اللْمُعْمِلُ اللْمُعْمِلُ اللْمُعْمِلُ اللْمُعْمِلُولَ اللَّهُ مِنْ اللْمُعْمِلُ اللْمُعْمِلُ اللْمُعْمِلُ اللْمُعْمِلُكُومُ اللَّهُ مِنْ اللْمُعْمِلُ اللْمُعْمِلُولُ اللْمُعْمِلُ اللَّهُ مِنْ اللْمُعْمِلُولُ اللَّهُ مِنْ الْمُعْلِقُولُ اللْمُعْمِلُولُ اللْمُعْمِلُولُ اللَّهُ مِنْ اللْمُعْلِقُولُ اللْمُعْمِلْمُ اللْمُعْمِلُولُ اللَّهُ مِنْ الْمُعْلِقُولُ اللْمُعْمِلُولُولُ اللْمُعْمِلُولُ اللْمُعْمِلُولُ اللْمُعْمِلُولُ الْمُعْمِلُولُ

المقردات،

الـمسرسسلات؛ الملائكة الذين أرسلهم الله لإيصال النعمة إلى قوم ، والنقمة إلى أخرين ، وقيل : الريح .

عسسواسا ؛ متتابعة بعضها في إثر بعض كعرف الديك ، وقيل : عُرفا للمعروف والإحسان .

الماسمات الريح الشديدة ، أو المبعدات للباطل .

الناشرات نشراه الملائكة الناشرات لأجنحتها ، عند نزولها إلى الأرض.

المارقات فرقا ؛ الملائكة تفرق بين الحق والباطل .

هالملقيات ذكرا : الملائكة تلقى الوحى من عند الله ، وتتنزل به على أنبيائه .

عسترا أو أسترا ؛ للإعذار أو الإنذار ، من قولهم : عنره ، إذا أزال الإساءة ، وأنذر إذا خُوف .

طُعِمَ ــــت ا محقت وذهب نورها .

فسنسرجت ، فتحت وشقَّت .

أسب من التساعية من أماكنها بسرعة ، من قولهم : انتسفت الشيء ، إذا اختطفته .

أقسستت عين لها الوقت الذي تحضر فيه الشهادة على أممها.

أجِل بالمُورِيِّ وأمهات.

السقص ل : القضاء بين الخلائق بأعمالهم : إمَّا إلى الجنة ، وإمَّا إلى النار.

ويـــــان ؛ عذاب وخزى .

تمهيده

أقسم سبحانه وتعالى بطوائف من الملائكة ، منهم المرسلون إلى الأنبياء بالإحسان والمعروف ليبلغه للناس ، ومنهم الذين يعصفون ما سوى الحق ويبعدونه ، كما تبعد العواصف التراب وغيره ، ومنهم الذين ينشرون آثار رحمته في النفوس الحيدة ، ومنهم الذين يفرقون بين الحق والباطل ، ومنهم الملقون العلم والحكمة للإعذار والإنذار من الله ، ومن مشاهد القيامة ذهاب ضوء النجوم ، وانشقاق السماء، والتلاع الجبال وسيرها ، وشهادة الرسل على أممها في يوم الفصل والقضاء بين الناس ، وهو يوم عظيم الهول .

التفسيره

١ ، ٢ ، ٣ - وَٱلْمُرْسَلَتِ عُرُقًا و فَالْعَلْمِفَاتِ عَصْفًا و وَٱلنَّشِرَاتِ نَشْرًا .

تعددت الأراء في المراد بالقسم في مدر سورة المرسلات ، وأهم الآراء أربعة :

الأول: الرياس.

الثاني: الملائكة.

الثالث: طوائف الأنبياء الذين أرسلوا بالرحى المحقق لكل خير.

الرابع: أقسم في الأيات الثلاث الأولى بالرياح، وفي الآيات التالية بالملائكة.

والمعنى على أن المقصود بالآيات الثلاث الأولى الرياح كالآتى:

أقسم بالرياح المرسلة متتابعة كعرف القرس ، إذا ذهبت شيئا فشيئا ، وبالرياح التى تُرسل عاصفة لما أُمرت به من نعمة ونقمة .

قال تعالى : وَلِسُلَيْمَ لَنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِى بِأَمْرِهِ إِلَى ٱلْأَرْضَ ٱلَّتِي بَسْرَكْنَا فِيهَا ... (الأنبياء : ٨١) .

كما ترسل الدين للعناب، قال تعالى: فَأَوْسَلْنَا عَلَيْهِمْ دِينَّا صَرْصَوًا فِي آَيَّامٍ تُبِحِسَاتٍ ثَنَايِقَهُمْ عَلَابَ ٱلْعَرْفِي فِي ٱلْحَيِّرُةِ ٱللَّذِيِّةِ ... (فصلت: ١٦).

وَٱلنَّاشِرَاتِ نَشْرًا .

وأقسم بالرياح التي تنشر السحاب، وتفرُّقه في آفاق السماء، كما يشاء الرب عز وجل.

٤ ، ٥ ، ٦ - فَالْفَلْرِ قَلْتِ فَرْقًا ه فَالْمُلْقِينَاتِ ذِكْرًا ه عُذْرًا أَوْ نُلْرًا .

الأظهر أن المراد هنا الملائكة الكرام ، الذين ينزلون بأمر الله على الرُسل ، بما يفرق بين الحق والباطل ، والهدى والفيّ ، والحلال والحرام ، وهذه الملائكة تُلقي إلى الرسل وحيًا مشتملاً على ذكر الله وترحيده ، وبيان عظمته وقدرته ، وبدائع خلقه ، ونظام تشزيعاته ، ومشاهد للقيامة والحساب .

عُلْرًا أَوْ نُلْرًا .

وهذه الملائكة تُلقى هذا الذكر ليكون إعدارًا إلى الخلق ، وإنذارًا لهم وتخويفا من عقاب الله للمكذبين.

إن ما توعدون به من القيامة والحساب والجزاء ، والجنة والنار - واقع وحاصل ومؤكد، وكائن لا محالة ، ولا يستبعد بعض المفسرين أن تكون الآيات القرآنية تشير إلى معنى ، وتستتبع معنى ، وهذا من إعجاز القرآن الكريم .

فالآيات صالحة لأن تكون قسمًا بالرياح المرسلة ، وأن تكون بالملائكة المرسلة ، ويأن تكون الآياتُ الثلاث الأولى قسمًا بالرياح ، والآيات (٤ – ٢) قسمًا بالملائكة ، أو بها ويغيرها ، مثل الكتب السمأوية التي تُغرق بين الحق والباطل، وتشتمل على ذكر الله ، عذرا للمؤمنين ونذرا للكافرين .

كما يمكن أن تكون فيها إشارة إلى رسل الله تعالى ، التى تفرق بين الحق والباطل ، والكفر والإيمان ، والحلال والحرام ، وتلقى آيات الله على عباده ذكرا لهم ، وتذكيرًا بريّهم ، حتى يعنر الله إلى عباده ، وينذر الكافرين .

قال تعالى : رُسُلاً مُبَنِّرِينَ وَمُنادِرِينَ قِنْلاَ يُكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ خُجَّةً بَعْدَ ٱلرُّسُلِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا . (النساء: ١٦٥)

٨ ، ٩ ، ١ - فَإِذَا ٱلنَّجُومُ طُمِسَتْ ، وَإِذَا ٱلسَّمَاءُ فُرِجَتْ ، وَإِذَا ٱلْجِبَالُ نُسِفَتْ .

إذا نهب ضوء النجوم ، وصارت من النجوم القزمة ، وإنا انشقت السماء على غلظها ، وصارت واهية ضعيفة بعد أن كانت قوية متماسكة لا خلل فيها ولا تشقق ، وإذا قلعت الجبال من أماكنها ونُهب بها ، وطارت في الجوّ فلا يبقى لها عين ولا أثر ، واستوى مكانها بالأرض . ويهذا المعنى وردت آيات القرآن الكريم تشير إلى أنه عند نهاية الدنيا يختلُّ نظام الكون.

قال تعالى : وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱلكَلَارَتْ ، (الْتكويد : ٢) .

وقال سبحانه: وَإِذَا ٱلْكُوَاكِبُ ٱلْتَغُرَتُ . (الانفطار: ٢).

وقال عن شأنه : وَآنشَقَّتِ ٱلسَّمَاءُ فَهِي يَوْمَعِدٍ وَاهِيَّةً . (الحاقة: ١٦).

وقال تعالى : وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَاءُ بِٱلْفَصْلِمِ وَلَوْلَ ٱلْمَلَكِكُةُ تَنوِيلاً ه ٱلْمُلْك يُؤْمِنِ أَلْحَقُ لِلرَّحْمَلْنِ وَكَانَ يُوْمًا عَلَى ٱلْكَنْفِرِينَ عَسِيرًا . (الدوان: ٢٦، ٢٧) .

وقال تعالى : وَيَسْتَلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ لَقُلَّ يُسِفِّهَا رَبِّي لَسْفًا . (مله : ١٠٥) .

١١، ١٢، ١٣، ١٤ - وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أَقْتَتْ ، لِأَى يَوْمِ أُجَّلَتْ ، لِيَوْمِ ٱلْفَصْلِ ، وَمَا أَذَرَ سلكَ مَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ .

وإذا جمع الله الرسل ، وجعل لهم وقتا محدَّدا الفصل والقضاء بين كل رسول وقومه ، لتعنيب من كتُب الرسل ، وإثابة من نصرهم وناصرهم .

قال تعالى : يُومُ يَجْمُعُ ٱللَّهُ ٱلرُّ سَلَ فَيُعُونُ مَاذَا أُجِيَّمُ قَالُواْ لَا عِلْمُ قَا إِنْكَ أَلتَ عَلَيْمُ ٱلْغُوبِ . (المائدة: ١٠٩) ثم تسامل القرآن : لماذا لم يقصل الله بين الرسل وأقوامهم هن الدنيا ؟ ولأى وقتر أُجّل هذا الفصل ؟ والاستفهام هذا للتهويل والتعظيم ليوم القيامة .

لِأَى يَوْمِ أُجِّلَتْ . لأى وقت أُجِّل القصل بين الرسل وأقوامهم ؟

لِيَوْمِ ٱلْفَصْلِ ، وَمَا أَدْرَسْكَ مَا يَوْمُ ٱلْفَصْل .

أى: أُجات عقوبة المكتبين بالرسل ، ومثوبة المصدّةين ، ليوم الفصل بين الناس ، وما أعلمك بالهول في يرم الفصل ؟ فالاستفهام للتهويل والتفخيم .

٥ ١ - وَيُلِّ يُوْمَعُدُ لِلْمُكَلِّينَ.

الويل: أكبر والوفي جهدم، تجتمع فيه عصارة أهل النار من القيح والصديد.

يُومَتْكِ. الويل يوم القيامة والعذاب الشديد للمكذبين ، وللكافرين بالله وياليوم الآخر.

الاعتبار والاتعاظ ، والتحدير من الكفر

﴿ أَلَّهُ أَمْلِكِ ٱلْأَوَّلِينَ ۞ ثُمُّ تُنْتِعُهُمُ ٱلْآخِرِتَ ۞ كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ ۞ وَيَلُ يَوْمِهِ لِلْشُكَنِّيِينَ۞ اَلرَّضَلْقَكُمْ مِن تَاوِتِهِ بِنِ۞ فَجَمَلَنَهُ فِ قَرَارِ مَّكِينِ۞ إِلَىٰ فَدَر ۞ فَقَدَرْنَا فَيْعَمَ الْفَنِدُونَ ۞ وَيُلَّ وَمَهِ لِللْهُ كَذِينَ ۞ اَرْتَضَلِ ٱلأَرْضَ كِفَاتًا ۞ أَحْيَاتُهُ وَأَمْوَنَا ۞ وَجَعَلْنَا فِيهَ ادَوَى مَشْلِمِ خَنْتِ وَأَسْمَيْنَكُمْ مَّا مُؤْرَاتًا۞ وَيْلِّ يُوْمٍ فِي الشَّكَذِينَ۞﴾

المضردات:

ألم نسهلك الأولين ؛ كقوم نوح وعاد وتمود.

ثم نتيمهم الأخرين ؛ نسن نتبعهم نظراءهم ، ككفار مكة .

مساء منهسيسين و منى شعيف ذليل ، وهو النطقة .

قسرار مكسين ، مكان حصين حريز ، وهو الرحم .

إلى قسدر معلوم : إلى وقت الولادة .

هـ خـ حريف و قدرنا ذلك وأحكمناه

الأرض كـــشــاتـــا ؛ وعاء ، تضم الأحياء على ظهرها ، والأموات في بطنها .

رواسى شامخات ، جبالاً ثوابت مرتفعات .

مساء فسيراتسا ، حلق عذيا .

التفسيره

١٩ ، ١٧ ، ١٨ ، ١٩ – أَلَمْ تُهلِكِ ٱلْأَوْلِينَ « ثُمْ تُقِعُهُمُ ٱلْآخِرِينَ » كُذَٰ لِكَ نَفَعَلُ بِٱلْمُخْرِمِينَ » وَبُلْ يَوْمَتِهِ لَلْمُكَافِّينَ .

لقد أملكنا المكذبين بالرسل من عهد نوح ، نزل بهم عذابنا المدخر ، والاستفهام هنا للتقرير والتأكيد ، بمعنى : قد أملكنا هلاكا مروعًا كلُّ من كذب الرسل ، مثل عاد وثمود وقارون وفرعون ، وسنهلك كنار مكة ومن أف ً لِنَّهم وسار على شاكلتهم ، وتلك سنتنا نطبعها مع كل مجرم ظالم ، يتعدى حدود لله ، ولا يطبع أوامره ، ولا يجتنب المحرمات .

وَيْلٌ يَوْمَئِدِ لَّلْمُكَدُّبِينَ .

تتكرر هذه الآية عشر مرات في هذه السورة ، كالجرس الذي بينَ في أعقاب كل فقرة ، أي عناب شريد يرم القيامة للمكنبين بالرسل ، المخالفين لأوامر الله وسننه ، ومن سنن الله إهلاك الظالمين .

. ٧ ، ٧٩ ، ٧٧ ، ٧٣ ، ٧٣ ، ٢٤ – آلَمْ اَخْلُقَكُم مِّن مَّاءِ مُعِينِ ه فَجَعَلْنَهُ فِي قَرَارِ مُّكِينِ ه إِلَىٰ قَنْدِ مُّعْلُومٍ. فَقَدَرْنَا فِيغُمُ ٱلْقَلْمُورُونَ ه وَمَنْ يَمْرَئِلِ لَلْمُكَادِّينَ .

يخاطب القرآن الطلق ، ويلوّن في أسلوب الخطاب ، ويدعو الإنسان إلى التفكّر في أصله فيقول : ألم يخلقكم أيها الخلق من ماء ضعيف ، نطفة مزرة ؟

وكلمة : مَّهِمنٍ ، برنة فعيل ، ومادته : مّهن ، أي ضعف ، والميم قيها أصلية .

وأكثر المفسرين ذهب إلى أن معنى: مُهِين ، وضيع حقير ، أما الطبرى شيخ المفسرين فقال: المهين هو الضعيف ، اهـ .

وإذا تأملنا أن الله تعالى كرّم بنى آدم ، رجحنا أن يكون معنى مهين : ضعيف ، أبعد ما يكرن عن المياة والثرّة والحركة ، لولا أن تلفقته يد القدرة الإلهية .

وأتمنى أن نبتعد عن تسمية المني بأنه مهين بمعنى حقير أو نليل ، بل معناه اللغوى ً من مادة مَهُن لا هَانَ ، ومَهَن معناه ضعف، ومهين معناه ضعيف ، وليس المعنى أنه حقير ، وليس معناها هان بمعنى نلّ والمنى مهين بمعنى ضعيف ، أي لولا وضعه فى الرحم فى قرار مكين ، لما كان له وجود ولا حياة ولا شعرخ وتعالر، فلماذا تتكبّر أيها الإنسان على خالقك ، ولولا يد القدرة ما كنت شيئا مذكوراً ؟

قال تعالى : هَلْ أَكَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ ٱلدُّهُ لِلْمُ يَكُنَ شَيُّنَا مَّذْكُورًا . (الإنسان: ١) .

عود إلى التفسير

أَلَم تخلقكم يد القدرة الإلهية من ماء مهين ، هو المنى الذي يخرج من صلب الرجل فيصب في رحم المرأة ؟

فَجَعَلْنَـٰلَهُ فِي قَوَارٍ مُّكِينٍ .

فجعلنا هذا الماء المهين في مكان حريز حصين ، هو رحم المرأة ، المؤهل للمحافظة على هذه النطقة ، حيث تُمسك بجدار الرحم ، وتتعلق به وتتشبت به ، فلا تظت منه ، ثم تتحول إلى مراحل متعددة . إِلَىٰ قَلَدٍ مُّعْلُومٍ . زمن مقدَّر ، وهو وقت الولادة .

فَقَدَرُكَا فَيعْمَ ٱلْقَلْدِرُونَ .

فقدرنا على خلقه بشرًا سويًّا في أحسن تقويم ، معه المقل والإرادة والسمع والبصر، ومزود بالأجهزة البديمة ، مثل: الجهاز الهضمي، والجهاز العصبيي ، والجهاز التناسلي ، والجهاز اللمفاوي .

فَيِعْمَ ٱلْقَلْدِرُونَ .

أنعم وأكرم بقدرة الله وحده ، الذي خلق الإنسان من منيٌّ يمني ، ثم أنشأه خلفًا آخر فتيارك الله أحسن الغالقين .

وَيْلٌ يَوْمَتِدِ لَلْمُكَدِّينَ .

أى: في يوم القيامة الويل والحذاب الأليم للمكتبين بقدرة الله، فهو الذي خلق الإنسان من منى يعنى ، ومَنْ بدأ الخلق قادر على إعادته ، بل الإعادة أهون من البدم، فمن كنَّب بالبعث والجزاء ظله الويل والعناب بومثلا، أي يوم القيامة .

4 ، ۲۹ ، ۲۷ ، ۲۷ ، ۸۸ – أَلَمْ لَمَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَانًا هِ أَحْيَاءٌ وَأَلْقَوْنًا هِ وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوْاسِيَ شَلْمِحَلْتٍ وَأَسْفَيْتَسْلَكُم مَادًا فَرَانًا هِ وَلِإِنْ يُؤْمِلِ لِلْمُكَذِّينَ .

كِفَاتًا: وعاءً.

جعلنا الأرض وعاءً لكم منها تأكلون وتشربون ، وعلى طرقها تسيرون ، وتسكنون دورها ومنازلها ، وجعل الأرض جامعة لأمر معاشكم وتجارتكم وتنقلاتكم، فهى ضامة وجامعة للأحياء على ظهرها ، وللأموات في بطنها ، حيث يدفنون في بطنها ، وتستر الأموات من ررؤسهم إلى أقدامهم .

قال تعالى : ثُمُّ أَمَاتَهُ رَفَأَقْبَرُهُ . (عيس : ٢١) .

أى: أسكنه القبر، وهي نعمة أيُّ نعمة.

قال الشعبي: بطنها لأمواتكم، وظهرها لأحيائكم.

وفى القرآن الكريم يقول الله تعالى : هِنْهَا خَلْفَنْكُمْ وَلِيهَا نُعِدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَازَةً أَخْرَى. (لله: ٥٠)

قال المفسرون:

الكنت: الجمع والضمّ، فالأرض تجمع وتضم إليها جميع البشر، فهى كالأمُّ لهم، الأحياء يسكنون فرق ظهرها في المنازل والدُّور، والأحوات يسكنون في بطنها في القبور. لهـ.

وجاء التنكير للتفضيم كأنه قيل: تكفت أحياءً لا يعدّون على ظهرها ، وتكفت أمواتا لا يُحصرون في بطنها.

وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَلْمِخَلْتٍ ...

جعلنا فيها ثوابت مرتفعات ، فالجبال تثبت الأرض ، وتمسكها من الفوران بسبب الزلازل والبراكين والحمم التي بداخلها .

قال تعالى : وَأَلْقَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ ... (النمل: ١٥).

وَأَسْفَيْنَاكُم مَّآءً قُرَاتًا .

وأسقيناكم ماءٌ عنبا سائفا لذيذا ، والقرآن يمتن علينا بالماء والبساتين والزروع والثمار عقب ذكر الجبال .

قال تعالى : وَٱلْجِبَالُ أَرْسَلْهَا و مَنَكُا لُكُمْ وَلِأَلْعَلْمِكُمْ . (الذازعات : ٣٢ ، ٣٢).

فالجبال تُدبَّت الأرض وتحفظ توازنها ، وإليها يلجأ المُبَّاد والزهاد ، والراغبون في الظوة ، والهاريون من الحياة .

وفي تللها ورؤوسها نجد الثلاج والمياه ، مثل جبل الشيخ في سوريا الذي تعلوه طبقة بيضاء من الثلج ، تذوب في الصيف وتنزل على الوديان فتسقى الزرع ، وتفيد الإنسان والحيران .

قال تعالى: وَجَعَلْنَا مِنَ آلْمَآهِ كُلُّ شَيْءٍ حَيٌّ ... (الأنبياء: ٣٠).

فالماء في البحار وفي الأنهار، وفي العيون والآبار، مصدر حياة ونعمة للإنسان والحيوان والزبعع وسائر الأحياء.

وَيْلُ يَوْمَئِذٍ لَّلْمُكَدِّينَ .

هلاك في يوم القيامة للمكذبين برسل الله ، والكافرين بنعم الله رب العالمين .

ألوان عذاب الكافرين

﴿ اَسَالِتُوٓ اَإِلَى مَا كُشَتُرِهِ - تَكَذِّبُونَ۞ اَسَالِثُوٓ اَإِلَى طِلِّ ذِى ثَلَثِ شُعَبِ۞ لَاطَلِيلِ وَلاَيْعَنِ مِنَ اللَّهَبِ۞ إِنَّهَا تَرَّى بِشَسَرَدِ كَالْقَصِّرِ۞ كَانَّهُ مِمَنكَّ صُغْرُ۞ وَبُلُّ يَمَ بِلِلْهُ كَذِينَ ۞ هَذَا يَوْمُ لاَ يَطِعُنُونَ ۞ وَلا يُؤْذَنُ أَمْمُ فَمَّنَا ذِرُونَ۞ ثَوْلَ يَوْمَ فِلْ الْمَكَذِينَ ۞ هَذَا يَوْمُ الْفَصَّلِّ جَمَعْنَكُمُ وَالْأَوْلِينَ۞ فَإِنْ كَانَ لَكُوكَذَّ فَكِيدُونِ۞ وَيْلَ كَنْ بِيزَالْهُ كَذِينَ۞﴾

المفردات:

ان جهتم.

د الدوائب مد من الله الدوائب .

لا قلط الميسل: غير مظل من الحرّ.

لا يقتى من اللهب ، لا يدقع شيئًا من لهب جهتم ،

ترمى يشرر عنه ما تطاير من النار متفرقًا .

كــــالـــقصــــر؛ كل شررة كالبناء المشيّد في العظم والارتفاع.

كانه جمالة صفر ، كأن الشرر إبلّ سود (وتسمّيها العرب مَسْفرًا) في الكثرة والتتابع وسرعة الحركة واللُّون . لسكتم كسيت : حيلة لاتقاء الخذاب .

التفسيره

٣٩ ، ٣٠ ، ٣١ – آنطَلِقُوٓ أَ إِلَىٰ مَا كُتُمُ بِهِ تَكَذَّبُونَ وَ آنطَلِقُوٓ إِلَىٰ ظِلَ فِي ثَلَثْثِ شَمَبِ و لَا طَلِيلٍ وَلَا يُعْنِى مِنَ آللَف .

أى: سيروا إلى عذاب جهنم التى كنتم تكذّبين بها ، وتستبعدون أن تنالكم ، وتدّعون أنكم قادرون على أن تهزموا حُرّاس جهنم التسعة عشر وتخْرجُوا منها ، فأخبركم الله أنهم ملائكة ، وإذا كلفهم الله يأمر أعطاهم القدرة على تنفيذه .

ٱنطَلِقُوا إِلَىٰ ظِلَّ ذِي ثَلَلْتِ شُعَبٍ .

هناك في يوم القيامة مواقف متعددة ، ومن هذه المواقف العذاب تحت ظلَّ في جهنم ، هذا الطّال ليس بارةً مريحًا ، ولا واقيًا من حر الشمس ، وليس له حيطان وستور تحمي من لهب النار . كما قال تعالى : لا بَارِدٍ وَلَا كُرِيمٍ . (الواقعة : ٤٤) .

فتسميته بالظل من باب التهكم أو المقابلة ، حيث يتمتع المؤمنون بظل ظليل .

قال تعالى : وَهَائِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا ... (الإنسان: ١٤) .

أما الكفار فقال الله عنهم: وَظِلٌّ مِّن يَحْمُومِ ه لا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ . (الواقعة: ٤٢،٤٣) .

إن الظل ألوان من العذاب ، فأحيانًا يكون الظل تحقهم وفوقهم ، قال تعالى : لَهُم مِّن قَوْقِهِمْ طَلَلَ مِّنَ آلثارٍ وَمِن تَعْيِهِمْ طَلَلٌ ... (الدُّمر: ١٦) .

والظلّ في جهنم من كثرته وطوله وقرّته ينشعب إلى ثلاث شعب ، ربما كنانت واحدة فوقهم ، وأخرى تحت أرجلهم ، وثالثة عن يسارهم ، كغانا الله شر الذار وعذاب الذار .

فال تعالى : يَوْمَ يَفْشَاهُمُ ٱلْعَلَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ ... (العنكبوت: ٥٥) .

لاً ظَلِيل وَلَا يُفْنِي مِنَ ٱللَّهَبِ.

إنه ظل خانق يأخذ بالأنفاس ، ويتسبب في شدة العملش ، ولا يحمى من لهب جهدم ، والشمس تلفح الكافرين وتسفعهم ، وتأخذ بأنفاسهم ، أما المؤمنون فيطلون في ظل عرش الله يوم لا ظل إلا ظله .

وذهب بعض المفسرين إلى أن ظلٌ جهنم ينقسم إلى ثلاث شعب شعبة للمنافقين ، وشعبة للكافرين ، وشعبة لعصاة المرّمنين ، وكل شعبة تناسب أصحابها ، وتناسب حجر العذاب الذي يستحقّونه منها .

٣٢ – إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَٱلْقَصْرِ .

الضمير فى : إِنَّهَا ، لجهتم ، وصع عود الضمير عليها مع عدم ذكرها صراحه لأنها تُفهم من السياق ، فالمكذبون لا ينطلقون إلاَّ إلى النار ، أو إلى ألوان من عذابها ، وجهتم ينطلق منها شرر كبير فى حجم القصر ، وهو البناء العالى العظيم ، أن الحصن العنيع .

٣٣ - كَأَنَّهُ جِمَالَتٌ صُفْرٌ .

شبه النشر في كبره وضخامته بالقصر، وقد كان العرب يطلقون كلمة القصر على كلَّ بيت من حجر، وليس من الضروري أن يكون في ضخامة ما نعهد الأن من قصور. وإذا تتابع الشرر أشبه الجمالة الصُّفر في سرعتها وتتابعها وكثرة حركتما.

ومن المفسرين من قال : إن المراد الإبل السود التي تضرب إلى الصفرة.

ورجُح الفخر الرازى أن المراد: الإبل الصفراء، لأن الشرر إنما يسمى شررًا ما دام يكون نارًا، ومتى كان نارًا كان أصغر، وإنما يصير أسود إذا انطقاً، وعندنذ لا يسمى شررًا، ولعل هذا الرأى أقرب إلى الصواب.

والجمالة : جمع جمل ، لحقت بها التاء لتأنيث الجمع .

والمقصود بتشبيه الشرر بالقصر: بهان أن النار عظيمة جنًا.

والمقصود بالتشبيه الثاني: شدة اشتعالها وسرعة أفعالها.

وقانا الله جميعًا شر النار ، وعذاب النار ، آمين .

٣٤ - وَيْلٌ يَوْمَئِدٍ لَّلْمُكَدَّبِينَ .

عذاب شديد يوم القيامة للمكذبين برسل الله وآياته.

٣٥ ، ٣٧ – هَلْذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ﴿ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَلِرُونَ .

في يوم القيامة ساعات متعددة ، في ساعات يُسمح لهم بالكلام ، أو الاعتذار عما فعلوه في الدنيا ، وفي ساعات يعم الصمت الرهيب ولا يُسمح لهم بالكلام ، أو هم من تلقاء أنفسهم قد اشتدت رهبتهم ، وأهرالهم من شدة ما رأوا ، فلاذوا بالصمت .

قال تعالى : وَوَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِم بِمَا ظَلَمُواْ فَهُمْ لَا يَعِظِقُونَ . (التعل: ٨٥) .

قال ابن كثير:

وعرصات القيامة حالات ، والربُّ تعالى يُخبر عن هذه الحالة تارة ، وعن هذه الحالة تارة ، ليدلُ على شدة الأموال والزلازل يومنذ .

وقال القاسمي :

هَلْذًا يُوْمُ لَا يُنطَقُونَ .

أى: بحجة ، أو في وقت من أوقاته ، لأنه يوم طويل ، ذو مواقف ومواقيت ، أو جعل نطقهم كلا نطق ، لأنه لا ينقم لا يسمم . 1 هـ . وقال الحسن: لا ينطقون بحجة وإن كانوا ينطقون ، والعرب تقول: أنت لم تقل شيئًا ، لمن تكلم بكلام غير مفيد.

فلا يذافى ذلك قوله تعالى على لسان المشركين : وَٱللَّهِ رَبُّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ . (الأنعام ٢٣٠).

وقوله تعالى : وَلاَ يَكُتُمُونَ ٱللَّهُ حَليِئًا . (النساء : ٤٧).

وقوله سيحانه : لُمُّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ . (الزمر: ٣١) .

. وَلا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَدُرُونَ .

لا يُسمح لهم بإبداء العذر عما ارتكبوه في الدنيا ، لأنها أعذار مرفوضة ، أو هي كاذبة ، أو أعذار غير موضوعية ، بعد أن قامت الحجة عليهم وثبتت عليهم التهمة .

قال تعالى : لا تَعْتَلِرُواْ قَدْ كَفَرْتُم يَعْدَ إِيمَلْنِكُمْ . . (التوية : ٦٦) .

وقال سيحانه : يَنَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَعْتَلِرُواْ ٱلْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ . (التحريم: ٧).

والمراد أنهم ليس لهم عذر ولا حجة فيما ارتكبوا من المفاسد والمنكرات ، وأنه لا قدرة لهم على دفع العذاب عن أنفسهم .

٣٧ - وَيْلُ يَوْمَعِدِ لُلْمُكَدِّينَ .

عذاب شديد للمكتبين بالوحى والرُّسل والبعث والقيامة .

٣٨ - هَالَمَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ جَمَعْتَلَكُمْ وَٱلْأَوْلِينَ .

يجمع الله الأولين والآخرين في عرصات القيامة ، في وقت واحد ، ومشهد واحد ، جمعهم الحق سبحانه بقدرته .

قال تعالى : وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرْ دَىٰ كَمَا خَلَقْنَكُمْ أَوْلُ مَرَّةٍ ... (الأنعام : ٩٤) .

ويُسمى يوم القيامة يوم الفصل لأن الله يفصل فيه بين الخلائق، ويتميز فيه الحق من الباطل.

جَمَعْنَاكُمْ وَٱلْأَوِّلِينَ .

أي: جمعناكم بقدرتنا يا كفار قريش ، وأمثالكم من المتأخرين على مرّ الدهور في يوم الفصل ، مع. الكفار الأولين ، وهم كفار الأمم المأضية ، في صعيد واحد ، ولجزاء وإحد .

٣٩ - أَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ .

أى: الفطوا ما بدا لكم ، أو إن استطعتم أن تتخلصوا من قبضتى وتنجوا من حكمي فانعلوا ، أو إنْ قدرتم على المكر والتلبيس والحيل فافعلوا ، وأنّى لكم ذلك وقد انقطعت الحيلُ في الدنيا ، وأصبحتم أمام أعين الله الباصرة ، وهو سبحانه لا يخفى عليه شيء ، ولا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء ، وفي ذلك تهديد شديد ، ووهيد أكيد .

٤ - وَيْلٌ يَوْمَتِدٍ لِّلْمُكَدِّبِينَ .

هلاك شديد في ذلك اليوم للمكذبين بآيات الله ووعده ووعيده.

جاء في مختصر تفسير ابن كثير للصابوني ما يأتي :

أخرج ابن أبى حاتم ، عن عبادة بن الصاحت أنه قال : إذا كان يوم القيامة ، جمع الله الأولين والأخرين في صعيد واحد ، ينفذهم البصر ، ويسمعهم الداعى ، ويقول الله : هَلْذَا يَوْمُ ٱلْقَصْلِ جَمَعَتَكُمْ وَالْأَوْلِينَ هَانِ كَانَ لَكُمْ كَيْلَةُ فَكِيلُونِ . اليوم لا ينجر منى جبار عنيد ولا شيطان مريد .

نعيم المتقين ، وتهديد المجرمين

﴿ إِنَّ ٱلْمُتَقِينَ فِ ظِلَالِ وَعُمُونِ ۞ وَفَرَكَهُ مِمَّالِشَّتَهُونَ ۞ كُواْ وَاَشْرَهُواْ هَنِيَتُا بِمَا كُمُتُرُ تَمْمَلُونَ۞إِنَّا كَذَلِكَ بَحْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ۞ وَيْلَّ فَوَمِهِ لِلْتُكَذِينِ َ۞ كُلُواْ وَتَمَنَّمُواْ فَلِلَا إِنَّكُمْ يُجْرِمُونَ ۞ وَلَّلُ وَمَهِ فِي الشُكْلَةِ بِينَ۞ وَإِذَا قِيلَ أَنْهُ ٱلْكُمُواْ لَا يَرْتَمُونَ ۞ وَبَلُّ يَوَمِهِ لِللّٰتِكَذِينِ ۚ ۞ فَإِنَّي حَدِيثٍ بَعْدَهُ وَقِيمُونَ ۞ ۞

المفردات:

مسيسون، أنهار.

مما يشتهون ، مما يتمنون .

هـ تـ يـ شـ ا؛ لا يشوبه سقم ولا تنغيص.

اركسمسوا : صلُّوا . .

حــــنيث ، كلام .

تمهید :

في ختام السورة التي هددت الكافرين ، وقدمت عدة فقرات تحدثت عن أهوال القيامة وهلاك الظالمين ، وخلق الإنسان ، ومشاهد الكرن ، وألوان العذاب في جهنم للكافرين ، تستعرض هنا نعيم المتقين ، وما يتمتعرن به من الظلال والعيون والقواكه ، وألوان التكريم والنعيم .

ثم نعت على الكفار استكبارهم وعنادهم ، وإذا لم يؤمنوا بالقرآن مع نصوع حجَّته ، ووضوح بيانه ، فبأى كلام بعده يصدّقون ؟

لتفسيره

١ ٤ - إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي ظِلْـُـٰل وَعُيُّونٍ .

يتمتع المتقون بظلال الأشجار وظلال القصور، فلا يصيبهم حرَّ ولا قرَّ، ويُمتعون بالعيون والأنهار، ويتنسُّون في دار الخلد والكرامة ، بعكس الكافرين الذين هم في ظل ذي ثلاث شعب ، لا ظليل ولا يغني من اللهب.

وفى سورة يس يقول الله تعالى: إِنَّ أَصْحَلْبَ آلْجَنَّةِ آلْوَمُ فِي شُفُارٍ فَلْكِهُونَ هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلْلْ عَلَى آقَرَائِكِ مُتَكِّرِنَ هَ لَهُمْ فِيهَا فَلْكِهَةً وَلَهُم مَّا يَدْعُونَ . (يس: ٥٥ – ٥٧) .

٤٢ – وَقَوْاكِة مِمَّا يَشْتَهُونَ .

وفواكه كثيرة متنوعة ، مما يستطيبون ويستلنون .

٤٣ - كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ هَنِيتَا إِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ .

أي: يقال للمتقين: كلوا أكلا هنيئًا ، واشربوا من هذه العيون كلما شئتم ، شربًا هنيئًا خالص اللذة ، لا يشويه سقم ولا يكدره تتغيص ، وهو دائم لكم ، لا يزول ولا يورثكم أذّى فى أبدائكم ، وكل ذلك بسبب أعمالكم الصالحة فى الدنيا ، وطاعتكم لله واجتهادكم فى مرضاته .

\$ ٤ - إِنَّا كَلَالِكَ نَجْزى ٱلْمُحْسِنِينَ .

إنا مثل ذلك الجزاء العظيم نجزى كل من أحسن عمله ، واتقى ربُّه .

قال تعالى: إِنَّ ٱلَّذِينَ عَامَتُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا تُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً . (الكهف: ٧٠).

ه ٤ - وَيْلُ يَوْمَتِدٍ لِّلْمُكَدِّبِينَ .

عذاب شديد يوم القيامة للمكذبين بالقرآن ، ويما وعد الله المتقين من تكريم مادى ومعنوى .

٤٦ - كُلُواْ وَتَمَتَّمُواْ قَلِيلاً إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ .

أي : كلوا أيها الكفار ملء بطونكم ، وتمتعوا بشهواتكم في أيام الدنيا ، وهي قليلة بالنسبة للآخرة .

إِنْكُم مُجْرِمُونَ .

لا تستحقون التكريم في الآخرة ، فقد بعتم آخرتكم واشتريتم دنياكم وحظوظكم العاجلة ، فكنتم أشبه بالأنمام التي لا يهمها إلا ملء بطونها وإشباع شهواتها .

قال تعالى : إِنَّ شَرِّ ٱلدُّوآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَهُمْ لَا يُوْمِنُونَ . (الأنفال: ٥٥) .

وقال عز شأنه : قُلُ مُتَلَعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّمَن أَتَّقَىٰ وَلا تُظْلَمُونَ قَبِيلاً . (النساء : ٧٧).

٧٤ - وَيْلُ يَوْمَوْدُ لِلْمُكَدِّينَ .

عذاب شديد للمكذبين بأوامر الله ، قال تعالى : نُمَتُّهُمْ قَلِيلاً ثُمُّ نَضْطُرُهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظ . (اتمان: ٢٤)

٤٨ -- وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرْكَعُواْ لَا يَرْكَعُونَ .

وإذا قبل لهوّلاء الكفار : صلّوا مع المصلين ، واخضعوا لأوامر الله ، وادخلوا في دين الإسلام ؛ أيوا وامتنعوا .

رُوى أن هذه الآية نزلت في ثقيف حين أمرهم النبي ﷺ بالصلاة ، فقالوا : لا نحيو (لا نركم) فإنّها سُبة علينا ، فقال ﷺ : ولا خير في دين ليس فيه ركوع ولا سجود»

ودوى أبن جرير ، عن ابن عباس أنه قال : إنما يقال هذا في الأخرة حين يدعون إلى السجو. فلا يستطيعون ، من جرًاه أنهم لم يكونوا يسجدون في الدنيا .

٤٩ - وَيْلُ يَوْمَعِدِ لَلْمُكَلِّسِنَ .

أى : بأوامر الله ونواهيه .

٥ -- فَبأَى حَدِيثٍ بَعْدَهُ, يُؤْمِنُونَ .

أى: إذا لم يؤمنوا بالقرآن الكريم مع وضوح حجته واكتمال فصاحته وبلاغته ، فيأى كلام يؤمنون؟ وذلك كقوله تعالى: فَإِنَّى خَلِيثَ يُغَدُّ اللَّهُ ، وَإِنْهُ يُؤْمُنُ لَنَّ السَّائِةَ ، ٢)

جاء في تفسير ابن كثير:

رُوى عن أبى هريرة : إذا قرأ : وَٱلْمُرْسَلَسْتِ عُرِّقًا . فقراً : فَإِنِّى خَدِيثٍ يَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ . فليقل : آمنت بالله وبما أذَنَل . أهرجه ابن أبى حاتم .

فضل سورة المرسلات

عن ابن عباس أن لم الفضل سمعته يقرأ: وَالْمُرَسَلْتِ عُرَّاً. فقالت : يا بني ، ذكرتني بقراءتك هذه السورة ، إنها لأهر ما سمعتُ من رسول الله ﷺ يقرأ بها في المغرب (١٠٠٠).

وقد أخرجه الشيخان من طريق مالك عن الزهري.

* * *

وكان الذراغ من تفسير الجزء (الناسع والغشرين) من القرآن الكريم عصر يوم الإثنين ٢٩ من المحرم ١٤٢٢ هـ، الموافق ٢٠/٤/٢٠ ٢م، والحد لله الذي ينمحته تتم الصنالحات، وصل اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ومن تبعهم بلحسان إلى يوم الدين .

الجزء التاسع والعشرون



(١) في ظلال القرآن ٢٩ / ١٨٤ .

(٢) الله والعم الحديث، للأستاذ عبدالرازق نوفل، ص ٥٧.

(٣) بصائر ذوى التمييز في لطانف الكتاب العزيز للفيروز بادي ٢٧٣/١.

(٤) رواه أبو داود والترمذي وحسنه وغيرهما ، وانظر الترغيب والترهيب.

(٥) إن العبد إذا وضع في القبر وتولى عنه أصحابه إنه ايسمع قرع:

رواه البيخسارى فى الجنائز (۱۳۲۸) ومسملم فى الجناة (۱۳۷۰) وابو داود فى الجنائز (۱۳۲۸) فى المنائز (۱۳۲۸) ومسملم فى الجناة (۱۸۷۸) وابو داود فى الجنائز (۱۳۲۸) واجمد فى مسمئنه (۱۸۲۷) من حديث آنس رضى الله عنه، من الذين بها قال: «البعد إذا وضع فى قبر، و تولى وزهب اصحباء حتى إنه ليمسم فرع نمائهم الله ملكان خاقصداه فيقوان الخدم كنت تتولى فى هذا الرجل محمد به فيقوان الخمية الله جند الله ومسوله، فيقال: النظر إلى مقصدك من النار أبينك الله به مقصدا من الجناز الله به مقصدا من الجناز الله به مقصدا من الجناز المسلم في المنازع من المسلم المنازع المنازع المسلم في المنافق فيقول: لا ادرى كنت أقول ما يقول النازل، فيقال: لا أدرى كنت أقول ما يقول النازل، فيقال: لا المنازع من بعض من بعض من بها من إليه الا الثناري، ويقال: والمسلم خفق نمائهم إذا ولواء. الثناني، وأحد فى استدر (۱۳۵۸) من حديث البراء.

(١) والذي ناس محمد بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم:

رواه البخاري في الثقاري (٣٩٧٦) من حديث أبي طلحة أن ثبي الله ﷺ أمر يوم بدر بأريعة وعشرين رجلا من صنابيد قريش فقدُفوا في طوي من أطواء بدر خبيث مخبث، وكان إذا ظهر على قوم أقام بالعرصة ثلاث ليال ظما كان ببير اليوم الثالث أمر براحلته فشد. عليها رحلها ثم مشي واتيمه أصحابه، وقالوا: ما ترى ينطلق إلا تبعض حاجته حتى قام على شفة الركى فجعل يناديهم بأسماتهم وأسماء آباتهم؛ «يا فلان ابن فلان، ويا فلان ابن فلان، أيسركم أنكم أطمتم الله ورسوله، فإنا قد وجدنا ما وعدنا رينا حقا فهل وجدتم ما وعد ريكم حقاء، قال: فقال عمر: يا رسول الله، ما تكلم من أجمعاد لا أرواح لها 9 فقال رسول الله ﷺ: دوائذي نفس محمد بينه ما أنتم بأسمم 1.4 أقول منهم، قال فتادة: أحياهم الله حتى أسمعهم قوله توبيخا وتصفيرا ونقيمة وحسرة وندما. ورواه البخاري في الجنائز (١٢٧٠) وفي المفازي (٤٠٢٦) من حديث ابن عمر قال: اطلع النبي ﷺ على أهل القليب فقال: «وجدتم ما وعد ربكم حقاء ؟ فقيل له: تدعو أموانا ؟ فقال: «ما أنتم بأسمع منهم ولكن لا يجيبون». ورواه مسلم في الجنة (٢٨٧٣) من حديث أنس كنت مع عمر (ح) وحدثنا شيبان بن فروخ واللفظ له حدثنا سليمان بن المفيرة عن ثابت عن أنس بن مالك، قال: كنا مع عمر بين مكة والمدينة فشراءينا الهلال وكنت رجلا حديد البصر فرأيته وليس أحد يزعم أنه رآء غيري قال: فجعلت أقول لممر أما تراه، فجمل لا يراه، قال: يقول عمر: سأراه وأنا مستلق على فراشي ثم أنشأ يحدثنا عن أهل بدر فقال: إن رسول الله ﷺ كان يرينا مصارع أهل بدر بالأمس يقول: «هذا مصرع فلان غدا إن شاء الله»: قال: فقال عمر: فوالذي بعثه بالحق ما أخطأوا الحدود التي حد رسول الله ﷺ قال: هجعلوا في بئر بمضهم على بعض فانطلق رسول الله ﷺ حتى أنتهى إليهم فقال: «يا فلان أبن فلان، ويا فلان أبن فلان، هل وجدتم ما وعدكم الله ورسوله حقا فإني قد وجدت ما وعبنى الله حقاء؟ قال عمر: يا رسول الله، كيف تكلم أجسادا لا أرواح فيها ؟ قال: مما أنتم بأسمع لما أقول منهم غير أنهم لا يستطيعون أن يردوا عليَّ شيئاه. ورواه مسلم في الجنة (٢٨٧٥) من حديث أنس أن رسول الله ﷺ ترك فتلى بدر ثلاثًا ثم أدَّاهم فقام عليهم فناداهم فقال: «يا أبا جهل بن هشام، يا أمية بن خلف، يا عتبة بن ربيعة، يا شيبة بن ربيعة، أليس قد وجدتم ما وعد ربكم حقا فإني قد وجدت ما وعدني ربي حقاء ؟ فسمع عمر قول النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، كيف يسمعون وأني يجيبون وقد جيفوا، قال: دوائذي نفسي بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم، ولكنهم لا يقدرون أن يجيبواء، ثم أمر بهم فسحبوا فألقوا في قلب بدي

(٧) أن يهلك الناس حتى يعذروا:

رواه آبو داود هی الملاحم (۲۲۷) واضعمد هی مسنده (۱۷۸۲۰) من حدیث ابی البختری قال: آخیبرنی من سمع النبی ﷺ بقول - وقال سلیمان: حدشی رجل من اصحاب النبی ﷺ - أن النبی ﷺ قال: دان یهاک الناس حتی یمذروا آو یمذروا من انفسهم».

(٨) مختصر تفسير ابن كثير، بتحقيق محمد على الصابوني، المجدد ٣، ص ٨٧٥.

(٩) تشمة الحديث: «مسبعة يظلهم الله تعالى في ظلة يوم لا ظل الا ظله: إمام عادل، وشاب نشأ في طاعة الله تعالى، ورجل لله يعالى، ورجل لله يعالى، ورجل تعالى، ورجل تعالى، ورجل تعالى وافترقا عليه».

(١٠) مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم:

رواه البيخارى فى الأدب (٢٠١١)، ومعملم فى البر والصلة والآداب (٢٥٨٦)، وأحمد (١٧٦٢٢، ١٧٦٢٢) من حديث النعمان بن بشير فال: قال رسول الله ﷺ: فترى المؤمنين فى تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجمد إذا اشتكى عضو تداعى له سائر جمعدم بالعمهر والحمىء.

(١١) الحرد: الملع.

(١٢) العين تدخل الرجل القير:

قال السيوطى في الدر النثور: وأخرج أبو نعيم في الحلية عن جابر أن النبي ﷺ قال: «العين تدخل الرجل القير والجمل القدر».

(١٣) إن العين لتولع بالرجل:

رواه أحمد هي مسنده (٢٠٧٩٥) من حديث أبي ذر قال: قال رسول الله ﷺ: «إن العين لتولع بالرجل بإذن الله حتى يممد حالقا ثم يتردى منه».

(١٤) كان خلقه القرآن:

رواه مسلم هي أشاء حديث طويل من كتاب مبلاة المسافرين، باب جامع مبلاة الليل، ومن تام عنه أو مرض (٢١٦) عن زراة أن سعد بن هشام بن عامر آزاد أن يغزو هي سبيل الله فقدم المنبئة فاراد أن يبيع عقال له بها، فيجعله في السلاح والكرام، ويجامد الربي عامر آزاد أن يغزو هي سبيل الله فقد أساف من أول المنبئة فهوء عن ذلك، وأخبروه أن السلاح والكرام، ويجامد الربي هي عن ذلك، وأخبروه أن رمطا سنة أزادوا ذلك في حياة نبى الله في هنهاهم نبى الله في وقال إلى يكله في وقال إلى سالم أن المنبئة في وقال النبي كم التي في فقال ابن عباس فيماله عن والمربئ بودها الله في وقال ابن عباس فيماله عن والمربول الله في وقال ابن عباس غمالله عنى المنافذة والمنافذة والمنافذة من المنافذة المنافذة الما المنافذة والمنافذة والمنافذة والمنافذة والمنافذة والمنافذة والمنافذة والمنافذة والمنافذة المنافذة ا

(١٥) خدمت النبي ﷺ عشر مسنين:

رواه البخارى فى الأدبر (٢٠١٨) ومصلم فى الفضائل (٢٣٠٩) والترمذى فى البر والصلة (٢٠٠٥) والقطائه من من حديث أنس قال خدمت النبي ﷺ عشر سنين، فما قال لى أف قطء وما قال لشيء مستمته : لا تشيء تركته : فر تركه، وكان وسول الله ﷺ من أحسن الناص خلقا ولا مسست خزا قط ولا حريرا ولا شيئا كان ألين من كف رسول الله ﷺ ولا شمست مسكا قط ولا عطراً كان أطيب من عرق رسول الله ﷺ قال الترمذي، وفى الباب عن عائدة والبراء، وهذا خديث حسن مصدح.

(١٦) لا يبلغني أحد من أصحابي عن أحد شيئا:

رواء آبو دو أن (لادب (- ٤٨٦) والترمذي هي المناقب (٢٨٩٧ ، ٢٨٩٦ وأحمد هي مسنده (٢٧٥٠) من حديث عبد الله ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: 18 يبلنني آحد من أصعابي عن أحد شيئًا، فإني أحب أن أخرج إليكم وأنا سليم المدو، وقال الترمذي: حديث غريب.

(١٧) إنهما ليعدّبان وما يعدّبان في كبير:

رواه البخارى هى الومنوم (۱۸۷) وهى الجنائز (۱۲۲۱ ، ۱۲۷۸) وهى الأدب (۱۰ ۲) ومسلم هى الطهارة (۲۲۳) والنسائى هى الجنائز (۲۰۲۱) وانسائى هى الجنائز (۲۰۲۱) وانسائى هى الجنائز (۲۰۲۱) وان ماجة هى الطهارة (۲۰۲۷) وارد شديد النبي ﷺ يشهر بين فقال: «إنهما ليمذان وها بين المائز المنائز المائز ال

(١٨) لا يدخل الجنة قتات:

رواء البخارى في الأدب (١٠٥٦) ومسلم في الإيمان (١٠٥) دن حديث همام قال: كنا مع حديشة، فقيل له: إن رجلا يرفع المديث إلى عثبان، فقال له حديثة: مسمت النبي ﷺ يقول - · · خل الجنة قات:».

(١٩) ألا أخبركم يخياركم:

رواه أحمد هى مسنده (٢٧٠٥٢) من حديث أسماء بنت يزيد أن النبي ﷺ قال: الا أخبركم بخياركمه ؟ قـالوا؛ بأس يارسول الله، قال: «النبئ إذا رموا ذكر الله تمالى، ثم قال: «ألا أخبركم بشراركم ؟ المشاعون بالتميمة، المفسنون بين الأحبة، الباغون للبرآم المنت».

(٢٠) فيها ما لا عين رأت:

رواه البخأرى هى بدء الخلق (۲۲۶۶)، وفى التقسير (۲۷۷۹)، وهى التوحيد (۲۲۸۸) وممنلم هى الجنة (۲۲۸۹) والترمذى هى التقسير (۲۱۹۷، ۲۲۹۷)، وابن ملجة فى الزهد (۲۲۲۸)، وأحمد (۲۳۱۵، ۲۸۸۸، ۲۰۱۵)، والدارمى فى الرقاق (۲۲۸۸) من حديث آبى هريرة.

(٢١) يكشف رينًا عن ساقه فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة:

رواه البخارى فى تفسير القرآن (٤٩١٩) وفى التوجيد (٤٤١٠)، ومسلم فى الإيمان (١٨٣) من حديث أبى سعيد رضى الله عنه قال: سمعت التبى ﷺ يقول: ويكشف رينا عن ساقه فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة، فيهقى كل من كان يسجد فى الدنيا رواء وسمعة فيذهب ليسجد فيمود ظهره ملبقا واحداء. ورواء الدارمي في الرقاق (۱۹۰۳) من حديث أبي هريرة قال: سممت رسول الله ﷺ يقول: «إذا جمع الله الدياد في مسيد واحد ندى مناد: الياسق كل قوم بما كلنوا يسبون، فيلسق كل قوم بما كلنوا يعبدون ويبقى الناس على حالهم هيئتهم فيقرول: ما بال الناس نعبوا وأنتم ما هنا 9 فيتولون: فنتشر (لهنا، فيقول: هل تعرفونه ؟ فيتولون: إذا لعرف إينا عرفاء، فيكشف لهم من صافة فيقمون صجوداً هذلك قول الله تمالى: ﴿ يوم يكشف عن ساق ويدعون إلى السجود فلا يستطيعون ﴾ ويبتى كل منافق فلا يستطيع أن يسجد، لم يتونهم إلى الجنة.

(٢٣) تفسير القرآن لأبي المظفر السمعاني (٢٣١ - ٤٨٩ هـ) المجلد السادس من الملك الى الناس، ص ٣٠، دار الوطن للنشر، الرياض.

(۱۳) تلمسير البغوى «معالم التنزيل» للحصين بن مسعود البغوى المتوفى (۱۱۹ هـ) المجلد ۸ ، ص ۲۰۱ دار طبية للنشر والتوزيع بالرياض سلة ۱۶۲۲ هـ.

(٢٤) تفسير المراغى، الجزء ٢٩ ص (٥٥، ٤٦).

(٢٥) إن الله ليملي للظالم، حتى إذا أخذه لم يقلته:

رواء البخارى فى التفسير باب: قوله: ﴿ وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهى ظالمة أن أخذه أليم شديد ﴾ (4-23) ومسلم فى البر والمسلة والآداب، باب: تصريم الظلم (٢٥٨٢) واين ساجة فى الفتن باب المقويات (١٠١٥) عن أبى موسى رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: إن الله ليملى للظالم، حتى إذا أخذه لم يفلته، قال: ثم قرأ: ﴿وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهى ظللة إن أخذه أليم شديد ﴾.

(۲۹) العین تدخل الرجل القبر:
 تقدم تخریجه، انظر هامش (۱۲)

(١٧) تفسير أبي السعود، لقاضي القضاة الإمام أبي السعود محمد بن محمد المعكدي، المتوفي سنة (٩٥١ هـ).

(٢٨) روح المعاني، للعلامة الآلوسي البقدادي، تأسير الجزءين ٢٩ ـ ٣٠، عن ٢٨.

(٢٩) المرجع السابق، وقد استشهد بهذه الققرة التفسير الوسيط بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر ص ١٥٤٦.

(٣٠) أ. كريس موريسون، رئيس أكاديمية الطوم بنيويورك. في كتابه المترجم بعنوان «الطم يدعو إلى الإيمان».

(٣١) انظر بصائر نوى التمييز في تطانف الكتاب العزيز، للقيروزيادي، ١/٤٧٨.

(٣٢) نصرت بالصباء وأهلكت عاد بالدبور:

اه البخارى هى الجمعة (۱۹۰۵) وفى بدء الخاق (۲۰۵۰) وفى أحاديث الأنبياء (۲۴۵٪) وفى الغانى (۲۰۵۰) ومسلم عن مسلاة الاستسقاء (۲۰۰) وأحمد هى مستده (۱۹۵۱) من حديث ابن عباس أن النبى ﷺ قال: «نصرت بالصببا، وأهلكت عاد بالدبوره.

(٣٣) مختصر تفسير ابن كثير، تحقيق مصد على الصابوني، دار الصابوني القاهرة، ص ٥٤٢ مطد ٣.

(٣٤) تفسير القامنمي، تحقيق أ. محمد فؤاد عيدالياقي، المجلد ٧ ص ١٧٠ ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت لبنان.

(٣٥) يعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات:

رواء الترمذي هي صفة القيامة (٣٤٧) من حديث أبي هريرة قال: قال رصول الله ﷺ: بهدرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات، قاما عرض: منال فيدال ومعادر وأما العرضة الثالثة فعند ذلك تطور المسعت في الأيدي قاخذ بيمينة وآخذ بشماله، قال الترمذي: ولا يصح هذا الحديث من قبل أن الحسن لم يسمع من أبي هريرة، وقد رواء بعضهم عن على الرفاعي من الحسن من أبي موسى عن النبي ﷺ.

ورواه ابن ساجــة في الزهد (٢٧٧) وأحــد في مستند (١٩٦٦) من حديث ابن سومس الأشــمــري قــال: قــال رسول الله ﷺ. ومن المنافقة فقد ذلك المنافقة فقد ذلك المنافقة فقد ذلك المنافقة فقد ذلك المنافقة فقد الله المنافقة فقد المنافقة المنا

(٣٦) في ظلال القرآن الجزء ٢٨ من ٢٥٤.

(٣٧) في ظلال القرآن، الجزء ٢١ ص ٢٥٥، الطبعة السادسة، يدون ذكر اسم المطبعة أو تاريخ الطبع.

(٣٨) أنهم يعيشون فلا يموتون أبدا:

ذكره القرطبي هي تقسيره فقال: وهي الصحيح عن النبي ﷺ: «أنهم يعيشون هلا يموتون أبدا، ويصحون هلا يمرضون أبدا، وينممون هلا يرون بؤسا أبدا، ويشبون فلا يهرمون أبدا».

هنسبه للمسجيح ولم أره بهذا اللفظ في المسجيحين ولا السنن، هليحرر.

(٣٩) إن في الجنة مائة درجة:

جزء من حديثه رواه البخاري هي الجهاد والسير (-۲۲۹)، وفي الترحيد (۲۲۹۲)، وأحمد (۲۸۱۳)، واحمد (۲۸۱۳)، ومد من حديث أبي هريزة مرفوعاً : من امن بالله ويرسوله... الحديث، ورواه الترمزي في صفة الجنة (۲۲۹۸)، وأحمد (۲۱۵۸)، من حديث مماذ بن جبل مرفوعاً: من منام رمضان رصلي الصلوات... الحديث، ورواه الترمذي أيشا هي صفة الجنة (۲۵۰۲)، واحمد (۲۸۱۷، ۲۲۲۳)، من حديث عبادة بن الصامت مرفوعاً: وفي الجنة ماثلة درجة...» الحديث، وأشار الترمذي إلى أن حديث مماذ أصع من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنهما.

(٤٠) مختصر تفسير ابن كثير، تحقيق محمد على الصابوتي، المجلد الثالث ص ٥٤١.

(٤١) كلمتان خفيفتان على اللسان:

رواء البخاري هي الدعوات (٢٠٦) وهي الأيمان والنفور (٦٦٨٢) ومسلم هي النكر والدعاء (٢٩٦٤) والترمني هي الدعوات (٢٤٦٧) وابن ماجة هي الأنب (٢٨٠٦) وأحمد هي مسنده (٢١٢٧) من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: مكلمتان خفيفتان على اللسان، تقيلتان هي للهزان، حييبتان إلى الرحمن: سبحان الله المظيم، سبحان الله ويسعده.

(٤٢) في ظلال القرآن ٢٩/٢٩، بتصرف.

(٤٣) في دواية عن ابن عباس أن الذي سأل هو النضر بن الحارث، وفي رواية أخرى عنه قال: ذلك سؤال الكفار عن عذاب الله وهو واقع بهم.

(14) بصائر ذوى التمييز المقير وزيادي ١/ ١٨٠٠، يتصريف.

(10) بتعاقبون أيكم ملائكة بالليل والتهار:

رواه البخاري هي صواقبت المسلاة (600)، وهي التوحيد (٢٤١٩، ٢٧٤١)، ومسلم هي المساجد (٢٢٣)، والنسائي هي المساجد (٢١٣)، والنسائي هي المساجد (٢٤٨٠)، والله في النداء المسلاة (٢٤١٦)، من حديث أبي مدروة بلفظه، بيتمالفيون لهيكم ملائكة باللبايد (٢٤١٠)، والمسلم هي تعمير الدائلة (٢٤١٠)، والدراء النساجد (٢٤١٠)، والدراء المسلم في التساجد (٢١٤)، والدراء المسلم في المسلمة (٢١٥)، وابن ماجة هي المسلاة (٢١٥)، وارحد (٢١١٥)، واحده من وعشرون (٢١٤٥)، والدراء المسلمة في المسلاة (٢٠١٥)، واحده المسلمة في المسلاة (٢٠١٥)، واحده من وعشرون مدينة المسلمة في مسلمة المسلمة في مسلمة المسلمة (٢٠١٤)، واحده من وعشرون درجة على مدلاته اللها وملائكة النهار هي مسلاة المسلمة، يقول أبو هرورة: اقراوا إن شئتم ﴿ وهرآن الفجر إن الفجر كان المفهوداً ﴾

(٤٦) أخرجه الإمام أحمد عن أبي سعيد الخدري.

(٤٧) لا توعى فيوعى الله عليك:

رواء أحمد هي مستند (۲٬۵۰۵) وفي ۲٬۲۷۹) من حديث عائشة أن أثني ﷺ قال: لا توعي فيوعي الله عليكه، ورواء اليطاري في الركاة (۲٬۶۲۶) وفي أنهاية (۲٬۹۰۰ ، ۲۰۱۱) ومسلم في الركاة (۲٬۰۲) وأحمد هي مستند (۲٬۲۲۸ ؛ ۲٬۲۲۸ حيثنا عبدالله بن سعيد حدثنا عبدالله بن نميز حدثنا فشام بن عروة عن فامله عن أسماء أن رسول الله ﷺ قال: رائنتي ولا تحمي فيجمعي الله طيله، ولا توب فيوعي الله عليكه،

(٤٨) شر ما في رجل شح هائع وجين خائع:

رواه أحمد في مستده (٧٩٥٠) وأبو داود في الجهاد (٢٥١١) من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: عشر ما في رجل شع هالع وجبن خالع».

(٤٩) عجباً لأمر المؤمن:

اخرجه مسلم (۲۹۱۹) واللفظ له، وأحمد (۱۸۵۵ه - ۱۸۵۲ه، ۲۳۵۰، ۲۳۶۱۰)، والدارمی (۲۷۷۷)، من حدیث مسهیب این سنان، قال: قال رسول الله ﷺ: دعجها لأمر المؤمن إن أمره كله خیر ولیس ذاك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر فكان خيرا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له».

(a) أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل:

رواه البخارى في الرقاق (١٤٦٤) من حديث عائشة أن رسول الله 囊 قال: صندوا وقاربوا واعلموا أن لن يدخل أحدكم عمله الجنة وإن أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل».

(٥١) اضمنوا لي ستا من أنفسكم:

رواه أحمد (٢٢٢٥١)، من حديث عبادة بن الصامت.

(٥١) صفوة التقاسير، محمد على الصابوني، المجلد الثالث ص ٢٤٤.

(٥٣) ابن آدم أنى تعجزني وقد خلقتك من مثل هذه:

رواء أحمد هي مسنده (۱۷۲۸۷) واين ملجة هي الوميايا (۱۷۰۷۷) من حديث بصر بن جحاش القررشي أن النبي ﷺ بعق يوما هي كفه فوضع عليها أصبحه ثم قال: وقال الله: ابن أدم أني تعجزني وقد خلقتك من مثل هذم حتى إذا مريئك وعدائم مشيت بين بردين وللأرض ملك وثيد، هجمعت ومنت حتى إذا يلفت التراقي قلت أتصدق، وأنى أوان المدفقة.

(١٥) في ظلال القرآن، الجزء ٢٩ ص ٢٠١.

(۵۵) انظر تفسیر این جریر، وعامسیر این کثیر.

(٥٦) تفسير المراعى، الجزء ٢٩ ص (٨٧، ٨٨).

(٥٧) في ظلال القرآن ١٥١/٢٩.

(٨٥) إن هذا المال خضرة طوة:

رواء البخارى في الجهاد (٢٨٤٢) وابن ماجة في الفتن (٢٩٤٩) من حديث أبي مدعيد الخدري رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قام على المنبر فقال: «إنما آخشى عليكم من بعدى ما يفتع عليكم من بركات الأرض»، ثم ذكر زهرة النيا فيديا بإحداهما وشي بالأخرى، فقام رجل فقال: يا رسول الله، أو يأتي الغير بالشر ؟ فسكت عنه النبي ﷺ هتا: يوحى الهه، وسكت الناس كان على روسهم العلين ثم إنه مميع عن وجهه الرحضاء فقال: «أين السائل آنشا وغير مورة ثالاذا وإن الخير لا يأتي إلا بالخير وإنه كلما ينبت الربيع ما يقتل حيطاً أو يلم إلا آكلة الخضر كلما أكاد حتى إذا امتلات خاصرتاها استقبلت الشمص فتلطت وبالت ثم رتحت، وإن هذا المال خضرة طوة وقم صماحه المال المناسفة فيحلة في سبيل الله والبتامي والمساكين وابن المدييل، ومن ثم يأخذه بحقة فهو كالأكل الذي لا يشبع ويكن عام شجيدا يوم القيامة.

(٥٩) أخوف ما أخاف عليكم ما يخرج الله لكم من زهرة الدنيا:

رواه مسلم هى الزكاة ((٥٠) من حديث أبي سميد الخدرى أن رسول الله ﷺ قال: داخوف ما أخاف عليكم ما يخرج الله على مسلم من زهرة الدنيا ، فالواء وما زهرة الدنيا يا رسول الله و قال: «بركات الأرض». قالوا: يا رسول الله وهل يأش الخير بالشرة فالن دلا يأتى الخير إلا يالخير، لا يأتى الخير الأ بالخير، في الما النبت الخير المنظمة أو يا المنظمة المنظم

(٦٠) ما القاتر أغشى عليكم:

رواه البخاري (۲۱۵۸، ۲۱۵۸) ومسلم (۲۹۹۱) وأحمد (۱۸٤٣٦) والترمذي (۲۶۲۲) من حديث عمرو بن عوف.

(١١) التفسير المنير، أ. د وهية الزحيلي، الجزء ٢٩ ص ١٧٠.

(٦٢) أمرت أن أسجد على سبعة أعظم:

رواه البخارى هى الأذار (١٨٢) ومسلم فى المسارة (١٤٠٠) من حديث ابن عباس رضى الله عنهما قال: قال النبي ﷺ «أمرت أن أسجد على سبمة أعظم: على الجبهة – وأشار بيدم إلى أنفه – واليدين والركبتين وأطراف القدمين ولا نكفت الثياب والشمر».

(١٣) من سمع رجلا ينشد ضالة في المسجد:

رواه مسلم هي المباجد (٧٦٧) وابو داود هي المملاة (٤٧٣) وابن ماجة هي الساجد (٣٧٧) من حديث أبي هريزة قال: قال رسول الله ﷺ: من سمع رجلاً ينشد ضالة هي المسجد هايقل: لا ردها الله عليات فإن المساجد له بنن لهذات وزراء التسائلي في المساجد (٧١٧) من حديث جابر قال: جاء رجل ينشد شالة هي المسجد فقال له رسول الله ﷺ: ولا وجدت،

(٦٤) اعملوا فكل ميسر لما خلق له:

. وراه البخارى في تقسير القرآن (۴۶٤٩)، في الترجيد (۲۵۹)، ومسلم في القدر (۲۲۲)، ۲۲۴)، والترمذي في القدر (۲۱۲7)، وفي القصير (۲۲۱۱)، وابر داود في السنة (۲۰۹)، وابن ماجة في للقدمة (۲۸۱ ۱۸)، وفي التجارات (۲۱۲۲)، وأحمد (۲۲، ۲۲۲، ۲۰۲۲) من حديث على، وعمر، وعمران بن الحصين، وأبي حديد، وسراقة، وإبي بكر الصديق.

(١٥) ما المسئول عنها بأعلم من السائل:

رواه البخاري في الإيمان (٥٠) وفي التفسير (٤٧٧٧) ومسلم في الإيمان (٩٠،١) والنسائي في الإيمان (٤٩٨١) وابن ماحة في المقدمة (٦٣) وفي الفتن (٤٠٤٤) من حديث أبي هريرة قال: كان النبي ﷺ بارزا يوما للناس فأتاه جيريل فقال: ما الإيمان؟ قال: «الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ويلقائه ورسله وتؤمن بالبعث». قال: ما الإسلام؟ قال: والاسلام أن تعبد الله ولا تشرك به شيئًا، وتقيم الصلاة، وتؤدى الزكاة المروضة، وتصوم رمضان». قال: ما الإحسان ؟ قال: «أن تعبد الله كأنك تراه قإن لم تكن تراه فإنه يراك». قال: متى الساعة ؟ قال: «ما المسئول عنها بأعلم من السائل، وسأخبرك عن أشراطها: إذا وللت الأمة ربها وإذا تطاول رعاة الإبل البهم هي البنيان هي خمس لا يعلمهن إلا الله ثم ثلا النبي ﷺ ﴿ إِن الله عنده علم المساعة... ﴾ الآية. ثم أدبر فقال: «ردوه» فلم يروا شيئًا فقال: «هذا جبريل جاء يعلم الناس دينهمه. قال أبو عبدالله: جمل ذلك كله من الإيمان، ورواه مسلم في الإيمان (٨) وأحمد في مسنده (١٨٥) وأبو داود في السنة (٤٦٩٥) والترمذي في الإيمان (٢٦١٠) وابن ماجة في المقدمة (٦٣) من حديث عمر ر: الخطاب قال: بينما نحن عند رسول الله ﷺ ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد صواد الشعر لا يرى عليه أثر المنفر ولا يعرفه منا أحد حتى جلس إلى النبي ﷺ فأسند ركبتيه إلى ركبتيه ووضع كفيه على شخذيه وقال: يا محمد، أخبرني عن الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: «الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتى الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاه. قال: ممدقت، قال: همجبنا له يسأله ويصدقه، قال: فأخبرني عن الإيمان، قال: «أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقمر خبره وشره، قال: صدقت، قال: فأخبرني عن الإحسان، قال: «أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك» قال: فأخبرني عن الساعة، قال: «ما المسئول عنها بأعلم من السائل»، قال: فأخبرني عن أماراتها قال: «أن تلد الأمة ريتها وأن ترى الحفاة المراة المالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان، قال: ثم انطلق فلبثت مليا ثم قال لي: ويا عمر، أتدرى من السائل، ؟ قلت: الله ورسوله أعلم، قال: «فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم».

(٦٦) أنت مع من أحبيت:

رواء البخاري هل المناقب (۱۳۸۸) ومسلم هن البر والمملة (۱۳۲۹) من حديث أنس رضى الله عنه أن رجلا سال البر، ﷺ هن الساعة فقال: مثن المساعة قال: وهذا اعديث بها، ؟ قال: لا شرع، إلا أني أحب الله ورسوله ﷺ فقال: «الته مع من أحبيت»، قال أنس: فما ضرحنا بشرع، فرحنا بقول النهي ﷺ، «أنت مع من أحبيت»، قال أنس: ظائلاً أحب النبر، ﷺ وابا بكر وصدر وأرجو إن أكون معهم بحين إياهم وإن لم أحمل بعش أعمالهم.

(١٧) تفسير القرطبي، المجلد الثامن، ص ٧٠٠٨.

(٦٨) تضبر القرطبي، المجد الثامن، ص (٧٠٠٩ ، ٥٠٠٠) دار القد العربي، العباسية القاهرة.

(١٩) ورد ذلك المعنى في الصحيحين.

(٧٠) ليس منا من ثم يتفن بالقرآن:

رواه البنخارى هى التوجيد (۲۵۳۷) من حديث ايى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: اليس منا من لم يتنن بالقرآن، وزاد غيره: ويجهر بهه، ورواه آبو داود هى المسلاة (۱۶۲۹، ۱۶۲۱) والدارى هى المسلاة (۱۴۹۰) وهى هضائل القرآن (۲٤۸۸) وأحمد هى مسنده (۱۲۷۹) من حديث سعد بن آبى وقاص أن رسول الله ﷺ قال: دليس منا من لم يتنن بالقرآن،

(٧١) لقد أوتيت مزمارا من مزامير أل داود:

رواه البخارى فى فضائل القرآن (٥٠٤٨) ومسلم فى صدادة المساهرين (٧٩٣) والترمذى فى المناقب (٣٨٥) من جديث آبى موسى رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال له: «يا أبا موسى، ثقد أوقيت مزمارا من مزامير آل داوده.

(٧٢) ينزل عليه الوحى في البوم الشديد البرد:

رواه البخارى هى بدء الوحى (٢) والترمخدى هى الثاقب (٢٦٢٤) من حديث عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها إن العمال ال العارث بن هشاء رضى الله عنه سال رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، كيف يأتيك الرحى ؟ فقال رسول الله ﷺ، الله وأحيا احياناً يأتيني مثل مناصلة الجرس وهو آشده على فيقصم عنى وقد وعيت عنه ما قال، وأحيانا يتمثل في الملك رجلاً هيكا هيكامنى قاعي ما يقول، قالت عائشة رضى الله عنها: واقد رايته ينزل عليه الوحى هى اليوم الشديد البرد فيقمهم عنه وأن جينية ليتمثل عنه المورد هى اليوم الشديد البرد فيقمهم

(٧٣) ينزل رينا تبارك وتعالى كل ليلة:

رواه البخاري هي الجمعة (۱۱۶۵)، وهي الدعوات (۱۲۲۱)، وفي التوحيد (۲۰۱۵)، ومسلم هي مسلاة المساهرين (۲۰۵۸)، وابعد الرواد في المسلاة (۱۲۰۵)، وابعد داود هي المسلاة (۱۲۰۵)، وابعد داود هي المسلاة (۱۲۰۵)، وابعد نتائج (۱۲۰۵)، وابعد داود هي المسلاة (۱۲۰۱)، ولادا المسلاة (۱۲۰۱)، وابعد داود هي المسلاة (۱۲۰۱)، والدراد (۱۲۰۸، ۱۲۰۰۰)، وابدرادي هي المسلاة (۱۲۰۱)، واحمد (۱۲۰۲۰، ۱۲۰۸، ۱۲۰۰۰)، من مديت المسلاة (۱۲۰۸، ۱۲۰۰۰)، من حديث من المسلاة (۱۲۰۸، ۱۲۰۰۰)، من حديث المسلاة (۱۲۰۰)، من حديث داود المسلمة المسلاة (۱۲۰۰)، من حديث داود المسلمة المسلمة (۱۲۰۰)، والمسلمة (۱۲۰۰)، من حديث المسلمة المسلمة (۱۲۰۰)، (۱۲۲۰، ۱۲۵۱)، من حديث دايث المسلمة من المسلمة من حديث المسلمة ال

(٧٤) عليكم بقيام الليل فإنه دأب الصالحين قبلكم:

رواء الشرمذى هى الدعوات (٢٥٤٩) من حديث بلال أن رسول الله ﷺ قال: «عليكم بقيام الليل هزانه دأب المسالحين هلكم، وإن قيام الليل قرية إلى الله ومنهاة عن الإثم، وتكفير للسيئات، ومطردة للداء عن الجسده.

قال الترمنني؛ هذا حديث غريب لا نمرقه من حديث بلال إلا من هذا الوجه ولا يمنع من قبل إسناده، قال! مسمعت محمعد بن محمدان وقد محمعد بن محمدان وقد محمعد بن محمدان وقد محمعد بن محمدان وقد ترك منا يقول: محمد القرضي هو محمعد بن محمدان وقد ترك من المن المنولاني من أبي أمامة من ترك الله يقول المنافقة بن يرك من المنافقة بن المنافقة بن المنافقة بن المنافقة بن المنافقة بن يرك من الله يقول المنافقة بن يرك من المنافقة بن المنافقة

(٧٥) في ظلال القرآن، يتصرف واختصار.

(٧٩) انظر تفسير القطيب، الجزء الرابع، تفسير سورة المزمل. وفي ظلال القرآن ١٩٠/١٨٠.

(٧٧) جاورت بحراء قلما قضيت جوارئ:

رواه البخارى في تقسير القرآن (٤٣٣) ومسلم في الإيمان ((١٦) من حديث يحيى بن أبي كثير قال: سألت أبا سلمة المن عبدالرحمن عن أول ما ذول من القرآن قال: ﴿ يا أبها المنشر ﴾ قات: يقولون: ﴿ إقرا بأسم ريك الذي خلق ﴾ فقال أبو سلمة سالت جادر بن عبدالله رسك الله عنه من ذلك بوقت له مثل الذي تقت: فقال جابر: لا أحدثك إلا ما حدث رسول الله ﷺ قال: حجاورت بحراء قلما فضيت جوارى هبعلت فتوديت فنظرت عن يعيني فقم أن شيئا ونظرت عن شمالي فقم أن شيئا ونظرت عنى شمالي فقم أن شيئا ونظرت عنى شمالي فقم أن شيئا ونظرت عنى معالي فقم أن شيئا ونظرت المني فقات داروني وصبوا على ماء بازداء قال: فنزلت ﴿ يا أيها المنشر. قم فائذت داروني وصبوا على ماء بازدا قال: فنذاروني وصبوا على ماء بازداء قال: فنزلت ﴿ يا أيها المنشر. قم فائذت داروني وسبوا على ماء بازداء قال: فنذاروني وصبوا على ماء بازداء قال: فنذارك ﴿ يا أيها المنشر. قم

(۷۸) تكر بعض المفسرين تبعا المترمخشري أن الذين أسلموا : (خالد ، وعمارة ، وهشام) ، والصحيح أنه الوليد ، أما عمارة أوله مات كافراً . انظر صطوة التقاسير للصابوني تقلاً عن حاشية الشهاب ٢٧٤/٨ .

(٧٩) يؤتى بجهتم يومئذ لها سيعون ألف زمام:

رواه مسلم في الجنة (٢٨٤٢) والشرصائي في صيفة جهتم (٢٥٧٣) من حديث عبدالله بن مسمود قبال: قبال رسولها في الله على رسول الله ﷺ: ويؤتي بجهتم يومثن لها سبمون ألف زمام، مم كل زمام سيمون ألف ملك يجرونهاء.

(٨٠) إلى أرى ما لا ترون وأسمع ما لا تسمعون:

رواه الترمذى فى الزهد (۱۳۱۳) وابن ماجة هى الزهد (۱۹۰۰) وأحدم ضى مسئده (۱۳۱۰) من حديث ابى فر قال: قال رسيل الله ﷺ: انى أرى ما لا ترون واسمع ما لا تسمعون، إن السماء أملت وحق لها أن تلف ما هيها موضع أربع أماماج إلا وملك واضح جبهته ساجدا لله، والله ثو تعلمون ما أعلم انشحكتم قليلا ولبكيتم كليرا وما تلذنتم بالنساء على الفرضات، ولفرجتم إلى الصحدات تجارون إلى الله، والله لودنت أنى كنت شجرة تعشده، وقال الترمذي: حسن غريب.

(۱۸) فى ظلال القرآن البزء ۲۹ ، ص (۱۲ ، ۱۹۳) بتلخيص وتصرف، الطبعة السائسة، بدون ذكر اسم المطبعة. والفالب أنها طبعة مصورة فى بيروت ثم ثم تذكر اسمها.

(٨٢) أنا أهل أن أتقى ضن اتقانى:

رواه أحمد هي مسنده (۱۲۰۲۲) والترمذي هي تقسير القرآن (۲۳۲۸) وابن ملجة في الزهد (۱۲۰۲۹) والدارمي هي الرقاق (۲۳۱۶) من حديث أنس بن مالك عن رسول الله ﷺ إنه قال هي هذه الآية ﴿هو أهل التقوى وأهل المففرة﴾ فال: «قال الله عز وجل: أنا أهل أن أتهي فين التقاني فلم يجل ممي إلها فانا أهل أن أغفر له».

قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب، وسهيل ليس بالقوى في الحديث، وقد تفرد بهذا الحديث عن ثابت.

(٨٢) لم تزل قللتهم (بدون ختان).

(٨٤) إذا أنزل عليه القرآن يحرك به لسانه:

رواء البخاري هي بدء البحى (ه) وهي التفسير (۱۹۲۷، ۴۵۲۸) وهي فضائل القرآن (£2۰۰) ومسلم هي الصلاة (£4) والترمذي هي تقصيبر القرآن (۲۲۳۱) من حديث ابن عباءى قال: كان رسول الك ﷺ إذا آذرل عليه القرآن يحرك به أسانه يريد أن يحفظه هاتران الله: ﴿ لا تحرك به اسانك التمجل به ﴾ قال: فكان يحرك به شفتيه، وحرك مشيان شفته، قال ابو عيسي: هذا حديث حدن صعيح.

- (ه،) قال تمثلي: ﴿ولما جاء موسى لموقاتنا وكلَّمه ربه قال رب أرنى أنظر إليك قال لن ترانى ولكن لنظر إلى الجبل فإن استقر عكالية فسوف ترانى قلماً كهل ربه للجبل جمله دكا و شر موسى صحفا قلما أفاق قال سبحانك تبت إليك وأنا أولَّ المؤمنين﴾ (الأعراف: ١٩٣٪)
 - (٨٦) أشرجاء في الصعيمين.
 - (۸۷) رواه البخاري ومسلم.
 - (٨٨) رواه مسلم.
 - (٨٩) أخرجه أحمد والترمذي.
 - (٩٠) مفتصر تفسير ابن كثير، بتحقيق محمد على الصابوني، المجلد الثالث ص ٧٧٥.
 - (٩١) تفسير التيمنايوري بهامش تفسير الطيري ١٠٩/٢٩.
 - (٩٢) تقسير المراغى، للأستاذ أحمد مصطفى المراغى ١٦٤/٢٩، وانظر تفسير التسفى ٢٣٨/٤.
 - (٩٣) تقسير المراغى ٢٩/٢٩.
 - (٩٤) تقمين النصفي ٤/٢٢٨.
 - (٩٥) تقسير الطيري ١٣٧/٢٩.
 - (٩٦) مختصر تلسير ابن كثير، تحقيق محمد على الصابوني، المجلد الثالث ص ٥٨٤.
 - (٩٧) إنما الأعمال بالنيات:
 - . رواه البخاري (1 174، 177) ومسلم في كتاب الإسارة (٢٥٠٠)، والدرمدي هي كتاب هضائل الجهاد ((١٥٥١) والدورمدي هن كتاب الطلاق (١٩٧١) وهي العلمان والنصاق في كتاب الطلاق (١٨٣٤) وهي النطاق والنصائل وفي كتاب الطلاق (١٨٨١)، وابن ماجة في كتاب النجر (١٨٤٧) وأحد هي معنداء (١٨٤٠) من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه على اللبر قال: مسمت رصول الله ﷺ يتوان «إنما الأعمال بالبنات»، وإنما لكل أمرئ ما فوي، همن كانت هجرته إلى ما هاجر إليه، ونا عامير الله المرات المالية الإليان المناب المنا
 - (۹۸) اعملوا آکل میسر ثما خاق له: تقدم تخریجه، انظر هامش (۲۶)
 - (٩٩) مختصر تفسير ابن كثير، تحقيق محمد على الصابوتي، المجلد الثالث ص ٥٨٥.
 - ا (١٠٠) في ظلال القرآن ٢٩/ ٢٣١ ، يتصرف.
 - (١٠١) تفسير الطهري ١٤٣/٢٩ مطبعة بولاق، الطبعة الأولى، ١٣٣٩هـ.

(١٠٠١) الكفات: ما يكفت، أي يضم ويجمع.

(١٠٣) في الشعر العربي:

والستجير بمُمّر عند كريته كالستجير من الرمضاء بالنار

والرمضاء مى الرمل الساخن من شدة الحر، اى من قصد عَمْرًا وهو فى كرية ظان يجد ما يخفف عنه، بل مبيجد ما يزيده الله وينقله الى ما هو أشد، كمن ينتقل من حرارة الرمال إلى حرارة النار. وكذلك الكفار ينتقلون من حرارة المشر إلى ظل خانق لا يعمى من الحرَّ ولا يقى من الثار، وهو ظل مؤلم لا مريح.

- (١٠٤) تقسير التعنقي ٤/٢٤٢ ، ٢٤٣.

(م.١) يا يني والله نقد ذكرتني بقراءتك هذه السورة:

رواه البخارى فى الأذان (٧٣٣) ومعنلم فى الصلاة (٤٦٣) وأبو داود فى الصلاة (١٨٠) وأحمد فى معنده (٢٣١٤) من حديث ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال: إن أم القضل سمعته وهو يقرأ: ﴿ وللرصلات عرفا ﴾ فقالت: يا بنى والله لقد ذكرتمى بقراءتك هذه السورة إنها لأخر ما سمعت من رسول الله ﷺ يقرأ بها فى المغرب.

* * *

تم بحمد الله تخريج أحاديث وهوامش الجزء (التاسع والعشرين)

محتويات الكتاب

رقم الصفحة	أول الآيات	رقم الآية
09.61	تفسير سورة الملك	-
9444	أهداف سورة الملك	_
٥٩٨٨	﴿ تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير	١,
٥٩٨٨	﴿ الَّذِي خُلُقَ الْمُوتَ وَالْحِيَاةَ لِيَبْلُوكُمْ أَيْكُمْ أُحْسِنَ عَمَالًا﴾	۲
٥٩٨٨	﴿اللَّذِي حُلِقَ سَبِعَ سَمَاوَاتَ طَبِاقَسَا﴾	۳
٥٩٨٨	♦ البصر كرتين ينقلب إليك البصر . ♦ البصر كرتين ينقلب إليك البصر . ♦ البصر . ♦ البصر البصر كرتين المنقلب البيك البصر . ♦ البصر البين الب	٤
٥٩٨٨	﴿ وَلَقَدَ زَيْنًا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوماً	
0997	﴿ واللذين كفروا بربهم عذاب جهنم ويئس المصير.	٦
0995	﴿ إِذَا ٱلقَوَا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِي تَفُورٍ.﴾	٧
0997	﴿تكاد تميز من الغيظ كلما ألقى فيها فوج﴾	٨
0995	﴿ قَالُوا بِلَى قَدْ جِاءِنَا نَذِينَ فَكَنْهِنَا وَقَلْنَا	١ ٩
0998	﴿ رقالوا لو كنا نسمع أو تعقل ما كنا في أصحاب السعير .	١٠٠
9998	﴿ فَاعَدُرِهُ وَا يَذْنَبُهُمْ فَسَحَقًا لأَمْنِصَابُ السَّعِيرِ.﴾	- 11
۵۹۹٦	﴿ إِنْ الدِّيسَ يَسْخَشُونَ رَبِيهِم يَسَالُـ قَيْبِ لَهُمْ مَعْفَرَةُ﴾	17
0997	﴿ وأسدروا قدوا حكم أو اجهدروا بده	14
0997	﴿ أَلا يَسْعَلَمُ مَنْ هَلَقَ رَصْوَ النَّاعِلَيْفَ النَّهَيْرِ.﴾	18
0997	﴿ هو الذي جعل لكم الأرض ثلولاً فامشوا في مناكبها﴾	١٥
0994	﴿ أَأَمِنْتُمْ مِنْ شِي السَّمِنَاءَ أَنْ يَنْفُسِفْ بِكُمُ الأَرْشِ﴾	17
0994	﴿ أَمَ أَمَنْتُمْ مِنْ فِي السَمَاءُ أَنْ يَرَسُلُ عَلَيْكُمْ صَاصِبًا﴾	17
۵۹۹۸	﴿ ولقد كذب الذين من قبلهم فكيف كان نكير. ﴾	1.4
0998	﴿ أَوْ لَمْ يَدُوا إِلَى الطير فَوقَهُمْ مَسَافَنَاتَ وَيَقْبَضُنَّ﴾	- 11
7	وأمن هذا الذي هو جند لكم ينصركم من دون الرحمن	٧٠
7	﴿أُمْسِنْ هَسِدًا الَّذِي يَسِرِزَقْسَكُمْ إِنْ أُمْسُكُ رِزْقْبِهُ﴾	17
٦	﴿ أَفْمَنْ يَمْشَى مَكِبًا عَلَى وَجِهِهُ أَمْدِى أَمِنْ يَمْشَى سَوِيا ﴾	77
7	﴿ قَالَ هِـ وَ الَّذِي أَنشَأُكُم رَجِعَلَ لَكُمُ السَّمِعُ وَالْأَيْصَارِ ﴾	74
7	﴿ قَالَ هَا وَالَّذِي نَرَأُكُمْ فَايِ الأَرْضُ وَإِلَّيْهُ تَاحَشَّرُونَ . ﴾	78
7	﴿ ربيق ولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين . ﴾	70

رقم الصفحة	أول الآيات	رقم الآية
7	﴿ قَلَ إِنْمَا الْعَلَمُ عَنْدَ اللَّهُ وَإِنْمَا أَنَا نَذَيْرَ مَبِينَ . ﴾	77
7	﴿ فعلما رأوه زلفة سيئت وجوه الذين كفروا	77
7008	﴿ قِلْ أُرأيتم إن أهلكني الله ومن معى أو رحمنا	YA
3 5	﴿ قبل هنو السرحيمين أمينيا بنه وعسلينه تنوكسلينيا ﴾	74
3	﴿ تَسِلُ أَرَابِ تَسِمُ إِنْ أَمِسِ بِسِحَ مِسَانِكُمْ غَسُوراً ﴾	٣٠
7	خارصة ما اشتملت عليه سورة الملك	_
7009	تضبير سورة القلم	_
7-1-	أهداك سورة القلم	_
7.17	تمهید .	_
7.17	ون والقلم وما يسطرون.	١ ،
7.17	﴿ ما أنت بنعمة ربك بمعجنون .	۲
7-14	﴿ وَإِنْ لِكَ لاَّجِــــرَا غَـــــيــــر مــــمــــــــــــون .﴾	٣
7.17	﴿ وإنك العمالي خطيق عبظ يمم ﴾	٤
7-14	<u>(نست سیم رود یم بین</u>	٥
7-17	﴿ بِأَيْدِ كَمِ الْمُعَادِّ فِي نَا ﴾	٦
7.17	﴿إِنْ رِيكِ هِو أَعِلْمَ بِمِنْ صَلَّ عِنْ سِيلِهِ وَهِو أَعِلْمَ بِالْمَهِتَدِينَ.﴾	٧
7.71	﴿ فَ لَا تَ الْمُ سَعِ السَّمِ الْمُ ا	٨
7.71	﴿ودوا لـــو تــدهـــن قــيدهـــن ٠٠٠	4
7.71	﴿ ولا تـــطــــع كـــل عــــلاف مــــهــــــن .﴾	١٠
7.71	﴿ هـــــــاز مشـــاء بــــنــــمـــــــــم . ﴾	11
7.71	﴿مــــــــــــــــــــــــــــــــــــ	١٢
7.71	﴿ عــــــــــــــــــــــــــــــــــــ	14
7.71	ا ﴿ أَنْ كَــانْ ذَا مسـال ريـــنـيــن . ﴾	١٤
7.71	﴿إِنَا تَسْتَلَى عَلَيْهِ آيَاتَنَا أَسَالُ أَسَاطَيْرِ الأَوْلِينَ . ﴾	١٥
7-71	﴿سنسمه عمالي الصفرطيوم ﴾	17
7.44	﴿إِنا بِالوناهِم كما بِطُونا أصحاب الجنة﴾	۱۷
7.44	﴿ ولا يســــــــــــــــــــــــــــــــــــ	١٨
7.77	﴿ فطاق عليها طائف من ربك وهم تائمون.﴾	14

	the state of the s	
رقم الصفحة	أول الآيات	رقم الآية
7-77	﴿ فِيامِ المِيامِ عِنْ كَالْمِيارِيمِ ، ﴾	۲٠
7.47	﴿ ف ت ن ادوا مص ب م م م م م م م م م م م م م م م م م	۲١.
7+44	﴿ أَنَ اغْدُوا عَلَى حَرِثُ كُمْ إِنْ كَنْسَتُمْ صَارِمَيْنَ .﴾	77
7.44	﴿ فسانسط لسقسوا وهسم يستسف افستسون . ﴾	77
7.44	﴿ أَلا يَسْخَالَ مُسْكِينًا الْيِسُومُ عَلَيْكُمُ مُسْكِينًا . ﴾	71
7.47	﴿وغــدوا عـــــــى حـــددة ــــادريــــن ﴾	۲٥ .
7.44	﴿ فَسَلْسُمُ مَا رَأُوهُ مَا أَسَالَ مِنْ إِنْسَا لَمُسَالَ مِنْ . ﴾	77
7.77	﴿ بِـــل نــــــــن مـــــــــن .﴾	44
7.44	﴿ قَالَ أُوسَطَهِم أَلَمَ أَقَلَ لَكُمْ لِبُولًا تَسَيِّدُونَ .﴾	47
7.44	﴿ قسالسوا سميدسان روسانا إنسا كنيا ظبالسيدن.﴾	79
7.44	﴿ فَاقْدَبِ لَ بِعَضَالِهِمَ عَلَى بِعَضَ يَلْتَالُومَاوِنَ ﴾	۲۰
7.44	﴿ قسالسوا يسا ويسلمنسا إنسا كسنسا طساغسيسن .)	71
7.44	﴿ عسى ربخا أن يسبدلنا خدينًا منسها﴾	77
7.44	♦ كــذلك الــعــذاب واــعــذاب الآخــرة أكــيــر	77
7.44	﴿ إِنْ لُـلِّمَ تَنْقِينَ عَنْدَ رِينِهِمْ جَنْنَاتَ النَّمِيمَ .﴾	4.
7.44	﴿ أَفْ خَدِهِ مِلَ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُ جِرْمِينَ .﴾	40
7.77	﴿ مَا لَسَكُم كَسِيسِفْ تَسْخَسَكُم مِنْ . ﴾	77
7.77	﴿ أَم لَـــكـــم كـــــــاب فــــيـــه تــــدرســـون .﴾	44
7.77	﴿إِنْ لَسِكُم فَسِينَه لِمُعَا تَسْفَيْسِينَ ﴾	4.4
7-44	﴿ أَمُ لَكُمْ أَيِمِنَانَ عَلَيْنَا بِبَالَغَةَ إِلَى يَوْمُ الْقَيَامَةُ﴾	44
7-77	﴿سِـــــــم أيـــهـــم بِــــذلك زعــــيـــم.﴾	٤٠
7.44	﴿ أَم لَهُم شَرِكَاء فَلَيَأْتُوا بِشُرِكَاتُهُم إِنْ كَانُوا صَادَقَينَ ﴾	٤١
7.44	🍫 يوم يكشف عن ساق ويدعون إلى السجود فلا يستطيعون .﴾	23
7.44	﴿ خساشـــــــة أبمـــــارهـــم تـــرهـــقـــهــم ناـــة﴾	27
7.77	﴿ فَدَرَنْ عِنْ وَمِنْ يَكَذَبُ بِهِ هَذَا الْمُحَدِيثُ ﴾	££
7.47	﴿ وأمــــــــــــــ اــــهــــم إن كـــــــــدى مـــــــــــــــن .﴾	٤٥
7.47	﴿ أَمْ تَسَالُهُمْ أَجِنَا فَنَهُمْ مِنْ مَنْفِرَمُ مَنْفَظِّينَ ﴾	13
7-47	﴿ أُم عـنـدهـم الـفيب فـهـم يـك تـبـين . ﴾	٤٧

رقم الصفحة	أول الآيات	رقم الآية
7-4-7	وفاصبر لحكم ريك ولا تكن كصاحب الحود ﴾	٤٨
7.47	وليولا أن تداركه نعمة من ريبه لنديد يبالبغراء ﴾	٤٩
7.47	﴿ فَنَاجِتُهِاهُ رَبِيهُ فَجِعِلْهُ مِنْ الْمِنَالِيمِينَ .﴾	٥٠
7.47	﴿ وَإِنْ يَكَادُ النَّذِينَ كَفَرُوا لِيزَلِّقُونَكُ بِأَبِمِعَارِهِمِ﴾	٥١
7.77	﴿ وما همو إلا ذكسر اسامها المعين . ﴾	07
7.88	خلاصة ما اشتملت عليه سورة القلم	-
7.50	تفسير سورة العاقة	-
7-67	أهداف سورة الحاقة	_
1.0.	(H	\
7-0-	♦ ـــاا اـــــه	۲
7.0.	﴿ ومــــا أدراك مـــا الــــحــاقــِـة ﴾	٣
7.0.	﴿كـــــذيت ثــــمــــود وعــــاد بــــالــــقــــارعـــــة ﴾	٤
7.0.	﴿ فَسِأْمِنا فَسَمِسُوا، فَسَأَهُ سَلِيكُ وَا إِسَالِيطَاعَ بِينَةً ﴾	٥
7.0.	﴿ وأِما عاد فأهلكوا بسريح مسرمسر عباتية .﴾	٦
7.0.	﴿سخرها عليهم سبع ليالروثمانية أيام حسوماً﴾	٧
7.0.	﴿ نَسِهِ النَّاسِينَ السَّهِ عَمَانَ بِالنَّاسِينَةِ . ﴾	٨
7.00	﴿ وجاء قرعون ومن قبله والمؤتفكات بالخاطئة . ﴾	٩
7.00	﴿ فـعصــوا رسـول ريــهــم فــأخـذهــم أخــذة رابسيــة .﴾	١٠.
7.0.	﴿ إنا لما طافا الماء عملتاكم فني الجارية .﴾	- 11
7.00	﴿ لَنْجِعَلَهَا لَكُم تَذْكُرةَ وَتَعِيَّهَا أَذُنْ وَاعِيَّةً ﴾	14
7+00	﴿ نَسَالِنَا نَسَفَحُ فَسَى الصَسَورَ نَسَفَحَمَةً وَاحْسَدَةً ﴾	14
7.00	﴿ وحسلت الأرض والسجسال فسكستا دكة واحسدة .	١٤
7.00	﴿ نــــيــــــــــــــــــــــــــــــــ	١.٥
7.00	﴿ وانشقت السماء فهي يسومك واهيبة .	17
7.00	﴿ والسمسلك عسلسي أرجسائسهما ويستعمسل عسرش ريك	17
7-00	﴿ يــومــــــــــــــــــــــــــــــــــ	1.4
7.04	﴿ فَا أَما مِن أُوتِي كَتَابِ بِيمِينَ فَيِقُول	11
7004	﴿إنْ عَلَى مُسَادِةُ وَسَابِسِيَّهِ ﴾	٧٠

رقم الصفحة	أول الآيات	رقم الآية
7.04	﴿ فـــهـــو فــــى عــيشــة راضــيــة.﴾	71
7.04	﴿ فــــى جــــنــــة عـــــالــــيـــة .﴾	77
7.04	﴿قـــطـــوفـــهـــادانــــــة.﴾	77
7.01	﴿ كلوا واشربوا هنيئًا بما أسلفتم في الأيام الخالية .﴾	45
7.71	﴿ وأما من أوتى كنشابه بشماله فيقول	Yo
7.71	﴿ واـــــم أدر مــــا حســــايـــــه ﴾	41
17.71	﴿ يـالسيستـهاكانت الـقاضـيـة.﴾	44
7.71	﴿ مِـا أغسنسي عسنسي مسالسيسه .﴾	YA
17.71	♦ مسك عسنسى سسلطانسيسه.	79
11.71	م المالية الما	۳٠
7+71	﴿ نـــم الــــجــــدــيــم صـــاــــره ﴾	71
7.71	﴿ ثمم في سلسلة ترعها سبعون تراعًا فاسلكوه .	77
17.71	﴿ إنــه كـــان لا يـــؤمــن يـــالــــه الــعـظــيــم ﴾	77
17.71	﴿ ولا يحض على طبعام المسكين. ﴾	78
7-71	﴿ فَسَلَّمُ عِنْ لَنَا الْسِينَ فِي هَنَاهُ مِنْ الْمُصْفِينَ }	٣٥
7.71	﴿ ولا طعام إلا من غسام .	77
11-11	﴿ لا يِ أَكِ ل بِ إلا الله في اطر في راب	777
7-70	﴿ فِيلَا أَنْسِمَ بِينَ مَا تَسْبِعِينَ ﴾	77.
7-70	4. co. 14 5 5 6 6 6 6 6 6 6 6 6 6 6 6 6 6 6 6 6	79
1-10	﴿ إِنَا اللَّهِ اللَّهِ عَلَى رَسَعَلَى كَا مِنْ اللَّهِ عَلَى اللَّهِ عَلَى كَا مَا اللَّهُ عَلَى اللَّهِ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهِ عَلَى اللَّهِ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَّى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَّى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَّى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى الْعَلَّى اللَّهُ عَلَّى اللَّهُ عَلَّى اللَّهُ عَلَّى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَّى اللَّهُ عَلَّى اللَّهُ عَلَّى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَّى اللَّهُ عَلَّا عَلَّى اللَّهُ عَلَّى اللَّهُ عَلَّمِ	٤٠
7-70	﴿ ومساهد و بعقدول شاعد قسليدالا ما تدوَّسندون . ﴾	٤١
7.70	﴿ ولا يسقدول كاحن تساسيا لا مسا تسلكرون . ﴾	٤٢
7.70	﴿ تــــــــــــــــــــــــــــــــــــ	73
7.70	﴿ والله والساوي عالم عالم الما الما الما الما الما الما	٤٤
7.70	﴿ لأعدنا مدنه بالمعدن. ﴾	٤٥
7.70	و در المعالم ا	٤٦ '
7.70	﴿ قدما مستكم من أحد عشه حاجزين . ﴾	٤٧
7.70	﴿ وإنه التمادة المستقديدن ﴾	£A

رقم الصفحة	أول الآيات	رقم الآية
7.70	﴿ وإنـالـنـــ ما م أن مـن كــم مـكــذ بــيــن ﴾	٤٩
7.70	﴿ وإنـــه لـــحســـرة عـــلـــي الـــكـــافـــريــــن .﴾	٥٠
7.70	﴿ وإنــــه لــــــــــــــــــــــــــــــــ	٥١
7-70	﴿ نسبح باسح ربك العظيم ﴾	٥٢
7.41	تفسير سورة المعارج	_
7.47	أهداف سورة المعارج	_
7.40	﴿ ـــال سـائــل بــعـــداب واقـــع . ﴾	,
7.40	﴿ اللَّهُ مَا الْسَانِ اللَّهِ الْسَانِ اللَّهِ وَافْسِعٍ .﴾	۲
7.40	﴿ مِـــن الـــلــــه ذى الـــمـــعـــارج ﴾	٣
7.40	﴿ تعرج الملائكة والروح إليه في يوم كان مقداره﴾	٤
7.40	﴿ فَالْمُ الْمُ	١
7.40	﴿إنسهم يسروننه يسعسيدا.﴾	٦
7.40	﴿ونــــراه قــــريــــا ﴾	v [
7.40	﴿ يسوم تسكون السمساء كسالسمهل ﴾	۸.
7.40	﴿ وت ك ون ال ج ب ال ك ال عد ه ن . ﴾	4
7.40	﴿ولا يسال حسيم حسيما ﴾	V-
7.40	﴿ يبمسرونهم يسود السمنجرم لـ ويـ فــتــدى﴾	- 11
7.40	﴿ روساء بناء وأغسيه .	14
7.40	﴿ وَفَصِياً عِنْدَ اللَّهِ اللَّهِ عَنْ اللَّهِ عَنْ اللَّهِ عَنْ اللَّهِ عَنْ اللَّهِ عَنْ اللَّهُ اللَّهِ عَ	14
7.40	﴿ ومن في الأرض جسيداً شم ينجيه. ﴾	18
7.70	﴿ كِلا إِنْ الْمُسْمِينَا لِسَطَّاسِي . ﴾	10
7.40	﴿نَاعَةَ لِـا ــــــــــــــــــــــــــــــــــ	17
7.40	﴿ تــــــــــــــــــــــــــــــــــــ	١٧
7.40	﴿ رجعت ع أسان عسى ﴾	١٨
7081	﴿ إِن الإنسسان <u>حساسق هساس</u> عُسا.﴾	19
7.41	﴿ إِذَا مســــــه الشـــــر مِــــــزوءُ ـــــــا . ﴾ .	٧٠
7081	﴿وإذ طِسبه السخديد رمدند وعُسا.﴾	۲١
7.41	﴿ إِلا السَّاحِينَ ﴾	77

		العراء المساح و
رقم الصفحة	أول الآيات	رقم الآية
7.41	﴿ الدنيسن هم على مسلاتهم دائسمون.	77
7.41	﴿ والسنيسن قسى أمسوالسهم حسق مسعماسوم .﴾	71
1.41	والمسائد ل والمصدوم به	Yo
14.5	﴿ والدنيدن يمدنة ون بيدوم الديدن.﴾	77
14.7	﴿ والسنديسن هسم مسن عسداب ريسهسم مشفسقسون .	YV .
14.5	﴿ إِنْ عــــذابِ ريـــهـــم غــــيــر مــــأمـــين .﴾	· 44
1445	﴿ والــذيـــن هــم لــفــروجــهــم حــافــنظـــرن .﴾	74
1.41	﴿ إلا على أزواجهم أن ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين .﴾	٣٠
1.41	﴿ فسمس ايستسفى وراء ذلك فسأولسنك هسم السعسادون . ﴾	171
14.7	﴿ والدنيس هم الأمسانسانسهم وعسهدهم واعسون ﴾	77
1.41	﴿ والسذيسن هسم يشهدادات هسم السائد مسون ﴾	77
14.5	﴿ والسلايسان همم عملسي مسالاتهم يسمساف ظرين .﴾	۳٤
7.41	﴿ أُولِ عَلَى فَصِينَ جِعَدَ اللَّهِ مَا كَسِر مُصَادِنَ ﴾	40
7.44	﴿ فسمسال السنيسن كسفسروا قسيسك مسهسط عسيسن .﴾	74
7.74	﴿ عـن الـيـدمـنهَ من وعسن الشدمـسال عسزيـسن ﴿ ﴾	77
AA+F	﴿ أيسط مسع كـل امـريخ مستنهام أن يستقل جـنـة نبعيام .﴾	44
1.44	﴿ كَلَا إِنَّا عَلِيهَ فَاهِم مَمِمًا يَدِعِلُ مَعِنْ ﴾	79
7.44	﴿ فَعَالاً أَقْسِم بِسِينِ السَمَشَارِقَ وَالسَّمِقَارِينِ إِنْسَا لَشَّادِونَ ﴿ ﴾	٤٠
7.44	﴿ على أن نبدل هيرًا منهم وما نحن بمسبوتين . ﴾	٤١
۸۸۰۶	﴿ مَدْرِهِم يَحْوِضُوا ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون .﴾	73
۸۸۰۶	﴿ يسوم يسخسرجسون مسن الأجسدان سسراعُسا ﴾	24
7.44	♦ الشاهاة أبمسارهام تسرهاقاها ذالة ♦	٤٤
7.98	خلاصة ما اشتمات عليه سورة المعارج	-
7.90	تفسير سورة نوح	-
7.97	أهداف سورة نوح	_
71	﴿إِنَّا أَرْسِلْنَا نُوحًا إِلَى قُومِهُ أَنْ أَنْذُر قَوْمُكُ﴾	,
71	﴿ قَـال يِـا قـوم إنـى لـكـم نـ نيـس مـــــــــــن . ﴾	٧
71	. ﴿ أَنْ اعْدِوا السلسة والسَّقْدِوهِ وأَطْدِيدُونَ . ﴾	٣

رقم الصفحة	أول الآيات	رقم الآية
71	﴿ يَغَفَرُ لَكُمْ مِنْ نَنْوِيكُمْ وِيوُخْرِكُمْ إِلَى أَجِلَ مَسْمَى﴾	٤
71-17	﴿ قَسَالَ رَبِ إِنْسَى دَعَسَونَ قَسُومَسَى لَسَيَسُلًا وَيَسْهَسَازًا ﴿ ﴾	٥
71-17	﴿ فِيلُم يَسْرُده مِنْ دَعُسَادُ سَي إِلَّا فَسَرَارًا ﴿ ﴾	٦
71.7	﴿ وَإِنْسَى كَلَّمَا يَعْدُونُهُمُ لِنَتْخَفُرِ لَهُمْ جِعَلُوا﴾	٧
71-17	﴿ و م إنسى دع وقد هم جهاراً .	٨
71.17	﴿ ثــم إنــى أعــلــنت لــهــم وأســروت لــهــم إســراراً ٠﴾	٩
71-17	﴿ وَعَدَانَ عَدَارًا وَمِدَارِهِ وَمِدَانًا عَدَارًا عَدَارًا عَدَارًا ﴿	١.
71.7	﴿ يـــرســـــــــــــــــــــــــــــــــ	11
71.17	﴿ ويحددكم بأموال وينين ويجعل لكم جنات﴾	١٢
71.7	﴿مسالك م لا تسرجسون لسلسه وقسارً.﴾	۱۳
71.5	﴿ وقد عد المسلوار) .	١٤
71.7	﴿ أَلَامَ تَدِرُا كِيفَ هُلُقَ اللَّهُ سَبِّعَ سَمَاوَاتَ طَبَّاقًا ۖ ﴾	١٥
71.17	﴿ وَجِعَلَ القَمَرِ فَيَهِنَ نَورًا وَجِعَلَ الشَّمَسُ سَرَاجًا . ﴾	17
71.5	﴿والسلب أنسيستكم مسن الأرض نسيساتُسا.﴾	17
71.7	﴿ ثـم يـمـيـدكـم فـيـه ويـــــــرجــكـم إخــراجًــا .﴾	14
71.7	﴿ وَالْــلِــه جِـــمـــل لـــكـــم الأرض بســــاطـــــا .﴾	19
71-17	﴿ لــــــــــــــــــــــــــــــــــــ	٧٠
7111	﴿قَالَ نُوحَ رَبِ إِنْهُم عَصُونَى وَاتَّبِعُوا مِنْ لَمْ يَزْدِهُ﴾	71
7115	﴿ ومسكسراً كسلم الله الله الله الله الله الله الله ال	77
7111	﴿ وقسالوا لا تسفرن آله تسكم ولا تسفرن وداً﴾	74
****	﴿ وقد أَصْلُوا كَثَيْرًا ولا تَرْد النظالِمِينَ إلا صَالاً . ﴾	3.7
7117	﴿ مَمَا خَطِيدًاتِهِمَ أَغُرِقُوا فَأَنْخُلُوا نِبَارًا﴾	Y0 .
7115	﴿ وقال نوح رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارًا .﴾	77
7115	﴿ إِنَّكَ إِنْ تَشْرِهُمْ يَضَلُوا عَبِانِكُ وَلا يُلْدُوا إِلا فَاجِرًا كَفَارًا .	۲۷
7117	ورب اغفر لى ولوالدى ولمن دخل بسيتى مؤمناً	YA
7117	تَصْسير سورة الجن	_
3338	أهداف سورة الجن	_
7170	﴿ قَلَ أُوحِي إِلَىُّ أَنَّهُ استَمع نَفْرَ مِنْ الَّجِنْ فَقَالُوا ﴾	١

رقم الصفحة	أول الآيات	رقم الآية
7170	﴿ يهدى إلى الرشد فأمنابه ولن نشرك برينا أحداً. ﴾	۲
7110	﴿ وأنه تعالى جدَّ رهنا ما اتخذ صاحبة ولا ولدًا . ﴾	٣
7170	﴿ وأنه كان يقول سفيهنا على الله شططا . ﴾	٤
7170	﴿ وأنا طَنْنَا أَنْ لَنْ تَقُولُ الإنس والجن على الله كذبا . ﴾	0
7170	﴿ وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن	٦
7170	﴿ وَأَنْهِم ظِنُوا كَمَا ظَنْنَتُم أَنْ لَنْ يَبِعِثُ اللَّهُ أَحِدًا . ﴾	٧
7179	﴿ وَأَنَا لَمُسَنَا السَّمَاءُ فَوَجِدَنَاهَا مَلْتُنَ عَرِسًا شَدِيدًا وَشَهِيًّا ﴾	٨
7179	﴿ وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع قمن يستمع الآن	1
7174	﴿ وأنسا لا نسدري أشسر أريسد بسمسن فسي الأرض ﴾	١٠
7174	﴿ وأنا منذا الصدال مدون ومنا دون ذلك	- 11
7179	﴿ وَأَنَا طَلْنَا أَنْ لَنْ تَعْجِزَ اللَّهُ فَي الأَرضَ وَإِنْ تَعْجِزَهُ هَرِيًّا . ﴾	17
7179	﴿ وأنسا لـما سبعيعنا الهدى آمنا يه ﴾	17
7179	﴿ وأنسا منسا المسلمون ومنسا القاسطون	1 1
7179	﴿ وأما القاسطون شكانوا لجهدم عطيا.	١٥
7179	﴿ وَأَلُو استقاموا على الطريقة الأسقيناهم ماء غددًا . ﴾	17
7179	﴿ لنفتنهم فيه ومن يعرض عن ذكر ريه يسلكه عذابا صعدا .	17
3715	﴿ وأن المساجد لله فالا تدمين مع الله أحداً . ﴾	14
3717	﴿ وَأَنَّهُ لَمَا قَامَ عَبِدِ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهُ لَبِدًا ﴾	11
3717	﴿ قسل إنسما أنفس ريسي ولا أشرك يسه أحدا. ﴾	٧٠
3715	﴿ قبل إنسى لا أمسك لسكم غسرا ولا رشسنا . ﴾	٧١
3717	﴿ قَل إِنِّي لَنْ يَجِيرِنِي مِنْ اللهِ أَحد وَلِنْ أَجِد مِنْ دُونِهُ مَلْتُحدا .	77
3715	﴿ إِلا بِالنَّمَا مِنَ اللَّهِ ورسالاتِهِ ومِن يعمِن اللهِ ورسوله﴾	77
3717	﴿ حتى إذا رأوا ما يوعدون فسيطمون من أضعف تاصراً﴾	Y,£
7179	 قل إن أدرى أقريب ما توعدون أم يجعل له ربي أمدا . 	Yo
7179	﴿عالم الغيب ثالا يظهر على غيب أمدا.﴾	77
7179	﴿ إِلا من أرتضى من رسول قانه يسلك من بين يديه﴾	44
7179	﴿ مهدما أدم أما المالات ربهم وأحاط بما لديه أو المالات	YA
7150	تفسير سورة المزمل	-

رقم الصفحة	أول الآيات	رقم الآية
7117	أهداف سورة المزمل	-
7100	﴿ يــاأيـــهـاالـــمـــنمـــل.﴾	١.
7100	﴿قــم الــاــيـــل إلا قـــاــيـــلاً ﴾	Y
7100	﴿نصف أوائدة ص منه قايد لأ.﴾	٣
7100	﴿ أَو زَد عَـــــــــــــــــــــــــــــــــــ	٤
710+	﴿إِنَّا سَنَالَتَى عَلَيكِ قَبُولاً ثُقَيياً . ﴾	۰
7100	﴿ إِنْ نَسَاشِسُةَ السَّلِيسَ هِسَى أَشَدَ وَطَنَّنَا وَأَقْسِم قَسِيلاً. ﴾	٦
7100	﴿إِنْ لِكَ فَسَى السِنْسَهِ الرسِيدَ عَسَا طُسُويِ اللَّهُ ﴾	٧
7100	﴿ وَاذْكُر اسم ربك وتبعدل إليه تبعديداً .	٨
7100	﴿ رب المشرق والصغرب لا إله إلا هن فاتخذه وكيلاً .	- 1
7017	﴿ واصير على ما يقولون واهجرهم هجراً جميلاً .﴾	١٠.
7107	﴿ وَنْرِنْي وَالْمَكْذِبِينَ أُولِي النَّعِمَةُ وَمَهَلَهُمْ قَلْيَلاً . ﴾	11
T017	﴿إِن الله المستحملة وجمع ما ،	14
7107	﴿ وطلب مناسًّا ذا غصبة وعنذارُسا ألبيستنا. ﴾	14.
7107	﴿ يوم ترجف الأرض والجبال وكانت الجبال كثيبًا مهيلاً .﴾	18
7107	﴿إِنَا أُرْسِلْنَا إِلَيْكُم رَسُولاً شَاهِداً عَلَيْكُم﴾	10
7107	﴿ فَعَمْنِي فَرِعُونَ الدِرسُولِ فَأَغَذَنَّاهُ أَخَذًا ويبِيسَادً.﴾	17
7107	﴿ فَكَيْفَ تَتَقُونَ إِنْ كَفَرْتُم يُومًا يَجْعَلُ الْوَلِدَانُ شَيِبًا . ﴾	١٧
7107	﴿ السماء منقطرين كان وعده مقصولاً ﴾	14
7107	﴿ إِن هِذَه تَذَكَرَةَ فَمِنْ شَاءَ اتَحَدَ إِلَى رِبِهُ سِبِيلًا ﴾	19
7171	﴿ إِنْ رِيكَ يَعْمُ أَنْكُ تَقُومُ أُدِنِّي مِنْ ثَلْثِي اللِّيلِ وَنَصَفَهُ وَثَلْتُهُ﴾	۲٠ '
0515	تفسير سورة المدش	-
7777	أهداف سورة المدشر	-
7171	﴿ بِ الْمِي	١ ،
1111	﴿ قـــــــم فـــــــانـــــــــــــــــــــــــــــ	٧
7171	ورريك في كي بيان	٣
1111	ورث يابك نيط م	٤
1111	﴿ والسرجسر فسلمسجسر .	٥

****	(==5-5-5-5-5-5-5-5-5-5-5-5-5-5-5-5-5-5-5	المخارخ
رقم الصفحة	أول الآيات	رقم الآية
7171	﴿ ولا تــــــــــــــــــــــــــــــــــــ	٦
1111	﴿ واـــــريك فـــــامـــــــــــــــــــــــــــــــ	٧
7171	﴿ فـــاذا نــقــر فـــى الـــنــاقــور .﴾	٨
1171	﴿ فَــــذَلِكَ يَــــوم ــــ ذَيــــوم عســـيـــر.﴾	١, ١
1171	(عالى الكافريان <u>غيريسي</u> ر)	١٠.
3178	﴿ ذرنــــى ومــــن خـــلــقت وحـــهـــنا .	\ \\ \
3178	﴿ وجعات اسه مسالاً مسمدودًا .	17
3178	﴿وي ن د ويا .﴾	14
3175	﴿ رب ندت اسه تسم مسيداً . ﴾	١٤
3175	﴿ و الم	١٥
3175	﴿ كــلا إنــه كــان لأيــاتــنــا عــنــيــداً. ﴾	17
3175	﴿ ساره نا ، ﴾	177
3175	﴿إِنْ اللَّهُ ا	14
3115	(i = 1 − 1) ≥ 1 − 1 − 1 − 1 − 1 − 1 − 1 − 1 − 1 − 1	11
3775	﴿ دُ مِنْ مَا مُنْ الْكُنْ يُسْ الْمُنْ الْكُنْ الْمُنْ الْكُنْ الْمُنْ الْمُنْ الْمُنْ الْمُنْ الْمُنْ الْمُ	٧٠
3115	(t	71
3115	(t	77
3115	ود اد	77
3115	ونية سال إن هذا إلا سمرين وثبر. ﴾	71
3115	﴿إِنْ هِــــــــــــــــــــــــــــــــــــ	70
3118	(·	77
3115	ووما أدراك ما ســـــــــــــــــــــــــــــــــــ	77
3112	⟨Y : ;	YA
3115	المساق ال	79
7172	(<u>ء ایات می</u> تصدر)	۳٠
714.	وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة وما جعلنا عدتهم إلا فتنة ﴾	71
714.	€	777
714.	﴿ وا ا ا ا ا ا ا ا ا ا ا ا ا ا ا ا ا ا ا	44
	1	

رقم الصفحة	أول الآيات	رقم الآية
714.	﴿والصبِ عِ إِذَا أُسَا فَ صَارٍ . ﴾	3.8
٠٨/٢	﴿إِنْ الْمُحْدِينَ الْحَدِينَ الْحَدِينَ الْحَدِينَ الْحَدِينَ الْحَدِينَ الْحَدِينَ الْحَدِينَ الْحَدِينَ الْعَلَيْنَ الْعَلِينَ الْعَلِينِ الْعِلْمِينِ الْعَلِينِ الْعَلِينِ الْعَلِينِ الْعَلَيْنِ الْعَلِينِ الْعَلَيْنِ الْعَلِينِ الْعِلْمِينِ الْعَلِينِ الْعِلْمِينِ الْعَلِينِ الْعَلِينِ الْعِلْمِينِ الْعَلِينِ الْعِلْمِينِ الْعَلِينِ الْعَلِينِ الْعَلِينِ الْعِلْمِينِ الْعِلْمِينِ الْعِلْمِينِ الْعِلْمِينِ الْعِلْمِينِ الْعِلْمِينِ الْعَلِينِ الْعَلِينِ الْعَلْمِينِ الْعِلْمِينِ الْعِلْمِ	40
714.	﴿ن نی را ا بش ر.﴾	77
714.	﴿لَمَاء مَنَكُم أَنْ يَسْتَقَدَم أَنِيسَاكِرٍ.﴾	٣٧
TAIF	﴿كــل تــفس بــمــا كســبت رهــيــنـــة .﴾	4.4
7117	﴿إِلا أَمْسِمُ إِلَا أَمْسِمُ إِلَا أَمْسِمُ الْمِنْ الْمِنْ الْمِنْ الْمِنْ الْمِنْ الْمِنْ الْمِنْ	79
71/7	﴿ فـــــى جـــــنــــات يـــــتســــاءلـــــون . ﴾	٤٠
TA1F	﴿عــــن الـــــ جـــرمـــي ن.﴾	٤١
TAIT	«مسا سا ک کم اسی ســــــــر.»	٤٢
TAIF	﴿قسالسوا لسم نك مسن السموسسلسيسن.﴾	27
TAIT	﴿ولِ م نك نصط عم الصمس كين .﴾	3.3
PAFF	﴿وكِ فِي السَّمْ وَمِن مِنْ السِّمْ المُمْ يَسِن .﴾	٤٥ .
. 1417	﴿وكنا نكنب بيسوم السدين، ﴾	٤٦
TAIT	﴿حَبِدُ مِنْ أَنْسَادُ مِنْ اللَّهِ فَيَسِنْ .﴾	٤٧
71.47	﴿فَمَا تَنْفُعُهُمُ شَفَاعِهُ الشَّافِيعِينَ.﴾	٤٨
7147	﴿ فَسَمَا لَسُهُمَ عَسَنَ الْسَنَّذَكُ رَةً مِسْ مَرْضَيْسَ . ﴾	٤٩
TAIF	«کانهم جسمبر مست <u>ندند</u> رة.»	۰۰
TAIF	رة سين تسين أن تسين أن	٥١
7147	﴿ بِل يَرِيد كُل امريُ منهم أَن يَـوُتي <u>صحفًا منشرة</u> . ﴾	٥٢
71.67	﴿ كسلا بسل لا يسفسانسون الأخسرة . ﴾	٥٣
TAIF	€. 3	۵٤
TAIF	﴿فَـــــــن شــــــاء نكــــــره .﴾	٥٥
TANT	﴿ رَمَّا يَذَكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ هُو أَهُلُ التَّقْوِي وَأَهُلُ الْمَغْفَرَةِ . ﴾	٥٦
7198	تفسير سورة القيامة	-
3198	أهداف سورة القيامة	-
7199	﴿لا أقسم بسيدم السقياسة. ﴾.	\
7199	ورلا أقسم بسالسنسفس السلسوامسة . ﴾	۲
7199	﴿ أُو حسب الإنسان ألسن نسج مع عظامه .	٣

		التبرع
رقم الصفحة	أول الآيات	رقم الآية
7199	﴿ بِالِسِي قَدِينِ عَالِي أَنْ نَصِرِي بِـــْمَانِـــه . ﴾	٤
7199	﴿ بِسِل يَسِرِيدُ الإِنْسِانَ اَسِينَ جِسِرَ أَمِنَامِنَهُ ﴾ .	۰
7199	﴿ يِسِسَأَلُ أَيْسَانُ يُسَوِمِ السَّقْسِيَامَسِةَ . ﴾	٦
7199	﴿فــــــــــــــــــــــــــــــــــــ	٧
7199	﴿رياسية السنة بمسري	٨
7144	﴿ وج م ع الشمين والقصير. ﴾	٩
7199	﴿يــــقـــول الإنســـان يــومـــقــد أيـــن الــمـــقــر.﴾	١٠.
7199	لا لاٍ وذد.﴾لا لاٍ وذد.﴾ .	11 1
7199	﴿اِسِي ربك يسومكند السمستيقسر.﴾	17
7144	﴿ين بِاً الإنسان يسوماند بما قدم وأهر ﴾	14
7144	♦بــــــــــــــــــــــــــــــــــــ	١٤
7199	﴿ولِ والسقيسي مسمسانيسره ﴾	10
3.77	﴿لا تبصرك بــه لســانك لـــتــعـــچــــل بـــه .﴾	77
3.77	﴿إن علينا جيميعيه وقيروانيه .﴾	17
3.12	﴿فَسَاذَا قَسَرَانِاهُ فَسَاتَ عِنْ قَسَرَءَانِيهُ ﴾	1.4
3.12	«درمان» مساسه»	11
3.42	﴿كلابِسل تحسيسون السمساجساتة.﴾	۲٠
34.5	﴿ورتــــــــــــــــــــــــــــــــــــ	71
3.42	﴿ رَبِ الْمُ اللَّهِ مِنْ اللَّه	77
3.42	والسي ريسية المساطرة.)	77
3.42	(دوجسوه يسوم المساسرة.)	37
3 - 7.5	﴿ تــــــــــــــــــــــــــــــــــــ	Y0
77.4	﴿كــــــــــــــــــــــــــــــــــــ	77
77.9	﴿ ق ن ن ن ن ن ن ن ن ن ن ن ن ن ن ن ن ن ن	44
77.9	ال المسلم الم	44
77.4	﴿والعداق بالساق .	79
77+4	﴿ إِلْسِي رِيكَ يِسِرِهِ عَلَى السَّمِسَاقَ . ﴾	٧٠
77-4	﴿ ف لا م دق ولا ص ا م ﴾	71

رقم الصفحة	أول الأيات	رقم الآية
77.9	﴿وا ک ن ک ذب وت وا کی .﴾	۳۲
77-9	وثـــم ذهب إلــــى أهـــلـــه يـــتـــمــِطـــى .﴾	77
74.4	﴿أُواى لك قـــــاً باى	37
77-9	﴿ ــــــــــــــــــــــــــــــــــــ	70
77-9	﴿أبِ حسب الإنسان أن يسترك سدى.	77
77-9	﴿السم يك تسطسفسة مسن مستسى يسمستسى .﴾	۳۷
77+4	♦ کسان عسلیقیة فسخدای فسری . ♦	۳۸
77.9	﴿ فَسَجِعَالَ مَنْسَهُ الرَّوجِينَ لَا لَذَكُ رَوَالْأَنْبَعْنِي . ﴾	79
77+9	﴿ أَلَّيْسِ ذِلِكَ هِـقَـَادِرِ عَـلَـى أَنْ يَـَمِيْتِي الْمُعَوِّتِي . ﴾	٤٠
0177	تفسير سورة الإنسان	
7717	أهداف سورة الإنسان	-
7777	﴿ هَمِلُ أَتَّمِي عَمِلْمِي الإنسِيانِ حَمِيْنِ مِنْ السِيهِيرِ﴾	\
7777	﴿إنا عَلَقْنَا الإنسان مِن نَطَفَةَ أَمشَاجٍ نَهِتَلَيه﴾	}
7777	﴿إِنَّا هَدِينَاهُ السَّبِيلُ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾	۳
7777	﴿إِنَّا أَعَنَّدُنَا لَلْكَافِرِينَ سَالُسُلُ وأَعْلَالًا وسَعِيرًا .	٤
7777	﴿إِنْ الْأَبِسِ الريشريدون من كأس كبان مناجها كالشورًا .﴾	
7777	﴿مينا يشرب بها عباد الله يقجرونها تقبيرًا ﴾	٦
7777	ويوقون بالنذر ويشاقون يومًا كان شره مستطيرًا . ﴾	· /
7777	﴿ويطعمون الطعام على حبه مسكينًا ويثيمًا وأسيرًا .﴾	^
7777	﴿إِنَّمَا تَطْعَمُكُمُ لُوجِهُ اللَّهُ لا تَرِيدُ مِنْكُمْ جِزَاءٌ ولا شَكُورًا .﴾	٩
7777	﴿إِنَا نَصْافُ مِنْ رَبِينًا يَسِمُنَا عَبِيسًا تَصَطَّرِينًا ﴾	1 1.
7777	﴿ فُوقَاهُم الله شر ذلك اليوم ولقاهم نضرة وسروراً . ﴾	11
7777	ورجسزاهم بسما مسبسروا جسنة وهسريسرا .	14
1775	﴿متكشين فيها على الأراتك لا يرون فيها شعسًا	15
7777	﴿وردانية عليهم شلالها وذلك قطوفها تذليلاً.﴾	18
1777	ويسطاف عمليمهم بسآنية من ذخسة وأكواب	10
1777	وقسواريسر مسن ففسة قسدروهسا تسقسديسرا .	17
7771	﴿ ويسقون فيها كأسًا كنان مزاجها زنجبيلاً .	۱۷

رقم الصفحة	أول الآيات	رقم الآية
7771	﴿عـيـنـافـيـهـاتسـمـى سـلسـبـيـلاً.﴾	١٨
77.77	ويسطوف عليهم ولدان مضلدون إذا رأيتهم	11
7777	﴿ وإذا رأيت شم رأيت نسعي مَا وصلكَ اكبيرًا .	, 4.
7771	وعاليهم لياب سندس خفسر واستبرق	41
7771	(ان هدذا كسان لسكم جنزاء وكسان سعيكم مشكرورا .	77
7777	﴿إِنْا نَصِنْ نَازَلَنَا عَلَيْكَ القَرآنَ تَنْزِيلًا .﴾	77
7777	﴿ فَاحْسِر لَحِكُم رَبُّكُ وَلا تَطْعِ مِنْهِمَ أَثْمًا أَوْ كَفُورًا . ﴾	3.4
7777	والذكر اسم ربك بمكرة وأصير الملك .	40
7777	﴿ ومن الليل فاسجداله وسبحه ليلاً طويلاً ﴾	77
7447	﴿إِنْ هُولاء يحبون العاجلة ويذرون وراءهم يومًا ثقيلاً ﴾	77
7777	وندن خلف نامه وشدنا أسرهم	Y.Y
7777	﴿إِنْ هَذَه تَذَكَرَةَ فَمِنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبَّهُ سَبِيلًا .﴾	79
7447	﴿ وما تشاءون إلا أن يشاء الله إن الله كان عليمًا حكيمًا .	۳٠
7447	﴿ ينخل من يشاء في رحمته والظالمين أعد لهم عذابًا أليمًا .	177
7757	تفسير سورة المرسلات	-
3375	أهداف سورة المرسلات	-
P375	﴿والـــــــرنـــــــــــــــــــــــــــــ	١ ،
1789	﴿فــالــعــاصـفــات عصــف	۲
7789	﴿والــــــــــــــــــــــــــــــــــــ	٣
P 3.77	﴿فـــالــفــارقــات فــرقــا،﴾	£
7789	﴿ السالة الداد الكسراء ﴾	٥
P37F	فعد نر) أن ندر در) .	١
7789	﴿إِنْ السَّادَ وعدون لسبواقسع ﴾	٧
7729	وف إذا ال و مر ط مست .	٨
7759	﴿وإذا الســــــــــــاء فـــــــــــــــاء	1
7789	﴿ وإذا الـــــــــــــــــــــــــــــــــــ	1.
7759	﴿ وإِنَّا الــــــرســـرســـل أَقَـــتت . ﴾	11
7789	ولأى يــــــــــــــــــــــــــــــــــــ	14

۱۳ (المراك مــــــــــــــــــــــــــــــــــــ	رقم الصفحة	أول الآيات	رقم الآية
	1759	ول ي وم السفم لل	
۱۲ (السام نسط الله الأولى الله الأولى الله الإولى الله الإولى الله الإولى الله الإولى الله الله الله الله الله الله الله ال	7789	﴿ وميا أدراك ميا ييوم المقصدل.﴾	١٤
۱۷۵۳ ۱۸۵ ۱۸۵	7789	ويــــــــــــــــــــــــــــــــــــ	١٥
۱۸ (ع) (ال) (ال) (۱۹) (7407	﴿السم ذ الله الأول المال الأول المال	17
۱۹۹ ۱۹۹ ۱۹۹ ۱۹۹ ۱۹۹ ۱۹۹ ۱۹۹ ۱۹۹	7707	ود م ند ب م م الأخديدن. ﴾	14
۲۹۳ ۲۱ (المرتبط المناه في تراد كين) ۲۲ (المن المن المناه في المناه المناه في المناه المناه في المناه في المناه في المناه في المناه في المناه في المنه في المناه في المنه في المن	7075	﴿ كذلك نصف ل بالصحربين ﴾	1.4
۲۱ وفد من المساد وفد من قدرار مكين و والمحال المحال	7075	«ويــــل يــــومــــــــــــــــــــــــــــــــ	19
YY (اال الله الله الله الله الله الله الله	7707	﴿نَــــــــــــــــــــــــــــــــــــ	٧٠
۲۳ (ورسان درسان درسان درس) ۲۲ ۲۵ ۲	7404	و <mark>نسټ د ا نس</mark> اه قسی قسرار میکین،♦	٧١
787 708 709 70 6 6 70 6 70 6 70 70 6 6 70 70 70 8 10	7707	· (1	77
	7075	﴿ فِي قِيرِ نِيا فِي نِي عِيمِ السِقِيادرون . ﴾	74
۲۲ واحد الماء أي	7707	﴿ويسل يسومسك ذالسم كنبيسن.﴾	45
۲۷ ورجعلنا فيها رواسی شامغان واستيناكم ماه فراداً .) ۲۸ ۲۸ وريسل يسوم شامغان واستيناكم ماه فرادً .) ۲۸ ۲۰ وانسط الحي السيم ما كنتم به تكنيس .) ۲۷ ۲۰ وانسط الحي السيم الحي المحمد	7075	﴿أُلْكِمْ نَصِيدِهِ عَلَى الأَرْضَ كَسَفَاتُكًا .﴾	70
۲۸ (س ل س س س س س س س س س س س س س س س س س س	7675	﴿ استاء وأمساء ﴿	47
۲۹ (انطلق) الى ماكنتم، به تكتبون. () ۲۹ (انطلق) الى ماكنتم، به تكتبون. () ۲۹ (انطلق) الى ماكنتم، به الله معرب. () ۲۹ (انطلق) المعرب. () ۲۹ ((انطلق) المعرب. () ۲۷ ((((ind))) ۲۷ (((ind))) <	7404	﴿ وجعلنا فيها رواسي شامضات وأسقيناكم ماء فراتًا . ﴾	77
79	7707	﴿ويــل يـــومـــــــذ اـــــــــمــــکـــذبـــيـــن.﴾	YA
77	7404	﴿انطلقوا إلى ما كنتم ينه تكذبون.﴾	44
77 (7707	وانط اقوا إلى ظلل ذي اللاث شعب . ﴾	٣٠
۲۳ ۱۲ <td>7404</td> <td>﴿لاظ المال ولايد المنسى من السلهب.)</td> <td>71</td>	7404	﴿لاظ المال ولايد المنسى من السلهب.)	71
37 المنظم الم	7404	﴿إنها تـرمــى بشـرر كــالــقصــر.﴾	77
70 (م <u>ناي</u> م لاي <u>نا من</u> في ١٥٥٧ 77 (دلاي <u> - وَدَن ل ما في ما نين</u> في ١٧٥٧ 79 (دي <u> دل ي</u> د دا ما ما دين في ١٢٥٧	YOY	«كـــانـــ» جـــمـــااـــة مـــــــــد. ﴾	44
770	740Y	﴿ريب لَي روب المراب كان بيان.﴾	4.8
٣٧ ﴿ ويدل يـ وحد قال م كاذب بـ ن كا	7707	﴿مــــــــــــــــــــــــــــــــــــ	70
	7707	· (ولايسودن اسمهم نسيعت ديون .)	777
The second of th	Y07F	﴿ويــــــــــــــــــــــــــــــــــــ	٣٧
۸۲ (وهدذا يــوم الـفصــل جــمــهــنـــاكــم والاولــيــن. ٩٠ (١٣٥٧)	7707	﴿ هــذايــوم الـ فصــل جــمــهـنــاكــم والأولــيـن. ﴾	۳۸ .
۳۹ (فسان کان ایکم کید فکیدین) ۲۹۷	VOYF	﴿ فسإن كان لكم كيد فكيدون .	44
٠٤ ﴿ ويــل يــومـــا ذالـــــك ذيــيــن ﴾	VOYF	«ويـــل يـــومــــــــذ الــــــــــــــــن . ♦	٤٠

رقم الصفحة	أول الآيبات	رقم الآية
7777	(إن المستقين في ظلال وعيون.)	13
7777	﴿ وف واک م م ما يشت م ن . ﴾	٤٢
7777	﴿كُلُوا وَإِشْرِبُوا هَنَيْنًا بِمَا كُنْتُمْ تِعَمِلُونَ .﴾	٤٣
7777	﴿إِنَّا كَذِلَكَ نَصِيرَى السِّمَسِينَ فَيَ إِنَّا اللَّهِ عَلَى اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّ	٤٤
7777	ويدل يدومستد المسكن بيدن. »	٤٥
7777	﴿ كلوا وتسمست عوا قليداً إنكم مبجرمون. ﴾	٤٦
7777	ويسل بيسومستند اسلمسكنبيين. »	٤٧
7777	﴿وإذا قسيسل لسهم اركسعسوا لايسركسعسون، ﴾	٤٨
7777	ويسل يسومستند اسلمسكند بسيسن	٤٩
7777	﴿فَ بِاَي حَدِيثِ بِعَدِهِ يِنْ مِنْ فَ نَدِنْ . ﴾	٥٠
7777	تخريج أحاديث وهوامش	-
1475	ههرس الكتاب	-

تم بحمد الله تعالى الجزء (التاسع والعشرون) ويليه الجزء (الثلاثون) بإذن الله تعالى

تفسير القرآن الكريم

الجزء الثلاثون من القرآن الكريم

اللكتور

عبد الله شحاته



جسزء عسم

تمهيد عام :

هذا هو الجزء الأخير من القرآن الكريم ، ويتميز بقصر الأيات ، وقصر السور ، وروعة الأسلوب ، وجمال القافية ، ليستلفت الأنظار إلى قدره الخالق ، وآثار الله في الآفاق .

وكأن هذا الجزء دعوة متكررة لقوم نيام ، أن صيحة عارمة لسكارى غارقين في اللهو ، يفيقون حينا ثم يهيمرن في ضلالهم حيثاً أشر ، والسور توالى تنبيههم ، وتناديهم : أن أفيقوا وتنبهوا قبل فوات الأوان .

وفى الجزء كله تركيز على النشأة الأولى للإنسان ، والأحياء الأخرى فى هذه الأرض من نيات وحين ، وعلى مشاهد القيامة العنيفة ، الطامة الحيان ، وعلى مشاهد القيامة العنيفة ، الطامة المساحة القارعة الغاشية ، ومشاهد الحساب والجزاء من نعيم وعناب ، فى صور تقرع وتنفل وتزلزل ، كساهد القيامة الكونية فى ضخامتها وهولها ، واتضائها جميعًا دلائل على الخلق والتدبير ، والنشأة الأخرى وموازينها الحاسمة ، مع التقريع بها والتخويف والتحذير ، وأحيانًا تصاحبها صور من مصارع الغابرين» (أ

والأمثلة على هذا هى الجزء كله ، ومنه هذه السورة (سورة النبأ ، وهى نموذج كامل لهذا التركيز على هذه الحقائق والمشاهد ، ومثلها سورة النازعات ، وسورة الانشقاق التى تعرض مشاهد الانقلاب الكوئى ، ومشاهد النعيم والعذاب ، وسورة الطارق ، وسورة الغاشية .



أهداف سورة النبا

(سورة النبأ مكية ، وآياتها ، ٤ آية ، نزلت بعد سورة المعارج).

سورة النبأ نموذج لاتجاه هذا الجزء ، بموضوعاته وحقائقه ، وصوره ومشاهده .

وهي تبدأ بسؤال مرح مثير للاستهوال والاستمطام ، وتضمنيم الحقيقة التي يختلفون عليها ، وهي أمر عظيم لا خضاء فيه ولا شبهة ، ويعقب على ذلك بتهديدهم بيوم يعلمون حقيقته . (الآيات ١ - ٥).

ثم يلفت السياق الأنظار إلى عدد من المضاهد والحقائق، تتعثل في خلق الأرض ، وإرساء الجبال، وخلق الذكر والأنثى للتناسل والتكاثر وإشياع الرغبة والحاجة في كل طرف إلى الآخر، وخلق الليل سكنًا، والنوم راحة وأمنًا ، والنهار سعيًا ومعاشًا ، وخلق السماء والشمس ، وإنزال المطر ، وإنبات النبات والبساتين . (الآيات ٢ - ١٦) .

ثم يعود إلى مشهد القيامة والبعث (الآيات ٧٧ - ٣٠) ويصف جهنم وأهوالها وعذابها ، وجحود أهلها وتكنيبهم بآيات الله . (الآيات ٢١ – ٣٠) .

ثم يصف نعيم المتقين في الجنة وصنوف التكريم الحسى والمعنوى . (الآيات ٣١ - ٣٦) .

وتختم السورة بمشهد جليل في يوم القيامة ، يوم تصف الملائكة صفا ، ويشتد الهول ، ويلقى كل إنسان جزاء عمله . (الأيات ٣٧ - ٤٠) .

مع آيات السورة

كان المشركون كلما لجتمعوا في ناو من أنديتهم أعذوا يتحدثون ويسأل بعضهم بعضًا ، ويسألون غيره فيقولون: أساحر هو أم شاعر ، أم كاهن أم اعتراه بعض ألهتنا بسوء ؟ ويتحدثون في شأن القرآن: أهو سحر أم شعر أم كهانة ؟ ويقول كل واحد ما شاء له هواه ، والرسول سائر قدمًا في تبليغ رسالته ، وأمامه مصباحه المنير الذي يضيء الناس سبيل الرشاد وهو الكتاب الكريم ، كما كانوا يتحدثون في شأن البحث ويأخذ الجدل بينهم كل مأخذ ، فمنهم من ينكره البتة ويزعم أنه إذا مات انتهى أمره ، وما هي إلا أرحام تدفع وأرض تبلم : وما يُهلكِّمًا إلا آلكُهُنُ ... (الجانية: ٤٢).

ومنهم من كان يزعم أن البعث للأرواح دون الأجساد ، لأن الأجساد تأكلها الأرض وتعبث بها يد البلى ، وربما لقى أحدهم بعض من آمن بالنبي ﷺ فيسائله عن ذلك استهزاءً وسخريةً .

وفى هؤلاء وأشباههم نزلت هذه السورة ، ردًا عليهم ، وإقامةً للحجة على أن الله قادر على أن يبعثهم بعد موتهم ، وإن صاروا ترابًا أو أكلتهم السباع أو أحرقتهم النيران ، لأن الله أحصى كل شىء عددًا وأحاط . , بكل شىء علمًا .

معنى الآيات

- ١ ٣ عن أى شيء يتسامل مشركر مكة ؟ يتساملون عن الخبر العظيم الشأن ، وهو البعث أو نزول الوحى على الذبى الأمين هي الخبر الذي المتلفوا فيه ، فمن قائل إنه مستحيل ، ومن شاك فيه متردد يقول:
 مًا نَذرى مَا آنسًاعَةً إِن نُظُنُ إِنْ فُكَا رَمَا نَحْنُ بُمُسْتَهَلِينَ (الجانية : ٣٧) .
- 3 ، ٥ ترد الأيتان على تساؤلهم وشكهم بالتهديد العلفوف ، وهو أوقع من الجواب المباشر وأعمق فى التأثير ، وتقول : فليزنجروا عما هم فيه ، فإنهم سيعلمون عما قليل حقيقة الحال ، إذا حل بهم العذاب والنكال ، وأن ما يتساءلون عنه ويضحكون منه حق لا شك فيه ، ولا ربيه في وقوعه .
- ٢٦ تنتقل الآيات من موضوع النبأ العظيم، لتعرض أمام الأبصار والبصائر مظاهر القدرة الإلهية في علق هذا الكرن ، فتذكر تسعة مشاهد ، يشاهدونها بأعينهم ، ولا يخفى عليهم شيء منها :
 - ١ انبساط الأرض وتمهيدها لتحصيل المعاش ، وإثراء الحياة .
 - ٢ سمو الجبال لتثبيت الأرض وحفظ التوازن.
 - ٣ خلق الناس ذكورًا وإناثًا ، ليتم الائتناس والتماون ويمم النقع .
 - خول النوم راحة للأجسام ، وسكنًا للأرواح ، وانقطاعًا عن الإدراك والنشاط.
 - ٥ جعل الليل لباسًا سائرًا ، يتم فيه السهات والانزواء .
 - ٦ جعل النهار معاشًا ، تتم فيه الحركة والنشاط .
 - ٧ ارتفاع السماوات فوقنا ، مع إحكام الرضع ودقة الصنع ، وقوة البناء وشدته وقماسكه .
 - ٨ = وجود الشمس المنيرة المتوهجة ، تسكب الأشعة والضوء والحرارة .
- نزول المطر وما ينشأ عنه من الحبّ والنبات ، والجنات الألفاف ، الكليفة ، الكليرة الأشجار
 الملتنة الأغصان

وتوالى هذه الحقائق والمشاهد على هذا النظام البديع ، والتقدير المحكم ، يوحى بأن وراء هذا الكون قرة تدبره ، وحكمة تنظمه ، وتُشعر بالخالق الحكيم القدير ؛ الذي أبدع كل شيء خلقه ، فتبارك الله أحسن الخالقين .

١٧ – ٢٠ – إن الناس لم يُخلقوا عبدًا ، وإن يتركوا سدى ، والذي قدر حياتهم ذلك التقدير المحكم ، الذي يشى به المقطع الماضى في السياق قد جعل لهم يوسًا موقتًا للفصل والقضاء بينهم ، في ذلك اليوم ينفغ إسرافيل في الهوق ، فيأتى الناس جميعًا مسرعين ، جماعات جماعات ، والسماء المبنية المتينة فتحت ، وانشقت وتصدعت على هيئة لا عهد لنا بها ، فكانت طرقًا وأبوابًا ، والجبال الراسية الثابتة تصبح هباء مثارًا في الهواء ، ومن ثم فلا وجود لها ، كالسراب الذي ليس له حقيقة .

٢١ - ٣٠ - تمضى الآيات خطوة وراء النفخ والحشر، فتصور مصير الطفاة وتذكر ما يأتى:

إن جهنم خلقت ووجدت مكانًا مترصدًا الطاغين ، ينتظر حضورهم ، ويترقب وصولهم ، إن جهتم مرجع الطفاة ومكان إيابهم وعودتهم .

روى ابن جرير ، عن الحسن أنه قال : لا يدخل أحد الجنة حتى يجتاز النار ، فإن كان معه جوازٌ نُجًا ، وإلا احتبس .

وسيمكث الطغاة في الذار دهورًا متلاحقة ، يتبع بعضها بعضًا ، فكاما انقضى زمن تجدد لهم زمن آخر، إنهم لن يذوقوا في جهنم طعامًا إلا الحميم وهو الماء المغلى ، والغساق وهو الصديد الذي يسيل من جراح أهل الذار، مُرَّزَاةً وفَاقًا ، (النباء ٢٦) .

قال مقاتل: وافق العذاب الذنب، فلا ذنب أعظم من الشرك، ولا عذاب أعظم من النار.

إنهم كانوا لا يتوقعون الحساب ، وكنّبوا بجميع البراهين الدالة على التوحيد والنبوة والمعاد ، ويجميع ما جاء في القرآن ، بينما كان الله يحصى عليهم كل شيء ، إحصاء دقيقاً لا يفلت منه شيء ، وسجل أعمالهم في اللوح المحفوظ ، أو كتبها في صحف أعمالهم : أَحْصَنُهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ ... (السجادلة : ١) ويقال لهم على السنة خزنة جهنم من باب التأنيب الميتس من كل رجاء : ذوقوا أشد العذاب بما كسبت أيديكم ، ولن نزيدكم إلا عذاباً من جنسه .

٣٦ - ٣٦ - تعرض الآيات المشهد المقابل، مشهد الأتقياء في النعيم، بعد مشهد الملفاة في الجحيم، إن
 الأتقياء يفوزون بالنعيم والثواب، ومن بعض مظاهره تلك المدائق الكثيرة والبساتين والأعناب

و كَوْاعِب. وهن الفتيات الناهدات اللواتي استدارت أنداؤهن ، أتَرْابًا . متوافقات السن والجمال ، وَكَأْسًا دِهَائًا . مترعة بالشراب ، ولا يجرى بينهم حين يشربون لقو الكلام ، ولا يكنب بعضهم بعضًا ، وهذه النعم جزاء من الله على أعمالهم ، وهي عطاء وتفضل من الله على حسب أعمالهم ، وفي الحديث الشريف: وإنكم تدخلون الجنة بفضل الله ، وتقتممونها بحسب أعمالكم» .

٧٣ – ٤٥ – هذا الجزاء السابق للطفاة وللتقاة ، من مالك السمارات والأرض ، والمدير لشتونهما ، والمالك لما بينهما من عوالم ، وهو الرحمن ، ومن رحمته يكون الجزاء العادل المناسب للأشرار وللأخيار ، ومع .
الرحمة الجلال ، فلا يمك أحد مخاطبته في ذلك اليوم المهيب .

يوم يقف جبريل والملائكة جميعًا مصطفين لا يتكلمون ، إجلالاً لريهم ، ووقوفًا عند أقدارهم ، إلا إذا أذن لهم ربهم وقالوا قولاً صدقًا وصوابًا .

ذلك اليوم هو الحق الموعود به ، فلا مجال للتساؤل والاختلاف في شأنه ، والفرصة لا تزال سانحة ، فمن شاء عمل صالحًا يقربه من ربه ، ويدنيه من ثوابه ، إنا نحذركم عذاب يرم القهامة ، وهو قريب ليس بالبعيد ، فجهنم تنتظركم ، وتترصد لكم على النحو الذي سمعتم ، والدنيا كلها رحلة قصيرة ، وكل أترقوب

وفى ذلك الهوم يجد الإنسان جزاء عمله ، ولقاء ما صنعه فى الدنيا من الأعمال : فَمَن يُعْمَلُ مِظْالُ ذُرَّةُ خَبُرًا يَرَاهُ, ه وَمَن يَعْمَلُ مِظْالُ ذَرَّةٍ كَرَّا يَرَاهُ . (الزازاتة : ٨٠ / . فى ذلك اليوم يشعر الكافر بالندم والحسرة ، فيقول : يا ليتنى كنت ترابًا أن حجرًا لا يجرى عليه تكليف حتى لا يعاقب هذا العقاب .

موضوعات السورة

اشتملت سورة النبأ على الموضوعات الآتية :

١ - سؤال المشركين عن البعث ، ورسالة محمد ﷺ .

٢ - تهديد المشركين على إنكارهم إياه.

٣ - إقامة الأدلة على إمكان حصوله .

3 - أحداث يوم القيامة .

٥ - ما يلاقيه المكذبون من العذاب.

٣ – فوز المتقين بجنات النعيم .

٧ - إن هذا اليوم حق لا ريب فيه .
 ٨ - ندم الكافر بعد فوات الأوان .

کافر پافت قرات افران .

الإخبار عن البعث وأدلة إثباته



﴿ عَمَّ يَسَلَةَ لَوْنَ ۞ عَنِ النَّبِ الْعَظِيرِ ۞ الَّذِى هُرَ فِيهِ مُخْلِفُونَ ۞ كَلَاسَبَعْلَمُونَ ۞ وَعَلَقْنَكُواْ وَوَجَلَانَ وَالْحَادَا ۞ وَخَلَقَنَكُواْ وَوَجَلَوْنَ ۞ وَخَلَقَنَكُواْ وَوَجَلَقَنَكُواْ وَوَجَلَانَا الْفَارِينَ وَجَعَلَنَا الْقَادَا ۞ وَخَلَقَنَكُواْ وَوَجَلَانَا وَقَادَا ۞ وَجَعَلَنَا الْقَادَا ۞ وَجَعَلَنَا النَّهَ وَهَمَ اللَّهُ اللَّهُ وَمَعَلَنَا وَلَكُمْ مَا اللَّهُ وَمِعْ وَمَعَلَنَا وَلَكُمْ مَا اللَّهُ وَمِنْ وَمَا أَنْ لَلْنَا مِنْ اللَّهُ وَمِنْ وَمَا اللَّهُ وَمَعْلَى اللَّهُ وَمِنْ اللَّهُ وَمِنْ وَمَا اللَّهُ وَمِينَ مَا اللَّهُ وَمِنْ اللَّهُ وَمِنْ اللَّهُ وَمِنْ وَمَا اللَّهُ وَمِنْ اللَّهُ وَمِنْ اللَّهُ وَمِنْ اللَّهُ وَمِنْ اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ وَمِنْ اللَّهُ وَمَعْ اللَّهُ اللَّهُ وَمِنْ اللَّهُ وَلَيْلُونَ اللَّهُ وَمِنْ اللَّهُ وَمِنْ اللَّهُ وَمِنْ اللَّهُ وَمَعْ اللَّهُ وَمُعَلِّمُ اللَّهُ وَمِنْ اللَّهُ وَمُنْ اللَّهُ وَمِنْ اللَّهُ وَمِنْ اللَّهُ وَمِنْ اللَّهُ وَمُنْ اللَّهُ وَمِنْ اللَّهُ وَمِنْ اللَّهُ وَمِنْ اللَّهُ وَمِنْ اللَّهُ وَمُنْ اللَّهُ وَمُنْ اللَّهُ وَمُنْ اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ وَمِنْ اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ الْكُولُ اللَّهُ اللِلْمُنْ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ ا

المطردات،

م عظیم الشأن .

عن النبأ العظيم ، عن القرآن أو البعث .

ک لاء ردع وزجر عن الاختلاف فیه .

الأرش مسهسادا، فراشًا مُرطَّأُ للاستقرار عليها .

الجبيال أوتادا، كالأوتاد للأرض لثلا تميد.

خلقناكم أزواجاء أصنافًا ، ذكورًا وإناثًا للتُّناسل.

نومكم سياتنا: قطعًا لأعمالكم ، وراحة لأبدانكم .

الطيحل العاساء ساترًا لكم يظلمته كاللباس.

النشهار معاشا، تُحصُّلون فيه ما تعيشون به.

سبسعا شداداء سبع سماوات قوية الخلق بديعة الصُّنم.

سراجاوهاجا : مصباحًا منيرًا وقادًا ، والمراديه : الشمس .

السميعصرات ، السحائب قاريت أن تعصرها الرياح فتمطر.

ماء شجاجا؛ منصبًا بكثرة مع التتابع.

حيا ونياتا ، الحَبُّ ما يقتات به كالقمح والشعير ، والنبات ما يؤكل خَضِرًا مثل الحشيش والبرسيم . حيات الخماها ، بساتين ملتفة الأشجار .

74-4

سبب النزول ا

أخرج ابن جرير ، وابن أبي حاتم ، عن الحسن البصري قال: لما يُعث النبي ﷺ جعلوا يتساءلون بينهم ، فنزلت : عُمَّ يَسْسَأَوُلُونَ ، عَنِ ٱلنَّمِ ٱلْصَوْبِمِ.

التفسيره

١ ، ٢ ، ٣ - عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ، عَن ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ ، ٱلَّذِي هُمَّ فِيهِ مُعْتَلِقُونَ .

عن أي شيء يتسامل هؤلاء الفاس ؟ إنهم يتساملون عن الأمر العظيم الذي جاءهم ، وهو رسالة محمد ﷺ ، فعنهم من يعنل : هو كاهن ، ومنهم من يقول : هو منهم من يسلم إن أو هم يتساملون عن القرآن سرّال متعجب من سمو لفظه ، ويراعة تعبيره ، وقوة معانيه ، ومنهم من يصفه بالسّحر أو الشعر أو الكهانة ، أو هم يتساملون عن البحث والحشر والحساب والجزاء والقيامة وما يتصل بها ، فعنهم من يظن نظنًا ، ومنهم من يُنكر ، ومنهم من يستبعد وقوع البحث ، ومنهم من يقول : البحث للأرواح فقط أمّا الأجساد فتبلى وتصير رمادًا ، ومن العسير بحث الحياة في الأجساد بعد تفتنها وبلاها .

وتغيد الآبات أن دويًّا عظيمًا ونبأ جسيمًا وفكرًا هامًّا، قد شفل مكة كلّها، فهذا القرآن الكريم، أو هذا النبى محمد ﷺ ودعوته إلى الإسلام، أو أمر البعث وما بعده، إنَّه أمر عظيم شفل هؤلاء الناس، واحتلفوا. بشأته.

ويجوز أن يكون المراد بالنبأ العظيم كلّ ما ذكر ، أى : القرآن ، والإسلام ، ومحمد ﷺ ، والبعث، فكلُّها معا حملته رسالة محمد ﷺ ، واختلف أهل مكة بشأن هذه الرسالة اختلافاً بينًا ، فقد كان منهم من يرفض الإيمان بالبعث ، ويقول : ما هي إلا أرحام تشفع ، وقبور تبلع ، وما يهلكنا إلا الدُهو . وقد حكى القرآن قول المكذّبين برسولهم في قوله تعالى: أَيْعِدُكُمْ أَنْكُمْ إِذَا مِثْمُ وَكُسُّمُ ثُرَابًا وَعِظْلِمًا أَنْكُم مُعْرَجُونَ وَهَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ و إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا النَّذِيَّا نُعُوتُ وَنَحْيًا وَمَا نَحُنُ بَمِيْقُولِينَ .

(المؤمنون : ٣٥ – ٣٧)

وكان من الكفار من يشك أو يظن صدق البعث بدون تيقن أو تأكد .

قال تعالى : وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعُدَ ٱللَّهِ حَقِّ وَٱلسَّاعَةُ لاَ رَبْبَ فِيهَا قُلْتُم مَّا نَشرِي مَا ٱلسَّاعَةُ إِن نَظَنُ إِلاَّ ظَنَّا وَمَا نَحْنُ ' , بمُسْتَقِينِ مَ (الجائية : ٣٢) .

ع ، ه - كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ، ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ .

لهرتدع مثلاء الكفّارُ عما هم فيه من إنكار البعث والجزاء ، أن من إنكار القرآن ورسالة الإسلام ، سيطمون صدق ذلك عند نزول الموت بساحتهم .

لُمْ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ .

تأكيد لما سبق ، وتهديد ووعيد ، وزيادة معنى ، أى : سيعلمون عند قيام القيامة ، ووجود الجنة والنَّال أنهم كانوا مخطئين في إنكار البعث ، أو في التشكك في القيامة ، وفي وقوع الثواب والعقاب ، ثم أخذ القرآن يقدّم لهم أدلة واقعية يلمُسونها بأيديهم ، ويشاهدونها بأعينهم ، وتؤكد أن وراء هذا الكون البديع بناً قادرة خالقة مبدعة ، هي يد الله ، وهو على كل شيء قدير .

٣ - أَلَمْ نَجْعَلُ ٱلْأَرْضَ مِهَلِدًا.

ألم نجعل الأرض التي تسكنونها ممهدة كالفراش ، تنامون عليها ، وتسيرون فوق طرقها ، وتنتفعون بنباتها وخيراتها ، وتتأملون البساتين والرياحين والبحار والأنهار فيها .

٧ - وَٱلْحِبَالَ أَوْتَادًا .

وجعلنا الجبال بمثابة الأوتاد التى تشد هيمة الشُعر فتثبتها ، وكذلك الجبال تمتد فى باطن الأرض لحفظ ترازنها ، ولتلا تميد تحت الإنسان الساكن عليها ، فالأرض ملتهبة من باطنها ، وتقذف بالحمم عند البراكين والزلازل . وقد جعل الله الجبال لمنافع عدة ، منها تثبيت الأرض ، ومنها أنّها مأرى للهائمين واللاجئين ، وفوق رؤوس الجبال تتجمع الثلوج صيفا وشتاء ، ثم تذوب الثلوج صيفا فتسقى المياه الوديان ، ويستغيد الزرج والإنسان والحيوان ، والجبال بها مغارات للعبًاد والمتأمكين ، وقد نزلت رسالات السماء على عدد من الجبال ، منها جبل المُور حيث كلم الله موسى ، ومنها غار حراء فوق جبل النور حيث كلم الله محمدًا ﷺ ، وتمت الهجرة من غار ثور ، وكانت الجبال ترجّع صوت داور عليه السلام .

قال تعالى : يُلحِبَالُ أَوْبِي مَعَلَم وَآلَفُلْيَرَ وَأَلْنَا لَهُ ٱلْحَلِيدَ . (سبأ : ١٠).

٨ -- وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجُنا .

من حكمة الله القدير أنَّه خلق الزرجين الذكر والأنثى ، ليتمَّ إثراء الحياة وإخصابها ، وتكامل سرورها ولذتها وسعادتها ، فالنبات والحيوان والإنسان أزداج .

قال تعالى : وَمِن كُلُّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَلَكُّرُونَ . (الداريات: ٤٩).

وقال الله تعالى لنوح عليه السلام: آخولُ فِيهَا مِن كُلُّ زَوْجَيْن آثَيْن ... (مود: ٤٠).

بل إن التزاوج يمتد إلى غير ذلك ، فالسحاب لا يمطر إلا إذا تم تلقيح سحابة موجبة لسحابة سالبة .

قال تعالى: وَأَوْسَلْنَا ٱلرَّيْعَ كَوْلِعَ فَأَنوَكُنَا مِنَ ٱلسَّمَاءِ مَاءً فَأَسْفَيْسَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَقُر بِحَلزِينَ . (المجر: ٢٢).

وقد خلق الله حواء لتكون سكنًا لآدم ، ويث منهما الخلق ، وامتن علينا بنعمة الأنس والمودة والرجمة بين الزرجين .

قال تعالى: وَمِنْ وَايَنْ عِلَقَ لَكُمْ مِنْ أَلْشِيكُمْ أَزُواجًا لِتَسْكُنُواْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ يَسْكُم فُوفَةً وَرَحْمَةً ... (الدوه: ٢١).

وقال عز شأنه : وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَينَ وَحَفَلَةً ... (النحل: ٧٧).

٩ ، ١٠ ، ١ - وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا هِ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلِ لِبَاسًا هِ وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا .

النوم آية من آيات الله تمالى ، حيث ينقطع الإنسان عن العمل والكدح ، ويستغرق في نوم هادئ ، حيث تها نفسه ويستريح جسمه ، ويتكامل هدوءه ، ويتجدد بعد النوم نشاطه ، فالنوم نعمة إلهية ، وهر آية ، وفي غزوتي بدر وأحد غشي النومُ المجاهدين فأنسهم وجدد نشاطهم وأراح أعصابهم .

قال تعالى : إِذْ يُعَشِّكُمُ ٱلتُّعَاسَ أَمَنَهُ مِنْهُ . . (الأنفال : ١١).

وقال سبحانه وتعالى : ثُمَّ أَنْزِلُ عَلَيْكُمْ مِّنْ بَعْدِ ٱلْفَمِّ أَمْنَةٌ ثُقَاسًا يَفْشَى ظَاتَفَةٌ مُنْكُمْ ... (ال عمران : ١٥٤) .

وأحيانًا ينام الإنسان المجهد دقائق معدودة ، أو يغفى إغفاءة بسيطة ، ثم يستيقظ وقد استراحت أعصابه وتجدد نشاطه ، ذلك أن الله العلى القدير هو الخالق للإنسان ، وخالق الآلة أدرى بما تحتاج إليه ، ولو استمر الإنسان مستيقظًا بدون نوم لخارت قواه وضعفت .

قال تعالى : وَمِنْ عَايَلتِهِ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْعِفَا أَكُم مَّن فَصْلِهِ ... (الروم : ٢٣) .

وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا .

الليل يقطع العمل المسترسل ، وفيه الظلام الممتد الذى يغمر الكون ، ويغشاه ويستره كما يستر الثوب صاحبه حين يلبسه ، والليل فرصة للهارب ، وفيه يختفى الكامن للوثوب على عدوّه ، للتخلُص منه والنجاة من خرّه ، ويتُقى به كل من أراد ألا يطلع الناس على كثير من أموره .

وُ جَعَلْنَا ٱلنَّهَارُ مَعَاشًا .

جعلنا النهار فرصة للسمى على المعاش والكدّ والعمل ، حيث جعله الله مشرقًا منيرًا ، ليتمكن الناس من السعى فيه ، والعمل والتكسب والتجارة وغير ذلك .

١٢ – وَيَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْقًا شِدَادًا .

خلقنا فوقكم سبع سماوات متينة البناء ، شديدة الصنح ، لا يصيبها تشقق رلا تصدع ، وقد مرّت علهها بلايين السنين ، وهي سليمة قوية مبهرة : صُنْعَ ٱللهِّ ٱلذِيّ ٱلْقُنْ كُلُّ شَيْءٍ . . . (الندل : ٨٨) .

١٣ - وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَاجًا .

جعلنا الشمس متوغَّجة بالضوء ، والسُّراج ما كان ضوءه من ذاته كالشمس ، والشمس ترسل أشعتها على المحيطات فيتصاعد البخر إلى السماء ، وتتكاثف السحب من هذا البخر ، ثم يرسل الله الرياح فتسوق السحاب وينزل المطر.

\$ ١ - وَأَنزَ لَنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَاتِ مَآءً لَجَّاجًا .

أنزلنا من السحائب التي أوشكت أن تعصرها الرياح مطرًا متتابعًا ، تكون به حياة الزرع والضرع » مما يوحي بأن التكامل مقصود في هذا الكون ، حيث أبدح الله خلق الكون ، وسخر الليل والنهار ، والسماء والأرض ، والشمس والقمر ، وأنزل المطر وأبدع الخلق ليعيش الناس في كنف هذه القدرة العليا ، وينبغي أن يشكروا ربهم شكرًا عمليًّا باستخدام النعمة فيما خلقت له .

١٥ - أَنْخْرجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا .

لنخرج بهذا الماء أنواع الحبوب والنباتات ، فالحبوب يقتات بها الناس كالقمع والشعير والنرة ، والنبات تقتات به الدوابٌ ، وقدم الحبُّ لأنّه غذاء الإنسان ، وأعقيه بذكر النبات لأنه غذاً، الصيوان .

١٦ - رَجَنَاتٍ أَلْفَاقًا .

ونخرج بالماء بساتين خضراء ، تقاربت أشجارها ، والتونّ أغصانها وأوراقها ، إن هذه النعم المتعددة في الكون والنفس ، والخُلّق والإبداع ، والنوم واليقظة ، والليل والنهار ، والأرض والسماء - دليل على قدرة الله الواحد ، وهو سبحانه على كل شيء قدير ، فمن أوجد هذا قادر على البعث والحساب والجزاء .

قال تعالى : لَخَلْقُ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَلْكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ . (غافر: ٥٧).

* * *

البعث والجزاء

﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِكَانَ مِيفَنتَ ۞ بَوْمَ يُفَعَّعُ فِالشُّورِ فَالْوَنَ اَفْوَاجًا ۞ وَفُرِحَتِ السَّمَاةُ فَكَانتَ الْوَابَ ۞ وَسُرِّيَتِ لَلْمِهَا لَ فَكَانتَ سَرَابًا ۞ إِنَّ جَهَنَّ مَكَانتُ مِرْمَادًا ۞ لِطَّيْفِينَ مَنَا اللهِ لَلْبِينَ فِيهَا أَحْقَا اللهِ لَلْ لَا يَذُوفُونَ فِيها مَرْدًا وَلا شُرَابًا ۞ إِلَّهُ مِيمًا وَعَسَاقًا ۞ جَـنَا آء وِفَاقًا ۞ إِنَّهُمْ كَافُوا لا يَرْجُونَ حِسَابًا ۞ وَكَذَّبُواْ إِنَائِينَا كِذَا اللهِ ۞ وَكُلَّ شَحْدُ أَحْصَيْنَاتُهُ كِتَنِا ۞ فَذُوفُواْ فَلَن نَزِيدَكُمْ إِلَاعَذَا الله ۞ ﴾

لمفردات،

يسوم التقصيل ، هو يوم القيامة ، لأن الله يفصل فيه بين خلقه .

فتأتون أقواجا؛ أمما أو جماعات مختلفة الأحوال.

فكانت أبوابا ، صارت ذات أبواب وطرق ، ومن قبل كانت مُحكمة .

فكانت سرابا ، مثل سراب ، وهو ما تراه نصف النهار كأنه ماء ، فإذا جنته لم تجده شيئا .

كالت صرصاداء موضع ترصد وترقب الكافرين.

للطاغين مآيا : مرحعًا ومأوى لهم .

أحية الهاء دهورًا متتابعة لا نهاية لها.

و النار . وما أو رَوْحًا من حرّ النار .

حسمسما، ماءً بالغًا نهاية الحرارة.

هسيساقيسا ، صديدًا يسيل من أهل النار باردًا منتنا .

جِيزَاء وقياقيا ، جزيناهم جزاءً موافقًا لأعمالهم .

كينا شردار

أحسيناه كتاباء حفظناه وضيكطناه مكتويا.

تمهید ،

تتحدث الآيات عن أموال يوم القيامة ، من النفح في الصور والحشر وانشقاق السماء ، وتسيير الجبال ، ثم وصف جهنم وأمرائها .

التفسب

١٧ - إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ كَانَ مِيقَتُ ا.

في بوم القصل ، حيث يقصل الله بين الخلائق ، وهو يوم يجتمع فيه الأولون والآخرون لميقات يوم معلىم ، حيث ينفذهم البصر ويسمعهم الداعي .

قال تعالى : وَمَا نُوَخَّرُهُۥ إِلَّا لِأَجَلِ مُعَدُّودٍ . (مود : ١٠٤) .

١٨ - يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْرَاجًا .

فى هذا اليوم ينفخ إسرائيل فى الصور نفخة أولى ، فيصدق الخلائق ويموتون ، ثم ينفخ النفخة الثانية ، فيقوم الناس من قبورهم ويأتون إلى المحشر جماعات جماعات .

قال تعالى : يَوْمَ لَدْعُواْ كُلُّ أَلَاسٍ بِإِمَامِهِمْ ... (الإسراء: ٧١) .

والمراد بالنفغ في الصور منا : النفخة الثانية ، حيث يحشر الناس فورًا بدرن مهلة ، حال كونهم زمرًا وجماعات مختلفة الأحوال ، متراينة الأرصاف ، حسب اختلاف أعمالهم في الدنيا .

١٩ - وَقُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتُ أَبُوالُها.

تشققت السماء على غلظها ، وتعلقت الملائكة بأطرافها ، وبعد أن كانت محكمة لا تشقق فيهما ولا اضطراب ولا خلل ، تغيّر ذلك في يوم القيامة عند نهاية الكون .

7414

قال تعالى : وَيَوْمَ تَشَقُّقُ ٱلسَّمَاءُ بِٱلْفَمَـٰمِ وَنُوِّلُ ٱلْمَلَكَئِكَةُ تَنزِيلاً . (الفرقان: ٢٥).

وقال عز شأنه : إِذَا ٱلسَّمَاءُ ٱنشَقَّتْ . (الانشقاق: ١) .

وقال عز شأته : إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَظَرَتْ . (الانفطار: ١) .

ركل هذا يدل على تبدّل حال الكون عند انتهاء الحياة في هذه الدنيا.

قال معالى : يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَاوَاتُ وَيَرُزُواْ لِلَّهِ ٱلْوَاحِدِ ٱلْقَهْادِ . (إبداهيم : ١٨) .

٠ ٢ - وَسُيَّرَتِ ٱلْحِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا.

الجهال الراسية تندكُّ دكًا ، وتقلع قلعًا ، وتمور مورًا ، وتمرّ بمراحل في طريقها إلى التلاشي .

قال تعالى : وَحُمِلَتِ ٱلأَرْضُ وَٱلْحِبَالُ فَدُكَّنَا ذَكَّةً وَ'حِدَّةً . (الحاقة : ١٤).

فتصبح الأرض مستوية ، وتتحول الجبال إلى هلام كالصوف المنفوش ، وهو رخو ليّن ، بنكس صلابة الجبال في الدنيا .

قال تعالى : وَتَكُونُ ٱلْحِبَالُ كَٱلْمِهْنِ ٱلْمَنْفُوشِ . (القارعة : ٥) .

ثم ذكر القرآن أن الجبال تصير هياء ، كما قال تعالى : وَبُسْتِ ٱلْجِبَالُ بُسُّا هِ فَكَانَتُ هَبَاءَ مُشْيَّا . (الواقعة : ٥٠٠)

ثم نكر هنا أن الجبال تنسف وتخلع من أماكنها ، حتى يخيل للرائى أنها شىء وليست بشىء ، كالسراب يظنه الرائى ماءً وهو فى الحقيقة هياء .

قَالَ الْطَابِرى : صنارت الجِبال بعد نسفها هياء منبثًا لعين الناظر ، كالسراب يظنه من يراه ماءً وهو في الحقيقة هياء . قال عز شأنه: وَيَسْتَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَسِفُهَا رَقِي نَسْفًا هَ فِيَلَرُهَا قَاعًا صَفْصُفًا ه لا تَزى فِيهَا عِوْجًا وَلَا أَشَاهِ يُؤْمَلِد يَتِيمُونَ الدَّامِيَ لا عِرْجَ فَكُرْ وَحَشْفَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَانِ فَلا تَسْمَعُ إِلّا هَمْسًا . (طه: ١٠٥ - ١٠٠١).

إنه الانقلاب الكونى ، ونهاية الكون ، وتبدُّل الأرض غير الأرض ، وتسوية الجبال بالأرض ، حتى تصبح أرضًا مستوية مكشوفة مشاهدة للجميع ، هذه هي أرض المحشر ، مع الخشوع التامّ ، والصمت الرهيب : يَزْمَ يُقُومُ ٱلنَّاسُ رُزِبُ ٱلْخُلُمِينَ ، (المخلفين: ١٦) .

٢ ٩ - إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتُ مِرْصَادًا .

إن جهنم تترصد الكافرين وتترقبهم ، وقد وُجدت لانتظارهم ، كأنما كانوا في الدنيا في رحلة عابرة ثم آبوا إلى مكان مثواهم وإقامتهم ، حيث يجدون زيانية جهنم في انتظارهم ، ويجدون جهنم تتلفظ غيظًا وغضبًا على من كفر بالله ، كما قال سبحانه : تَكَادُ تَمَيْزُ مِنْ ٱلْفَيْظِ ... (الملك : ٨) .

وقد ورد فى الأثر أن جهنم يخرج منها عُنق يبحث عن الكافرين الطاغين ، فيلتقطهم من أرض المحشر إلى مكان إقامتهم فى جهنم ™ .

وقريب من ذلك قوله تعالى: وَزَعَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظُنْرَا ٱللَّهُم تُواقِعُوهَا وَلَمْ يَعِدُواْ عَثْهَا مَصْرِفًا . (الكهف: ٥٠).

٢٢ - لَلطُّنْفِينَ مَقَابًا .

للطفاة الذين طغوا وبغوا وتجاوزوا الحدّ ، وكفروا بالله وكذّبوا رسله ، وخالفوا أوامره ، وارتكبوا ما نهى عنه ، هى لهرّلاء الطفاة ، مَثَابًا ، مرجمًا وإقامة مستمرة دائمة .

٢٣ - لُّلْبِثِينَ فِيهَآ أَخْقَابًا .

ماكثين فيها نُهورًا متنابعة ، كلما مضى منها حقب – أي آلاف السنين – تبعه حقب آخر إلى ما لا نهاية ، فلا يخرجون منها أبرًا .

قال الحسن: الحقب: زمان غير محدود.

قال تعالى : وَٱللَّذِينَ كَفُرُواْ لَهُمْ نَارُ جَهُتُمَ لاَ يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُونُواْ وَلاَ يُتَخَفَّفُ عَنْهِم مِّنْ عَلَدْبِهَا كَلَالِكَ نَحْزِى كُلّ تُقُور . (هاهل ٢٦٠) . ٢٤ ، ٢٥ - لا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ، إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا .

لا يذوقون في جهنم بردًا ينفعهم من حرَّها ، ولا شرابًا يتفعهم من عطشها .

إلا حَمِيمًا . وهو ماء حار شديد الغليان يشوى الوجوه .

وَغُسَّاقًا . والغساق صديد أهل الذار .

إنَّ النار تتلظى ، لا يصمطلى بنارها إلا الأشقى ، ولا يجدون فيها ما يريحهم ، أو يخفف من الآلام الحسية أو المعنوية .

وذهب بعض المفسرين إلى أن معنى : لَّا يَذُولُونَ فِيهَا يَرْدًا ...

أى: لا يذوقون فيها فرمًا ، باعتبار أن النوم يبرّد العطش ويهدّنه ، واستشهدوا بكلام العرب الذي يغيد أن البَرْد يطلق على الذوم .

وعند التّأمل نجد أن القرآن ينبغى أن يُقهم على الشائح المطرد ، المعروف من كلام العرب ، لا على المعنى الغريب أو المهجور .

قال الطبرى:

لا يَلُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا.

لا يطعمون فيها برنا يُبرَّد حرَّ السعير عنهم إلا الفسّاق ، ولا شراباً يرويهم من شدَّة المطش الذي يهم إلا الحميم ، وقد زعم بعض أهل العلم بكلام العرب أن البرّد في هذا الموضع التَّرم ، وأنَّ معنى الكلام : لا ينرقون فيها نومًا ولا شرابًا ، واستشهد لقيله ذلك يقول الكندي :

بَرِدَتْ مَراشِفُها على فَصَدَّني عنها وعن فبالديا الماثة

يعنى بالبرد : النّعاس ، والنوم يبرد غليل العطش ، فقيل له من أجل ذلك البرد ، فليس هو ياسمه المعروف ، وتأويل كتاب الله على الأغلب من معروف كلام العرب دون غيره ٣٠.

٢٦ – جَزْآءً وَفَاقًا .

جزاءً موافقًا لأعمالهم ، لقد كان الجزاء المؤلم على قدر الكفر والشرك والطغيان ، كما قال سيحانه : وُجَرِّ إِنَّا سَبِّنَا مُسَلِّقًا مِنْ الشوري : - ٤) . قال مقاتل: وافق العذاب الذنب، فلا ذنب أعظم من الشرك، ولا عذاب أعظم من النار.

وقال الحسن وعكرمة : كانت أعمالهم سيئة فأتاهم الله ما يسوءُهم ، ثم فَمَّلُ القرآن أنواع الجراثم التي ارتكبوها ، فقال :

٧٧ - إِنَّهُمْ كَانُواْ لَا يَرْجُونَ حِسَابًا .

إنهم كانوا لا يؤمنون بالبعث ، ولا يتوقِّعون القيامة والحساب والجزاء ، واذلك أهملوا العمل للأخرة .

٢٨ - وَكَذَّبُواْ بِفَايَلْتِنَا كِلَّابًا .

وكتُبورا برسالات السماء ويالبعث والقيامة والحساب ، تكذيبًا شديدًا منكزًا ، تضمُن سلوكهم المعيب مم الرُسل ، وتكذيبهم بالقرآن وبالنبي محمد ﷺ .

٢٩ - وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا.

كل شيء في الكرن أحصيناه وأحطنا به إحاطة نقيقة ، وسجلناه وكتبناه ، ومن ذلك أعمالهم . وكفرهم .

قال تمالى : أَخْصَنْهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ ... (السجادلة : ٦) .

وقال سبحانه وتعالى : وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا . (الكهف: ٤٩) .

أو أثبتنا كل شيء في اللوح المحفوظ ، كما قال سيحانه : وَأَخَاطُ بِمَا لَتَنْهِمْ وَأَحْسَىٰ كُلُ كَيْءٍ عُلَدًا (العرب: ٢٨)

٣٠ - فَلُولُواْ فَلَن نُزِيدَكُمْ إِلَّا عَلَاهًا .

فذوقوا آلام العذاب وتجرَّعوا غصَّته ، مع الليأس من الرحمة ، وفقدان الأمل في تخفيف العذاب عنكم ·· فَلَن مُريتَكُمْ إِلَّا كَذَابًا .

أى : لن نزيدكم على استغالتكم من العذاب إلا عذابًا جديدًا ، كما قال سيحانه : وَوَاخُو مِن شَكَلُهِ أَزْرُاجُ . (مَن : ٥٥) قال المفصرون : ليس في القرآن على أهل النار آية هي أشد من هذه الآية ، كلما استغاثها من نوع من العذاب ، أغيثوا بأشدٌ منه .

قال تعالى: وَإِنْ يَسْتَغِيثُواْ يُعَالُواْ بِمَاءٍ كَالْمُهُلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ بِنْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَاءَتُ مُرْتَفَقًا . (الكهف: ٢٩).

وقال تعالى : وَنَادَوْا يَلْمُ لِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّلْكِتُونَ . (الزهرف : ٧٧).

* * *

نعيم الجنة

﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ۞ حَمَا ٓ إِنَّ وَأَعَنَا ۞ وَكُواعِبَ أَزَابَا۞ وَكُأْسَادِ هَا فَا ۞ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَقُوا وَلَاكِذَ بَا۞ جَزَآءُ مِّن رَّيْكِ عَطَلَةَ حِسَابَا۞ ﴾

المفردات ،

مصطاراه فوزًا بالنعيم والثواب.

حب السق ، بساتين فيها أنواع الثمر والشجر.

امسنساء جمع عنب.

كمسمواعب ، جمع كاعب ، وهي التي نهد ثدياها وتكعبا .

تجسرابسها، متساويات في العمر.

السكاسان ، إناء من بلور الشراب .

دهــــاقـــــا : ممتلئة ، قال خداش بن زهير :

أبانا عاير يبخى قرابا فأثر غناك كأشا دهانا

السلسفسوء الباطل من الكلام.

الكنيب التكنيب .

مسطساء، تفضلاً منه وإحسانًا.

مسابا، كافيًا لهم.

التفسيره

٣١ - إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا .

إن الله تعالى أعد للمتقين أسباب الفوز من النار والنجاة من جهنم ، والفوز بالجنة والتمتع بنعيمها ، ورضوان الله عليهم .

٣٢ - حَدَآئِقَ وَأَعْسَلُهُا .

من ألوان فوزهم التمتع بالبساتين الناضرة ، الممتدة الظلال ، المشرفة على الأنهار ، والتمتع بكروم العنب ، والجمع أعناب ، وخصُّه بالذكر لأمميته والعناية به .

٣٣ – وَكُوَاعِبَ أَثْرَابًا .

فتيات قد استدارت أثدارهن ، مع ارتفاع يسير.

أَتْرَابًا . متساويات في العمر ، مع التماثل في صفات الجمال .

والخلاصة : أنه تمتع فائق اللذة والسعادة ، على وفق ما يناسب العالم الأخروى .

حيث قال سبحانه: وَفِيهَا مَا تَشْتَهِمِ ٱلْأَنْفُسُ وَتَلَدُّ ٱلْأَغْينُ وَأَنتُمْ فِيهَا خَلِدُونَ . (الزحرف: ٧١).

٣٤ - وَكُأْسًا دَهَاقًا .

وكأسًا من الخمر مترعة ملأي ، صافية متتابعة ، قد عُصرت وصفيت.

٣٥ - لا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَقُوا وَلَا كِذَّابًا .

لا يسمعون في الجنة لغوا ولا باطلاً من الكلام، ولا فاحشًا من القول.

وَلا كِلَّابًا. ولا يسمعون الكنب من القول ، فقد صان الله أسماعهم عن اللغو والباطل والكنب ، وصفَّى أسماعهم ونقًا لما لتسمع الحق والصدق ، والنقى البهيّ من الكلام ، وإنها لنعمة عظيمة .

٣٦ - جَزْآءُ مِّن رُبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا .

جزاهم الله هذا الجزاء العظيم ، تفضلا منه وإحسانًا كافيًا على حسب أعمالهم .

من مشاهد القبامة

﴿ زَبِ السَّمَوَتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّمْنَ لاَ يَلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ۞ يَوْمَ يَقُومُ الْوَحُ وَالْمَالَتِكُةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّامَنَ أَذِنَ لَهُ الرَّمْنُ وَقَالَ صَوَابًا ۞ ذَلِكَ الْوَمُ الْفَقُّ فَعَن شَآءَ أَغَذَ إِلَى رَقِمِمُنَا ۗ ۞ إِنَّا أَنذَ رَنَكُمْ عَذَا بَاقِرِ مِبَا يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرَّهُ مَا فَذَمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَتَتِنَى كُنْتُ أَنْرُبًا ۞ ﴾

المفردات،

المخطاب: المخاطبة والمكالمة ، أي : لا يقدر أحد أن يخاطبه سبحانه في رفع بلاء أو دفع عذاب.

السسسروح؛ جيريل عليه السلام.

المسمسسرة ، الإنسان ، ذكرًا كان أو أنثى .

ماقسمت يسداد، ما صنعه في حياته الأولى.

بالبتني كنت تراباء أي لم أصب حظًا من الحياة.

التفسير:

٣٧ - رَّبِّ ٱلسَّمَلُواتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا يَيْنَهُمَا ٱلرُّحْمَلُنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا.

هذا الجزاء صادرٌ من الرحمن الذي وسعت رحمته كل شيء ، وفي يوم القيامة لا يستطيع أحد أن يخاطبه في رفع عذاب ، أو دفع بالاء ، هيبة وإجلالاً له سبحانه وتعالي .

٣٨ - يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَائِكَةُ صَفًا لا يَتَكَلُّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَلِ وَقَالَ صَوَابًا .

في ذلك اليوم يقوم الروح جبريل والملائكة مصطفين صامتين.

قال تعالى : وَجَاءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا . (الفجر: ٢٢) .

حيث تصطف ملائكة السماء الأولى حول الخلائق ، وحولهم ملائكة السماء الثانية ، وحول ملائكة السماء الثانية ملائكة السماء الثالثة ، وهكذا إلى السماء السابعة ، ولا يستطيع أحد أن يتكلم أو يتشغّم إلا من أذن له الله في الكلام ، وقال قولاً صواباً حقاً ، من الشفاعة لمن ارتضى الله سبحانه وتعالى عنه ، والمراد عظمة الحق سبحانه وجلاله ، وقيام جبريل والملائكة مصطفين صامتين ، والكلام تكرمة لمن يتكلم ، لكنه لا يتكلم إلا بالحق والعدل ، ومع أنّ الملائكة مقربون إلى الله لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ، إلا أنهم يحشرون مصطفين صامتين ، قد حشرهم هول الموقف ، وإذا كان هذا حال الملائكة فما هو حال بقية البشر.

اللهم نجنا من هول يوم القيامة ، واحتشرنا آمنين مطمئنين ، واجعلنا ممن قلت فيهم : لَا يَحْزُ لُهُمُ ٱلْقَرْعُ ٱلْأَكْرُرُ وَتَلَقُوهُمُ ٱلْمَلَكِكُمُ مَلْدَا يُؤْمُكُمُ ٱللِّي كُتُتُمْ مِّو عُلُونَ . (الأنبياء : ١٠٧).

٣٩ - ذَا لِكَ ٱلَّيْوُمُ ٱلْحَقُّ فَمَن شَاءَ ٱلنَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ مَثَابًا .

أى: ذلك اليوم الذي تقف فيه الملائكة صفاً خاشعين صامتين ، هو اليوم الحقّ ، الكائن لا محالة ، الذي يُحق الله فيه الحقّ ، وينال فيه كل إنسان جزاءه الحادل .

فَمَن شَاءَ آتُخَذَ إِلَىٰ زَبِّهِ مَقَابًا .

فمن أراد النجاة في ذلك اليوم فليعمل عملاً صالحًا في مرضاة ربه ، ليجد مرجعًا كريمًا عند الله .

* = إِنَّا أَفَلَوْ لَلْكُمْ عَلَابًا قَرِينًا يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا فَدَّمْتَ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَلْيَتني كُنتُ تُوابُّ .

الخطاب لكفار مكة ولمنكري البعث ، ولكل من يتأتى منه الخطاب ، أي : عرَّفناكم عناب يوم القيامة ، وهو واقع لا محالة ، وكل آتر قريب ، وفي ذلك اليوم يجد الإنسان أعماله حاضرة أمامه ، إن خيرًا فغير وإن شرًّا فشر .

قال تعالى: وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرًا وَلَا يُطْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا . (الكهف: ٤٩).

وفي ذلك الهوم يتمنى ألكافر أنه لم يُخلق ولم يُبعث ولم يُحاسب ،ويتمنّى أن لو كان ترابًا أن حجرًا، لما يرى من أهرال القيامة ، وبثدة عقوبة الكافرين في جهتم .

قال المفسرون : وذلك حين يحشر الله الحيوانات يوم القيامة ، فيقتص للجماء من القرناء ، ويعد ذلك يصبّرها ترابًا ، فيتمنى الكافر أن لو كان ترابًا حتى لا يعدّب .

* * 1

تم بحمد الله تعالى تفسير سورة (النبأ) ، مساء يوم السبت ٤ من صفر ١٤٢٢ ، الموافق ٢٨/٤/٢٨.



أهبداف سبورة النبازعات

(سورة النازعات مكية ، وآياتها ٤٦ آية ، نزلت بعد سورة النبأ)

وهي تموذج من نصادج هــــذا الجـــزء ، لإشعــار القلب البشرى حقيقــة الأخرة بهولها وضخامتها ، وفي الطــريق إلى ذلك يمهــد الســياق بمطـلع غامض مثير ، يســوقه في إيقـــاع موســيقى راجــف لاهــث . (الآيات ١ – ٥) .

وعقب هذا المطلع الغامض الراجف الواجف ، يجىء المشهد الأول من مشاهد ذلك اليوم . (الآيات ٦ -١٤) .

ثم يأخذ السياق في عرض حلقة من قصة موسى مع فرعون ، فيهدأ الإيقاع ويسترخى شيئا ما ، ليناسب جو الحكاية والعرض . (الآيات ٢٥ ~ ٣٧) .

ثم ينتقل السياق من ساحة التاريخ إلى كتاب الكون المفتوح ، ومشاهد الكون الهائلة ، الشاهدة بالقرة والتدبير والتقدير للألومية المنشئة للكون ، المهيمنة على مصائره فى الدنيا والآخرة ، فَى تعبيرات قرية الأثر تأخذ بالألباب . (الآيات ۷۷ – ۳۳) .

ثم يجيء مشهد الطامة الكبرى ، وما يصاحبها من جزاء على ما كان في الحياة الدنيا. (الآيات ٣٤ - ٤١).

ثم يرتد السياق إلى المكذبين بهذه الساعة، الذين يسألون الرسول ﷺ عن موعدها ، يرتد إليهم بإيقاع يزيد عن روعة الساعة وهولها وضخامتها . (الآيات ٤٦ – ٤٦) .

مع آيات السورة

١ – ٥ – أقسم الله تعالى بالملائكة الذين ينزعون أرواح الكفار إغراقا، أي مبالغة في النزع ، وبالملائكة الذين يخرج الشيء وبالملائكة الذين يخرج الشيء من أعماق البحر، فيسبقون من إخراجها سبح الغواص الذي يخرج الشيء من أعماق البحر، فيسبقون بأرواح الكفار إلى الذار، ويأرواح المؤمنين إلى الجنة ، أو يسبقون للإيمان أو للطاعة لأمر الله ، فيدبرون ما يوكل إليهم من الأمور .

وقيل: أقسم الله تعالى بالنجوم ، تنزع فى مداراتها وتتحرك ، وتنشط منتقلة من منزل إلى منزل ، وتسبع سبحا فى فضاء الله وهى معلقة به ، وتسبق سبقا فى جريانها ودورانها ، وتدبر من النتائج والظراهر ما وكله الله إليها ، مما يؤثر فى حياة الأرض ومن عليها .

وقيل: النازعات والناشطات والسابحات والسابقات هى النجوم ، والمديرات هى الملائكة ، وجملة القول : فهذه أوصاف لموصوفات أقسم الله بها لعظم شأنها ، وكل ما يصدق عليه الوصف يصبح أن يكون تفسيرًا للآبات ، وهذا من إعجاز القرآن الكريم .

٦ – ٩ – اذكريا محمد بوم تضطرب الأرض ويرتجف كل من عليها ، وتنشق السماء ، ويصبعق كل من عليها ، وتنشق السماء ، ويصبعق كل من في الأرض إلا من شاء الله ، وهذه هي الراجفة أو النفضة الأولى في الصور ، يتبع ذلك النفخة الثانية ، التي يصحون عليها ويحشرون ، وهذه هي الرائفة ٥٠.

قلوب الكافرين تكون يوم القيامة شديدة الإضطراب ، بادية الذل ، يجتمع عليها الخوف والانكسار، والرجفة والانهيار .

١٠ – ١٤ – يقول الكافرون المنكرون للبعث: أصحيح أننا إذا متنا راجعون إلى الأرض أحياء كما كنا؟ أنعود للحياة بعد تحلل أجسادنا في التراب؟ إن صبح هذا فهو الخسران الخالص والرجمة الخاسرة التي لم نحسب حسابها.

لا تستمدوا ذلك أيها الكافرون ، فإنما هي صيحة واحدة ينفخ فيها إسرافيل في الصور ، فإذا الناس جميعاً أحياء على سطح أرض القيامة .

١٥ – ٢٦ – تحكي الأيات قصة موسى عليه السلام، وهي قصة تكررت في القرآن، لما لقيه موسى
 من شدة المعاناة مع قومة، فأصبح نمونجا للصير والثبات، وفي الحديث الصحيح يقول النبي 續:
 «يرحم الله أخي موسى لقد أوذي بأكثر من هذا فصيره. ١٠٠.

تقول الآبات :

وهل جاءك يا محمد خبر موسى وقصته المجيبة ؟ حيث تفضل الله عليه قناداه ، وكلمه من وراء حجاب بالوادى المبارك من طور سيناء (طوى) [؟] ، فقال له : انهب إلى فرعون فإنه طفى وتجارز الحد ، فتلطف معه فى القول وقل له : هل ترغب فى أن تطهر نفسك من الآثام التى انفمست فيها ؟ وهل لك فى الإيمان بالله ، واستشعار الجلالة والجبروت وخشية عقاب الله وحسابه ؟ بيد أن هذا القول لم يقلح في هداية قلب الطاغية الجبار ، فأظهر له موسى المحجزة الكبرى ، وهي انقلاب العصا حية وإخراج يده بيضاء بياضاً ساطعاً يقلب ضده الشمس ؛ فأنكر فرعـون رسالة موسى ، وعصى أمر ربّه ، ثم أعرض عن موسى ، وسعى في إيذائه ، وحث الناس على مقـاومة دعـوته ، ثم جمـع السحرة الذين هم تحت إمرته وسلطانه ، فقام فيهم يقول : أَنَّا رَبِّكُمْ الْأَطْلُ. الذي لا يدانهه أحد في القوة والعظمة ، وما زال في عتره وتطاوله حتى تبع موسى وقومه إلى البحر الأحمر (بحر القائم) عند خروجهم من مصر ، فأغرق فيه هو وجنوده ، تنكيلا به على ما صنع ، وله في الأخرة عناب السعير ، وسيكون مثلا للأولين ولي قصة فرعون عبرة لمن له عقل يتبر به في عواقب الأخرو ، فيثوب إلى رشده ويتقى ربه .

٧٧ — ٣٣ — يخاطب الله منكرى البعث ويرشدهم إلى أن بعثهم هين على الله ، بدليل ما يشاهدون من آثار قدرته في هذا الكون ، فيقول لهم : هل أنتم أشد خلقا أم خلق السماء أصحب وأشق ؟ إنكم لا تنازعون في أنها أشد منكم خلقا ، ومع ذلك لم نعجز عن إبداعها ، فما الذي تستصعبونه من أمر بعثكم ؟ والذي بثي. السماء وأبدعها قادر على إعادتكم .

قال تعالى : لَخَلْقُ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَلكِنْ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ . (غافد: ٥٠).

لقد رفع الله سمك السماء ، أى: بناءها ، وسمك كل شىء قامته وارتفاعه ، والسماء مرفوعة فى تناسق كامل ، وتنسيق بين حركاتها وآثارها وتأثراتها ، وقد جعل ليلها مظلما بمغيب كوكبها ، وأثار نهارها يظهر الضمى .

وَٱلْأَوْسُ يُعَدُ ذَٰ اللّٰهُ صُلَهَا . وبحو الأرض تمهيدها ويسط قشرتها ، بحيث تصبح صالحة للسير عليها ، وتكوين ترية تصلح للإنبات .

أَخْرَجَ مِنْهَا مَآمُهُا وَمُرَعُنُهَا . أي : فجر منها الديون والينابيع والأنهار ، وأنبت فيها النبات ، وفيت الجبال في أماكنها وجملها كالأوتاد ، لثلا تميد بأملها وتضطرب بهم .

فَتَشَا لَكُمْ وَ لِأَنْمُوكُمْ . أي : إنما جعلنا ذلك كله ليتمتع به الناس والأنعام ، وليتنبه الإنسان إلى عظمة التدبير والتقدير ، فإن بناء السماء على هذا النحو ، وإشلام الليل ، وإضاءة النهار ، وتمهيد الأرض ، وإخراج النبات والماء ، وإرساء الجبال ، لم يكن كل ذلك سدى ، وإنما كان متاعا لكم ولأنعامكم .

وهذا المدير الحكيم وقَر لكم هذا الخير الكثير لتتمتعوا به ، ومن الحكمة والتدبير أن يكون هناك بعث وجزاء ، لإثابة الطائم ومعاقبة الطغاة والعصاة. ٣٤ – ٤١ – فإذا جاءت الداهية العظمى التى تطو على سائر الدواهى ، وتشغل الإنسان عن ولده ونفسه ، غطت على كل شيء ، عندنذ يتذكر الإنسان سعيه ويستحضره أمامه ، حين يري أعماله مدونة في كتابه ، وظهرت النار في مكان بارز ، حتى يراها كل ذى نظر ، عندئذ تختلف المصائر والعواقب ، فأما من تكبر وعصى ريه وتجاوز حده ، وأثر شهوات الحياة الدنيا على ثواب الآخرة ، فالنار معاشقره .

رأما من استحضر فى قلبه دائما عظمة الله تعالى ، ونهى النفس عما تهواه وتعيل إليه بحسب طبيعتها ، فإن الجنة ستكون له مستقرا ومقاما .

٤٦ – ٤٦ – يسألك كفار قريش والمتعنتون من المشركين عن القيامة : أَيَّانَ مُومَسُهَا . متى قيامها وظهورها؟ وأين موعدها ؟

فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَائِهَا] إنها لأعظم من أن تَسأل أو تَسأل عن موعدها، قأمرها إلى ريك وهي من خاصة شأنه وليست من شأنك ، إلى ربك ينتهى علم الساعة ، فلا يعلم وقت قيامها غيره ، ولم يعط علمها لملك مكرم ، ولا لنهى مرسل ، إنما أنت رسول مبعوث لتنذر من ينفعه الإنذار ، وهو الذي يشعر قلبه بحقيقتها فيخشاها ، ويعمل لها ويتوقعها .

وإذا جاءت الساعة ، ورأوا أهوالها وحسابها وجزاءها ، استهانوا بالدنيا ومتاعها وأعمارها ، ورأوا الدنها بالنسبة للأخرة قصيرة عاجلة ، هزيلة ذاهبة ، زهيدة تافهة ، وتنظرى الدنيا في نفوس أصحابها ، فإذا هي عندهم عشية أو ضحاها ، فكأن النتيا ساعة من نهار ، أفمن أجل ساعة من نهار يُضيع الإنسان الجنة والظود في رضوانها ؟

> قال تعالى : وَيُرَمُ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْبِمُ الْمُعْرِمُونَ مَا لِيُواْ غَيْرَ سَاعَةٍ ... (الروم : ٥٥) . أي أن الدنيا أن الدنيا أن الحياة الفائية ليست إلا وقتا قصيرا بالنسبة للأهرة .

قال تعالى : بَلْ تُوْثِرُونَ ٱلْحَيْوَةَ ٱلذُّنْيَا * وَٱلْآخِرَةُ خَيْرٌ وَٱلْقَىٰٓ . (الأعلى: ١٧.١٦).

موضوعات سورة الثازعات

١ -- إثبات البعث.

٢ - مقالة المشركين في إنكاره والرد عليهم .

٣ ~ قصة موسى مع فرعون ، وفيها عاقبة الطغاة .

3 - آيات الله في الآفاق.

٥ – أهوال يوم القيامة .

٦ - الناس في هذا اليوم فريقان: سعداء وأشقياء.

٧ - تساؤل المشركين عن الساعة وميقاتها .

٨ -- نهى الرسول ﷺ عن البحث عنها .

٩ - ذهول المشركين من شدة الهول ، والاستهانة بالدنيا حين يرون الآخرة .



الحلف على وقوع البعث



المفردات ا

والسنساز صبات ؛ أقسم الله بالملائكة تنزع أرواح الكفار من أقاصي أجسامهم .

فـــرقـا ؛ نزعا شديدًا مؤلما بالغ الغاية .

والناشطات نشطاء الملائكة تُسُلُّ أرواح المؤمنين برفق.

والسابحات سبطاء الملائكة تنزل مسرعة لما أمرت به.

فالسابقات سيشاء الملائكة تسبق بالأرواح إلى مستقرها ، النار أو الجنة .

فالمعديدات أسرًا ، الملائكة تنزل بالتدبير المأمور به ، وجواب القسم محذوف دل عليه ما بعده ، وتقديره : لتبعثن .

يوم ترجث الراجقة ، يوم تضطرب الأجرام بالصيحة الهائلة ، وهي النفخة الأولى التي تصعق الخلائق . عندها وتموت .

تتبعها المرادشة : نفخة البعث التي يقوم فيها الناس للحساب والجزاء ، وهي تردف الأولى وتأتى بعدها .

واج من الخوف والفزع.

أبصارها خاشعة، ذليلة منكسرة من الفزع.

في المحافورة، إلى الحالة الأولى (الحياة).

ن خ رة ، بالية مفتتة ، من نخر العظم ، إذا بلى وتفتت .

خــــاســــرة؛ رجعة غابنة غير رابحة.

فإذا هم بالساهرة؛ فإذا هم أحياء على وجه الأرض.

التفسير،

١ - وَٱلنَّازِعَلْتِ غَرْقًا.

أقسم الله تعالى بطوائف الملائكة التى تنزع أرواح الكفار بقسوة وبقدة من أقاصى أجسامهم، نزعاً بالغ الصعوبة والنُسر، حيث تنزع روح الكافر من أقاصى جسده، من تحت كل شعرة، ومن تحت الأظافر وأصول القدمين.

وفي الحديث الشريف ما يغيد أن ررح الكافر تنزع بشدة ، حيث يكابد الكافر أشد الألام في خروج روحه ، وأن روح المؤمن تنزع برفق ويسر ، وتخرج بسهولة ولطف ، كما تنزل القطرة من فم السُّقاء .

٢ -- وَٱلنَّاشِطَاتِ نَشْطًا.

أقسم الله بملائكة الرحمة ، تنشط في أخذ أرواح المؤمنين بسهولة ويسر ، كما ينشط العقال من يد. البعير .

٣ - وَٱلسَّابِحَاتِ سَبْحًا .

الملائكة تسبح بأرواح المؤمنين إلى الملأ الأعلى ، أو تسبح بالوجى وتنزل به على الرسل كالذي يسبح ، حال كون الملائكة مسرعة منفذة للأوامر.

\$ - فَآلسَّابِقَلْتِ سَيْقًا .

الملائكة تسبق بأرواح المؤمنين إلى الجنة ، أو الملائكة تسبق إلى الإيمان والتصديق ، أو الملائكة تسبق لتبليغ وحى السماء .

٥ - فَٱلْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا .

الملائكة تدبّر أمر الكون من السماء إلى الأرض بأمره تعالى ، من الرياح والأمطار والأرزاق والأعمار ، وغير ذلك من شقون الدنيا .

وتنكير، أُمْرًا. التفخيم والتهويل.

وفى الحديث الشريف: «إن أحدكم يجمع خلقه فى بمان أمّه أربعين يوما نطقة ، ثم أربعين يوما علقة ، ثم أربعين يوما مضغة ، ثم يأمر الله الملك ، فيقول : اكتب ، فيقول : يارب ، وما أكتب ؟ فيقول : اكتب أجله وعمره ررزقه ، وشقى أو سعيد » ^ض.

وقيل: إن تدبير أمر الدنيا إلى أربعة من الملائكة: جبريل، وميكائيل، وعزرائيل، وإسرافيل.

فأما جبريل فعوكل بالرياح والجنود ، وأمّا ميكانيل فموكل بالقطر والنبت ، وأمّا عزرائيل فموكل بقيض الأنفس ، وأمّا إسرافيل فهو ينزل بالأمر عليهم .

وقال الحسن البصرى:

المراد بالآيات الخمس: النجوم والكواكب في جريها وتنقلها بين الأبراج ، وسيرها في أفلاكها هادئة أو مسرعة ، أو مدبَّرة أمرًا بأمر الله تعالى ، كاختلاف الفصول وتقدير الأرمنة ، وظهور مواقيت العبادات والمعاملات .

«فالقعر له أثر في حساب الشهور ، وله من الأثر في السحاب والمطر ، وفي الهجر من الدة والجزر ، وللفصول الأربعة وللشمس دورة سنوية ، نعرف بها حساب السنين من جهة ، وفصول السنة من جهة أخرى ، وللفصول الأربعة أثرها في أسباب حياة النبات والحيوان ، ونسبة التدبير إليها لأنها أسباب ما نستفيده منها ، والمدبّر الحكهم هو الله جل شأنه . ⁽⁰⁾

٣ ، ٧ – يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاحِفَةُ ﴿ تَشَبُعُهَا ٱلرَّادِفَةُ .

جواب القسم محذوف دلَّت عليه هاتان الآيتان ، والتقدير : لتبعثن يوم القيامة .

و ٱلرَّحِقَةُ . هى النفخة الأولى ، حين ينفخ إسرافيل فى المسور ، فيصدق من فى السماوات والأرضى ، حيث تضطرب الجبال ، وتقلع من أماكنها ، وتسيَّر وتصير هباءً منبثا ، ويضطرب نظام الكون ، ويهترُّ امتزازاً شيداً ، ويرتجف عند النفضة الأولى وهى الراجفة ، حيث تموت الخلائق ، ويصعق من فى السماوات والأرض صعقاً شديداً ، ويستمرون أربعين سنة ، ويتبع ذلك ، ٱلرَّافِقَةُ . للتى تردف الراجفة ، وتأتى بعدها ، وهى نفضة البعث والقيام للحساب .

قال تعالى : وَلُفِحَ فِي آلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَالُ اسْدُ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلاَّ مَن هَـاءَ ٱللَّهُ ثُمَّ فَيَحَ فِيهِ أَخْرَى فَإِذَا خُمْ قِبَامُ يَنظُرُونَ . (الذمر: ١٨٠) . ٨ ، ٩ - قُلُوبٌ يَوْمَعِلِد وَاجِفَةٌ هِ أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ .

قلوب الكفَّار في ذلك اليوم واجفة راجفة مضطرية من هول الموقف والقيام للحساب.

أَيْصَارُهَا خَاشِهَةً . أَبِصارها ذليلة منكسرة حيث يغشاهم الذل والقتام بسبب سوء أعمالهم، وفي صدر . سُورة الفاشية تأكيد خشوعهم ونلّهم وعذابهم .

قال تمالى : هَلْ أَتَنكَ حَلِيثُ ٱلْفَنشِيَةِ و رُجُوهُ يَوْمَيْلِ حَنْشِكَةٌ و عَلِيلَةٌ نَّامِيَةٌ و تَصْلَىٰ نَازًا حَلِيتُهُ و تُسْلَىٰ بِنْ عَيْنِ عَالِيّةٍ . (الماشية : ١ - ٥) .

١٠ - يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي ٱلْحَافِرَةِ.

يقول هؤلاء الكفار استبعادًا للحياة بعد الموت: أنرجع مرة أخرى أحياء بعد موتنا ؟

يقال لمن كان في أمر فخرج منه ثم عاد إليه : رجع في حافرته ، أي في طريقه التي جاء منها فحفرها ، بمعنى أثَّر فيها بمشيه .

١١ - أَءِفَا كُنَّا عِظَلْمًا نَجِرَةً.

أثذا بليت أجسامنا ، وأكلنا التراب ، وتهشمت عظامنا ، وصارت : نُجْرَةً ، بالية شديدة البلي .

والاستفهام للاستبعاد والاستنكار.

وقريب من ذلك قمعله تعالى: أَعِفَا مِثنَا وَكُنَا تُرَابًا ذَالِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ هَ قَدْ عَلِيمُنَا مَا تَقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِندُنَا كِتُلَبِّ حَقِيْظٌ . (ق. ٣ . ٤).

١٢ - قَالُواْ تِلْكَ إِذًا كَرُّةٌ خَاسِرَةٌ.

أى: إذا كان البحث حدًّا، وعُننا إلى الحياة بعد الموت ، فتلك رجعة خاسرة لأننا سنكون من أهل الثار، ولم نعمل عملاً لذلك الهوم.

قَالَ الْمَفْسِرُونَ : وهذا منهم استهزاء وتهكم ، اعتقادًا منهم أن ذلك لن يكون .

١٤، ١٣ - فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَ'حِنَةٌ ؞ فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ.

فإنما هي صيحة واحدة ، هي نفضة إسرافيل في المنور النفضة الثانية ، فتقوم الخلائق لربً العالمين .

فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ .

فإذا هم جميعا في أرض المحشر ، وهي أرض بيضاء مكشوفة ، وإنما قيل لها (ساهرة) لأنهم لا ينامون عليها حينتذ .

أى: لا تستبعدوا البعث ، فإنما هو نقع إسرافيل فى المسُّور النفضة الثانية ، فإذا الشلائق جميعا على سلح الأرض أحياء، بعد أن كانوا فى بطنها أمواتاً .

ونحو الآية قوله تعالى : وَمَا يَنظُرُ هَنْوُلَآءِ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدةً مَّا لَهَا مِن قَوَاقٍ . (ص : ١٥) .

التهديد بما أصاب فرعون

﴿ هَلَ أَنْنَكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ ۚ إِذْ نَادَنُهُ رَبُّهُ إِلْوَادِ الْمُتَيْسِ طُوى ۞ آذْهَبْ إِلَىٰ فِرَهَوَنَ إِنَّهُ مُلَعَىٰ ۞ نَقُلُ هَلَ لُكَ إِلَىٰ أَنْ رَكِّى ۞ أَهْدِيكَ إِلَىٰ رَئِكَ فَنَخَصْ۞ فَأَرِنَهُ ٱلْأَبَهُ ٱللَّهُ كَالْاَلْآخِرَةِ وَعَمَىٰ۞ ثُمُّ أَذَبُرِيَسَعَىٰ۞ فَحَشَرَ فَنَا دَىٰ۞ فَقَالَ أَنَارِكُمُ ٱلْآخَلُ ۞ فَأَخَذُهُ ٱللَّهُ كَالْآلَاَخِرَةِ وَلَاثُولَا ۞ إِنَّ فِي ذَلِكَ لِمِبْرَةً لِمَنْ مِثْفَىٰ۞ ﴾

المفردات ا

المسقدة من المبارك المطهر، والوادى المقدّس: هو والو بأسفل جبل طور سينًاء، من برية الشام.

طبيبوي واسم الوادي المقدّس .

ط مناسخ عن الما الحد ، فعتا وتجبر وكفر بالله تعالى .

هل لك إلى كذا ، هل ترغب فيه ؟

تسنز الكفر والطغيان.

وأهمينيك وأدلك .

المستخشى، فتخاف وتخشع.

الأية الكبرى، العلامة الدالة على صدقه في دعواه النبوة ، وهي اليد والعصا.

· ما يحمد عن المعارضة . ويجد في الإفساد والمعارضة .

<u> - حشر ، ج</u>مع السحرة الذين في بالاده .

المنكال والعذاب .

الأخـــرة ، يوم القيامة .

الأو ــــــــ ، الدنيا .

التفسيره

٥ ١ - هَلُ أَتَنْكَ حَدَيثُ مُوسَى .

استفهام یقصد به التشویق إلى معرفة قصة تهوّن عليه ما يلاقيه من قرمه المكذبين ، وكأنه قيل: هل أتاك هبر موسى ؟ إن لم يكن قد جاءك فأنا أخبرك به .

١٦ - إِذْ نَادَكُ زُبُّهُ, بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدِّسِ طُوَّى .

حين نادى الله تعالى موسى فى ظلام الليل ، فى ليلة مباركة ، باركها نداء الدق سبحانه ، وتفضله وتلطفه بنداء موسى بالوادى المبارك المطهّر ، وهو واو فى أسـفل جبل طور سيناء من برية الشام ، المسمى مُؤْكى .

١٧ – ٱذْهَبُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ, طَغَىٰ .

اذهب إلى فرعون رسولا من عند الله ، مبلغًا له رسالات السماء ، فقد طغى فرعون وتجاوز الحدّ في استعباد بنى إسرئول ، وتقتيل أبنائهم الذكور ، واستحياء الإناث ، وادعاء الألوهية ، وقوله : أنا ريكم الأعلى ، وقوله : ما علمت لكم من إله غيرى .

١٨ - فَقُلْ هَل ثُكَ إِلَىٰٓ أَن تُزَكِّيٰ .

إرشاد وتوجيه إلى حسن القول واللين فى المضاطبة ، والمعنى: هل لك يا فرعون فى تطهير نفسك وتزكية روحك.

١٩ – وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبُّكَ فَتَخْشَىٰ .

وأرشدك إلى الإيمان بالله تعالى ، وهو ربك وخالقك ، وصاحب كل فضل وتعمة ، وهذا الإيمان بالله والمعرفة به تجعلك في خشية له ، وتوقير وتعظيم . قال تعالى: إنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهُ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَازُّا ... (فاط: ٢٨).

نمن عرف الله أطاع أوامره ، واجتنب نواهيه ، والتزم بهدى السماء ، وابتعد عن الكفر والطغيان .

روى الترمذي أن رسول الله ﷺ قال : «من خاف أدلج ، ومن أدلج بلغ المنزل» 🗠 .

وعن بعض الحكماء : اعرف الله ، فمن عرف الله لم يقدر أن يعصيه طرفة عين .

و ٢ - فَأَرْسُلُهُ ٱلْآيَةُ ٱلْكُبْرَيْ .

فقدم موسى لفرعون دليلا عملها ناصحا ، هو العصا تنقلب حيّة ، فتبتلع كل ما أمامها ، واليد يُسطلها في جيهه ، فتخرج بيضاء بياضا شديدًا ، يغلب نورها ضوء الشمس ، أي قدّم موسى معجزات واضحات كدليل على أنه رسول من عند الله ، فالمعجزة أمر خارق للعادة ، يظهره الله على يد مدعى الرسالة ، تصديقا له في دعواه ، فهي بمثابة قول الحق سيحانه : صدق عبدى في كل ما يبلغ على أ.

٣١- فَكَدُّبَ وَعَصَىٰ .

أى: كنّب فرعون موسى عليه السلام ولم يصنّقه ، وعصى ربه سبحانه ، أو عصى داعية الإيمان ، وفكرة التصديق .

٣٧ - ثُمُّ أَدْبَرُ يَسْعَىٰ .

ولِّي ذُبره لدعوة موسى معرضًا عنه ، ساعيا في جمع السحرة ، أو جنوده وأعوانه .

٢٣ -- فَحَشَرَ فَنَادَئُ .

أرسل فرعون لدعوة السحرة من الصعيد الأعلى ، أو دعا جنوده ، أو جميع الناس في مملكته ، فوقف فيهم خطيبا .

٢٤ - فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ .

أى: لا ربّ فوقى ، وكانت لهم أصنام يعبدونها .

٢٥ - فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْآخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰ.

فأملكه الله بالفرق في الدنيا ، ويالحرق بالنار في الأخرة ، ونكُل به تنكيلاً شديدًا ، حيث لم يقبل منه الإيمان ، وترك جثته تطفو على الساحل ليكون عظة وعبرة اكل طالم .

٢٦ - إِنَّ فِي ذَالِكَ لَعِبْرَةً لَّمَن يَحْشَىٰ .

فيما ذكر من قصة فرعون ، وعدوانه وظلمه ، ثم هلاكه وغرقه ، لعبرة وموعظة لعن شأنه أن يغشى عاقبة الأمور ، ويعتبر بأهبار السابقين ، فيبتعد عن الظلم والعدوان ، ويخشى عاقبة الكفر والطغيان .

* * *

دلائل القدرة

﴿ مَانَتُمَ الشَدُ عَلَقَالُمِ السَّمَّ مُنْتَهَا ۞ وَفَعَ سَمَكُمَا فَسَوَ نِهَا۞ وَأَغْطَشَ لِتَلَهَا وَأَخْرَعَ مُحْمَهَا۞ وَالأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَنْهَا۞ أَخْرَجَ مِنْهَا مَا مَا هَا وَمَرْعَهَا ۞ وَالْفِبَالَ أَرْسَنَهَا۞ مَنْعَالَكُو وَلاَ تَعَمِدُونَ۞ ﴾

المفردات :

رشع سمكها، جعل ثخنها مرتفعا نحو العُلُق .

قية الملق بالأعيب.

أضعاش ليلها وأظلمه .

أغرج شحاها ، أبِّرزُ نهارها المضيء بالشمس .

دهـــاهـــا، يسطها وأوسعها لسكنى أهلها.

مصرعصه أقوات الناس والدُّواب.

الجيال أرساها، أثبتها في الأرض كالأوتأد.

التفسيره

٢٧ ، ٢٧ - ءَأَشُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ بَنَكْهَا ﴿ رَفَعَ سَمْكُهَا فَسَوَّ لَهَا .

كانوا يستكثرون البحث بعد الموت والبلى ، وهنا يواجه القرآن الخلق أجمعين بأدلة القدرة والإحكام ، فالله تعالى خلق هذا الكون منذ بلايين السنين ، وتركه فترة مناسبة ليكون صالحا لحياة الإنسان عليه . ومنا يرجّه هذا السرّال ، والمقصود به التحدّى: هل خَلُق الإنسان البسيط أكبر رأعقد أم خلق السماء العالية التي أرجدها الله القادر مرفوعة البناء ، بعيدة الفناء ، مستوية الأرجاء ، مكللة بالكواكب في الليلة الظاماء ؟

فَسُرِّسُهُا . بوضع كل جرم في موضعه حسيما اقتضته الحكمة ، وجعل السماء ماساء مستوية لا ارتفاع فيها ولا انتخاض .

٧٩ - وَأَغْطُشَ لَيْلُهَا وَأَخْرَجُ ضُحَلْهَا .

أظلم الله الليل ، وزيَّته بالنجوم ، وجعل الظارم حالكا لينام الناس ، ويهدأ المتعب ، ويهرب راغب جرب .

كما أظهر الشُّمى بالشمس الساطعة المنيرة ليعمل النَّاس، ويكسبوا ويسافروا، وينتقلوا وينتقعوا، ويطلق للضحى على النهار كله، وإضافة الضحى إلى السماء لأنه يحدث بسبب طلوع الشمس.

٣٠ - وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَالِكَ دَحَلْهَا .

خلق الله الأرض في يومين ، وخلق الجبال والبحار والأنهار في يردين ، ثم خلق السماء في يومين ، واستمر التحسين والإبداع والتكامل في خلق الكرن ، فمرّ الخلق بعدة مرلحل :

منها مرحلة الإيجاد .

- ثم مرحلة تكامل النفاق وصلاحيته للوجود، فالسماء شماء عالية، ملساء مستوية، بها النجوم والشموس والأقمار والملائكة والإبداع، والأرض بها البحار والأنهار والنبات، والجبال والإنسان والحيوان، والحشرات والهوام، ومن إبداع الخلق دحو الأرض، وجعلها مستديرة منبعجة عند خط الاستواء، مغرطة عند القطيين.

وقد استجاب الكون لقدرة القدير ، فخلق الله السماء والأرض ، وجعل الظلمات والنور ، والكون كله دائر بين الخلق والجعل .

قال تعالى : ٱلْحَمَّدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي حَلَقَ ٱلسَّمَارَ 'تِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَلْتِ وَٱلُّورَ ... (الأنعام : ١) .

قال تعالى : قُلْ أَبْتُكُمْ تُتَكَفُّرُونَ بِاللَّذِي خَلَقَ آلَاَّرْضَ فِي يَوْمِسْ وَفَجْتُعُلُونَ لَهُ ٓ أَلْفَادًا ذَالِكَ رَبُّ ٱلْمُعَلَّمِينَ ۗ وَجَعَلَ فِيهَا وَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبُدْرَكَ فِيهَا وَقَارْ فِيهَا أَقْرَاتُها فِي أَرْتَعَة أَيْمِ سَوَاءً دُخنانُ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ آفِيَا طَوْعًا أَوْ كُرْهَا قَالَنَا آفَيْنَا طَالِعِينَ ﴿ فَقَصْلُهُنَّ سُجَعَ سَمَنُو اسْتُر فِي فَوَمَنْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَرَبَنَّا السَّمَاءَ الدُّنِيَّا مِمْصَلِيحَ وَجِفْظًا ذَالِكَ تَفْدِيرُ ٱلْقَرِيمِ (انصلت : ٩ - ١٧) .

٣١ - أَخْرُجُ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَـلْهَا.

أخرج من الأرض الماء بتفجير البنابيع والعبون ، وعملية التبخر التي يتم فيها إرسال الشمس أشعتها على البحار الواسعة ، فيتصاعد البخر إلى السماء ، ويسخر الله الرياح فتسوق السحاب ، ثم ينزل المطر البنتان والحيوان والنبات ، ولتتكرن العيون ، وليحفظ جانب من الماء تحت الأرض ، فيستخرجه الإنسان وينتفع به ، فالماء فعلا من الأرض ، والمطر أساسه بخر مرتفع من المحيطات الكائنة بالأرض .

وبالمطر تنبت المرعى وتخفئزُ الأرض وتهتزُ ، وتبتهج الحياة ، ويستقيد الإنسان والحيوان ، والحشراتُ والهوام .

٣٧ - وَٱلْحِبَالَ أَرْسَلْهَا .

وأرسى الله الجبال ، وجعلها راسية تُمسك بتوازن الأرض ، ليتم إعمار الأرض ، ولتكون مأدبة الله " هـ الأرض .

٣٣ - مَعَلَمُا لُكُمْ وَلِأَنْعَلَمِكُمْ.

أي: جعل الله كلُّ ذلك ليتمتع به الناس والأنعام.

قال تعالى: فَلَيْطُوِ ٱلْإِسْسُنُ إِلَيْ طَعَامِهِ هِ أَنَّا صَبَّنَا ٱلْمَاءَ صَبُّ هِ نُهُ شَفَقًنا ٱلْأَرْضَ شَفَّا وَأَلْكَمَّ وَالْمَاعَ فِهَا حَبَّا هُ وَعِبَّا وَقَطْبًا هِ وَزِيْتُونًا وَلَعَلَا هُ وَخَلَالِقَ غُلُهُ وَ وَلَئِكِهَةً وَأَنَّا ه مَثَنَاهًا لَكُمْ وَلِأَنْطُوكُمْ . (عبس: ٢٤ – ٣٢) .

و المعنى : أفلا يكون خالقكم ، وخالق السماء ، وخالق الأرض ، وخالق الفضاء والهواء والكون قادرا على بعثكم ؟

جزاء السعداء والأشقياء عند قيام الساعة

﴿ فَإِذَا بَلَهُ مِنْ الْمُلْآمَةُ أَلَكُمْرَىٰ ﴿ يَوْمَ يَنَذَكُرُا لِإِنسَانُ مَاسَعَى ﴿ وَثَرَٰزَتِ الْمُحَدِيمُ لِمَن بَرَىٰ ﴿ فَإِذَا لَمُعَلَّمُ مَا الْمَأْوَىٰ ﴿ وَأَمَا مَنْ عَافَ مَقَامَ رَبِّهِ مِنْ الْمَأْوَىٰ ﴿ وَأَمَا مَنْ عَافَ مَقَامَ رَبِيهِ وَيَعْمَى الْفَأْوَىٰ ﴿ وَلَمَا مَنْ عَافَ مَقَامَ رَبِيهِ وَفَهَى الْفَافَى فَي الْمَأْوَىٰ ﴿ وَلَمُ اللَّهُ اللّلَهُ اللَّهُ ال

المفردات :

المطامة الكبرى، الدُّاهية العظمي ، لأنها تطمَّ وتغلُّب وتفوق ما عرفوه من دواهي الدنيا .

بُرزت الجعهم؛ أظهرت إظهارًا بيُّنا.

فأسامان مكفى وجاون الحدّ في العصيان والكفر.

هسى السمساوى : هي المرجع والمقام له ، لا غيرها .

أيَّان مسرساهما: متى يقيمها الله ويثبتها .

هيم أنت من ذكراها وليس علمها إليك ولا إلى أحد من الخلق .

التفسيره

٣٤ - فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلْكُبْرَىٰ.

إذا ظهرت القيامة التى تغطّى أحداثها على كل شىء سواها ، وسُمّيت طامة لأنها تطمّ على أمر مغنلع ، من طمّ الشيء يطُمّه طمًّا ، إذا غمره ، وكل ما كثر وعلا حتى غلب فقد طمٌّ ، وسميت بالكبرى لأنها أعظم الدواهى مطلقاً .

٣٥ - يَوْمَ يَقَذَكُرُ ٱلْإِنسَانُ مَا سَعَىٰ .

في ذلك اليوم يتذكر الإنسان ما عمله من خير أو شرّ، بأن يشاهده مدونا في صحيفة أعماله.

قال تعالى : أَحْصَلْهُ ٱللَّهُ وَلَسُوهُ ... (المجادلة : ٦) .

٣٦ - وَيُرَّانَ ٱلْجَحِيمُ لَمَن يَرَى .

ظهرت جهنم تتلظى ، وتتلمظ غيظا على من عصى الله تعالى ، فيراها المؤمن فيحمد الله على نجاته منها ، ويراما الكافر عَمًّا إلى غنُه ، وحسرة إلى حسرته .

٣٧ ، ٣٧ - فَأَمَّا مَن طَغَيْ هِ وَءَاثُرَ ٱلْحَيَوْةَ ٱلدُّنْيَا .

فأما من تجاوز الحدّ فى الطغيان والخروج على أوامر الله ، وإيثار اللذائذ والشهوات ، ولم يستعدّ للآخرة بأعمالها .

٣٩ - فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِيَ ٱلْمَأْوَىٰ.

فإن مأواه ومآله هو نار الجحيم ، يصطلى بنارها، ويذوق حميمها وغسلينها ، ويُسام الذل والهوان. يها .

قال تعالى: كُلُّمَا نَضِحَتْ جُلُوكُهُم بَدَّلْنَاهُمْ جُلُوكًا غَيْرَهَا لِيُلُولُولُواْ ٱلْعَلَابَ ... (النساء: ٥٦).

ه ٤ ، ١ ٤ – وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى ٱلتَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۚ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِيَ ٱلْمَأْوَىٰ .

من راقب الله ، واتّبع أوامره ، ولجننب نواهيه، وتذكّر الوقوف أمامه للحساب والجزاء ، فائر الآخرة على الدنيا ، ونهى نفسه عن هواها ، ومشتهياتها من الزنا أو السوقة أو الخمر أو أيّ معصية ، فإن مآله الجنة ، هي مأواه ومستقره ، يقيم فيها خالدًا مخلدًا أبداً، يتمتع فيها بالنعيم المقيم ، ورضوان الله رب المالمين .

٤٤ ، ٤٣ ، ٤٤ - يَسْتَلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ ٱلَّذِانَ مُرْسَلْهَا ، فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَنَاهَا ، إِلَىٰ رَبَّكَ مُنتَهَلْهَا.

كان الكفار يكثرون السؤال عن الساعة ، بعد أن تحدُث القرآن الكريم عن القيامة، والحاقّة ، والطامة الكبرى ، والمناخّة ، والواقعة ، فكانوا يتساءلون : متى تأتى ؟ ومتى يكرن وقتها ؟

وكانوا يسألون عنها سؤال المنكر لمجينها ، المستهزِّع بوقوعها ، المتشكك في حصولها أو حصول أهوالها ، فكانوا يقولون للنبي ﷺ : متى تكون للساعة ١٠٠٥

وعلم الساعة غيب لا يعلمه إلاَّ الله .

قال تعالى : إِنَّ ٱللَّهُ عِندَهُ, عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُتِزَّلُ ٱلْفَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلْأَرْحَامِ وَمَا تَلْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكَسِبُ غَنَّا وَمَا تَدَرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَلِيهِ وَمَا تَدَرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَلِيهِ

وفي صحيح البخاري أن جبريل جاء للنبي ﷺ في صورة أعرابي ، فسأله عن الإسلام ، ثم عن الإيمان ، ثم عن الإحسان ، ثم عن الساعة ، فقال ﷺ: «ما المسئول عنها بأعلم من السائل». "٠٠".

فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَ سُهَا .

لقد أرسلناك لتدعو الناس إلى العمل للأخرة ، وأنت بشر لا علم لك بأمور الغيب ، ولا تستطيع أن تذكر لهم موعد الساعة ، ولا وقت مجيئها .

قال تعالى : تَقَلَّتْ هِى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْيِكُمْ إِلَّا بَفَتَةَ يَسْتَلُونَكَ كَالَّكَ حَفِي عَلَهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللّهِ وَلَكِيَّ أَكْثَرَ الثّاسِ لَا يَسْلُمُونَ ، قُل لاَ أَمْلِللْ لِتَفْسِى نَفْعًا وَلاَ مَرَّا إِلّا مَا حَاءَ اللّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَبَ لاَ شَيْكَوْتُ مِنْ الْخَشِرِ وَمَا مَسْبَى السَّوْهُ إِنْ أَنَّا إِلَا لَمُلِيرٌ وَمُشِيرٌ لَقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ . (الأعوام ١٨٨٠).

وقال تعالى : إِنَّ السَّاعَة ءَاتِيَّة أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَئ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ . (طه : ١٥) .

إِلَىٰ رُبُّكَ مُنتَهَاهَآ.

إلى الله تعالى وحده منتهى علم الساعة ، ومعرفة وقتها ، وليس ذلك لأحد من البشر كائنًا من كان.

ه ٤ - إِلْمَا أَنتَ مُنالِرُ مَن يَخْشَلْهَا .

إنما أرسلك الله التخوُّف الناس من عذاب يوم القيامة ، ولترشدهم للعمل والاستعداد لذلك اليوم .

قال ﷺ: «بُعثت أنا والساعة كهاتين». وقرن بين أصبعيه الوسطى والسبابة . (١٠٠).

وقد سُئل النبي ﷺ عن الساعة ، فقال للسائل : «ومانا أعددت لهاه ؟ فقال الرجل : ما أعددت لها كثير صلاة ، ولا كثير صيام ، ولكنّي أُحبُّ الله ورسوله ، فقال ﷺ : «يُحسّر المرء يوم الفيامة مع من أحبّ، (١٠٠).

٣٦ - كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرُونَهَا لَمْ يَلْبَتُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْضُحَلْهَا .

أى: إن الساعة قادمة ، وقدومها مؤكد، وكل آدو قريب ، وحين يشاهدونها ويرون أهوالها ، يتيقنون أنَّ الدة التي مكثوها في قبورهم لم تكن إلا عشية يوم أو ضحاه .

والعشية: من الزوال إلى الفروب.

والضحى: من طلوع الشمس إلى الزوال.

والمراد أنهم يستقصرون مدة المكث في الدنيا ، حتى كأنَّها كانت عشية من يوم أو ضحاه.

قال تعالى: كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَتُواْ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ ... (الأحقاف:٢٥).

وتنتهى الحياة الدنيا قصيرة جداً ، حتى كأنها عشية يوم أو ضحاه ، أَفَينَ أَجِل وقت قصير يُصُحَى الناس بالقيامة ، أي بالأخرة وما فيها من نعيم أبدى في الجنار؟

+ + +



أهبداف سيورة عبيس

(سورة عبس مكية ، وآياتها ٤٤ آية ، نزلت بعد سورة النجم)

وهي سورة تصدح القيم الإنسانية ، وتضع الأسس الإسلامية لأقدار الناس وأوزانهم ، وتؤكد أن قيمة الإنسان بعمله وسلوكه ، ومقدار اتباعه لهدى السماء ، قال تعالى : إِنَّ أَكْرَ مُكُمْ عِندُ ٱللَّهِ ٱلْقَلْكُمُّ ... الانسان بعمله وسلوكه ،

وقد نزلت سورة عبس فى عبد الله بن أم مكتوم، وأم مكتوم أم أبيه ، وأبوء شريح بن مالك بن ربيعة الزهرى .

«ويلك أنه أتى رسول الله ﷺ وعده صناديد قريش: عتبة وشيبة ابننا ربيعة ، وأبو جهل بن هشام ، والعباس بن عشام ، والعباس بن عبد المطلب ، يدعوهم إلى الإسلام رجاء أن يسلم بإسلامهم غيرهم ، فقال : يا رسول الله ، أقرئنى وعلمنى مما علمك الله، وكرر ذلك وهو لا يعلم شغله بالقوم ، فكره رسول الله ﷺ قطمه اكلامه ، وعبس وأعرض عنه ، فنزلت ، فكان رسول الله ﷺ بعد ذلك يكرمه ، ويقول إذا رآء : «مرحبا بمن عاتبنى فيه ربيء ، ويقول إذا رآء : «مرحبا بمن عاتبنى فيه ربيء ، ويقول إذا رآء : «مرحبا بمن عاتبنى فيه ربيء ، ويقول له : «هل لك من حاجة ؟ واستخلف على المدينة مرتبئ . ٥٠٠

فقرات السورة

تعاتب الآيات الأولى الذبي ﷺ على إعراضه عن عبد الله بن أم مكتوم ، وقد جاء يطلب الهدى ، ويلحف في طلب العلم .(الآيات ١ – ١٩٦).

ويعالج المقطع الثانى جحود الإنسان ، وكفره الفاحش بريه ، وهو يذكره بمصدر وجوده وأصل نشــأته ، وتيسير حيـاته وتولى ريـه له فى موته ونشره ، ثم تقصير الإنسان بعد ذلك فى أمر ريه . (الآيات ۱۷ – ۲۲) .

والمقطع الثالث يعالج توجيه القلب البشرى إلى أمن الأشياء به ، وهو طعامه وطعام حيوانه ، وما وراء ذلك الطعام من تدبير الله وتقديره له . (الآيات ٢٤ – ٣٧) . والمقطع الأخير يعرض الصاخَّة التي يشتد هولها ، ويذهل الإنسان مها عما عداها ، وتنقسم الوجوه الى ضاحكة مستبشرة ، وعابسة مغيرة . (الآيات ٣٣ - ٤٢) .

وتسكب السورة الإحساس بقدرة هذا الكتاب الخارقة على تغيير موازين الجاهلية ، وتصحيح القيم ، وتغيير المثل الأعلى ، فبعد أن كان احترام الإنسان لجاهه وماله ، أو منصبه ومركزه ، أو مظاهر سطوته وحبروته وقوته ، أصبح المثل الأعلى في الإسلام هو طلب الحق والهدى ، والتزام هدى السماء ، ومراقبة الله والتزاء أو امرور والعمل بأحكامه ، وصدق الله العظيم : إنَّ أَكُرُ مَكُمْ عَندَ ٱللَّهُ ٱتَّقَلُّكُمْ . . (المدرات: ١٣).

وتبين آية أخرى أن الله يأمرنا بمكارم الأخلاق وينهانا عن المنكرات، فيقول سبحانه: إِنَّ ٱللَّهُ يَأْمُو بِٱلْمَدُلُ وَٱلْإِخْسَانِ وَايِتَاي ذِي ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَن ٱلْفَحْشَاءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغَى يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكُّرُونَ .

(التحل: ٩٠)

مع آيات السورة

- ٧ . ٢ قمُّك للرسول ﷺ وحهه وأعرض ، لأن حاءه الأعمى وقطع كلامه . وفي العدول عن الخطاب للغيبة إلفات بلاغي ، سره عدم توجيه اللوم والعتاب إلى الرسول ﷺ ، ثم النفت إلى الخطاب بعد هاتين الآبتين، عندما هدأت ثورة العتاب وبدأ التلطف.
- ٣. ٤ وما يعلمك أن يتطهر هذا الرحل الأعمى الفقير، وأن يتحقق منه خير كبير، وأن يشرق قليه بنور الإيمان فتنفعه الموعظة : أَفَمَن شَوَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَمْ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّاتِهِ فَوَيْلٌ للْقَدْسِيَةِ قُلُوبُهُم مَّن ذِكْرِ ٱللَّهِ أُوْلَائِكَ فِي صَلَالُ مُّهِينَ . (الزمر: ٢٢).
- ٥ ٧ أما من أظهر الاستغناء عنك وعن دينك ، وعما عندك من الخير والإيمان ، أما هذا فأنت تتمدى له ، وتحفل بأمره ، وأنت مبلّغ عن الله ، عليك البلاغ وليس عليك هداهم ، ولا يضيرك إعراضهم .
- ٨ ١٠ وأما عبد الله بن أم مكتوم الذي جاءك طائعاً مختارًا ساعيًا يخشى ويتوقى، فأنت تتشاغل عنه بهؤلاء الأشراف من قريش ، ثم تتصاعد نبرة العتاب لتبلغ حد الردع والزجر .
- ١١ ١٦ كُلِّا . لا يحدث ذلك أبدا ، إن هداية القرآن غالية عالية ، فمن شاء اهتدى بها وتذكر أحكامها ، واتعظ بها وعمل بموجبها ، وهذا الوحى كريم على الله ، كريم في كل اعتبار ، منزه عن النقص والضلالة ، قد دون في صحف مكرمة ذات شرف ورفعة ، مطهرة من النقائص والضلالات ، تنزل بواسطة الملائكة على الأنبياء، وهم يبلغونها للناس.

والملك سفير لتبليغ وحى السماء ، والرسول سفير لتبليغ الدعوة إلى الناس ، وهم كرام أبرار أطهار ، لا يمصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون .

وقد بلغ النبى الكريم وحى السماء ، وغير كثيرًا من المفاهيم السائدة ، ومن اعتزاز الناس بمقاييس الجاهلية ، وجعل أسامة بن زيد أميرا على جيش به أجلاء الصحابة ، ووضع في نفوس أصحابه تقدير الناس بأعمالهم فقط لا بأحسابهم وأنسابهم ، يقول عمر بن الخطاب : لو كان سالم مولى أبى حذيفة حيا لاستخلفته . ويقول عمر أيضا : أبو بكر سيدنا وأعتق سيدنا . أي : إن أبا بكر أعتق بالالا مؤذن الرسول ﷺ .

٧٧ – ٣٣ - قُطِلُ ٱلْإِلسَّنُ مَا أَكُفُرةُ, دعاء على الكافر، فإنّه ليستحق القتل على شدة كفره وجحوبه ، ويكرانه لنعم الله عليه ، لماذاء يتكبر وهو مخلوق من أصل متواضع زهيد ، يستمد كل قيمة من فضل الله وتعمته ، ومن تقديره وتدبيره ؟ لقد خلقه الله من نطقة فمرت النطفة بأطوار كثيرة في بطن الأم، ومرّ هو بأطوار عدة خارج بطنيةاً ، رضيعا فطفلا فشابا فكهلاً فشيضا ، ثم يسر الله له سبيل الهدلية ، ومنحه العقل والإرادة ، ومكنه من القدرة على الاختيار ، وعرّفه عاقبة كل عمل ونتيجته .

قال تعالى : إِنَّا هَنَيْنَكُ ٱلسِّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا . (الإنسان : ٣) .

أى: بينًا له الطريق ومنحناه القدرة على الاختيار ، وبينًا له سبيل الهدى والضلال ، فإما أن يشكر ربه ويمثلل لأمره ، وإما أن يكفر بنعمه ويخالف أمره ، حتى إذا انتهت حياة الإنسان سلب الله روحه ، ومنَّ عليه بالموت وهو نعمة كبرى ، ولولا الموت لأكل الناس بعضهم بعضا ، ولضاقت الأرض بمن عليها ، ومن نعم الله أن شرع دفن الميت ، وحفظه في باطن الأرض ، حتى لا يترك على ظهرها للجوارح والكواسر.

ومن نعم الله أيضنا أن يبعث الموتى ، وينشرهم ويخرجهم من قبورهم ، لمكافأة الطائع ومعاقبة العامسي .

عجبا للإنسان الجاحد فإنه بالرغم من النعم الظاهرة والباطنة التى أحامله الله تعالى بها لم يمتثل ما أمره الله به .

٤٢ – ٣٢ ـ قليتاً مل الإنسان تدبير الله ، لإمداده بأسباب الحياة والنمو ، ولينظر إلى ألصق شيء إليه ، وأذم شيء له وأذم شيء له وأذم شيء له وهد الطمام ، كيف يسر الله الحصول عليه ، فقد أنزل الله سيحانه المطر من السماء ، فانتفعت به الأرض ، وانشقت عنه ثمانية أنواع من النبات ، هي .

- ١ -- الحَب ، كالجنطة والشعير والأرز.
 - ٢ -- العنب والفاكهة .
- ٣ القضب، وهو ما يؤكل من النبات رطباً وغضًا طريا.
- ٥ الزيتون والنخل، وفيهما من القيمة الغذائية الشيء الكثير، والبلح طعام الفقير وحلوى الغني، وراد المسافر والمقيم.
- بساتين ذات أشجار ضخمة مثمرة ، وذات حوائط تحيط بها ، غُلًا . جمع غلباء ، أي ضخمة عظيمة ملتفة الأشجار .
 - ٧ وفاكهة يتمتع الإنسان بأكلها ، كالتين والتفاح والخوخ وغيرها .
 - ٨ والأبُّ، أي مرعى الحيوان خاصة .

تلك قصة الطعام الذي أنبتته يد القدرة ، ويسرت لذلك المطر والرياح والشمس والهواء ، وعديدا من انعرامل والأسرار الخفية ، فيتمتع بأكله الإنسان والحيوان .

٣٣ – ٤٦ – فإذا جاءت القيامة التى تصبح الآذان بسماع أهوالها ، في ذلك اليوم يشتد الهول ، وينشغل الإنسان بنفسه عن أقرب الناس إليه ، ويفر من أخيه ، وأمه وأبيه ، وزوجته وينيه ، لقد اشتد الفزع النفسى ، ففر الإنسان من يقديهم بنفسه في الدار الدنيا ، وقد شفله خوف الحساب ، ومشاهد القيامة ، ومظهر البعث والحشر والجزاء عن كل شيء .

فى ذلك اليوم ترى وجوها مستنيرة مشرقة ترجو ثواب ربها ، مطمئنة بما تستشعره من رضاه عنها ، وترى وجوها أغرى تنشأها غبرة الحزن والحسرة ، ويعلوها سواد الذل والانقباض ، هرّلاء هم الذين جحدوا آيات ربهم ، ولم يومنوا بالله ورسله ، وانتهكوا الحرمات وتعدوا حدود الله ، فاستحقوا كلمة العذاب .

مقاصد السورة

- ١ عناب الرسول ﷺ على ما حدث منه مع ابن أم مكتوم الأعمى.
 - ٢ ذكر شرف القرآن ، وبيان أنه موعظة لمن عقل وتدبر.
- ٣ إقامة الأدلة على وحدانية الله بخلق الإنسان والنظر في طعامه وشرابه.
 - أهوال يوم القيامة.
 - ٥ انقسام الناس في الآخرة إلى سعداء وأشقياء .

المساواة في الإسلام

بِسَالَةُ فَإِلَا عَالَهُ الْخُوالِ عَلَيْهِ الْخُوالِ عَلَيْهِ الْخُوالِ عَلَيْهِ الْخُوالِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ

﴿ عَبَى وَوَٰكَ ۞ أَن جَآءُ الْأَعْمَى ۞ وَمَايُدْرِبَكَ لَمَلُهُ مِّزَّكَ ۞ أَوَ يَذَكُّرُ فَنَنْهُ الْذِكْرَى ۞ اَمَّامِنَا سَتَغَنَى ۞ فَأَنتَ لَهُ تَصَدَّىٰ ۞ وَمَاعَلَتَكَ أَلَا يَرَّكَى ۞ وَأَمَّامُن جَآءَكَ يَسْعَى ۞ وَهُو يَعْشَى ۞ فَأَنتَ عَنْهُ لَلَهِّي ۞ كَلَّمْ إِنَّهَا لَذَكِرَةً ۞ فَن شَآءَ ذَكَرَهُ ۞ فِصُحُفِ مُكَرَّمَةِ ۞ مَّرُوعَةِ مُطْهَرَةٍ ۞ فَأَنتَ عَنْهُ لَلَهِي صَفَوْقَ كُلُولِ مِرْدَوْ ۞

المفردات :

عــــــيس، قطُّب وجهه الشريف ﷺ.

تـــولـــــ ، أعرض بوجهه الشريف ﷺ .

نسله هركي، يتطهر بتعليمك من دنس الجهل.

أويدنكسر ، يتعظ بنصائحك .

تصــــــــــــى، تتعرض له بالإقبال عليه.

جاءك يسمى ، وصل إليك مسرعًا يبتغي ما عندك من العلم .

تسلسهسي؛ تُعرض وتتشاغل.

كسسسسلا ؛ حقًّا ، أو إرشاد بليغ لترك المعاودة .

إنها تستكرة ، إنَّ آيات القرآن موعظةٌ وتذكيرٌ.

فسي صبحت، منتسخة من اللوح المحفوظ.

مسكسرمسة ، شريفة عند الله .

مسرفسوعسة ؛ رفيعة القدر والمنزلة عنده تعالى .

معط عدرة : منزهة عن أيدي الشياطين ، وعن النقص .

بايدى سفرة ، كتبة من الملائكة ينسخونها من اللوح المحقوظ.

ك____رام ، أعزّاء على الله تعالى .

ب ررة ، أتقياء مطيعين لله تعالى ، وهم الملائكة .

تمهيد:

تشتمل السورة على أنب السماء ، وتوجيه الله تعالى عباده إلى طريقة التعامل ، واحترام قيمة . الإنسان ، فالإنسان إنسان بفضله وعقله وأديه وزكاء نفسه ، لا بماله وحشمه وخدمه ، والخلق كلهم عيال الله ، يتفاضلون عِنْده بالتقوى ، ويدركون ثوابه بالعمل الصالح .

قال تعالى : إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ آللَّهِ أَتْقَلُّمْ إِنَّ آللَّهُ عَلِيمٌ خَبِيرٌ . (المجرات: ١٣).

سبب النزول ،

أخرج الترمذى ، والحاكم ، عن عائشة رضى الله عنها قالت : أُنزل : عَبَسَ وَتُوَكِّى . في ابن أم مكتوم الأعمى ، أتى رسول الله ﷺ وجل من عظماء الأعمى ، أتى رسول الله ﷺ وجل من عظماء المشركين ، فجعل رسول الله ﷺ يُعرض عنه ، ويقبل على الآخر ، فيقول له : أثرى بما أقول بأسًا ؟ فيقول : «لاه ، فنزلت : عَبْسَ وَتُوَلِّى أَنْ أَنْ وَأَنْ عَامُ الْأَعْمَدُ (٣٠).

وأخرج أبو يعلى مثله عن أنس.

التفسيره

١ ، ٧ ، ٣ ، ٤ – عَبَسَ وَتَوَلَّى ۚ أَن جَاءَةُ ٱلْأَعْمَىٰ ﴿ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكُمْ ۖ أَوْ يَذْكُرُ فَتَنفَعُهُ ٱلذَّكُرَىٰ ٓ .

يجيء رجل فقير ضرير، هو عبد الله بن أم مكتوم ، وأم مكتوم كنية أمّه ، واسمها عاتكة بنت عبد الله المخزومية ، وقد أسلم بمكة قديمًا ، وكان أعمى ، وقد عمى بعد إيصار ، وقيل : ولد أعمى .

أتى رسول الله ﷺ وعنده صناديد قريش وأشرافها، والرسول ﷺ يدعوهم إلى الإسلام رجاء أن يسلم بإسلامهم خلق كثير، فقال ابن أم مكتوم: يا رسول الله، أقرئني وعلَّمني مما علمك الله، وكرر ذلك، وهو لا يعلم انشغاله ﷺ بالقوم ، فكرة ﷺ قطمه لكلامه ، وظهرت الكراهية في وجهه ، فعبس وأعرض عنه ، فنزلت هذه الأيان عتابًا لرسول الله ﷺ.

عَبَسَ وَتُولِّي * أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ .

بصيفة الحكاية عن أخر آخر غائب غير المخاطب ، وفي هذا الأسلوب إيحاء بأن الأمر موضوع الحديث من الكرامة عند الله يحيث لا يحبّ سبحانه أن يواجه به نبيّه وحبيبه ، عطفًا عليه ورحمة به , . وإكرامًا له عن المواجهة بهذا الأمر الكريه .

والمعنى:

قطّب النبى ﷺ وجهه وأعرض لأن عبد الله بن أم مكتوم الأعمى جاء إليه ساعيًا ، طالبًا من الرسول ﷺ أن يعلّب ، والأعمى لم يكن مشاهدًا للأشخاص الذين انشغل النبى ﷺ بمحاورتهم ومحاولة إقناعهم بالإسلام والقرآن والإيمان .

وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ, يَزَّكُيٍّ * أَوْ يَذُّكُو فَصَفَعَهُ ٱلذَّكُوكَ .

وما يُعلمك ينا محمد ، لعل هذا الأعمى الفقير يصير زاكيًا متطهرًا من الذنوب بسبب ما يتعلمه منك ، أو يتذكر فيتمثر بما تعلّمه من المواعظ فتنفعه الموعظة .

وكان هذا التُصرف من رسول الله ﷺ بمثابة ترك الاحتياط وترك الأنضل ، وأراد الحق سيمانه أن يرجُّ الأمة كلُّها في شخص رسولها ﷺ ، أن تكون العناية بالمخبر لا بالمظهر ، فهذا الأعمى الفقير له رغبة في معرفة الحق وتعلَّم أمور الدين ، فالاتجاه إليه وتعليمه أولى من الانشقال بالأغنياء الأقوياء ، المعرضين عن الحق وعن الإسلام .

قال الشيخ محمد عبده في تفسير جزء عمّ ما يأتي :

فكأنه يقول: يا أيها النبئ، إن أثبلت فأقبل على العقل الذكيّ، والقلب النقيّ، وإياك أن تنصرف عنه إلى ذي الجاه القوى ، والمكان العليّ، فذلك إنسان بنفسه ، حيّ بطبعه ، وهذا غائب عن حسّه ، معدوم بذاته ، موجود بجمعه ، وفي ذلك من تأديب الله لأمة محمد صلى التأديوا به لكانوا اليوم أرشد الأمم – هداهم الله .

وَمَا يُدُرِيكَ لَعَلَّهُ, يَزُّكِّي ، أَوْ يَدُّكُرُ فَتَنفَعَهُ ٱلدَّكُرَيِّ .

يتجه التعبير إلى الخطاب ، فيقول للرسول ﷺ: وما يُعلمك يا محمد ، لعل هذا الأحمى الفقير – إنا علمته – أن يتطهر ، وأن تشرق نفسه ، وأن يسمو قلبه ، أو أن تتسلل الذكرى إلى نفسه ، والموعظة إلى فؤالده، فتنفعه هذه الذكرى ، وتؤجهه إلى الخير والنفم .. ٥ ، ٢ ، ٧ - أَمَّا مَنِ آسْتَغْنَىٰ ﴿ فَأَنْتَ لَهُ, تَصَدَّىٰ ﴿ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ .

أما من استغنى عنك ، بثروته وماله وجاهه ، وأعرض عن الإسلام والقرآن وداعية الإيمان ، فأنت تتعرض له ، متشاغلاً بالتصدّى له ودعوته للإسلام ، وليس عليك هدايته ، ولا يضيرك عدم إيمانه ، ولا شيء عليك في ألا يتطهر من الكفر ، لأنك رسول مبلّغ عن الله ، ليس عليك مداهم ، إن عليك إلا البلاغ .

ويقول الآلوسي في تفسيره : والممنوع عنه في الحقيقة الإعراض عمن أسلم ، لا الإقبال على غيره ، والامتمام بأمره حوصًا على إسلامه .

٨ ، ٩ ، ٠ ٩ - وَأَمَّا مَن جَاءَكَ يَسْعَىٰ ﴿ وَهُوَ يَخْشَىٰ ﴿ فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهِّىٰ .

وأمًا من أتى إليك مسرعًا فى طلب الهداية، راغبًا فى الإرشاد والتوجيه والعظة بمواعظ الله ، وهو يخاف الله تعالى ، فأنت تتشاغل وتعرض عنه ، وتتلهى عنه بالآخرين ، لذا أمره الله تعالى ألاً يخص بالإنذار أحدًا ، بل يساوى فيه بين الشريف والضعيف ، والغنى والفقير، والسادة والعبيد ، والرجال والنساء ، والصاد والصاد والصاد والصاد والكبار ، ثم يهدى الله تعالى من يشاه إلى صراط مستقيم .

قال تعالى : وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبُّهُم بِٱلْغَدَافِةِ وَٱلْعَشِيُّ يُرِيدُونَ وَجُهَهُ, ... (الأنمام : ٥٠) .

وقال تعالى : وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱللِّينَ يَدْخُونَ رُبُهُم بِٱلْفَدَاةِ وَٱلْفَدِيِّى يَهِدُونَ وَجُهُمُ وَلَا تَعَدُّ عَيْنَاكُ عَنْهُم تُمِيدُ رِيغَةُ ٱلصَّيَاةِ ٱلذُّيَّا وَلاَ تُعلِّعُ مَا أَغْفُلُنَا قَلْبُمْ مَنْ ذِكُونَا وَآتَيْعَ هَوْسُهُ وَكَانَ أَمُرُّهُمْ فُرُطناً . (الكهف: ٢٨) .

١١، ١١ - كَالَّا إِنَّهَا لَذْكِرَةٌ . فَمَن شَآءً ذَكَرَهُ.

كُلاً . أي : لا تفعل مثل هذا مرة أخرى ، إن هذه الصحف السماوية - ومنها القرآن الكريم - تذكرة للإنسان برية ، وهذه التذكرة مودعة في الفطرة ، وتُرك للإنسان العقل والإرادة والاختيار ليتذكر رية .

فَهُن هَاءُ ذَكُرُهُن

من شاء ذكر ربّه وآمن به ، أو من شاء ذكر القرآن واتعظ به ، أو من شاء ذكر الرسالة السماوية ، وآمن بالله ربّا وبالإسلام دينًا ومحمد ﷺ نبيًّا ورسولاً . ٣ ١ ، ١ ٢ ، ١٥ ، ١ ٩ - فِي صُحُف مُكَرَّمَة ، مُرَّفُوعَة مُطَهَّرَة ، بِأَيْدِي سَفَرَة ، كِرَام بَرَرَة .

إن آيات القرآن مثبتة في محف منتسفة من اللوح المحفوظ ، مكرّمة عند الله جل وعلا ، لما فيها من العلم والحكمة ، ولنزولها من اللوح المحفوظ .

مُّرُفُوعَةٍ مُّلَهُرَةٍ ، رفيعة القدر عند الله لاشتمالها على أصول العقائد والأداب والأخلاق ، مُُلَهُرَةٍ ، منزهة عن النقص والضلالة ، محفوظة من عبث الشياطين والكفار لا يذالونها .

بِأَلِدِى سَفَرَةٍ . محمولة بأيدى سفرة ، أى : وسائط من الملائكة يسفرون بين الله ورسله ، لتبليخ الوحى الإلهى للرسل الكرام .

قال تعالى : ٱللَّهُ يَصْعُلْهِي مِنَ ٱلْمَلَائِكَةِ رُسُلاً وَمِنَ ٱلنَّاسِ ... (الحج: ٧٠) .

وقال تعالى : نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ * عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنلِرِينَ . (الشعراء: ١٩٣ ، ١٩٤).

كِرَام بُورَةٍ .

مكرمين عند ريهم ، مطيعين له ، كرام على الله ، فيهم برُّ باالمؤمنين وعطف عليهم ، حيث إنهم يدعون الله أن يفقر للتانبين ، وأن يحقظهم من السيئات ، وأن يشملهم برحمته .

قال تعالى : بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ . (الأنبياء : ٢٦) .

وقال سبحانه : لا يُعْصُونَ ٱللَّهُ مَا أَمْرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ . (التحريم: ٦) .

وقال عن شانه : أقليين أعفيلون ألقرش وَمَنْ حَوْلَهُ، يَسَبَّحُونَ بِحَدْدٍ رَبِّهِمْ وَلَقِينُونَ بِهِ وَسَتَغَيْرُونَ لَلِينَ عَاشُوا وَيَّدَا وَسِمْتَ كُلُّ حَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمَا فَأَغَيْرِ لِلَّذِينَ لَابُوا وَأَشْهُوا سَبِيلَكَ وَلِهِمْ عَذَاب الْجَجِيمِ وَرَبَّنَا وَأَدْعِلُهُمْ جَشْلتِ عَلَىٰ الْهِي وَعَدَيْهُمْ وَصَّ صَلَّحَ مِنْ عَالِهِمْ وَأَزْدَاحِهِمْ وَذُوْلَتِهِمْ إِلَّكَ أَلْتِ الْقَوْيِدُ الْمُحَكِيمُ * وَقِهِمُ السَّيِّنَاتِ وَمَن تَو السَّيِّنَاتِ يَوْمِن تَو السَّيِّنَاتِ وَمَن تَو السَّيِّنَاتِ يَوْمَن لَوَ السَّيِّنَاتِ وَمَن تَو السَّيِّنَاتِ لَيْ مَن اللَّهِمَ (فَالَدَ: ٧ - ٩) .

وتطلق السفرة على الملائكة لأنها تسفر بين الله ويين الرسل ، وكذلك تطلق على الرسل لأنها تحمل رسالة الله إلى الناس ، كلاهما يطلق عليه سفرة .

وقال ابن جرير الطبرى :

والصحيح أن السفرة : الملائكة ، وهم السفرة بين الله تعالى ويين خلقه ، ومنه يقال : السفير ، أي : الذي يسمى بين الناس في الصلح والخير .

أخرج الجماعة (أحمد وأصحاب الكتب الستة) أن رسول الله ﷺقال : «الذي يقرأ القرآن وهو ماهر به مع السفرة الكرام البررة ، والذي يقرق، وهو عليه شاقً، له أجران، ٣٧٪.

المن طلال القرآن

علُّق صاحب الظلال بضع صفحات على صدر سورة عبس ، ذكر فيها أن الحق جل جلاله جعل هداية السماء عالية سامقة ، لا ينالها إلا من رغب فيها ، وقد استجابت نفس الرسول ﷺ وانفعلت بهذا التوجيه ، واندفعت إلى إقرار هذه الحقيقة في حياته كلُّها ، وفي حياة الجماعة المسلمة ، لقد كان الإسلام ميلانًا جديدًا للبشرية ، كميلاد الإنسان الأوَّل .

وقد كان رسول الله ﷺ بعد هذا الحادث يهش لابن أم مكتوم ويرعاة ، ويقول له كلما لقيه : «أهلا بعن عاتبني فيه ربّى» ، وقد استخلفه مرتين بعد الهجرة على العدينة .

وقد أخى رسول الله ﷺ بين المهاجرين والأنصار، وجعل عمه حمزة ، ومولاه زيد بن حارثة أخوين ، وقد جمل زيدًا أميرًا فى غزوة مؤتة ، وكان أخر أعمال رسول الله ﷺ أن أمر أسامة بن زيد على جيش لغزو الروم ، يضم كثرة من المهاجرين والأنصار، فيهم أبو يكر وعمر وزيراه وصاحباء ، وقال ﷺ : «سلمان مثًا أهلُّ البيت، ٣٥.

واستمر للخلفاء على هذا الهدى ، فمشى أبو بكر الصدَّيق – وهو خليفة – يودّع بنفسه أسامة بن زيد ، ويقول : وما على أن أغبّر قدمى فى سبيل الله ساعة . ثم يقول لأسامة : إن رأيت أن تعيننى بعمر فافعل .

ثم تمضى عجلة الزمن ، فترى عمر بن الخطاب يولِّي عمار بن ياسر على الكوفة .

ويقول عمر: أبو بكر سيدُنا وأعتق سيّدنا . يعنى بلالاً ، الذي كان مملوكًا لأمية بن خلف ، واشتراه أبو بكر راعتقه . وقد كان عبد الله بن عباس يُذكر ويُذكر معه مولاه عكرمة ، وكان عبد الله بن عمر يُذكر ويُذكر معه مولاه نافع .

وتمتّع كثير من الموالى يتولى الفتيا مثل: الحسن البصرى بالبصرة ، ومجاهد بن جبر ، وعطاء بن رباح وغيرهم -

وظل ميزان السماء يرجح بأهل التقوى ولو تجردوا من قيم الأرض كلها ، في اعتبار أنفسهم ، وفي اعتبار الناس من حولهم .

***** * * *

نعم الله على الإنسان

﴿ فَيُلَأَ لِإِنسَانُ مَا ٱلْمَرَهُ، ۞ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ، ۞ مِن نُطَّفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ، ۞ ثُمَّ ٱلسَّيِيلَ بَشَرَهُ ۞ ثُمَّ آمَانُهُ وَقَائِرُهُ، ۞ ثُمَّ إِذَاشَاءَ أَنشَرَهُ، ۞ كَلَالتَا يَقْضِ مَا أَمْرَهُ، ۞ ﴾

المقردات :

قبتها الإنسان؛ لُعن الكافر أو عُذَّب.

مساكسة سره، ما أشد كفره ، وهو تعجيب من إفراطه في الكفران ،

ثم السبيل يسره : سهل له طريق الخير وطريق الشر ، وأقدره على اختيار أيهما .

أتشــــره: أحياه بعد مرته للحساب والجزاء .

نما يقش ما أمره ، لم يفعل ما أمره الله به ، بل قصَّر .

التفسيره

١٧ - أُتِيلُ ٱلْإِنسَانُ مَاۤ أَكُفُرَهُر.

دعاء على الإنسان الكافر بالموت ، فما أشد كفره ، حيث يرى نعم الله عليه في نفسه وفي خلقه ، ثم يكفر بالله ولا يؤمن برسله . ١٨ ، ١٩ ، ٢٠ - مِنْ أَيَّ شَيْءٍ خَلْقَةُ, م مِن نُطْقَةٍ خَلْقَةُ مِنَةُ لَقَدْرَةُ, ه ثُمَّ ٱلسَّيل يَسْرَةُ.

من أى شىء حقير مهين خلقه ، من نطفةٍ خلقه الله ، فَقَثَرُهُ . لما يصلح له فى الحياة ، فوهب له أطوارًا فى بطن أمه ، وأطوارًا فى حياته ، من مراحل الضعف إلى القوة ثم إلى الضعف والشيبة مرة أخرى ، تمهيدًا للموت وهو نعمة أى نعمة ، وأمدُ الله الإنسان بالأطراف والأجزاء ، والأعضاء والأجهزة التى تساعده فى أداء رسالته فى الحياة .

ثُمُّ ٱلسَّبِيلَ يَسْرَهُر.

ألهمه الخروج من بطن أمَّه بأن فتح له رحمها ، وألهمه أن ينتكس فتكون رأسه إلى أسقل ، وأحاطه بكل أنواع الرعابة ، أو يسر له سبيل الخير والشرّ ، وأعطاه العقل والإرادة والاحتيار .

قال تعالى : إِنَّا هَدَيْنَنَهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا . (الإنسان : ٣) .

٢١ ، ٢٢ ، ٢٣ - ثُمَّ أَمَاتُمُ فَأَغْبَرَهُ ، ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُ ، كُلَّا لَمَّا يَقْصَ مَآ أَمْرَهُ .

حين انتهت حياة الإنسان أمر الله أن يدفن في الأرض تكرمة له ، ولم يتركه جزرًا السباع .

قال تعالى : مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُحْرِجُكُمْ قَارَةً أَخْرَىٰ . (طه : ٥٥) .

فالأرض أمُّنا نأكل من خيراتها ، ونعيش على ظهرها ، ويعد الموت ندفن في باطنها .

قال تعالى: أَلَمْ نَجْعَلِ آلْأَرْضَ كِفَاتًا وَأَحْيَاءً وَأُمْوَاتًا . (المرسلات: ٢٦, ٢٦).

ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُر.

إذا أراد الله وقدُّر البعث والنشور ، أمر إسرافيل فينفخ في الصور النفخة الثانية ، فيقوم الناس لرب العالمين ، حيث يتم الحساب والجزاء ، فيساق المتقون إلى الجنة ، ويساق المجرمون إلى النار .

كَلَّا لَمَّا يَقْض مَا أَمَرَهُ.

كُلًا . حرف ردع ورج لهذا الإنسان الكافر ، أو المقصّر في القيام بحق الله عليه ، أي رغم هذه النعم في الخلق والتكوين والنشأة ، وإمداد الإنسان بما يعارف في حياته مثل الأيدى والأرجل ، والسمم والبصر والعقل ، لكن الإنسان لم يشكر الله حق شكره ، فمن الناس من كفر بالله ويالكتب والرسل ، ومنهم من صدَّق وقصّر في أداء الفرائض .

رُوى عن مجاهد وقتادة أن المراد أنه لم يقض جميع ما أمره الله به ، من أول زمان تكليفُه إلى زمان اماتته وإقباره .

تيسير الطمام والفاكهة

﴿ وَلَيَنَظُرِ ٱلْإِنسَانُ إِلَىٰ طَمَامِدِهِ ۞ أَنَّ صَبَبَا ٱلْمَاءَ صَنَّا۞ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلأَرْضَ شَقَّا۞ فَأَلْتَنَا فِيهَا حَبَّا ۞ رَعِنَا وَقَفِيهُ ۞ وَزَيْتُونَا وَغَلَا ۞ وَمَدَآ بِنَ ظُلًا ۞ وَقَدِكِهَةً وَأَنَّا ۞ مَنتَعَا لَكُرُ وَلِأَنْسَكِرُ ۞﴾

المقردات ا

صبيتا الماء صباء أنزلناه من السماء إنزالاً عجيبًا ، كأنه مراق من إناء .

<u>ه م م الأرض</u>ر، بالنبات ، أو بالمرث ،

قض المرابعة المرابعة المرابعة المراب كالبرسيم ، وسُمِّي قضبًا لأنه يقضب ، أي يقطع مرة بعد أخرى .

في المراجع المراعظ علياء ، أي ضخمة عظيمة .

الأنِّ : المرعى ، لأنه يؤبُّ ، أي يؤمَّ وينتجع .

متاها تكم والانعامكم ؛ أنبتناه لكم لتتمتعوا به ، وتنتفعوا وتنتفع أنعامكم .

تمهید ۱

بعد أن ذكر الدلائل على قدرته تعالى ، وهى كامنة فى نفس الإنسان ، أردف ذلك بذكر الآيات المنبئة فى الآفاق ، الناطقة بديم صنعه تعالى وياهر حكمته .

التفسيره

٢٥ ، ٢٥ - فَلْيَنظُر ٱلْإِنسَانُ إِلَىٰ طَعَامِهِ ﴿ أَنَّا صَبَّتِنَا ٱلْمَاءَ صَبًّا .

ليتأمل الإنسان في عجائب القدرة الإلهية التي خلقته ، ويسرت له طريقه إلى المحياة ، ثم يسُّرت له الطعام ليأكل ، والماء ليشرب ، والنَّبات والحَبُّ والبساتين ليتمتع هو وأنعامه .

و خلاصة معنى الآيتين:

تأمَّل أيها الإنسان في طعامك ورزقك وأسبابه ، إن الله تعالى أنزل المطر من السماء متتابعًا .

٧٦ - ثُمُّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا .

أي: يسرنا للإنسان حرث الأرض وتقليبها ، ليتسرب إليها الضرم والهراء ، أن شقتنا الأرض بصنوف النباتات والمبرب التي يلقيها الإنسان في الأرض ، فتشق طريقها إلى أعلى .

٣٧ ، ٢٩ ، ٣٩ ، ٣٩ ، ٣٠ ، ٣٣ – فَأَلَئبَتنا فِيهَا حَبَّاه رَعِبْنَا وَلَفَلْبَاه وَزَيْتُولًا وَمَعْنَاقِعَ فَلْبًا ه وَفَلكِهِهَّة وَأَيَّاه مُتَنَافًا لُكُمْ وَلِأَنْصُوكُمْ .

هذه ألوان النَّعم التي أنبتها الله من الأرض:

الحب: كالشعير والقمح والذرة ، والفول والترمس .

العنب: وهو معروف.

القضب: وهو الزرع الذي يقضب مرة بعد مرة ، وهو رطب مثل: البرسيم ، والجتَّ وهو القَّتَّ .

الريون: منه الأخضر والأسود، ويعصر منه الزيت فيكون طعامًا وشِفاءً.

النافل: يستفيد الإنسان بالشجرة وبالرَّطب والبلح، والسعف والخُوص، وكل شيء في النشاة نافع. حمائق غُلْبُ: بساتين ذات أشجار ضخمة، ومتكاثفة كثيرة.

الفاكهة : وهي كل ما يتفكُّه به من النَّمار ، أي يستمتع به ، كالتفاح والكمثري والموزَّ والخوخ والتين نحوها .

الأَب: والأبُّ كل ما أنبتت الأرض ، مما لا يأكله الناس ولا يزرعونه ، من الكلأ وسائر أنواع المرغى للحبوان ، مثل العشب والحشيش الذي ترعاء الدواب .

مُعَلَّعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَلَمِكُمْ.

جُعلنا ذلك متمة وتمتيعا لكم ولأنعامكم ، فاشكروه على آلاته وجزيل عطائه ، فقد ضمن لكم ولأنعامكم الحياة والمتاع ، فسبحانه سكّر الأرض وهيأها لاستقبال الإنسان ، وخلق الإنسان في بطن أمّه وجعله يعر بعراعل متعددة إلى الولادة ، ويمرّ في حياته بعراحل أغرى ، من الطفولة والعراهقة والشباب ، والرجولة والكهولة والشيخوخة ، ويسُّر له المطر والنبات والطعام ، والفاكهة والعتاع له ولأنعامه ، فسيحان من كرّم الإنسان ، وسخر له الكون ، وأرسل له الرسل ، وأنزل الكتب ، فسيحانه ، سبحان الله العلى العظيم .

* * *

أهوال القيامة

﴿ فَإِذَا جَلَةَ مِنَ الصَّلَقَةُ ۞ يَوْمَ مَثُرُّا لَمْرُهُ مِنْ أَخِيهِ ۞ وَلَّهُ مِوَأَبِيهِ ۞ وَصُحِرَ فِي ٱمْرِي مِنْهُمْ يَوْمَهِ لِسَّالُ يُعْتِيهِ ۞ وُجُوهٌ مَّوَيَهِ لِمُسْعِرَةٌ ۞ صَاحِكَةٌ تُسْتَنْفِرَةٌ ۞ وَوُجُوهٌ يَعَهِ لِي عَلَيْهَا عَبْرَةٌ ۞ تَوْمَقُهَا قَلَرَةٌ ۞ أُوْلِيَكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْعَبْرَةُ ۞ ﴾

لمفردات:

جاءت الصاخفة ، الصيحة تصمّ الآذان لشدّتها ، والصنغ الضرب بالحديد على الحديد ، فيُسمع إذ ذاك صرت . شديد يحدث من تخريب الكرن ، ووقوع بعض أجرامه على بعض ، ومن ثمَّ سُمُيت صاحّة ، . تا . م ت

. شغل المغل

سفنسه ، يصرفه ويصدُّه عن مساعدة ذوى قرابته .

سينت و المضيئة مشرقة ، يقال : أسفر الصيح ، إذا أضاء .

مستسيشرة ، فرحة بما نالت .

فسيسرة ؛ غبار وكدورة تغشى وجوه الكافرين .

قسستسرة: سواد كالدُّخان .

السفسجسرة؛ وأحدهم فأجر، وهو الخارج عن حدود الله ؛ المنتهك لحرماته .

التفسيره

٣٣ - فَإِذَا جَآءَت ٱلصَّآخُةُ.

من أسماء القيامة: القارعة، لأنها تقرع القلوب بأهوالها،

و ٱلمَّمَّاتُخُّ، لأنها تصدع الأسماع لشدة وقعها ، وقد وصفت بها النفضة الثانية ، لأن الناس يصيخون لها ، أي يستمعون ، تدفعهم خدّتها إلى أن يسرعوا قيامًا ينظرون . ٣٤ ، ٣٧ ، ٣٧ - قَوْمَ يَقِرُ ٱلْعَرْهُ مِنْ أَحِيهِ وَأَلْمَوْ أَلِيهِ وَوَسِيدِهِ وَيَبِيهِ وَلِكُلَ آمْرِي مُنْهُمْ يَوْمَنِيلِ شَأَنْ نفته .

أى: إنا جاءت المساخة وهى القيامة ، فى ذلك اليوم يغرّ المرء من أقرب الناس إليه ، بداية من الأح ومرورًا بالأم والأبّ ، ووصولاً إلى الزوجة والأبناء ، مع أنه كان فى الدنيا يفتديهم ويدفع عنهم السوء ، ويحاول أن يحلّ مشاكلهم ، ويشارك فى سرائهم وضرائهم .

قال في التسهيل: ذكر تعالى فرار الإنسان من أحبابه ، وربَّهم على مراتبهم في الحنَّر والشفقة ، فيداً بالأقلّ ، وهتم بالأكبر ، وذلك يذكر الأم والأبوين لأنهما أقرب منه ، ثم بالصاحبة والبنين لأنهما أحب.

وجاء في غرائب القرآن : إن الفرار المعنىّ هو قلة الاهتمام بشأن هؤلاء ، بدليل قوله تعالى : لِكُلِّ آمْرِي مُنَهُمْ يُؤْمِدُ شَأَنَّ يُفْيِهِ . أي : يصرفه ويصدّه عن قرابته .

وروى أبن أبى حاتم ، والنسائى ، والترمذى ، عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : وتُحشرون حفاة عراة مشاة غُرلاء أى : غير مختونين . فقالت امرأة : أينظر بعضنا بعضا ، أو يرى بعضنا عورة بعض ؟ فقال ﷺ : «يا فلانة ، لِكُلُّ آمْرِي، مُنَّهُم يُوْجَلِدُ شَأَنْ يُغْرِجٍ . ٩٠٥ (قال الترمذى : حديث حسن صحيح) .

وفى الحديث الصحيح: «إن الناس فى هرل القيامة يلهمن أن الشفاعة للأنبياء ، فيذهبون إلى آدم ، ثم إلى نوح ، ثم إلى إبراهيم ، ثم إلى موسى ، ثم إلى عيسى ، فيقول كل نبىّ : نفسى نفسى ، إن الجبار غضب اليوم غضبًا شديدًا لم يغضب قبله مثله ، فيذهبون إلى النبى ﷺ فيقول : «أنا لها ، أنا لها» ، ثم يؤتيه الله الشفاعة . (°).

في ذلك اليوم ينقسم الناس إلى فريقين: أمل الإيمان والتقوى ، ويقابلهم أمل الكفر والعصيان. ·

٣٩ ، ٣٩ -- وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ . صَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ .

هوّلاء السعداء الذين أخلصوا لله في الدنيا ، وقاموا بالليل ، وطهّروا أطرافهم بالرضوء ، وقلويهم بِحُبُّ الله وطاعته والتبتل إليه ، ترى رجوههم ، مُسْفِرةً . مضيئة متهللة من البهجة والسرور .

خَاصِكُةٌ مُّسَيِّشِرَةٌ ، بما تشاهد من نعيمها في الجنة ، ورضوان الله وفضله ، ونعيمه ورويته ، هذه السعادة في قلوبهم ينعكس أثرها على وجوههم ، فترى الضحك والسعادة والاستبشار بما سينالونه من النعيم .

قال تعالى : رُضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ذَا لِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبُّهُ. (البينة : ٨).

ه ٤ ، ٤ ، ٢ ٤ - وَوُجُوهٌ يَوْمَيْدِ عَلَيْهَا غَيْرَةٌ * تَرْهَفُهَا قَتَرَةٌ * أُوْلَنْتِكَ هُمُ ٱلْكَفَرَةُ ٱلْفَجَرَةُ .

موّلاء هم الذين آثروا حظوظهم العاجلة ، وأترفوا بالشهوات ، وآثروا الحياة الدنيا ، واتُسموا بالطغيان والكفران .

وَوُجُوهٌ يَوْمَئِلٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ .

يعلوها الغبار والسواد ، والمذلة والهوان من هول ما شاهدوا .

تَرْهَقُهَا قَتَرَةً .

يعلوها سواد وظلمة على الحقيقة ، أو غمُّ وحزن على المجاز.

وقيل : لا ترى أقبح من لجتماع الغيار والسواد في الوجه ، بمعنى أن على وجوههم غبارًا وكدورة ، فوق غبار وكدورة .

أُوْلَنْفِكَ هُمُ ٱلْكَفَرَةُ ٱلْفَجَرَةُ . أُ

هولاء هم الذين كفروا بالله ، وجمعوا بين الكفر والفجور ، وهو لرتكاب المعاصمي واقتراف المويقات ، فاستحقوا أن يتجللوا بالسواد والقتام ، وأن يفشاهم الذل والمهانة ، نظرا لكفرهم وسره أعمالهم وفجورهم.

اللهم أجرتا من النار ، ومن عذاب النار ، وأدخلنا الجنة مع الأبرار ، بفضلك وكرمك يا عزيز يا غفار ، اللهم آمين .

* * 1

تم يفضل الله تفسير سورة (عبس) عشية يوم الجمعة ١٠ من صفر ١٤٢٧ هـ ، الموافق ٤ من مايو ٢٠٠١ ، والحمد لله رب الحالمين رصل اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .



أهسداف سسورة التكسوير

(سورة التكوير مكية ، وآياتها ٢٩ آية ، نزلت بعد سورة المسد)

وتشتمل سورة التكوير على ثروة ضخمة من المشاهد الرائعة في هذا الكون ، حين تنتهى الحياة ، ويغتل نظامها ، وينفرط عقد الكون وتتناثر أجزاره ، ويذهب عنه التماسك الموزون والحركة المضبوطة ، والصنعة المتينة .

والسورة تشتمل على مقطعين اثنين ، تعالج في كل مقطع منهما تقرير حقيقة ضخمة من حقائق
 العقيدة ،

الأولى: حقيقة القيامة ، وما يصاحبها من انقلاب كرنى هائل كامل ، يشمل الشمس والنجوم :، والجهال والبحار ، والأرض والسماء ، والأنمام والوحورش ، كما يشمل بنى الإنسان .

و الثانية: حقيقة الرحى ، وما يتعلق بها من صفة الملك الذي يحمله ، وصفة النبى الذي يتلقاء ، ثم شأن المخاطبين بهذا الرحى معه ، ومع المشيئة الكبرى التى قطرتهم وأنزلت لهم الرحى .

مع آيات السورة

بدأ سبحانه هذه السورة الكريمة بذكر يوم القيامة ، وما يكون فيه من أحداث هائلة ، وحين تقع هذه الأحداث تمام كل نفس ما قدمت من عمل خيرًا كان أو شرًّا .

 إذا كورت الشمس وسقطت وتدهورت ، وانطفأت شعلتها ، وانكمشت ألسنتها الملهبة ، وذهب ضوءُها ، واختل نظام الكون .

٢ -- وإذا تناثرت النجوم ، وأظلم نورها ، وذهب لألاؤها .

وإذا انفصلت الجبال عن الأرض ، وسارت في الجو كما يسير السحاب ، وتبع ذلك نسفها ويسها
 وتنديتها في الهواء ، كما جاء في سورة مله : وَيَشْتَلُونُكُ عَنِ الْجَبِالرِ أَقَلُ يُسْهُهُمْ رَبِّي نُسُفًا . (اله : ١٠٠٠).

- ع وإذا تُركت العشار وأهملت ، و آلَهِشَارُ : هي النوق الحيالي في شهرها العاشر ، وهي أجود وأثمن ما يملكه العربي ، ذإذا انتقل الناس عنها بأهوال القيامة عُطلت وأهملت .
- ه وإذا اجتمعت الوحوش الكاسرة ذليلة هادثة قد نسيت غريزتها ، مضت هائمة على وجوهها لا تأوى إلى جحورها ، ولا تنطلق وراء فرائسها ، وقد حشرها هول الموقف ذاهلة متغيرة الطباع ، فكيف بالناس فى ذلك اليوم العصيب ؟
 - ٢ وإذا التهبت البحار وامتلأت نارا ، أو فجرت الزلازل ما بينها حتى اختلطت وعادت بحرا واحدًا .
- (إذا اقترنت الأرواح بأبدانها ، أو إذا قرن كل شبيه بشبيهه ، وضمت كل جماعة من الأرواح المتجانسة في مجموعة .
- ٨ ، ٩ وإذا سئلت الموءودة بين يدى قاتلها عن السبب الذي لأجله قتات ، ليكون جوابها أشد وقعا على
 الوائد ، فإنها ستجيب أنها قتلت بالا ذنب جنته .
- وقد افتنَّ العرب في الوأد ، وكان الوأد يتم في صورة قاسية ، إذ كانت تدفن البنت حية ، أو تجلس المرأة عند المخاض فوق بثر محفورة ، فإذا كان المولود بنتا رمت بها فيها وردمتها ، وإن كان ذكرا قامت به معها ، وبعضهم كان إذا عزم على استيقاء بنته فإنه يسكها إلى أن تقدر على الرمى ، ثم يلبسها جبة من صوف أو شعر ، ويرسلها إلى البادية ترعى له إبله ، فلما جاء الإسلام سما بالمرأة وكرمها ، وليدة وناشئة وزوجة وأمًا ، وحرّم وأن البنات وشفع ذلك بالتشنيع على من يفطه .
- قال تعالى : وَإِفَا بُشُرَ أَحَمُهُم بِٱلْأَشَىٰ ظُلُ وَجَهُهُ مُسْوَدًا وَهُوَ كَظِيمٌ هَ يَتَوَارَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوّعِ مَا بُشُرَ بِهِ ٱلْمُسِكَّمُ عَلَىٰ هُونِ أُمْ يَلْشُدُ فِي ٱلْثُرَابِ أَلاسَاءَ مَا يَحْكُونَ . (النحل : ٥٥ . ٥٥) .
 - ١٠ وإذا نشرت صحف الأعمال ، وكشفت وعرفت فلم تعد مستورة بل صارت منشورة مشهورة .
 - ١١ وإذا السماء كشطت وأزيلت ، فلم يبق غطاء ولا سماء .
- ٣٠،١٧ وإنا أوقدت النار واشتد لهيبها ووهجها وحرارتها ، وإذا أدنيت الجنة من المتقين تكريما وإيناسا لهم .
- ١٤ عندما تقع هذه الأحداث الهائلة في كيان الكرن ، وفي أحوال الأحياء والأشياء ، علمت كل نفس ما قدمت من خير أو شر ما أحضرت للحساب ،
 وهى لا تستطيع أن تغير فيه ولا أن تبدل ، فالدنيا عمل ولا حساب ، والأخرة حساب ولا عمل .

وهذا ينتهى المقطع الأول من السورة ، وقد امثلاً الحس وفاض بمشاهد اليوم الذي يتم فيه هذا الإنقلاب

المقطع الثاني

بعد أن ذكرت السورة من أحوال القيامة وأهوالها ما ذكرت ، أتبعت ذلك ببيان أن ما يحدثهم به الرسول ﷺ هو القرآن الكريم الذي أنزل عليه ، وهو آيات بينات من الهدى ، وأن ما رميتموه به من المعايب كتولكم : إنه ساحر أو محتون أو كذاب أو شاعر ، ما هو إلا محض افتراه .

١٦ - يقسم الله تعالى قسما مؤكدا بالكراكب الخُسُن : التي تخنس ، أي ترجع في دورتها الظكية ،
 أَلْجُوار ٱلْكُسُن : التي تجرى وتعود إلى أماكنها .

١٧ - والليل إذا أدبر وولى وزالت ظلمته ، أو إذا أقبل ظلامه .

١٨ – والفسيح إذا أسفر وظهر نوره ، وفي ذلك بُشرى للأنفس بحياة جديدة في نهار جديد ، ومن الجمال في
 هذا التعبير إضفاء الحياة على النهار الوليد ، فإذا الصبح حي يتنفس .

«رأكاد أجزم أن اللغة العربية لا تحتري نظيرا لهذا التعبير عن الصبح ، رؤية الفجر تكاد تشر القاب المتفتح أنه بالفعل يتنفس ، ثم يجيء هذا التعبير فيصور هذه الحقيقة التي يشعر بها، ("".

١٩ – ٢٧ – وجواب القسم : إن هذا القرآن ، وهذا الرصف لليوم الآخر لقول رسول كريم، وهو جبريل الذي
 حمل هذا القول وأبلغه، فصار قوله باعتبار تبليفه .

ويذكر صفة هذا الرسول الذي اختير لحمل هذا القول وإبلاغه ، فينعته بخمسة أوصاف ، هي :

۱ - (کریم) أي : عزیز علي ربه .

٢ - (ذي قوة) في الحفظ والبعد عن النسيان والخطأ.

٣ - (عند ذي العرش مكين) أي : ذي جاء ومنزلة عند ربه .

٤ – (مطاع ثم) أي : هناك في الملأ الأعلى عند الله في ملائكته المقربين ، فهم يصدرون عن أمره ويرجعون إليه.

ه - (أمين) على وحى ربه ورسالاته ، قد عصمه من الخيانة فيما يأمره به ، وجنبه الزال فيما يقوم به من الأممال .

- هذه صفة الرسول العبلغ وهو جبريل عليه السلام ، أما الرسول الذي حمله إليكم وخاطبكم بالقرآن فهو صاحبكم الذي عرفتموه حق المعرفة عمرا طويلا ، وعرفتم عنه الصدق والأمانة ، وليس مجنوبا كما تدعون .
- ٧٢ واقد رأى محمد ﷺ جبريل عليه السلام ، وهو بالأفق الأعلى عند سدرة المنتهى بالأفق المبين ، أى
 رآه رؤية واضحة عند الأفق الواضح .
- ٢٤ وليس محمد ﷺ بالمتهم على القرآن وما فيه من قصص وأنباء وأحكام ، بل هو ثقة أمين لا يأتي به من عند نفسه ، ولا يبدل منه حرفا بحرف ، ولا معنى بمعنى ، إذ لم يُعرف عنه الكذب في ماضى حياته ، فهو غير متهم فيما يحرب عن رئية جبريل وسماع الشرائع منه .
- ٢٠ وليس القرآن قول شيطان ألقاه على لسان محمد حين خالط عقله كما تزعمون ، فالشياطين لا توحى
 بهذا النمج القويم .
- ٢٦ ثم يسألهم مستنكرا: فَأَيْنَ تُلْهُونَ. أي: فأي سبيل تسلكونها وقد سُدت عليكم السبل، وأحاط بكم
 الحق من جميع جوانبكم، ويطلت مفترياتكم، فلم تبق لكم سبيل تستطيعون الهرب منها.
- ٢٧ ثم بين حقيقة القرآن فقال: إِنْ هُرُ إِلَّا ذِكْرٌ لَّلْمَلْكِسَ. أي: ليس القرآن إلا عظة للخاق كافة ، يتذكرون بها ما غرز في طباعهم من حب الخير ، وهو ذكر يذكرهم بحقيقة نشأتهم، وحقيقة وجودهم ، وحقيقة الكون من حوالهم ، وهم أعظم عظة العالمين جميعا .
- ٣٩، ٢٨ وإن على مشيئة المكلف تتوقف الهداية ، فمن أراد الحق واتجه بقلبه إلى الطريق القريم ، هداه الله إليه ، ويسر له أمره ، وأمده بالعون والتوفيق ، ويذلك يستقر في قلب كل إنسان أن مشيئته طرف وخيط راجع في أصله إلى مشيئة الله الكبرى وإرادته المطلقة ، فليلجأ كل إنسان إلى ساحة مولاه ، ولي عناية خالقه ، فعنده سبحانه العون والتوفيق ، والهدى والسداد : وَمَا تَشْاَءُونَ إِلاَّ أَن يُشَاءُ اللَّهُ وَبُ أَنْ يَشَاعُ اللَّهُ وَانْ يَشَاعُ اللَّهُ وَبُ أَنْ يَشَاعُ اللَّهُ وَانْ يَسْتُونُ وَانْ اللَّهُ اللَّهُ وَانْ يَسَانُ إِلَى اللَّهُ اللَّهُ وَانْ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ وَانْ اللَّهُ الْحَالَةُ وَانْ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ وَانْ اللَّهُ الْحَالَةُ وَانْ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْكُ اللَّهُ اللَّهُ الْحَالَةُ وَانْ اللَّهُ الْعَالَةُ وَانْ اللَّهُ الْحَالَةُ وَانْ اللَّهُ الْحَالَةُ وَانْ اللَّهُ الْعَالَةُ وَانْ اللَّهُ الْمُثَامُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءُ اللَّهُ اللَّهُ الْمُلْعَالَةُ وَانْ اللَّهُ الْمُنْ اللَّهُ اللَّهُ الْمُلْعَالِهُ الْمُلْعِلَةُ وَانْ اللَّهُ الْمُلْعِلَةُ الْمُلْعِلْمُ اللَّهُ الْمُلْعِلَةُ الْمُنْ اللَّهُ الْمُلْعِلِقُ اللَّهُ الْمُلْعِلْمُ الْمُلْعِلَةُ الْمُلْعِلْمُ اللَّهُ الْمُلْعِلَةُ الْمُلْعِلِقُ الْمُلْعِلِقُ الْمُلْعِلَةُ الْمُلْعِلَةُ الْمُلْعِلَةُ الْمُلْعِلَةُ الْمُلْعِلَةُ الْمُلْعِلَقُ اللَّهُ الْعَلَامُ الْعُلْمُ الْعُلْمُ الْمُلْعُ الْمُلْعِلِقُ الْمُلْعُلِقُ اللَّهُ الْمُلْعِلْمُ اللَّهُ الْمُلْعُلُمُ اللَّهُ الْمُلْعِلَقُلْمُ اللَّهُ الْعُلْمُ الْعُلْمُ اللَّهُ الْمُلْعُلِقُ الْمُلْعُلِقُ الْمُلْعُلُمُ اللَّهُ الْمُلْعُلُمُ اللْعُلْمُ الْمُلْعُلِمُ اللْعُلْمُ اللْمُلْعُلِقُ اللَّهُ

موضوعات السورة

- ١ وصف أهوال القيامة .
- ٢ القسم بالنجوم وبالليل وبالصبح على أن القرآن منزل من عند الله بواسطة ملائكته .
 - ٣ إثبات نبوة محمد ﷺ.
 - ٤ بيان أن القرآن عظة وذكر لمن أراد الهداية .
 - مشيئة العبد تابعة لمشيئة الرب ، وليس لها استقلال بالعمل .

* * *

أحوال القيامة

﴿إِذَا الشَّمَسُ كُورَتُ ۞ وَإِذَا النَّجُومُ انكَدَرَتْ۞ وَإِذَا الِفِيالُ سُيِرَتْ۞ وَإِذَا الْمِشَارُ عُطِلَتْ۞ وَإِذَا الْوَحُوشُ حُشِرَتْ۞ وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِرَتْ۞ وَإِذَا النَّفُوسُ رُوِّجَتْ۞ وَإِذَا الْمَوْهُ وَمُنْ مُسِلَتُ ۞ وَإِذَا الْمَعْمُ فُشِرَتْ۞ وَإِذَا النَّمَةُ فُشِرَتْ۞ وَإِذَا النَّمَا مُنْسَلَتْ ۞ وَإِذَا الْمَوْمُ رُمَّ سُمِرَتْ۞ وَإِذَا الْمَنْةُ أَزْلِفَتْ۞ وَإِذَا الْمُعْمَدُ فَشِرَتْ۞ ﴾

المفردات :

الشمس گورت ، أزيل ضيارُها ، أو لُفُت وطويت .

السكسسات: تساقطت وتهاوت وتناثرت.

الجبال سيرت الزيلت من أماكنها.

العشار مطلت التوق الحوامل أهملت بلا راع لانشفال الناس بأنفسهم ، وكانت موضع اهتمامهم لأنها . أنفس أموالهم .

الوحوش حشرت اجمعت من كل صوب.

النفوس زوجت ، قرنت كل نفس بشكلها .

السمسوءودة؛ البنت التي تدفن حية.

كشــــطت ، نزعت وقلعت .

مُ فَي اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّا اللَّهُ اللَّهُ اللَّا اللَّا اللَّهُ اللَّهُ اللَّا اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّ

التفسيره

١ - إِذَا ٱلشَّمْسُ كُورَتْ .

هذه الآية وما بعدها من علامات اضمحالا هذا الكون ونهايته ، حيث تتغير المعالم ، وتبدّل الأرض غير الأرض والسماوات ، ويختل نظام الكون ، وقد تكرر لفظ : إِذًا ، في الآيات الأولى من سورة التكوير اثنتي عشرة مرة ، وجُواب الشرط قوله تعالى : عَلِمَتْ أَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ .

وتكرير لفظ: إِفَّا ، النتي عشرة مرة من مقاصده التشويق للجواب ، لأن السامع عندما يجد مذا الظرف قد تكري ، يكرن في ترقب وشوق لمعرفة الجواب .

والمعنى:

إذا شاخت الشمس، وانطفأ نورها، وأصبحت من النجوم القزمة التى أنَّت دورها، ووجب أن تلكُّ، وتعلوى، فتكرُّر تعهيدًا لذلك.

٢ - وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱلكَلَرَتُ .

نهب نورها؛ وانطفأ لألاوها، وتساقطت من أماكنها، كقوله تعالى: وَإِذَا ٱلْكُواكِبُ ٱتَشَرَّتُ (الانطار: ٢)

٣ - وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيَّرَتُ .

تمرّ الجبال بمراحل يوم القيامة ، فهى أرتاد تمسك بالأرض وتحفظ توازنها ، فإذا انتهت الحياة الدنيا اقتلعت الجبال من أماكنها ، وتفتتت وصارت مُلامًا أشبه بالصرف المنفوش ، ثم سُيِّرت من أماكنها ، ومرّت منّ السحاب ، ثم صارت سراها ، وهو ما يراه الظمآن وقت الظهيرة كأنه ماء ، فإذا جاء إليه لم يجده شيئًا .

قال تعالى: وَسُيَّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا . (النها: ٢٠).

\$ - وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطَّلَتْ .

وهي النَّبَاق التي مرّ على حملها عشرة أشهر، وهي أجود الأموال عند العرب، حيث يهتم بها صاحبها قبيل ولادتها، فإذا قامت القيامة أهملها صاحبها لانشغاله بأمور نفسه.

وقال القرطبي:

إن تعطيل العشار تعقيل لشدة الكرب ، وإلا فلا عشار ولا تعطيل ، كأنه قال بعد ذكر ما سبق من تكوير الشمس ، وانكدار النجوم ، وتسيير الجبال : وكان من هول هذه الحوادث ، ما يصرف حاضرها عن أكرم الأشياء عليه ، حتى لو كان عنده عشار العطلها وألمملها .

ه - وَإِذَا ٱلْوَحُوشُ خُشِرَتْ .

تُحشر الوحوش ذليلة كسيرة ، لا لجوم ارتكبت ، ولكن حشرها هول الموقف ، لقد فقدت خاصيتها وهى الافتراس أو الغرار من البسر ، لكنها حُشرت من هول الموقف ، ومن تصدّع الكون ، ومن الانتجار المقلعم الذي تتزازل معه الأرض ، وتنشق السماوات ، وتُسير الجبال ، وتكور الشمس ، وتنكدر النجوم ، وتبسّل الأرض غير الأرض والسماوات ، وهرز الجميع لله الواحد اللقهار ، تحشر الحيوانات حتى يكّادَ للشاة الجماء من الشاة . القرناء ، كما ورد في صحيح مسلم .

ومن المفسرين من ذهب إلى أن المراد اشتداد الهول ، وأنه لا حشر ولا حساب إلا للثقلين الإنس والجن، حيث أودع الله فيهما المقول والإرادة والاختيار والتكليف .

قال تعالى : وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ . (القاريات : ٥٦) .

ويقول حجة الإسلام وجماعة: الحديث المروى عن مسلم والترمذي ، وإن كان صحيحا ، إلا أنه لم يخرج مخرج التفسير للآية ، ويجوز أن يكون كناية عن العدل التام .

ييقول فريق آخر من المفسرين: نؤمن بالآية وبالقرآن كما ورد ، ونصدُق أن الوحوش ستُصشر كما ذكر القرآن صراحة ، ولا نوافق على التأويل .

٣ - وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجَّرَتُ .

سجر التنور: أوقده نارًا.

وقد ورد في مسند الإمام أحمد أن النبي ﷺ قال : «إن تحت البحر نازًا ، وتحت النار ماءً» .

فإذا لفتل نظام الكون وتقطعت أوصاله ، وسُيُرت الجبال ، حدثت الزلازل التي تجعل النيران تغلبُ على البحار.

وقد قال القرآن الكريم في موضع آخر: وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجُّرَتْ. (الانفطار: ٣).

قال صاحب الظلال:

فتفجير عناصر المياه ، وانفصال الهيدروجين عن الأكسجين فيها ، أو تفجير ذراتها على نحو ما يقع في تفجير الذرة ، وهو أشدٌ هولا ، أو على أيّ نحو آخر ، وحين يقع هذا فإن نيرانا هائلة لا يُتصور مداها تنطلق من البحار ، فإنّ تفجير قدر محدود من الذرّات في القنيلة الذريّة أو الهيدروجينية ، يُحدث هذا الهول الذي عرفته الدنيا ، فإذا تفجّرت ذرّات البحار على هذا النحو أو نحر آخر ، فإن الإدراك البشريّ يعجز عن تصوّر هذا الهول ، وتصوّر جهنم الهائلة التي تنطلق من هذه البحار الواسعة . "".

ومن المفسرين من نهب إلى أن تسجير البحار ، هو أن تقطّع الزلازل والبراكين ما بينها من حواجز ، حتى تصبح بحرا ولحدًا يختلط فيه الماء العذب بالماء العلح ، ورجح الشيخ محمد عبده هذا الرأى ⁽¹⁷⁾ ، كما رجحه الأستاذ عبد الكريم الخطيب في التفسير القرآني للقرآن ، ولم يقبل الرأى الأول ، وهو تحوّل الماء إلى نار .

أما الأستاذ الدكتور زغلول النجار (^(۱) فقد رجّع أن تسجير البحار هو تحوّلها إلى نار بسبب انفصال الأكسجين عن الهيدروجين .

واعتبر ذلك من إعجاز القرآن الكريم ، حيث أشار إلى معان علمية أكَّدها العلم بعد زمن طويل من نزول القرآن الكريم ، وقد نزلت على نبئ أمَّى ، لا علم له بذلك إلا عن طريق الوحى .

وقد أيَّد العلم وجود طبقات من النار تحت البحار ، ويؤيد ذلك ما نراه في الزلازل والبراكين التي تقذف بالحمم والنيران الملتهبة ، والصخور المذابة التي تتحول إلى صهارة سائلة من أثر البراكين .

قال الشيخ محمد عيده :

وقد يكون تسجير البحار إضرامها نارًا ، فإن ما في باطن الأرض من النار يظهر إذ ذاك بتشققها وتمرَّق طبقاتها العلها ، أما الماء فيذهب عند ذلك بخارًا ، ولا يبقى في البحار إلا النار ، أما كون باطن الأرض يحتوى على نار فقد ورد به بعض الأخبار ، حيث ورد أن البحر غطاء جهنم ، وإن لم يعرف في صحيحها ، ولكن البحث العلمي أثبت ذلك . [10]

وفي ختام هذه الآية أذكر القارئ بأن التغسير العلمي للقرآن الكريم له ثلاثة اتجاهات:

١ - الاتجاء الأول: رفض التفسير العلمي للقرآن جملة وتفصيلا ، ومن روَّاد هذا الاتجاء الإمام إلشاطبي في كتابه (الموافقات) ، الذي ذهب إلى أن القرآن الكريم يتبغى أن يُفهم كما فهمه العربي أوّل مرّة، ورفض الإمام الشاطبي التأويل العلمي للقرآن ، وهذا حذوه جانب من العلماء . ٧ - الاتجاه الشانى: يرى أن القرآن الكريم كتاب علم ، وقد اشتمل على ألوان من الإعجاز ، منها: الإعجاز الفيش ، والإعجاز الفيش ، والإعجاز الفيش ، والإعجاز الفيش ، والإعجاز اللغش ، والإعجاز اللغش والأسلوبي والهلاغي ، أما في العصور اللاحقة فقد ساد التحدي بالإعجاز العلمي ، ومن أساطين المفسرين في ذلك الإمام فخر الدين الرازي في التقسير الكبير ، والشيخ طنطاري جوهري في العصر الحديث .

٣ – الاتجاه الثالث: وهو اتجاه وسط بين الاتجاهين ، يرى أن للقرآن الكريم كتاب هداية بالدرجة الأولى ، وأن الله أنزل القرآن هدى ونورًا ليتدبر الناس آياته ، ويتفهّموا معانيه ، ويعملوا بأوامره ، ويتجنبوا نواهيه ، والأساس عندهم أن ينكبُّ الناس على فهم روح القرآن ومقاصده ، وأهدافه العليا ، وأفاقه السامقة كما هو ، وإذا حدث أن تأكد لدينا دليل علمى فلا بأس من ذكره بجوار تفسير للقرآن ، للاستئناس به وبيان صدق القرآن الكريم الذي تأكد بالعلم ، وتأيد بالدليل والبرهان، ومن أثمة الاتجاه الثالث الإمام الأكبر الشيق ، فهو يقول :

لاينبغى أن نجرُ الآية إلى العلم عند تفسيرها ، ولا أن نجر العلم إلى الآية ، ولكن إن كانت هناك حقيقة . علمية مقررة فلا بأس من ذكرها عند تفسير الآية .

وهذا الاتجاه اتجاه وسط ، ينصب ويتجه إلى القرآن بالدرجة الأولى، ويستشهد من حقائق العلم بنصيبر ما ، بحيث لا يُهياً المشاهد أن القرآن الكريم كتاب طبيعة أن كيمياء أن جغرافيا أن طبوغرافيا أن فلك أو طبقات الأرض ، أن غير ذلك من الطوم المدنية أن العسكرية أن غيرها .

فنحن أمام كتاب معجز بذاته ، وهدايته وصدقه ، وأخباره وأسلويه ، وقصاحته ويلاغته ، ومع ذلك فإن العلوم والفنون لم تصطدم بأي حقيقة علمية قريها القرآن ، بل إن العلم ينزع إلي تأكيد صدقه .

كما قال سبحانه : سَنُرِيهِمْ عَايَنتِنا فِي الْإَفَاقِ وَفِيّ أَنْفُرِهِمْ حَتَّى يَتَبَيّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوْ لَمْ يَكُفرِ بِرَبُكَ أَنَّهُر عَلَىٰ كُلُّ صُوْبِهُ شَهِيلًا . (مصلت: ٣٠) .

والتحلاصة : القرآن غالب غير مغلوب ، فاطمئنوا على حفظه وإعجازه ، وسيروا في بيان إعجازه الطمى على مهل وهدوء ويسر ، وركّزوا على بيان هدايته حين أنزل ، وحين بَعث أمّة كانت خير أمة أخرجت للناس ، ولا مانع من بيان الإعجاز للعلمي بالقدر المناسب الميسر ، والله ولى التوفيق .

٧ - وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوَّجَتْ .

أي: اختلطت الأرواح بالأجساد بعد إعادة نشأتها .

قال تعالى: كُمَا بَدَأْنَا أَوْلَ خَلْق نُعِيدُهُ . . (الأنبياء: ١٠٤).

وقيل: المعنى: اقتران الأخيار بالأخيار، والفجار بالفجار.

وقيل: اقتران السابقين الممتازين بالسابقين الممتازين ، والمتوسطين أصحاب اليمين بالمتوسطين أصحاب اليمين ، والكفار الفجار بالكفار الفجّار .

كما قال تعالى في سورة الواقعة: وَكُتُمُ أَزُواجًا لُلْئَةً . (الواقعة: ٧) .

أي : كنتم أصنافا ثلاثة ، هم : السابقون ، وأصحاب اليمين ، وأصحاب الشمال .

وقيل: تقترن كل نفس بكتابها وعملها ، وقيل: يُقرن الأزواج بزوجاتهم .

قال تعالى: إِنَّ أَصْحَابَ ٱلجَنَّةِ ٱلْيُومَ فِي شَعُلٍ فَالْكِهُونَ هِ هُمْ وَأَزُو جُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى ٱلْآوَالِكِ مُتَّكِلُونَ . (س. ٥٠،٥٠٠)

A ، P -- وَإِذَا ٱلْمَوْءُودَةُ شَعِلَتْ . بِأَىَّ ذَنْبِ تُعِلَتْ . .

الموعودة : هي المقتولة ظلما ، وقد كان العرب يتدون البنات مخافة الفقر أو العار ، حتى لا تُسبى في الحرب .

وكان منهم من إذا أراد قتل ابنته ، تركها حتى تكمل ست سنرات ، ثم يقول لأمها : رينيها وطبيبها حتى تلحق بأحمائها (أقاريها) ، ثم بأخذها إلى الصحراء ، وقد حفر لها بثرا ، فيقول لها : انظرى فى هذه البثر، ثم يدفعها من خلفها ، ثم يسوى عليها تراب البثر .

ومنهم من كان يمسك البنت إلى أن تكبر ، ثم يلبسها جبّة من صوف ، ويتركها ترعى الإبل ويمسكها على الذلّ ، وقد شتُع القرآن على هذه العادات ، ونهى عن فعلها ، وكان النبي ﷺ قدوة حسنة في إكرام البنات وتعليمهنّ وإحسان معاملتهن.

وأكْرَم الإسلام المرأة وليدة وناشئة وزوجة وأمًّا ، وشنِّع القرآن على إهانة البنت أو قتلها .

قال سبحانه وتعالى : وَإِذَا يُشَرَّ أَحَمُّهُم بِالْأَنْفَىٰ ظَلَّ وَجَهُهُ, مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيْمٌ • يَتَوْزَى مِن ٱلْقَوْمِ مِن سُوّعِ مَا يُشْرِ بِهِ أَيْهُمِكُمْ، عَلَى هُونِهُ أَمْ يَشَرُّهُ أَصَالُهُ إِلَّا سَاءً مَا يَحْكُمُونَ . (النحل : ٨٥ . ٥٥).

وفي هذه الآية للكريمة : وَإِذَا أَلْمَوْوُوفَةُ سُبِلَتْ ، نجد القرآن الكريم يصوّر مشهدًا مؤدِّرا ، مشهد القاتل الذي أُزهق روح المقتولة بلا ذنب ولا جريرة ، يؤتى به موثقا ثم توقف المقتولة فتُسأل: ما هو الذنب الذي ارتكبته حتى قتلت؟ وتجيب الموءودة : لم أرتكب ننبا ، وإنما ظُلمتُ ظُلمًا ، وعندئز يحسّ الظالم بما فعل ، حتى يوشك ألاّ يستطيع النطق من هول ما فعل ، وسؤال الموءودة فيه إهمال للوائد ، كأنه فقد الإنسانية حتى قتل الهنته ، وهي تستفيث به فلا يغيثها ، فليس أهلاً للسائل.

قال في البحر المحيط:

وهذا السوَّال للموءودة توبيخ للفاعلين للوأد ، لأن سوَّالها يؤول إلى سوَّال الفاعلين .

قال المفسرون : بِأَىَّ ذَنَّبٍ تُعِلَّتْ .

وسوّال الموءودة عن سبب القتل هو سوّال تلمّلف، لتقول: قُتلت بلا ذُنْب، أو لتدلّ على قاتلها، أو لتوبيخ ذلك القاتل، بصرف الخطاب عنه تهديدًا له، فإذا سُئل المطلوم فما بال الظالم؟

قال الشيخ محمد عبده في تفسير الآية:

فانظر إلى هذه القسرة ، وغلظ القلب ، وقتل البنات البريثات بغير ذنب ، سوى خوف الفقر أو العار – كيف استُبنات بالرحمة والرأفة بعد أن خالط الإسلام قلوب العرب ، فما أعظم نعمة الإسلام على الإنسانية بأسها ، بمحوه هذه العادة القبيحة. ١٣٠ .

١٠ - وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ.

هى كتب الأعمال التى عملها الإنسان فى الدُّنيا، وسُجلت فى صحيفته ، تُنشر الصحف يوم القيامة، ويأخذ المؤمن كتابه بيمينه ، فإذا قرأه ابيضٌ وجهه ، ويأخذ الكافر كتابه بشماله ، فإذا قرأه اسودٌ وجهه من المَّ والذَّلَ ، حيث يجد كلَّ ما عمل من الكفر والظلم مسجِّلاً.

قال تعالى : وَوُضِعَ ٱلْكِتَلَبُ قَتَرَى ٱلْمُعْرِمِينَ مُشْقِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَمْزَيْلَتَنَا مَالرَهَلَمَا ٱلْكِتَلَبِ لَا يُعَادِرُ صَغِرَةُ وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْسَلُهَا وَوَجَدُواْ مَا عَبِلُواْ حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا . (الكهل : ٤٤) .

١١ - وَإِذَا ٱلسَّمَاءُ كُشِطَتْ.

تشققت وأزيلت ، ونُزعت وقُلعت ، فلم يبق لها وجود .

قال تعالى: يَوْمَ تُبِدُّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُواْ لِلْهِ ٱلْوَاحِدِ ٱلْقَهَارِ . (إبراميم ٤٨٠) .

وكشط السماء: إزالتها ، كما يكشط الجلد عن الذبيحة ، والفطاء عن الشيء المستور به ، وإن يبقى في ذلك اليوم غطاء ولا سماء .

١٧ – وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُقَرَتْ .

أوقدت جهنم ، واستعدت لعذاب الكافرين وإيلامهم.

قال قادة : سخّرها غضب الله ، وخطايا بنى آدم ، وقد ورد أن جهنم تتلمظ غيظا وغضبا على من عصمى الله .

قال تعالى : تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْفَيْظِ . . (الملك : ٨) .

وقال سبحانه : وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِلْفَارِينَ . (الشعراء : ٩١) .

١٣ - وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ.

وإذا الجنة قُرَّبت من أهلها ، وفقت لهم أبوابها ، وتزيُّنت لاستقبالهم ، فرحة بهم ، مسرورة بإسعادهم .

قال تعالى: وَأَزْلُفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ. (ق: ٣١).

وقال عز شأنه : وُسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱلَّذِينَ ٱلْقُواْ رَقُهُمْ إِلَى ٱلْجَنْلَةِ زُمُوا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وُلُعِيضَتَ أَبْنُوابُهَا وَقَالَ لُهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَمْ عَلَيْكُمْ عِلِيْمُ فَالْخُلُوهَا خَذِلِدِينَ . (الزمر: ٧٢) .

١٤ - عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَخْضَرَتْ .

وهذه الجملة جواب لكل ما تقدم من أول السورة ، أى : إذا انتهى ضوء الشمس والنجوم ، وسيرت الجبال من أماكنها ، وعُملك العشار ، وحشرت الوحوش ، وصارت البحار نار الله الكبرى ، واقترن الأخيار بالأعيار والقجار بالفجار ، وسئلت المقتولة ظلمًا بأى ننب قُتلت، وإذا تطايرت صحف الأعمال ، وإذا أيثل النطاء الذي فوقنا ظم تبق فوقنا سماء ، بل لم يبق فوق ولا تحت ، وإذا توقدت النار واشتد لهيبها ، وإذا قُرُيت الجنة من أهلها ، عند حدوث هذه الأشياء السابقة ستجد كل نفس عملها حاضرًا مشاهدًا ، وستجد الثواب والعقاب موضحًا لهذا العمل .

والمراد: اعْملوا وأخَّل صوا في دنياكم ، فستجدون ذلك أمامكم يوم القيامة .

قال تعالى: يَوْمَ تَعِدُ كُلُّ نَفْسٍ مُّا عَبِلَتْ مِنْ عَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَبِلَتْ مِن سُوٍّءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ يَيْتَهَا وَيَبْتَهُرَ أَمَدًا! بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسُهُ, وَاللَّهُ وَيُوفَ بِالْجَادِ . (في عبدان : ٣٠).

* * *

القرآن وحي الله نزل به جبريل الأمين

﴿ فَلَا أَقْيِمُ إِلَّهُ فَيْسَ ۞ لَلْمُوَارِ الْكُنِّينَ ۞ وَالْتِلِ إِذَا عَسْمَسَ ۞ وَالشَّيْحِ إِذَا نَفْسَ إِنَّهُ لَفَوْلُ رَسُولِ كَدِيدٍ ۞ ذِى فَوْقَ عِندَ ذِى الْمَرْضَ مَكِينٍ ۞ تُطَاعَ ثُمَّ أَمِينٍ ۞ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْمُونِ ۞ وَلَقَدْرَهَ أَوْ الْأَنْقِ الْمُدِينِ ۞ وَمَا هُوَ طَلْ الْمَيْبِ بِضِيْنِينِ ۞ وَمَا هُوَ يَقُولُ شَيْطُنِ تَعِيمٍ ۞ فَأَنَنَ تَذَهَبُونَ ۞ إِنْ هُو الْأَنْذِكُ الْمَالَمِينَ ۞ لِمَن شَامَ مِنكُمُ أَن يَسْتَقِيمَ وَمَا تَشَاءُ وَنَ إِلَّا أَنْ يَشَلَةً اللَّهُ مُرَبُّ الْعَلْمِينِ ۞ ﴾

المفردات :

فسلا اقسم، أقسم، و (لا) مزيدة .

بالهُ نُسس، بالكواكب السيارة تخنس نهارًا وتختفي عن البصر، وهي فوق الأفق.

الجوارى الكنِّس: الكواكب السيارة التي تجرى مع الشمس والقمر، وترجع حتى تختفي مع ضوء الشمس.

الكُـنْــــــــس ، التي تكنس في أبراجها ، أي تستتر ، فهي تختفي تحت ضوء الشمس ، من كنس الطبي أو الوحش : إذا دخل كِذَاسَه ، وهو بينة المُثَّذَة من أعْصان الشجر .

ضيعي الفاظ الأضداد. فهو من ألفاظ الأضداد.

تسنيطيس، أضاء وظهر نوره.

بنه لقول رسول : جبريل عن الله ، وهو جواب القسم .

مكيسة ؛ ذي مكانة رفيعة وشرف ،

مصطاع : تطيعه ملائكة السماء .

فـــــة، متالك

أمسيسة ؛ على الوحى والرسالة .

رآه : رأى الرسول محمد ﷺ جبريلٌ بصورته الحقيقية .

المستجرعة الوحي وخير السماء

بضئية ، لا يبخل بالوحى ، ولا يقصر في التبليغ .

تمهيده

يقسم سبحانه وتعالى على صدق القرآن ، وأن جبريل تلقاه عن الله ، ويلُغه للرسول الأمين 義 ، وأن جبريل ليس بمثّهم ولا مقمّر في تبليغ الرسالة ، فأين تسيرون ؟ القرآن ذِكْر للعالمين ، لمن رغب منكم في الهداية .

التفسيره

١٩، ١٥ - فَارْ أَقْسِمُ بِٱلْنُعْنَسِ ، ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنْسِ .

أى: أنسم بالنجوم التي تفنس بالنهار ، أي ترجع ويختفي ضوءُها عن الأبصار ، مع طلوعها وكونها فوق الأفق . وتكنس بعد ظهورها في الليل ، أي تستتر في مغيبها وتختفي فيه ، فتكون تحت الأفق بعد أن كانت فوقه ، كما تستتر الظباء في كُنسها .

قال القرطبي :

النجوم تخنس بالنهار، وتظهر بالليل، وتكنس وقت غروبها أي تستتر.

جاء في ظلال القرآن ما يأتي :

والخنش الجوار الكش : هي الكراكب التي تخنس ، أي ترجع في دورتها الطلكية ، وتجري وتخفى ، والتعبير يخلع عليها حياة رشيقة كحياة الظباء ، وهي تجري وتختبئ في كناسها ، وترجع من ناحية ألحري فهناك حياة تنبض من خلال التعبير الرُّشِق الأنيق عن هذه الكراكب ، وهناك إيحاء شعوري بالجمال في حركتها ، في اختفائها وفي ظهورها ، في تواريها وفي سقورها ، في جريها وفي عودتها ، يقابله إيحاء بالجمال في شكل اللفظ وجرسه .

وجاء في التفسير القرآني للقرآن ما يأتي :

والخنس: هي الكواكب إذا طلع عليها النهار وخَنَسَت، أي غابت واختفت معالمها عن الأنظار.

والجوار الكنَّس: هى هذه الكولكب فى حال ظهورها بالليل، ثم تغييها فى الأفق الغربى بفعل حركة الأرض ودورانها اليومى من الغرب إلى الشرق، والكناس مأوى الظباء، وبيتها الذى تسكن فيه، والخُنَس جمع خنساء، وهى الظبية تدخل فى كناسها، ومن هذا سمى العرب به بعض بناتهم، ومنهن الخنساء الشاعرة المعروفة، تشبيها بالظبية فى جمالها وتحركها الرتيب الهادئ على مسرح مرعاها، حتى إنا فريت الشمس عادت إلى كِناسها واختفت فيه. أسم.

وقال ابن كثير:

فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنْسِ ، ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنْسِ .

هى النجوم تخدس بالنهار ، وتظهر بالليل ، وتجرى من مكان إلى آخر بقدرته تعالى ، ثم تكنس أي تستنر وقت غروبها ، كما تتوارى الظهاء في كنسها .

١٧ ~ وَٱلَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ .

عسعس: من ألفاظ الأضداد.

فيكون المعنى: والليل إذا أقبل وستر الكون بظلامه.

كما قال تعالى : وَٱلَّيْلِ إِذَا يَعْشَىٰ ﴿ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ . (الليل: ٢،١).

واختار ابن كثير هذا المعنى فقال :

وعندى أن المراد بقوله: إِذَّا عَسْعَسَ. إذا أقبل، وإن كان يصح استعماله في الإدبار أيضا، لكن الإقبال هنا أنسب، كأنه أقسم بالليل وظلامه إذا أقبل، ويالفجر وضيائه إذا أشَرَق.

ومن المنسرين من اختار أن المراد من هذه الآية ومن التي تليها وهي:

١٨ - وَٱلصُّبْحِ إِذَا تَنَفُّسَ.

أن الحق سبحانه وتعالى يقسم بالليل إذا تبدد ظلامه وضعف ، وبالنهار إذا بدأ يتنفس بعد الفجر ، كأنه حسِّ يتمشُّى ، ويزيح الظللام ، ويتنفس بالحياة والحركة ، فكلما تنفس الصباح هرب الليل وأدبر بين بيد ٢٠٠١. وفي ذلك المعنى يقول الله تعالى : كَلا وَ ٱللَّهَرِ و وَ ٱللِّيلِ إِذْ أَذْبَرَ و وَٱلصُّبْحِ إِذَا أَشْفَر . (المدثر: ٣٢ - ٣٤).

١٩٠، ٢٠ - إِنَّهُ, لَقَوْلُ رَسُولِ كَرِيمِ ﴿ ذِي قُوْةٍ عِندَ ذِي ٱلْعَرْضِ مَكِينٍ ﴿ مُّطَاعِ لَمُ أَمِينٍ .

إن القرآن الكريم كلام الله ، نقله جبريل عليه السلام ، وينفه إلى محمد 囊 ، فنُسب القول إلى جبريل باعتبار البلاغ الذي قام به ، أي بلاغ رسول كريم هو جبريل عليه السلام ، أرسله الله بالوحى ليبلغه إلى محمد 薨 .

كَرِيمٍ . في ذاته ، كريم على ربَّه سبحانه وتعالى .

ذِي لُوَّةٍ عِندَ ذِي ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ .

جبريل صاحب قرّة على حمل هذه الأمانة وحمل الرحى ، أن إنا كُلُف بشيء قام به ، فقد حمل قرى قرم لومة إلى أعلى ، ثم قلبها فجعل عاليها سافلها .

ومكانة جبريل عند ذي العرش سبحانه وتعالى ، أي عند العظيم القدير .

مُكِين . هو صاحب مكانة ومنزلة سامية عند الله سبحانه وتعالى .

مُّظَاع ثُمُّ أَمِين . مطاع في ملائكة السماء ، يصدرون عنه ، وهو أمين على الوحي حتَّى يبلغه .

ومن هذه الصفات السامية التي اختص الله بها جبريل أمين الوحى ، تتَّضح أهمية هذا الوحى ، وأيضا مكانة الإنسان عند الله ، حيث أرسل له الرسل ، وأنزل له الكتب ، واختار جبريل عليه السلام وسيطا بين الحق سبحانه ورسوله محمد ﷺ ، ليبلغ الوحى إلى عباد الله ، وذلك من كرامة العبد على ربه ،

وصدق الله العظيم: وَلَقَدُ كُرُّمْنَا بَنِيَّ ءَادُمُ ... (الإسراء: ٧٠).

٢٧ - وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْتُونٍ .

محمد ﷺ نشأ يينهم صغيرا ، وشهدوا له بالصدق والأمانة ، وشاهدوا رجاحة عقله ، وكمال فهمه ، وصائب رأيه ، فلمًا نزل عليه الرحى ، قالوا : إنَّ محمدًا مجنون ، لأن هذا الوحى الرفيع المستوى لا يقوله عاقل ، وهو فرق طاقة البشر ، ولى أنصفوا لقالوا إنه كلام الله .

قال تعالى : أَوْلَمْ يَتَفَكَّرُواْ مَا بِصَاحِبِهِم مَّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَلِيرٌ مُّبِينٌ . (الأعراف:١٨٤) .

وقال تعالى: أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذُّكْرَىٰ وَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ شِّينٌ ، ثُمُّ تَوَلَّوْاْ عَنْهُ وَقَالُواْ مَعَلَّمٌ مَّجْتُونٌ .

(الدخان: ۱۳، ۱۶)

٧٣ - وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأَفْقِ ٱلْمُبِينِ .

رأى محمد ﷺ جبريل على صورته المقبقية بين السماء والأرض ، بالأفق الأعلى الواضح المُظهِر لما يرى فيه من جهة المشرق ، وهى الرؤية الأولى بمكة ، الواقعة عند غار حراء .

ثم رأى محمد 幾 جبريل على صورته الحقيقية مرة أخرى عند سدرة المنتهى ، وذُكر ذلك في صدر سرّرة النجم .

قـــال تعـــالى : وَالشَّجْمِ إِذَا هَوَى * مَا صَلَّ صَاحِبُكُمْ وَعَا عَرَعَا هَ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْفَوْقَ * وَإِنْ هُوَ إِلَّا وَحَىّ يُوحَىٰ هَ عَلَمْهُر شَلبِهُ الْقَوْعَ هَ ذُومِرَةً لَاَسْتَوَىٰ * وهُوَ بِالْأَلْقِ الْأَعْلَىٰ * فُتُمَ ذَنا فَتَكُلَىٰ * فَكَانَ قَابَ قَوْمَسُورُ أَوْ أَفْتَهَٰ فارخَىٰ إِنَى عَبْدِهِ مَا أَوْصَلْ هَ مَا كَذَبَ الْفُوالَةُ مَا زَأَىٰ * أَنْشَطُرُونَهُ, عَلَىٰ مَا يَزَعَ * وَلَقَدْ زَعَاهُ نَوْلُهُ أَشْرَىٰ * وعِندَ سِلدُرَةً الْمُنظَىٰ . (الدجه: ١ – ١٤) .

٢٤ - وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْفَيْبِ بِطَنِينِ.

لبس محمدً ﷺ بمتهم حين يخبر أنه يرى جبريل على صورته الحقيقية ، وأنه يتلقى عنه الوحى ، وأنتم عرفتموه وخبرتموه شابا وناشتا صابقا أمينا ، ومحمد ﷺ كان لا يضنُ بالوحى ، ولا يحتفظ به لنفسه ، بل يبلغه فور وصوله إليه .

قال تمالى : يَكَايُهَا ٱلْرُسُولُ بَلَغْ مَا أُولِلَ إِلَيْكَ مِن رَبِّكَ وَإِن لَمْ تَفَعَلُ فَمَا بَلَغْتَ رِسَاتُكُمْ وَٱللَّهُ يَعْمِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ إِنَّ ٱللَّهُ لَا يَهْدِينَ ٱلقَوْمَ ٱلْكَنْفِرِينَ . (المائدة : ١٧) .

٧٥ – وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطُانِ رَّحِيمٍ .

احتّارت قريش فى هذا الوحى ولم يثبتوا على قول ، فقالوا : إن الذي يتكلم به محمد قول ألقاه الشيطان على لسانه حين خالط عقله ، فنفى الله تعالى عنه الجنون ، ونفى أن يكون القرآن من كلام الشياطين ، فالشيطان يأمر بالقحشاء والبخل ، والقرآن يأمر بالإحسان وإيتاء الزكاة وإهراج الصنقات.

وقد حكى القرآن أن الأمم جميعا رموا أنبياءهم بالجنون.

قال تعالى : كَذَا لِكَ مَا أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولِ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ . (الذاريات: ٥٦).

٢٦ – فَأَيْنَ تَذْهُبُونَ .

أيّ طريق تسيرون فيه ، وقد قامت عليكم الحجة ، وسُدّت عليكم المنافذ ، ودخل القرآن عليكم من كل باب ، وعرض عليكم أن كل باب ، وعرض عليكم أندكة واضحة ناصعة ، فأيّ طريق تسيرون فيه ، أما يكفى أنكم تركتم النور والهداية . والإسلام والإيمان ، وأبيتم إلاّ السير في طريق الكفر والغواية ، والهوى والظلام ، فأين تذهبون في هذا النظام الدامس ؟ إنه لا يوصل إلا إلى المهالك ، فأقصروا عن طريقكم ، وتبصّرُوا عاقبة كغركم وغُلْمكم .

٧٧ - إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لَّلْعَنْلَمِينَ .

الغرآن وحى الله لرسوله ﷺ ، يللُّه إليكم ، وهو ذكر وتذكرة للناس أُجِسمِن ، ليذكروا ربهم وخالقهم ، ويعرفوا طريق الحق والهدى والإيمان ، ويتركوا طريق الكفر والغواية وطاعة الشيطان.

٧٨ - لِمَن هَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ .

لمن أراد منكم أن يستقيم على الجادة والصعواب، فقد حمل القرآن مفاتيح الهداية، ولفت الأنظار إلى دلائل الإيمان، ودخل على الناس من كل باب، وسدًّ عليهم كلَّ منفذ للشرك أو الكفر، أو اتباع الهوى والشهطان.

فمن أراد الاستقامة على الطريق الحق ، وعلى جادة الصراب ، فالقرآن فيه الذكر والتذكرة لمن أراد أن يدخل الإسلام من بابه ، وأن يستقيم على منهج الله ، وعلى الصراط المستقيم .

٧٩ - وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَلْمِينَ .

إن الهدى بيد الله ، وهو القاهر فوق عباده ، وهو سبحانه صاحب الخَلُق والأَمْر ، فالعبد له إرادة وكسب واغتيار ، والله تعالى مسبب الأسباب ، والمشيئة بيده ، والجمع بين إرادة العبد وإرادة الله تعالى تحتاج إلى شيء من الاتحناء والتسليم .

والخلاصة: من أراد الاستقامة فالقرآن أمامه ، وباب الله مفترح للجميع ، لكن الأمر يمتاج إلى المجتهدة المؤمرة المؤم اجتهاد اللعبد ورغبته في الخير والاستقامة ، ويحتاج إلى هداية الله وتوفيقه ، فعلينا جميعا أن نلجأ إليه سبحانه ، داعين مستغفرين ، تاتبين طالبين منه سبحانه المعونة والترفيق .

هَال تعالى : وَمَا تَوْقِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِ عَلَيْهِ تَوْكُلْتُ وَإِلَيْهِ أَنِيبُ . (مود : ٨٨) .



344.

أهيداف سيورة الانفطار

(سورة الانفطار مكية ، وآياتها ٩٩ آية ، نزلت بعد سورة التازعات)

وقد بدأت سورة الانفطار مثل سورة التكوير بالحديث عن أهوال القيامة ، لكنها تحدثت عنها في أسلوب مختصر، وإيقاع هادئ عميق ، ويمكن تقسيم السورة إلى ثلاث فقرات :

الفقرة الأولى: من بداية السورة إلى الآية الخامسة ، وتتحدث عن انفطار السماء ، وانتثار الكراكب ، وتفجير البحار ، ويعثرة القبور ، كحالات مصاحبة لعلم كل نفس بما قدمت وأخرت في ذلك اليوم الخطير .

الفقرة الثانية: من الآية (٦) إلى الآية (٨) ، ويدراً بلمسة العتاب المبطئة بالرعيد ، لهذا الإنسان الذي يتلقى من ربه فيوض النعمة في ذاته وخلقته ، ولكنه لا يعرف للنعمة حقها ، ولا يعرف لربه قدره ، ولا يشكر على الفضل والنعمة والكرامة .

اللفقرة الثالثة: من الآية (٩) إلى الآية (٩ ١) ، تقرر علة هذا الجحود والنكران ، فهى التكذيب بالدين - أي بالحساب – وعن هذا التكذيب ينشأ كل سوء وكل جحود ، ومن ثم تركد هذا الحساب توكيدا ، وتركد عاقبته وجزاءه المحتوم ، وتصور ضخامة يوم الحساب وهوله ، وتجرد النفوس من كل حول فيه ، وتفود الله سبحانه وأمره الحلل .

مع آيات السورة

تبدأ السورة بتصوير نهاية العالم واختلال نظامه ، وانفراط عقده ، ويتمثل ذلك في أمرين علويين وأمرين سظيين : أما الأمران الطويان فهما انفطار السماء وانتثار الكواكب ، وأما الأمران السئليان فهما تفجير البحار ويعثرة القبور .

 ا - إذا انشقت السماء وتغير نظامها ، فلم يبق نظام الكواكب على ما ذرى ، وهذا عند خراب العالم باسره .

قال تحالى: وَيُوْمُ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَاءُ بِٱلْفَصْمِ وَنَزُّلَ ٱلْمَلَّكِيكَةُ تَنزِيلاً هِ ٱلْمُلْكُ يُؤْمِئِكِ ٱلْحَقُ لِلرَّحْمَنِنِ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى ٱلْكَنْفِرِينَ عَسِيرًا . (الذوقان: ٢٥، ٧٠) . ٧ – وفي هذا اليوم تتساقط الكواكب وتتفرق: وَإِفَّا ٱلْكُولَكِ ٱنْشُرَتْ . أي : تساقطت متفرقة ، والكواكب تجري الآن في أفلاكها بسرعات هائلة ، وهي ممسكة في دلفل مداراتها لا تتعداها ، فإذا انشقت السماء تبع ذلك سقوط الكراكب وانتثارها ، وذهابها في الغضاء بندًا ، كما تذهب الذرة التي تنظلت من عقالها .

٣ – وفي هذا اليوم تزول الحواجز بين البحار، فيختلط العنب بالملح، وتفعر البحار اليابسة، وتطغى
 على الأنهار، كما يحتمل أن يكون تفجيرها هو تحويل مائها إلى عنصريه، الأكسجين والهديروجين.

﴿ وَإِذَا ٱلْفُهُورُ الْمُعْرَتُ . أى : أثيرت وقلب أعلاها أسفلها ، وباطنها ظاهرها ، ليخرج من فيها من الموتى أحياء للحساب والجزاء .

٥ - عند حدوث كل هذه الظواهر تعلم كل نفس ما قدمت من الطاعات وما أخرت من الميراث.

٣ – ٨ – يَنا أَيُّهَا ٱلْإِنسَانُ مَا خُرُكُ بِرِكُكَ ٱلْكَرِيمِ هِ ٱللَّذِي خَلَقَكَ فُسُو سُلكَ فَعَدَلْكُ . أي شيء خدعك حتى ضيعت ما أوجب عليك ربك ، وصرت تقصر في حقه ، وتنهاون في أمره ، ويسوء أدبك في جانبه ، وهو ربك الكريم الذي أغدق عليك من كرمه وفضله وبرّه ، فخلقك سويا ، معتدل القامة ، متناسب الخاق ، من غير تفاوت فيه «فلم يجعل إحدى اليدين أطول ، ولا إحدى العينين أوسع ، ولا بعض الأعضاء أبيض ويعضمها أسويه (٥٠).

فِيّ أَيُّ صُورَةٍ مَّا شَآءٌ رُكِّبُكَ . أي : ركبك في صورة هي من أعجب الصور وأتقنها وأحكمها ، وقد كان قادرا أن يركبك في أية صورة أخرى يشاؤها ، فاختار لك هذه الصورة السوية المعتدلة الجميلة.

وإن الإنسان لمخلوق جميل التكوين ، سرى الخلقة ، معتدل التصميم ، وإن عجائب الإبداع في خلفه لأضخم من إدراكه هو ، وأعجب من كل ما يراه حوله ، وإن الجمال والاعتدال ليظهر في تكوينه الجسدى ، وفي تكوينه العقلى ، وفي تكوينه الروحي سواء ، وهي تتناسق في كيانه في جمال واستواء

وهناك مؤلفات كاملة في وصف كمال التكوين الإنساني العضوى ، ويقته وإحكامه ، وتؤكد جلال القدرة المبدعة التي أبدعت خلق الإنسان في أحسن تقويم ، ويسرت خلقه من نطفة ثم من علقة ثم من مضفة ، ثم سرته خلقا كاملا ، فَتَبَارَكُ ٱللهُ أَحْسَرُ ٱلْحَمْلِقِينَ . (المؤمنون: ١٤).

«وهذه الأجهزة العامة لتكوين الإنسان الجسدى: الجهاز العظمى ، والجهاز العضلى ، والجهاز الجلدى، والجهاز الهضمى ، والجهاز الدموى، والجهاز التنفسى ، والجهاز التناسلى، والجهاز الليمفارى، والجهاز للعصبي ، والجهاز البولي ، وأجهزة الذوق والشم والسمع والبصر ، كلَّ منها عجيبة لا تقاس إليها كل المجانب الصناعية التي يقف الإنسان مدهوشا أمامها، وينسى عجائب ذاته ، وهي أضخم وأعمق وأدق يما لا يقاس» . ^(٣) .

وتقول مجلة العلوم الإنجليزية: إن يد الإنسان في مقدمة العجائب الفذة ، وإنه من الصعب جدا
— بل من المستحيل — أن يبتكن آلة تضارع اليد البشرية ، من حيث البساطة والقدرة وسرعة التكييف ،
فحينما تريد قراءة كتاب تتناوله بيدك ، ثم تثبته في الوضع الملائم للقراءة ، وهذه اليد هي التي تصمح
وضعه تلقائيا ، وحينما تقلب إحدى صفحاته تضع أصابعك تحت الررقة ، وتضغط عليها بالدرجة التي
تقلبها بها ، ثم يزول الضغط بقلب الورقة ، واليد تمسك القلم وتكتب به ، وتستعمل كافة الآلات التي تلزم
الإنسان من ملعقة إلى سكين ، إلى آلة الكتابة ، وتفتح النرافذ وتفلقها ، وتحمل كل ما يريده الإنسان ،
واليدان تشتملان على سبع وعشرين عظمة ، وتسع عشرة مجموعة من العضلات لكل منهماه (٣٠).

ورإن جزءا من أذن الإنسان (الأدن الوسطى) هو سلسلة من نحو أربعة آلاف حنية (قوس) نقيقة معقدة ، متدرجة بنظام بالغ فى الحجم والشكل ، ويمكن القول بأن هذه الحنيات تشبه آلة موسيقية ، ويبدو أنها معدة بحيث تلقط وتنقل إلى المخ بشكل ما ، كل وقع صوت أو ضجة ، من قصف الرعد إلى حفيف الشجر ، فضلا عن المزيج الرائع من أنفام كل أداة موسيقية فى الأوركسترا ووحدتها المنسجمة» ""

«ويمركز حاسة الإيصار في العين ، التي تحتري على مانة وثلاثين مليونا من مستقبلات الضره ،

- وهي أطراف الأعصاب ، ويقوم بحمايتها البغن دو الأمداب الذي يقيها ليلا ونهارا ، والذي تعتبر حركته لا

- إرائية ليمنع عنها الأترية والذرات والأجسام الغريبة ، كما يكسر من حدة الشمس مما تلقى الأهداب على

العين من ظلال ، وحركة الجفن علاوة على هذه الوقاية تمنع جفاف العين ، أما السائل المحيط بالعين

والذي يعرف باسم الدموع ، فهو أقوى مطهور، "" .

«وجهاز الذوق في الإنسان هو اللسان ، ويرجع عمله إلى مجموعات من الخلايا الذوقية القائمة في حلمات غشائه المخاطي ...».

«ويتكرن الجهاز العصبي -- الذي يسيطر على الجسم سيطرة تامة -- من شعيرات دقيقة ، تمر في جميع أنحاء الجسم ، وتتصل بغيرها أكبر منها ، وهذه بالجهاز المركزي العصبي ، فإذا ما تأثر أي جزء في الجسم ، نقلت الشعيرات العصبية هذا الإحساس إلى المخ ، حيث يمكنه أن يتصرف» .

«ونحن إذا نظرنا إلى الهضم على أنه عملية في معمل كيماوي ، وإلى الطعام الذي نأكله على أنه موا غفل ، فإننا ندرك توًّا أنه عملية عجيبة ، إذ نهضم تقريبا كل شيء يرُكل ما عدا المعدة نفسها» (٣٠). وكل جهاز من أجهزة الإنسان الأخرى يقال فيه الشيء الكثير، فالإدراك العقلى ، واختزان العقومات ، والإدراك الدوحى لجلال الله ، كلها تدل على سعة عطاء الله وحكمته ، وكرمه وفضله على الإنسان.

٩ – ١٢ – كُلاً ، ارتدعوا عن الاغترار بكرم ربكم لكم ، بل تكذبون بالحساب والمؤاخذة والجزاء ، وهذه هي علة الغرور وعلة التقصير ، وإنه لموكل بكم ملائكة يحفظونكم ويسجلون أقوالكم وأعمالكم ، ويُحصونها عليكم ، وهؤلاء الملائكة كرام ، فلا تؤذرهم بما ينفرهم من المعاصى ، وإن الإنسان ليحتشم ويستعين وهو بمحضر الكرام ، من أن يسف أو يتبدل في لفظ أو كلمة أو حركة أو تصرف ، فكيف به حين يشعر أنه في كل لحظاته في حضرة حفظة من الملائكة كُرام ، لا يليق أن يطلعوا منه إلا على كل كريم من الكمال أو الغمال؟

وهزلاء الملائكة يكتبون كل شيء ، ولا تخفى عليهم خافية من أعمالكم ، فإنهم يطعون ما تفعلون سرا أو علنا ، والملائكة قوى من قوى الخير ، منهم المفظة والكتبة ، ومنهم من ينزل بالوحى على الرسل ، وقد أمدهم الله يقوة خاصة يستطيعون بها إنجاز ما يركل إليهم من مهام .

وليس علينا أن نبحث عن كنه هؤلاء الحفظة ، ولا عن كيفية كتابتهم لأعمالنا ، ويكفى أن يشعر القلب اليشرى أنه غير متروك سُدى ، وأن عليه حفظة كراهًا كُليِّينَ . يعلمون ما يفعله ، ليرتعش ويستيقظ ويتأدب، وهذا هو المقصود .

١٣ – إن الأبرار حدقوا في إيمانهم بأداء ما فرض عليهم ، واجتناب ما نهوا عنه ، وسيكوفون معتمين في نعيم الجنة .

وليس البر مقصورًا على الصلاة والصيام ، ولكن البر عقيدة صادقة ، وسلوك مستقيم ، ويتمثّل ذلك في القيام بالواجب ، ومعاونة المحتاج ، والاهتمام بأمر المسلمين ، والحرص على نفع العباد ، وكفّ الأذي وصلة الرحم ، وزيارة المريض ، ومواساة البائس ، وتحزية المحزون ، والتطلق بأداب الدين .

قال تعالى : لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرُ حَتَّى تُعِفُواْ مِمَّا تُعِبُّونَ وَمَا تُغِفُواْ مِن شَيْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ . (ال عمران : ٩٧) .

١٤ – ١٦ – إن الفجرة العصاة لفي نيران متأججة ، يدخلونها يوم القيامة ، بعد أن يحاسبوا على منفيرة وكبيرة ، وما هم عن جهنم بغائبين قط لخلودهم فيها .

١٧ -- ١٩ - ولما كان يوم الدين هو موضوع التكنيب، فإن السياق يعود لتعظيمه وتضحيمه فيقول:
 وَمَا أَفُرُمْنُكُ مَا يُؤْمُ ٱلنَّيْنِ. فهر فوق كل تصور، وفوق كل توقع، وفوق كل مألوف، وتكرار السوّال يزيد في

وصف الهول : ثُمَّ مَّا أَدُرُسُكُ مَا يُؤَمُّ ٱلنَّيْنِ . أَى : ثم عجيب منك أن تتهاون بنباً هذا اليوم وهوله الشديد ، وهو يوم لا تستطيع فيه نفس أن تنفع نفساً أخرى ، فكل نفس مشغولة بهمها وحملها عن كل من تعرف من النفوس ، والأمر كله في ذلك اليوم لله وحده ، فهو القاضى المتصرف فيه دون غيره .

مقاصد السورة

- ٧ ، صف أهوال يوم القيامة .
- ٢ تقصير الإنسان في مقابلة الإحسان بالشكران.
- ٣ بيان أن أعمال الإنسان موكل بها كرام كاتبون.
- ٤ بيان أن الناس في هذا اليوم: إما يررة منعمون ، وإما فجرة معذبون .

* * *

مشاهد القيامة ، ونعم الله على الإنسان

﴿ إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتُ ۞ وَإِذَا ٱلْكَوْكِ اَنَثَرَتْ ۞ وَإِذَا الْبِمَالُ فُيْعِرَتْ۞ وَإِذَا ٱلْقُبُورُ بُعْرَتْ ۞عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا فَدَّمَتْ وَاخْرَتْ۞ يَتأَيُّها ٱلْإِنسَنُ مَاغَرَكَ بِرِيكَ ٱلْكَرِيمِ۞ ٱلَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّنِكَ فَعَدَلْكَ ۞ فِيَا أَي صُرِرَ مَا شَاةً رَكِّبَكَ ۞ ﴾

المفردات ا

الا السيمياء الشطارات : تشققت وتصبُّعت .

ر ت ف ت تساقطت متفرقة .

وإذا المرحدار فحرت ، تشققت جوانبها فصارت بحرًا وحدًا .

وإذا المقبور بعشرت ، قلب ترابها ، وأخرج موتاها .

مساقسيمت وأخسرت وما قدمت من الأعمال ، وما أخرت منها يسبب الكسل.

مساطسوك وسريك وماخدعك وجرَّأك على عصيانه .

فسيني سرية سليمة .

هي أي صورة ما شاء ركبك وركبك وكونك في أي صورة ، أي : هي من أعجب الصُّور وأحكمها .

التفسيره

١ - اللا آلسماءُ أنفَظَرَتْ.

تشققت وتصدعت وتهدم بناؤها ، وذهب تماسكها ، وصارت هلاما غير متماسك ، كبرُديّ الزيت. قال تعالى: وُلِأَنْ انْشَقْت السِّمّاءُ فَكَالَت ُورُفَةً كَالْهُمُ لِلْهِ (الرحن: ٢٧). وقال عز شأنه: رَيَوْمَ مَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْفَصْمِ وَنُولَ ٱلْمَلَكِكَةُ تَنزِيلاً هِ ٱلْمُلْكُ يَوْمَكِ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْصَانِ وَكَانَ يَوْمًا · عَلَى ٱلْكَلْفِرِينَ عَسِيرًا · (الفرقان: ٢٥، ٧٠) .

وهذا المعنى ورد في السورة السابقة – سورة التكوير — وفي سور أخرى ، وتغيد مشاهد القيامة في القرآن أنه عند نهاية عمر الدنيا ينغرط عقد الكون ، ويختل نوازنه ، ويذهب تماسكه وتكامله .

وقد ذُكر هذا أمَّزان علويان ، هما : انفطار السماء ، وتناثر الكواكب ، وأمران في الأرض ، هما : انفجار البحار ، وتبحر القبور .

والمقصود : العظة والاعتبار واستيلاء الهول على قلب الإنسان حتى يعمل الصالحات ، ويتجنّب المويقات .

٧ - وَإِذَا ٱلْكُوَاكِبُ ٱنتَظَرَتْ.

تناثرت وتساقطت ، وانقطت الجاذبية بينها ، فانفرط عقدها ، كعقد الجوهر حين يقطع الحبل الذي يربط بين حبّاته فتراه متناثرا .

وقد أقسم الله بمواقع النجوم ، وبين أنه قسم عظيم ، لأن مواقع النجوم في السماء ، وسيرها وظهورها بالليل ، واختفاءها بالنهار ، هذه الحركة البديعة الرشيقة ، المتماسكة المنتظمة ، تراها عند نهاية الدنيا وقد انفرط عقد النجوم ، وتناثرت وفقدت ما بينها من ترابط.

٣ – وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجَّرَتُ .

وإذا تشققت البحار ، وفُتحت جوانبها ، وزال ما بينها من الحواجز ، واختلط ماؤها العذب بالماء المائع ، حتى ممارت بحرًا واحدًا ، ويحتمل السياق تفجير مائها إلى عنصريه : الأكسجين والهيدررجين ، كذلك يجتمل أن يكون هو تفجير ذرات مذين الفازين ، كما يقع في تفجير القنابل الذريه والهيدررجينية الهوم ، أو أن يكون بهيئة أشرى غير ما يعرف البشر ، على كل حال .. إنما هو الهول الذي لم تعهده أعصاب البشر في حال من الأحوال .

ع - وَإِذَا ٱلْقُبُورُ بُعْثِرُتْ .

أى: انقلب وضعها ، وصدار أعلاها أسفلها ، وأسفلها أعلاها ، وألقت الأرض أثقالها ، وجرج الناس من القبور مسرعين للحساب والجزاء .

ه - عَلَمَتْ نَفْسٌ مَّا قَلَّمَتْ وَأَخْرَتْ.

هذه الآية جراب للقسم من أول السورة ، أي : إذا انشقت السماء ، وتناثرت الكواكب ، واشتعلت البحار -نارًا ، ويعث الأموات من القبور .

عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَلْمَتُ وَأَخْرَتُ.

أي : علمت كل نفس ما قدمت في الدنيا من الأعمال ، وما أخَّرت من المال للورثة .

أو ما استمتعت به في الدنيا وحدها ، وما ادُّ هرته للأخرة بعدها .

والمقصود: سيرى الإنسان عمله كاملا وما فعله طول حياته ، وسهرى عاقبة الإخلاص أو الريام، والآية تعرض في مشهد حي مشاهد كأنها تقول للإنسان: سترى عملك في يوم القيامة ، فحاول أن يكون عملك مفيدًا لك ، يوم يقومُ الناس لرب العالمين .

٣ - يَنَأَ يُهَا ٱلْإِلسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ.

ينادى الإنسان ويذكّره بتكريم الله تعالى له ، فقد خلق الله آدم بيده ، ونفح فيه من روحه ، وأسجد له الملائكة ، وكرّم الإنسان ، ومنحه العقل والإرادة والاختيار ، وفتح أمامه أبواب السمرّ الروحى والعقلى ، وسخّر الله له الكون ، وأحدّه بسائر النعم .

قال تعالى : وَوَاللَّكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن ثَمَدُّواْ مِعْمَتَ ٱللَّهِ لِاَ تُحمُّوهَا إِنَّ الْإِسَدْنَ لَطَلُومٌ كَفَارٌ . . (إيواهيم: ٢٤)

ومن كرم الله أنه لا يعجل بالعقوية على العصاة ، بل يؤجل عقويتهم ، ويقبل توية التانبين ، ويغفر : للمستغفرين ، ويتوب على العصاة والمذنبين إذا أنابوا إليه ، ورجموا إلى صماء .

ومع هذا الكرم العظيم تجد الإنسان يستمتع بنعم الله ، ولا يؤدى حق الله ، وأحيانا يبارز مولاه . كما قال القائل :

وَلِمَ لا أنوح على المسعاصى وقد بارزت حبّار السساء

لُوى أَنْ النبي ﷺ قرأ هذه الآية : يَنآ أَيُّهَا ٱلْإِنسَانُ مَا غَرُكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ .

فقال : «غرَّه الجهل».

وقال مثل ذلك عمر رضى الله عنه ، وقرأ: إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولاً . (الأحزاب: ٧٧).

وقيل: غرّه عفو الله إذ لم يعاجله بالعقوية أوَّل مرة ، وقيل: غرّه عدوّه المسلّط عليه ، وهو الشيطا،

وقد أخرج ابن أبى حاتم ، عن عكرمة فى قوله تعالى عَالَيُهُا ٱلْإِنسْنُ مَا غُرُكُ بِرُنْكَ ٱلْكَرِيمِ ، قال: نزلت فى أبى بن خلف ، وقيل: نزلت فى أبى الأشد بن كَلدة الجُمُحِى ، وقال ابن عباس : الإنسان هنا هو الوليد ابن المغيرة .

والأصبح أن الآية تتناول جميع العصاة ، لأن خصوص السبب لا يقدح في عموم اللفظ ، فالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب الذي نزلت الآية من أجله .

٧ - ٱلَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّ مِثْكَ فَعَدَلُكَ.

الله الذي خلقك من نطقة مهينة ، فيسُّر لها التلقيح ، وأن تصير علقة ثم مضغة ، إلى أن صارت بشرًا سريًّا ، وتدرج بك من الطفولة إلى اليفاعة إلى الشباب إلى الرجولة إلى الشيخرخة .

وجملك قائما غير منتصب ، مستوى الجوارح ، فلم يجعل يدًا أطول من يد، ولا رجلا أطول من رجل ، ولم يجعل بعضك أبيض وبعضك أسود ، بل خلقك في أحسن تقويم .

٨ - في أَى صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ.

اختار الله لك الصورة التي شامها ، فجعلك ذكرا أو أنثى ، طويلا أو قصيرا ، وغير ذلك من الصفات التي يتفاوت فيها الذّاس حسب حكمة الحكيم العليم ، وإن اختلاف النّاس في الحسن مما يدل على كمال فقيدار الله تعالى، وعظيم إيداعه .

قال تمالى: قَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَلْنَ فِي ٓ أَحْسَنِ تَقْوِيهِ . (التين: ٤) .

الكرام الكاتبون

﴿ كَلَا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِاللَّذِينِ ۞ وَإِنَّ مَلْتَكُمْ لَمَنظِينَ ۞ كِرَامًا كَنِينِ ۞ يَمَلَمُونَ مَاتَفَمَلُونَ ۞ إِنَّ الْأَثَرَارَلَفِي نَقِيمِ ۞ وَإِنَّ الْفُجَارَلَفِي تَجِيمِ۞ يَصْلَقَ ثَهَا يَقِمَ اللَّذِينِ ۞ وَمَا ثُمَّ عَنَّهَا بِفَايِينَ ۞ وَمَا أَذَرِيكَ مَا يَوْمُ اللِّينِ ۞ ثُمَّ مَا أَذَرِيكَ مَا يَوْمُ اللِّيبِ ۞ يَوْمَ لَا تَمْلِك نَفْسُ لِنَقْسِ شَيْئًا ۖ وَالْأَمْرُ يُومَ مِلْزِلِتَهِ ۞ ﴾

المطردات :

ك لل اردع ورجر.

تكذبون بالليسن ، بالبعث أو بالجزاء أو بالإسلام .

وإن عليكم تعافظين ، وإن عليكم من الملائكة لمحمدين ، رقباء لأعمالكم ، لا يفوتهم منها شئ .

كسسرامسا : دوى أفعال طاهرة محمودة ، ومحاسن كبيرة .

الأبيسيرار، الذين بروا وصدقوا في إيمانهم.

المضى تعسيسم ؛ لقى نعمة كبيرة ، والمراد بها الجنّة .

السط سجسسار ؛ جمع فاجر ، وهو مَنْ شَقَ ستر الدين وجاهر بالعصيان . من الفجر وهو شق الشيء شقًا واسمًا .

المنسى جسميسم؛ لفي النارفي الأخرة.

يعط وقها ، يدخلونها أن يقاسون حرُها .

التفسيره

٩ - كَلَّا بَلْ تُكَذَّبُونَ بِٱللَّذِين .

ارتدعوا وانزجروا عن القرور، وعن الكفر بنعمة المنعم سيصانه وتعالى.

إن علّة غروركم وإهمالكم أمر الإيمان بالله تعالى ، وانصرافكم إلى الشهوات ، وفَراركم من بعوة الرسول ﷺ ، أنكم تكنبون بيوم الدين ، وهو يوم الحساب والجزاء وأنتم صائرون إليه ، وحين يكنّب الإنسان بيوم الدين لا تلبعث فيه همةً للعمل المسالح ، بل ورى الدنيا كل همّه ، فيؤثر شهواتها ولذّاتها . أمًا حين يؤمن المؤمن بريًّ ، ولقائه وحسابه وجزائه ، فعندتز تنبعث الهمة من قلبه لأداء الغرائض، والبعد عن المحرَّمات، وقد يزداد حبَّ المؤمن لربَّه ، فيحب كلَّ ما يرضيه ، فتراه غارقًا في مرضاة الله ، بعيدا عن معصبة الله .

روى البشارى أن الرسول ﷺ قال: «ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسولُه أحبُّ إليه هما سواهما ، وأن يحب المرم لا يحبُه إلا لله ، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في الذارج "".

٠ ١ - وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لُحَافِظِينَ . `

لله حفظة من الملاثكة ، يحفظون العبد بحفظ الله ، ويسجُّلون عليه الأعمال التي يعملها ، وكل ما يصدر عنه .

قال صاحب الجوهرة:

بكلٌ عبد حافظون وكُّلوا وكانبون خيرة لن يهمملوا من أمرة شيئا فعل ولودُّهل حتى الأنين في المرض كما تُقل

١١ - كِرَامًا كَلْتِبِينَ .

هم كرامٌ على الله ، أصمحاب منزلة رفيعة ، ومكانة عظيمة ، ومحاسن جمَّة ، وهم يكتبون كل ما يصدر عنكم ، ويسجُّلونه في صحائف أعمالكم .

والإنسان يستحيى من الرجل الكريم ، أن يعمل أمامه عملاً شائنا ، فما بالك بملّك كريم ، يسجل عليك ما تفعل ، ويكتب حسناتك وسيئاتك ، وملّك الحسنات على العائق الأيمن ، وملّك السيئات على العائق الأيسر، والأول أمين على الثاني ، فلا يمكّنه من كتابة السيئة إلا بعد مضى ست ساعات من غير مكثّر لها.

ويكتبان كل شئ ، حتى الاعتقاد والعزم ، وحتى الأنين في المرض ، ويفارقان المكلّف عند الجماع ، وعند الاغتسال ، وعند مخول الخلاء .

آخرج البزار ، عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: وإن الله ينهاكم عن التعرّي ، فاستحيوا من ملائكة الله الذين معكم الكرام الكاتبين الذين لا يفارقونكم إلا عند إحدى ثلاث حالات: الفائط، والجنابة، والفسل».

١ ٢ - يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ .

يعلمون أعمالكم ، ويسجُّلونها عليكم ، للجزاء العادل يوم القيامة ، فاستحيوا من الله حق الحياء ، واحفظوا أنفسكم عن معصية الله .

وثله در اثقائل:

يسم لا أنسوح وأنساديه وحسيع جسيبي منائث تنفسي ليدُّبح نعاليها يسيس السوري تستساديه مَـلَـكُ السِمبِين أرحثه ليم يسلق شيستا يكتبهُ مَـلَـكُ الشيسال بعكسه ليسلان هسازًا يستعيه

وقد ورد في الأثر: أن كل قرد له عشرة من الملائكة ، منهم الحفظة .

قال تعالى: لَهُ, مَعَقَبُتْ مَنَ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَشْرِ ٱللَّهِ ... (الرعد: ١١).

ومن الملائكة : الكتبة الذين يسجُّلون على العبد أعماله ، بدون زيادة أو نقصان ، وقد سمَّاهم الله : كِرُامًا كُنْشِينَ . فهم عدول أمناء ، يفرحون بالعبد الطائع ، ويتألمون لمعصية العاصى ، لكنهم أمناء في كتابتهم وشهادتهم .

قال تعالى : هَلْذَا كِتَالِنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ . (الجاثية : ٢٩) .

وفي صحيح البخاري يقول النبي ﷺ: «يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنبّار، ويجتمعون في صلاة العصر وفي صلاة الفجرِ ، اقرأوا إن شئتم قول الله تعالى : وَقُرْعَانَ ٱلْفَجْرِ إِنَّ قُوْمَانَ ٱلْفَجْرِ مُشْهُوذًا. (الإسراء : ۷۸) . فيصعد الذين باتوا فيكم ، فيسألهم ربهم وهو أعلم بهم : كيف تركتم عبادي ؟ فيقولون: يا ريُدًا تركناهم وهم يصلُّون ، وأتيناهم وهم يصلُّون ، فاغفر لهم يوم الدّين» ٣٠.

والإيمان بالملائكة عقيدة من عقائد المسلم ، وهم عباد مكرمون ، لا يعصون الله ما أمرهم ويقعلون ما يؤمرون ، وهم قوى روحية ، منهم من ينزل بالوحى كجبريل عليه السلام ، ومنهم حملة العرش ، وهم الكروبيون الذين يدعون الله أن يوفع الكرب عن أمة محمد ﷺ، ومنهم المكلف بالرياح والأمطار والخصب والذماء ، ومنهم المكلف بالخسف والزلازل ، ومنهم من ينفخ في الصور وهو إسرافيل عليه السلام وللملائكة قوّة فوق قوة البشر، وقدرة على تنفيذ ما وُكُلوا به من الأعمال ، فمنهم المبشّرون بالجنة الذين يحملون السلام والبشري للمؤمن عند خروج روجه ، وعند نخوله الجنة .

ومنهم ملائكة العذاب الذين يتكلّلون بالعصاة ، ويحراسة جهنم ، وقد أفاد القرآن أن خزنة جهنم تسعة عشر ملكا ، فادّعى أهل مكة أنهم قادرون على الإحاطة بهم ، فأفاد القرآن أن قدرتهم فوق طاقة البشر ، وربما كانوا تسعة عشر رئيسا أو فريقا أو صنفا ، وقد جعل الله عددهم اختبارًا لإيمان المؤمن ، وإعلاما لأمل الكتاب بصدق القرآن وصدق محمد ﷺ.

قال تعالى: شَاصْلِيهِ سَفَرَ هَ وَمَا أَدُوسُكَ مَا سَفَرُ هَ لَا ثَبْقِي وَلَا وَلَرُه وَلَاحَةٌ لَلَّبُشِ هَ عَلَيْهَا بِسُمَةً عَشَرَه وَمَا جَمَلْنَا أَصْحَلْبَ النَّارِ إِلَّا مَلَّتِكَةً وَمَا جَمَلُنَا عِلْنَهُمْ إِلَّا فِيتَةً لَلَّذِينَ كَفُرُواْ لِيَسْتَغِينَ الَّذِينَ أُولُواْ الْكِبَنَبُ وَيُؤَادُ الَّذِينَ عَامَنُواْ إِمَشُكُ ... (السدن ٢٦٠ - ٢١).

١٣ - إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ .

إن الأبرار الذين توسّعوا في عمل البرّ، فأطاعوا ربّهم ، وبرّوا والديهم ، ونقّدوا أحكام الإسلام . وعطفوا على الفقراء والمساكين ، على نحو ما ورد في سورة البقرة ، في قوله تعالى :

لَيْسَ الْبَرِّ أَنْ تُوقُّوا وَجُومَكُمْ قِبْلَ الصَّرِيقِ وَالشَّفِيدِ وَلَلَكِنَّ الْبِرُ مَنْ عَمَنَ بِاللّهِ وَالْتَوْمِ آلَاَعِي وَالْسَلِيكَةِ وَالْكِسَسْبِ وَالشِيْسَ وَعَلَى الْمَالَ عَلَى حَبُّهِ فَوى الْقُرْبَى وَالْشَسْمَى وَالْمَسَلِكِينَ وَإِنْ السَّلِيلِ وَالسَّلِيلِينَ وَلِي الْأَفَاسِ وَقَامَ السَّلَوْةَ وَالْمُ لَوَّكُوا وَالْمُولُونَ بَعَلِيهِمْ إِذَا عَنهَدُوا وَالسَّنْبِينَ فِي الْبُأَسَاءِ وَالسَّرَاءِ وَجِنَ الْمُنْسِرُونَ اللّهِينَ اللّهِينَ صَدَّقُوا وَأَوْلَتِيكَ هُمُ الْمُنْصُونَ . (هيون: ١٧٧٠).

وقد ورد أن الهرّ شيء هين ، وجه طليق وكلام لين ، وقيل : البُّرّ هو الذي لا يؤدى الذرّ ، أي : لا يؤذي عباد الله مطلقا .

هـوُلاء الأبرار الطائعون المتقون الأخيار ، يشملهم الله برحمته ويدخلهم جنته ، وفيها صنوف النعيم والتكريم .

١٤ - وَإِنَّ ٱللَّهُجَّارَ لَفِي جَعِيمٍ.

وإن الفجرة الذين شقُّوا وهتكوا ستر الدّين، وجاهروا بالمعاصى، ولم يستجيبوا لأمر الله سبحانه وتعالى، هؤلاء بدخلون الجحيم، وهي النار المستعرة التي استند لهيبها وعظم تأججها.

اللهم أجرنا من النار، ومن عذاب النار، وأسطنا الجنة مم الأبرار.

ه ١ - يَصْلُونَهَا يَوْمُ ٱللَّينِ .

يصطلون بنار الجحيم يوم القيامة ، يوم يدين الناس لرب العالمين ، فهو الملك وحده ، ولا يدُّعى الملك يومئذ حَلِكٌ للّ المُلك يومئذ حَلِكٌ ولا جبار ، بل ينطق الكون كله حين يتجه إليه السؤال : ثَمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيُومُ لِلْهِ ٱلْوَاحِير ٱلْقَهْارِ . (غافر: ١٦)

١٦ -- وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَآلِينَ .

لن يظلتوا من عذاب جهنم ، ولن يغيبوا عنها ، ولن ينقطع عنهم العذاب ، لأنَّه عذاب أبدى سرمدى ، كقوله تعالى : وَمَا هُم يَعَسُّ وَشِنَ شِهَا ... (المائدة : ٢٧) .

أن أن المعنى : إن العذاب مستمر عليهم ، في القبر ، وفي عرصنات القيامة ، كما قال ﷺ : «القبر إما ريضة من رياض الجنة ، وإما حفرة من حفر النار» .

١٧ - وَمَا أَدْرَطْكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ .

وهو استفهام للتهويل والتفخيم.

أى: ما أعلمك ما خطر هذا اليوم ، وما عظيم أمرد؟

١٨ - قُمَّ مَا أَدْرَسْكَ مَا يَوْمُ ٱللَّينِ .

والتكرار لزيادة التفضيم والتعظيم ، مثل قوله تعالى : آلْحَاقَةُ ه مَا آلْحَاقَةُ » وَمَا أَفْرَىٰكَ مَا آلْحَاقَةُ . (الحاقة : ١ -٣٠)

١٩ - يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لَّنَفْسِ شَيْعًا وَٱلْأَمْرُ يَوْمَدِلْ لُلَّهِ .

فى الآيتين السابقتين ورد استغهام عن يوم الدين ، ثم كُرر الاستفهام لتفخيم أمر هذا اليوم ، فهو يوم الجزاء ، والحدالة المطلقة ، وانتقام الله من الظالمين الجبارين ، ومكافأة الطائمين . وفي ختام السورة بيان واضح بأن يوم القيامة لا يُغنى فيه أحدٌ عن أحدِ شيئًا ، مثل ما كان في " المدنيا ، حيث إذا غَخِب المَلِك من شخص فريما توسط له الشفعاء والوزراء أو أشباههم ، فتحول الغضب إلى رضا .

أما في الأخرة فلا شفاعة ولا بيع ولا شراء ولا وساطة ، بل كل إنسان مسئولٌ عن عمله ، ولا ينفعه أقرب الناس إليه ، حيث يفر العرء من أخيه ، وأمّه وأبيه ، وصاحبته وبنيه ، لكل امرئ منهم يومنذ شأن يغنيه .

فى ذلك اليوم لا يملك أحد لأحد شيئًا ، فالمُلك كله والأمر كله للهُ ، وهو كذلك فى الدنيا ، هو المسبب الحقيقى ، والناس سبب ظاهرى ، وقد يظن بعض الناس فى الدنيا أنه يملك شيئًا ، لكن فى الأخرة يظهر الأمر بوضوح تام .

قال ابن كثير:

يُوْمُ لَانَمُولُكُ نُفُسُ تُفُسِ مُبُكًا . أي: لا يقدر أحد على نفع أحد ولا خلاصه مما هو فيه ، إلا أن يأذن الله لعن يشاء ويرضى ، وفي الحديث قال ﷺ : «يا ينى هاشم أنقذوا أنفسكم من النار ، لا أملك لكم من الله شفاء ٣٠٠ أ

ولهذا قال: وَٱلْأَمْرُ يَوْمَتِهِ لِّلَّهِ . كقوله تعالى : لَّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلَّذِوْمَ لِلَّهِ ٱلْوَاحِدِ ٱلْفَهَّادِ . (غافر: ١٦).

قَالَ قِتادة:

يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لَّتَفْسِ شَيْكًا وَٱلْأَمْرُ يَوْمَثِلِ لِّلَّهِ.

والأمر - والله - اليوم لله ، لكنه لا ينازعه فيه يومئد أحد.

سيد الاستغفار

«اللهم أنت ربّى، لا إله إلا أنت ، خلقتنى وأنا عبدك ، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت ، أعرد بك من شر ما صنعت ، أبوء لك بتعدك عليّ ، وأبوم بذنبي ، فاغفر لى فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت» (**).



أهداف سورة المطفقيين

(سورة المطفقين مكية ، وآياتها ٣٦ آية ، وهي آخر صورة نزلت بمكة)

وهى سررة تعالج طغيان الغني ، واستغلال الفقراء ، وتحارب تطفيف الكيل والميزان ، وببين أن صحف أعمال الفجار في أسفل سافلين ، وأن كتاب أعمال الأبرار في أعلى عليين ، كما وصفت السورة النعيم المقيم الذي يتمتع به الأبرار في الجنة ، وبيئت أن المجرمين كانوا يسخرون من المؤمنين في الدنيا ، وفي يوم القيامة يتغير الحال ، فيسخر المؤمن من الكافر ، ويتمتع المؤمن بألوان النعيم .

مقاطع السورة

تتألف سورة المطففين من أربعة مقاطع:

المقطع الأول : يبدأ بإعلان الحرب على المطفقين ، وتهديدهم بالجزاء العادل عند البعث والحساب. (الآيات ١ – ٦) .

المقطع الثاني : يتحدث عن الفجار في شدة وردع ورُجر ، وتهديد بالويل والهلاك ، ودمغ بالإلم والاعتداء ، وبيان لسبب هذا العمى ، وعلة هذا الانطماس ، وتصوير لجزائهم يوم القيامة ، وعذابهم بالحجاب عن ربهم ، كما هجبت الآثام في الأرض قلوبهم . (الآيات ٧ – ١٧) .

المقطع الغالث : يعرض الصفحة المقابلة ، صفحة الأبرار ، ورفعة مقامهم ، والنعيم المقرر لهم ونضرته التى تغيض على وجوههم ، والرحيق الذي يشربونه وهم على الأرائك ينظرون ، وهى صفحة ناعمة وضيقة . (الأيات ۱۸ – ۲۸).

المقطع الرابع : يصف ما كان الأبرار يلقونه من استهزاء الفجار وسخريقهم وسوء أدبهم فى دار الغرور ، ثم يقابل ذلك بما لقيه المؤمنون من التكريم ، وما لقيه المجرمون من عذاب الجحيم فى يوم الدين . (الآيات ۲۹ – ۳۹) .

من أسياب ذرول السورة

كان تطفيف الكيل منتشرًا في مكة والمدينة ، وهو يعبر عن جشع التجار وطمعهم، ورغبتهم في بخس حق المشتري .

روى أنه كان بالمدينة رجل يقال له (أبو جهينة) ، له كيلان أحدهما كبير والآخر صغير ، فكان إذا أراد غير ، فكان إذا للمشترى بالكيل الكبير ، وإذا باع للناس كال للمشترى بالكيل الكبير ، وإذا باع للناس كال للمشترى بالكيل الصغير . هذا الرجل وأمثاله ممن امتلات نفوسهم بالطمع ، واستولى عليهم البسم والنهم ، هم المصودون بهذا الوعيد الشديد ، وهم الذين توعدهم النبى قي وتهددهم بقوله : هخمس بخمس» ، قيل : يا رسول الله ، وما خمس بخمس ؟ قال : هما نقض قوم العهد إلا سلط الله عليهم عدوهم ، وما حكموا بغير ما أنزل الله إلا فضا فقور ، وما ظهرت الفاحشة في قوم يُتعامل بها علانية إلا فضا فيهم المطاعون وجور والأخذاء إلا حبّس عفهم المطرى .

مع آيات السورة

١ - هلاك وعذاب عظيم لهؤلاء الذين يبخسون الكيل والميزان.

والتطفيف لغة : التقليل ، فالمطفف هو المقلل حق صناحيه ينقصنانه عن للحق في كيل أو وزن ، وإنما قيل له مطفف لأنه لا يكاد يسرق في المكيال والميزان إلا الشيء اليسير الطفيف .

٢ - إذا كان لهم عند الناس حق في شيء يكال أو يوزن، وأرادوا أخذه منهم لا يأخذونه إلا تامًّا كاملًا.

٣ - وإذا كان للناس حق عندهم في مكيل أو موزون أعطوهم ذلك الحق مع النقص والخسارة.

ويلحق بالمطففين كل عامل لا يؤدى عمله ، وإنما يحرص على الأجر كاملاً ، ويلحق بهم من بستلم العمل كاملاً ويبخس حق العامل أو ينقص أجره ، وكذلك كل من يقصر في أداء وإجبه .

وعن ابن عباس: الكيل أمانة، والوزن أمانة، والمسلاة أمانة، والزكاة أمانة، فعن وَفَى وُفَى له، ومن طفّف فقد علمتم ما قاله الله في المطففين.

١ - ألا يخطر ببال هؤلاء أن هناك يوماً للبعث ، تظهر فيه هذه الأعمال التي يخفونها على الناس ،
 وأفهم سيبعثون في هذا اليوم الشديد الأهوال ، الذي يقوم فيه الناس من قبورهم للعرض على رب
 العالمين الذي خلقهم ويعلم سرهم وعلانيتهم .

٩ - إن للشر سجلاً دونت فيه أعمال الفجار ، وهو كتاب مسطور بين الكتابة ، وهذا السجل يشتمل عليه
 السجل الكبير المسمى بسجين ، كما تقول : إن كتاب حساب قرية كذا في السجل الفلائي المشتمل على
 حسابها و حساب غيرها من القرى .

والقجار هم المتجاوزون للحد في المعصية والإثم ، ولكل فأجر من هولاء الفجار صحيفة ، وهذه الصحائف في السجل العظيم المسمى سجين ، وهو عظيم الشأن له أهمية كبرى ، وهو كِنْبُ مُرْقُمْ ، أي: قد أثبتت فيه العلامات الدالة على الأعمال .

ه ١ – ١٣ – ملاك رعناب عظيم لهؤلاء المكتبين النين يكنبون الرسول 纜 ، ولا يؤمنون بيوم الحساب والجزاء ، الذي أشهرهم به عن رب المالمين .

. وما يكتب بهذا اليوم إلا من اعتدى على الحق ، وعمى عن الإنصاف ، واعتاد ارتكام الأثام ، والإعراض عن الحق والهدى ، ولذلك إذا تليت عليه آيات القرآن ، أو أخبار البعث والجزاء أنكرها ، وقال: هذه أباطيل السابقين .

3 ١ - كَلَّ. ليس كما يقولون ، بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلْرِيهِم مَّا كَانُواْ يَكُسُونَ . أَى : غطى على على تلويهم ما كانوا يكسبونه من الإثم والمعصبة ، والقلب الذي يتعود على المعصبة ينطمس ويظلم ، ويرين عليه غطاء كليف ، يفقده المساسية هندًا نشيئًا حقر يتبلد ويموت .

روى الترمذي (أمّ والنسائي وابن ماجة : إن العبد إذا أذنب ذنبًا نكت في قلبه نكتة سوداء ، فإن هو نزع واستغفر وتاب معلل قلبه ، وإن عاد زيد فيها حتى تعلو ، فهو الران الذي قال الله تعالى : كُلاً بُلُ رَانُ كَلَىْ قُلُوبِهِم مَّا كَالُواْ يَكُسِّرُونَ .

وقال الحسن البصرى : هو الذنب على الذنب يعمى القلب فيموت :

ثم يذكر شيئًا عن مصيرهم يوم القيامة ، فيقول :

٥٠ – ١٧ – كَاذَّ إِنَّهُمْ عَن رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لِّمُمْخَبُوبُونَ هَ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُواْ ٱلْجَحِيمِ ه ثُمَّ يَقَالُ هَسْلَمَا ٱلَّذِي كُشَمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ

فهم في يوم القيامة مطرودون من رحمة الله ، محرومون من رويته في الآخرة ، ثم إنهم يصلون عذاب جهنم ، مع التأنيب والتقريع على تكذيبهم الحق ، وإنكارهم البعث والجزاء ، فيقال لهم : هُنذَا ٱلَّذِي كُتُم بِو كُكُنُّونَ . ٢٨ – ٢١ – إن كتاب الأبرار محفوظ في سجل معتاز في أعلى مكان في الجنة ، وما أعلمك ما هذا المكان ، فهو أمر فوق العلم والإدراك ، كتاب مسطورة فيه أعمالهم ، وهو موضع مشاهدة المقربين من الملائكة ، ومر موضع مشاهدة المقربين من الملائكة ، ومتعتهم بما فيه من كرائم الأفعال والصفات .

٢٧ – ٢٨ – إِنَّ ٱلْأَيْرَارُ لَفِي نَعِيم - إِن الأبرار المتقين الذين يؤمنون بالله ، ويعملون أنواع البر من القويات والطاعات ، هؤلاء ينعمون بنعيم الجنة ، وهم على الأسرَّة في الحجال ينظرون إلى ما أعد لهم من النعيم ، وأقرب ما يمثل الأرائك عندنا ما نسميه «الناموسية أو الكلة» .

وترى على وجوههم آثار النعمة ويهجتها ، يسقون خمرًا مختومة بالمسك ، وفى ذلك النعيم فليتسابق المتسابقون ، وليرغب الراغبون بالمبادرة إلى طاعة ربهم ، باتباع أوامره واجتناب نواهيه ، وهذا الشراب المعد لهم ممزوج بشراب آخر ينصب عليهم من عين عالية ، يشرب منها المقربون إلى رضوان ربهم ، وقد سئل ابن عباس عن هذا فقال: هذا مما قال الله تعالى : فَلاَ تَعْلَمُ نَفْسُ مَّا أَخْفِى لَهُم مِنْ فَرَةً أَخْسُ جَزَامًا بِمَا كَانُواْ يُعْمَلُونَ . (السجدة : ١٧) .

وقصارى ما سلف: أنه سبحانه وصف النعيم الذي أعده للأبرار في دار كرامته بما تتطلع إليه النغوس، ويما يشوقها إليه ، ليكون حضًّا للذين يعملون الصالحات على الاستزادة من العمل والاستدامة عليه ، وحثا لهمم المقصرين ، واستنهاشنا لعزائمهم أن يحرصوا على التزود من العمل الصالح ، ليكون لهم مثل ما لأولئك» (١٠٠ .

٢٩ – إِنَّ اللِّبِينَ أَجْرِمُواْ كَانُواْ مِنَ اللَّبِينَ عَامِنُواْ يَشْمَكُونَ . كانوا يضحكون منهم استهزاء بهم وسخرية
 منهم ، إما لفقرهم ورثناثة حالهم ، وإما لضعفهم عن رد الأذى ، وإما لترفعهم عن سفاهة السفهاء ، فكل
 هذا مما يثير ضحك الذين أجرموا ، وهم يتخذون المؤمنين مادة لسخريتهم أو فكاهتهم المردولة .

وُإِذًا مَرُّواً بِهِمْ يَّعُامُرُونَّ . ينمز بعضهم لبعض بعينه ، أو يشير بيده ، أو يأتى بحركة متعارف عليها بينهم للسخرية من المرَّمنين ، وإذا انقلب هؤلاء الضالون إلى أهلهم ، ورجعوا إلى بيوتهم ، رجعوا إليها فكهين ملتدين بحكاية ما يعييون به أهل الإيمان ، إن يرمرتهم بالسخافة وثلة العقل .

وَلِفَا رَأُوهُمْ فَالْوَ" إِنَّ مَتَلِكُةٍ لَمَتَأْلِهُ . أَي : وإذا رأوا المؤمنين نسبوهم إلى الصَلال ، لأنهم نبذوا المقائد الفاسدة ، وتركوا عبادة الأصنام . ولم يرسل الله الكفار رقباء على المؤمنين ، ولا كلفهم بمحاسبتهم على أفعالهم ، فما لهم هم وهذا الوصف وهذا التقرير . رُوى أن علىُّ بن أبى طالب رضى الله عنه جاء فى نفر من المسلمين ، فراَه بعض هؤلاء الكفار ، فسخروا منه وممن معه ، وضمكوا منهم ، وتفامزوا بهم ، ثم رجعوا إلى يقية شيعتهم من أهل الشرك فصدوهم بما صنعوا به ويأصحابه .

والآيات ترسم مشهدًا لسخوية المجرمين من المؤمنين، وقد يكون لنزولها سبب خاص، ولكن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، ففي الآيات تعبير واقعى عن سخرية القوى الفاجر من المؤمن الصابر، مما يدل على أن طبيعة الفجار المجرمين واحدة متشابهة في موقفها من الأبرار في جميع البيئات والعصور.

يقول الإمام محمد عبده: ومن شأن القرى المستحزّ بكثرة أتباعه وقدرته ، أن يضحك ممن يخالفه في المنزع ، ويدعوم إلى غير ما يعرفه ، وهو أضعف منه قوة وأقل عددًا ، كذلك كان شأن جماعة من قريش - كأبي جهل ، والوليد بن المغيرة ، والعاص بن وائل وأتباعهم - وهكنا يكون شأن أمثالهم في كل زمان متى عمت البدع ، وتفرقت الشيع ، وخفي طريق الحق بين طرق الباطل ، وجُهل معنى الدين ، وأزهقت روحه من عباراته وأساليه ، ولم يبق إلا ظواهر لا تطابقها البواطن (").

٣٤ – ٣٦ - فَالْوَمُ اللّٰهِنَ عَاشُواْ مِنَ ٱلْكُفَارِ يَضْحَكُونَ . أى : في يوم القيامة - والكفار محجويون عن ربهم ، يقاسون ألم هذا الحجاب - يضحك المؤمنون ، ضحك من وصل به يقينه إلى مشاهدة الحق فَسُر به ، ويتكشف للمؤمنين ما كانوا يرجون من إكرام الله لهم ، وخذلان أعدائهم ، عَلَى ٱلْأَرْآئِكُ يَشْرُونَ . وهم على سررهم في الجنة ينظرون إلى صنع الله بأعدائهم ، وإذلاله لمن كان يفخر عليهم ، وتنكيله بمن كان بهزأ بهم جزاء وفاقًا .

مَلُ وُكِّ ٱلْكُمَّارُ مَا كَالُواْ يُفْعُلُونَ . أي أنهم ينظرون ليتحققوا : هل جوزى الكفار بما كانوا يفعلون بهم في الدنيا ، وإنَّما سُمى الجزاء على العمل ثوابًا لأنه يرجع إلى صاحبه نظير ما عمل من خير أو شر.

و أُوَّبَّ . مثل أثاب ، بمعنى جازى ، يقع فى الخير وفى الشر ، وإن كان قد غلب على الثواب فى الخير . أى : مل جوزى الكفار بما كانوا يقعلون ؟

مقاصد السورة

- ١ وعيد المطفقين .
- ٢ بيان أن صحائف أعمال الفجار في أسفل سافلين.
 - ٣ بيان أن صحائف أعمال الأبرار في أعلى عليين.
- ع وصف نعيم الأبرار في مآكلهم ومشاريهم ومساكنهم.
 - ه استهراء المجرمين بالمؤمنين في الدنيا :
 - ٦ -- تضاحك المؤمنين منهم يوم القيامة.
- ٧ -- نظر المؤمنين إلى المجرمين وهم يلقون جزاءهم ، وما أعدُّ لهم من النكال .

وعيد المطففين



﴿ وَتِلُّ لِلْمُطَفِّفِينَ ۞ الَّذِينَ إِذَا آكَالُواْعَلَ التَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۞ وَإِذَا كَالُوهُمْ أُووَّزَنُوهُمْ يُغْسِرُونَ ۞ اَلاَيطُنُ أُولِنَتِكَ أَنَّهُم مَّنَعُوثُونَ ۞ لِيَوْمِ عَظِيمٍ ۞ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبُ الْمُنْكِينَ۞﴾

لمفرداتء

ويسيسل ، هلاك ويوار وعداب ، أو مقر في جهذم .

تلمطششين ، المنقصين في الكيل أو الوزن ، وأصله من الطفيف ، وهو الشيء اليسير ، لأنه لا يكاد بأهذ إلا الشيء اليسير .

اكت السواء اشتروا بالكيل، ومثله الوزن.

يست وهون ، يأخذون الكيل وافيًا كاملاً ، والوزن وسائر الحقوق كذلك .

ورئيسوهسم، أعطوا غيرهم بالوزن.

ي خسرون : يُنقصون الكيل والوزن ، ويظلمون غيرهم .

ألا يضف ن يتيقن ، وهو استفهام توييخ وإنكار وتحبُّ من حالهم ، وعبّر بالنطن لأن من ظن ذلك لم يتجاسر على أمثال هذه القبائع ، فكيف بمن تيقنه .

يوم يقوم الناس ، من قبورهم .

ثرب العالمين؛ لأمره وحكمه وحسابه وجزائه ، والتعبير برب العالمين وقيام الناس للحساب ، مبالغات في المذع عن التطفيف وتعظيم إلمه .

سبب الترول :

أخرج النسائي ، وابن ماجة ، بسند صحيح ، عن ابن عباس قال : لمّا قدم النبي ﷺ المدينة كانوا من أبض النّاس كيلا : فأنزل الله : رُبِّلُ أَلْمُعْلَفِينَ . فأحسنوا الكار بعد ذلك

التفسيره

١ - وَيْلُ لِّلْمُطَفِّفِينَ .

الويل وار فى جهتم ، معيد قراره ، شديد عذابه ، ويطلق الويل على الهلاك والعذاب ، أى عذاب شديد للمطففين الذين يظلمون الناس فى المعاملة ، حيث يستوفون حقهم كاملاً وريما زائدًا ، ولا يوفُّون حقوق الناس بل يظلمونهم .

والسورة مكية ، وقيل مدنية ، وريما كانت من أواخر ما نزل بمكة ، أو أرسلها النبي ﷺ من مكة إلى المدينة ليرتدع الناس عن تطفيف الكيل والميزان .

التطفيف في مكة

كانت في مكة طائفة من الأغنياء الأقوياء يحتكرون التجار. . ويستوفون حقّهم كاملاً ، ويبيعون للناس كيلاً ناقصاً أو وزنًا ناقصًا ، وقد جاء الإسلام عقوبة وشريعة ، أي ينظم علاقة الناس بالله ، وينظم علاقة النّاس بالناس ، فحارب تطفيف الكهل والميزان ، وتوعّد هؤلاء القساة الظالمين بعذاب طبيد.

التطفيف في المدينة

كان التطفيف موجودًا في المدينة ، فلما أنزل الله سورة المطففين ارتدع أهل المدينة ، وتركوا التطفيف .

وروح القرآن توضع أن التطفيف محرِّم ، وكذلك كلُّ ظلم وغبن محرَّم ، فمن يأخذ حقَّه كاملاً ولا يؤدى عمله سليمًا منضبطًا فهو مطفف ، ومن يرُجِّر عاملاً فيستوفى عمله ، ولا يعطيه أجره كاملاً فهو مطقف ، وكذلك الصلاة أمانة ، والصوم أمانة ، والزكاة أمانة ، والكيل أمانة ، والوزن أمانة ، فمن وفّى وُفّى له ، ومن طفف فقد رأينا ما قاله الله في المطففين .

٢ ، ٣ - ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاس يَسْتَوْفُونَ . وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وْزُنُوهُمْ يُحْسِرُونَ .

أى: إذا أخذوا الكيل من التَّاس أخذوه كاملاً لأنفسهم ، وإذا كالوا لهم أو وزنوا لهم ، يُنقصون الكيل والوزن .

قال المفسرون:

نزلت في رجل يُعرف بـ (أبي جهينة) كان له صاعان ، يشتري بأحدهما ، ويبيع بالأخر.

وقد حارب القرآن هذا النموذج الأناني الذي يهتم بنفسه ولا بهتم بالآخرين ، كما شتم القرآن على قوم شعيب ، وقد أهلكهم الله لكفرهم ، ولتطفيف المكيال والميزان ، وقد نصحهم نبى الله شعيب وكور لهم النصح ، وعلى لسان شعيب قال القرآن الكريم : وَيَنْقُومْ أَوْفُواْ ٱلْمِكْيَالُ وَٱلْمِيزَانُ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تَبْحَسُواْ ٱلثَّاسُ أَشْيَاتُهُمْ وَلَا تَعَيَّواْ فِي الْأَرْضِ مُفْسِئِينَ . (هود : 40) .

وتكررت قصة شعيب فى سورة الشعراء وغيرها من السُّدر ، حيث يقول شعيب لقومه : أَوَلُواْ ٱلكَيْلُ وَلاَ تَكُولُواْ مِنَ ٱلْمُخْسِرِينَ وَرَبُواْ بِٱلْمِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ وَلَا تَبْحَسُواْ آلنَّاسَ أَشْيَاعَهُمْ وَلَا تَخَوْاْ لِيَ ٱلْأَرْضِ مُفْسِلِينَ ه وَٱلْقُواْ ٱللّذِي عَلَفَكُمُ وَٱلْعِبِلَةَ ٱلْأَوْلِينَ . (لشعراء : ١٨١ – ١٨٤).

وقد تكررت وصايا القرآن بضبط الميزان ، وعدم تطفيف الكيل والميزان .

قال تعالى : وَأَوْلُواْ ٱلْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَوْلُواْ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ذَالِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْمِيلاً . (الإسراء: ٢٥).

وقال سبحانه : وَأَوْلُواْ آلْكَيْلُ وَٱلْمِيزَانَ بَاتَّقِسْطِ لَا تُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ... (الأنعام: ١٥٢).

وقال عز وجل: وَأَقِيمُوا ٱلْوَزْنَ بَالْقِسْطِ وَلَا تُحْسِرُوا ٱلْمِيزَانَ . (الدمن: ٩) .

ثم توعُّد الله المطفِّفين بقوله :

، ٥ ، ٣ - أَلَا يَظُنُ أَوْلَائِكَ أَنَّهُم مَّنْهُولُونَ ، لِيَوْمِ عَظِيمٍ ، يَوْمَ يَقُومُ آلنَّاسُ لِرَبَّ ٱلْعَلَمِينَ .

هولاء المعتدون ألا يضطر ببالهم أنهم مبعرثون ، ومسئولون عما يفعلون ، فى يوم عظيم أمره ، شديد خطره ، حين يقوم الناس من قبورهم للحشر والحساب والجزاء ، وتنفيذ أمر الله ، فمن وفّى وُفّى كه ، ومن طقف وظلم أنخل ذارًا حامية ، أمّا يخاف مؤلاء يوم القيامة ، حيث يقف الجميع على أرض بيضاء عظراء، وتقترب الشمس من الرؤوس ، ويشتد العرق حتى يصل إلى رقاب الناس ، أو يفقر أفواههم ، أمّا يخافون هول هذا اليوم ، وما قيه من حساب وجزاء .

قال تعالى : فَمَن يَعْمَلُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَه, ﴿ وَمَن يَعْمَلُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ, . (الزلزلة : ٧٠٨) .

إن مجرد الظن مالقيامة والبعث والحساب والجزاء ، جديرٌ بأن يردع الإنسان عن تطفيف الكيل والميزان ، وظلم الأهرين والإسامة إليهم ، فما بالك إذا كان ذلك عين اليقين .

وقيل : الظن هنا بمعنى البقين ، أى : ألا يوقن أولئك بالبعث فى ذلك اليوم العظيم ، وبلو أيقنوا ما يقصوا فى الكيل والمهزان ، وهذا دليل على أن التطفيف من الكبائر .

قال الإمام فخر الدين الرازي :

جمع الله سبحانه في هذه الآيات أنواعًا من التهديد:

فقال أولاً : وَيُلِّ لِّلْمُطَفِّفِينَ . وهذه الكلمة تذكر عند نزول البلاء .

ثم قال ثانيًا : أَلَا يَظُنُّ أُوْلَئِكَ أَلَّهُم مُّبَّعُوثُونَ . وهو استفهام بمعنى الإنكار.

ثم قال ثالثًا: لِيَوْم عَظِيم. والشيء الذي يستعظمه الله لا شك أنه في غاية العظمة.

ثم قال رابعًا: يَوْمَ يَقُومُ آلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْمُلْكِينَ . وفيه نوعان من التهديد:

أحدهما: كونهم قائمين مع غاية الخشوع، ونهاية الذلّ والانكسار.

والثاني: أنه وصف نفسه بكونه ربًّا للعالمين.

قائدة : بمناسبة تفسير قوله تعالى : يُؤُمَّ يَقُومُ ٱلنَّاسُ ثِرَبِّ ٱلْمُنْلُمِينَ .

تكلم المنسرون عن قيام الناس بعضهم لبعض ، وفيه خلاف ، فمنهم من أجازه ، ومنهم من منعه .

وقد رُرى أن النبى ﷺ قام إلى جعفر بن أبى طالب ، واعتنقه ، وقام طلحة لكعب بن مالك يوم تاب الله عليه ، وقال النبى ﷺ للأنصار : «قوموا إلى سيدكمه ("" . إشارة إلى سعد بن معاذ .

وقال أيضًا ﷺ: «من سره أن يمثل له الناس قيامًا فليتبوأ مقعده من النار»("").

وقد روى القرطبي هذه الأفار ، ثم قال : وذلك يرجع إلى حال الرجل ونينّه ، فإن انتظر ذلك واعتقده لنفسه فهو معنوع ، وإن كان على طريق البشاشة والصلة فإنه جائز ويخاصة عند الأسباب ، كالقدوم من السفر ونحوه .

ديوان الشرّ

﴿ كَلْآ إِذَكِنَ الْفُجَارِلَغِي سِجِينِ ۞ وَمَاآذَرَكَ مَاسِجِينٌ ۞ كِنَبُّ مَنَّهُمُ ۞ وَقُلُّ فَوَمِلِ لِلْمُكَذِينِ ۞ الَّذِينَ يَكْدَبُونِيَةِم الَّذِينِ ۞ وَمَا يُكَذِّبُهِ إِلَّا كُلُّمُ مُعْتَدِأَثِيمٍ ۞ إذا تُنْلَ عَلَيْهِ عَرِيْنَا قَالَ أَسَطِيمُ ٱلْأَوْلِينَ۞ كُلُّ اللَّهِ مَا وَقُلْ عِبْمَ اللَّهِ عَلَيْهُ وَمَنْ اللَّهِ عَلَيْ لَمْحُونُونَ ۞ ثُمَ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْمَهْجِمِ ۞ ثُمَ مُهَالُ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ هِمِ ثُكَذِبُونَ ۞ ﴾

المفردات ا

ك التهار لهم .

كتباب الشجار: ما يكتب من أعمالهم.

الشي سحيين ، لمثبت في ديوان الشِّ.

كتاب مساقوم ، بين الكتابة أو معلَّم بعلامة .

مصمت المق ، متجاوز نهج المق .

أشيعهم ، كثير الإثم ، منهمك في الشهوات .

اساطير الأولين : أكاذيب وأباطيل الأوائل ، سطَّروها وزخرفوها في كتبهم .

ك الباطل .

ران على قلوبهم ، غلَّب وغطى قلوبهم ما اقترفوه من الذنوب ، فلم يهتدوا إلى الحق .

المحجوبون؛ لممتوعون عن رؤية الله في الآخرة.

لصالو الجحيم؛ لداخلوها أو لمقاس حرَّها.

التفسيره

٧ - كَلَّا إِنَّ كِتَلْبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِي سِجِّين .

كُلاً . ردع وزجر لهم عن تطغيف الكيل والميزان ، أو عن التكذيب بالآخرة ، إن كتاب أعمال الفجار الذين شقرًا عصا الطاعة واقترفوا المويقات ، لفي مكان ضيق في أسفل سافلين .

٨ - وَمَّا أَدْرَ سُكَ مَا سِجِّينٌ .

استفهام للتهويل والتعظيم ، أي : هل تعلم ما هو سجين ؟ إن البشر لا علم لهم بذلك ، وإنما يعلمه الخالق سبحاته .

٩ - كِتُلَبُّ مَرْقُومٌ .

هو كتاب مكتوب كالرقم في الثوب ، لا يُنسى ولا يمحى ، أثبتت فيه أعمالهم الشريرة .

قال المراغي في تفسيره:

وقصارى القول: إن للشرّ سجلاً دونت فيه أعمال الفجار، وهو كتاب مسطور بيئرٌ الكتابة ، وهذا السجل الفلاني السجل الفلاني السجل الفلاني المسمى بسجين ، كما تقول: إن كتاب حساب قرية كنا ، في السّجل الفلاني المشتمل على حسابها وحساب غيرها من القري ، فلكل فاجر من الفجّار صحيفة ، وهذه المسحانف في السّحل العظيم المسمى بسجين ⁽¹⁰⁾.

٠ ١ - وَيْلُ يَوْمَعِدِ لَلْمُكَدِّينَ .

هلاك شديد ويوار لهؤلاء المكذبين الجاحدين.

١١ - ٱللهِنَ يُكَدُّبُونَ بِيَوْمِ ٱللَّهِنِ .

الذين يجحدون القيامة والبعث والجزاء والحساب ، في ذلك اليوم : يَوْمَ ٱللَّيْنِ. الذي تدين فيه الذاس لرب المحالمين .

١٢ – وَمَا يُكَذَّبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدِ أَلِيمٍ .

وما يذكر مجيء هذا اليوم إلا كل متجاور الحدّ في الكفر والمنالل ، مبالغ في العصيان والطغيان . كثير الآداء .

١٣ - إِذَا تُتُلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ ٱلْأَوْلِينَ .

إذا قرئت عليه آيات القرآن الكريم المشتمل على الدعوة للإيمان ، والتأمل في صفحات الكرن ، والتأمل في صفحات الكرن ، والتنكير باليوم الآخر، وذكر قصم السابقين ، والأنبياء والمرسلين ، وعقاب المكتبين ، يقول عن هذا النور المبين : إن هذه أساطير وخرافات الأوائل ، سطروها وزخرفوها في كتبهم ، ثم نقلها محمد ﷺ عنهم ، رئسها زورًا ويهتانًا إلى الله تعالى فهي ليست منزّلة من عند الله .

ع ١ - كَالَّا بَالْ زَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَالُواْ يَكْسِبُونَ .

أي : ليرتدع هؤلاء التمقى الذين لم يتذوقوا كتاب الله ، ولم يعرفوا فضك ، فقالوا عنه : أساطير الأولين ، وليس العيب في القرآن الكريم ، إنما العيب في قلوبهم التي اقترفت المعاصى ، وتشبُّعت بالآثام ، ولما كثر اقترافهم للذنوب ترك كل ذنب نكتة سوداء في قلوبهم ، ولما تكاثرت الذنوب غطى سواد المعاصى قلوبهم ، فلم يفقهوا القرآن ، ولم يتسرب نوره إليهم .

ه ١ - كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبُّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ .

ليرتدع مؤلاء الفجار ، المطفقون للكيل والميزان ، المكتَّبون بالقيامة ، إنهم سيصلون العناب ، وسيتُجَهِرن عن رؤية الله عز وجل .

وفى هذه الآية دليل على أن المؤمنين الصالحين يرون ربهم يوم القيامة ، تكريمًا لهم ، ورفعًا لمنزلتهم .

قال تعالى : وُجُوهٌ يَوْمَهُلِ نَّاضِرَةٌ م إِلَىٰ رَاهَا نَاظِرَةٌ . (القيامة : ٢٧ ، ٢٧) .

وقال مالك: لما حجب أعداءه فلم يروه ، تجلَّى لأوليائه حتى رأوه (٥٠).

١ ٩ - ثُمُّ إِنَّهُمْ لَصَالُواْ ٱلْجَحِيمِ.

ثم إنهم مع الحرمان من رؤية ربّهم ، فإنهم سيصطلون بنار جهنم ، ويحترقون بالعذاب في نار الجميم .

١٧ - ثُمَّ يُقَالُ هَلْمًا ٱلَّذِي كُتُمْ بِهِ تُكَلِّبُونَ .

أى: سيحرمون من رؤية الله تعالى ، وسيدخلون جهنم يصطلون ويحرقون بنارها ، ثم تقول لهم خزنة جهنم : هذا هو العذاب الذى كنتم به تكنبون فى الدنيا ، وتقولون : لا بعث ولا حشر ولا حساب ، وإنما نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر ، فتقول لهم الملائكة ، أَفْسِحَرُّ هَلْذَآ أُمُّ أَنْكُمِرُونَ . (العلود: ١٥)

أى: هل جهنم هذه سحر كما ادعيتم أن القرآن سحر، أم أنتم لا تشاهدونها بأعينكم ، ولا ترونها رأى العين ؟ لقد كان محمد صلى المعنى ؟ لقد كان محمد صلى المعنى ؟ لقد كان محمد الله عند ركم به من هذا العذاب وينذركم به ، فكنتم تستكبرون وتستهزئون وتكلّبون ، وفعا مو ذا العذاب وينذركم به ، فكنتم تستكبرون وتستهزئون وتكلّبون .

كتاب الأبرار في أعلى الجنة

﴿ كَلَآ إِنَّكِنَا ٱلْأَبْرَارِ لَغِي عِلْتِينَ ۞ وَمَا أَدَرَكَ مَاعِلُوْنَ ۞ كِنَتُ تَرَقُمُ ۞ يَشْهَدُهُ ٱلْفُهُونَ۞ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَلَغِي نَعِيرٍ ۞ عَلَى ٱلْأَرَّا إِلِينَظُّرُونَ۞ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ فِهِ مَنْضَرَةَ النَّعِيرِ ۞ يُسْفَوْنَ مِن تَحِيقٍ مَّحْتُومِ۞ خِتَمُهُ مِسْكٌ وَفِ ذَلِكَ فَلْيَنَا فَسِ ٱلْمُنْتَفِسُونَ۞ وَمِنَاجُهُ مِن تَسْنِيدٍ ۞ عَيْنَا يَشْرَبُ عِهَا ٱلْمُقَرَّةُوكِ۞ ﴾

المفردات:

كتاب الأبرار ، ما يكتب من أعمالهم .

لفي هنيين ، لمثبت في ديوان الخير أو مكان عال في الجنة .

مسرقسوم ، رقم وكتب فيه بالنجاة من المساب يوم القيامة .

يشهده المقربون، يحضُّره ويحفظه المقربون من الملائكة.

نسمسيسم، نعم كثيرة.

رحسيسق؛ أجود الثمر وأصفاه.

مسخستسوم : غنمت أوانيه وسدَّت حتى بفكها الأبرار.

ختامه مسك : ختام إنائه المسك بدل الطين .

فليتنافس؛ فليستبق المتسابقون، وليجاهدوا النفوس ليلحقوا بالعاملين.

مستراجسه ، ما يمزج به ويخلط ، والمزج خلط أحد الشيئين بالآخر .

يشرب بها، يشرب منها.

المقريون، الأبرار السابق نكرهم.

التفسيره

١٨ - كَالَّةَ إِنَّ كِتَلْبَ ٱلْأَبْرَادِ لَفِي عِلْسَنَ .

كُلًّا ، ردع ونجر المطفقين والمكتبين بيوم الدين .

إِنَّ كِلَبَ ٱلْأَبْرَادِ . أَى : صحيفة عمل المنقين في مكان مرتفع في الجنة ، تكريمًا لهذا الكتاب وتعظيمًا . لأهله ، في مقابل وضع كتاب الفجار في مكان مظلم ضيق كأنه سجن أو سجين ، إهانة لأهله وتذكيرًا بعقابهم .

٩٩ - وَمَا أَدْرَسْكَ مَا عِلَيْوِنَ .

وما أعلمك يا محمد أيُّ شيء عليون؟ إنه من أمر الغيب، وهو في الدرجة الرفيعة ، والمنزلة السامية.

ه ٧ - كِتُلْبٌ مُرْأَقُومٌ .

كتاب قد رُقَّم فيه وسطر ما أعد لهم من الثواب ، مما يرجب سرورهم وبهجتهم .

٧١ - يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ .

تشهده الملائكة الكرام المقربون ، وترى هذا الكتاب ، وما أعدّ فيه من الأعمال الصالحة والجزاء الحسن ، أو يشهدون بما فيه لصاحبه يرم القيامة ، أو يشهدون نقل كتاب كل فرد في الكتاب العامّ الذي يجمع مآثر الأبرار ، وإنه لفضل عظيم أن تحظى الملائكة الكرام بمشاهدة أعمال الأبرار ، أو تسجيلها في سجل عام .

وقد وُضع كتاب الفجار في سجين ، في قاع مظلم ضيق في جهنم ، تحقيرًا للظالمين والمطففين ، وكذلك وضع كتاب الأبرار في عليين ، أي في مكان عال مرتفع ، فسيح منير في أعلى الجنة ، تكريمًا للأبرار · وتعظيمًا لشأفهم .

٢٧ – إِنَّ ٱلْأَثْرُارَ لَفِي نَعِيمٍ.

لمًا عظُم الله كتاب الأبرار في الآيات المتقدمة ، عظُم هنا منزلتهم ومثويتهم ، فذكر أنهم في نعيم الجنة يتمتعون بما أعد الله لهم فيها من النعيم المادي والمعنري .

٣٣ - عَلَى ٱلْأَرْآئِكِ يَنظُرُونَ .

على السرر المدزينة بفاخر الثياب والستور ، ينظرون إلى ما أعد الله لهم من الكرامة والإحسان ، والإكرام وألوان النعيم .

٢٤ - تَقُوفُ فِي وُجُوهِهمْ نَصْرَةَ ٱلنَّعِيمِ.

تشاهد في وجوههم الفرح والسرور ، والرضا والنعمة والبهجة ، وسائر ألوان الخير والبر والنعيم .

ويذكر الفضر الرازي أن نضرة النعيم بسبب رؤية الله تعالى ، فيظهر أثر النور والفضل على وجوههم.

كما قال تعالى : وُجُوهٌ يَوْمَتِلِ نَاضِرَةٌ و إِلَىٰ رَبَّهَا نَاظِرَةٌ . (القيامة : ٢٢ ، ٢٢) .

فتنتقل البهجة والسرور والاستبشار إلى نفوسهم ووجوههم.

قال تعالى : وُجُوهٌ يَوْمَنِهِ مُّسْفِرَةٌ ، صَاحِكَةٌ مُّسْتَشِرَةٌ . (عبس: ٣٩ . ٣٩) .

٢٥ – يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مُخْتُومٍ.

والرحيق: الشراب الخالص المُصفَّى ، الذي لا غش فيه ولا كدرة ، ووصفه بأنه مخترم يديد أنه معدًّ لى أوانيه ، وأن هذه الأوانى مقتلة مختومة ، تفضّ عند الشراب ، وهذا يلقى ظل الصيانة والعداية .

ويطلق الرحيق على الخمر المعتقة ، وكونها مغتومة يفيد أنها أشرف قدرًا ، وأعلى منزلة من الأنهار الجارية التي تجرى في الجنة ، وقد ورد أن في الجنة أنهارًا من خمر لذة للشاربين ، كما في الآية الخامسة عشرة من سورة محمد ﷺ .

٣٦ - خِتَلْمُهُ, مِسْكُ وَفِي ذَالِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَتَافِسُونَ .

قد ختم على زجاجة الخمر بالمسك ، أى أن الذى يُختم به ويُسد به رأس قواريره وأوانيه هو المسك ، أو أن العراد : أنَّ الشارب إذا رفع فمه من آخر شرابه ، وجد ريحه كربح المسك ، لذاذة وذكاء رائحةٍ مع طيب العام ، ومنه : الأعمال بخواتيمها ، وختمت القرآن الكريم .

وَفِي ذَالِكَ فَلْيَتَنَافُس ٱلْمُتَمَافِسُونَ .

وفي ذلك النعيم ، وتلك السعادة ، وهذا الخير المتميز ، والثواب الجزيل ، والرضوان الإلهي ، فليتسابق المتسابقون وليشمر العاملون ، فالباب مفتوح لكل من أراد الولوج بشرط أن يدفع الثمن ، وليس الثمن إلا الأعمال المسالحة ، والتسابق في الخيرات مرضاة الله ، وإخلاصًا في طاعته .

٧٧ - وَمِزَاجُهُ مِن تَسْنِهم .

ويمزج هذا الشراب المختوم بشراب ينصب وينهل عليهم من على.

والتسنيم: المكان المرتفع، ومنه: سنام الجمل، أعلى شيء فيه، وسنام القبر أعلاه.

٧٨ - عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّاوِنَ .

هذا التسنيم أعلى شراب في الجنة ، وهو في عين يشرب منها أهل جنة عدن ، وهم أناضل أهل الجنة ، يشريون منها صرفًا هالصًا لا يخالطها شيء ، ويمزج منها كأس أصحاب الهمين فتطيب .

ومما سبق يتبين أن المراد بالأبوار هنا هم أصحاب اليمين ، أما المقربون فإنهم يشربون من التسنيم صد فًا خالصًا .

وفي سورة الواقعة قسم الله أهل القيامة إلى ثلاثة أقسام :

١ -- السابقون .

٧ – أصحاب اليمين .

٣ — أصحاب الشمال .

فما أعظم هذا النعيم ، إنه نعيم يستحق أن نتسابق إليه ، وأن نعمل من أجله ، بعكس المطففين الذين يتسابقون إلى الظلم وأكل أموال الناس بالباطل ، فما أحقر متاح الدنيا ، وما أنضر نعيم الأخرة .

سوء معاملة الكفار للمؤمنين في اللنيا ، وعاقبة ذلك في الأخرة

﴿ إِنَّ اَلَّذِيكَ آَخِرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِشْحَكُونَ۞ وَإِذَا مَرُّواْ بِيمْ يَنَعَامُ ونَ ۞ وَإِذَا اَنْفَلَوَا إِلَنَّ اَهْلِهِمُ اَنْفَلَوُا فَكِهِينَ ۞ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُواْ إِنَّ هَتُؤُكُمْ لَضَالُّونَ ۞ وَمَا أَرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَفِظِينَ۞ فَالْيَنَ مَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنَ الْكُفَّارِيقَسْحَكُونَ ۞ عَلَى الْأَرَّ إِلِي يُظُونَ ۞ مَلْ ثَوْبَ الْكُفَارُ مَا كُانُوا يَفْعَلُونَ ۞ ﴾

المقردات

إن الذين أجرمواء هم رؤساء قريش: أبو جهل ، والوليد بن المقيرة ، وأمثالهما .

يضح كسون؛ استهزاء من عمار وبالال وصهيب، وغيرهم من فقراء المسلمين.

يستسفسامنوون، الغمز: الإرشارة بالبعض والحاجب، استهزاءً وسخريةً، وقد يراد به العيب، فيقال: غمن فلان فلانذًا، إذا عابه وذكره بسوء، ويقال: فلان لا مفعرفيه، أي: ليس فيه ما يُعاب.

شك هيت ، معجبين بما هم فيه من الشرك والضلالة والعميان.

حساط على أعمالهم . وتباء ، يتفقّدونهم ويهيمنون على أعمالهم .

هـــــــل ثــــــوب، التثويب والإثابة : المجازاة ، يقال : ثوَّيه وأثابه ، إذا جازاه ، أى : هل جُوزى الكفار وأثيبوا على فبلهم ؟

تمهيده

كان كذار مكة يسخرون من الفقراء الضعفاء ، كعمار ويلال وصهيب ، ويقتخرون بالعدوان عليهم ، ويركن والعدوان عليهم ، ويركن المشركون على رسول الله ﷺ وأصحابه ، يستهزئون بهم ، ويحرَضون عليهم سفهامهم وغلمانهم ، وهم الذين قال الله فيهم : إِنَّا تَصَيْدُكُ أَلْمُسْتَهُمْ وَعِنْ . (لصحر: ٩٥) .

ودُوى أن على بن أبى طالب جاء فى نَفَرِ من المسلمين ، قرآه بعض هؤلاء الكفّار فسخروا منه وممن معه ، وضحكرا منهم ، وتفامزوا بهم ، ثم رجعوا إلى بقية شيمتهم من أهل الشرك فحدُثوهم بما صنعوا وقالوا : رأينا اليوم الأصلع ، فضحكرا منه ، فنزات هذه الآيات قبل أن يصل على إلى رسول الله ﷺ.

والآيات تحكى بعض قبائع المجرمين ، وتروى نموذجًا متكررًا في الحياة الدنيا ، حيث يسخر الفجّار من الأخيار ، ولا يردُ الأخيار في الدنيا ، لكن هناك في الآخرة نجد المؤمنين في متازل رفيعة ، يضحكون من الكافرين جزاء ما فعلوا بهم في الدنيا ، والمقصود من الآيات : تسلية المؤمنين وتقوية قلوبهم .

التفسيره

٧٩ - إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُواْ كَانُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ عَامَنُواْ يَصْحَكُونَ .

إن كفار قريش ومن وافقهم على الكفر كانوا في الدنيا يستهزئون من المؤمنين المصلّين ، أو الفقراء المتأدبين بآداب الإسلام والقرآن ، ويسخرون من انقطاعهم للصلاة والصيام ، وإخلاصهم في العبادة والتمسك بآداب الإسلام.

قال ابن عباس في تفسير قوله تعالى :

إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُواْ ...

هم: الوليد بن المفيرة ، وعقبة بن أبى معيط ، والعاص بن وائل ، والأسود بن عبد يغوث ، والعاص ابن هشام ، وأبو جهل ، والنضر بن الحارث ، وأولئك الذين آمنوا من أصحاب محمد ﷺ ، مثل : عمار ، وخبّاب وصهيب ، وبلال .

ه ٣ -- وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمْ يَتَفَامَزُونَ .

أي: إذا من بهم مؤلاء الذين آمنوا يشهرون إليهم بحواجبهم وأيديهم ، مامزون لامزون مستهزئين ، مُعقين في السخوية والتهكُم بهم ، ويقولون : انظروا إلى هؤلاء يُتعبون أنفسهم ، ويحرمونها الْأاتها ، ويتماطرون بأنفسهم في طلب ثواب لا يتيقنونه .

٣١ - وَإِذَا ٱلفَلَبُوا إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ ٱلفَلَبُواْ فَكِهِينَ.

أى: إذا رجع هؤلاء الكفار أن المستهزئون إلى بيوتهم وأهلهم رجعها مسرورين بما فعلوه بالمؤمنين من سفرية واستهزاء ، متعجبين من اختيار هؤلاء المؤمنين للإسلام ، وتركهم عبادة الأصنام.

٣٢ - وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُواْ إِنَّ هَـٰٓ أُولَاهِ لَضَالُّونَ .

والحجب منا هر أنَّ أهل الضلال والكفر ، وعبادة الأوثان ، وشرب الخصر ، والتعامل بالربا ، واقتراف النزلة ، هم الذين يتهمون المؤمنين الصابرين المتبتلين بعبادة الله ، المبتحدين عن المعاصى – يتهمونهم بالضلال ، وفي آمثال العرب : (رمتنى بدائها وانسلّد) يضرب لمن يكون فيه داء فينّهم غيره به ، فهزلاء الكفار يتهمون المؤمنين بالضلال لعدم استمتاعهم بالشهوات العاجلة ، ولتحذيب أنفسهم بالمسلاة والصيام ، طمعًا في نعيم آجل غير مضمون ، أي أن حكمهم على المؤمنين بالضلال يدلً على نهاية الغرود والجهل .

٣٣ - وَمَا أَرْسِلُواْ عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ .

أى: إن الكفار لم يكلُّفوا بمراقبة المؤمنين ، أن الوصاية عليهم ، أن تسجيل أعمالهم ، وهولاء الكفار بدل أن يراقبوا أنفسهم ، ويتفقدوا عيوب أنفسهم ، تركرا عيوب أنفسهم وانشفلوا بالبحث عن عيوب غيرهم .

٣٤ - فَالَّيْوْمُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ .

أى : اليوم يوم القيامة ، والكذار محجوبون عن ربّهم ، وهم يقاسون ألوان العناب في جهنم ، فإن المؤمنين يضمكون منهم ، ومن ألوان العناب الذي ينالهم ، جزاءً عادلاً على سخرية الكذار بالمؤمنين في ،الدنيا .

٣٥ – عَلَى ٱلْأَزَائِكِ يَنظُرُونَ .

بينما المرَّمنون يتمتعون بنعيم الجنة ، جالسين على الأرائك في نعيم مقيم ، يُقتح لهم باب فيرون أمل جهنم في بلاء شديد ، فيشكرون الله على ما أولاهم به من النعيم .

قال الشيخ محمد عبده في تفسير جزء عمٌّ :

فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِن ٱلْكُفَّارِ يَصْحَكُونَ .

لا ضحك الجاهل المغرور ، بل ضحك الموقن بالسرور ... ضحك من وصل به يقينه إلى مشاهدة الحق فسُرِّ به ، انكشف لهم بالحيان ما كانوا يرجونه من إكرام الله لهم ، وخذلاً كه لأعدائهم ، فسُرُوا بذلك وفرصوا ، وضحكوا من أولئك المغرورين الجحدة الذين تجلّت لهم عاقبة أعمالهم ، وظهر لهم سفه عقولهم وفساد أثوالهم ، فشر تلك اليوم .

عَلَى ٱلْأَرْآئِكِ يَنظُرُونَ .

إلى صنع الله بأعدائهم ، وإذ لاله لمن كان يفخر عليهم ، وتنكيله بمن كان يهزأ بهم ، جزاءً وفاقًا (١٠٠٠).

٣٦ – هَلْ ثُوَّبَ ٱلْكُنَّفَارُ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ .

هل جُورَى الكفّار على ما كانوا يفطرنه بالمؤمنين في الدنيا ؟ والجواب: نعم ، لقد جُورَى الكفار بالجزاء المناسب ، لتهكّمهم بالمؤمنين في الدنيا ، فقد نزل بهم ما يستحقونه من عقاب أليم ، جزاءً وفاقا . ويظل هذا الاستفهام التقريري هو آخر ما يرنُّ في الأَذَن ، كأنه يقول : إن عدالة الله تقتص من المعتدين مهما طالت بهم الحياة .

و تُوبَ مثل أثاب - بمعنى جازى - يقع فى الخير وفى الشر، وإن كان قد غلب عليه الثواب فى . الخير، لكنه ورد هنا من باب التهكم بالمعتدين، مثل قوله تعالى: فَبَشَّرهُم بِعَدَّامِ أَلِهم. (التربة: ٢٤).

قال ابن كثير:

وقوله تعالى : هَلْ أَوْبَ ٱلْكُفَّارُ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ .

أى: هل جُوزى الكفار على ما كانوا يقابلون به المؤمنين من الاستهزاء والسخرية أم لا؟
 بعني: قد حُوزها أوفر الجزاء وأتمّه وأكمله (٣٠٠).

ولهى معنى الآيات ورد قوله تعالى: إِنَّهُ كَانَ فَوِيقَ مِنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا عَامَنَا فَآفَهُمْ ثَلَ وَآرَحَمْنَا وَأَنَّ خَيْرُ آلَّ حِمِينَ هَ فَٱلْتَمْلُتُمُوهُمْ مِسْمِيًّا سَتَّمَ السَّوْكُمْ ذِكْرِي وَكُتُم مَنْهُمْ تَصْحَكُونَ ، إِنِّي جَزَيْتُهُمْ آلَوْمُ بِمَا مَبَرُواْ أَلْهُمْ هُمْ آلْقَالِونَ. (المؤمنون: ۱۰۹ – ۱۱۱).



أهبداف سبورة الانشقياق

(سورة الانشقاق مكية ، وآياتها ٢٥ آية ، نزلت بعد سورة الانقطار)

وهي سورة هادئة الأيقاع ، يغلب عليها هذا الطابع ، حتى في وصف مشاهد القيامة ، تلك المشايد التي عرضتها سورة التكوير في جو عاصف .

ووتطوف سورة الانشقاق بالقلب البشرى فى مجالات كونية وإنسانية شتى ، متعاقبة تعاقبًا مقاقبًا مقاقبًا مقاقبًا مقاقبً المقافبة تعاقبًا مشهد الحساب والجزاء ، إلى مشهد الكون مشهد الحساب والجزاء ، إلى مشهد الكون الحاضر وظواهره الموحية ، إلى المسرّ أخرى للقلب البشرى ، إلى التعجب من حال الذين لا يؤمنون بعد ذلك كله ، إلى التعجب بالعذاب الأليم ، وإستثناء المؤمنين من العذاب»".

مقاطع السورة

يمكن أن تقسم سورة الانشقاق إلى أربعة مقاطع:

المقطّع الأولُّ : وفيه محلم السورة ، ذلك المطلع الخاشع الجليل ، الذي يفيد نهاية الكون واستجابة السماء والأرض لأمر الله في خشوع وطواعية . (الآيات ١ – ٥) .

المقطع الثاني: يبين أن الإنسان محاسب على عمله ، وسيجازي عليه ، فالمؤمن يأخذ كتابه باللهين، . ويلقى السرور وحسن الجزاء ، والكافر بأخذ كتابه من وراء ظهره ، ويلقى الهلاك والسمير . (الأيات ٦ – ١٥٠).

المقطع الثالث : يعرض مشاهد الكون ، في صورة تأخذ بالألباب . (الأبات ١٦ - ١٩) .

المقطع الرابع: يتعجب من حال هؤلاء الذين يعرضون عن الإيمان ، ويهددهم بالجزاء العادل. (الآيات ۲۰ – ۲۵).

وهذه اللمسات المتعددة تطوف بالقلب البشرى ، وتنتقل بالنفس خلال مشاهد الآخرة والدنيا ، والحساب والجزاء ، في آيات قصيرة وحيز محدود ، مما لا يمكن لبشر أن يفطه ، ولكنه القرآن الذي يسرم الله للذكر ، وأنزله لهداية العالمين .

مع آيات السورة

١ - ٥ - يصف الله سبحانه وتمالى ما يحدث من الأموال يوم القيامة عند خراب الدنيا ، فيذكر أن السماء تنشق وتصبح ذات فروج وفقحات ، وتنقاد هذه السماءات لأمر ربها ، وتخضع لتأثير قدرته ، حين يريد انشقاقها ، فهي أشبه بالمطبع الذي يذعن لأمر سيده ، والأرض تسوى وتبسط باندكاك جباله ، وتضرح ما فيها من الموتى حتى لا يبقى بداخلها شيء ، وتنقاد كذلك لأمر ربها ، وتخضع لتأثير قدرته ، ووجب عليها أن تنقاد لأنها في قبضة القدرة الإلهية ، تصرفها في الفناء ، كما صرفتها في الابتداء .

وجواب إذًا . التي صدرت بها السورة محذوف ، وتقدير الكلام : إذا السماء انشقت ... ترون جزاء ما عملتم من خير أو شر.

وقصارى ذلك : وصف أحوال يوم القيامة ، وفيه تبدل الأرض غير الأرش ، والسماوات غير السماوات ، ويبرز الناس للحساب على ما قدموا في حياتهم من عمل ، وعلينا أن نؤمن بذلك كله ، ونكل علم حقيقته ومعرفة كنهه إلى الله تمالي .

 ١ - ١٥ - يا أيها الإنسان إنك تقطع رحلة حياتك على الأرض كانحًا ، تحمل عباك ، وتجهد جهدك ، وتشق طريقك لتصل فى النهاية إلى ربك ، فإليه المرجع وإليه المآب ، بعد الكن والكرح والجهاد ، وفى يوم البعث ينكشف الالتباس ، ويعرف كل عامل ما جرًّ إليه عمله ، والناس حينذ صنفان :

الأول : الذي يعرض عليه سجل أعماله ، ويتناول كتابه بيمينه ، فإنه يحاسب أيسر الحساب ، إذ تعرض عليه أعماله فَيُمَرَّف بطاعته وبمعاصيه ، ثم يُثاب على ما كان من طاعة ، ويتجاوز له عما كان من معصية .

عن عائشة رضى الله عنها ، قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول في بعض مسلاته : «اللهم حاسبني حسابًا يسيرًا» ، فلما انصرف قلت : يا رسول الله ، وما الحساب اليسير ؟ قال : وأن ينظر في كتابه فيتجاوز له عنه ، من نوقش الحساب يا عائشة يومئذ هلك. ٧٠٪

فهنا هو الحساب الهسير الذي يلقاه من يرتى كتابه بيمينه ، ثم ينجو ، وَيَتَقَلِبُ إِلَى ٓ أَطْلِهُ مَسُرُورًا . وأمله هم الناجون الذين سبقوه إلى الجنة .

الثانى : وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِنَبُهُ وَرَآءَ ظَهْرِهِ . والذي ألفناه في تعبيرات القرآن من قبل هو كتاب اليمين وكتاب الشمال، فهذه صورة جديدة : صورة إعطاء الكتاب من وراء الظهر، وليس يمتنع أن يكون الذي يعطى كتابه بشماله ، يعطاه كذلك من وراء ظهره ، فهى هيئة الكاره المكره ، الخزيان من العواجهة .

والذى نخلص إليه ، أن إيتاء الكتاب باليمين أو بالشمال أو من رباء الظهر ، تصوير لمال للمطلع على أعماله فى ذلك اليوم ، فمن الناس من إذا كشف له عمله ابتهج واستبشر ، وتناول كتابه بيمينه ، ومنهم من إذا انكشفت له سوابق أعماله عيس ويسر ، وأعرض عنها وأدبر ، وتمنى لو لم تكشف له , وتناولها بالشمال أن من وراء الظهر ، وحينئذ يدعو : واقبوراه ، أى : يا هلاكى أقبل ، فإنى لا أريد أن أبقى حيًّا . ولا يقعل الإنسان ذلك إلا إذا كان فى شدة التعاسة والشقاء .

وتناول الكافر كتابه بشماله أو من وراء ظهره ، علامة على سخط الله عليه ، وهو يدعو على نفسه بالهلاك والويل ، ويدخل نار جهنم التى سعرت وأوقدت ليحترق بنارها ، لأنه كان فى الدنيا بين عشيرته من الكافرين لاهيا فى شهواته ، منقادا لأهوائه ، لا يخطر الموت على باله ، ولا البحث : إِنَّهُ ظُنَ أَن ثَّى يَحُورَ . إلى ربه ، ولن يرجع إلى بارثه ، ولو ظن الرجعة فى نهاية المطاف لقدم بعض العمل ، ولدهر شيئا للحساب .

بَلَيْ إِلَّهُ رَكِّهُمُ كَانَ هِهِ يَهْمِيرًا . أَى : بلى ليحرين وليرجعن إلى ربه ، وليحاسبنه على عمله ، فهو سيحانه كان مطلمًا على أمره ، محيطًا بحقيقته ، عالمًا بحركاته وخطواته .

وتصور الآيات مذا التعيس ، وهو مسرور بين أهله في الحياة الدنها القصيرة ، واكنه في الأغرة حزين يتمنى الموت والهلاك ، تقابلها صورة ذلك السعيد المرّمن ، وهو ينقلب إلى أهله مسرورًا ، في الحياة الأهرة المديدة ، لقاء ما قدم من سعيً حميد وعمل صالح .

وتعود الآيات إلى لمحات من الكون ، تجمع بين الخشوع الساكن والجلال المرهوب:

١٦ - ١٩ - هَٰۚلَآ أَقْرِسُمُ لِلشَّقْقِ. والشَّقْق هو الوقت الخاشع المرهوب بعد الغروب، ويعد الغروب تأخذ النفس روعة ساكنة عميقة، ويحس القلب بمعنى الوباع، وما فيه من أسى صامت، وشجى عميق، كما يحس برهبة الليل القادم، ووحشة الظلام الزاحف، ويلفه في النهاية خشوع وخوف خفى وسكرن.

وُ ٱلْأَلِو وَمَّا وَسَقَى . هو الليل وما جمع ، وما حمل من الطّلام والنجوم ، أوما عمل فيه من التهجد، أو ما جمع من مخلوقات كانت منتشرة بالنهار ، فإذا جنها الليل أوت إلى مأواها .

وَٱلْقَمْرِ إِذَّا أَشَنَّى . أَى اكتمل واستدان وصار بدرًا ، وهو مشهد رائع للقمر في ليالي اكتماله ، بفيض على الأرض بذوره الحالم الخاشع ، الموهى بالصمت الجليل . يقسم القرآن بهذه الأشياء ، التي إذا تدبر الإنسان أمرها استدل بجلالها وعظمة شأنها على قدرة .

ثَرْكُنُّ فَهُمَّا عَن طُقِقٍ . أي : لتلاقن أيها الناس أمورًا بعد أمور ، وأحوالاً بعد أحوال ، من الموت والبعث والحشر، إلى أن تصيروا إلى ربكم ، وهناك تلقون جزاء أعمالكم .

٧٠ – ٢٥ – فلماذا لا يؤمنون بالبحث والنشور، وهم يرون آثار قدرة الله ويدائع صنعه ، وما لهم لا يخضعون لآيات القرآن ، وفيها من اللمسات والموحيات ما يصل القلب البشرى بالوجود الجميل ، وينارئ الوجود الجليل ، وإذا قرأ المؤمن هذه الآية سجد لله سجود التلاوة ، عند قوله : فَمَا لَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ وَ وَإِنَا قُرِعَ عَلَيْهِمْ الْأَوْمُ لَهُ يُعْمِدُونَ .

ولكن الكافرين قوم معاندون ، فالتكنيب طابعهم ، والله أعلم بما يكنُون في صدورهم ، ويضمُون عليه جوانحهم ، من بغي وحسد ، وإشراك بالله ، وحقد على الرسول 藥 ، ولذلك أمر الله نبيه 瓣أن يبشرهم جميمًا بالعذاب المؤلم الموجع يوم القيامة .. ويالها من بشرى لا تَسُرّ .

أما الذين آمنى بالله ورسوك ، وإمتثلوا أوامر الله فعملوا الأعمال الممالحة ، فلهم الأجر الحسن والثواب الدائم الذي لا ينقطع ولا ينهل .

مقاصد السورة

١ -- وصف مشاهد القيامة ، ٠

٢ - الإنسان كإدح عامل في الدنيا ، وسيلقى الجزاء في الآخرة .

٣ – المؤمن يأخذ كتابه باليمين ، فيجد السعادة والسرور .

الكافر يأخذ كتابه من وراء ظهره ، فيجد الشقاء والسعير.

٥ - القسم بالشفق والليل والقمر، تنبيهًا لجلالها ويديع صنعها.

 ٦ - الناس ينتقلون من الحياة إلى الموت، ثم إلى البعث والحساب والجزاء، فهم ينتقلون في أحوالهم طبقة بعد طبقة ليستقروا في نعيم مقيم أو في عناب أليم.

مظاهر القيامة

مِلْمُهِ ٱلرَّهُ إِلَّهِ عِلَا الْمُعْزِ الرَّحِي

﴿ إِذَا ٱلسَّمَا أَانَشَقَتْ ۞ وَأَذِنَتَ لِرَبَهَ وَحُقَّتْ ۞ وَإِذَا الْآرَضُ مُلَدَّ ۞ وَالْقَتْ ما فِهَ وَعَلَّتُ ۞ وَإِذَا الْآرَضُ مُلَدِّ ۞ وَالْقَتْ ما فِهَ وَعَلَّمُ ۞ وَالْقَتْ ما فِهَ وَعَلَمُ مَنَ وَكَ كَدَّ حَافَمُ لَقِيهِ ۞ فَأَمَا مَنَ أُوكَ كِنْبَهُ مِيمِينِهِ دَى فَاسَوْقَ يُعَاسَبُ وَسَا بَا يَسِيرًا ۞ وَيَنقَلِبُ إِلَى أَهْلِيمَسَرُورًا ۞ وَأَمَا مَنْ أُونَ كِنْبَهُ وَرَافَعَ لَهُ وَرَافَعَ لَهُ وَمِنْ فَا أَنْ مَن عَمُورً ۞ فَيَوَ اللَّهُ وَلَا ۞ وَيَصَلَلُ سِعِيرًا ۞ إِنَّهُ مَا وَالْتَقَلِبُ اللهِ مَنْ اللهِ عَلَيْهُ وَمَنْ فَعَلَمُ اللهِ مَنْ اللهُ وَمَنْ فَعَلَمُ اللهُ وَاللهُ وَمَنْ اللهُ وَمِنْ وَاللهُ وَمَنْ فِي مِنْ وَاللهُ وَاللهُ وَاللهُ وَاللهُ وَاللهُ وَاللهُ وَاللّهُ وَاللّ

المفردات :

السماء انشقت: انمادعت عند قيام الساعة .

أذنت السريسها ، استمعت وانقادت له .

الأرض مسدت، بسطت وسُوِّيت كمدُ الأديم.

النقت ما فيها؛ لفظت ما في جوفها من الموتى ، من عهد آدم إلى قيام الساعة .

ت خ لت ، خلت عنه غاية الخلق.

فمسلاقهه فملاق جزاء عملك لا محالة .

وراء طب مدره، بشماله من وراء ظهره، وهو الكافر.

يسدعو شيورا، ينادي ويقول: يا ثبوراه، والثبور: الهلاك.

يصلى سعيرا : يدخلها ويقاسى حرّها .

ئے پہسمسورہ ان برجم إلى ربه تكنيبًا بالبعث ، يقال : لا يحور ولا يحول ، أى : لا يرجم ولا يتقير . وعن ابن عباس : ما كنت أمرى معنى : يُعُورُ . حتى سمعت أعرابية تقول لبنية لها : حورى ، أى ارجمي .

التفسيره

١ ، ٧ - إِذَا آلسَّمَاءُ آنشَقَّتْ ، وَأَذِنَتْ إِرَبَّهَا وَحُقَّتْ .

إذا تشققت السماء وتصدعت وانفرط عقدها ، وتناثرت كواكبها ، ولم تعد متماسكة لا فطور فيها ، وهذا معنى إذا السماء انفطرت ، ومعنى قوله تعالى : وَيُوْمَ تَشْقُقُ ٱلسَّمَاةَ بِٱلْفَصْمِ وَلُوَّلَ ٱلْمَالَكِكُةُ تَوْبِيلًا ۗ هَ ٱلْهُلُكُ يُؤْمِّلِو ٱلْحَقُّ لِلرَّحَمْثِ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى ٱلْكَنْفِرِينَ عَسِرًا . (الفرقان : ٢٥، ٢٠) .

٣ ، ٤ - وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ ، وَٱلْقَتْ مَا لِيهَا وَتَخَلَّتْ .

وإذا الأرض بُسطت وسُوّيت ، فلا جبال ولا بحار فوقها ، ولا موتى ولا كنوز في أحشائها ، وصارت الأرض مستوية منسعة لأرض المحشر ، لا يحجب العين فيها شيء ، بل يكشف الناظر أهل المحشر ، ويُسمعهم الداعى ، وألقت الأرض ما في أحشائها من الموتى ، من عهد آدم إلى قيام الساعة ، ولفَظَتْ ما فيها من الكنوز .

وَتَخَلَّتْ . خلت خلوا تاماً مما في أحشائها ، وتخلُّت إلى الله وتبرأت من كل من فيها ومن أعمالهم .

قال تعالى : وَيَسْتَلُونَكَ عَنِ ٱلْحِبَالِ لَقُلُ يَسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا هَ لَيَلُومًا قَاعًا صَفْصَفًا ه لا تَزَى فِيهَا عِوَجًا زَلاَ أَشًا . (طه: ۱۰۵ – ۱۰۷)

٥ - وَأَذِلَتْ لِرَبُّهَا وَحُقَّتْ.

استمعت لأمر ربها وأطاعت ، وحكَّ لها أن تستمع وأن تطيع .

كما ورد فنى قوله سبحانه : ثُمُّ اَشْتَوَىٰٓ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُحَانٌ لَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ النِّيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهَا قَالَتَا اَتِنَا طَائِيسَ . (نصلت: ١١) .

فالسماء مطيعة وحكق لها أن تطيع ، والأرض مطيعة وحكّ لها أن تطيع ، فالكل في قبضة القدرة الإلهية .

قال صاحب الظلال:

وَحُشَّنَ . أي : وقع عليها الحقّ ، واعترفت بأنها محقوقة لربّها ، وهو مظهر من مظاهر الخضوع ، لأن هذا حق عليها ، مسلّم به منها .

وعلماء الكون يذكرون أن الكون فى اتسّاع مستمر ، ويستأنسون بقوله تعالى : وَإِلَّا ٱلْأَرْضُ مُلُتُ , أَى اتسعت ، حيث يقف على أرض المحشر جميع البشر من عهد آدم إلى قيام الساعة ، على أرض مستوية مكشوفة ، ينفذهم البصر ، ويُسمعهم الداعى .

وجواب إذًا . محدوف دلّ عليه ما بعده ، وهو قوله تعالى : يُناَّيُّهَا ٱلْإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبَّكَ كَدْمًا فَمُلْتِيهِ.

أي: إذا انشقت السماء واستجابت لأمر الله ، وإذا مُدّت الأرض وتخلّت عما في أحشائها ، واستجابت لأمر ربها ، رأيتم جزاء أعمالكم ، إن خيرًا فخير وإن شرًّا فشرً

٣ - يَنْأَيُّهَا ٱلْإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ .

يا أيها الإنسان ، أى الإنسان مؤمنًا كان أم كافرًا ، إنك كُاوحٌ . أى : عاملٌ فى الحياة ، ومجاهد ومجدً فى عملك ، وستلقى جزاء عملك عند لقاء ربك ، والآية إيجاز مبهر لمسيرة الإنسان فى هذه الحياة ، فأنت مستخلف عن الله فى الأرض ، وأمامك فرصة لن تُعرَّض من أجل كدح وعمل ، ستلقى جزاءه عند لقاء ربك ، أه عند مدانا عملك .

فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُر ، وَمَن يَعْمَلُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُر ، (الزلزلة : ٧ . ٨) .

لقد أوجدك الله في الدنيا ، وأعطاك العقل والإرادة والاختيار ، ومعك الشهوة والرغبة ، والقدرة على الطاعة أو المعصية، وأن تكون شاكرًا أو كغورًا ، وستلقى جزام ما قدمت يداك .

والكدح: جهد النفس في العمل حتى تتأثي

روى أبو داود الطيالسي أن رسول الله ﷺ قال : هقال جبريل : يا محمد ، عش ما شئت فإنك ميّت، وأحبب ما شئت فإنك مفارقه ، ولعمل ما شئت فإنك ملاقيه » .

قال المفسرون :

فَمُلَنْقِمُ . يعود الضمير إلى العمل من خير أو شرّ ، وقيل : يعود الضمير إلى قوله : رَبُّكَ . أي : فملاقٍ ربك ، ومعناه : فيجازيك بعملك ، ويكافئك على سعيك . وقيل : المراد بهذه الآية أُبئُ بن خلف ، كان يكدح في طلب الدنيا وإيذاء الرسول ﷺ ، والإصرار على الكفر .

وعلماء القرآن يقولون : العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ، والآية عامة تشمل كلّ إنسان ، وسيلقى كل عامل جزاء عمله ، فاليوم عمل ولا حساب ، وغذا حساب ولا عمل .

٧ : ٨ - فَأَمَّا مَنْ أُولِيَ كِتَلْبَهُ, بِيَعِينِهِ وَفَسَوُّفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا .

ينقسم الناس يوم القيامة إلى قسمين : المؤمنون الطائعون ، والمكذَّبون الكافرون .

فالمؤمنين الطائعون يأخذون كتبهم باليمين ، ويُعرضون على ربهم فينظر في كتاب أعمالهم ، ويتجاوز عن سيئاتهم .

لخرج الشيخان ، والترمذي ، وأبو داود ، عن عائشة أن النبي ﷺ قال : هليس أحد يُحاسب إلا هلك ، ، الخرج الشيخان الله ، جعلنى الله فداءك ، أليس الله تعالى يقول : فَأَمَّ مُنْ أُوبِيَ كِتَبُهُ بِيَعِيدُ م فَسَوْفَ يُحاسَبُ عَلَى وَحِيدًا ، يَبُولُونَ مُوسَدِّ وَاللهُ عَمَالِهُ وَاللهُ عَمَالِهُ وَاللهُ عَمَاللهُ عَمَالهُ عَمَاللهُ عَمَالِهُ عَمَالِهُ عَمَاللهُ عَمَاللهُ عَمَاللهُ عَمَاللهُ عَمَالِهُ عَمَاللهُ عَمِلْكُوا

وأخرج أهمد ، وعبد بن حميد ، والحاكم وصمحه ، عن عائشة قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول فى بعض صلاته : واللهم حاسبنى حسابًا يسيرًا» ، فلما انصرف ﷺ قلت : يا رسول الله ، ما الحساب اليسير ؟ قال : وأن ينظر فى كتابه فيتجاوز له عنه، (٩٠)

وفى الحديث أن رسول الله ﷺ قال: وإن الله يدنى العبد يوم القيامة ، حتى يضع كنفه عليه ، فيقول له : فعلت كذا وكذا ، ويعدد عليه نذويه ، ثم يقول له : سترتها عليك في الدنبا ، وأنا أغفرها لك اليوم» (٣٠).

فهذا هو المراد من الحساب اليسير.

٩ – وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِ مَسْرُورًا .

ديرجم إلى عشيرته المؤمنين فرحًا ميتهجًا بالنجاة في هذا اليوم ، وقيل: يرجع إلى فريق المؤمنين مطلقًا وإن لم يكونوا عشيرته ، إذ كل المؤمنين أهل للمؤمن من جهة الاشتراك في الإيمان

وفى معنى هذه الآيات قال تعالى : فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَنْبَهُ بِيَعِيدِ قَنْمُولُ هَاؤُمُ اَقْرَءُواْ كِتَلْبِهُ و إِنَّى طَنْسَتُ أَنَّى مُلُلُق حِسَابِيّهُ ٥ لَغُهُو فِي جِيشَةٍ رَاهِيَهُ ٥ فِي جَنَّةٍ عَالِيّةٍ ٥ قُطُولُهَا دَائِيّةٌ ٥ كُلُواْ وَالشَّرَبُواْ هَنِيتنَا بِمَا أَسْلَقُتُمْ فِي الْأَيّامِ الْخَالِةِ (الصافة: ١٩ - ٢٧). . ١ ، ١ ، ١ ، ١ ، ٩ - وَأَمَّا مَنْ أُوتِي كِتَلْهَمْ وَرَآءَ ظَهْرهِ - فَسَوْفَ يَدْعُواْ ثُبُورًا ، وَيَصْلَى سَعِيرًا .

أما الكافر المكذب وهو من أخذ كتابه بشماله من وراء ظهره ، حيث تغلُّ بمينه إلى عنقه ، وهو موقف الهالكين .

فَسَوْفَ يَدْعُواْ ثُبُورًا .

والثهور: الهلاك ، فيقول : يا ثبوراه ، أي : يا هلاك أقبل ، ويا موت احضر ، لتنقذني مما أنا فيه ، لذلك قيل : أصعب من الموت تمنّى الموت .

وكسيهم بحرزالسارصال

فليسوا ميتين فيستريحوا

قال تعالى : وَلَادَوْا يُسْمَلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّلْكِثُونَ . (الزحرف: ٧٧).

فهذا الشقى الذى أطاع هواء ، وآثر الشهوات ، وسار وراء الملذات ، ولم يستمع لداعى العقل ، ولم يقدّم شيئًا لأخرته ، حين يرى موقف الحساب والجزاء ، وأعماله القبيحة قد أحصيت ، يتمنّى الموت والغرار من مواقف الغذاب ، ولن يجاب إلى طلبه .

قال أبو الطيب المتنبي :

كفي بك داءً أن درى الموت شافيًا وحسب المنايا أن يكن أمانيا

وإنما هو الشُّقَاء الذي ليس بعده شقاء ، والتعاسة التي ليست بعدها تعاسة .

وَيُصْلَىٰ سَعِيرًا.

ويدخل جهنم يصطلى بنارها ، ويقاسى حرّها وسعيرها ، ويتعتب بعنابها أبد الأبدين ، ودهر الداهرين ، وماكان أيسر عليه ألا يطيع هواه ، وأن يؤمن بالله ، ولا يشرك به أحدًا.

وفى ذلك يقول الله تعالى : وَأَمَّا مَنْ أُولِيَ كِتَنْهُر بِشِعَالِهِ فَقُولُ يَلْكِتِي لَمْ أُوتَ كِتَلِيهَ ه يَلْلَيْهَا كَانَةِ الْقَاصِيَةُ مِنَا أَشَىٰ عَلَيْهِ هِ هُلُكَ عَنَى سُلْطَنِيَةً هِ خُلُوهُ فَقُلُوهُ وُثُمَّ ٱلْمَحِيمُ مَلُّونُ . (الحانة : ٢٥ – ٣١).

١٣ - إِنَّهُ كَانَ فِي آَهْلِهِ مَسْرُورًا .

إنه كان في الدنيا لا يفكّر في العواقب ، ولا يتورَّع عن المنكرات ، وإنما يهجم على المعاصى فُرِحًا بطرًا أبوًا ، والإسلام لا يصارب السرور ، بل يدعو إلى الرضا والفرح بالنعمة ، بشرط ألا يصبح الفرح اختيالاً وتعاليًا . قال تعالى : قُلْ بِفَصْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِدَ إِلَى فَلْيَفْرَخُواْ ... (يونس : ٥٨).

جاء في تفسير القرطبي:

قال ابن زيد : وصف الله أهل الجنة بالمخافة والحزن والبكاء في الدنيا ، فأعقبهم به النعيم والسرور في الأخرة ، ورصف أهل النار بالسرور في الدنيا والشحك فيها ، فأعقبهم به الحزن الطويل .

١٤ - إِنَّهُر ظَنَّ أَن لِّن يَحُوزَ .

يحور معناها يرجع ، أى : إن هذا الكافر تيقُّن أنه لن يرجع إلى ربَّه الحساب ، فآفر الدنيا وأهمل الأخرة ، وعمل طالحًا ولم يعمل صالحًا .

ه ١ - بَلِّي إِنَّ رَبُّهُ, كَانَ بِهِ يَصِيرُ١.

إنه ظن أن لن يحرر ، ولكن الحقيقة أن ربّه كان مطلعًا على أمره ، محيطا بحقيقته ، عالمًا بحركاته وخطرات ، عارفًا أنه سائر إليه ، وأنه يجازيه بما كان منه .

قال الشيخ محمد عبده :

إِنَّهُ, ظَنَّ أَن لَّن يَحُوزَ .

أى: رجح في حكمه أنه لن يرجع إلى ربه ، فيحاسبه على ما يقترف من ذنيه ، أو يثيبه على الأفضل من كسبه .

بَلِّيٍّ .

إيجاب لما بعد النفي في: أَن يَعُورَ .

أى: بلى ليحورنُ وليرجعن إلى ربّه ، وليُحاسبن على عمله فيجرى عليه : الغير بالغير ، والشر بالشر.

إِنَّ رَبُّهُ رَكَانَ بِهِ يَصِيرُ ا .

بل تقضى حكمتنا فى هذا الخلق العظيم ، أن نجعل له حياة بعد هذه الحياة ، يستلمر فيها أعماله ، ويوافى فيها كماله .

تأكيد وقوع القيامة وما يتبعها من الأهوال

﴿ فَلَاۤ أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ ﴿ وَالَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ﴿ وَالْقَمَرِ إِذَا أَشَّقَ ۞ لَرَّكُنُ طَبَقًا عَنَ طَبَقِ ۞ فَمَا لَمَّمُ لَا يُؤْمِنُونَ ۞ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ ٱلْقُرَّمَانُ لَا يَسْتَجَدُونَ ۞ ۞ الْمِ الَّذِينَ كَفُرُواْ يُكَذِّبُونَ ۞ وَاللَّهُ أَعَلَمُ بِعَالُوعُونَ ۞ فَيَشِرَهُم بِعَذَابٍ أَلِيدٍ۞ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَبِلُواْ الصَّلِيحَةِ فَكُمُ أَجَرُّ عَيْرَمَعَنُونِ۞﴾

المقردات

الشف الغروب.

ومسما وسسمة ، وما جمعه الليل وستره إليه من الدُّواب ، وجميع ما انتشر بالنهار .

التسركسيس: التلاقنُ أيها الناس (جواب القسم) .

طبقا عن طبق : أحوالاً بعد أحوال ، متطابقة في الشدة .

يـــوعــون، يضمرونه أو يجمعونه من السيئات.

ضير مستون: غير مقطوع عنهم ولا منقوص.

تمهيد،

أقسم سبحانه وتعالى بآيات له في الكائنات ظاهرات باهرات ، أن البعث كائن لا محالة ، وأنهم يلقون الأهوال حتى يفرغوا من حسابهم ، فيصير كل أحد إلى ما أعدً له من جنة أن نار .

التفسير،

١٦ – فَلاَ أُقْسِمُ بِٱلشَّفَقِ .

والشَّفَق: هو الحمرة التي تظهر في الأفق الغربيّ بعد غروب الشمس، وهو ضياءً من شعاعها، وسُمي شقفًا لرقته، ومنه: الشُعمة، لرقة القلب. و(لا) هذا زائدة ، والمعنى : أقسم بالشفق ، ويمتد الشفق من المغرب إلى العشاء ،

وقد أخرج الإمام مسلم ، عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال : «وقت المغرب ما لم يغب الشفق» -

ولكن صعُّ عن سجاهد أنه قال في هذه الآية : فَلاّ أَفْسِمُ بِالنَّفْقِ . هو النهار كله ، وإنما حمله على ذلك · قرنه بقوله تعالى : وَٱلْكِلُ وَمُا وَسُقِ . أَي : جَمَّع ، كأنه أقسم بالضياء والظلام .

قال ابن جرير: أقسم الله بالنهار مديرًا ويالليل مقبلاً "".

١٧ – وَٱلْمَيْلِ وَمَا وَسَقَ .

والليل وما ضم وجمع ، ففى الليل يهدأ الناس ، ويستريح الأنام ، بل إن يديك تعملان بالنهار ، وتضمهما إلى جناحك بالليل ، والأمّ تضم أولادها ، والحيوانات تعود إلى منازلها ، والبشر يأوون إلى بيوتهم ، والعُبّاد يتهجدون ويعبدون ، والنجوم تظهر ، والعيون تنام ، والليل يجمع كل شاردة ، ويضمُ كل هائمة ، ولا يخفى عليك أن ما انتشر بالنهار يجتمع بالليل ، فكل ما نشره النهار بالحركة ، يضمه الليل ، محمه بالسكرن .

قال تعالى: وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكُنًا ... (الأنعام: ٩٦).

١٨ – وَٱلْقَمَرِ إِذَا ٱلسَّقَ .

والقمر إذا اكتمل نوره واستدارته في الليالي البيض: الثالث عشر، والرابع عشر، والخامس عشر، وفيها يأنس الإنسان بالقمر المكتمل ، ويتأمَّل جماله ، ويناجي ذلك الكركب الهادئ الساكن ، المغير للمضيء النافع .

أقسم الله بالشفق ، وياللبل وما حرى وضَمُّ ، ويالقمر إذا صار بدرًا مكتملاً ، على أن الحياة الآخرة حاصلة والعة .

١٩ - لَتُرْكُبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَق .

لتنزلنُ من القيامة حالاً بعد حال ، منها : الموت والقبر ، والحشر والسؤال ، والميزان والصراط والجنة والنار ، ولتربنُ أحوال الآخرة ومنازلها بعد أحوال الدنيا .

وقيل : معنى : لَتُرْكُبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ .

لتنزلن حالة بعد حالة ، وكل حالة تسلم للأخرى ، مثل مراحل الطفولة والشباب والرجولة ، والكهولة والمورة ، والكهولة والموت والحياة الأخرة ، وفي الدنيا تعانرن البسر والعسر ، والسلام والحرب ، وكلها أمور متعاورة ، نمع الله المورد من الأخرة ، ومع الدنيا ومنازلها نجد الآخرة ومنازلها ، فلابد من الأخرة بعد الدنيا .

وقال الحسن البصري:

طَبَقًا عَنِ طَبَقٍ .

يقول : هالا بعد هال ، رشاء بعد شدة ، وشدة بعد رضاء ، وغنى بعد فقر ، وفقرًا بعد غنى ، وصحة بعد سقم ، وسقمًا بعد صحة .

ورجُّم ابن جرير الطبرى أن المراد : لتركبن من شدائد يوم القيامة وأحواله أهوالاً .

و ٧ - فَهَا لُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ .

فأي شيء يمنعهم من الإيمان بالله ورسوله ، واعتناق الإسلام ، وهو دين الفطرة .

٢١ - وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ ٱلْقُرْءَانُ لَا يَسْجُدُونَ .

وإذا قرئ عليهم القرآن لا يخضعون لأوامره ، ولا يستجيبون لتوجيهاته ، وفيه ما يأخذ بالألباب ، وما يقنع المقل والنفس ، وما يذكّر الناس بريّهم وبالكرن من حولهم ، وبالقيامة وبالأخرة التى تنتظرهم ، إن هذا الكرن جميل ، وقد عرض القرآن جوانب منه ، وإن هذا القرآن رائع يأخذ بالألباب ، ويرشد إلى الإيمان بالله ورسوله واليوم الآخر ، وعند هذه الآية سجد النبي ﷺ وسجد المؤمنون ، فهي آية سجدة .

وفى القرآن أربع عشرة آية نسّجدُ عندها امتثالاً لأمر الله تعالى ، وعند سجدة التلاوة نسبّح الله كما نسبحه فى السجود ، سبحان ربّى الأعلى ثلاث مرات أو خمس مرات ، ثم نقول : سجد وجهى للذى خلقه وصرّره ، وشقّ سمعه ويصره ، فتبارك الله أحسن الضالقين ، اللهم اكتب لى بها أجرًا ، وامح بها عنّى وزيّاً ، وادخرها لى عندك ذخرًا ، وتقبلها منّى كما تقبلتها من عبدك داود .

٣٣ – بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُكَذِّبُونَ .

بل طبيعة هؤلاء الكفّار التكذيب والعناد والجحود ، ولذلك لا يخضعون للقرآن عند تلاوته .

٣٣ - وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ .

والله أعلم بما تكنَّ صدورهم ، وما تضمّ جوانحهم ، فبعضهم كان يعلم صدق القرآن وصدق محمد ﴿ ويُعرِض عن الإسلام حسدًا وحقدًا .

قال تعالى : قَلْدَ نَعَلَمُ إِنَّهُ, لَيَحْزُنُكَ ٱللِّي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذَّبُونَكَ وَلَنكِنُ ٱلطَّلِيسِنَ بِنَهَنْتِ ٱللَّهِ ، يَخْخَدُونَ . (الأنمام: ٣٣).

٢٤ - فَيَشَرْهُم بِعَلَابٍ أَلِيمٍ.

بشريا محمد هؤلاء الكافرين بعذاب أليم موجع ينتظرهم ، جزاء تكذيبهم بالقرآن وبرسالتك .

والبشرى تكون بالخبر السَّار ، لكنه استعمل البشري هنا تهكُّما بهؤلاء الكافرين .

٢٥ - إِلَّا ٱلَّذِينَ وَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّالِحَلْتِ لَهُمْ أَجَّرٌ غَيْرُ مَعْنُونِي .

أى: لكن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم ثواب دائم غير منقوص ، في دار البقاء والظود .

قال تعالى: وَفِيهَا مَا تَشْتَهِهِ ٱلْأَنْفُسُ وَتَلَدُّ ٱلْأَقْبُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَلِلُونَ . (الزحرف: ٧١).

قال صاحب الظلال:

وبهذا الإيقاع الحاسم القصير تنتهى السورة القصيرة العبارة ، البعيدة الأماد في مجالات الكون والضمير.



أهسداف سسورة البروج

(سورة البروج مكية ، وآياتها ٢٢ آية ، نزلت بعد سورة الشمس)

هذه السورة القصيرة تعرض حقائق العقيدة ، وقواعد التصور الإيماني ، وتمجد الثبات على الحق، وتبشر المؤمنين بنصر الدنيا وتعيم الأخرة ، وتهدد الجبارين المعتدين بنقمة الله ولعنته في الدنيا والأخرة.

أصحاب الأخدود

الأخدود : الشق في الأرض يحفر مستطيلا ، وجمعه أخديد ، وأصحاب الأخدود قوم كافرون ذوو بأس وقوة ، رأوا قوما من المؤمنين فقاظهم إيمانهم ، فحطوهم على الكفر فأبوا ، فشقوا لهم شقًا في الأرض وحشوه بالنار ، وألقوهم فيه ، وكان هؤلاء الغلاظ الأكباد على جوانب الشق يشهدون الإحراق .

فقرات السورة

١ - تبدأ الفقرة الأولى بالقسم ، وتربط بين السماء ويوم القيامة وبين حادث الأعدود ، ونقمة الله
 على أصحابه . (الآيات ١-٤) ..

٢ -- ثم تعرض الفقرة الثانية المشهد المقجع في لمحات خاطفة ، تودع المشاعر بشاعة الحادث ، يدون تقصيل ولا تطويل ، مع التلميح إلى عظمة المقيدة التي تعالت على فقنة الناس مع شدتها ، وانتصرت على النار وعلى الحياة ذاتها . (الأيات ٥ - ١٠) .

٣ - ثم يجيء التعقيب بعد ذلك بقوز المؤمنين، ويشدة بطش الله بالمجرمين، ويقدرت وهيمنته على
 الكين ، ثم إشارة سريعة إلى سوابق ممن أغذ من الطفاة كفرعون وثمود. (الآيات ٢١ - ٢٧).

مع آيات السورة

١ –٣ – يقسم الله سيحانه بالسماء ذات الكواكب، والنجوم الكثيرة التي تنتشر في أرجائها، ويقسم بيوم القيامة ، والمشهود . بيوم القيامة ، والمشهود على الناس يوم القيامة ، والمشهود على الناس يوم القيامة ، والمشهود على أممهم يوم القيامة ، أو بجميع ما خلق الله في هذا الكون مما يشهده الناس ، ويرونه رأى العين .

وقصاري ذلك أنه سبحانه أقسم بالعوالم كلها ، ليلفت الناظرين إلى ما فيها من العظم والفخامة .

ع - أُعِلَ أَصْحَلْبُ ٱلأُخْدُودِ . أي : أخذوا يذنويهم ، ونزل بهم نكال الدنيا وعذاب الآخرة .

و قصة ذلك أنه قد وقع إلى نجران من أرض الهمن ، رجل ممن كانوا على دين عيسى ابن مريم ، فدعا أملها إلى دينه ، وكانوا على اليهودية ، وأعلمهم أن الله بعث عيسى بشريعة ناسخة لشريعتهم ، فأمن به قوم منهم ، ويلغ ذلك ذا نواس ملكهم ، وكان يتمسك بالههودية ، فسار إليهم بجنود من حمير ، فلما أغذهم خيرهم بين اليهودية والإحراق بالنار ، وحفر لهم حفيرة ثم أضرم فيها النار ، وصار يزتى بالرجل منهم فيخيره فمن جزع من النار ، وخاف العذاب، ورجع عن دينه ، ورضى اليهودية تركه ، ومن استمسك بديثه ولم يبال بالعذاب الدنيوى لثقته بأن الله يجزيه أحسن الجزاء ، أقاه في النار .

ثم بين من هم أصحاب الأخدود ، فقال :

٥ - آثارِ ذَاتِ الْوَلُورِ ، أى أن أصحاب الأحدود هم أصحاب النار ، التي فها من الحطب الكثير ما يشتد
 به لهيبها ، فلا جرم يكون حريقها عظيما ، ولهيبها متطايرا .

 ﴿ أَمْ مُعَلِّمُ أَكُوبًا أَكُورُ . أَي . قَتلوا ولُمنوا حين أحرقوا المؤمنين بالنار ، وهم قاعدون حولها يشرفون عليهم ، وهم يُعثَّبون ويُحْرَقون فيها .

 ٧ - وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ . وهو تعبير يصور قسوة قلويهم ، وتمكن الكفر منهم ، فإنّ التعنيب كان يتم بأمرهم ، وكانوا يقعدون على مقرية من الذار ، ويشاهدون أطوار التعديب وفعل الذار في الأجسام في لذة وسعار ، كأنما يثبتون في حسهم هذا المشهد البشع الشنيع .

٨ . ٩ - صما أتكر أمسماب الأخدود على هؤلاء الذين أحرقهم بالنار إلا أنهم آمنوا بربهم ، الموصوف بالغار الله من المبارك و الموافقة على الموافقة الله على المالك السماوات والأرض وما بينهما ، وهو رقيب على الجميع شاهد على أعمالهم وأحوالهم .

١٠ - إن هناك جزاءً عادلاً فى الآخرة ، وهؤلاء الذين عذبوا المؤمنين وحرقوهم فى الدنيا ، ولم يندموا على ما فعلوا ، سيلقون عقابهم فى جهتم ، وفى حريق شديد ، لقد أحرقوا المؤمنين بنار الدنيا ، وهى جزء يسير من نار الآخرة ، إذ نارها شديدة ومعها غضب الله على العصداة .

 ١١ ح وهؤلاء المؤمنون الصادقون يلقون جزاءهم في جنات تجرئ من تحقها الأنهار ، مع رصوان الله ، وذلك مو الفور الكند . ويهذا يتم الأمر، وينال كل طرف جزاءه العادل ، فالظالمون الطغاة يلقون عذاب الحريق ، والمؤمنون الصادقون يلقون الجنة ورضواناً من الله أكبر ، ذلك هو الغوز الكبير .

١٦ – ١٦ – إن انتقام الله من الظالمين لشديد ، فهو يمهلهم حتى إذا أخذهم لم يُللتهم ، وهو الذي يبدأ الخاق ثم يعيده يوم القيامة .

ثم ذكر سبحانه خمسة أوصاف من صفات الرحمة والجلال ، فقال :

- ١ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ، لمن يرجع إليه بالتوية .
- ٢ ٱلُّودُودُ . كثير الود والعطاء والمحية لمن أخلصوا له .
 - ٣ ذُو ٱلْعُرُش . ذو السلطان الكبير والقدرة الكاملة .
 - 3 ٱلْمُحِيدُ ، العظيم الكرم والفضل .
- ه فَقَالُ لِّمَا يُرِيدُ . سيحانه وتعالى يفعل ما يشاء ويختار .

وهو صاحب الإرادة الطليقة والقدرة المطلقة وراء الأحداث ، ووراء الحياة ووراء كل شيء في الوجود.

۱۸ ، ۱۸ - هَلُ أَتَسْكُ حَلِيثُ آلْجُورُدِ . الجنود : تطلق تارة على العسكر ، وتطلق تارة أخرى على الأعوان ، المماد بهم هذا الجماعات الذين تجندوا على أنبياء الله واجتمعوا على أذاهم ، هل أتاك حديثهم؟
وكيف فعل ربك بهم ما يريد؟

فُرْعَوْنَ وَتُعُودٌ ، لقد أهلك الله فرعون وجنده ، ونجّى موسى ومن آمن معه ، وقصة ثمود مع مسالح معروفة ، فقد عقرت ثمود الناقة التى جعلها الله لهم آية ، وقد أهلكهم الله عن بكرة أبيهم ، ونجًى مسالحا ومن معه من المؤمنين .

و خلاصة ذلك : أن الكفار في كل عصر متشابهون ، وأن حالهم مع أنبيائهم لا تتغير ولا تتبدل ، فهم في عنادهم سواء ، ولكن العاقبة دائما للمتقين ، ويطش الله شديد بالطفاة الظالمين .

۱۹ – ۲۷ – وفی الختام تقرر السورة أن الكفار فی كل عصر يكنبون الرسالات ، وهم غافلون عما يحيد بهم غافلون عما يحيد بهم من قهر الله وقدرته ، وهو سبحانه محيط بهم وعالم بجميع أحوالهم ، وسوف يركاخذهم على عملهم ، وهذا الذى كذب به قومك كتاب شريف ، متفرد فی النظم والمعنى ، محفوظ من التحريف ، مصون من التغيير والتبديل .

مقاصد السورة

- ١ -- إظهار عظمة الله وجليل صفاته.
 - ٢ قصة أصحاب الأخدود .
- ٣ -- عاقبة المتقين الجنة والرضوان، ونهاية المعتدين الهلاك والحريق.
- ٤ يبيد الله الأمم الطاغية في كل حين ، ولاسيما الذين يفتنون المؤمنين والمؤمنات .
 - ه القرآن مجيد شريف، وكفي شرفا أنه كلام الله.

- - -

القسم بأشياء عظام على لعنة أصحاب الأخدود



﴿ وَالنَّمَآةِ ذَاتِ الْبُرُقِعِ ۞ وَالْيَوْرِ الْمُوْعُودِ ۞ وَشَاهِدِومَشُهُودِ ۞ قَيْلَ اَصَحَبُ الْأَخْدُود ۞ النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ ۞ إِذْ هُرَعَلَتِهَا قُمُودٌ ۞ وهُمْ عَلَى مَايِفَعَلُونَ بِالْمُؤْمِدِينَ شُهُودُ ۞ وَمَانَفَعُواْ مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُواْ بِاللّهِ الْعَرِيزِ الْمُحْمِيدِ ۞ الَّذِي لَهُ, مُلْكُ السَّمُؤنِ وَالْأَرْضِ وَاللّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءُ وَسُهِيدُ ۞ إِنَّ اللّذِينَ فَنَوَ اللّهُ مِينِ وَالْمُؤْمِنِينَ مُنَا عَذَابُ جَهَنَمُ وَلَمُمْ عَذَابُ الْمَرِيقِ ۞ إِنَّ الّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ السَّسَلِحَيْتِ الْمُمْ جَنَدُ مُنَعَى مِنْ عَمْهِ الْآلَةِ مِن مَا الْأَنْهَ لِلْحَيْثِ الْمُعَمِّدِ وَاللّهِ عَلَيْهُ وَاللّهُ عَلَيْهِ اللّهُ عَلَيْهُ اللّهُ عَلَيْهُ اللّهُ الْمُعَلِيدِ اللّهِ عَلَيْهُ اللّهُ مَن اللّهِ عَلَيْهِ اللّهُ اللّهِ اللّهِ اللّهُ اللّهُ اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ وَاللّهُ عَلَيْهُ اللّهُ اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ وَاللّهُ عَلَى اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ وَاللّهُ عَلَيْهُ اللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ عَلَالُهُ الْمُؤَولُ الْكَالِيلُولُ الْعَلَولُ الْمُعْلِقُ اللّهُ وَاللّهُ الْمُؤْمِلُ الْكُنْ وَمِنْ اللّهُ اللّهُ وَاللّهُ عَلَى الْمُؤْمِلُولُ الْمُؤْمِلُ الْمُعَلِّلُولُ الْمُؤْمِلُ الْلّهُ وَاللّهُ عَلَيْهُ الْمُؤْمِلُولُ الْمُعْرَالِهُ اللّهُ وَاللّهُ عَلَى اللّهُ وَاللّهُ الْمُؤْمِلُولُ اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ وَالْمُؤْمِلُولُ الْمُؤْمِلُهُ اللّهُ وَاللّهُ عَلَيْهُ اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ وَالْمُؤْمِلُولُ الْمُؤْمِلُولُ الْمُؤْمِلُ الْمُنْ الْمُؤْمِلُولُ الْمُؤْمِلُ الْمُؤْمِلُ الْمُؤْمِلُ الْمُؤْمِلُولُ الْعَلْولُ الْعَلَيْلِ عَلْمُنْ الْمُنْ الْمُؤْمِلُولُ الْمُؤْمِلُولُ الْمُؤْمِلُولُ الْمُولُولُ اللّهُ وَالْمُؤْمِلِيلُولُ الْمُؤْمِلُولُ الْمُؤْمِلُ الْمُؤْمِلُولُ اللْمُؤْمِلُ اللّهُ الْمُؤْمِلُ الْمُؤْمِلُولُ الْمُولُ الْمُؤْمِلُولُ اللّهُ وَاللّهُ الْمُؤْمِلُ الْمُؤْمِلُولُ اللّهُ وَاللّهُ الْمُؤْمِلُولُ اللّهُ اللّهُ وَلَا اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ ولَا اللّهُ اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ وَلَاللّهُ اللّهُ وَلَالِمُ اللّهُ الللّهُ وَلَ

المف دات ،

والسيمياء وأقسم الله يها ويما يعدها .

ذات المسيسروج وذات المنازل المعروفة للكواكب.

اليوم الموعود : يوم القيامة.

شياها دمن يشهد على غيره .

<u>مشــــــهـــــود</u>ءمن يشهد عليه غيره .

أربي القسم المن المن القسم القسم

الأع دود؛ الشقّ المستطيل في الأرض ، ويجمع على أخاديد .

إذهم عليها قعود، إذ هم على حافة النار وحولها قعود.

وما تقموا منهم ، وما عابوا عليهم ، وما أنكروا منهم ، وما كرهوا منهم .

ج ت دوا دابتلوا وامتحنوا .

عناب الحريق ، هو عذاب جهنم ، ذُكر تفسيرًا وبيانًا له .

الشور الكبير؛ أي الذي تصغر الدنيا بأسرها عنده ، بما فيها من رغائد لا تغني.

التفسيره

١ - وَٱلسُّمَاءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ .

أي : أقسم بالسماء البديعة ذلت البروج .

والبروج جمع برج ، وهو القصر العظيم ، أو الحمين

قال تعالى : أَيْتُمَا تَكُونُواْ يُدْرِكَكُمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُسُمْ فِي بُرُوحٍ مُثَيَّدَةٍ ... (النساء: ٧٨).

وتطلق البروج على النجوم والشمس والقمر ، فهي مخلوقات ضخمة ، وكأنهًا بروج السماء الضخمة ، أي قصورها المبنية ، كما قال سبحانه : وَالسَّمَاءُ يَنْشِنُهُا إِلَيْهِ وَإِنَّا لَمُوسِمُونَ . (الناديات: ١٤٧)

وإما أن تكون البورج هي المنازل التي تنتقل فيها تلك الأجرام في أثناء دورانها ، وهي مجالاتها التي لا تتداما في جريانها في السماء .

قال القرطبي:

قوله : وَٱلسَّمَاءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ .

قسم أقسم الله عز وجل به ، وفي البروج أربعة أقوال :

أحدها : ذات النجوم ، الثاني : ذات القصور ، الثالث : ذات الخَلَق الحسن ، الرابع : ذات المنازل الخاصة بالكواكب السيارة ومداراتها الفلكية الهائلة ، وهي اثننا عشر منزلاً :

الحمل ، التُوُّر ، الجوزاء ، السرطان ، الأسد ، السنبلة ، الميزان ، العقرب ، القوس ، الجدى ، الدلو ، الحوت . اهد .

و خلاصة المعنى :

أقسم بالسماء البديعة ذات المنازل الرفيعة التي تنزلها الكواكب أثناء سيرها.

قال المفسرون: سُميت هذه المنازل بروجًا لظهورها ، وشُبُّهت بالقصور لعلوَّها وارتفاعها ، لأنها منازل الكولكي السيارة .

٠ - وَٱلْيَوْمِ ٱلْمَوْعُودِ .

وأقسم باليوم الموعود ، وهو يوم القيامة ، الذي وعد الله أن يجمع فيه الخلائق للحساب والجزاء.

قَالَ تَعَالَى: ٱللَّهُ لَا إِلَّكَ إِلَّا هُوَ لَيَجْمَعُنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَلَمَةِ لَا رَيْبَ لِيهِ ... (النساء: ٨٧).

٣ - وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ .

والشاهد هم الملائكة الحفظة والكتبة ، الذين يشهدون على الإنسان ، والمشهود عليه هو الإنسان ، وقبل : الشاهد محمد ﷺ وأمنّه ، والمشهود عليه سائر الأمم .

وقبل : الشاهد كل رسول يشهد على أمَّته أنه بلَّغها رسالة السماء ، ومحمد ﷺ يشهد أنَّه بلغ أمُّته ، والمشهود عليه هم أمم الرسل .

قال تعالى : فَكَيْفَ إِذَا حِنْنَا مِن كُلُّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَحِنْنَا بِكَ عَلَىٰ هَنْوَلَّاءِ شَهِيدًا . (النساء : ٤١).

ورُدى عن الحسن في تفسير قوله تمالى : وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ . أنه قال : ما من يوم إلا وينادى : أنا يوم جديد ، وإنّي على ما يُعمل فيُّ شهيد ، فاغتنمني فلو غابت شمسي لم تدركني إلى يوم الوعيد .

وقيل: الشاهد يوم الجمعة ، والمشهود يوم عرفة .

وقيل: الشاهد هو جوارح الإنسان ، والمشهود عليه هو ابن آدم -

وقيل : الشاهد هو الإنسان المشاهد ليوم القيامة وأهواله وعجائبه . والمشهود هو أحوال القيامة التي يشيب لها الولدان .

قال الماوي في حاشيته على الجلالين:

والأحسن أن يراد ما هو أعمَّ، وإذلك نكِّرهما ليعمَّ كلِّ شاهد ومشهود.

£ - قُتِلَ أَصْحَلْبُ ٱلْأَخْدُودِ .

أى: لُعن أصحاب الأخدود، وأصابهم القتل جزاء ما هَعلُوا بالمؤمنين من تقتيل وتعذيب.

ه - ٱلنَّار ذَاتِ ٱلْوَقُودِ .

تشرح هذه الآية أفعالهم ، حين شُقُّوا أخدودًا في الأرض ، وأضرموا فيه الدَّار مشتعلة مرتفعة .

٣ - إذْ هُمْ عَلَيْهَا أَتُعُودٌ .

لقد أضرموا النار ، وجلسوا حولها ينظرون إلى القتلى والمعدُّبين .

٧ - وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ .

جلسوا يشاهدون ألوان العذاب بالمؤمنين: مبياح القتلى ، وآلام الحريق بالمؤمنين ، بدون أن ترقً . تلويهم ، بل كانوا يتلذذون بآلامهم .

وقيل: كان يشهد كل فريق على صاحبه أمام الملك أنهم لم يقصروا في تحريق المؤمنين.

٨ - وَمَا نَقَمُواْ مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ.

ما كان لهؤلاء المؤمنين ذنب أو عيب ، أو جريمة تستحق العقاب ، سوى إيمانهم بالله القوى الغالب ، المحمود على جميع أفعًاله .

ذالمؤاخذة أن العقاب سببه الإيمان بالله الذي يستحق الإيمان والحمد ، وهذا من باب تأكيد المدّح بما يشبه الذمّ ، مثل قول الشاعر :

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب

وتنتهى قصة أصحاب الأخدود عند هذا الحدّ من الآيات ، لكن المعانى التى ترشد إليها لا تنتهى إلى قيام الساعة ، ذلك أنها تغيد أن هناك صراعا بين الباطل والحق ، فالباطل هنا يملك القوة والأخدود والنار والمشاهدة والاستعلاء والجبروت . أما المؤمنين فكانوا يملكون الثبات واليقين ورجاء ما عند الله ، وقد صعدًوا وصبروا وقُتلوا ، وتبتوا على إيمانهم .

لكنَّ الدنيا لها نهاية ، والآخرة دار للجزاء العادل ، وسيلقى أهل الباطل والكفر جزاءهم ، وسيلقى أهل الإيمان والثبات على الحق جزاءهم ، والأعمال بالخواتيم .

قال تعالى : بَلُ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَواةَ ٱللُّنْيَا ، وَٱلْآخِرَةُ خَيْرٌ وَٱلْقَىٰ . (الأعلى : ١٦. ١٧).

٩ - ٱلَّذِي لَهُ, مُلْكُ ٱلسَّمَا وَاتَ وَٱلْأَرْضِ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلُّ شَيْءٍ شَهِيلًا.

إن إيمان هُولًاه المؤمنين كان للَّه المَتَّصف بالعزة والحمد ، وهذا الآله له ملك السماوات والأرض ، خلفًا ررعايةً رحفظًا ، وهو سيحانه بيده الخلق والأمر ، وهو على كل شىء تدير ، وهو سبحانه مطلع وشاهد على ما فعله أصحاب الأخدرد بالمؤمنين من القتل والتحريق، وهو أيضا الحكم للعدل الذي يمهل ولا يهمل . وُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيِّءٍ شَهِيدٌ . أي : والله تعالى على كل شيء مطلع وشاهد ، وهذه أكبر شهادة .

قىال تحالى : قُلُ أَكُ كُيْءٍ أَكْثَرُ شَهَادَةً قُلِ ٱللَّهُ هُهِيذًا يَّنِي وَيُنْتَكُمُ (** وَأُوجِيَ إِلَى هَـٰلَمَا ٱلْفَرْءَانُ لِأَلْبَرُكُم بِهِ وَمَنْ لَلْغَ ... (الأنعام: ١٩) .

• ١ - إِنَّ ٱلَّذِينَ قَتُوا ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ أَمْ يَتُوبُواْ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَتْمَ وَلَهمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ .

الفتنة والغَتن: الاختبار والامتحان، تقول: فتنت الذهب بالنار، أي: اختبرتُه لأعلم جيده من رديثه.

والمراد هنا : عذبوا المؤمنين والمؤمنات بألوان العذاب ، والآية تشمل أصحاب الأخدود شعرلاً أوليًا، وتشمل أمل أوليًا، وتشمل كل من فتن مؤمنا وعذبه ولم يتب إلى الله تعالى إلى وتشمل أمل أمل مكة الذين فتنوا المؤمنين بمكة ، وتشمل كل من فتن مؤمنا وعذبه ولم يتب إلى الله تعالى إلى يهم القيامة . وأنا أكتب هذه السطور تطالعنا المصحف بأن أحد جنرالات فرنسا كتب في مذكراته عن حرب الجزائر أنه تلقي تعليمات بتعذب فنائيين جزائريين في زنزانات منفردة حتى يعترفوا على زملائهم ، وأن أبطائر الجزائر كانوا يموتون تحت العذاب دون أن يعترفوا على زملائهم ، ونُشرت هذه الاعترافات في فرنسا وفيها أن آلافا من المحاربين الجزائريين ماتوا في الزنزانات تحت العذاب .

وخلاصة معنى الآية :

إن الذين عذّبوا المؤمنين والمرّمنات وفتنوهم في دينهم ، طالبين رجوعهم عن الحق إلى الكفر ، ثم لم يتويوا إلى الله بالندم والإقلاع والرجوع إلى الله ، ظهم عذاب جهنّم وما فيه من حميم وغسّاق، ونار مستمرة أوقدها الجبار سبحانه ، ونار الدنيا جزء من سبعين جزءًا من نار الآخرة .

ولما كان أصحاب الأخدود قد أحرقوا المؤمنين في نار الأخدود ، نص على أن هؤلاء القساة الغلاظ المعتدين ينتظرهم عذاب جهنم . المعتدين ينتظرهم عذاب جهنم .

وَلَهُمْ عَلَابُ ٱلْحَرِيقِ . أَى : كما حرَّقوا المؤمنين بنار الدنيا ، فسيحترقون هم بنار الأخرة ، لكن شتان بين الدَّارين ، نار الدنيا أوقدها العبيد ، ونار الأَخرة أوقدها الخالق المجيد ، فالجزاء من جنس العمل .

قال الحسن البصري:

انظروا إلى هذا الكرم والجود، قتلوا أولياءه ، وهو يدعوهم إلى التوية والمغفرة .

وهذا يدل على أن الآية توجيه لأهل مكة ، ولكل كافر ظالم أن أقلعوا عن كفركم وظلمكم، وتوبوا إلى ربكم قبل فوات الأوان .

١١ - إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامْتُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّلِحَلْتِ لَهُمْ جَنَّكَ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَارُ ذَالِكَ ٱلْفَرْزُ ٱلْكَبِيرُ.

هذا هو التعقيب على عذاب المؤمنين ، أى : بينما الذين فتنوا المؤمنين وعنبوهم يصطلون بعذاب جهنم وعذاب الحريق ، نجد الذين آمنوا بالله ربًا ، وعملوا أعمالا ممالحة ، وامتثلوا أوامر ربّهم ، وهدى نبيهم ، ونقُذوا أحكام دينهم ، يتمتعون بجنات تجرى من تحتها الأنهار ، فيها ألوان النعيم ورضوان من الله أكبر.

ذَالِكَ ٱلْفُوزُ ٱلْكَبِيرُ . ذلك هو الفوز الأكبر ، والنجاح الأعظم ، والخاتمة الناجحة للمؤمنين .

لقد كانت هناك معركة بين الكفّار المعتدين والمؤمنين الذين آمنوا بالله الذى له ملك السماوات والأرض ، وقد حُرق المؤمنون في الأخدود أمام أعين الظالمين ، لكن المعركة لم تنته بعد ، فقد أدخل الكفار علاب جهنم وعناب الحريق ، وأدخل الذين آمنوا وعملوا المسالحات جنات تجرى من تحتها الأنهار . ذَالِكُ الْهَوْرُ ٱلْكَبِيرُ .

قال صاحب الظلال :

والقوز: النجاة والنجاح ، والنجاة من عناب الأغرة فوز ، فكيف بالجنّات تجرى من تحتها الأنهار . بهذه الخاتمة يستقرُّ الأمر في نصابه ، وهي الخاتمة الطقيقية للموقف ، فلم يكن ما وقع في الأرض إلا طرفًا من أطرافه ، لا يتم به تمامه ... وهذه هي الحقيقة التي يهدف إليها هذا التعقيب الأول على الحادث ، لتستقر في قلوب القلة المؤمنة في مكة ، وفي قلوب كل فئة مؤمنة ، تتعرض للفتنة على مدار القرون . ⁽¹⁰⁾ .

* * *

بطش الله شديد

﴿إِنَّ بَطْنَنَ رَئِكَ لَشَدِيدٌ ۞ إِنَّهُ هُوَيُدِئُ وَيُعِيدُ۞ وَهُوَالَفَفُوزَالُودُودُ۞ ذُوالَمَرْشِ المَجِيدُ ۞ فَعَالَّهَ لَمَارُبِيدُ ۞ هَلَ اَلْنَكَ حَدِيثُ اَلْجُنُودِ ۞ فِرْعَوْنَ وَنَمُودَ ۞ بَلِ الَّذِينَ كَفُرُوا فِي تَكَذِيبٍ۞ وَاللَّهُ مِن وَرَآ يِهِم مُجْيطًا۞ بَلْ هُوقُوْدًانُّ يَجِيدُ ۞ فِي لَوْجَ تَحْفُوطِ ۞ ﴾

المفردات ،

يطش ربك ، أخذه الجيابرة والظلمة بالعذاب.

هو يبدئ، يخلق ابتداء بقدرته.

يم يد، يبعث الموتى يوم القيامة بقدرته .

المسودود ، المتودد إلى أوليائه بالكرامة .

ذو المعرش: صاحب العرش وشائقه ومالكه.

المجيد : العظيم الجليل المتعالى .

مصحيط، عالم بأحوالهم، وقادر عليهم، وهم لا يعجزونه.

تمهيد،

في أعقاب قصة أصحاب الأخدود ، ونهاية الظالمين إلى عذاب جهنم وعذاب الحروق ، وفوز المؤمنين بالجنة ورضوان الله ، تأتى هذه الآيات تبيّن قدرة الله على الظالمين ، فكما أهلك الأوّلين فهو قادر على إهلاك كفار مكة ، وكل ظالم يأتى إلى يوم اللدين .

وفي الآيات تهديد للظالمين ، وتثبيت للمؤمنين ، فمن وجد الله وجد كل شيء ، ومن فقد الله فقد كل شيء .

التفسير،

١ ٢ - إِنَّ يَطْشَ رَبُّكَ لَشَدِيدٌ .

والخطاب لرسول الله ﷺ، وفيه إيناس له ﷺ وبيان لعظيم قدرة الله.

والبطش هو الأعذبقوة وعنف ، فإذا أضيف إلى الشدة كما هذا ، كان المعنى : إن أهذ ريك للظالمين الكافرين أخذ بالز في الشدّة وفي العنف ، لأنه بطش القادر على كل شيء .

١٣ – إِنَّهُ, هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ .

فهو سبحانه الذي بدأ الخلق ، وهو الذي يعيد البعث والحشر والنشر.

قال تعالى : كُمَا بَدَأُلَا أَوْلَ خَلْقِ تُعِيدُهُ , ... (الأنبياء : ١٠٤) .

وفي كل لحظة من لحظات هذه الحياة الدنيا نجد البدء والإعادة ، والخلق والأمر ، والفقر والغفي ، والارتفاع والانحدار ، والعز والذلّ ، والكون كله والخلق كله بين أصبعين من أصابع الرحمن ، يقلب ذلك كيف يشاء . قال تعالى : كُلُّ يَوْمِ هُوَ فِي شَأْنٍ . (الرحمن: ٢٩).

وهي شئون بيديها ولا يبتديها ، يشفى مريضا ويمرض سليما ، يعافى مبتلى ويبتلي معافى ، يغني فقيرًا ويفقر غنيا ، وبرفع وضيعا ويضع رفيعا .

قُلِ ٱللَّهُمُ مُثِلِكَ ٱلْمُلْكِ لُوْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمْن تَشَاءُ وَلُعِزُّ مَن تَشَاءُ يِيَلِكَ ٱلْخَوْرُ إِنْكَ عَلَىٰ كُلُ شَيْءً قَامِيرٌ . (لا عدان : ٢٩) .

١٤ – وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ .

وهو سبحانه غافر الذئب وقابل النوب ، هو خالق الخلق وهو أعلم بهم ، لذلك فتح باب النوية للتائبين ، وغفر للمستغفرين ، ورحم المسترحمين ، ولم يغلق بابه في وجه قاصد ، ومهما عظم الذنب وكبرت الخطيفة ، إذا صحّ الندم ، وعظم الألم ، وصدقت نية العبد في النوية ، فإن الله لايردٌ منّ قصد بابه .

قال تعالى : إِنَّ ٱللَّهُ لَا يَفْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا ذُونَ ذَالِكَ لِمَن يَشَآءُ ... (النساء: ١٦٦) .

وقال عز شأنه : قُلْ تَعِيَادِي ٱلَّذِينَ أَسْرَقُوا عَلَى ٓ أَلْفِيهِمْ لَا تَقْتَطُواْ مِن رُحْمَةِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْهُرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ ٱلْفَقُورُ ٱلرَّحِيمُ وَأَلِيمُواْ إِلَيْ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُواْ قَدْرٍ ... (الزمر: ٥٠، ٥٥).

لقد سبقت رحمة الله غضبه ، قال تعالى : وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلُّ شَيْءٍ ... (الأعرف: ١٥٦) .

وقال سبحانه وتعالى : إِنَّهُ, لَا يَأْيُتُسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَنْفِرُونَ . (يوسف: ٨٧).

ولحى السُّنة المسحيحة أن رجلا قتل مائة نفس ، ثم ندم ورغب فى التوية ، فتطهر وانتقل من أرضى المعصية إلى أرض فيها عُبُاد لله ، ليعبد الله معهم ، وفى الطريق أدركته منيته فمات ، فاختصمت فيه ملائكة الحذاب ، فأوحى الله إليهم : انظروا هذا الذي مات ، إن كان قريبًا من أرض الطاعة فلتقبض روحه ملائكة الحداب ، فوجدوه فريبًا من أرض المعصية فلتقبض روحه ملائكة العذاب ، فوجدوه فريبًا من أرض الطاعة شيرا أن ذراعًا ، فقبضته ملائكة الطاعة .

قال علماء الحديث:

ظو أن الرجل طاف الأرض كلُّها دون ندم أو توية أو رغبة صادقة في التوية ما نفعه ذلك ، اكن لما صدقت النية والرغبة في التوية والنَّدم قبله الله ، ويسر له باب القوية وحسن الخاتمة . واسم الله ٱلْوُدُودُ . يفتح أبوابا من هذه الرحمة والمودة والرضا والمحبة ، ٱلْوَدُودُ . الذي يبشُ للطائمين ، ويهشُ للمتبتلين ، ويرحم عباده ، ويكرم أولياءه ، ويرضى عن المؤمنين .

قال ابن عباس: ٱلْوَدُودُ . يودُّ أولياءه كما يودُ أحدكم أخاه بالبشرى والمحبة .

فيا للفضل الإلهى ، ويا للجلال والكمال والرضا والمودة من الله العلى القدير للمبد المخلوق الفاني ، إذا صحت نيّد، وصدقت عقيدته ، وعظمت رغبته فيما عند الله ، حيث يجد مودة الله .

قال تعالى : يُجِبُّهُمْ وَيُجُّونَهُ ... (المائدة : ٥٤) .

وقال سبحانه: رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنَّهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ... (البينة: ٨).

وقال عز شأنه : إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَتُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَانُ وُدًا . (مريم : ٩٦) .

وفي سورة الكهف نجد عناية الله تمثدُّ لأصحاب الكهف ، ونجد في قصة موسى والغضر جانبا من هذه المودة ، حين رأينا الخضر يخرق السفينة ، ويقتل الغلام ، ويبني الجدار تحقيقا لجانب من رحمة الله ومودته بالصالحين، وامتداد المودة إلى ذرية الصالحين ، حيث يقول الخضر -- كما حكى القرآن الكريم :

وَأَمَّا ٱلْمِعَدَارُ فَكَانَ لِغَلَمَمْنِ يَغِيغَيْنِ فِي ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ فَحَتَهُ, كَثَرٌ لَقُهَمَا وَكَانَ ٱبَوْهَمَا صَـْلِحًا فَأَرَادَ رَبُكَ أَن يَتُلُعَا أَشْذَهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنَوْهُمَا رَحْمَةً مَن رَجِّكَ ... (الكهف: ٧٦) .

١٥ - ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَحِيدُ .

ذُو ٱلْعُرُّش ، ذو الملك والسلطان .

أَلْمَحِيدُ . العظيم في ذاته وصفاته ، تام القدرة ، كامل الحكمة .

وفي الحديث الصحيح: «العرش لا يقدر قدره إلا الله».

قال ابن كثير:

ذُو ٱلْعَرْشِ . أي : صاحب العرش ، العظيم العالى على جميع الخلائق .

ٱلْمَحِيدُ . المتضمن لكثرة صفات كماله وسعتها . اهـ .

وقال أبن القيم : المجدّ في لغة العرب : كثرة أوصاف الكمال ، وكثرة أفعال الخير ، وأحسن ما قرن . اسم المجيد إلى الحميد .

كما قالت الملائكة : رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكُتُهُم عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ إِلَّهُم حَمِيدٌ مَّحِيدٌ . (هود: ٧٧).

وكما شرح لنا في آخر المسلاة أن نثنى على الله تعالى بأنه حميد مجيد ، وخرع لنا في آهر الركعة عند الاعتدال أن نقول : «ربنا ولك الحمد ، أهل الثناء والمجده .

فالحمد والمجد على الإطلاق لله الحميد المجيد ، المستحق لجميع صفات الكمال . ٱلْمُجِيدُ . العظيم الواسع ، القادر الغنيُّ ، ذو الجلال والإكرام .

١٦ - فَعُالٌ لَّمَا يُرِيدُ .

كنير الفحل لما يريده ، لا رادُّ لمشيئته ، ولا معقّب لأمره ، إذا أراد شيئا فعله ، لا يُمجِزه شيء ، ولا يُسأن عمّا يفعل لعظمته وقهره وحكمته .

كما رُرى عن أبى بكر المديّق أنه قيل له ، وهو في مرض الموت : هل نظر إليك الطبيب ؟ قال : نعم ، قالوا : فما قال لك ؟ قال : قال لي : إنى فعال لما أريد .

يريد أن الطبيب في الحقيقة هو الله ، وهو سبحانه فعال لما يريد ، إذا أراد أمرًا فعله طبق إرادته . قال الإمام الطحاوي :

وكل شيء يجرى بتقديره ومشيئته ، ومشيئته تُنفُذ لا مشيئة العباد .

وقال ابن القيّم:

اشتملت هذه السورة على لختصارها ، من التوحيد على وصفه سبحانه بصفات الكمال والجلال ، فهو أَلْوُفُوفُ . لكرنه مبييا إلى عباده ومحبًّا لهم .

وكونُه فعالاً لما يريد ، المتضمن لحياته وعلمه وقدرته ، ومشيئته وحكمته، وغير ذلك من أوصاف كماله ، ا هـ .

فهذه السورة كتاب مستقل في أصول الدين ، والحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عرجا.

١٧ - هَلْ أَتَمَنْكَ حَدِيثُ ٱلْجُنُودِ .

المراد بالجنود: القوم والجماعات الذين تجنُّدوا على أنبياء الله ، واجتمعوا على أذاهم ،

والمعنى:

هل بلنك يا محمد ، خيرُ الأمم والجماعات التى كذّبت رُسُلها ، واستحقت عقاب السماء ، وفي هذا الاستفهام تسليةً لرسول الله ﷺ ، وتهديد الكفّار والمتجبّرين في كل مكان وزمان .

عن عمر بن ميمون قال : مرّ النبي ﷺ على امرأة تقرأ : هَلْ أَنسْكُ خَدِيثُ ٱلْجُثُوهِ . فقال : «نم قد جاءني» .

١٨ - فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ .

وخصٌّ فرعون وثمود من بين المكذَّبين لوضوح الطقيان والظلم فيهما .

وتصة فرعون مع موسى مشهورة معلومة ، وكان أهل مكة على علم بها ، وقد أغرق الله فرعون ، ونجَّى بنى إسرائيل من قبضته ، لحكمة إلهية تأذُّذُ فيها مشيئته .

وثمود هم قوم صالح الذين عقروا الناقة ، وعنوا عن أمر ربُّهم ، واستحقوا ما نزل بهم من هلاك.

قال تمالى : كُذْبَتْ تُمُودُ بِعِلْمُوسُهَا ﴿ إِذْ أَنْبُعَثُ أَشْقَتْهَا ﴿ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ نَافَةَ ٱللَّهِ وَسُقْتِنْهَا ﴿ فَكَثَّبُوهُ لَقَقُرُوهَا فَتَمْدُمُ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بَلَدُهُمِهُ فَسُرِّينَا ﴿ وَلا يَصَافُ عُفْتِنَهَا ﴿ (الشمس ١١ - ١٥) .

١٩ - بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي تَكُلِيبٍ.

لقد كان أولى بقومك أن يتمظوا بما أصباب الجنود ، مثل فرعون وجنده الذي أُغرقوا في مياه البحر ، ومثل ثمود قوم صالح الذين حاق بهم سوء أعمالهم ، لكن قومك بدل أن يفكّروا في دعوتك وشريعتك ، ويتأمّلها في القرآن وأحكامه وهدايته ، استغرقهم التكذيب بالإسلام ورسالته ، وأصبحوا وأمسوا ولا همّ لهم إلاً تكذيب الإسلام والقرآن ومحمد ﷺ .

٢٠ - وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُحِيطًا.

والله تعالى عالم بهم ، مطَّلع على أفعالهم ، لا يفوتونه ولا يعجِزونه ، ويأس الله لا يردُّ عن القوم الظالمين .

٧١ - بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ.

هذا القرآن مجيد شريف ، عالى القدر ، رفيع المنزلة ، مصدَّق للكتب السماوية السابقة عليه ، ومهيمن عليها ، فيه قصص الأنبياء والمرسلين ، وأخبار السابقين ، وفيه حكم وتشريع ، وبيان وآداب ، ومواعظ وهداية ، وفيه أهبار القيامة ، وأنباء اليوم الآخر ، وفيه صفات الله وكمالاته ، فهو سبحانه متصف بكل كمال ومنزه عن كل نقص ، وهذا القرآن ليس شعرا ولا كهانة ولا أساطير الآولين ، ولكنه تنزيل من رب العالمين .

٢٧ – في لَوْحٍ مُحْقُوطِي .

هو في اللوح المحفوظ الذي في السماء ، محفوظ من الزيادة والنقصان ، والتحريف والتبديل ، ونحن نزمن بأن القرآن كلام الله ، أودعه الله في اللوح المحفوظ .

وقد جفظ الله كتابه على مرّ القرون ، وتكفّل الله بحفظه ، ويأن يظل دائما أصل أصول الدين ، وأساس الإسلام وككّى الشريعة .

هفيه نبأ من قبلكم ، وخبر ما يعدكم ، وحكم ما بينكم ، وهو الجدُّ ليس بالهزل ، من تركه من جبّار قممه الله ، ومن ابتفى الهدى فى غيره أضلّه الله ، لم تسمعه الجن حتى قالت : إنا سمعنا قرآنا عجبا ، يهدى إلى الرشد فآمثًا به ، ولن نشرك بربنا أحداء .

وقال الحسن البصري :

إن هذا القرآن المجيد عند الله في لوح محفوظ ، يُنزل منه ما يشاء على من يشاء من خلقه .

آمنا بالله وحده لا شريك له ، ويأن محمدا ﷺ عبده ورسوله ، ويأن القرآن كلام الله تعالى ، منزه عن النظير والمثيل ، محفوظ من التغيير والتهديل .

كما قال سبحانه وتعالى : إِنَّا نَحْنُ نُزُّتُنا ٱللَّكْرُ وَإِنَّا لَهُ, لَحَنْفِظُونَ . (المجر: ٩) .

وصلُ اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم.

ملحق بتفسير سورة البروج من كتاب التفسير المنير للدكتور وهبة الزحيلي فضل سورة البروج

أخرج الإمام أحمد ، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ كان يقرأ في العشاء الآخرة بـ : وَٱلسَّمَاءِ فَاتِ آلْرُوج ، وَٱلسَّمَاءِ وَٱلطَّارِقِ . (ا ص) .

وأخرج أحمد ، عن أبي هريرة أيضًا أن رسول الله ﷺ أمر أن يكّراً بالسماوات في العشاء . (١٠٠٠).

سبب نزولها والحكمة منها :

المقصود من هذه السورة تسلية الذبي ﷺ وأصحابه عن إيذاء الكفار ، ببيان أن سائر الأمم السابقة كانوا كأهل مكة ، مثل أصحاب الأخدود في نجران اليمن ، ومثل فرعون وثمود .

وكان كل الكفار سواء في التكذيب، فانتقم الله منهم، لأنهم جميعًا في قبضة القدرة الإلهية: وَاللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِطَّ . وهذا شيء مثبت في اللوح المحفوظ معتنع التغيير ، لقوله تعالى : بَلْ هُوَ قُرْءَانَّ مُجِدَّه فِي تُوح مُحُفُّوهِ . .

وسبب نزول هذه السورة التي تدور على قصة أصحاب الأخدود ما رواه مسلم في صحيحه ، وأحده ، ومجزها : أن أحد ملوك الكفر وهو ذو نُواس اليهودى واسمه زُرِّعة بن تَبُّان أسعد الحميري ، بلغه أن بعض رعبته آمن بدين النصرانية (ما أن بعض رعبته آمن بدين النصرانية (ما أن أن بعض رعبته أمن النصوبية) والإحراق بالنار ، فلما المأترة المؤمنين : من رجع والإحراق بالنار ، فصبروا ، فأنقوهم في النار ، فما القوم في النار ، فامترقوا ، والملك وأصحابه ينظرون .

قيل: قَتَل منهم عشرين ألفًا ، وقيل: اثنى عشر ألمًا.

وقال الكلبي: كان أصحاب الأخدود سبعين الفًا.

والخلاصة: أن ذا نواس آخر ملوك حمير - وكان مشركًا - قتل أصحاب الأخدود الذين كانوا نماري، وكانوا قريبًا من عشرين ألفًا (١٠٠).

تفصيل القصة – قصة الساحر والراهب والغلام :

المعتمد من قصص أصحاب الأخدود ما جاء في الصحاح عن النبي ﷺ: وأنه كان ليعض الملوك ساحر، فلما كبر شمَّ إليه غلامًا ليعلَّمَه السَّحر، وكان في طريق الفلام راهب يتكلّم بالمواعظ لأجل الناس، فمال قلب الفلام إلى حديثه ، فرأى في طريقه ذات يوم دابة أو حية قد حَيِّست الناس ، فأخذ حجرًا فقال: اللهم إن كان الراهب أحبُّ إليك من الساحر فاقتلها بهذا الحجر، فقتلها .

وكان ذلك الغلام بعدنذ يتعلّم من الراهب إلى أن صار بحيث يبرئ الأكمه والأبرص ، وينطّني من . الداء .

وعمى جليس للملك فأبرأه ، فأبصره الملك فسأله : من ردّ عليك بصرك ؟ فقال : ربى ، فغضب ، فغذبه ، فكل على الغلام ، فعذّب الغلام حتى دلّ على الراهب ، فلم يرجع الراهب عن دينه ، فقدٌ بالبيشار ، وأتى الغلام، فنُهب به إلى جبسل ليُطرح من بْرُوته ، فدعا فرُجف بالقوم فطاحوا ونجا ، فقمهوا به إلى قرقور (سفينة صغيرة) ، فلجَجُوا به ليُخرقُوه ، فدعا ، فانكفأت بهم السفينة ، ففرقوا ونجا ، وقال للملك : است بقاتلى حتى تجمع الناس فى صعيد ، وتصلينى على جدْع ، وتأخذ سهمًا من كِنانتى وتقول : بسم الله رب الغلام ، فم ترمينى به .

فرماه فوقع فى صُدَّمَه ، فوضع يده عليه ومات ، فقال الناس : آمنا برب الغلام ، فقيل للملك : نزل . بك ما كنت تحدِّر ، فأمر بأغاديد فى أفواه السُّكك وأرقدت فيها النيران ، فمن لم يرجع منها طرحه فيها ، حتى جاءت امرأة معها صبى ، فتقاعست أن تقع فيها ، فقال الصبى : يا أمّاه ، اصبرى فإنك على الحق ، وما هى إلا غُمَيْضَةً ، فصيرت واقتحمت ، أ¹⁷.



أهيداف سيورة الطيارق

(سورة الطارق مكية ، وآياتها ٧ ٧ آية ، نزلت بعد سورة البلد)

وهي سورة تشترك في خصائص سور هذا الجزء ، التي تمثل طرقات متوالية على الحس ، طرقات عنينة قوية عالية ، وصيحات بقوم غارقين في النوم .. نتوالي على حسهم تلك الطرقات تناديهم : تيقظرا ، تنبهوا ، انظروا ، تنكروا ، تنبروا ، إنّ هناك إلهًا ، وحسابًا وجزاء ، وعذابًا خديدًا ، ونعيمًا كبيرًا .

وبين المشاهد الكرنية والجفائق الموضوعية فى السورة تناسق مطلق ، دقيق ملحوظ ، يتضع من استحراض السورة فى سياقها القرآنى الجميل .

مع آيات السورة

١ -- ٤ -- وَٱلسَّمَاءِ وَٱلطَّارِقِ وَمَا أَدْرَئكَ مَا ٱلطَّارِقُ و ٱلنَّجْمُ ٱلنَّاقِبُ و إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَالِظً .

أى: والسماء ونجومها الثاقبة للظلام ، النافذة من هذا الحجاب الذي يستر الأشياء.

وقد كثر في القرآن الحلف بالسماء وبالشمس ، وبالقمر وبالليل ، لأن في أحوالها وأشكالها ومسيرها ومطالعها ومغاربها ، سمات القدرة وآيات الإبداع والحكمة .

وَٱلْعَالِرِقِ. الذي يطرق ليلاً ، و ٱلتَّجَعُ ٱلتَّاقِبُ . هو النجم المضيء الذي يثقب الظلام ، ونهتدي به في ظلمات البر والبحر ، وهو الثريا عند جمهرة العلماء ، أو جنس الشهب التي يرجم بها الشياطين ، ويرى الحسن أن المراد كل كوكب ، لأن له ضوءًا ثاقبًا لا محالة .

يكسم الله تعالى بالسماء ونجمها الثاقب، إن كل نفس عليها من أمر الله رقيب: إِن كُلُّ أَنْسُ لِمُّنَا عُلَيْهَا حَافِظٌ. وفي هذا التعبير بهذه الصيفة معنى التوكيد، ما من نفس إلا عليها حافظ براقبها ويحصى عليها، ويحفظ عنها، وهو موكل بها بأمر الله. وقد خصَّ النفس هذا لأنها مستودع الأسرار والأفكار، وهي التي يناط بها العمل والجزاء. ه - ٧ - فَلْيَنظُرِ ٱلْإِلسَانُ مِمْ خُلِقَ * خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِق * يَخُرُجُ مِنْ يَيْن ٱلصُّلْبِ وَٱلتّرَاقِبِ .

فلينظر الإنسان من أي شيء مُكلق ، وإلى أي شيء صدار ، إنه مُكلق من ماء دافق ، يخرج من بين المساب والتراتب ، حُلق من هذا الماء الذي يجتمع من صلب الرجل ، وهو عظام ظهره الفقارية ، ومن تراتب المرأة وهي عظام صدرها الطوية .. واقد كان هذا سزًا مكنونًا في علم الله لا يعلمه البشر ، حتى جاء القرن المشرون ، حيث اطلع الطهر على هذه الحقيقة بطريقته ، وعرف أنه في عظام الظهر المنافقة يتكون ماء الرجل ، وفي عظام الصدر الطوية يتكون ماء المرأة ، حيث يلتقيان في قرار ، فينشأ منها الإنسان .

«وقد ثبت في علم الأجنة أن البويضة نات الخلية الواحدة تصير علقة ذات خلايا عدة ، ثم تصير العلقة مضغة ذات خلايا أكثر عددًا ، ثم تصير المضغة جنيئًا صغيرًا ورعت خلاياه إلى طبقات ثلاث يفرج من كل طبقة منها مجموعة من الأنسجة المتشابهة في أول الأمر ، فإذا تم نموها كُونت جسم الإنسان، (^).

ورما رراء هذه اللمحة الخاطفة عن صور الرحلة الطويلة العجبية بين الماء الدافق والإنسان الناطق، حضوية ومن لا تحصى من العجائب والغرائب، في خصائص الأجهزة والأعضاء، تشهد كلها بالتقدير والتدبير، وتشى باليد الحافظة الهادية المعينة، وتزكد الحقيقة الأولى التي أقسم عليها بالسماء والطارق، كما تمهد للحقيقة التالية -- حقيقة النشأة الأخرة -- التي لا يصدقها المشركون المخاطبين أول مرة بهذه السورة: "."

٨ - ١٠ - إِنَّهُ عَلَيْ رَجْعِهِ لَقَادِرٌ . إن الذي قدر على خلق الإنسان وأنشأه ورعاه ، لقادر على رجعه إلى الحياة
بعد الموت ، وإلى التجدد بعد البلى ، فالنشأة الأولى تشهد بقدرته وحكمته ، هذه النشأة البالغة الدقة
والحكمة تذهب كلها عبثًا إذا لم تكن هناك رجعة لتختبر السرائر ، وتجزى جزاءها العادل .

يُؤمُ يُلِنَى السَّرَائِرُ. تبلى أي تشتير وتعتحن ، والعراد تظهر . السَّرَائِرُ . ما يسرّ في الظلوب من العقائد والذيّات، وما خفي من الأعمال ، واحدها سريرة .

قال الأحوص:

مبينقي لها في مضمر القلب والحشا سريريٌّ ودٌّ يوم تبلى السرائر

إن الله قادر على إعادة الإنسان للحياة يوم تتكشف السرائر، وتظهر الخفايا، وفي شجرد الإنسان من كل قوة ومن كل عون. فَهَا لَهُ مِن أَوْقٍ وَلَا نَاصِرٍ . فلا تكون للإنسان قرة ذاتية أو منعة من نفسه يمتنع بها ، وما له من ناصر خارج ذاته ينصره ويحديه مما حكم أن يقع عليه .

والمُعلاصة: إن القوة التي بها يدافع الإنسان عن نفسه ، إما من ذاته وقد نفاها بقوله : فُمَا لَذُ, مِن قُوَّةً . وإما من غيره وقد نفاها بقوله : وُلاَ نَاصِمٍ ، ويذلك يُحشر الإنسان منفردًا ، مكشوف السرائر , متجردًا من القوة والنصوي .

١١ – ١٤ – يُقسم الله سبحانه وتعالى بالسماء ذات المطر الذي ينزل منها ، وقد كان أصله ماء الأرض فتبخر وصعد إلى السماء ، ثم رجع منها مطرًا إلى الأرض ، ليحييها بعد موتها ، ويُقسم بالأرض التي تتشقق عن النبات والعيون ، يقسم بذلك على أن القرآن تنزيل من رب العالمين ، وهو القول الفاصل بين الحق والباطل ، وليس بالهزل ولا باللهو واللعب .

أخرج الترمذى ، والدارمى ، عن على "رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : وإنها ستكون فتن» قلت : فما المخرج منها يا رسول الله ؟ . قال : «كتاب الله ، فيه نبأ من قبلكم ، وخبر ما يعدكم ، وحكم ما بينكم ، وهو الفصل ليس بالهؤل ، من تركه من جبار قصمه الله ، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله ، وهو حبل الله المتين ، وهو الذكر الحكيم ، وهو الصراط المستقيم ، وهو الذي لا ترنخ به الأهواء ، ولا تشبح منه العلماء ، ولا تلتبس به الألسن ، ولا يُخلَق على كثرة الرد ، ولا تنقضى عجائبه ، هو الذي لم تنته الجن لما سمعته أن قالوا : إنا سَمِقتا قُرْمَاناً عَجَبًا ه يَهْدِى إلى الرشد . . (الجن : ٢٠١). من قال به صدق ، ومن حكم به عدل ، ومن عمل به أجر ، ومن اعتصم به هدى إلى صراط مستقيم "".

٥١ - ١٧ - إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ، وَأَكِيدُ كَيْدًا ، فَمَهَّلِ ٱلْكَنْفِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُويْدًا .

إنهم هؤلاء الذين خُلقوا من ماء دافق ، يمكرون مكرًا شديدًا ، ويتأمرون على إطفاء فور القرآن ، والله سبحانه يقابل كيدهم وتأمرهم بما يحبطه ويبطله ، وشتان بين عمل الإنسان وعمل الواحد الدبان، فالمعركة ذات طرف واحد ، وإن صورت ذات طرفين لمجرد المشاكلة ، إنهم يكيدون .. وأنا الله أكيد كينًا . أنا المنشئ المبدئ الهادى ، الحافظ المعيد ، المبتلى القادر القاهر ، خالق السماء ذات الرجع ، والأرض ذات الصدع ، أننا الله أكيد كيدًا ، وفي هذا تهديد ووعيد للكافرين ، ويشارة للمؤمنين بأن الله معهم يدبر أمرهم ، ومن وجد الله وجد كل شيء ، ومن فقد الله فقد كل شيء وإذا كان الله معمنا فمن علينا ؟

فَمَهَّلِ ٱلْكَنْفِرِينَ أَمْهِأَهُمْ رُوّيُقاً. لا تستعجل نزول العذاب بهم ، ولا تستبطئ نهايتهم ، بل أحهلهم قليلاً ، وسترى ما يحل بهم من العذاب والنكال . وفي الأبات إبناس النبي ﷺ وللمؤمنين ، وبعد للطمأنينة في تلويهم ، وتأكيد لهم بأن عناية الله ترعاهم ، وأن كيد الكافرين ضعيف ، وأن العاقبة للمتقين .

قال تعالى : نُمَتَّعُهُمْ قَلِيلاً ثُمْ نَضْطَرُهُمْ إِلَىٰ عَلَىابٍ غَلِيظٍ . (لقمان: ٢٤) .

مقاصد السورة

١ - إثبات حفظ الله للإنسان ورعايته له.

٢ - إقامة الأدلة على أن الله قادر على بعث الخلق مرة أخرى.

٣ – إن القرآن منزل من عند الله ، وإن محمدًا ﷺ رسول الله .

3 - تهديد الكافرين بالعذاب والنكال.

القسم على أن لكل نفس حافظا من الملائكة يراقبها



﴿ وَاسْتَمْ وَالطَّارِقِ۞ مَمَا أَدْرَكَ مَا الطَّارِقُ۞ النَّحْمُ الثَّاقِهُ۞ إِنْكُنُّ فَعْنِ لَكَ عَلَيْهَا حَافِظُ۞ فَلْمُطُرِ ٱلْإِنسَنُ مِمَّ خُلِقَ۞ خُلِقَ مِن مَّلَوَ دَافِقِ۞ يَعْرُجُ مِنْ بَيْنِ الشُّلْبِ وَالثَّرَآمِبِ۞ إِنَّهُ مُعَلَ رَجَعِيدِ لَمَالِدُّ ۞ يَوْمَ ثِّمَا أَلِمَ السَّرَائِدُ۞ فَاللَّمُونِ فُورَكَ نَاصِرِ۞ ﴾

المفردات :

السيط المارق من كل أنتر ليلاً ، ومنه النجوم الطلوعها ليلاً ، والطارق في الأصل : اسم شاعل من الطرق ، يمعنى الضرب يوقع وشدة يُسمع لها صوت .

السنسها السنساقيا و المضيء المتوهج ، أن المرتفع العالى ، كأنه يثقب الظلام بضوته فينفذ فيه ، والمراد به كل نجم ، أن الثريا .

المُا مسلسيسها ، إلاُّ عليها .

خسساط عملها من خير وهو الله أو الملائكة تحفظ عملها من خير وشرّ.

يخرج من بين الصلب : الظهر ، أو فقرات الظهر (النخاع الشركي في ظهر الرجل ثم ينصب إلى عروق في البيضتين) .

والسستسسرانية عظام صدر المرأة.

رجــــه : إعادة خلقه بعد فنائه وموته .

سيرائسور : ضمائر القلوب ، وما يستر فيها من العقائد والنيّات ، جمع سريرة .

ف مسالسه؛ ما لمنكر البعث وهو الإنسان الكافر.

مــــسن السسوة ، يمتنع بها من العذاب .

ولانسساسسسيه ينصره ويدقع عنه السوء.

التفسيره

١ - وَٱلسَّمَاءِ وَٱلطَّارِقِ.

أنسم بالسماء وأقسم بالطارق الذي يطرق لهلاً ، وهو النجوم والكراكب تظهر بالليل وتختفي بالنهار ، وقد أقسم الله بالشمس والقمر والفجر ، والليل والضمى ، والنجوم والرياح ، وكلها مظاهر تدل على عظمة الضائق سبحانه وتحالي .

٢ - وَمَا أَدْرَ سَلْكَ مَا ٱلطَّارِقُ .

ما أعلمك وما أخبرك ما الطارق ؟ وهو استفهام يراد به التفظيم والتعظيم ، والإبطارة إلى أنّ رفعة قدره ، وعلو منزلته ، لا تصل إلى معرفتها عقول الخلق ، فلابد من تلقّيها من العلهم الغبير .

٣ - ٱلنَّجْمُ ٱلثَّاقِبُ .

النجم الذي يثقب الظلام بضوئه ، ونهتدى به في ظلمات البرّ والبحر ، وتُعرف به أوقات الأمطار ، وهو الثريا عند الجمهور ، والظاهر أنّ العراد به جنس النجم الذي يُهتدى به في ظلمات البرّ والبحر .

وبوئِدُ ذلك ما جاء في صحيح البخارى: نهى رسول الله ﷺ أن يطرق الرجل أهله طروقًا ١٩٠١. أي : أن بأتيهم لهلاً فجأة يتشرّنهم ، أي يكتشف خيانتهم أو استقامتهم .

وفي حديث آخر مشتمل على الدعاء: وأعوذ بك من شرّ طوارق الليل والنهار ، إلا طارقًا يطرق بخيريا رحمني ٢٠٠١ .

\$ - إِن كُلُّ نَفْسٍ لُّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ .

ما كل نفس إلا عليها حافظ ، أى مهيمن ورقيب وهو الله تعالى ، كما فى قوله سبحانه : وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلَّ صُيْءٍ رَّقِيًّا . (الأحزاب: ٣٦). وقيل: معنى حَافِظُ . الملائكة الكرام الذين يحفظون الإنسان من النوائب والمصائب، ويسجلون عليه أعماله، خدها وشُرُّها .

كما في قوله تعالى : وَإِنْ عَلَيْكُمْ لَحَلْفِظِينَ * كِرَامًا كُلتِينَ . (الانفطار: ١١٠١٠) .

قال این کئیر:

أي : كل نفس عليها من الله حافظ يحرسها من الآفات . ا هـ .

قال تمالى: لَهُ، مُعَقِّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ، مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ... (الرعد: ١١) .

٥ ، ٦ - فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَانُ مِمْ خُلِقَ ، خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ .

فليتأمُّل الإنسان الكامل العقل ، الذي خلقه الله بشرًا سويًّا ، له النظر عينان ، والبطش يدان ، وللمشي رجلان ، وله اسان وشفتان ، وله عقل وفهم وفكر ، وإرادة واختيار ، من أي شيء خُلق هذا الإنسان ؟

خُلِقَ مِن مُآءٍ دَافِقِ .

خُلق من منى الرجل والمرأة ، من ماء متدفق بشدة وبشهوة ، ينتقل من الرجل إلى العرأة ، فيتم تلفيع البويضة ، وتتحول النطفة إلى علقة ثم إلى مضغة ثم إلى عظام ثم تكسى العظام لحمًا ثم ينشته الله خلقًا يُعر ، فَيَهْزَلْهُ اللَّهُ أَحْسُ ٱلْمُحْلِقِينَ . (المؤمنين : ١٤) .

٧ - يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلْثُورَ آلِبِ.

يخرج المنى من ظهر الرجل في النخاع الشوكى الأتى من الدماغ ، ومن بين تراتب المرأة ، أي عظام صدرها ، أو موضع القلادة من الصدر ، والولد يتكون من لجتماع ماء الرجل وماء المرأة ، ثم يستقر الماء المختلط في الرُّحم ، فيتكون الجنين بإرادة الله تعالى .

هال تعالى : وَلَقِرُ لِمِي ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىّ أَجَلِ مُسمَّى ثُمّ نُخْرِجُكُمْ طِفَلاً فُمْ لِبَلْفُواْ أَطَلَتُكُمْ ... (العج : ٥). ٨ - إِنَّهُ عَلَىٰ رَجْعِه لَقَادرٌ .

إن الله الخالق الذي خلق الإنسان من ماء مهين ضعيف ، فيعنل من الماء يشرًا وصهرًا ، وسوَّاه إنسانًا كاملاً ، هو سبحانه قادرٌ على إعادته للحياة بعد الموت ، والإعادة لَمون من البدء .

٩ - يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ .

ٱلسُّرَآئِرُ . جمع سريرة ، وفي يوم القيامة يصير المختبئ ظاهرًا ، والنيَّات والخفايا ظاهرات مكشوفة ، ويُحشر الناس حفاةً عراةً غُرِّلاً ، كما ولدتهم أمُّهاتهم ، ويجتمع الأولون والآخرون .

كما قال سبحانه وتعالى: وَحَشَرُنَاهُمْ فَلَمْ نُفَاوِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا. (الكهف. ٤٧).

وقد جاء كل إنسان مجردًا من حشمه وخدمه وحاشيته.

قال تعالى : إِنْ كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلِي ٱلرَّحْمَانِ عَبْدًا ه لَقَدْ أَحْمَاهُم وَعَدُهُمْ عَدًّا ه وَكُلُّهُمْ عَلِيهِ يَوْمُ ٱلْقَيْسَةِ فِرْدًا . ((ورد ، ٩٣ – ٩٠) .

قال الرازي في تفسيره الكبير:

وكيفية دلالة المبدأ على المُعَاد: أنَّ حدوث الإنسان إنما كان يسبب اجتماع أجزاء كانت متفرقة في بدن الوالدين، فلما قدر الصافع على جمع تلك الأجزاء المتفرقة حتى خاق منها إنسانًا سويًّا، فإنه يعد موته وتغرَّق أجزائه لابدُ وأن يقدر على جمع تلك الأجزاء، وجعلها خلقًا سريًّا.

١٠ - فَمَا لَهُ, مِن قُوَّةٍ وَلَا تَاصِر .

فما للإنسان حين بعثه للحساب والجزاء من قوة ذاتية في نفسه يمتنع بها من عذاب الله ، ولا ناصر ينصره فينقذه مما نزل به ، ولا ينقذه حينئذ إلا عمله المسائح الذي عمله في الدنيا .

وتظهر فى السورة بد العليم الخبير ، تحرّك الإنسان من نطفة إلى مخلوق سوئ . وتذكره بالمرجع والمآب يوم القيامة ، وأنه لا مخرج له ولا مهرب ، ولا قوة عنده ولا ناصر ينصره ، فالملك يومئذ الله الواحد القهار .

القسم على صدق القرآن ورسالة الإسلام

﴿ وَالسَّمَةِ ذَاتِلَاتُحِ ۞ وَالأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ ۞ إِنَّهُ لَقَوْلٌ ضَّلَ ۞ وَمَاهُوَ بِالْهَزَلِ ۞ إِنَّهُ يَكِيدُونَكَيْدًا ۞ وَأَكِيدُكَيْنَا ۞ فَهِلِ الْكَفِيرِ نَ أَسْهِلْهُمْ زُوَيْدًا ۞ ﴾

المفردات،

ذات السرجسع ، المطر الرجوعة إلى الأرض .

دات المسيدع ، النبات الذي تنشق عنه الأرض .

المتسول المسل ، فاصل بين الحق والباطل.

اكسيسد كسيسداء أجازيهم على فعلهم بالاستدراج.

همهال الكاهرين ، فإلا تستعجل بالانتقام منهم .

أسهلهم رويدا: إمهالاً قريباً أو قليلاً حتى يأتيهم العذاب،

تمهيده

فيما سبق لفت القرآن نظر الإنسان إلى خلقه وإعادته ، وهذا أعاد القسم بالسماء التى تحمل السماب ، وينزل منها المطر الذي ينزل إلى الأرض ذات النبات ، الذي يصدع الأرض ويشقّها ، إن القرآن جدّ لا هزل فيه ، إنه يصمل دعوة ومنهجاً وسلوكاً ، وتكوين أمّة ، وإحياء دين ، ثم توعّد الكافرين بأنهم في قبضة القدرة الإلهية ، وسيلقون الجزاء العادل من الله في الدنيا أن في الآخرة أن فيهما ممّا .

التفسيره

١١ - وَٱلسُّمَآءِ ذَاتِ ٱلرُّجْعِ.

آثَرُ جُعْ . المطر ، فالشمس ترسل أشعتها على المحيطات والبحار ، فيصعد البشر إلى السماء ، ويتكون السحاب الذي يتساقط مطرًا ، ويرجع إلى الأرض بين الفيئة والفيئة ، ولولا المطر لهلك الجميع .

قال تعالى : وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَاءِ كُلُّ شَيْءٍ حَيٌّ أَفَلاً يُثْمِنُونَ . (الأنبياء: ٣٠) .

١٢ – وَٱلْأَرْضِ ذَاتِ ٱلصَّدْعِ.

وأنسم بالأرض نات الممدع ، وهو الانشقاق عن النبات الذي يخرج منها ، والقرآن يلفت النظر إلى آثار القدرة الإلهية في تيسير المطر، وتيسير النبات لاستمرار الحياة .

وقبل قليل لفقت الآيات نظرنا إلى خلق الإنسان من الماء الدُّافق ، وقدرة الله على إحياثه في الدنيا ، وبعثه يوم القيامة ، ونجد هناك تقابلا وتلاقيا بين حياة الإنسان من منّى يُمنى وإعادته يوم القيامة ، وبين إنزال المطر من السماء وإحياء الأرض بالنبات .

١٣ - إِنَّهُ, لَقَوْلُ فَصْلٌ .

إن القرآن الذي أُنزل على محمد ﷺ لقول فصل ، فصل بين الحق والباطل ، وهو فرقان يفرق بين الكفر والإيمان ، والضلال والهدى ، وظلام الجاهلية ونور الإسلام .

1 4 - وَمَا هُوَ بِٱلْهَوْلِ.

ليس فى القرآن شائبة لعب ولا باطل ، إنه كتاب أحكمت آياته ، إنه دستور الحياة ، إنه منهج عادل ، إنه طريق واضح ، ودليل كاشف للإيمان والهداية ، وبيان إلهى لنا عن الكون والمياة ، والمبدأ والمنعاد ، ونور الإسلام وطريق الهدى ، وتشريعات الله وآدابه لعباده ، وما تشتمل عليه الدنيا والآخرة ، وقصص السابلين ، والحكم بين الحاضرين ، والحساب يوم الدين ، وهو حكم عربى ، وبيان إلهى ، كله صدق وجد ، ليس هزلاً أو عبك .

قال تعالى: وَكَفَائِكَ أَوْحَبَنَا إِنَكُكَ رُوحًا مَنْ أَمْرِفَا مَا كُنتَ عَلْدِى مَا ٱلْكِتِنْبُ وَلَا ٱلْإِيمَانُ وَلَاكِنِ جَمَلْتُنَاهُ لُورًا لَهُذِى إِذِ مَن نَشَاهُ مِنْ عِبَادِفَا وَإِلْكَ تَشْهَدِى إِلَى مِوَاظٍ مُسْتَظِيمٍه صِوَاظٍ ٱللَّهِ ٱللَّهِ ٱللَّهِ الْمُسْمَانِ اللَّهِ اللَّهِ ٱللَّهِ عَلَيْهِ الْفَاعِينَ الْمُسْمَانِ وَمَا فِي ٱلْأُومُومِ أَلَّا إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأَمُودُ . (الشعيدي: ٥٢ . ٥٠).

١٥ – إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا .

إنُّ أعداء هذا الدين يتربَّصون به ، ويبيتون المكر والكيد له ولرسوله ، وهذا جهد الإنسان الضعيف.

١٩ - وَأَكِيدُ كَيْدًا.

وأنا أدبر أمرًا لحفظ هذا الدين وحفظ هذا القرآن ، وشتّان بين تدبير المحلوق للضعيف ، المحدود النظر، وبين تدبير الخالق الرازق القادر ، اللهمّال لما يريد ، وفعله تعالى حكيم ، لكنّه سمّاهُ كينًا من باب المقابلة لأمرهم وكيدهم . كما قال تعالى: وَجَزَّا والسُّمَّةِ سَيَّمَةً مِّثْلُهَا ... (الشورى: ٤٠).

ومثل قوله تعالى : وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ آللهُ وَآللهُ خَيْرٌ ٱلْمَلْكِرِينَ . (الأنفال : ٣٠) .

أى: هم يدبِّرون أمرًا لصدّ الناس عن دين الله ، وأنا أدبُر أمرًا لإزاحتهم ودحض كيدهم ، إمّا بعقويتهم وقتلهم يوم بدر ، واستمرار هزائمهم حتى فتحتّ مكة ودخل الناس فى دين الله أفواجًا ، وإما بعقويتهم فى الأخرة ، ودخولهم نار جهنم خالدين فيها أبدًا .

١٧ - فَمَهَّل ٱلْكَـٰفِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْكًا .

فاتركهم قليلاً أو كثيرًا ولا تهتم بهم ، وانصرف لدعوتك ورسالتك ، فهم في قبضتنا وتحت تصرفنا , لكنّ الحكمة الإلهية تمهل ولا تهمل .

وتلمح في الأية إيناس الرسول ﷺ وتطعينه ، وفيها تهديد ووعيد بأن افعلوا ما بدا لكم ، فأنتم تحت بصر الله وسممه ، فلكم عقوبة حاسمة في الدنها أو في الأخرة ، وكل أتر قريب .

كما قال تعالى : نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلاً ثُمُّ نَضْطَرُهُمْ إِلَىٰ عَلَابٍ غَلِيظٍ . (لقمان : ٢٤) .

وقد صدق الله وعده فنصر رسوله ﷺ ، وتوعّد بنصر الحق إلى يوم الدين .

قال تعالى : إِنَّا لَنَعَصُّرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلْحَيَوْقِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَضْهَلْدُ . (غافر: ٥١) .



دعاء النصر

اللهم صلَّ على سيدنا محمد النبى الأمى وعلى آله وصحيه وسلم ، اللهم احفظ علينا سمعنا ويصرنا وسائر جوارحنا ، واجعله الوارث منّا ، واجعل تأرنا على من ظلمنا ، وانصرنا على من عادانا ، ولا تجعل مصيبتنا في ديننا ، ولا تجعل النّنيا أكبر همّنا ولا مبلغ علمنا ، يا جار المستجيرين ، يا أمان الخائفين ، يا ملاذ المضطوين ، اللهم رب الأرباب ، مسبب الأسباب ، اهزم الأحزاب ، اللهم اهزمهم وانصرنا عليهم يا رب العلمين ، اللهم ارفع ربية الإسلام ، اللهم انصل المسلمين في كل مكان ، اللهم انصر إخواننا في فلسطين ، اللهم أرفع راية الإسلام ، اللهم أشاح نات بينهم ، اللهم ألف بين قلويهم ، اللهم أنزل عليهم نصرك الغالب ، وتوفيقك العظيم ، اللهم أملح نات بينهم ، اللهم ألف بين قلويهم ، اللهم أنزل عليهم نصرك الغالب ، وتوفيقك العظيم ، اللهم ربّ المسلمين إليك ربّا جميلاً ، اللهم اجعلنا أهلاً لنصرك ومعونتك ، اللهم انصرت على من ظلمنا ، اللهم اجعلنا أملاً لنصرك ومعونتك ، اللهم انصرنا على من ظلمنا ، اللهم اجعلنا من جنود الإسلام ، ومن خُدُام القرآن ، اللهم اعلى ميدنا محمد وعلى آله وصحيه وسلم .

* * *

وكان الفراغ منه صباح يوم الجمعة ٢٤ من صفر ١٤٣٧ هـ، الموافق ١٨/٥/١٥ ، والحمد لله ربّ العالمين .





أهبداف سبورة الأعلى

(سورة الأعلى مكية، وآياتها ٩ ٩ آية ، نزلت بعد سورة التكوير)

وهي أنشودة سماوية فيها تسبيع بحمد الله ، وبيان دلائل قدرته ، وإثبات الوحي الإلهي، وتقرير الجزاء في الآخرة . وبيان الوحدة بين الرسالات السماوية ، واشتمال الرسالة المحمدية على اليسر والسماحة ، وكل واحدة من هذه تحتها موحيات شتى ووراءها مجالات بعيدة المدى .

وفى صحيح مسلم أن رسول الله ﷺ كان يقرأ فى العيدين ويوم الجمعة بسبح اسم ريك الأعلى ، وهل آتاك حديث الغاشية ، وربما اجتمعا فى يوم واحد فقرأهما ٢٠٠١ .

وفي رواية للإمام أحمد، عن الإمام على رضى الله عنه: أن رسول الله ﷺ كان يحب هذه السورة: سُبِّح السَّمِرُكُ الْأُعْلَى ٢٠٩.

مع آيات السورة

١ = ٥ = سُيِّح آسم زَبُك آلأَعْلَى و ٱلذِي حَلَق فَسَرُى و وَٱلَّذِي فَلَدَر فَهَدَى و وَٱلذِي َ أَخْرَجَ آلْمَرْعَىٰ و فَجَعَلَهُ هُناءً
 أخذى .

التسبيح هو التمجيد والتنزيه ، واستحضار معانى الصفات الحسنى لله ، والحياة بين إشعاعاتها وفيرضاتها ، وإشراقاتها ومذاقاتها الوجدائية بالقلب والشعور .

يقول الإمام محمد عبده: واسم الله هو ما يمكن لأنهائنا أن تتوجه إليه به ، والله يأمرنا بتسبيع هذا الاسم ، أى تنزيهه عن أن يكون فيه ما لا يليق به من شَبّه المخلوقات أو ظهوره فى واحد منها بعينه ، أو اتخاذه شريكًا أو ولدًا أو ما ينحو هذا النحو ، فلا نوجه عقولنا إليه إلا بأنه خالق كل شىء، المحيط علمه بنقائق الموجودات ٢٠٠٩ .

والخطاب في السورة موجه إلى رسول الله ﷺ ، وفيه من التلطف والإيناس ما يجلُّ عن التعبير ، وقد كان ﷺ يفقد هذا الأمر فور صدوره . وحينما نزل قوله تعالى : فَصَّعْ بِأَسْمِ رَبُكَ آلْفَطِّيمِ (الواقعة : ٧٤) . قال ﷺ طجعلوها فى ركوعكمه ، أى قولوا فى الركوع : سبحان ربى العظيم ، ولمَّا نزل قوله تعالى : سُعِّ آسُمَ رَبُكَ ٱلْأَعْلَى . قال النبىﷺ: «اجعلوها فى سجودكمه""، أى قولوا فى السجود: سبحان ربى الأعلى .

اللَّذِي خَلَقَ لَسَرُّونَ . الذي خلق كل شيء فسواه وأكمل صنعته ، وبلغ به غاية الكمال الذي يناسبه بلا تفاوت ولا اضطراب ، كما تراه يظهر لك في خلق السماوات والأرض .

وَ ٱلَّذِي قُلْرُ لَهَنِّكُ ، أَي: قدر لكل حى ما يصلحه مدة بقائه ، وهداه إليه وعرَّفه وجه الانتفاع بما فيه منفعة له ، ووجه الهرب مما يخشى غائلته .

وركل شيء في الوجود سُويٌ في صنعته ، كامل في خلقته ، معد لأداء وظيفته ، مقدر له غاية وجوده ، وهو ميسر لتحقيق هذه الغاية من أيسر طريق ، وجميع الأشياء مجتمعة كاملة التنسيق ، مهسرة لكي تودي في تجمعها دورها الجماعي ، مثلما هي ميسرة فرادي لكي تردي دورها الفردي» (^^)

جاء في كتاب (العلم يدعو إلى الإيمان) ما يأتي :

إن الطيور لها غريزة العودة إلى الوطن ، فعصفور الهزار الذي عشش ببابك يهاجر جنرياً في الغريف ، ولكنه يعود إلى عشه في الربيع التالى ، وفي شهر سبتمبر تطير أسراب من معظم الطيور إلى الجنوب ، وقد تقطع في الغالب نحو ألف ميل فوق أرض البحار ، ولكنها لاتضل طريقها ، والنحلة تجد خليتها مهما طمست الربح في هبوبها على الأعشاب والأشجار كل دليل يرى ، وأنت إنا تركت حصائك العجرز وحده هإنه يلزم للطريق مهما اشتدت ظلمة الليل ، وهو يقدر أن يرى ولو في غير وضوح ، والبومة تستطيع أن ترى الفأر الدافئ للطيف وهو يجرى على العشب الهارد مهما كانت ظلمة الليل ،

«والكلب بما أوتى من أنف فضولى ، يستطيع أن يحس الحيوان الذي مر» (١٠٠١.

وسمك (السلمون) يعضى سنوات فى البحر ، ثم يعود إلى نهره الخاص به ، والأكثر من ذلك أنه يصعد إلى جانب النهر الذى يصب عنده النهير الذى ولد فيه .. فما الذى يجعل السمك يرجع إلى مكان مولده بهذا التحديد ؟!

إنه الله: ٱلَّذِي خَلَقَ فَسَوِّي ﴿ وَٱلَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ .

وقد سجل البشر كثيرًا من إبداع الخلقة ، في عوالم النبات والحشّرات والطيور والحيوان ، في هذا الوجود المشهود الذي لا نعرف عنه إلا أقل القليل ، ورراءه عالم الغيب بما فيه من كمال وجلال ، فسيحان الله الخلاق العظيم .

وَٱلْلَيْنَ أَخْرَعُ لَمُرَكِّنَ والمرعى كل نبات ، وما من نبات إلا وهو مسالح لخلق من خلق الله ، فهو هذا أشعل مما نعهده من مرعى أنعامنا ، فالله خلق هلام الأرض ، وقدَّ فيها أقواتها لكل حنَّ يب فوق ظهرها أو يختبئ فى جوفها ، أو يطير فى جوها ، والنبات يتحايل على استخدام وكلاء لمواصلة وجوده، دون رغبة من جانبهم ، كالحشرات التى تحمل اللقح من زهرة إلى أخرى ، والرياح ، وكل شيء يطير أو يمشى ، ليورخ بدوره .

فَجَعَلْمُ غُنَاءً أَخْرَى . والفثاء: الهشيم ، أو الهالك الهالى ، والأحرى : الذي يميل لونه إلى السواد ، فهو سبحانه قد أحكم كل شيء خلقه ، ما يبقى وما يفنى .

«فنحن مأمورين أن نعرف الله جل شأنه ، بأنه القادر العالم الحكيم ، الذى شهدت بصفاته هذه الثاره في خلقه ، التي ذكرها في وصف نفسه في قوله : أَلَّبِ عَشَلَقَ فَسَوِّئَ ... إلى . وألا ندخل في هذه الصفات معنى مما لا يليق به، كما أدخل الملحدون الذين اتشفوا من دونه شركاء أو عرفوه بما يشبه خلقه ، وإنما ترجه إلينا الأمر بتسبيح الاسم دون تسبيح الذات ، ليرشدنا إلى أن مبلغ جهدنا ، ومنتهى ما تصل إليه عقولنا ، أن نعرف الصفات بما يدل عليها ، أما الذات فهي أعلى وأرفع من أن تتوجه عقولنا إليها إلا بما نلحظ من هذه الصفات التي تقوم عليها الدلائل ، وترشد إليها الآيات ، لهذا أمرنا بتسبيح اسمه تكليفًا لنا بما يسمه طوقتا، والله أعلمه ⁽⁷⁾

٣ ، ٧ - سَنَقْرُ لُكَ فَلَا تَنسَى ﴿ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ...

سننزل عليك كتابًا تقرؤه ، ولا تنسى منه شيئًا بعد نزوله عليك .

وهى بشرى للنبي ﷺ ، تريحه وتطعتنه على هذا القرآن العظيم الجميل الحبيب إلى قلبه ، الذي كان يندفع بعاطفة الحب له ، ويشعور الحرص عليه ، ويإحساس التبعة العظمى فيه ، إلى ترديده آيةً آيةً وراء جبريل ، وتحريك لسانه به خيفة أن ينسى حرفًا منه ، حتى جاءته هذه البشائر المطعئنة بأن ربه سيتكفل بهذا الأمر عنه .

إِلاًّ مَا شَآءً ٱللَّهُ ... أَنْ تنساه بنسخ تلاوته وحكمه ، أما ما لا ينسخ فإنه محفوظ في قلبك .

إِنَّهُ, يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ وَمَا يَمْغَلَى . وكأن هذا تعليل لما مرَّ في هذا المقطع من الإقرار والحفظ والاستثناء ، فكلها ترجع إلى حكمة يعلمها من يعلم الجهر وما يتفي ، ويطلع على الأمر من جوانبه جميعًا ، فيقرر فيه ما تقتضيه حكمته المستندة على علمه بأطراف الأمر جميعًا .

 - كُيْسُرُاتْ لِلْيُسْرَىٰ - أي نوفقك للشريعة السمحة التي يسهل على النفوس قبولها ، ولا يصعب على العقول فهمها .

يُسر الشريعة الإسلامية

يَسُّر الله القرآن للقراءة وللعمل بأحكامه ، ويسَّر الشريعة ، ويسَّر الأحكام وجعلها في طاقة الناس ، ولا حرج فيها ولا عنت ، قال تعالى : وَلَقَدْ يُسَرِّنا الْقُرْءَانِ لِلذَّكْرِ فَهِلَ مِن مُلْتَكِرٍ . (القدر: ٢٧).

وقال سبحانه : وَمَا جَعُلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱللَّينِ مِنْ حَرَجٍ ... (الصيد : ١٨) .

وقال تعالى : مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَلْكِن يُرِيدُ لِلْطَهِّرَكُمْ ... (المائدة : ٦) .

وقال تعالى : لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ... (البقرة : ٢٨٦).

وكان النبى ﷺ سهلاً سمحاً مؤلّفاً محبباً ، وما خُير بين أمرين إلا المتار أيسرهما ما لم يكن إثماً فكان أبعد الناس عنه ، وكان سلوك النبى ﷺ وهديه يعبر عن اختيار اليسر ، وقلة التكلف في اللهاس والطعام والفراش وكل أمور الحياة ، فكان بلبس لكل موطن ما يناسبه ، فلبس العمامة والقلنسوة في السلم، ولبس المففر وغطي رأسه ووجهه بحلقات الحديد في الحرب.

جاء فى (زاد المعاد) لشمس الدين أبى عبد الله محمد بن قيم الجرزية عن هديه ﷺ فى ملابسه والمصواب أن أفضل الطرق طريق رسول الله ﷺ فى ملابسه والمصواب أن أفضل الطرق طريق رسول الله ﷺ فى اللباس أن يلبس ما تيسر من اللباس من الصوف تارة ، والقمل تارة ، والكتان تارة ، وليس البرود المائية والبرد الأخضر ، وليس الجبة والقباء ، والقميص والسراويل ، والإزار والرداء ، والشف والنمل ، وأرجه الذولة تارة وتركها تارة س

وقال عن هديه في نومه وانتباهه: كان ينام على فراشه تارة ، وعلى النطع تارة ، وعلى الحصير تارة ، وعلى الأرض تارة ، وعلى السرير تارة بين رماله ، وتارة على كساء أسود . وقال في هديه في الطعام: وكذلك كان هديه ﷺ وسيرته في الطعام ، لا يربّ موجوبًا ، ولا يتكلف مفقولًا ، فما قرب إليه شيء من الطيبات إلا أكله ، وما عاب طعامًا قط، إن اشتهاه أكله وإلا تركه .

فقد أكل الحلوى والعسل – وكان يحبهما – وأكل الرطب والتمر ، وأكل الثريد بالسمن، وأكل البين ، وأكل الخبز بالزيت ، وأكل البطيخ بالرطب ، وأكل التمر بالزيد – وكان يحبه – ولم يكن يرد طبيًا ولا يتكلف، يا ، كان هيه لم أكل ما تيسر ، قان أعوزه صهو ...

والأحاديث النبوية التي تحض على اليسر والسماحة ، والرفق في تناول الأمور كثيرة جدًا يصعب تقصيها ، منها قوله ﷺ : وإن هذا الدين يسر ، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه، "" . أخرجه البخارى .

«لا تشددوا على أنفسكم فيشدد عليكم، فإن قومًا شددوا على أنفسهم فشدد عليهم» (** . أخرجه أبو داود.

«إن هذا الدين مثين فأوغل فيه برفق، فإن المنبت (**) لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى، (**) . أخرجه البخاري.
وفي التعامل يقول ﷺ: هرحم الله رجلاً سمحًا إذا باع ، وإذا اشترى، وإذا اقتضى: *** . أخرجه البخاري.

«المؤمن بألف ويؤلف» (**) . أشرجه الدارقطني .

«إن أبغض الرجال إلى الله الألد (١٩٩ الخصم» (٨٠١). أشرجه الشيخان .

وسيرة الرسول ﷺ كلها صفحات من السماحة واليسر ، والهوادة واللين ، والتوفيق إلى اليسر في تناول الأمور جميمًا .

اختلف معه أعرابي ، فأخذ النبي ﷺ الأعرابي إلى بيته وزاده في العطاء حتى رضي ، وأعلن عن رضاه أمام الصحابة أجمعين .

ولقد كان النبي ﷺ كريم النفس ، ميسرًا لحمل الرسالة في أمانة ويس ، ومودة ورحمة ، ربُّعطف على الناس وحكمة .

قال تعالى : وَمَا أَرْسَلْنَكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَلْمِينَ . (الأنبياء : ١٠٧).

وقال سبحانه : لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَيْتُمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِئِينَ رَعُوفٌ رُحِيمٌ. (التربة: ١٧٨)

وكان ﷺ رحمة مهداة ، فقد حارب لصد العدوان ، ويتليغ الدعوة ، ومنع الاضطهاد والفتنة عن الضعفاء والمستضعفين ، ومع ذلك كان آية في الإنسانية فكان ينهي عن قتل النساء والأطفال ، وينهي عن الغدر والخيانة ، ويحث على الوفاء بالعهد في السلم والحرب ، ولا عجب فقد جمع المكارم والمحامد ، وصدق الله العظيم : وَإِنْكُ لَعَلَيْ طُعْلَيْ طَلِّمٍ . (التلم: ٤) .

و لَذُكَّرُ إِنْ لَقَصَ اللَّذُكْرَىٰ . لقد يسره الله لليسرى، لينهض بالأمانة الكبرى ، وليذكر الناس، فلهذا أعد ،
 و لهذا بُشر ، فذكر حيثما وجدت فرصة للتذكير ، ومنفذا للقاوب، ووسيلة للهلاغ .

قال النيسابوري في تفسير الآية :

إن تذكير العالم واجب في أول الأمر، وأما التكرير فالضابط فيه هو العرف، ظعله إنما يجب عند رجاء حصول المقصود، ظهذا أردفه بالشرط حيث قال: فَلَكُرُ إِنْ لَهُعَ ۖ ٱلذَّكُرُ فَلَ اللَّهِ اللَّهِ َالدَّكُرُ فَلَ

وقال الإمام محمد عبده: وليس الشرط قيدًا في الأمر، فقد أجمع أهل الدين – سلفهم وخلفهم – على أن الأمر بالتذكير عام، نفعت الذكرى أم لم تنفع، وعمله ﷺ شاهد على ذلك (١٠٠).

 ١ - سَيَدُكُّرُ مَن يَخْشَى . ذلك الذي يستشعر قلبه التقوى فيخشى غضب الله وعذابه ، فإذا ذُكَر ذكَر ، وإذا يُصُر أيصر ، وإذا وُعِظَ اعتبر .

١١ - ١٣ - وَيَتَجَنَّهُمَا ٱلْأَشْفَى وَ ٱلَّذِي يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ وَثُمُّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْنَىٰ .

أى: ويبتعد عن هذه التذكرة المعاند المُصرُ على الجحوّد عنادًا واستكبارًا ، حتى مات قلبه وشقيت روحه ، فسيلقى النار الكبرى ، وهى نار جهنم ، وهى كبرى بالنسبة إلى نار الدنيا ، أى هى كبرى الشتها ومدتها وضخامتها ، حيث يعتد بقاؤه فيها ، فلا هو ميت يجد طعم الراحة ، ولا هو حى فبحيا حياة السعادة ، تقول العرب لمن ابتلى بمرض أقعده : (لا هو حى فيرُجى، ولا ميت فينُعى).

14 ، 10 – فَلْدُ أَفْلَحُ مَن تُرَكِّي ه وَذُكُرُ آسُمُ رَبَّهِ فَصَلَّى . قد أمرك الفَلَاح من تطهر من كل رجس ودنس ، وأيقن بالحق وسعد بالإيمان ، فهر في فلاح وسعادة بذكره اسم الله ، ويصلاته وخشوعه لله ، واعتماده عليه ، فهو في فلاح في الدنيا لأنه عاش موصولاً بالله ، مؤدياً للصلاة ، مراقباً مولاه ، وهو في فلاح في الأخرة بنجاته من النار الكبرى ، وفوزه بالنعيم والرضا .

١٦ ، ١٧ – بَلَ تُؤْثُرُونَ ٱلْحَيْرَةَ ٱللَّمُنِّاءَ وَٱلْآَثِرَةُ خَرْرٌ وَأَنَّكِيّ . بل أنتم – لقصر أنظاركم – تؤثرون الفانية على الباقية ، والحال أن الآخرة أفضل من الدنيا في نوعها ، وأبقى في أمدها ، ولو كانت الدنيا من ذهب . يفنى ، والأهرة من خزف يبقى ، لوجب إيثار ما يبقى على ما يفنى ، فكيف الحال والدنيا من خزف يفنى ، والأخرة من نمف يبقى ؟!

١٨ ، ١٩ – إِنَّ هَـٰذَا لَقِى ٱلمُّحْفرِ ٱلْأُولَىٰ و صُحُفرِ إِلرَّهِم وَمُوسَىٰ . أصول هذه الشريعة العادلة ، وقواعد المؤاخذة والحساب ، وما ورد فى هذه السورة من أصول العقيدة الكبرى ، هو الذى فى الصحف الأولى , صحف إبراهيم وموسى ، فدين الله واحد ، وإنما تتعدد صوره ومظاهره .

وقصارى ذلك أن الرسول صلى الله على المرسلية و ما يتما نسيته الأجيال من شرائع المرسلين ، وداعيًا إلى وجهها الصحيح ، الذي أفسده كر الغداة ومر العشى ، كما طمس معالمه اتباع الأهواء ، واقتقاء سنن الأماء والأحداد .

مقاصد سورة الأعلى

. ١ - تسبيح الله وتنزيهه وبيان قدرته.

٢ - وعد الرسول ﷺ بحفظ القرآن وعدم نسيانه .

٣ - وعده ﷺ بالتوفيق إلى الطريقة السهلة الميسرة في الدعوة .

ءُ – تكليف ﷺ أن يذكر الناس.

٥ - الناس صنفان أمام الدعوة:

(أ) مستجيب ناج (ب) مُعرض هالك

٦ - قواعد العدل وأصول الشريعة متشابهة في القرآن وفي الكتب السماوية السابقة.

تنزيه الله تعالى وقدرته وهضله

﴿ سَيْحِ اَسْرَرَكِكَ الْأَمْلَى ۞ الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى ۞ وَالَّذِي مَثَارَ فَهَدَىٰ ۞ وَالَّذِي َ اَخْرَى الْمُوعَى ۞ وَلَمَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّهُ يَسَارُ الْمُهَرُومَا يَخْفَى ۞ وَيُعِيدُكَ فَلَا عَلَى اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهِ مَنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مَنْ اللَّهُ مَنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مَنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مَنْ اللَّهُ مَا اللَّهُ مَنْ اللَّهُ مَنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مَا اللَّهُ مَا اللَّهُ مَا اللَّهُ مَا اللَّهُ مَا اللَّهُ مَا اللَّهُ مِنْ الْمُنْ الْمُنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللْمُعْمُونَ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ الْمُنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللْمُنْ الْمُنْ الْمُنْ الْمُنْتُونَ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ الْمُنْ الْمُنْ الْمُنْ الْمُنْفَالِمُ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ الْمُنْ الْمُنْ الْمُنْ الْمُنْفَالِمُ اللَّهُ مِنْ الْمُنْ الْمُنْ الْمُنْ الْمُنْ الْمُنْ أَلِمُ اللْمُنْ الْمُنْ الْمُنْفَالِمُ الْمُنْ الْمُنْفَالِمُ اللَّهُ مِنْ الْمُنْ الْمُنْ الْمُنْ الْمُنْ الْمُنْ الْمُنْل

المفردات ا

سيح اسم ريك، نزُّهه ومجده تفالي عما لا يليق به .

الماسق ، أوجد كل شيء بقدرته .

فسيوى، بين خلقه في الإحكام والإثقان.

قسسسدر: جعل الأشياء على مقادير مخصوصة .

فـــهـدى، قوجه كل واحد منها إلى ما يتبغى له .

أخرج المرعى، أنيت العشب رطبًا غَضًا.

شجعله غشاء ، يابسًا مشيمًا من بعدُ كالغثاء ، والغُثاء ما يحمله السيل من البالى من ورق الشجر مخالطًا زُيدَه .

سسنسقسرتك؛ ما نوحى إليك بواسطة جبريل عليه السلام.

فسلا تستسسى، أبدًا من قوة الحفظ والإتقان.

نيسرك اليسرى، نوفقك للطريقة اليسرى في كل أمر.

التفسيره

١ -- سَبِّح ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى .

نزُه ربك الأعلى عما لا يليق به من الأوصاف ، في ناته وأفعاله وأسمائه ، فالله تعالى متُصف بكل كمال ، منزُه عن كل نقص ، منزه عن الشريك والمثيل والنظير : يُسَّ كَعِلْهِ شَيَّهُ وَهُوْ ٱلسَّعِيعُ ٱلْمِسِرُ . (الشوري ١١).

هو سبحانه أول ً بلا يداية ، وآخر بلا نهاية ، وظاهر في آثار قدرته ، وخذَق الكون ، وتسخير الشمس والقمر ، والليل والنهار ، وهي باطنٌ فلا تدركه العيون ، ولا تحويه الظنون .

قال تعالى : لا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَارَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ . (الأنعام: ١٠٣).

إنها نعمة كبرى أن يسمح الإله الأعلى للعبد الفانى بالصلاة ويذكر الله ، حيث يذكر الله مَن ذَكُره ، ويتفضل الله على العابدين والذاكرين والمتبتلين ، بفضله وحنانه وبرّه وإنعامه ومودته : إِنْ ٱللَّبِينَ وَاسْوَا وَعَبْلُواْ ٱلصَّالِحَسْنَ سَيَعْقُلُ لَهُمْ ٱلرَّحْمَدُنُ وَقًا . (مريم : ٩٦) .

٢ - ٱلَّذِي حَلَقَ فَسَوَّىٰ .

الذى أحسن خلق الخلائق على غير مثال سابق ، وجعلها متساوية فى الإحكام والإنقال ، حسبما اقتضته حكمته ، ومنح كل مخلوق ما يناسب طبيعته ووظيفته ، صنعة الطيم الخبير : ٱلَّذِي ٓ أَحْسَنَ كُلُّ شَيْءٍ خَلَقَهُ, وَيَذَا خَلُقِ ٱلْإِنسُنْ مِن طِين . (السجدة: ٧) .

وقال تعالى : وَخَلَقَ كُلُّ شَيْءٍ لَقَدَّرُهُ تُقْدِيرًا . (الفرقان : ٢) . ونظَّم وأبدع وأكمل .

وقال تعالى : مَّا تَرَى فِي خَلْقِ ٱلرَّحْمَانِ مِن تَفْلُوتٍ ... (الملك : ٣) .

٣ - وَٱلَّذِي فَدَّرَ فَهَدَئُ .

جعل الأسياء مقدرة على مقادير مخصوصة ، في أجناسها وأفرادها وأفعالها وآجالها ، وهذي كلاً منها إلى ما يصدر عنه ، وينبغى له طبعًا أو اختيارًا ، ولو تأمكت في خلق الإنسان وتدرّجه في بطن أمّه ، وتدرّجه في حياته من الطفولة إلى الشيخوخة ، وسلوكه وعقله وجهده وعمله ، لأدركت معنى : قُثْرً فَهُمُنَاء ، وكذك النبات ونموّه وجدب الحشرات إليه ، لتكون من عوامل التلقيح من غير قصد منها ، وتطوّر النبات

والحيوان والطيور ، والشموس والأفسار والكواكب ، وقد يسُّر لكل مخلوق وظيفته ، وأودع فيه بالإلهام حركته ، , وصدق الله العظيم : قَالَ فَصَرْ رَبُّكُمَا يَسُمُوسَىٰ ، قَالَ رَبُّنَا اللَّهِيَّ أَعْشَىٰ كُلِّ شَيْعٍ خُلْقَدُرُ ثُمُّ مَدْكَ. (ط. : ١٤٩ ، ٥٠) .

فهو الخالق، وهو الملهم، وهو الميسِّر لكل مخلوق أداء وظيفته ورسالته في هذه الحياة.

ع - وَٱللَّذِي أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ * فَجَعَلْهُ, غُثَاءً أَخْوَىٰ .

وَٱلَّٰذِي أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَيٰ .

هو الذي تُخرج النبات والبرسيم ، والحب والزيتون والنخل ، وكل هذه مرعى للحيوان أو الإنسان أو الطيور أو الزواحف أو غير ذلك ، فالدُّرة إذا كانت صغيرةً فهى مرعى للحيوان ، وإذا كانت حبًّا فهى مرعى للإنسان ، وقد أودع الله فى الأرض أرزاقها ليتمُّ إعمار هذا الكون ورعايته وحفظه .

فَجَعَلُهُ, غُثَاءً أَحْوَىٰ .

فجعله يابسًا جانًّا، و أُحْرُى . أسود يضرب إلى الخضرة .

إِنَّ حَرِكَةَ النّبِاتَ عَند برورَه منفيرًا كَأَنه أطفال صفار ، ثم نموّه والمضراره وازدهاره ، ثم اصفراره ونهايته ، كل هذا ينكّر الإنسان بحياته التي تمرّ بالطفولة إلى الشباب ، ثم إلى الكهولة والموت ، فلكلّ بداية نهاية ، وكذلك الدنها .

قال تعالى : وَآصْرِبْ نَهُم قَالَ ٱلْحَوْلَةِ ٱللَّذِيَا كَمَاءٍ أَنَوْلُنَاهُ مِنَ ٱلسَّمَاءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَفْرُوهُ ٱلرَّيْسَةُ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلُّ هَى مُقْتَامِرًا . (الكهاف: ٤٤) .

والمقصود من الآيات بيان دلائل القدرة ، وأنواع النَّعم التي يغمرنا الله بها ، وتستحق النظر والتأمُّل وتسبيح العلى القدير .

قال ابن كثير :

وَاللَّذِيِّ أَخْرَ جُ ٱلْمَرْعَىٰ . أي : من جميع صنوف النباتات والزدوع .

فَجَعَلُهُ, غُفَّاءً أُحْوَىٰ . قال ابن عبَّاس : هشيما متغيَّرا . ا هـ .

٣ ، ٧ - سَنُقْرُلُكَ فَلَا تَعَسَى ﴿ إِلَّا مَا شَاءَ ٱللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ .

سنجملك قارئًا للقرآن الكريم خلف جبريل فلا تنساه أبدًا، وهذه هدايةٌ خاصة بالذي ﷺ وإحدى معجزاته ﷺ أن يكون أميًّا، لم يقرأ كتابًا، ولم يكتب كتابًا، ثم يحفظ القرآن الكريم بعد تبليغ جبريل، ويظلً القرآن في قلبه ولسانه كما أذرّل، هذه معجزة إلهية للنبي ﷺ.

وفى معنى الآية قوله تعالى : لاَ تَحَرُكُ بِدِلِسَانَكَ لِشَخَلَ بِهِ ۚ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَاللهُ ۥ فَإِذَا قَرَأَلْنَهُ فَآلِيعُ قُرْءَاللهُ * ثُمُ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَالُهُ. (اللهِ الله : ١٦ – ١٩) .

لقد تكفل الله بجمع القرآن الكريم في قلب النبي ﷺ ، كما تكفّل بقراءة القرآن سليمًا تام المنبط على لسانه ليكون قدوة عملية للصحابة وللمسلمين جيلاً بعد جيل ، كما تكفّل الله ببيان المعنى للرسول ﷺ، فيلهمه إلهامًا بالمراد من الآيات حتى يقوم النبي ﷺ بنقل ذلك للأمة .

قال تعالى : وَأَنزُقْنَا إِلَيْكَ ٱلذَّكَرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزُّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكُّرُونَ . (النحل ٤٤٠).

وخلاصة المعنى:

سَنُقُرِ لُكُ فَلاَ تَسَىّ . سنقرتك يا محمد هذا القرآن العظيم ، فتحفظه في صدرك ولا تنسأه ، إلاّ مَا شَاءَ اللّهُ ... لكن ما أواد الله نسخه فإنك تنساه .

وقال الإمام الشوكاني :

سَنُقُرُ ثُكَ فَلَا تَنسَيْ .

سنجعك قارفًا ، بأن نلهمك القراءة فلا تنسى ما تقرؤه ، والجملة مستأنفة لبيان هدايته 瓣 الماصنة ، بعد بيان الهداية العامة ، وهي هدايته 瓣 لحفظ القرآن .

وقوله تعالى: إِلَّا مَا هَاءَ ٱللَّهُ ... استثناء مفرّغ من أعم المفاعيل ، أي : لا تنسى مما تقرؤه شيئًا من الأشياء إلا ما شاء الله أن تنساه ، وهو لم يشاً سبحانه أن يُنسى النبي ﷺ شيئًا .

إِنَّهُ, يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ .

هو سبحانه عليم بما يجهر به العباد ويعلنونه ، وهو عليم بما يخفونه من أقرالهم وأفعالهم ، لا يخفى عليه من ذلك شيء .

٨ - وَ نُيسَّرُكَ لِلْيُسْرَى .

نسهل عليك أفعال الخير، ونُشرع لك شرعًا سهالاً سمحًا، لا اعوجاج فيه ولا حرج ولا عسر.

قال تعالى : يُرِيدُ آئلُهُ بِكُمُ آلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ آلْعُسْرَ ... (البقرة : ١٨٥) .

وقال سبحانه وتعالى : مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَّجٍ ... (المائدة : ٦) .

وقد كان ﷺ نموذجًا للتيسير، قال ﷺ: «يسروا ولا تعسروا، ويشروا ولا تنفروا» (١٠٠٠).

ونلمح أن في الآيات تلطفًا وتكريمًا وإيناسًا للرسول ﷺ، حيث بشَّره ببشارتين :

الأولى: أن يكون حافظًا للقرآن الكريم فلا ينساه.

الثانية : توفيقه ﷺ إلى الشريمة اليسرى ، وإلى الأخلاق الكريمة ، وإلى الأخذ بما هو أرفق وأيسر في كل أمواله .

التذكير وتزكية النفس والعمل للأخرة

﴿ فَنَكِرُ إِن فَغَسَ الذِّكَرِي ۞ سَيَذَكَّرُ مَن يَغَنَى ۞ وَيَنَجَنَّهُا الْأَشْعَى ۞ الَّذِي يَصْلَ النَّار الكُّرَىٰ ۞ ثُمَّ الإيمُونُ فِهَا وَلَا يَعَىٰ ۞ فَذَا أَنْكَ مَن رَبَّكَ ۞ وَثَكَرَ اسْدَرَيْدِ فَصَلَ ۞ بَلْ تُوْفِرُونَ الْحَيَوْةَ الشَّيْنَا۞ وَالْمُورَةُ عَبَرُّواَ بَقَعَ۞ إِنَّ هَلَذَا لَفِي الشَّحُفِ الْأُولَ صُحُفِ إِذَهِ مِمْ وَمُوسَى ۞ ﴾

المفردات:

الستسنةكسيسر، أن يُنبُّه الإنسان إلى شيء كان قد علمه من قبل ثم غفل عنه .

مسن يسخشسى؛ من يخشى الله ، وهم صنفان : مذعن معترف بالله ويبعثه للعباد للثواب والعقاب ، ومتردد في ذلك .

الأشعب قسي ، المعاند المصر على الجحود والإنكار ، الذي تمكُّن الكفر من نفسه .

يصلى الثار الكبرى، يدخل جهنم ، أو يقاسى حرّها ، والنار الكبرى هى نار الآخرة ، لأن نار الدنيا جزء من سبعين جزءًا من از الآخرة ، وقيل : المراد بالنار الكبرى : أسفل دركات الجحيم .

لابيب

ولا يصياء أي حياة طيبة . قال الشاعر :

ألا ما لنفس لا تموت فينقضى عناها ولا تحيا حياةً لها طعمً

الاسكاد المساح ، فان و نجا .

«كسراسم ريسه و ذكر في قلبه صفات ربّه من الكبرياء والجلال .

دم المام المام و المنابع المام المام

التفسيره

٩ - فَلَكُّرْ إِنْ لَفَعَتِ ٱللَّكْرَىٰ .

ذكر من تنفع الذكرى معه ، وأنَّ رسالتك حيث وجدت أرضًا طيبة تصلح للغراس ، وسِرْ في دعوتك ورسالتك ، النزأ القرآن وبلغ عن الرحمن ، ولن يخلفَ جيل ولن تخلو أرض ممن يستمح وينتفع .

لقد أرسله الله رحمة للعالمين وختم به الرسالات ، وجعله صاحب الشريعة الخاتمة ، وأنزل عليه القرآن الكريم مصدقًا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه ، فإذا أدّى واجبه في الدعوة فقد بلغ الرسالة وأدّى الأمانة.

وليس عليه أن يحزن على أهل مكة ، ولا أن يبضعه الهمّ والحزن بسبب المكذبين ، أي فاتركهم وشأنهم وانشغل بمن ينتفع بهذا الكتاب ، ويكرن التذكير وسيلة لإيمانه وهدايته .

قال تعالى : فَلَكُّرُ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدٍ . (ق: ٤٥) .

أما من طُبع على قلبه فلم تنفذ إليه الهداية فاتركه وشأنه.

قال تحالى : فَأَعْرِضْ عَن مِّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيْلَةَ ٱللَّنِّيَا هِ ذَالِكَ مَبْلَقَهُم مِّنَ ٱلْعِلْم إِنَّ رَبُّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن صَلَّاعَن سَبِلِهِ وَهُوْ أَعْلَمُ بِمِن ٱلْعَنْدَى . (النجيه ٢٠٠٧). وقيل : إنَّ المعنى : ذكر إن نفعت الذكري أو إن لم تنفم .

والمقصود استبعاد النفع بالنسبة لهوالاء المذكورين ، رؤوس الكفر والضلال بمكة .

والمطالوب تذكير الجميع سواء انتفعوا بالذكرى أو لم ينتفعوا ، كأنه قيل : افعل ما أمرت به لتوجر وإن لم ينتفعوا به ، وفيه تسلية له ﷺ .

ومنه قوله تعالى : وَلَا تُكُومُواْ قَتِيْتِكُمْ عَلَى ٱلْبِقَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنا ... (النور: ٣٣).

أى: لا تكرهوا فتيانكم على البغاء مطلقا ، وإن أردن تحصنا من باب أولى ، حيث إن الآية نزات في عبد الله بن أبيّ بن سلول كبير المنافقين ، وكان يُكُره جواريه على البغاء ليستفيد من أموالهنّ ، وكنّ كارهات لذلك راغبات في التُّطهر.

وعند التأمل نجد أن الأصل تبليغ الدعوة لأوّل مرّة ، أما تكرير الدعوة فيترك ذلك لفقه الداعهة وتوقعه للقبول .

قال این کثیر:

ومن هذا يرَّحَدُ الأدب في نشر العلم ، فلا يضعه عند غير أمله .

أخرج مسلم ، عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ وما أنت بمحدّث قوماً حديثا لا تبلغه عقولهم ، إلا كان لبعضهم فتنة» (١٠٠)

وروى الديلمى فى مسند الفردوس ، عن على ، كما روى البخارى موقوفًا : «حدَثوا الناس بما يعرفون ، أتريدون أن يكذَّب للله ورسوله» (۵۰)

وقال عيسى عليه السلام: لا تضموا الحكمة في غير أهلها فتظلموها، ولا تمنعوها أهلها فتظلموهم. وكِن كالطبيب يضع دواءه حيث يعلم أنه ينظع .

١٠ - سَيَذُكُرُ مَن يَخْشَىٰ.

أى: إنما ينتفع بتنكيرك من يخشى الله ويضاف عقابه ، لأنه هو الذي يتأمَّل في كل ما تذكره له ، فيتَبيَّن له وجه الصواب ، ويظهر له سبيل الحقّ الذي يجب التعويل عليه .

قال الإمام فخر الدين الرازي :

إن الناس في أمر المَعَاد ثلاثة أقسام: القاطم بصحَّته ، والمتردد فيه ، والجاحد له ،

والفريقان الأوّلان ينتفعان بالتذكير والتخويف ، وكثير من المعاندين إنما يجحدون باللسان فقط ، فتبيّن أن أكثر الخلق ينتفعون بالوعظ ، والمعرض نادر ، وترك الخير الكثير لأجل الشرّ القليل شر كثير ، فلهذا وجب تعميم التذكير ، وإن كان لاينتفع بالتذكير إلا البعض الذين علم الله انتفاعهم به ، ونحن لا نعلمهم ، فبعد أن أمر الله نبيّه ﷺ بالتذكير ، بيّن في قوله : سَيْدُكُرُ مَن يَخْشَىٰ . الذي تنفعه الذكرى من هو . اهـ .

١ ١ ، ١ ٧ - وَيُفَجِّنْهُمَا ٱلْأَشْقَى وَٱلَّذِي يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ .

يبتد عن الذكرى فلا يرق لها ولا يستفيد بها ، الْأَحْشَى . أَى: الأَسْقى مطلقاً ، الذي غلبت عليه الشقوة . فلا يتفتح قلبه لخير ، ولا يرشب في معرفة الهدى أو الطريق السليم .

فهو ٱلْأَشْفَى . في الدنيا ، حيث يعيش قلقا متكالبا على ما في الأرض ، وهو ٱلْأَشْفَى . في الآخرة لدخوله جهنم .

ٱلَّذِي يَصْلَى ٱلنَّارُ ٱلْكُبْرَىٰ.

الذي يصطلى بدار جهدم ، وفيها ألوان العداب ، وألوان المهانة ، وألوان الآلام ، وهم خالدون فيها خلوبًا أبديا سرمديا ، لا يشفف عنهم العداب ، وليس لهم شفيع ولا نصير .

١٣ - لُمْ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْتَىٰ.

فهو لا يموت فيجد طعم الراحة ، ولا يحيا حياة كريمة ، ولا يخفف عنه العذاب ، ولا يُجاب رجاؤه ، ونحو الآية قوله تعالى : وَٱلَّالِينَ كَفُرُواْ لَهُمْ نَارُ جَهَنّمَ لَا يُفْطَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُونُواْ وَلَا يُخَفّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا كَذَالِكَ لَجُونَ كُلُّ كُفُودِ . (فاطر: ٣٦) .

والعرب تقول لمن أصيب بمرض أقعده : (لا هو حي فيرجي ، ولا ميت فينعي) .

١٤ - قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ .

قد قارْ من طهر نفسه بالإيمان ، وأخلص عمله للرحمن .

١٥ - وَذَكُرُ آسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ.

أى: كبّر تكبيرة الإحرام ، وأدى الصلوات الخمس ، وحافظ على الفرائض ، وحفَّها بالنوافل.

وعن على رضى الله عنه :

تُزَكِّيُّ . تمندُق صدقة الفطر . (أي : أخرج زكاة الفطر في آخر رمضان) .

وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ ، كبَّر يوم العيد ، فصلَّى العيد ، ا هـ .

ونظل الآيات عامة ، تشهد بالفلاح لكل من طهّر نفسه من عوامل السوء ، مثل الأثرة والحقد ، والحسد والأثنانية ، وسما بنفسه إلى طاعة الله وذكره . رُدَّكَرَ أَسْمَرَيُهُ فَصَلَّىٰ . أي : أدى المسلاة المكتوبة مع النوافل وقيام اللبل ، وحرص على ذكر الله والدعام والتبتل ، وحسن الصلة بالله ، فهذا قلبه حى مُسْتَنير .

قال تعالى : أَفَمَن طَرَحَ اللَّهُ صَدْوُهُ وِلْإِسْلَامٍ فَهُوَ عَلَىٰ تُورٍ مِّن زَبَّهِ فَوَيْلَ لُقَطْسِيَةِ لِتُوْبَهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ ... (الزمد: ۲۲)

وقال ﷺ: «إن النور إذا مخل القلب اتسع له المددر وانشرع» ، قيل : يا رسول الله ، هل لذلك من علامة قال : «نعم ، التجافى عن دار الغرور ، والإنابة إلى دار الخلود ، والاستعداد للموت قبل نزول الموت ، ثم تلا قوله تعالى : أَفَّمَن شَرَعَ آللُّ مُسْدَرُهُ لِلْإِسْلَمْع لَهُوَ خَلَق ثُور مِّن رَّبُولِهم ...

١٧ ، ١٧ - بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيْاةِ ٱللُّنَّهَا . وَٱلْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ .

بل أنتم معشر البشر تؤثرون الدنيا العاجلة ، حيث شاهدتم أموالها ونسامها ، وقصورها ودورها ، وسائر أمررها ، وهى دنيا محدودة الأجل ، فهى دنيا وليست عليا .

وَٱلْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰۤ .

والآخرة خيرٌ فوابًا رخيرٌ مردًّا، وهي دار الجزاه العادل ، في جناتها ما لا عين رأت ، ولا أنن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ، فالآخرة أفضل من الدنيا ، لأن تعيمها دائم باؤر لا يفتى ، ولأنَّ جزاء الآخرة عطاء من الله ، وعطاء الله أفضل وأكثر .

ررى الإمام أحمد ، عن أبي موسى الأشعري ، أن رسول الله ﷺ قال : «من لُحبُ دنياه أَضرُّ بـَأَعَرتُه ، ومن أحب أخرته أَضرُّ بدنياه ، فأثروا ما يبقى على ما يفني ا الله الله والله الله على الله الله الله الله الله ا

14 ، 14 - إِنَّ هَـٰـٰذَا لَهِي ٱلصُّحُف ٱلأُولَىٰ ﴿ صُحُف إِلْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ .

إن ما ررد في هذه السورة من أصول العقيدة ، والدعوة إلى الخير ، والحق الأصيل العريق ، هو الذي ورد مثله في الصحف الأولى التي أنزلها الله على الأنبياء والمرسلين ، وكانت صحف إبراهيم عشرًا ، وهمحف موسى عشرًا ، أنزلت عليه قبل التوراة . وكانت صحف موسى عبرًا كلُّها ، وممحف إبراهيم أمثالاً كلّها .

ويذلك تلتقى الرسالات والنبوات على الحق الأصيل ، وهو توحيد الله تعالى ، والإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليون النفور والعقاق وكتبه ورسله واليون النفور والعقاق والاستقامة ، والبحد عن الشرّ والآثام والمويقات ، مثل: الشرك بالله ، والسحر ، وقتل النفس التى حرم الله قتلها ، والتولى يوم الزحف ، والربا والزنا واليمين القموس ، وأكل أموال الناس بالباطل ، وأكل مال الليتيم ، وعقوق الوالدين ، وأشباه ذلك .

اللهم تقبل منا ، واهدنا وأرضنا ، واختم لنا بالإيمان والإسلام ، آمين .

حديث شريف

عن أبى نر قال: سألت رسول الله ﷺ عن صحف موسى ما كانت؟ قال: «كانت عبرًا كلها: عجيت لمن أيقن بالموت كيف يفرح ، عجبت لمن أيقن بالثار كيف يضحك ، عجبت لمن رأى الدنيا وتقلبها بأهلها كيف يطمئن إليها ، عجبت لمن أيقن باالقدر ثم ينصب ، عجبت لمن أيقن بالحساب ثم لا يعمل».

تم بحمد الله تعالى تفسير سورة الأعلى .

* * *



أهسداف سيورة الغاشسة

(سورة الفاشية مكية ، وآياتها ٢٦ آية ، نزلت بعد سورة الذاريات)

وهي سورة قصيرة الآيات ، متناسقة الغواصل ، تطوّف بالقلب البشري أمام الآخرة وأحرالها ، فأصحاب الجحيم يلقون أشد ألوان الألم والعناب ، وأمل الجنة يتمتعون بألوان النعيم وصنوف التكريم ، قم تعرض أمام الناظرين مشاهد الكون ، وآيات الله المبثوثة في خلائقه ، المعروضة للمصيح .

ثم تذكّر الناس يحساب الآخرة ، وسيطرة الله ، وحتمية الرجوح إليه في نهاية المطاف ، كل ذلك في أسلوب عبيق الإيقاع ، هادئ ولكنه نافذ ، وصين ولكنه رهيب .

مع آيات السورة

١ – الغاشية هى الداهية التى تغشى الناس بشدائدها ، وتغديهم بأهرائها ، والدراد بها هنا يرم القيامة ، وقد سبق في هذا الجزء وصف القيامة بالطامة والصاحة ، وسيأتى وصفها بالقارعة ، بما يناسب طبيعة التذكير والتهديد للمعاندين . والاستقهام هذا لتعظيم الأمر وتقريره ، أى : هل سمعت قصة يوم القيامة وما يقع فيه ؟

وعن عدر بن ميمون ، قال : مرَّ النبي صُلِّق على امرأة تقرأ : هَلُّ أَتَسَلَكَ خَدِيثٌ ٱلْفَدَشِيَّةِ . فقام يستمع ويقول : «نمع قد جاءني» .

والخطاب مع ذلك عام لكل من يسمع القرآن.

Y - V - إن وجوه الكفار في هذا اليوم تكون ذليلة ، لما يظهر عليها من الحزن والكآبة ، وسوف يلقون تعبا وإرهاقا في الذار بسبب أعمالهم السيئة ، وسيدخلون الذار المتأججة التي تلتهمهم ، وإذا عطشوا يلقون تعبا وإرهاقا في الذار بسبب أعمالهم السيئة ، وسيدخلون الدتارة ، وَإِنَّا مَشْرَة عَلَيْنَ عَالِيَةٌ في : من ينبوع شديد الحرارة ، وَإِنَّا مَشْرَعَ عَلَيْنَ عَالُوهُ . من ينبوع شديد الحرارة ، وَإِنَّا يَسْتَغِيفُوا يُعْالُونُ إِنْ مَلَّ فَعَلَى اللهِ عَلَيْنَ عَلَيْنَ عَلَيْنَ عَلَيْنَ عَلَيْنَا أَوْ إِنْهَا عَلَيْ اللهِ عَلَيْنَ عَلَيْنِ عَلَيْنَ عَلَيْنَ عَلَيْنَ عَلَيْنَ عَلَيْنَ عَلَيْنَ عَلَيْنِ عَلَيْنَ عَلِيْنَ عَلَيْنَ عَلَيْنَانِكُ عَلَيْنَ عَلَيْنَ عَلَيْنَ عَلَيْنَ عَلْنَانِكُ عَلْنَانِكُ عَلَيْنَ عَلَيْنَ عَلَيْنَ عَلَيْنَ عَلَيْنَانِكُ عَلَيْنَ عَلَيْنَ عَلَيْنَانِكُ عَلَيْنَ عَلَيْنَ عَلَيْنَ عَلَيْنَ عَلَيْنَ عَلَيْنَ عَلَيْنَ عَلَيْنَانِكُ عَلَيْنَ عَلَيْنَانِكُ عَلَيْنِ عَلَيْنِكُمْ عَلَيْنَ عَلَيْنَ عَلَيْنَ عَلَيْنَانِكُ عَلَيْنِكُوا عَلَيْنَا عَلَيْنَا عَلَيْنَ عَلَيْنَا عَلْنَانِكُمْ عَلِيْكُ عَلِيْنَ عَلَيْنَ عَلِيْكُوا عَلِيْكُوا عَلَ

المُمريع ، ولم تستطع الإيل مذاقه فهو عندند سام، والأكل منه لون من ألوان العذاب الشديد ، يضاف إلى ذلك النسلين والغساق وباقى الألوان التي لا تسمن ولا تغني من جوع .

٨ - ١١ - وُجُوهٌ يَوْمَعِلِ نَاعِمَةٌ و لُسَعْبِهَا رَاضِيَةٌ و فِي جَنَّةِ عَالِيةٍ و لا تَسْمَمُ فِيهَا لَلغِيّةٌ .

هنا وجود يبدر عليها النعيم ، ويفيض منها الرضا ، وجود تنعم بما تجد ، وتشعر بالرضا عن عملها حين ترى رضا الله عنها ، وهذا النعيم في جنة عالية المقام ، مرتفعة على غيرها من الأماكن ، لأن الجنة منازل ودرجات بعضها أعلى من بعض ، كما أن النار دركات بعضها أسفل من بعض .

لا يسمع أهل الجنة لغوا ولا باطلا ، وإنما يعيشون في جو من السكون والهدوء والسلام والاطمئنان ، والودّ والرضا ، والنجاء والسمر بين الأحباء والأوناء ، والتنزه والارتفاع عن كل كلمة لاغية ، لا خير فيها ولا عافية ، وهذه وحدها نعيم وسعادة، وتوحى الجملة بأن المؤمنين في الأرض حين يتأون عن اللغو والباطل إنما يذعمون بطرف من حياة الجنة ، ويتشبهون بأملها .

١٢ - لِهِهَا عَيْنٌ جَارِيَّةٌ . والعين الجارية : الينبوع المتدفق ، والمياه الجارية متعة للنفس وللنظر، وقد
 افتخر بمثلها فرعون فقال: أَنَّيْسَ فِي مُلْكُ مِفْرَ وَعَلْهِ ٱلْأَنْهَالُ تَعْفِري مِن تَحْتِي أَفَلاً يُعْمِرُونَ . (الزهرف: ٥٥).

١٣ - فِيهَا سُرُرٌ مُّوفَعَةٌ . وفيها سرر عالية المكان والمقدار ، ليرى المؤمن وهو عليها ما خوله الله من النحم .

١٤ - وَأَكُواَبٌ مُوْضُوعَةٌ . مصفوفة مهيأة للشرب ، لا تحتاج إلى طلب و لا إعداد .

١٥ – وَنَهَارِقُ مَصْفُولَةٌ . والنمارق الوسائد والحشايا ، قد صفت بعضها إلى بعض للاتكاء في ارتياح.

١٦ – وَزْرَاعِيُّ مَجُوْلَةٌ. والزرابي هي البسط (أي: السجاجيد). مَبُّولَّة. أي: مبسوطة أو مفرقة هنا وهناك ، كما تراه في بيوت أهل المنعمة ، كل ذلك لتصوير النعمة والرفاهية واللذة ، وتقريبها لتصور الناس في الدنيا ، وإلا فنعيم تلك الدار نعيم لا يشبهه في هذه الدار نعيم ، فمتاع الدنيا قليل ، ومتاع الأخرة لا شبيه له ولا مثيل ، وَفِهَا مَا تَشْتَعِهِ الأَفْشُ وَلَلْهُ الْأَصْنُ وَأَلْمُ فِيهَا خَلِلْدُونَ . (الزعرف: ٧٠).

فيها النحيم والرضاء فيها السرور بالنجاة ، والأنس برضوان للله ، فيها ما لا عين رأت ، ولا أنن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر.

١٧ – أَفَلاَ يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبلِ كَيْفَ خُلِقَتْ.

يلفت القرآن الأنظار إلى دلائل قدرة الله ، ويديع صنعته ، فلينظر الإنسان إلى الجمال كيف خلقت؟ وليتدبر كيف وجدت على هذا النحو المناسب لوظيفتها ، المحقق لغاية خلقها ، المتناسق مع بيئتها ووظيفتها جميعا ، إن الناس لم يخلقوها ، وهى لم تخلق نفسها ، فلا يبقى إلا أن تكون من إبداع المتقرر. بصنعته ، التى تدل عليه وتقطع بوجوده ، كما تشي بتدبيره وتقديره .

١٨ - رَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كُفُ رُفِقت أَ أَفلا ينظرون إليها كيف رفعت؟ ومن ذا رفعها بلا عمد؟ ونثر فيها النجوم بلا عدد؟ وبثر فيها النجوم بلا عدد؟ وجها فيها هذه البهجة وهذا الجمال .

١٩ - وَإِلَى ٱلْجَالِ كُنفَ نُعبَت . والجبل ملجأ وملاذ ، وأنيس وصاحب ، ومشهد يوحى إلى النفس الإنسانية جلالا واستهوالا ، حيث يتضامل الإنسان إلى جواره ويستكين ، ويخشع للجلال السامق الرزين ، «وَنَصْبُ الجبال إقامتها علمًا للسائر ، وملجأ من الجائر ، وهي في الأغلب نزهة للناظر» ١٩٩ ، وأمان وحفظ لتوازن الأوض .

أ قال تعالى : وَجَعَلْنَا فِي ٱلْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَعِيدَ بِهِمْ ... (الأنبياء: ٣١) .

وقال سبحانه : وَٱلْحِبَالِ أَوْنَادًا . (النبأ :٧) أي : وسيلة لحفظ نظام الأرضى من الزلازل والبراكين وغيرها .

٢٠ - وَإِلَى آَلُوْرُ شِن كَيْفَ سُطِحَت . والأرض مسطوحة أمام النظر ، ممهدة للحياة والسير والعمل ، والناس لم يسطحوها كذلك ، فقد سطحت قبل أن يكونوا هم ، أفلا ينظرون إليها ، ويتدبرون ما ورامها ، ويسألون من سطحها ومهدها هكذا للحياة تمهيدا ؟

«وقد أيفظ القرآن الحس ، ولفت النظر إلى مشهد كلي يضم منظر السماء المرفرعة ، والأرض المبسوطة وفي هذا العدى المتطاول تبرز الجبال منصوبة السنان ، لا رأسية ولا ملقاة ، وتبرز الجمال منصوبة السنام خطان أفقيان ، وخطان رأسيان ، في المشهد الهائل ، في المساحة الشاسعة ، وهي لوحة متناسقة الأبعاد والاتجاهات ، على طريقة القرآن في عرض المشاهد ، وفي التعبير بالتصوير على وجه الإجمال» ("".

والآن بعد الجولة الأولى في عالم الآخرة ، والجولة الثانية في مشاهد الكون المعروضة ، يخاطب النبي الكريم فيقول : ٢١ - ٢٤ - فَلَكَّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُلَكِّرْ و لُسْتَ عَلَيْهم بمُصَيْطِر و إلَّا مَن تَولَّىٰ وَكَفَرَ و فَيُعَلَّبُهُ ٱللَّهُ ٱلْعَدَابَ ٱلْأَكْبَرَ .

فعظهم يا محمد بآنيات القرآن ، وذكرهم بالدعوة إلى الإله الواحد القهار ، فالإنسان بفطرته ميسر للإذعان بقدرة الله وبديع صنعته ، وإنما قد تتحكم للغفلات ، فتحتاج النفوس إلى مذكر يردها إلى الحق والصواب .

إِنَّمَا أَنتَ مُذَّكِّرٌ . أي : إنما بعثت للتنكير فحسب ، وليس عليك هداهم ، إن عليك إلا البلاغ ، وتبليغ الدعوة وترك الناس أحرارا في اعتقادهم ، فلا إكراه في الدين .

لُّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرِ . والمصيطر: المتسلط، قأنت لا تجبرهم على الإيمان.

قال تعالى : وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِحَبَّادٍ فَلكُّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدٍ . (ق - ٤٥).

فمن تولى عن الحق ، وكثر بآيات الله ، وأنكر الدعوة ، فإن حسابه إلى الله المطلع على القلوب ، وصاحب السلطان على السرائر ، وسوف يعذبه الله العذاب الأكبر في الآخرة ، وقد يضم إلى عذاب الأخرة عذاب الدنيا .

٣٦٠، ٢٥ -- إِنَّ إِلَيْتَا إِلَيْهَا مُ فَمَ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَائِهُم. وتختم السورة بهذا الإيقاع المناسب، لتركد دور الرسول في البلاغ، أما الجزاء والحساب فسيكرن في يوم الدين، يوم يقوم الناس لرب العالمين، إن إلينا إيابهم ورجوعهم، ثم إن علينا وحدنا حسابهم وجزاءهم.

قال تعالى : وَلَعَثَ ٱلْفَرَ (وِينَ ٱلْقِيسُطُ لِيَوْمِ ٱلْفِيسُنَةِ فَلَا تَظْلَمُ الْفَسُ طَيْنًا وَإِن كَانَ مِظْالَ حَبُّةٍ مِّنْ عَرْقِل أَلَبَّنَا بِهَا وَكُفَىٰ بِنَا حَسِيسِنَ . (الأنهباء ٤٧) .

مقاصد السورة

١ -- وصف أهل النار وأهل الجنة .

٢ - وصف مشاهد الكون ويدائع الصنعة الإلهية .

٣ -- تحديد مهمة الرسول ﷺ بالبلاغ والدعوة إلى الهداية .

هول القيامة ، وأحوال أهل الثار

مِلْقُوالَّ فَإِلَا فَهِ الْتَحْزِ الْرَحِيدِ

﴿ هَلَ أَتَنكَ حَدِيثُ ٱلْهَنشِيَةِ ۞ وُجُوهٌ يُومَهِ خَشِعةً ۞ عَامِلَةٌ نَاصِبةٌ ۞ تَصَلَوْالَا حَامِيةُ ۞ تُسَقَى مِنْ عَيْنَ الْمِنْ قَلَ اللّهِ مَلْمَامُ إِلَا مِن صَرِيعِ ۞ لَا يُسْفِنُ وَلاَ يُغْنِي مِن مُوع ۞ وُجُوهُ يُومَهِ لِنَاعِمةٌ ۞ لِسَعْبِهَا رَاضِيةٌ ۞ فِي جَنِّهَ عَالِيْهِ ۞ لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَيْفِيةَ ۞ فِهَا عَنْ تَجَارِيةٌ ۞ فِهَا مُرُدِّ مَرْهُوعَةٌ ۞ وَأَكَابُ مَوْشُوعَةٌ ۞ وَغَارِقُ مَصْمُوفَةٌ ۞ وَزَرَافِيُ مَمْهُونَةٌ ۞ ﴾

ع اشمه: ذليلة خاضعة من الخزي.

عسسامسسة، تجرُّ السلاسل والأغلال في الدَّار.

نصاصية : تعبة مما تلاقيه فيها من العذاب.

تصلي نارا حامية ، تدخل أو تقاسي نارًا تناهي حرّها .

مسيسة السيسة: بلغت أناها (غايتها) في الحرارة.

فسسريسم : شيء في النار ، كالشوك مر منتن .

لايفتى من جوع ، لا يدفع عنهم جرعًا .

ئامسمسة اذات بهجة رحسن ونضارة.

الاغيبينية ولغوًا وياطلاً.

ين موقوعة مرتفعة السُّمك أو رفيعة القَدْر.

اكواب موضوعة وأقداح بين أيديهم للشرب منها .

تمارق مصفوفة ، وسائد ومرافق يُتكأ عليها ، موضوع بعضها إلى جنب بعض .

زرابي مبثوثة ،بسط فأخرة مفرقة في المجالس.

التفسيره

١ - هَلُ أَتَسْكَ حَدِيثُ ٱلْغَلْشِيَةِ.

هلُ بلغك يا محمد خبر الغاشية التي تغشى الناس بأهوالها ؟ إذا لم يكن بلغك فأنا أُحدَثك عنه .

٧، ٧ - وُجُوهٌ يَوْمَعِلِ خَلْشِعَةً . عَامِلَةٌ نَاصِبَةً .

وجوه الكفار في ذلك اليوم العظيم هاشعة نليلة مهينة ، وليس هذا عشوع العبادة والتبتل والتفرغ التام لمناجاة الله ، بل خشوع المهانة والمذلّة والحزن والألم .

قال تعالى: وَتَرَسْلُهُمْ يُقْرَضُونَ عَلَيْهَا خَلْشِعِينَ مِنَ ٱللَّٰلَّ يَنظُوُ ونَ مِن ظَوْفَهِ خَفِي من (الشورى: ٥٥) .

عَامِلَةٌ نَاصِبَةً .

مستمرة في العمل والنَّمَب ، وهو النَّعب الألهم ، حيث يجرُّون السلاسل ، ويرسفون في الأغلال والقبود ، ويذوقون الآلام والعذاب والمهانة ، بلا فتور ولا استراحة بل يضاعف لهم العذاب : يُومُ يُعَمَّنُهُمُ المُعَلَّبُ مِن فُولِهِمْ وَمِن تَحْتَ أُرْجُلُهمْ ... (المتكبرت: ٥٠) .

وقيل : عملت في الدنيا أعمال السوء وَالْقَدُّتُ بها وتقعتُ ، فهي في نصب منها في الآخرة ، وقيل : عملت في الدنيا على غير هُدَى ، أو على غير إهلاص ، فلا ثمرة لها إلا النَّمب ، وهاتمتها الذَّار .

؟ ، ٥ - تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَّةً ، تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ عَالِيَّةٍ .

تصطلى وتحرق بنار قد أُحميت لمدة طويلة ، حتى تضاعف حرُّها ولهيبها ، وإذا اشتاقت إلى الثبريد وشرب الماء ليلطُف الحرارة ، فإنها تشرب من عين قد اشتد حرَّها .

قال تعالى: وَإِنْ يَسْتَغِيثُواْ يُغَالُواْ بِمَآءٍ كَالْمُهُل يَشُوى ٱلْوَجُوهُ بُسُ ٱلشِّرَابُ وَسَآءَتُ مُرْتَفَقًا . (الكهف: ٢٩) .

٧ ، ٧ - أَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن صَرِيعٍ . لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْيِي مِن جُوعٍ .

يُسلط على أهل النار الجوع ، فيحتاجون إلى الطعام فيقدم لهم الضريع ، وهو طعام خبيث به شوك ، ويجبرون على أكل الطعام حتى تمتلئ بطونهم به ، ومع هذا الألم فإن الطعام لا يقدم لهم الفائدة المرجوة ، فلا يقدم لهم الشحم أو اللحم الذي يسمّن جسومهم ، ولا الفذاء الذي يسدّ جرعهم ، وقد تعددت آراء المفسرين وأهل اللغة في بيان الضريع .

« والرأى - والله أعلم - أنه من طعام أهل النار ، لا يعرف له شبيه في الحياة الدنيا ، ولهنا وصفه الله سبحانه بأنّه : لا يُشْهِنُ وَلَا يُغْيَى مِن جُرع م أي : إنه لا تتقبله الأجسام ، ولا تتفاعل معه ، كما أنّه لا يشيم جوع الجياع ...ه (١٠٠).

وقد ذكر في القرآن الكريم ألوان العذاب، وألوان الطعام، وذكر في سورة الحاقة قوله تعالى:

وَلَا طُعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ . (الحاقة : ٣٦) .

وهذا يغيد أن المعذِّبين من الكفار طبقات ، فمنهم من طعامه في الثار الضريع ، ومنهم من طعامه القسلين ، ومنهم من طعامه الزقوم .

قال تعالى: إِنَّ شَجَرَتَ آلرَّقُومِ وَطَعَامُ ٱلْأَلِيمِ وَكَأَلْمُهُل يَعْلِي فِي ٱلْبُطُونِ وَكَعْلَي ٱلْحَبِيمِ . (الدهان: ٤٦ – ٤١).

وهي ألوان من العذاب في الطعام وفي الشراب وفي سمة الوجوه ، وفي ألوان العذاب للأبدان ، وفي ألوان الهوان للنفوس ، وكأنَّ المق سيحانه يقول :

أيها الناس ، أنقذوا أنفسكم من هذا العذاب ، والرسيلة يسيرة ، وهى أن ترّمنوا بالله تمالى وحده ، وألا تشركوا به شيئًا ، وأن ترّمنوا بملائكته وكتبه ورسك واليوم الآخر ، وأن ترّمنوا بالقضاء والقدر خيره وشرّه ، حلوه ومرّه .

١١٠١٠١٠ و جُوهُ مَوْ مَتِلْمِ نَاعِمَةٌ . لَسَعْبِهَا وَاضِيَةٌ . فِي جَنَّةٍ عَالِيَّةٍ . لا تَسْمَعُ فِيهَا لَلْفِيّةُ .

بعد أن ذكر حال أهل النار وما هم فيه من شقاء ، ثنَّى بذكر أهل الجنة وما هم فيه من تعيم .

وُجُوهٌ يَوْمَئِذِ نَاعِمَةٌ .

في يوم القيامة نجد أهل الجنة ووجوههم يعلوها البشر والسرور، والنعيم والفرح والحبور.

قال تعالى : تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ . (المطنفين : ٢٤).

وقال عز شأنه : وُجُوهٌ يَوْمَئِذِ مُسْفِرَةٌ * ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ . (عبس : ٣٨ . ٣٧).

لسُعْيهَا رَاضِيَةٌ .

أي: لجزاء سعيها وعملها في الدنيا راضية مرضية ، قد رضيت عن ربّها ، ورضي ربّها عنها .

قال تعالى: رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ... (السنة: ٨).

فهي في نعيم الجنة ، وفي زيادة على ذلك من رضوان الله تعالى.

حيث قال سبحانه : للَّلِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ... (بريس : ٢٦).

في جَنَّةِ عَالِيَةٍ .

فى بساتين مرتفعة حسُيًّا ومعنويا ، والبساتين العالية تتعوض لضوء الشمس ، ويتعيز نباتها بالضضرة الداكنة ، وأى على أفضل من على الجنة ؟

إنهم يتمتعون بالثمار والأنهار والأشجار، والحور العين، وضيافة الجبّار.

لا تَسْمَعُ فِيهَا لَنْغِيَةً .

لا تسمع في الجنة لغوًا: وهو الباطل أو كل قبيح من الكلام ، أو ما لا يعتدَ به من الأقوال والأفعال ، فإن كلام أمل الجنة ذكر الله وتسبيحه ، وحمد الله على ما رزقهم من النعيم الدائم .

قال تعالى : وَقَالُواْ ٱلْلَحَمُدُ لَلِهِ ٱللَّذِهِ ٱلْمُحَمِّدُ لَلَّهِ ٱللَّذِهِ أَنْفُهَمُ عُنَّا أَنْحَقُو لا يُمَشًّنا لِهِهَا لَمَسِّ وَلَا يَمَشَّنا فِيهَا لَقُوبُ . (داعل: ٣٤، ٣٥).

وفي الآية توجيةً لأهل النعمة والغنى ، أن يكون حديثهم ونعيمهم ، نعيم أهل الفضل والجدّ ، لا تعيم أهل الجهل والحمق . ١٢ ، ١٧ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٦ – فِيهِ عَيْنٌ جَارِيَةٌ ه فِيهَا سُرَدٌ مُرَفُوعَةٌ ه وَأَكْوَابٌ مُّوضُوعَةٌ ه وَلَمَارِقُ مَصْفُوفَةً وَزَوَانِهُ مَنْفُولَةً .

والغين هنا اسم جنس ، يراد بها عيون كثيرة متدفقة ، جارية بالماء العنب الزلال الذي يُعَرِّ العين ، ويبهج النفس .

فِيهَا سُرُرٌ مَّرْقُوعَةً .

أُسِرَّة مرتقعة عن الأرض ، عالية المكان والمكانة ، فإذا رغب المرَّمن في الجلوس عليها ، انخفضت من أهله .

وَأَكْوَابٌ مُوْصُوعَةً .

أواني الشرب معدة مرصودة لمن أرادها.

وَلَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ .

والنمارق جمع نعرقة ، بضم النون وكسرها ، وهي الوسائد جمع وسادة ، (المستَّاة في عرف العامة: مسند أو مفدّة) . وسواء كانت هذه النمارق مصفوفة فوق الأسرة ، أو في جوانب المساكن .

وَزَرَابِيٌّ مَنْفُوثَةً .

الزرابيُّ : البسط، وقيل : البسط التي فيها خمل رقيق، أي : هدب، والزرابي جمع زربية، مثلثة الزاي. `

قَالَ المفسرون : هي بُسط عِراض فاخرة ، مبسوطة هذا وهذاك لمن أراد الجلوس عليها ، مُبُّولَة ، أي: مفرقة في المجالس .

مظاهر الكون ، وختام السورة

﴿ أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَنْفَخُلِقَتْ ۞ وَإِلَى السَّمَاءَكَفَ رُفِعَتْ ۞ وَإِلَى الْجِبَالِ
كَيْفَ نُصِبَتْ ۞ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحتْ ۞ فَذَكِرٌ إِنِّمَا آانَتُ مُذَكِّرٌ ۞ أَسْتَ عَلَيْهِ مِيْمُصَيْطِرٍ ۞ إِلَّا مَنْ قَلَى وَكَفَرَ ۞ فَيُعَذِّبُهُ اللهُ ٱلْمُذَابَ ٱلأَكْبَرُ ۞ إِنَّ إِلَيْنَا عَلَيْمَ هُمُ وَالْمَهُمُ ۞ ﴾ إِنَائِهُمْ ۞ مُحَمَّ إِنَّ عَلَيْمَا حِسَائِهُم ۞ ﴾

المفردات ،

ينظرون ايتأملون فيدركون .

الإيسال الجمال ، والإبل اسم جمع لا واحد له من لفظه ، يصدق على القليل والكثير.

شطعت ببسطت ومُهُدت للإقامة عليها .

يمصيطر ، بمتسلط عليهم ، قاهر لهم .

إيسابهم ارجوعهم بعد الموت بالبعث .

التفسيره

يستعرض القرآن أدلة القدرة ، ويلفت النظر إلى مشاهد موحية للإنسان ، بأن هذا الجمال فى هذا الكرن دليل على وجرد الخالق سبحانه وتعالى :

١٧ – أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقُتْ.

أفلا يتأمُّون في هذا الحيوان العجيب، طويل القامة ، طويل الرقبة ، إنه ذو قدرة على حمل الأفقال ، يجلس فيحمل الأحمال الثقيلة ، ثم يقوم بنفسه ، وله صبر على عدم شرب الماء يصل إلى سبعة أو ثمانية أيام ، ويخضع للطفل الصغير .

قال العباس بن مرداس :

ترى الرجل النحيف فتزدريه وتبحث ثبيباب أسد سزيسر ويحجبك الطرير فتبتليه فيخلف ظنّك الرجل الطرير فيا عظم الرجال لهم بنخر ولكن فخرهم كرم وخير لقد عظم البعير بغير لب فلم يستخن بالعظم البعير وتضربة الوليدة بالهراوى فلا غير للدية ولا نكبد

ويكتنى الجمل فى المرعى بما تيسر له من الشوك والشجر، وترى الجمل أعجب ما عند العرب، فهو
عنّتهم فى السفر والحضر، حتى سُمى الجمل سفينة الصحراء، كما أنهم ينتفعون بلحوم الجمال وألبانها
وأويارها.

والعربي يقع نظره غلى البعير ، ثم ينظر إلى السماء فوقه ، وإلى الأرض تحته ، وإلى الجبال بجواره ، فكانت المراعاة في جمع هذه الأشياء للدلالة على قدرة الله المبدعة التي أبدعت نظام هذا الكون .

١٨ - وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَت .

هذه السماء المالية ، مَنْ رفعها بلا عمد ؟ من أظلم ليلها ؟ من أَصَاء نهارها ؟ من زينها بالنجوم ؟ من سخر لها الشمس والقمر والليل والنهار؟

٩ ٩ – وَإِلَى ٱلْحِبَالِ كُيْفَ نُصِبَتْ .

والتأمَّل فى الجبال يُطْهِر عظمتها ورسوشها وشموشها ، ثم إن الجبال تمتد فى الأرض بحجم أكبر من الحجم المبارز منها ، بحيث تصبح ممسكة بالأرض حتى لا تميد ولا تضطرب ، وفى أعلى الجبال تتكون من الحجم الهبارز منها ، تحيث المسفوح والوديان ، ولأمرٍ ما كانت رسالات السماء تنزل على الرسل وهم عند الجبال ، حيث الصفاء والنقاء ، فقد كلم الله موسى من جانب جبل الطور ، ونزل الوحى على محمد من وكان في على حارة فو وكان

قال تعالى : وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُردَ مِنَّا فَعَنْلًا يَاجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُر ... (سبأ : ١٠) .

· ٢ - وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ .

أفلا ينظر الإنسان إلى الأرض كيف سطحت؛ فنحن في نظر الدين أو في مساحة كبيرة أمامنا نجد الأرض ممتدة ، لتصلح للزراعة والصناعة ولتخاذ الطرق ، والاستفادة منها . قال الآلوسي: ولا ينافي هذا القول بأنَّها كرة أو قريبة من الكرة.

وأما كونها مسطحة أو مبسوطة فإنما هو بالنسبة لعظمها ، أو بالنسبة للناظرين إليها .

٢١ - فَذَكِّرْ إِنَّمَاۤ أَنتَ مُذَكِّرٌ .

ذَكُرهم بالآخرة يا محمد ، نَكُرهم بالكون حولهم ، ذَكُرهم بالخلق والنَشأة ، ذَكَّرهم بالجحيم والنعيم ، ذَكَّرهم بالفطرة التى ترشد وتلهم أن الكون البديع المنظّم ، بما فيه من سماء وأرضى وجبال ويحار، وهواه وفضاء ، وشمس وقعر، وليل ونهار ، لابدٌ له من إله خالق قادر، فعال لما يريد وهو سبمانه على كل شيء قدير .

إِنَّمَا أَنتَ مُذَكَّرً . أوسلناك رسولا لتذكير الناس وإرشادهم ، وإحياء فطرتهم ، ولفت أنظارهم إلى آثار · الله في النفس والآفاق .

٢٢ - لُسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرِ.

أنت لا تملك من أمر قلويهم شيئا حتى تقهرها وتقسرها على الهداية ، لأن قلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء .

قال تعالى : إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلْكُمُ ... (الشورى: ٤٨) .

وقال تعالى : أَفَأَلتَ تُكُرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ . (يونس: ٩٩).

٢٤، ٢٣ - إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ﴿ فَيُعَلَّبُهُ ٱللَّهُ ٱلْقَالَابَ ٱلْأَكْبَرَ .

لكن من تولّى عن دعوة الله ورسوله ، وكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، قله عذاب أكبر في جهنم ، أو لَهُ في الدنيا عذاب مثل قتل الكفّار يوم بدر ، وهزيمتهم في عدد من الغزوات ، حتى فتحت مكة ودخل الناس في دين الله أفولجا .

وللكافرين عذاب أكبر وأعظم في الأخرة لأنه عذاب أبدى سرمدى لا يخفف عنهم ، بل يضاعف لهم " "لغذاب ، ثم أكّد القرآن وقوع المبعث والمَمّاد والحساب ، فقال : ٢٥ ، ٢٧ - إِنَّ إِلَيَّا إِيَابُهُمْ ، ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابُهُم .

أى: إلينا وحدنا عودة الناس جميعا ، عند البعث والحشر والحساب ، ثم إن علينا وحدنا حسابهم . ومُجازاتهم على الإحسان إحسانا ، وعلى السوء سوءا ، فليتوقع ذلك الكافر وليعمل حسابه ، فقد أعطيت كل إنسان العقل والإرادة والاختيار ، والحرية الكاملة في اختيار الطريق الذي يسلكه ، والخطة التي يرتضيها ، والدنيا عمل ولاحساب والأخرة حساب ولا عمل ، والملك يوم القيامة لله الواحد القهار .

تم يحمد الله تعالى وترقيقه تفسير صورة الغاشية .





أهداف سورة الفجر

(سورة الفجر مكية، وآياتها ٣٠ آية، نزلت بعد سورة الليل)

وتبدأ السورة بالقدم فتقسم بالقجر، وباللهائى العشر، وبالشفع والوتر، على أن الإسلام حق، وأن البعث والحساب حق، وقد ضريت أمثلة بمن أهلكه الله من المائدين كماد وثدود، وذكرت تصورات الإنسان غير الإيمانية، وسوء همه لاختبار الله له بهذه النمم، ثم ردت على هذه التصورات ببيان الحقيقة التي تتبع منها هذه التصورات الخاطئة، وهي النجعود والأثرة وحب المال والمته.

ثم وصفت مشهدًا عليهًا مخيفًا من مشاهد الآخرة، وفيه يظهر جلال الله، وتظهر المُلاككة للحساب، وتظهر جهنم أمام المصناة، وهي الختام نداء ندى رخي للنفس المطمئنة بأن تعود إلى رضوان الله وجنته.

ومن هذا الاستمراض السريع تبدو الألوان المتعددة في مشاهد السورة، كما يبدو تعدد نظام الغواصل، وتغير حروف القوافى، بحسب تقوع الماني والمشاهد:

فالآيات من (١ - ٥) تنتهى بحرف الراء مثل: والْفَجْر * وَلَيَال عَشْر .

والآيات من (٣ – ١٤) تنتهى بحرف الدال مثل: أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ .

والأبتان (١٥، ١٦) تنتهيان بحرف النون، والآيات الباقية متنوعة فيها الميم والتاء والهاء.

ومجموع فواصل آياتها (هاروت ندم).

والقسم الأول من العدورة هيه نداوة الفجر وجـماله، وهضل الليالي العشر، وثواب الشفع والوتر من الصلاة.

والقسم الثاني ينتهي بالدال، وفيه بيان القوة في الانتقام من الظالمين.

وقد ذكر الفيروزبادي أن معظم مقصود السورة ما يأتى:

تشريف العيد وعرفة، وعشر المحرم، والإشارة إلى هلاك عاد وثمود واصنرابهما، وتفاوت حال الإنسان في النعمة، وحرصه على جمع الدنيا والمال الكثير، وييان حال الأرض في القيامة، ومجىء الملائكة، وتأسف الإنسان يومئذ على التقصير والعميان، وأن مرجع العبد المؤمن عند الموت إلى الرحمن والرضوان ونعيم الجنان.

مع آيات السورة

- ١ أهمم الله سبحانه وتعالى بالفجر، وهو الوقت الذي يدير فيه الليل، ويتنفس الصباح في يسر وفرح وابتسام، وإيناس وكود نديًّ، ويستيقط الوجود رويدا , ويدا.
- ٢ وآبال عشر . فيل: هي المشر الأوائل من المحرم، وفيل: المشر الأواخر من رمضان وفيها ليلة القدر،
 وقيل: هي العشر الأوائل من ذي الحجة وفيها يوم عرفة وعيد الأضمى.
- والشُّفُو وَالْوَتْرِ . أي: الزوج والفرد من الأعداد، والشع والوتر من المدلاة، أو آيام التشريق وهيها ومى
 الجمار بمنى، همن شاء رمى هي يومين ومن شاء مكث ثلاثة آيام.
- واليومان شفع، والثلاثة وتر، قال تعالى: فَمَن تُعَجُّلُ فِي يَوْمَيْنِ فَلاّ إِنُّم عَلَيْه وَمَن تَأخَّر فَلا إِنُّم عَلَيْه . . . (البقرة: ٢٠٣).
- وَالْمِلْ إِذَا يَسْرِ. أَيْ يَسْرِي هَيه، كما يقال: ليل تأثم، أي ينام هَيه، وقيل: ممنى وَالْبِلْ إِذَا يَسْرٍ. أي:
 ينمسره وينقضى مسافرا بميدا، ويسرى راحلا، وأصله: يسرى، فحدثت الياء لدلالة الكسرة عليها هى الوصل،
 وحذفت الياء مع الكسرة هى الوقف.
- مأر في ذلك قسم للتى حجر . أى: هل فيما أقسمت به من جمال الفجر، وجلال الأيام العشر، ولواب الشفع والوتر، ولحف الليل إذا يسر، مقنع لذى لب وعقل، وسمى العقل ججرا لأنه يمنع صاحبه عن الشر،
 ويحجره عما لا يليق.
- ١ ٨ آلم تعلم يا محمد، أو آلم تعلم إيها المخاطب، كيف همل ربك بماد، وهم الذين أرسل إليهم هود عليه المسلم مود عليه المسلم هذك المسلم والمسلم المسلم الم
- ٩ وَلَهُودُ اللَّذِينَ جَابُواْ الشَّخْرَ بَالْوَالد . وكانت ثمود تسكن بالحجر، في شمال الجزيرة المربية بين المدينة
 والشام، وقد قطمت المنخر وشيئته قصوراً ، كما نحتت في الجبال ملاجئ ومثارات.
- ١ وَفُرِعُونُ . وهو حاكم مصر في عهد مومى عليه السلام، وهو صاحب المباتى المظيمة والهياكل الضخمة، التى تعطى شكل الأوتاد المالوية , وقيل: الأوتاد تمنى القوة والملك الثابت، لأن الوتد هو ما تشد إليه الخيام لتثبيتها، واستعمل هنا مجازا إشارة إلى يطشه وحكمه الوطيد الأركان.

وقد جمع الله في هذه الآيات القصار مصارع أقوى الجبارين الذين عرفهم التاريخ.

١١ – ١١ ـ اللّذِينَ طَفُواْ في الْبُلَد و قَاكُمْرُواْ فِيهَا الْفُسَادُ . أي: هؤلاء الذين سلف تكرهم، من عاد وثمود وفرعون وجنده، جميمًا تجاوزوا المُد وكفروا بتممة الله عليهم، واكثروا في البلاد القمساد وارتكاب الماسي، وكثيروا ومتاوا وظلموا، هانزل الله عليهم المذاب بشدة مع توالى ضرياته.

وقد شبه الله تمالى ما يصبه عليهم من ضروب المذاب بالسوط، من فِتِّل أن السوط، يضرب به في الفقويات، وما وقع بهم من ألوان المذاب كان عقوية لأنواع الظلم والفساد . إن الله سبحانه وتمالى يرى ويحسب ويحاسب، ويجازى وفق ميزان دقيق لا يخطئ ولا يظلم، وقد سجل الله عليهم أعمالهم كما يسجل الراسد الذى يرقب فلا يفوته شىء.

وإذا امتمنه بالفقر فضيّق عليه رزقه وقدّره، فلم يوسع عليه، فيقول: إن ربى أذلنى بالفقر، ولم يشكر الله على ما وهبه له من سلامة الجوارج، وما رزقه من المسعة والمافية.

قال الإمام محمد عيده:

وانت ثرى إن أحوال الناس إلى اليوم لا تزال كما ذكر الله هي هذه الآية الكريمة، فإن أرياب السلطة والقوة يظنون اتهم هي أمن من عقاب الله، ولا يعرفون شيئا من شرعه يمنعهم من عمل ما تسوق إليه شهواتهم، وإنما يذكرون الله بالسنتهم، إلا تتأثر قديهم بينا الذكر.

وقريب من هذه المعانى قوله تعالى: إِنَّ الْإِنسَنْنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿ إِذَا مَنْهُ الشُّرُ جَزُوعًا ﴿ وَإِذَا مَسَهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿ وَالْمَاسِدُ وَالْمَاسِدُ وَالْمَاسِدُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿ [إِذَا لَمُسَائِعَ وَ اللَّهِ اللَّهِ ١٤ - ٢٧]

فتملم أن الخاطبين بهذه الآيات كاتوا يزعمون انهم على شيء من دين إيراهيم، أو أنهم كانوا يشعون أن لهم دينا يأمرهم وينهاهم، ويتربهم إلى الله زنفي، فإذا سمعوا هذا التهديد وذلك الوعيد، وُسَوَّست لهم تفرسهم بأن هذا الكلام إنما يتطبق على أناس ممن سواهم، أما هم فلم يزالوا من الشاكرين الذاكرين غير الفاظين، ^(۱۱)، هالله يرد عليهم ويقيم لهم دليلاً واضحًا على كذب ما تحدثهم به نفوسهم، ويقول:

١٧ – كَلاً بِلَ لاَ تُكرِّمُونَ الْبَعِمُ. أَن: لو كان غنيكم لم يُتُمه الطنيان، وفقيركم لم يطمس بصيوته الهوان، لأحسستم باليتيم الذى فقد أياد، فواسيتموه وعملتم عليه حتى ينشأ كريم النفس. ١٨ - زُلاَ تَحَكَّشُونَ عَلَىٰ طُعَامُ الْمسكِّنِ . وقد كان مجتمع مكة مجتمع التكالب على جمع المال يجميع إنطرق، قورات القلوب القموة والبخل، والمعرفت عن رحمة البتيم، وعن التعاون على رحمة المسكير.

۱۹ – وَتَأْكُونَ النُّرَاثُ أَكَارُ لُفًّا ، والتراث هو الميراث الذي يتركه من يتوفى، أى انكم تشتدون هي أكل اليراث حتى تحرموا صناحب الحق من حقه.

٧٠ - وَنُعِبُونَ الْمَالَ حُبًّا جُمًّا. وتميلون إلى جمع المال ميلا شديدا، يصل إلى حد الشراهة.

وخلاصة ذلك:

أنتم تؤلرون الحياة الننيا على الآخرة، إذ لو كنتم ممن غلب عليهم حب الآخرة لانصرفتم عما يترك المؤتى سراثا لأيتامهم، ولكنكم تشاركونهم فيه، وتأخذون شيئا لا كسب لكم فيه، ولا مدخل لكم في تحصيله وجمعه، ولو كنتم ممن أرادوا الآخرة لما ضريت نفوسكم على المال، تأخذونه من حيث وجدتموه من حلال أو من حرام، فهذه أذلة ترشد إلى أنكم لمنتم على ما ادعيتم من صلاح وإصلاح، وإنكم على ملة إبراهيم خليل الرضين (٢٠).

٢١ - ٢٤- كَلَّا إِذَا دُكُتِ الأَرْضُ دُكًا دُكًا. ودك الأرض تحطيم معللها وتسويتها، وهو آحد الانقى الإبات الكونية التي تقع في يوم القيامة.

يُرَدُّتُهُم الله سبحانه وتمالى من مقالتهم وشلهم، وينترهم آموال القيامة إذا ذكت الأرض وأصبحت هياءُ منبئاً، وزلزلت زلزالا شديدا، وتجلت عظمة الله سبحانه، ونزلت ملائكة كل سماء شيصطفون صفا بعد صف، بحسب منازاهم ومراتههم، وكشفت جهنم للناظرين، بعد أن كانت غائلية عنهم.

قال تمالى: وَبُرِّزُتِ الْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ. (التازمات: ٢٦).

حينتُذ تذهب الغفلة، ويندم الإنسان على ما فرط فى حياته الدنيا، ويتذكر معاصبه، ويتمنى أن يكون قد عمل صائحاً فى دنياء لينفمه فى حياته الآخرة التي هى الحياة الحقيقية.

وترى من خلال هذه الآيات مشهدا ترتجف له القلوب وتغشع له الأبصار، والأرض تدك دكا، والجهار التكبر يتجلى ويتولى الحكم والفصل، وتقف الملائكة صفا صفا، ثم يجاء بجهنم فتقف متأهبة هي الأخرى، (١٩٠٠).

وتتبع الحمدرة والذكرى الأليمة من هرّمًا هي حقوق الله، هيتذكر بعد هوات الأوان، ويتمنى أن يكون قد عمل المسالحات. ٢٥ . ٢٦ - فَيُومْتَذُ لاَ يُعَذَّبُ عَنَابُهُ وَأَحَدٌ * وَلا يُوثِقُ وَثَاقُهُ وَأَحَدٌ. الوِثاق: الشد بالأغلال.

فى هذا اليوم المصيب ترى لونا متضردا من ألوان المذاب، لقد كان الجبارون يملكون أن يعذبوا من خالفهم فى الدنيا، لكن المذاب اليوم فى الآخرة لا يملكه إلا الله، وهو سبحانه القهار الجبار الذي يعذب يومثذ عذابه الفذ الذي لا يملك مثله أحد، والذي يوقق وثاقه الفذ، ويشد المجرمين بالأغلال شدا لا يملك مثله أحد.

وهذاب الله ووثاقه يُمُصَّلهما القرآن في مواضع أخرى، وفي مشاهد كثيرة، ولكنه يجملهما هئا، حيث يصفهما بالتفرد بلا شبيه من هذاب الخلق جميما ووثاقهم، وكأن الآية تشير إلى ظلم عاد وثمود وفرعون ذي الأوناد، وتتبه إلى أن عذاب الطناة ووثاقهم للناس مهما أشتد في النشيا، فمموف يعذب الطفاة ويوثنون عذابا ووثاقا وراء التصورات والظنون.

وهي وسعد هذا الهدول الذروع، وهذا المداب والوثاق الذي يتجاوز كل تصوّر، تُنادَى النفس المؤمنة من المذ الأعلى:

٧٧ – ٢٠ ـ يَتَأَيِّهَا النَّهُمُ النَّهُمُ النَّهُمُ وَارْجِينَ إِلَىٰ رَبِكِ رَاضِيةٌ مُّرْضِيةٌ هُ فَادَخُلِي فِي عَبْدَى هِ وَادْخُلِي جَتِّي. ينادى الله سبحانه النفس الثابعة على الحق، أن تعرد إلى جوار الله، راضية عن سميها، مرضيا عنها، هندخل مع العباد الصالحين، ومع الرفقة المؤمنين، حيث يدخلون جمهنا جنة الله هي تكريم ورضوان.

وهي هذا النداء الرضى ما يمسح آلام هذه النفس، وما يشـعــرها بالغـيطة مع عبــِـاد الله، وجنة الله ورضوانه، فنمم الجزاء، ونمم الثواب وحسنت مرتفقاً .

خلاصة أهداف السورة

تشتمل سورة الفجر على الأهياف والمقاصد الآتية:

- ١ القسم على أن عذاب الكافرين واقع لا محالة.
 - ٢ ضرب المثل بالأمم البائدة كماد وثمود.
- ٣ كثرة النمم على إنسان ليست دليلاً على إكرام الله له، والبلاء ليس دليلاً على إهانته وخذلاته.
 - 2 وصف يوم القيامة وما فيه من أهوال.
 - ٥ تمنى الأشقياء العودة إلى العنيا.
 - ٦ كرامة النفوس الراضية المرضية وما تلقاء من النعيم بحول ربها.

التذكير بهلاك الظالين

بسميلة التخراليجيد

﴿ وَالْفَمْرِ ۚ وَلَيَا لِهِ عَشْرِ ۗ وَالشَّفَعِ وَالْوَتْرِ ۞ وَالنَّنْ ِ ۞ مَلُ فِي دَاكَ فَسَمُّ لِنِي . جِمْرٍ ۞ أَلَمْ زَكَيْفَ فَعَلَ رَبُّكِ بِهَا دِ ۞ إِرَمَ ذَاتِ الْمِمَادِ ۞ الَّيِ لَمْ يُخْلَقُ مِثْلُهَا فِي الْلِلَادِ ۞ وَشَعُونَ ذِي الْوَنَا وَ۞ الَّذِينَ طَفُواْ فِي الْلِلَادِ ۞ وَشَعَونَ ذِي الْمُونَا فِي اللَّهِ ۞ وَشَعَرَ وَالْمَانِ ۞ وَشَعَرَ وَيُكِ سَوْطَ عَذَابٍ ۞ إِنَّ رَبَكَ لَلْإِلْمِرْصَادِ ۞ ﴾ لَلْمُرْصَادِ ۞ إِنَّ رَبَكَ لَلْمِرْصَادِ ۞ ﴾

المفردات،

والشجيسين أقسم الله تمالي بوقت الفجر أو بصلاة الفجر.

وليسال عسشس المشر الأواثل من ذي الحجة.

والشهقع والودن الزوج والفرد من كل شيء، أو يوم النحر ويوم عرفة.

الليل إذا يسسس إذا يمضى وينهب، أو يُسار هيه.

هل هي ذايك الذكور الذي أقسمنا به. `

قسم لذى حجى مقسم به حقيق بالتعظيم لدى العقلاء.

يعادا قوم هود، سمّوا باسم أبيهم،

لام مواسم جدَّهم، ويه سميت القبيلة.

ذات العسمساد؛ الشدَّة، أوالْأُبنية الرفيعة المحكمة بالمُكد.

جابوا الصحار قطموه ونحتوا فيه بيوتهم.

ذى الأوتــــاد: الجيوش الكثيرة التي تشد ملكه.

.....وطه عسناب، عذابا شديدًا مؤلمًا دائماً .

رن ريك البائرصاد، يرقب إعمالهم ويجازيهم عليها.

تمهيده

أقسم الله تمالي هذا بالفجر الذي يشرق طيذهب الطلام ويأثن النور، وأهسم بالليالي العشر الأوائل من ذي الحجة، وأقسم بكل شفع ووتر، كما أقسم بالليل الذي يتحرك ويتحرك معه الطلام، ثم قال: هل هي ذلك الذي أقسمنا به ما هو حقيق بالتعظيم لدى المقلاء، 9

التفسيره

١، ٢، ٢، ٤، ٥ - وَٱلْفَجْرِ * وَلَيْالِ عَشْرِ * وَالشَّلْعِ وَٱلْوَتْرِ * وَالنَّالِ إِذَا يَسْرِ * هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ.

أقسم الله تمالي بالفجر ، وهو ذلك الوقت الدُّدِيِّ الذي تنتهى عنده شدة الطّلام، ويظهر الفجر الممادق، وهو النور المترض في الأفق.

قال تعالى: وَالَّمْلِ إِذْ أَدْبُرُ * وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ * إِنَّهَا لَإِحْلَى الْكُبُرِ . (المدر: ٢٢ - ٢٥)

وقيل: أقسم الله بصلاة الفجر، وفيها تجتمع ملائكة الليل وملائكة النهار.

قال ﷺ: ويتماقبون فيكم سائلكة بالليل وملائكة بالنهار، ويجتمعون هي صلاة الفجر وهي صلاة المصر، اقراو إن شئتم قول الله تمالى: وَقُرُّواَنَ الْفُحِرُ إِنَّ قُرُعاَنَ الْفُحِرُ كِنَّانَ شَهُوفًا . (٢٠٠ (الإسراء، ٧٧).

وَلَيْال عَشْرٍ .

اختار الشيخ محمد عبده أنَّ الدارد بها الليالى المشر الأوائل من كل شهر، حيث يظهر القمر صغيرا لم يكبر رويدًا رويدًا حتى يفالب الظلام فيقلبه.

وذكر المفسرون أن المراد بها ما يأتى:

العشر الأوإئل من ذي الحجة، وفيها يوم عرفة وفضله عظيم، وفيها الميد الأكبر.

أشرح البخارى فى صحيحه أن رسول الله ﷺ قال: دما من أيام العمل الممالع فيهنَّ أحبُّ إلى الله تمالى من أيام عشر ذى الحجة، قيل: يا رسول الله، ولا الجهاد فى سبيل الله ؟ قال: دولا الجهاد فى سبيل الله إلا رجلاً خرج بنفسه وماله، ثم لم يرجع من تلك بشىء، (¹⁰). وقيل: المراد بالليالي العشر: العشر الأوائل من المحرّم وفيها يوم عاشوراء، وقيل: المراد بها العشر الأواخر من رمضان وفيها ثيلة القدر.

واختار ابن كثير أن أرجح الآراء هو أن المراد بالليالي العشر: العشر الأوائل من ذي الحجة.

وَالشُّفْعِ وَالْوَتْرِ .

إي: سائر المخلوقات شفع، والله تعالى وتر يحبُّ الوتر.

فالسماء والأرض، والليل والنهار، والشمس والقمر، والبحر والنَّهر، والنور والظلام، والذكر والأنثى.

هَال تمالى: وَمَن كُلِّ شَيْء خَلَقْنَا زَوْجَيْن لَمَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ . (الذاريات: ٤٩).

وقيل: الشفع والوتر، أي: صلاة الشفع وصلاة الوتر،

وقيل: الشفع: المسلاة الرياعية مثل الظهر، والعصر، والعشاء، والشائية مثل الصبح.

والوتر؛ الصلاة الفردية مثل المغرب وهو وتر النهار، وصلاة الوتر وهي ختام صلاة الليل.

وَالْيُل إِذَا يُسْر .

أهمهم الله بالليل إذا تحرُّك من أوله إلى ومنطه إلى آخره، أي أجزاء الليل المتتابعة، حيث تشاهد النجوم وأماكتها وحركتها

وفي اشمار العرب نجد أن المحبين منهم يسهرون الليل، ويستبطئون تحركه، كأن النجوم حيوانات مصابة بداء الحفاء في أرجلها، فتمشى بطيئة، وكأنَّ الظلام يصدُّها عن التحرك، ومن طول الليل يهيَّأ للعاشق أن الجزء الذي بمضي من الليل برجع مرة أخرى،

يقول النشكون

يسحب الليل نحسوسا ظُلُعُما فتراليها بعينات الثبع ون إذا اللون انقسيم ويزجيها على إبطائها مغرب الله عطف الأول منه فيسرجع وإذا ما قلت ليل قد ميض وكان 震 [ii] اراد النوم قال: «اللهم غارت النجوم، ونامت الميون، ويقيت أنت يا حى يا قيوم، امّنر ليلى وانمّ عيني، (۱۱).

هُلُ فِي لاَّ لِكَ قَسَمٌ لِّلَاي حِجْرٍ .

والمجرد هو المثل، لأنه يحجر صاحبه ويمنعه من التصرف الشين وعما لا يليق به من الأقوال والأهنال. أي: هل هي ذلك القسم بأوقات النبادة والطاعة، أو بنفس النبادات والطاعات مقتع لن له إدراك وهكر.

وجواب القدم محدوف ذرٌّ عليه ما بمده، وتقديره: إن ناصية الكذبين لبيدى، ولثن أمهاتهم ظن أهملهم ولاَحَدَنْهم كما أخذت الأمم قبلهم.

٣. ٧. ٨ - أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادِ * إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ * أَلْتِي لَمْ يُخْلَقُ مِثْلُهَا فِي الْبِلَدِ .

ألم تشاهد بعقلك - مشاهدة كأنها رؤية الدين - ما فعله الله بقبيلة عاد، وهم عاد الأولى، وتسمى عاد إرم.

وإرم جدُّ القبيلة، وقد اشتهرت قبيلة عاد بالبأس والقوَّة، وطول القامة التي تشبه عماد الخيمة.

وقال المفسرون:

كانوا بدوًا يسكنون الخيام، وتعتمد الخيامُ على أعمدة، فقال القرآن : إِرْمَ ذَات الْعماد.

وكانوا أقوياء أشداء فأخذهم الغرور.

قال تعالى: فأما عاد فاستكثروا في الأرض بِغير الحقق وقالوا من أشدُ مِنا قُوةُ أَوَ لَمْ يَرُوا أَنْ الله الله ع أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوةً وَكَالُوا بِنَايِّنِا يَحِحْدُونَ هِ فَارْسِلْنَا عَلَيْهِمْ وِيحاً صَرَصَوْ ا فِي آيَامٍ لِنَّحِسَاتِ لِنَدِيقَهُمْ عَلَابَ اللَّهِزْي في الْحَدُوا الذَّيْلَ وَلَمُذَابُ الْآخَرَةُ أَخْرُى وَهُمْ لَا يُصَرُّونَ . (هسلت: ١٥، ١٦).

وكانت عاد تقطن جنوب الجزيرة العربية، في منطقة تسمى الأحقاف بين عمان وحضرموت واليمن.

الَّتِي لَمْ يُخْلَقُ مِثْلُهَا فِي الْبِلَندِ .

تلك القبيلة التى لم يخلق الله مثلهم هى هوتهم وشدتهم وضخامة اجسامهم، وقرب عام ١٩٩٥ م ظهرت كشوف اثرية هى سلطنة عمان قرب مدينة صلالة، عبارة عن قرية مطمورة بها أبنية لم يكن لها نظير أو مثيل، ويطن أنها مدينة عاد. وكان قوم علد يممكنون بالأحقاف، والأحقاف جمع حقف، وهو الرمل الموج.

ونبيٌّ عاد هو هود عليه السلام، وقد ذكرت قصتهم في سورة هود وعدد من السور، وكثيرا ما تذكر قصة عاد ثم يأتي بعدها قصة ثمود.

وقبيلة ثمود قبيلة عربية من العرب العارية، وهم من أبناء عامر بن إرم بن سام بن توح عليه السلام، وكانوا يسكنون بالحجر بين الحجاز وتبوك وكانوا يمبدون الأصنام، وهم أول من نحت الجبال والصخور والرُّخام، واتخذوا أبنيتهم وحصونهم في قلب الجيال.

وأرسل الله إليهم رسوله صالحًا عليه السلام، فدعاهم إلى توحيد الله، وكانت ممجزته ظاهرة ملموسة، هي ذاقة تخرج من بين جبلين، وتشرب ماء النَّهير في يوم، وتحلب لهم ثبنًا يكفيهم من أوَّلهم إلى آخرهم، لكنَّهم عقروا الناقة، ونقضوا العهد، فأهلكهم الله جزاء عدوانهم، وذُكرت قصتهم في كثير من سور القرآن الكريم.

قال تمالى: وأمَّا تُمُودُ فَهَارَيْكُهُمْ فَاسْتَحَبُّواْ الْهَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَنْعَقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَالُواْ يكسبون (نصلت: ١٧)

أى: أرسلنا إليهم رسولاً بأسباب الهداية، فاختاروا الضلالة وتركوا الهداية؛ فاستعقوا العذاب.

وفرعون ذي الجنود الكثيرة، والجيوش القوية التي كانت تثبُّت ملكه كما تثبت الأوتاد الخيمة، وقبل: إنه كان يدق للمعنَّب أربعة أوتاد، ويشده بالحبال من ينيه ومن رجليه، ويعذبه بألوان العذاب.

هؤلاء الثلاثة: عاد، وثمود، وفرعون، نماذج للطفيان، وقد اشتد طفيانهم وعدوانهم على عباد الله، وظلموا العباد، وتجاوزوا الحدُّ هي الظلم والطفيان، وعندما يوجد الظلم من الطناة، يوجد القهر والنّماق، وطمس معالم الحق، وهضم كرامة الإنسان. القساد يجرّ إلى الفساد، حيث يكثر الكفر بالله، وافتراف سائر الماصي.

١٢ - فَصَبُ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ مُوطَ عَذَابٍ .

أنزل الله عليهم ألوان المذاب الذي يُصبُّ عليهم صباء كضرب السياط اللاذعة.

وتفيد الآية أنه كان عذابا قاصمًا، فقد أهلك الله عادًا، بربع صُرْصُرُ عَاتِنَهُ * سَخُرُهَا عَلَيْهِم سَبْعَ لَيَالٍ وَلَسُنَهُ أَيُّاهِ حُسُومًا ... (الماقة: ٢٠١).

وأهلك الله ثمود بالصناعقة التي أهلكتهم، وأهلك فرعون بالفرق.

والخلاصة

إن الله تدالى أهلكهم بالوان المذاب المهلكة المدمّرة، فصاروا الأول بعد عين، والقصة موجهة إلى أهل مكة. وإلى كل ظائم عات باغ دإن الله يُعلى للظائم حتى إذا أخده لم يفلته، (^(۱۷)).

قَـال تمالى: وَقَـُرُونَ وَفِرْعَوْدُ وَهَـَمْنَ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُّوسَىٰ بِالْبَيْنَتِ قَاسَتَكَبُرُواْ فِي الأَرْضِ وَمَا كَانُواْ مَسْهِينَ هِ فَكُذَّ أَخَذَكَ لِدَنْهِ فَمِينُهُم مِّنَ أَوْسَلَنَا عَلَيْهِ حَاصِياً ومِنْهُم مِنْ أَخَذِتُهُ الصَّيْحَةُ ومِنْهُم مِنْ خَسَفَنَا بِهِ الأَرْضَ وَمَنْهُم مِّنْ أَغُرُقَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْمِهُمْ وَلَكُن كَانُواْ أَنْسُهُمْ يَظْلُمُونَ . (التنجين: ۲۹، ٤٠).

16- إِنَّ رَبُّكَ لَبِالْمِرْصَادِ .

إن الله تمالى يرصد أعمال الظالمين ويسجَّلها عليهم، ويحصى أعمالهم إحصاءٌ دهيمًا، ثم يُنزل بهم المقاب الذي يستحقونه.

«إن الله يملى للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته» (٩٨).

إن عدالة الله لا تغيب، وهو سبحانه مطلع ورقيب، ظيش الثومن بدلك، أما الطالم هإن الله له بالمرصاد، يرى ويحسب ويحاسب، وفق ميزان دشق لا يخطئ ولا يظلم، ولا بأخذ بطواهر الأمور، لكن بجقائق الأشياء.

قال في التسهيل لعلوم التنزيل :

الرصاد: الكان الذي يرتقب فيه الرصد،

والمراد: أنه تعالى رقيب على كل إنسان، وأنه لا يفوته أحد من الجبابرة والكفار، وهي ذلك تهديد لكفار فريش،

+ + +

امتحان الله للإنسان

﴿ فَآمَا ٱلْإِسْنُ إِذَا مَا اَبْلَكُ أُدَيَّهُ فَأَكُرُمَهُ وَنَصَهُ مُنِيَقُولُ رَقِتَ أَكْرَمَنِ ﴿ وَاَمَا آبَنَكُ هُ فَقَدُرُ عَلَيْهِ الْمُعْتَمِنُ وَكَالَةً اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ الل اللّهُ الللللّهُ الللّهُ الللّهُ اللّهُ الللللللّهُ الللللّهُ الللللّهُ اللّهُ اللّهُ اللللّهُ الللّهُ

المفردات

بيت الدرية ، امتحته واختيره بالنعم أو النَّقم.

فقدر عليه رزقه، ضيقه عليه.

لا تحاث ون، لا يدث بمضكم بمضا،

التــــراث ميراث النساء والصفار،

أكسسلاً لسمَّسناه جمعا بين الحلال والحرام،

حبيا جماء كثيرا مع حرص وشدة.

التفسيره

١٥ - فَأَمَّا الْإِنسَانُ إِذَا مَا البِّنْكُ رَبُّهُ وَأَكْرُمَهُ وَنَعْمَهُ وَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمُن

ذكر القرآن فيما سبق أن الله تعالى رقيب على العباد، شهيد على أعمالهم.

ومنا يتول: إنَّ الإنسان – أى الكاهر والماصى – إذا اختبره الله بالتَّمَّمة ولئال، أى عامله معاملة المُتبر، بأن أغفق عليه النمم، ويسرّ له وسائل الكرامة، ومننوف النَّمم ولئال، فيطنً أن ذلك لأنه صاحب حظوة عند ريَّه، وصاحب كرامة ومنزلة فيقول: ربِّن اكرمني، أى: أكرمني بذلك لذيد استحفاق. كما قال تمالى: أَيَحْسُبُونَ أَنْمَا نُبِدُهُم بِهِ مِن مَالٍ وَيَنِينَ ﴿ نُسَارِعَ لَهُمْ فِي الْخَيْرَ سِ بَل لاَ يَشْهُرُونَ. (القِندين: ٥٥ ـ ١٥٥)

١٦ – وَأَمَّا إِذَا مَا البَّلَكُ لَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ وَ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَا مَنِ .

أي: إذا اختبر الله الإنسان، فضيق عليه في الرزق، وجمله فقيرا ظليل المال، فيقول: إنَّ الله أهانتي بالفقر، فليست لي كرامة عنده، لذلك أمنايني بالفقر والهوان.

وما علم هذا الإنسان أن الله يعطى الدنيا لن يحبّ ولن لا يحب، فيغنى الكافر والماصى والمؤمن، امتعانًا لهم يهذا الخير، أى يعاملهم معاملة الختير، هل يشكر الله هى الغنى، ويطيعه فيما فرضه عليه، ويؤدى حق المال كما طلب الله، أم لا يقمل ذلك ؟

والله تماثى يختبر بالفقر الكافر والمؤمن، لا لهوائهما عليه ولكن لهوان الدنياء ويمامل الفقير معاملة المختبر الممتحن، هل يشكر الله على ما أعطاء من نعم أخرى مثل العقل وسلامة الجوارج، والإيمان وطاعة الرحمن ؟ وهل يصبر على الفقر أو المرض أو الكوارث، أم يجزع ؟

ظله تمالى حكمة خضية في اختبار بعض الناس بالنعمة، والمال والغني، والصبحة والعافية، والأولاد والأحفاد، ومنتوف النمم.

وله سبحانه حكمة خفيّة هى اختبار بعض الناس بالفقر أو الكوارث، أو نقص الأموال والأولاد، أو غير ذلك، وهذا امتحان، فقد يتجع الإنسان هى الفقر، فيصبر ويحتسب، ويصافل الأعداء هى الجهاد والكفاح، ثم يفشل فى الاختبار بالغنى والمال والجاء والمعلمان، والمؤمن الصادق يشكر على النعماء، ويصبر على الباساء، ويرضي بأسباب القضاء.

١٧ - كَالا بَل لا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ .

ردع وزجر عن ظن صاحب النممة أن ذلك لكرامته عند ريه، وردع وزجر لمن اختير بالفقـر أو الكوارث أن ذلك نهانته، بل ذلك لحض القضاء والقدر، ولحكمة إلهية عليا.

> ومعنى كُلاً : ارتدعوا عن هذا الفهم، فلله حكمة عليا فوق فهمكم. قال الشاعر:

ومن الدليل على القضاء وحكمة بوس اللبيب وطيب عيش الأحمق

بَلِ لاَ تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ .

بل انتم لسوء تصرفكم تتهبون مال اليتيم، وتتذُّونه وهو جدير بالبر والإحسان، لأنه فقد الأب الذي يرعاه ويكرمه، هسار الوصيّ مطالبًا بإكرامه.

روى البخارى، ومعملم أن رصول الله ﷺ قال: «إنا وكافل اليتيم هى الجنة كهاتين» وقرن بين أصبعيه الوسطى والتي تلى الإيهام (^(١)).

وروى ابن ماجة أن رسول الله ﷺ قال: «خير بيوت المملمين بيت فيه يتيم يُحمىن إليه، وشـرُ بيوت السلمين بيت فيه يتيم يُساء إليه» (۱۰۰۰).

١٨ - وَلَا تُحَلَّضُونَ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ .

والتصامن: تقاعل من الحشر، وهو الحث والترغيب، كأننا مطالبون بإكرام الفقراء واليتأمى والمساكين، ومطالبون إيضا بأن يحض بمحنا بعضا على التكافل والتراحم، حتى يُحس الفقير والمسكين أنه غير ضائع ولا جائم، وإن المجتمع يكتله ويرعاء، وأن هناك آصرة الأخوة الإنسانية والشيئية بين أعضاء المجتمع، ولذلك اكثر القرآن من الحث على رعاية اليتيم، والمحافظة على مائه، وأمر القرآن بإكرام الأرامل والفقراء والجيران والمساكين، وبان تكون الأموال وسيلة إلى الاستثمار، وإخراج الزكاة، ورعاية الضعفاء والمحتاجين، وتلك وسيلة الإسلام إلى ترابط المجتمع وتازره وتعاونه.

هَال تمالى: وَتَعَاوِنُواْ عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقُوعَ وَلَا تَعَاوِنُواْ عَلَى الْإِثْمِ وَالْمُدُّوانِ . . . (المائدة: ٢)

ومن وسائل هذا التعاون الحث على تنظيم الإحسان، وحمن الأغنياء على رعاية الفقراء بوسيلة من الوسائل المناسبة.

قال تمالى: وَفِي أَمْوا لِهِمْ حَقٌّ لِلسَّائِلِ وَالْمُحْرُومِ . (الداريات: ١٩)

١٩ – وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكُلاً لُّمًّا .

أى: وتأكلون الميراث، أى ميراث اليتأمى والنساء، وكانت العرب لا تعطى من الميراث إلا من بركب الفرس ويداهع عن القبيلة، فيحرمون الأنفى والصِّغار، ويتكلون ميراث اليتيم عند الوصاية عليه.

ومعني أَكْلاً لُمًّا. أي: شيسًا،

والقرآن يحدَّرهم من ذلك، ويدعوهم إلى عدم الشراهة في حب الثال، بل يكتفون بالثال الحلال، ويبتعدون عن الثال الحرام، وممَّا لا حق أهم هيه.

٢٠ - وَلُحِبُونَ الْمَالُ حُبًّا جَمًّا .

تحبُّون المّال حبًّا كثيراً، زاد بمضهم فلحشاء أي: إنكم تحبُّون جمع المال مع الحرص والشُّرم في جمعه، وللمّال ينبغي أن يؤخذ من حقه، وأن يصرف في حقه، ويذلك يصبح تعم المونة، وفي الأثر: «فعم المّال المسالح للرجل الصالح».

اما إذا جُمع المال من حرام أو أُنفق فى حرام، أو دخلت فيه الشيهات، أو لم تضرح منه الزكاة والصدفة، أو لم يستقل فى التكافل والتراحم والتماون، شإنه يصبح دُولة بين الأغفياء، ويكون وسيلة إلى الأثرة والأنانية، والمساملة بين يدى الله عز وجل يوم القيامة،

مشاهد القيامة

﴿ كُلّآ إِذَا دُكُّي ٱلْأَرْضُ دُكَّا دَكَّا ۞ وَجَاءَ رَبُك وَٱلْمَلُكُ صَفَّا صَفَّا ۞ وَجَاتَ ، يَوْمَهِ م يِجَهَنَّمَ وَمَهِ إِينَدَ كَتَّرُ ٱلْإِنسَانُ وَأَنَّى لَهُ ٱلذِّكْرَى ۞ يَقُولُ يَلَيْسَنِ فَتَمْ لِيَانِي ۞ فَوْمَهِ إِلَا يُعَدِّبُ عَنَابُهُ وَأَحَدُ ۞ وَلا يُوفِقُ وَنَا قَلُهِ أَحَدُ ۞ يَتَأَيَّبُ ٱلنَّفُسُ ٱلْمُطْمَعِيَّةُ ۞ ارْجِى إِنْ رَيْعِ رَاضِيَةً مَنْ فِينَةً ۞ أَدْ خُلِي فِي عِنْدِي ۞ وَاذَ خُلِي فَيْ عَنْدِي ۞ وَاذَ خُلِي فَيْ

اللف دات،

دكست الأرضيه يشت وكُسترت بالزلازل.

هكــــا هكــــاه دكًا متتابعًا، حتى صارت هباءً منثورًا، فلا جبال ولا مرتفعات، بل تصبح أرضا مستوية لا ترى فيها ارتفاعا ولا انخفاضا.

وجـــاء ريك أمره وقضاؤه.

والمناسك ملائكة كل سماء،

واتَّى له الذكري، من أبن له منفعتها؟ هيهات فقد جاءت بعد فوات الأوان.

مهيفء

يستمرض الحق سبحانه وتدائى مشاهد الآخرة، وقد ذكرت فى سور سابقة بتقصيل مناسب، وذكرت هنا بإجمال مناسب، والحق سبحانه يعطينا هنا العبرة لكل ظالم باغ أنّ تنكَّرُ ما أصاب الظالمين، أمثال عاد وضود وهرعون، ولكل راغب فى المال الحرام، أو ممتنع عن إخراج حقوق اليتامى والمساكين، أن تذكّرُ مشاهد القيامة وأهمانها وحسابها.

التفسيره

٢١ - كَلَا إِذَا دُكُتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا .

كُلًّا : ردع وزجر لهم عن الأعمال القبيحة، وقد يكون معقاها: حتًّا.

إِذَا دُكُّت الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا .

عند نهاية الحياة الدنها يضطرب الكون، وتنشق السماء، وتدك الأرض دكا متتابما، مرة إلار آخرى، وعندثد لا يرجد هوقها جبال، ولا هى اسفلها وديان، بل تتحول إلى أرض مستوية تماما، لا ارتفاع شهها ولا انفقاض، بل تتحول إلى أرض بيضاء ممتوية، يقف الخلائق جميما من عهد آدم إلى قيام الساعة هى مكان مكثوف مستو، تراهم المين وتسمعهم الأذن.

٢٢ - وَجَاءُ رَبُّكَ وَالْمَلْكُ صَفًّا صَفًّا .

جاء عدل ربك، وجاء جلال ربك، جاء الملك القهار، في ذلك اليوم ينادى: لمن الملك اليوم ؟ والجواب: لله الواحد القهار.

جاء ربُّك وكفي به حكما وعدلا، وجاءت ملالكة السماء الأولى هاحاطت بالخلائق، وجاءت ملالكة السماء الثانية هاحاطت بملائكة السماء الأولى، وهكذا كوثّت لللائكة سبع طبقات أو سبعة صفوف.

وهذه الآية وأمثالها مما يجب الإيمان به من غير تكييف ولا تمثيل، أى أنه مجىء تؤمن به ونفوّش حقيقة المراد منه إلى الله تمالى.

قال ابن كثير؛

قام الخبلائق من قبورهم لريُّهم، وجاء ربك لقصل القضاء بين خلقه، والملائكة يجيئون بين يديه صفوفا سفوفا. كما هَال تعالى: هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن يَأْتِيهُم اللَّهُ فِي ظُلْلِ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَتَيكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تَرْجُعُ الْأُمُورُ. (البترة: ٢١٧)

٢٣ .. وَجَأْتُ، يَوْمُثِذِ بِجَهَنَّمَ يَوْمُولُدَ يَتِذَكُّرُ ٱلْإِنسَسْنُ وَأَنَّىٰ لَهُ الذَّكْرَىٰ .

تأتى جهنم تتلمظ غيظا على من عصى الله تمالى، ويراها الناس رأى العين.

قال تمالى: والرزَّت الْجَحِيمُ لَمَن يُرَكُ (القارَعات ٢٦).

لقد كُشَيْفَتْ جهنم التَّاطَرين بعد أن كانت غائبة عنهم، فكأنها كانت بعيدة وجاءت إليهم، عندلد تنهب الفظة وتجيء الفطنة، ويتنكر الإنسان الفاهل أيام غفلته، ولكن بعد فوات الأوان.

إنه الآن يتمطّ ويرق طلبه ووجدانه، ويتحسر على الحياة التي أضاعها بنفلته، ولكن لا تقيده هذه الذكري. فالدنيا عمل ولا حساب، والآخرة حساب ولا عمل.

٢٤ - يَقُولُ يَسْلَيْنِي قَدُّمْتُ لِحَيَاتِي .

يقول هذا الإنسان الفافل: يا ليتني قدَّمت هي حياتي عملاً صالحا، والتزمت بفراتض الله، وسرت على المعراط المستقيم، وأطمت الله واطمت الرسول ﷺ.

٢٥، ٢٦ - فَيَوْمَندُ لِأَ يُعَدِّبُ عَذَابَهُ وَأَحَدُّ * وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُ وَأَحَدُّ .

ليس أحد أشد عذابا من تعذيب الله من عصاء،

وَلا يُوثِقُ وَثَاقَهُ رَ أَحَدٌ .

وليس أحد اشد قبضنا ووثقا من الزيانية لمن كفر بريهم عنز وجل، وهذا هي حق الجرمين من الخلائق والطّالين.

٧٧، ٢٨ - يَنَأَيُّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴿ ارْجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مُرْضِيَّةً .

عند سكرات الموت يرسلُ الله الملائكة تُطمئن المؤمنين وتبشُّرهم بالجنة.

قال تعالى: إِنَّ اللَّذِينَ قَالُواْ رَبَّنَا اللَّهُ ثُمَّ استَقَامُواْ تَتَوَلَّ عَلَيْهِمُ الْمَلْتَكَةَ ٱلأَ تَخَافُواْ وَلا تَحْزَنُواْ وَالشُّرُواْ بِالْجَدِّدِ اللَّي كُنُم تُوعَدُونَ ((هملت: ٢٠)

وقيل: إن النداء على النفس المطمئنة عند تمام الحساب، وقيل: عند البحث، وقيل: عند دخول الجنة، وعموما فإنَّ مراحل الآخرة تبدأ من سكرات الموت، والنفس المطمئنة هي التي رضيت بالقضاء والقدر، وشكرت الله على النعماء، وصبرت على الباساء، واطمأنت لعدالة أحكام الله، واطمأنت إلى ربَّها ودينها، وأطاعت ربها في رضا وإيمان، ويقيّن ومعادة، فينادي عليها عند خروج الرُّوج، وفي مراحل الآخرة التالية:

يَــــأَيُّهُا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ .

والاطمئنّان هن الدنيا معادة ما بعدها معادة، فهي موقنة بقضاء الله وقدره، وقد وقفت عند حدود الشرع، فتجيء يوم القيامة مطمئنة بذكر الله، ثابتة لا تتزعزع، آمنة مؤمنة غير خالقة، حيث يُنادي عليها:

عودى عند البعث أو عند الموت إلى ثواب ريك، راضية عن العطاء الإلهي، مرضيا عنك كل الرضا.

فادخلن هي عبادي المسالحين، وكوني هي جملتهم، وما أعدًّ لهم من الكرامة والرَّشوان، وادخلي معهم الجنة، وفيها ما لا عين رأت، ولا أنن سمعت، ولا خطر على قلب بشر.

وهي ختام السورة نلمج أن الكاشر يتمظ ويتوب عن كفره، وعن حرصه على الدنيا دون الآخرة، ولكن لا ينفعه ذلك، فليت راغب التوبة يمجل بها، الآن الآن، قبل قوات الأوان.

تم بحمد الله تعالى تفسير سورة (القجر)، مساء الأربعاء ٢٦ من صفر ١٤٢٢ هـ، الموافق ٢٣ / ٥ / ٢٠٠١ م.



أهداف سورة البلد

(معورة البلد مكية، وآياتها ٢٠ آية، نزلت بعد معورة ق)

وقد اشتمات السورة على تعظيم البلد الحرام، والرسول الأمين ﷺ، وتكريم آدم وذريته، وبيان أن الإنسان خُلق في معاناة ومشقة، في حمله وولادته ورسالته في الحياة وحصابه في الآخرة.

وجابهت السورة أحد المشركين، وكشفت سوء أفعاله، ورسمت الطريق الأمثل للوصول إلى رضوان الله.

مع آيات السورة

١ - لا أشَّرِ بَشَاءُ اللَّذِيد ، اقتسم الله عز وجل بمكة، وقيها البيت الحرام والكمية، وعندها قبلة السلمين،
 وفيها زمزم والنقام، والأمن والأمان.

قال تمالى: جَعَلَ اللهُ الكُعْبَةُ الْبُوتُ الْحُرامُ فِينَما لِلنَّامِي... (المائدة: ١٧). ومعنى قياما: قواما، أى يقوم عندها أمر الدين، حيث يُقدُم الحجيج فيطوفون ويممون، ويؤدون للناسك، ويشاهدون مهبط الوحى، ويصير الرجل آمنا بدخوله الحرم، قال تمالى: وَمَنْ دَخْلُمُ كَانْ عَاماً... (ال ممران: ٧٧).

وقد ذكر القرآن تكريم مكة هي آيات كثيرة، فقد ولد بها النبي ﷺ، وبدأ بها نزول الوحي، ومنها انبثق فجر الإسلام، وإليها يحج الناس.

قال تمانى: وَكَذَلِكُ أُوْحَيْمَا إِلَيْكُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِتُنذِرُ أَمَّ القُوئِي وَمَنْ حَوَلَهَا وَتُنذِرَ يُومَ الْجُمْعِ لَا رَبِّ فِيهِ أَوْبِيقًا في الْجَنَّةُ وَفُرِيقٌ فِي السَّعِيرِ . ((الفيوى: ٧).

Y – وَأَنتَ حَلُّ بِهِـذَا أَلِلَّهِ. وَإِنْتَ مَقِيم بِهِذَا البِلد، يكرم الله نبيه محمداً ﷺ، الذي جمله خاتم المرسلين، وأرسله هداية للمالين، وجمل مولده بهكة، وهذا البيلاد يزيد مكة شرفا وتمظيما حيث إن اقضل خلق الله يقيم بها وبعل بين شمايها، ويشقل بين أماكنها داعها إلى دين الله، حاصلاً وحي السماء، وهداية الناس. ٢ - وَوَالْدُ وَمَا وَلَكُ. أَمْسَمُ الله بَادَه وَذَرِيتُه لكرامتهم عليه سبحانه، قال تعالى: وَلَقُدُ كُومِّنا بَيْنَ عَالَمْ...
 (الإسراء: ٢٧). وقيل: كل والد ومولود، ووالأكثرون على أن الوائد إبراهيم وإسماعيل عليهما السالام، والولد
 عممه ﷺ كانة قسم بيلام ثم بوالده ثم به، (١٠١).

إ - ألَقَا ْ طَلَقًا الْإِنسَانُ فِي كَبِد . الكهد: الشقة والنعب أي: أوجدت الإنسان في تعب ومعاناة في هذه الحياة، فهو في مشقة متنابعة من وقت احتباسه في الرحم إلى انفصاله، ثم إلى زمان رضاعه ثم إلى بلوغه، ثم ورود طوارق السراء، ويوارق الضراء، وعلائق التكاليف، وعوائق التمدن والتعيش عليه إلى الموت ثم إلى البحث، من المساح والمتاب والحيرة والحسرة، (١٠٠٦).

ونظير الآية قوله تعالى: يُتَناأَيُّهَا الْإِنسَسْ إِنَّكَ كَادِحٌ إِنِّي رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلْتَقِيهِ . (الانشقاق: ٦).

وقوله سبحانه: الَّذِي خَلَقَ الْمُوتَ وَالْحَيْوَةَ لِيَلُوكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً . . . (اللك: ٢).

٥ - ١٠ - أيخسبُ أَن لَن يُقْدِر عَلَيْهُ أَحَدُ * يَقُولُ أَهْلَكُتُ هَالا لَبَدا * أَيْحسبُ أَن لَمْ يَرُورُ أَحَدُ * أَلَمْ نَجَعُلُ لَهُ ر
 عَيْنِي * وَلِسَاناً وَشَفَيْنِ * وَهَدَيْنَهُ النَّجَدُينِ . ليدا: كثيرا، النجدين: الطريقين، وهما طريقا الخير والشر.

روى أن هذه الآيات نزلت فى بعض صناديد قريش، الذين كان رسول الله ﷺ بكابد منهم ما يكابد، وهو أبو الأشد أسيد بن كلدة الجمحى، وكان مفترا بقوته البدنية، وقيل: نزلت فى الوليد بن المفيرة (١٠٣)، وسواء اكانت هذه الآيات نزلت فى أحدهما أم فى غيرهما فإن مناها عام.

والمعشى:

ايظن ذلك الصنديد هى قومه، المفتون بما أنعمنا عليه، أن لن يقمر احد على الانتقام منه، وأن لن يكون هناك حساب وجزاء، فتراه يجحد القيامة، ويتصرف تصرف القوى القادر، فيطفى ويبغى، ويبطش ويظلم، ويفسق ويفجر، دون أن يتحرج، وهذه هى صفات الإنسان الذى يتمرى قلبه من الإيمان.

ثم إنه إذا دُعى للغير والبذل يقول: أَهَلَكُتُ مَالاَ لُبَدًا . وانفقت شيئا كثيرا، فعصبي ما انفقت وما بذلت، أيحسب أن عين الله لا تراه، وتعلم أن ما أعطاه الله له أكثر مما أنفقه، وتعلم أنه إنما أنفق رياء وسمعة، وطلبا للمحمدة بين الناس ؟

ثم بين الله جلائل نعمه على هذا الإنسان، وعلى كل إنسان فقال: أَلَّمُ نَجْعَلُ لَّهُ، وَعُبْسُ . بيصر بهما المرئيات، وَلسانًا وَشَعْضُ إِن مَعْسُونَ مِن مَعْسَمُ وليتمكن من الأكل والشراب، والنفخ والنطق، ومُعَنَّبُ التَّجْدُيْنِ . ليحدار أيهما شاء، ففي طبيعته الاستعداد لمعلوك طريق الخير أو طريق الشر، لأن الله منعه المقل والتفكير،

والإرادة والاختيار، وميزه على جميع المخلوقات، هالكون كله خاصّع لله خضوع القهر والغلبة، والإنسان هو المتهيز بالاختيار والحرية، ليكون سلوكه متسما بالمسئولية.

١١ – ١٣ – فَلَا الْعَحْمَ الْعَقْمَ هَ رَمَّا أَدْرَبْكُ مَا الْغَفْيَةُ هِ فَكُ رَفَّةٍ ، بعد أن بين الله جليل نعمه على الإنسان، ويضاصة الأغنياء، أخذ بحث أغنياء مكة على صلة الرحم، والعطف على المساكين، والمشاركة هي عتق الرقاب، والتخفيث عن المبيد والإماء.

وقد بدات الآيات بالدحث والتحريض على اقتحام العقبة، ثم استفهم عنها في أسلوب يراد به التفخيم والتهويل، ثم أجاب بانها فلك رقبة، وهي عتق العبد أو الإعانة على عتقه، والمشاركة في نقله من عالم الأرقاء إلى عالم الأحرار

١٤ - أَوْ إِطْعَنْمٌ فِي يَوْمِ ذِي مَسْفَهُ . أو إطعام جاثع في أيام عوز ومجاعة.

١٥- يُتِيمًا ذَا مُقْرِبَة . إطعام يثيم في يوم المجاعة ويخاصة إذا كان قريباً .

١٦ - أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَّةٍ ، أو إطمام مسكين عاجز عن الكسب، لصقت بطنه بالتراب من شدة فقره،

٧١ – فُمَّ كان من الَّذِينَ ءَاشُواْ وَتُواصُواْ بِالصُّبِّ وَتُواصُواْ بِالْمُرْضُوا ... المتقدمة الإيمان المتقدمة الإيمان المسلمان المتقدمة الإيمان المسلمان المتقدمة الإيمان المسلمان المتقدمة المسلمان الم

وتلحظ أن التواصى بالصبر أمر زائد على الصبر، ومعناه إشاعة الثبات واليقين والطمانينة بين المؤمنين. وكذلك التواصى بالمرحمة، فهو أمر زائد على المرحمة، ويتمثل في إشاعة الشمور بواجب التراحم في صفوف الجماعة، عن طريق التواصى به، والتعاض عليه، واتخاذه واجبا جماعيا شربيا في الوقت ذاته، يتمارف عليه الجميع، ويتعاون عليه الجميع، فعمنى الجماعة قائم في هذا التوجيه، لأن الإسلام دين جماعة، ومنهج أمة، مع وضوح التبعة الفردية والحساب الفردى فيه وضوحا كاملا.

أور المقال القرآن وحددها، هم أصحاب
 الميارة، وأهل الحظ والسعادة، وهم أصحاب اليمين الفائزون.

١٩ - وَالَّذِينَ كَفُرُوا بَعَلَيْتَا. وجعدوا دلائل قدرتنا، وإنكروا آيات الله العظام، من بعث وحساب، ونشرير وجزاء، وكذبوا بايات القرآن. هُمُ أَصُحُنُ الْمُشْتُمَا. هم آمسحاب الشمال، أو هم أصحاب الشوم والنحس والخسران. . ٢٠ - عليهم نار مؤصدة . يصلون نارا مطبقة عليهم، ومغلقة أبوابها لا يستطيعون الفرار منها. . وسيخلدون فيها .

هذه هي الحقائق الأساسية في حياة الكائن الإنساني، وفي التصور الإيماني، تموض في هذه السورة القسهرة، بهذه القوة ويهذا الوضوح، وهذه هي خاصية التعبير القرآني الفريد.

* * *

مقاصد السورة

- ١ -القسم بمكة وبالنبي الكريم ﷺ بيانًا لفضله.
- ٢ بيان ما ابتلى به الإنسان في الدنيا من النصب والتمب.
- ٣ اغترار الإنسان بقوته.
- ة تعداد أنعم الله على الإنسان، كالعين واللسان والعقل والفكر.
 - ٥ بيان سبيل النجاة الموصلة إلى السعادة.
 - ٦ الكفران بالآيات مبيل الشقاء،

ابتلاء الإنسان بالتعب، واغتراره بقوته وماله



﴿ لَا أَقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ ۞ وَأَنَ حِلَّ بِهَذَا الْبَلَدِ ۞ وَوَالِدِ وَمَا وَلَدَ ۞ لَقَدْ خَلَقَنَا أَلْإِنسَنَ فِي كَبَدِ ۞ أَيْعَسَبُ أَنْ لَنَ يَقْدِ رَعَلَيْهِ أَحَدُّ۞ يَقُولُ أَهْلَكُتُ مَا لَا ثُبَدًا ۞ أَيْعَسَبُ أَنْ لَمْ يَرُهُ أَحَدُّ ۞ أَلْمَ بَعْمَلُ لَهُ رَعَيْنَيْنِ ۞ وَلِسَانَا وَشَفَنَيْنِ ۞ وَهَدَيْنَهُ ٱلنَّجْدَيْنِ۞ ﴾

المفردات

لأ اقسم، و (لا) مزيدة.

به الباد، بمكة الكرمة.

حل به سنة البلد: حلال لك ما تمنع به يومثذ.

والله ومسسسا ولله، آدم وجميع ذريته، أو الصالحين منهم، أو إبراهيم وإسماعيل الوالد، والولد محمد ﷺ،

لقد خلقنا الإنسان في كبده جواب القسم، والكبد: النصب والمشقة ومكابدة الشدائد.

أهلكت مسالا لبسادا، كثيرا في المكرمات مباهاةً وتعاظما.

النب المناب الماريقي الخير والشر.

التفسير

١ - لَا أَقْسَمُ بِهَاذَا الْبَلَد.

· لَآ مَرْيِدَة، والمُفَى: أَفَسَم بِهِذَا البِلَد، وهي مكة أم الشرى، وبها البيت الحرام والكعبة النُّمُرُّفَّة، وهي قبلة المسلمين.

قال تعالى: وَمَنْ حَيْثُ خُرِجْتَ قُولٍ وَجُهَكَ شَطْرُ الْمُسْجِدِ الْحَرِامِ وَحَيْثُ مَا كُتُتُمْ فُولُوا وُجُوهِكُمْ شَقُرُور . . . (البترة: ١٥٠) وقد امر الله بالحج والطواف بالبيت العنيق، وهو أوّل بيت وضع للناس، بناء إبراهيم وساعده إسماعيل، ودعا إبراهيم ربّه أن يبعث فيهم رسولا منهم.

قال تمالى: ربّنا وأبعث فيهم رسُولاً منهم يتلوا عليهم وايسك ويعلمهم الكسب والحكمة ويركيهم إنك أنت العزيز الحكيم. (البقرة: ١٧٩).

٢ – وَأَنتَ حَلُّ بِهَـٰـٰذَا الْبَلَد .

وأنت يا محمد يا خاتم الرسل، مقيم بهنا البلد، مما يزيد من قيمته وأمميته، فهو من أحب البلاد إلى الله، وبه الكمبة والقبلة، وبه أيضا محمد ﷺ، صاحب الرسالة الأخيرة للبشرية.

وقيل، المنى: وأنت حيلال بهذا البلد الأمين الذي جعل الله هيه البيت الحرام، مثابة للناس وأمنا، ومن دخله كان آمنا، وحرَّم الله هيه صيد البرّ، وحرَّم هيه العدوان على شجر الحرم، وجعله منطقة سلام وأمان، ومع هذا فإن أهل مكة يستحلون العدوان عليك، ويتهمونك بالسجر والكذب والجنون، ويؤثونك أنت وأصحابك، حتى يضطروهم للهجرة إلى الحيشة مرتين، وإلى المدينة الناورة بعد ذلك.

وقيل: المنى: إن الله سيفتح لك مكة ويجملك حرًّا في التمدرف في أهلها، ويحلّ لك اقتحامها ساعة من نهار، ويحلّ لك التصرف في أهلها بعد الفتح.

٣ - ووالد وما ولد .

أقسم بكل والد ويما ولده، حيث يتم توالد الحياة وإبداعها بين الأصول والقروع، من الشجر والحيوان والإنسان.

وقيل: القسم بآدم وذريته.

وقيل؛ القسم بإبراهيم وإسماعيل وهما الجدُّان البعيدان لمحمد ﷺ، ويالولد وهو محمد ﷺ، حيث تولد رسالته التي هي خاتمة الرسالات، وفيها خلاص البشرية.

٤ - لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي كَبَد .

وهذا هو جواب القسم .

أى: لقد خلفنا الإنسان هى مشقة ومعاناة طويلة، حيث يمر بمراحل هى بطن أمّه، ويمراحل متعددة هى , انتقاله من الطغولة إلى الفتوّة، إلى الشباب والرجولة والكهولة والشيخوخة، ثم المرض وللوت وحياة القبر والبعث والحماب، والميزان والصراط، والجنة أو النار . والكبد: المشقة والجهد والماناة التي يمر بها الإنسان في حياة الدنيا، وحياة الآخرة.

وإذا سئال مسائل وقبال: لماذا أقمدم الله يمكة ويعياة النبي ﷺ بهنا، ويكل والد ومنا ولد، على أنه خاق الإنسان في كبد ومشقة ومعاناة ؟

كان الجواب: نزلت هذه الآيات والمؤمنون بمكة يتصرضون للأذى والاضطهاد، ويقاسون صنوف التمذيب والآلام، فكان القرآن يقول:

تلك ضبريية الحياة، وهي الكبد والشقة، ولأن تكون المشقة في أمر عظيم، هو نشر رسالة وإحياء دعوة. إفضل من أن تكون في سبيل عرض من أعراض الدنياً .

وطعمر الموت في شوع حقيم

٥ - أَيْخُسُبُ أَن لَن يَقْدرَ عَلَيْهُ أَحَدٌ .

كثيرًا ما يأخذ الإنسان القرور بقوته أو مائه، أو حمديه أو نسبه، مع أن الإنسان خلق ضعيفاً، وإن بموشة تلسعه فريما أصيب بالحمى، وإن جرثومة تتسسس إلى كيانه لتهذّ بنيانه وتقوض أركانه، لقد أراح الله الحيوانات من الفكر وحساب المستقبل، أما الإنسان هإنه يعيش في المستقبل أكثر مما يعيش في الواقع، وهو في مصيرته بين الضعف والقوة.

قال تمالى: اللهُ الله خلقكُم مَن ضعف ثُمُ جَعَلَ مِن يعْد ضَعْف قُرَّة ثُمُّ جَعْلَ مِن يعْد قُرَّة ضَعْفُ وَشَيَّهُ يَعْقَقُ مَا يَضَاءُ ... (الرورة 10)

وقال تعالى: وْخُلق الْإِنسَنْنُ صَعِيقًا . (النساء، ٢٨)

وقد ذُكر هن أسباب النزول أن الآية نزلت هن أحد كفار قريش الأشدًاء، فقد افتخر بقوته وادعى أنه قادر على الانتصار على عدد من زيانية جهنم. والآية مع ذلك عامة فى كل مغرور بمافيته أو ماله أو جاهه، حين يظن أن الله تعالى لن يقدر عليه.

٦ - يَقُولُ أَهْلَكُتُ مَالاً لَّبَدًا .

لقد أنفق أموالا كثيرة هي نزواته وشهواته وملذاته، فإذا دُعي إلى خير أو مساعدة هي ممروف، يقول: لقد أنفقت أما الأكثرة.

٧ - أَيْحُسُبُ أَنْ لُمْ يُرَهُرَ أَحَدٌ .

أيظن أن عين الله لا تراه، وتعلم سرَّة ونجواه، وتطلع على المسرّ وما هو أخفى من السَّر، ها الله خبير بالإنسان وما في داخله، وهو عليم بما توسوس به نفسه، وهو خبير بالبواعث التي حملته على إنفاق هذا المال، وهو سبحانه سيحاسبه يوم القيامة على الرياء والنفاق، وعدم إخلاص النبة للخالق الرقيب الحصيب.

وهناك آراء للمفسرين في تفسير الآيتين السابقتين من بينها ما يأتي:

١ - يقول هذا المفرور بقوته، وهو أبو الأشد أسيد بن كلدة الجُمعى، أو الوليد بن المفيرة، أو أضرابهما: لقد أنفقت مالا كثيرا في عداوة محمد وفي إيذاء أتباعه، وفي غير ذلك من الوجوء التي كان أهل الجاهلية : يظنونها خيرا، وما هي إلا شر معض.

ولما اللبيَّة: هو المال الكثير الذي نتبِّد، والتصق بعضه ببعض لكثرته، وهو جمع تُبِّدة، وهي ما تلبِّد اي تجمع والتصق بعضه ببعض.

أَيْحُسُبُ أَنْ لُمْ يُرِهُ وَ أَحَدٌ .

أي: أيظن هذا الجامل المدوور حين أنفق المال الكثير في الماصي والسيئات، أن الله تعالى لم يطلع عليه، إنه سبحانه مطلع على كل شيء، وسيحاسبه على ذلك حسابا عسيرا.

٢ – وقيل: المراد بالآيتين الأغنياء البُغلاء المراءون الذين يكترون أموالهم ولا ينفقونها إلا على شهواتهم. وفي توفير نذأتهم، وإذا حُملوا على عمل من أعمال الخير قالوا: إننا ننفق أموالا كثيرة في أعمال أخرى. أفيحسب هؤلاء أن عين الله لا تراهم، وأن سرائرهم وضمائرهم ليست مكثوفة أمام الله سبحانه وتعالى (١٠٠٠).

ثم ذكر الله تعالى أنواع نعمه على الإنسان ليتعظ ويعتبر، فقال:

٨ - أَلَمُ نَجُعُلُ لَهُ رَعْيِنِينَ .

الم يشامل في خلق الله له حيث جمل له عينين يقرأ بهما، ويرى بهما، ويشامل بهما هي ملكوت السماوات والأرض، ويرى بهمــا النور والطلام، وبيــاص النهــار وظلام الليل، وحــركة الشممس والقــــر، والوان الخــلائق وأوصافها، وأحامل المينين بفطاء به رموش تقفل عند النوم، وعند الرغبة هي غض البصر.

٩ – ولسانًا وشَفَتُيْن .

أي: جعل الله للإنسان اسانا يتكلم يه، ويقرأ القرآن، ويمبَّر عن نفسه، ويقدم النصيحة، ويأمر بالعروف، و ويفعى عن المتكر، وجـ على اللمسان داخل شــفـتين لضبـبط الكلام والنطق بما هو نافع، وحَــيِّس اللمسان عن اللهو والباطل، ،

١٠ - وَهَدَيْتُهُ النَّجُدَيْنِ .

بينا له طريق الخير والشر، والهدى والضلال، ليختار الخير والهدى، ويتجنب الشرُّ والضلال.

والشَّعِنُهُ: الطريق المُرتفع، فكالأهما طريق وعر صعب، الخير والشَّر، يحتاج الإنسان إلى همة وعزيمة وإرادة ليختار الطريق ويتابر عليه.

ووليس سلوك طريق الشرّ بأهون من سلوك طريق الخير، بل الغالب أن يكون طريق الشرّ أشق وأصعب وأحوج إلى الجهدء (1¹⁰).

شطريق الخير متفق مع الفطرة، مع الهداية، مع طاعة الرحمن، مع الأنسجام مع هذا الكون الذي خضع لله وسجد له وسبّع بعمده، وكذلك المُؤمن يسبّع بعمد الله، وهذاك العصاة والمردة والخارجون على طاعة الله، حيث يستعقون غضب الله في الدنياء ويستعقون العقاب في الآخرة.

هَال تمالى: أَنَّمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ, مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمْرُ وَالشُّجُومُ وَالْجَالُ وَالشَّجُرُ وَالدُوْآبُ وَكُثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَبِرٌ حَقَ عَلَيْهِ الْمُذَابُ وَمَن يَعِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ, مِن مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفَعْلُ مَا يَشَاءُ.

(الحج: ۱۸)

تلك منزُ الله علينا، ومن هذه النن أن جعل الهداية والإيمان، والاستقامة والمقه والنزاهة، وهذا المامورات واجتناب المفهات، عن إرادة الإنسان واختياره، وريط الثواب والعقاب بالطاعة أو المصية، فكل عامل يجزى ثمرة ما زرع هي دنياه، ومن جدّ وجد، ومن زرع حصد.

جهات الخير والبر

﴿ فَلَا اَفْتَحَمُ الْمُفَيَةُ اللهُ وَمَا أَدَرَكُ مَا الْمُفَيَةُ اللهُ وَكُرُوبَةٍ اللهُ أَوْلِطُمَادُ فِي وَوِدِى مَسْمُغَيَّةٍ فَيَ يَسِمُا ذَا مُقْرِبَةٍ اللهُ أَوْلِمِكَ أَوْمِسْكِينَا ذَا مَثَرَيَةٍ اللهُ ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ ا مُوَاصَوْلِهِ الْمُرْمَةِ اللهِ أَوْلَكِكَ أَصَحَابُ الْمُنْمَةِ اللهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِنَا يَئِنِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمُشْتَمَةِ مُعَلَيْهِمْ اللهُ وَصَلَالُهُ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهُ

الفردات

اقتحم الشيء: دخل فيه بشدة.

مستقيلة مجاعة.

مستقسسرية، قرابة في النسب، تقول: فلأن من ذوى قرابتي، ومن أهل مقربتي، إذا كان قريبك نسبا.

المت ويده الفقر، تقول: ترب الرجل، إذا افتقر، وأترب، إذا كثر ماله حتى صار كالتراب.

تواصوا بالصين نصح بعضهم بعضا به،

الي منه: طريق النجاة والسمادة

الشاء الشقاء

مسؤسسدة، مفلقة ومطبقة.

التفسيره

١١ - فَلَا اقْتَحُمُ الْعَقَبَةَ .

. هلًا عمل الإنسان – الذي أنهم الله عليه بالنظر والسمع واللسان والعقل – على اقتحام عقبة الآخرة. والانتقال إلى دائرة الناحان الداخلين الجنة.

١٢ - وَمَا أَدْرَنْكَ مَا الْعَقَبَةُ .

وما أخبرك ما شائها وعظيم أمرها، والمراد أنها شيء عظيم يستحق أن يسمى الإنسان إلى شعله. والشاركة في أعمال الخير وهي تقسير لاقتعام العقبة.

١٣ - فَكُ رَفَّةٍ .

أى: إن المقية التى يجتازها الإنسان لينتقل من أهل النار إلى أهل الجنة، تتمثل هي همل الأمور الآتية: ذك رقبة، أي إعتاق الرقيق، أو المساعدة هي تحريره لينتقل من المبودية إلى الحريّة، وقد حثّ القرآن على تحرير الأرقاء، وكذلك السَّنَّة المطهرة، كما حثّ الإسلام على الإحسان إلى الأرقاء، وإكرامهم وحسن معاملتهم، فهم مُثِّنًا من بني آدم.

قال ﷺ: داخوانكم خولكم (خدمكم) جملهم الله تحت أيديكم، همن كان أخوه تحت يده، طيطممه مما يأكل، وليلبسه مما يليس، ولا يضرب الوجه ولا يُعَيِّع، (٢٠١١).

١٤ - أَوْ إِطْعَلْمٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْفَيَةٍ .

أو تقديم العلمام للجنائح المكروب المجهد، وهي الحديث الشريف يقول ﷺ: من أطعم جائما اطعمه الله من ثمار الجنة»، ويقول ﷺ: «من موجبات الرحمة إطعام المسلم السفيان، أي: الجائح المُجّهد، رواء الحاكم وصحعه.

والمراد تقديم الطعام والمعونة للفقراء والمحتاجين عند المجاعة واليؤس والحاجة.

١٥ - يَتِيمَا ذَا مَقْرَبَة .

أى: أطعم هى أيام جوع وقحمك يتيما هقد أباء، وله صلة قرابة، فإطعامه له ثوابان أو أجران: أجر الإطعام، وأجر صلة الرحم وإكرام اليتيم.

وقد وصَّى القرآن الكريم بالبتيم، وأمر بالمحافظة على ماله، وأمر برعايته وتثمير أمواله، ومخالطته بالمروف، وحدُّر القرآن من آكل مال اليتيم.

كما جاء في السنة المطهرة الحثّ على إكرام البتيم والمطف عليه، حتى ينشأ كريما عالى الهمة، نافعا لأسرته ولأمتّه.

١٦ - أَوْ مسكينًا ذَا مَثْرَبَة .

أو أطعم بماله ومعونته مسكينا التصنت يطنه بالتراب من شدة حاجته، فعاونه وساعده، ويســر له أسباب المونة والمساعدة، حتى يقت على قدميه ويتكسّب بيديه، والله في عون العبد ما دام الميد في عون أخيه.

والخلاصة:

إنَّ الله أنمم على الإنسان بالنمم، فهادَّ شكر الله، واقتحم مقية الآخرة وأموالها بالمساهمة في عنق الرقيق، أو إطعام اليتيم القريب، أو إطعام المسكين الجهد، إن هذه الأعمال ثوابها جليل في الآخرة، تُبعد. صاحبها من النار، وتيمَّر له دخول الجنة.

١٧ - ثُمُّ كَانَ مِنَ اللَّهِينَ عَامَنُواْ وَتُوَاصَواْ بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَواْ بِالْمَرْحَمَة .

إن الأعمال السابقة لابد لقبولها من أن يكون شاعلها من المؤمنين بالله رباء ويالوسالم دينا، ويمعمد ﷺ نبيا ورسولا، ومن الذين تواصوا بالصبر، وحث بعضهم بعضا على الصبر، وتواصوا بالرحمة والمطف، ومدّ يد . المناهدة للمحتاجين، وتلمح أن المؤمن مطالب بالصبر، ومطالب بالحث عليه، وتوصية الآخرين به.

قال تمالى: وَالْفَصْرِ » إِنَّ الْإِنسَانَ لَهِي خُسْرِ » إِلاَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُواْ الصَّلِحَتِ وَتَوَاصُواْ بِالْحَقِّ وَتَوَاصُواْ إِ بِالعَشْرِ . (العمد: ١-٣)

إن الإيمان تصفان: تصف صير، وتصف شكر.

ومن سمة الأمة المؤمنة: الأصر بالمروف والنهى عن المنكر، ومن المعروف: التواصى بالصبير، وطول اللَّشَين في الجهاد والكفاح، والممير على الحلال، والبعد عن الحرام، ومن التواصى بالمرحمة إنشاء الجمعيات الخيرية لإعانة المحتاجين، وكفالة البتامي وتشفيلهم وتعليمهم، وحث الناس على التراحم.

قال ﷺ: دترى المسلمين هي توادّهم وتراحمهم وتماطفهم كمثل الجسد. إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمي، (۱۰۷).

وقال ﷺ: ممن نفَّس عن مُومن كرية من كرب الدنيا نفّس الله عنه كرية من كرب يوم القيامة، ومن يسرّ على معسر يسرّ الله عليه هي الدنيا والآخرة، ومن أملمم جائما أطعمه الله من ثمار الجنة، ومن كسا عريانا كساه الله من المندس الأخضر يوم القيامة، والله هي عون العبد ما دام العبد هي عون الحيه (^٠٠٠).

١٨ - أُولْكَتُكُ أُصِحْكِ الْمَيْمَنَة .

أونتك الذين آمنوا وأعتقوا الرقاب، أو أطعموا اليتامى الأقارب لهم، أو أطعموا المساكين المحتاجين، هؤلام إصحاب الميمنة، أى أصحاب اليمين في الجنة، كما مرَّ في صورة الواقعة أن الناس يوم القيامة ثلاثة فرق:

- ١ -- السابقون.
- ٢ أصحاب اليمين.
- ٣ أصحاب الشمال،

قال تدالى: وأصحَّبُ النَّجِينِ مَا أَصْحَبُ النَّجِينِ هِ فِي سِدْرِ مُخْضُودِ هِ وَطَلْحِ مُنشُودِ هِ وَطَلِ مُمُدُودِ وَمَامَ مُسكُوبٍ هِ وَقَلَكُهِمْ كَثِيرَةِ هِ لَا مَقْطُوعَةَ وَلا مَمْنُوعَةِ هِ وَلُوهِمِ مُرافُوعَةِ هِ إِنَّا أَنشَأَنْهُنَّ إِنشَاءً * فَجَعَلَتْهُنُ أَبْكَارًا * عُرِيّا أَوْرَابًا * إِلَّاصُمْتُ الْبَعِينِ . (الواقدة: ٢٧-٢٨).

١٩ - وَالَّذِينَ كَفَرُواْ بِثَايَلْتِنَا هُمْ أَصْحَلْبُ الْمَشْتُمَةِ .

الذين كفروا بآيات الله الكوتية، في خلق الكون والمعماء والأرض، والليل والنهار، والشمس والقمر، وكفروا بآيات الله التشريمية التي أنزلها على رسله، لدعوة الناس إلى الإيمان بالله وباليوم الآخر، هؤلاء هم أصحاب الشمال الذين يدخلون جهتم، ويمثّرون فيها بأشد آلوان العذاب.

قال تعالى: وَأَصْخَبُ الشَّمَالِ مَا أَصْخَبُ الشَّمَالِ هِ فِي سَمُومِ وَحَمِيمٍ ﴿ وَظِلْ مَن يَحْمُومُ ۗ لا بادِ ولا تَوْمِ إِنْهُمْ كَانُواْ فَلَلْ مَنْدُوفِنَ ﴿ وَكَانُواْ يُصِرُّونَ عَلَى الْحِثِ الْفَظِيمِ ﴿ وَكَانُواْ يَقُولُونَ أَلِنَا مِشَا وَكُنَا تُواَبَا وَعَلَمُا أَبَانًا لَمَنْهُ وَلَنَ ﴾ إذَ عَالَوْنَا الْوَرْفِقَ فَلَ إِنَّ الْوَكُونَ وَالْآخِوِينَ ﴿ لَمُجْمُوعُونَ إِنِّي مِيقَت لَمَنْهُ وَلَنَ ﴾ إذَ عَالَوْنَا الْوَرْفِقَ فَلَ إِنَّ الْوَكُونَ وَالْآخِوِينَ ﴿ لَمُجْمُوعُونَ إِنِّي مِيقَت

٢٠ – عَلَيْهِمْ نَارٌ مُؤْصِدَةً .

أى: عليهم نار مغلقة، لا يستعليمون الفكاك عنها، ولا الخروج منها، وهم خالدون هي النار خلودًا أبديًّا سرمديًّا.

وجاء في تفسير ابن كثير:

عَلَيْهِمْ نَارٌ مُؤْصَدَةً .

أي: مطبقة عليهم، فلا محيد لهم عنها، ولا مخرج لهم منها.

وقال مجاهد: أوصد الباب: أغلقه.

وقال قتادة، مُؤْصِدة . مطبقة، فلا ضوء فيها ولا فُرج، ولا خروج منها آخر الأبد.

اللهم أحرنا من النار ومن عذاب النار، آمين.

* * *



أهيداف سيورة الشهيسين

(سورة الشمس مكية ، وآياتها ه ١ آية ، نزلت بعد سورة القدر)

وهي سررة قصيرة نات قافية واحدة ، وإيقاع مرسيقى واحد ، تتضمن عدة لمسات وجدانية تنبئق من مشاهد الكرن وظواهره التى تبدأ بها السورة ، والتي تظهر كأنها إطان للحقيقة الكبيرة التي تتضمنها السورة ، حقيقة النفس الإنسانية واستعدادها الفطرى ، ودور الإنسان في شأن نفسه ، وتبعته في مصيرها .. هذه الحقيقة التي يربطها سياق السورة بحقائق الكون ومشاهده الثابتة .

«كذلك تتضمن قصة ثمرد وتكذيبها بإنذار رسولها ، وعقرها للناقة ، ومصرعها بعد ذلك وزوالها ، وهى نموذج من الخيبة التى تصيب من لا يزكى نفسه ، فيدعها للفجور» "" ، ولا يلزمها تقواها ، كما جاء في الفقرة الأولى من السورة : قَدْ أَلْلَحَ مُن رَكِّهَا هِ وَقَدْ خَابَ مَن دَسُنْهَا . (الشسى: ١ - ١ . ١) .

مع آيات السورة

لله تعالى كتابان: كتاب مقروء وهو القرآن الكريم، وكتاب مفتوح وهذا هو الكون العظيم، ومشاهد الكون تأسر القلب، وتبهج النفس، وترقظ الحس، وتنبّه المشاعر.

«ومن ثم يكثر القرآن من توجيه القلب إلى مشاهد الكون بشتى الأساليب فى شتى المواضع ، تارة بالترجيهات المباشرة ، وتارة باللمسات الجانبية ، كهذا القسم بثلك الخلائق والمشاهد ، ووضعها إطارًا لما يليها من المقاقق» (٥١٠ .

- ١ أقسم الله بالشمس ، وينورها الساطع في وقت الضحى ، وهو الوقت الذي يظهر فيه ضوء النهار ،
 ويتجلى نور الشمس ، ويعم الدفء في الشتاء ، والضياء في الصيف ، قبل حر الظهيرة وقيظها .
- وأقسم الله بالقمر إذا جاء بعد الشمس ، ينوره اللطيف الهادئ الذي يغمر الكون بالضياء والأنس والجمال .

- وأقسم بالنهار إنذا أظهر الشمس وأتم وضوحها ، وللنهار في حياة الإنسان آثار جليلة ، ففيه السعى
 والحركة والنشاط .

٤ ~ وأقسم الله بالليل إذا غشى الكون ، فغطى ظلامه الكائنات ، وحجب نور الشمس وأخفاه .

ه - وأقسم الله بالسماء ومن قدِّر خلقها ، وأحكم صنعها على النحو الذي نشاهده .

٢ - وأقسم الله بالأرض ، والذي بسطها ومهدها للسكني .

لقد جمع القسم بين ضياء الشمس ونور القمر ، وضوء النهار وظلام الليل ، وارتفاع السماء ويسط الأرض ، ونلحظ في هذا القسم المقابلة بين الثور والظلام ، ويين السماء والأرض ، مما يلفت النظر إلى بديم صنع الله ، وجليل وحيه وإعجاز كتابه .

٧ - ١٠ - وَلَفْس وَمَا سَوَّالَهَا ، فَأَلْهَمْهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَلَهَا ، قَدْ أَقْلُحَ مَن زَكَّنهَا ، وَقَدْ حَابَ مَن دَسَّلهَا .

خلق الله الإنسان مزوبا باستعدادات متساوية للخير والشر والهدى والضلال ، فهو قادر على ترجيه نفسه إلى الخير وإلى الشر.

لقد خلق الله الإنسان بيده ، ونفع فيه من روحه ، وأسجد له ملائكته ، وزوده بالعقل والإرادة ، والحرية والاختيار . وقد بين الله للإنسان طريق الهدى وطريق الضلال ، وأودع في النفس البشرية أصول المعرفة ، والتعييز بين الحق والباطل ، فمن حمل نفسه على الاستقامة وصانها عن الشر فقد رُزق الفلاح والسداد ، ومن أهمل نفسه واتبع شهواته ، وأرخى العنان لنزواته فقد خاب ، لأنه هوى بنفسه من سمو الطاعة إلى حضيض المعصية .

١١ ~ ١٥ – كَذَّبَتْ لُمُودُ بِطَعْمُو لِهَا ۚ وَإِذَ ٱلنَّهَتَ ٱلشَّفَاقِ وَلَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ نَافَةُ ٱللَّهِ وَسُقَيْنَهَا وَ فَكَذَّيُوهُ فَعَقُرُوهَا فَنَسْتَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِدَنْجِهِمْ قَسَوْ سَهَا ء وَلاَ يَمَاكُ مُقْبَنِهَا .

ذُكرت قصة ثمود في مواضع كثيرة من القرآن الكريم ، وقد ذكر هنا طغيانها وعتوها على أمر الله ، وقد أعطى الله ، وقد حدوم ، وتحلب لهم البنا يكفيهم جميمًا في ذلك الايوم ، ثم يشريون من الماء في الايوم التالي ، وقد حدوهم رسول الله صالح من الإساءة إلى الذاقة ، ولكنهم خالفوا أمره ، وذهب شقى منهم فعقر الناقة ، ولما سكتوا عنه صالوا كأنهم قد اشتركوا معه ، لأنهم أهملوا التناصح ، ولم يأخذوا على يد الظالم : فَدَمُنْهُمُ مُلْهِمْ رَبُّهُم
ساروا كأنهم قد اشتركوا معه ، لأنهم أهملوا الله القبيلة بالأرض ، أي دمر مساكنها على ساكنيها .

وَلاَ يَكَافُ عُقْبُنُهَا . أَى أَن الله أهلك القبيلة دون أن يخشى عاقبة ما فعل ، لأنه عادلَ لا يخاف عاقبة ما يفعل ، قويُّ لا يخاف أن يناله مكروه من أحد ، تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا .

مقاصد السورة

 ١ - القسم بالشمس والقمر ، والنهار والليل ، والسماه والأرض والنفس ، على أن من ملهر نفسه بالأخلاق الفاضلة فقد أفلع وفاز ، ومن سلك طريق الهوى والغواية فقد خاب وشقى .

٢ - ذكر ثمود مثلاً لمن دسي نفسه فاستحق عقاب الله .

+ + +

جزاء إصلاح النفس وإهمالها



﴿ وَالنَّمْسِ وَضَّعَهَا ۞ وَالْقَمَرِ إِذَالَهُمَا ۞ وَالنَّهَارِ إِذَاجَلَهُمَا ۞ وَٱلَّتِل إِذَا يَعْشَهُمَا وَالسَّمَآةِ وَمَا بَنَهَا ۞ وَٱلْأَرْضِ وَمَا طَمُهَا ۞ وَتَقْسِ وَمَا سَوَنِهَا ۞ وَٱلْمَمَهُ الْجُورَهَا وَتَقُونَهُمَا ۞ قَدْ أَقْلَمَ مَن رَكَنْهَا ۞ وَقَدْ عَابَ مَن دَسَنِهَا ۞ ﴾

المفردات ا

فصحافاء شحى الشمس ضوؤها .

جسلاهساء أظهرها

يسقشاها ويعطيها ويحجب نورها.

طحماها ومأأها وجعلها فراشا

دسياها: التدسية: النقص والإخفاء.

التفسيره

١ - وَٱلشَّمْسِ وَصَّحَلَهَا .

أقسم بالشمس التي تملأ الكون بالنور والضياء والنفء ، وتمدّ الكون بأشعتها ، وتساعد في نمو الإنسان والميوان والنبات والمخلوقات ، وأقسم بالضحى حيث تكون الشمس مطرقة دافئة في الشتاء ، متوسطة الحرارة في الصيف، فهما قسّمان:

الأول : قُسَمٌ بالشمس .

الثاني : قَسَمٌ بالضحي .

وقد شُرعت صلاة الضحى كشكر لله على نعمه ، في إمداد الكون بالنور والضوء ليعمل الناس ويبحثوا عن أسباب الرزق.

٢ - وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَـٰهَا .

وأقسم بالقمر إذا جاء بعد الشمس ، خصوصًا عندما يكون بدرًا كاملاً ، في الليالي البيض التي يشتد نور القمر فيها ، حتى يصبح الليل نورًا أبيض ، وهي ليالي الثالث عشر ، والرابع عشر ، والخامس عشر من الشهر العربي ، ومن السُّنَّة صيام الأيام البيض كشكر لله على هذه النعمة ، نعمة اكتمال القمر ، واتساع نوره ، وقرّة ضيائه ، وجمال لونه ، وقوة إضاءته ، وعظيم مناجاته ، كأنما القمر دليلً لعشاق الكون وعشاق الطبيعة ، حيث يتأمُّون في هذا الجمال الذي لا نهاية له ، فسبحان الخلاق العظيم .

قال تعالى : وَٱلَّهٰلِ وَمَا وَسَقَى ، وَٱلْقَمْرِ إِذَا ٱلسَّقَ . (الانشقاق: ١٨، ١٧) .

أي : وأقسم بالقمر إذا تكامل نوره وصار بدرًا كاملاً .

٣ ~ وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا .

وأقسم بالنهان إذا طلع ، وملاً الثورُ الكون ، وجلَّى النفس وأطهرها كالعروس في السماء ، حيث تظهر الشمسُ ما في هذا الكون من نبات وحيوان وإنسان ، ويحر ونهر وظل ، لتكون عونًا للإنسان في التعرُّف على ما في هذا الكون العظيم .

\$ ~ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَفْشَلْهَا .

وأتسم بالليل الذي يُعْطَى الكون ، ويغشى خلامه الكاتنات فيسترها ويغطيها ، ويغشاها فيعتد الخلام ، ويهجم الناس ، وتسكن الجوارح ، وتنام العيون ، ويكون الليل فرصة للهدوء والسكن ، والنوم وراحة الأعصاب ، ولو استمر النهار لتعب الناس وكلَّت الجوارح ، وصعب النوم المريح المستقر ، ولو استمر الليل لتمطلت المصالح ومل للناس من الظلام .

قال تعالى: وَمِن رَّحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّذِلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُواْ فِيهِ وَلِتَبْتَقُواْ مِن فَصْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ . (القصص: ٧٣).

ومن رحمة الله أنه لم يجعل الليل دائمًا ، ولم يجعل النهار دائمًا ، بل جعل اللهل ليسكن فيه الناس، وجعل النهار ليعمل الناس ويبحثوا عن أسباب الرزق ، ولعلَّ الناس أن تدرك فضل الله عليها في تعاقب الليل والنهار ، والشمس والقمر ، والظلام والنور ، فيشكروا الله على تسخير هذا الكون بهذا الجمال وذلك الإبدام .

ه - وَٱلسَّمَاءِ وَمَا بَنَلْهَا .

أى: وأقسم بالسعاء وبالله الذى رفعها وأحكم بناءها، وجعلها سقفًا محفوظًا، مرتفعًا ممتدًا، ليس به خلل ولا اضطراب، بل به الإحكام وقوة البناء والتماسك، في نظام الشمس والقمر والكواكب والبروج، وحركة النجوم ومواقعها، بحيث لا يحدث اضطراب أن خلل، بل كلَّ في ظلك يسبحون، كل نرة ومجرة، كل مرجود قد أخذ طريقة، فالشمس والقمر والفضاء والهواء، والملائكة والنجوم والكواكب والمجرات والبروج، وكل كائن قد عرف طريقة، وأحكم الله خلقه، وقدَّره تقديرًا وأبدعه إبداعًا، مَّا تَرَى عَلِي تَطْتَى آلرَّحَمْن مِن تَشَوَّبُ ... (الملك: ۲).

٣ - وَٱلْأَرْضِ وَمَا طَحَلْهَا .

وأقسم بالأرض وبالله الذي طحاها ، أي بسطها وذلكها ، ويسّر فيها أرزاقها ، سواء كان ذلك بالزراعة أو التجارة أو الصناعة أو السياحة ، وغير ذلك مما فيه استغلال ظاهر الأرض ، أو باستخراج المهاء الجوفية والبترول والكنوز والحديد ، وسائر ما يستفاد به من باطن الأرض ، فالله يقسم بالأرض ، وبالله الذي خلقها وذللها ، وقدر فيها أقواتها وأرزاقها ، فتهارك الله أحسن الخالقين .

٧ - وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّ عَهَا .

وأقسم بالنفس البشرية ، وهي نفس آدم عليه السلام ، ويائله تمالى الذي خلقه وسواه ، أن أقسم بكل نفس مخلوقة ، وبالله الخالق الذي أبدع النفس البشرية على غير مثال سابق ، فزوّد الإنسان بالعقل والإرادة والاختيار ، والقدرة على اختيار طريق الخير أو طريق الشر.

كما قال سبحانه : وَهَلَيْنَكُ ٱلنَّجُلَيْنِ . (البلد : ١٠).

وقال عز شأنه: إنَّا هَلَيْنَكُ ٱلسِّبيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كُفُورًا . (الإنسان: ٣).

٨ - فَأَلْهُمُهَا فُجُورَهَا وَتَقُولُهَا .

فأودع فيها أسباب الفجور وأسباب التقوى ، بأن خلق الإنسان مززّدًا بالقوة والطاقة ، والقدرة على اختيار الفجور ، أو لفتيار التقوى ومراقبة الله ، وطاعة أمره واجتناب نواهيه .

٩ - ١٠ - قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّنهَا ، وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّنهَا .

هناك رأيان في تفسير هذه الآية :

الرأى الأول : إنها جواب القسم ، أى : أقسم بالشمس والقمر ، والنهار والليل ، والسماء والأرض والنفس ، لقد أقلح من زكّى نفسه وطهّرها ، وسما بها إلى الخير ، وحبسها عن الشرّ ، فأطاع الله والتزم بالصيام والصلاة وسائر الطاعات ، وابتعد عن الخمر والريا والزنا وسائر المحرمات ، ولقد خاب من غمس نفسه في الشهوات والملذات وسائر المعاصى ، فهبط بنفسه إلى الحضيض .

ومعنى : دُسُنَهُا . تقصها وغسها وأخفاها بالفجور ، لقد أذل نفسه وغمسها بالفجور ، وسترها بالمعامى ، فعجزت عن التطلع إلى الملأ الأعلى ، وارتكست فى أنواع الشهوة والشرور ، أى أن بيد الإنسان أن يسعو بنفسه إلى الخير ، وأن يهبط بها فى مستنقع الرذيلة ، والله تعالى يقسمُ بمخلوقاته وبمن علقها وهو الله عز رجل ، على أن الفلاح لمن زكّى نفسه وطهرها ، وأن الخيبة لمن دسّى نفسه ، وهجبها عن الطهر والندو والتعلق وحلال الله العلى الكبير .

الرأى الثاني : هذه الآية ليست جواب القسم ، وإنما ذكرت استطرائًا للقسم بالنفس ويمن سرًّاها ، وجواب القسم محذوف ، دل عليه ما بعده وهو : كُلْبَتْ ثُعُوفُ يَعْلُسُ لِنهَآ . إلى آخر السورة .

وتقدير الجواب: لتبعثنُ ، أو لتكافؤنُ على الإحسان إحسانًا ، وعلى السوء سوءًا ، أو ليُدُمُدُنُ الله على الظالمين في الدنيا ، وليعاقبنُهم يوم القيامة ، كما فعل بثمود حين عقرت الناقة وعتت عن أمر ربّها .

قال المفسرون :

وفي القسم بهذه الكائنات حتّ للإنسان على التأمل في هذا الكون ، والتطلع إلى بديع صنع الله في خلق الشمس والقمر ، والليل والنهار ، والسماء والأرض والنّنس .

قصية ثمود

﴿كَذَّبَتْ نَنُودُ بِطَغَوَنِهَا ۞ إِذَانُبَعَثَ أَشْقَنَهَا ۞ نَقَالَ لَمُمُ رَشُولُ ٱللَّهِ نَاقَفَا اللَّهِ وَشُقِيْهَا ۞ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْ نَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَلْبِهِمْ فَسَوَّنَهَا ۞ وَلَا يَعَانُ عُقْبَهَا ۞ ﴾

المفردات:

شيم نبود؛ قوم من العرب البائدة ، بعث الله إليهم ذبيه ممالحًا عليه السلام .

بطفسواها ، بطغيانها .

و الناقة .

ست يساها الرابها الذي اغتصها به في يومها .

فسعسقسروها ، فذبحوها ، والعاقر واحد ونُسب إليهم جميعهم لرضاهم يه .

دمدم عبليهم ، أطبق عليهم بالعذاب .

سيواهيه ، فسرى التبيلة في العقرية ، فلم يغلت منها أحد .

هسقسيسا هساء عاقبة الدمدمة وتبعتها .

تمهيد:

ثمود هم قرم نبيّ الله صنالح عليه السلام ، من العرب البائدة ، أعطاهم الله الثاقة آية ميصرة ، تشرب في يوم وحدها ، فترويهم جميعًا باللبن ، ويشريون هم ماه النهير في يوم آغر ، وقد حذّرهم نبي الله صنالح من للحدوان على الثاقة ، أن على الماء الذي خُصُّص لها في يوم معين ، وحذَّرهم أن الحذاب سينزل بهم إذا خالقوا أمر الله .

التفسيره

١١ - كَذَّبَتْ لَمُودُ بِطَغُولَا إِنَّا . .

هذا ملخص لقصة ثمود ، ذكرها القرآن بمناسبة أنَّ الله ألهم كل نفس فجورها وتقواها ، وأن ثمود قد اختارت الفجور فأملكها الله ، وفي هذا تحدّيد لأمل مكة واكل بناغ إلى يوم الدُين .

ومعنى الآية :

كذبت ثمود نبيها ، وعصت ربها بسبب طفيانها وعتوها ، وأنهم تجاوزوا الحد في الطغيان والكفر ، فطُغْيانهم حملهم على تكنيب رسولهم ، وتغضيل الكفر على الإيمان ، والضلال على الهداية ، وقد يسُّر الله لهم أسباب الهداية على لسان نبيهم ، وأكد ذلك بمعجزة الناقة ، حيث تحلب لبنًا سائفًا للشاربين ، يكفي قبيلة ثمود من أولها إلى آخرها ، لكنهم بدل أن يشكروا هذه النعمة ، حملهم الطفيان على الكفر وقتل المناقة .

١٢ – إِذِ ٱلْبَعَثِ أَطْقَنْهَا .

سار رجل من ثمود ، عزيز فيهم منيع ، متفوق في منزلته الاجتماعية ، وفي قدرته على الشّر والإثم ، فحرُّ عمود على الشّر.

قال تعالى : فَتَادَوًّا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ ، (القدر: ٢٩) .

١٣ - فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَنَهَا .

أي: قال لهم رسول ألله مسالح: هذه ناقة الله ، أي معجزة من الله لكم ، فحافظوا عليها وعلى نصيبها من الماء ، فلها يوم تشرب أيه وحدها ماء النهير ، ولكم يوم ثائر تشريون فيه ماء النهير وحدكم ، واليوم الذي تشرب فيه الناقة تعطيكم جميعًا لبنا يكنيكم من أوّلكم إلى آخركم ، ونصحهم النبي مسالح بالمحافظة على الناقة باك أذى حتى لا على الناقة ، وعلى حقها في شرب ماء النهير في يوم ، ونصحهم بألا يتعرضوا للناقة بأيّ أذى حتى لا يصيبهم العذاب الأليم .

قال تعالى : وَيَنْقُوم هَلَهِو نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ هَايَةُ فَلَرُوهَا كَأَكُلْ فِي ٓ أَوْضِ ٱللَّهِ وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوِّهِ فَيَأْخُذُكُمْ عَلَابٌ قَوْمِبٌ ﴿ (هود: ١٤٤) .

وقال عز شأنه : قَالَ مَدْلِمِ نَاقَةٌ لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبٌ يَوْمِ مَعْلُومٍ هِ وَلاَ تَمَسُّوهَا بِسَوْمِ قَيَأَخَذَكُمْ عَلَمَابُ يَوْمٍ عَظِيمِ . (الشعواء: ١٩٥٠، ١٥٥). ١ - فَكَلَّابُوهُ فَعَقْرُوهَا فَنَمْنَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنَّبِهِمْ فَسَوَّ لَهَا .

لقد كتُبِّهِا نبيهم ، وعقروا الناقة بدون أن يحسُّوا بنايَّ ندم أن تأنيب ضمير ، فداقبهم الله وسوَّى عليهم · الأرض ، وكلمة دُخَدُم كلمة معبرة حيث سوّى الله يهم الأرض ، ورفع عليهم الهدم والتراب ، حين صاح بهم النكّك صيحة أهلكتهم ، فماتوا تحت التراب والهدم ، وسُّرِيت بهم الأرض .

ه ١ - وَلَا يَخَافُ عُقْبَلْهَا .

إنه إله قادر عادل ، قرى متين ، فقال لما يريد ، فحين يعاقب ظالمًا ويسرّى به الأرض ، ويجعله هالكًا تحت القراب ، فإن الله تعالى لا يضاف عاقبة ذلك .

أُولاً : لأنه عادل غير طالم ، وَمَا رَبُّكَ بِطَلَّامٍ لَّلْعَبِيدِ . (فصلت: ٤٦).

ثاليًا: لأنه قوى غالب لا يغلبه غالب، وهو عزيز ذو انتقام.

قال تعالى : إِنَّ يَطْشَ رَبُّكَ لَشَابِيدٌ . (البروج : ١٢).



أهيداف سيورة اللبييل

(سورة الليل مكية ، وآياتها ٢ ٢ آية ، نزلت بعد سورة الأعلى)

وتصف السورة مشاهد الكون ، ومظاهر القدرة ، وتقرر حقيقة العمل والجزاء ، وتجيَّن أن الجزاء الحق من جنس العمل .

ونلاحظ في السورة التقابل بين الليل والنهار ، والذكر والأنثى ، ومن أعطى واتثى ومن بخل واستفنى ، وبين الأشقى الذي كذب وتولى والأتقى الذي يؤتى ماله يتزكى ، وهذا من بدائع التناسق في التعبير القرآني .

مع آيات السورة

١ - ٤ - وَٱلَّيْلِ إِذَا يَهْشَىٰ . وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ . وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأَنْفَىٰ . إِنْ سَفيَكُمْ لَشَتَّىٰ .

يقسم الله سبحانه وتعالى بالليل حين يغشى البسيطة ، ويغمرها ويخفيها ، وبالنهار حين تنجلي ويظهر ، فيظهر في تجليه كل شيء ويسفر .

ويقسم بالقادر العظيم الذي خلق الذكر والأنثى ، وميز بين الجنسين مع أن المادة التي تكُونا منها واحدة ، والمحل الذي تكونا فيه واحد .

يقسم الله بهذه الظواهر والحقائق المتقابلة في الكون وفي الناس، على أن سمى الناس مختلف، وعملهم متباعد ومتفرق، فمنه السيئ ومنه الحسن ، ومنه التقوى ومنه الفجور ، ومنه ما يجازى عليه بالنميم المقيم ، ومنه ما يعاقب عليه بالعذاب الأليم .

- ١١ - فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَآتَقَىٰ وَ وَمَدْقَ بِالْحَسْنَىٰ وَ فَسَنْيَسَّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ وَأَمَّا مَنْ يَجِلَ وَآسَتَعْنَىٰ و وَكُلَّبَ بِالْمُسْنَىٰ و فَسَنْيَسَّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ و وَأَمَّا مَنْ يَجِلُ وَآسَتَعْنَىٰ و وَكُلَّبَ بِاللَّمْسُنَىٰ وَكُلِّبَ اللَّهِ لِمُنْ وَكُلَّاتِ اللَّهِ لَمُنْ اللَّهِ اللَّهُ اللَّالَةُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّاللَّالَةُ اللَّاللَّالَّالَ اللَّهُ اللَّا

فأما من أعطى الفقراء ، وأنفق المال في وجوه الشير ، وراقب الله وابتعد عن المحرمات ، وأيقن أن الله سيُخلف عليه ما أنفق ، مصدفًا بالفضيلة ، ومميزًا بينها ويبن الرذيلة ، وابتعد عن طريق الغوابية ، فَسَيُسَّرُهُ , لِلُّسُّرِكُ ، فسنجعل اليسر يفيض من نفسه على كل ما حوله ، وعلى كل من حوله ، اليسر في خطره ، واليسر في طريقه ، واليسر في تناوله للأمور كلها ، والتوفيق الهادئ المطمئن في كلهاتها وجزئياتها .

وأما من بخل بماله ، واستغنى عن ربه وهداه ، وكتُب بالدين الدق ، ولم يصدق بأن الله سيُخلف على المنفقين ، وسيجزى المحسنين ، فَسَنُّسُوهُ, لِلْعُسْرَىٰ ، فيسلب الله منه الهدى واليسر ، ويحرمه كل تيسير ، ويجعل في كل خطوة من خطاه معقة وحرجًا ، ينحرف به عن طريق الرشاد ، فإذا تردّى وسقط في نهاية العذرات والانحرافات لم يغن عنه ماله الذي بخل به ، والذي استغنى به كذلك عن الهدى والسداد .

١٢ - إِنْ غَلِيًا للْهَدَى . أي: إنا حلقنا الإنسان وألهمناه التمييز بين الحق والباطل ، وبين الخير والشر ، ثم
 أرسلنا له الرسل ، وأنزلنا له الكتب لترشده إلى الهماية والإيمان .

٣٠ - رَإِنَّ لَنَّا لُأَخْرِهُ وَ الْأُولَىٰ . وإنا المالكون لكل ما فى الآخرة ولكل ما فى الأولى ، فأين يذهب من يريد أن يذهب بعيدًا عن الله ؟

14 , 10 - فَأَنَدُرُكُمُ نَارًا تَلَظَّىٰ ء لَا يَصْلَنَهَا إِلَّا آلَأَشْفَى . وإن من هداية الله للبشر ، أن خوفنا رسوله الكريم محمد ﷺ نارًا تلظى : تتسعر وتشتد ألسنة لهبها ، هذه النار لا يقاسى حرها إلا أشد الناس شقاوة ، وهو الكافر .

١٦ - أَلْفِي كُلْبُ وَلَوْلُهُ. الذي كذبُ باللدعوة ، وكذُب الرسول ﷺ فيما جاء به عن ربه من الآيات ، وأعرض أبرذ أيشًا عن اتباع شرائعه ، وانصرف عن الحق دون دليل يستند إليه ، حتى صار التكذيب والإعراض أبرذ أوصافه .

٧١ – ٢٩ – وَسُيُحِنِّهُمُ الْأَنْهَى وَ الَّلْدِى مُؤلِّى مَالَّهِ يَتَرَكِّى ... وسيبعد عن النار من اتقى الله ، وابتعد عن المويقات ، والذي ينفق أمواله في وجوه البر ، طالبًا بذلك طهارة نفسه وقريها من ربه ، ولا يريد بذلك رباء على معروف ، وإنما يقدم الخير ابتغاء مرضاة الله ، وحبًا في ذاته سبحانه ، ولسوف يرضى من فعل ذلك بأحسن ثواب ، في أفضل مكان وفي أحسن جوار .

رُوي أنّ هذه الآيات نزلت في أبى بكر المحديق رضى الله عنه ، وقد كان من أمره أنّ بلأل بن رباح – وكان مولى لعبد الله بن جدعان – دخل في الإسلام ، فكان سيده يعذبه ، ويخرجه إلى الرمضاء فى حر الظهيرة ، ويضع الحجر على بطنه ، ويقول له : لا تزال كذلك حتى تموت أو تكنر بمحمد ، فلا يزيد بلال على أن يقول : أحد أحد ، وكان رسول الله ﷺ يمرّ به وهو يُعذب فيقول له : «ينجيك أحد أحد» ، ثم أخبر رسول الله ﷺ أبا بكر رضى الله عنه بما يلقى بلال فى الله ، فاشتراه أبو يكر أم أعتقه ، فقال المشركون : ما فعل ذلك أبو بكر إلا ليد كانت لبلال عنده ، فنزل قوله تعالى : وَسُهُمُتُهُا . وَاللهُ عَلَى اللهُ عَلَى المُلدى المورة .

مقاصد السورة

١ - بيان أن الناس في الدنيا فريقان:

- (1) فريق يهيئه الله للخصلة اليسرى ، وهم الذين أعطوا الأموال لمن يستحقها ، وصدقوا بما وعد الله من الإخلاف على من أذذق .
- (ب) وفريق يهيئه الله للخصلة المؤدية إلى العسر والشدة ، وهم الذين بخلوا بالأموال ، واستفغوا
 بالشهوات ، وأنكروا ما وعد الله به من ثواب الجنة .
 - ٢ الجزاء في الآخرة من جنس العمل ، فالأشقى له النار ، والأتقى له الجنة والرضوان .

* * *

اختلاف مسمى الناس



﴿ وَالْتَلِيلِ الْمَقْفَى ۞ وَالنَّهَا وِ إِنَّ جَلَّى ۞ وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأَنْقَ ۞ إِنَّ سَعْيَكُ لَشَقَى ۞ وَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَالْقَلَى ۞ وَصَدَّقَ بِالْمُسْفَقَ ۞ مَسْنَيْسِرُمُ لِلْيُسْرَىٰ۞ وَإَمَّا مَنْ بَجِلَ وَاسْتَغْنَى۞ وَكَذَب بِالْمُسْفَ ۞ مَسْنَيْسِرُمُ لِلْمُسْرَىٰ۞وَمَا يُغْنِى عَنْمُ مَا الْمُواذِارَدَنَىٰۤ ۞ ﴾

المفردات

يفشي، يغطى كل شيء فيواريه بظلامه.

تسجسفسى؛ ظهر وانكشف بظهوره كل شيء.

وما خبلق؛ والذي خلق.

شــــتــــى: واحدها شتيت ، وهو المتباعد بعضه عن بعض .

أمصطيع، بذل ماله .

السقسى، خاف عذاب الرحمن واجتنب المحارم.

الحسني، بالكلمة الحسني، وهي مؤنث الأحسن.

فستيسره، فسنهيئه .

للمسرى: لليسر والسهولة.

المسرىء للعبس والعنت والمشقة.

تسسردى ، هلك ، وهو تفعل من الرَّدّي .

تفسير

١ ، ٧ ، ٣ – وَٱلَّذِل إِذَا يَغْشَىٰ * وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ * وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأَنشَىٰ .

أُقسم بالليل حين يغطى بخلامه كلّ ما كان مضيئًا ، حيث يأوى كل حيوان إلى مأواه ، ويسكن المَلق عن الاصطراب والصّرب في الأرض ، ويغشاهم النوم الذي جمله الله راحة لأبدائهم وغذاء لأرواحهم .

وأتسم بالنهار إذا تجلُّى وظهر وانكشف ووضح لزوال ظلمة الليل ، وجاء الوقت الَّذي يتحرك فيه الناس لمعاشهم ، وتتحرك الطير من أوكارها ، والهوام من مكامنها .

وأنسم بالله الذي خلق الذكر والأنثى من كل نوع رجنس ، وجعل استمرار الحياة متوقفًا على ذلك ، فالإنسان والحيوان والنبات والسحاب وغير ذلك ، يثوقف استمرار الحياة في جنسه على التلقيح بين الذكر والأذفى .

قال تعالى : وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا . (النبأ : ٨) .

وهدى الله الرجل والمرآة للتلاقى والتواصل والإنجاب فسبحان الذى ، أَعَطَىٰ كُلُّ صَّىءٍ خُلَقَهُ رُمُّ هَذَى . (مه : ٥٠) . ومثل ذلك بين الحيوان ، وفى النهات نجد الرياح والحشرات يتم عن طريقها التلقيح بين الذكر والأنثى ، وكذلك السحاب تقوم الرياح بتلقيح السحابة السالبة بسحابة موجبة ، فيتم الإخصاب وينزل المطر.

قال تعالى : وَأُرْسَلْنَا الرَّيْسَ عَوَافِحَ فَأَنْرِثْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءُ فَأَسْقَيْسَاكُمُوهُ وَمَا أَثَمُمْ لَكُر بِمَعْلِوفِينَ . (المجد: ٢٢). ٤ - إنَّ سَعْبُكُمْ لَنَشَيْر .

هذا هو جواب القسم ، أى : إن أعمال العباد مختلفة متباعدة ، فمن قاعل خيرًا ، ومن فاعل شرًا ، ويعض الأعمال ضلال ، ويعضها هدى ، ويعضها يوجب الجنّة ، ويعضها يوجب النار ، كما أن أعمال الناس مختلفة ومتعددة فى الدنيا ، فمنهم الصانع ومنهم الزارع ، ومنهم الطبيب المداوى ، والمعلم والمهندس ، والباحث والمحارب ، والعاملون فى شئون الحياة المختلفة ، حتى يشعروا جميعًا أن كل واحد منهم فى حاجة إلى الآخر ، ليتم التعاون ، ويتخذ بعضهم بعضًا سخريًّا .

قال القرطبي:

السعى: العمل، فساع فى فكاك نفسه، وساع فى عطبها، يدل عليه قوله ﷺ: «الناس غاديان: فمبتاع نفسه فمعتقها، وبائع نفسه فمويقهاه (۱۱۰) ونحو الآية قوله تعالى: أَمَّ حَسِبَ أَلَّايِنَ آجَرَحُواْ ٱلسَّيَّاتِ أَنْ تُجْعَلُهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَانثُواْ وَعَبِلُواْ ٱلصَّلِلِحَسْتِ شَوّاءً مُحْيَامُ وْوَمَالُهُمْ سَاءً مَا يَحْكُمُونَ ، (الجائية: ٢١) .

وقوله تعالى: لاَ يَسْتَوِى أَصْحَلْبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَلْبُ ٱلجَّنْةِ أَصْحَلْبُ ٱلْجَنَّةِ أَمْ ٱلْفَاتِرُونَ . (الحشر: ٢٠).

ثم وضح الله تعالى عاقبة المتقين وعاقبة الكافرين ، فقال :

ه – فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ .

أي : أعطى ماله في جهة الخير والبر والزكاة والمندقة ، واتقى الله فابتعد عن المحرمات والشبهات ، ` وفَعَل المأمورات .

قال ابن كثير : أعطى ما أمر بإخراجه ، واتقى الله في أموره .

٣ - وَمَدَّقَ بِٱلْخُسْنَىٰ .

وصدق بالجنة التي أعدَما الله للأبرار، وأيقن بكلمة التوحيد وهي: (لا إله إلا الله) أو بملة الإسلام ، أو مدق بالجزاء الأوفى من الله على كل خير، وكلمة الحسنى تتسع لتشمل كل خصلة حسنة ، إذ كلها ترجع إلى تواب الله الذي هو الجنة .

٧ - فَسَنْيَسَّرُهُ, لِلْيُسْرَىٰ .

فسنوفقه للأمور الميسَّرة ، ونهيُّته لعمل الخير ، وفعل الطاعات وترك المحرمات .

والخلاصة : أن من التزم بأوامر الله وطاعته ، فإن الله يبسر له الخير والفلاح ، ويمنحه الرضا والتوفيق ، فتراه يسير في طريق العمل الصالح ، بعيدًا عن المعاصى ، ميسرًا لطريق الجنة .

قال تعالى : رُضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ذَا لِكَ لِمَنْ مَثْنِي رَبُّهُ . (البينة : ٨) .

٨ - وَأَمَّا مَنَّ بَخِلَ وَٱسْتَعْنَىٰ .

وأما من بخل بإنفاق المال ، واستغنى عن عبادة ذي الجلال .

قال الأستاذ أحمد المراغي في تفسيره :

وأمًا من أمسك ماله ، أو أنفقه في شهواته ، ولم ينفقه فيما يقرب من ربَّه ، وخدعته ثروته وجاهم. فظن أنه بذلك لا يحتاج إلى أحد . 1 هـ .

٩ -- وَكُلُّبُ بِٱلْحُسْنَىٰ .

وكذُّب بالدين الحق ، ويأنُّ الله يُخلف على المنفقين ، ويعاقب الأشحَّاء الباخلين .

وفي صميح مسلم أن رسول الله ﷺ قال : «ما من يوم يصبح العباد فيه ، إلا وملكان ينزلان فيقول أحدهما : اللهم أعط منفقًا خلفًا ، ويقول الأحر : اللهم أعط ممسكًا تلفًا إلى "

١٠ - فَسَنْيُسُرُهُ, لِلْعُسْرَى .

أى: نمنعه من التوفيق والهدى والرغبة فى الخير، فتكرن الطاعات أعسر شىء عليه ، ويكون طريق الشرّ ميسررًا بين يديه .

كما قال تعالى : وَنُقَلَّبُ أَلْئِلْتَهُمْ وَأَبْصَلْرَهُمْ كُمَا لَمْ يُؤْمِنُواْ بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ ... (الأنعام: ١١٠).

قال ابن كثير :

والآيات في هذا المعنى كثيرة دالة على أن الله عز وجل يُجازى من قصد الخير بالتوفيق ، ومن قصد الشرّ بالخلان ، وكلّ ذلك بقدر مقدّ .

والأحاديث الدالة على هذا المعفى كثيرة ، منها ما رواه البخارى ، عن على بن أبى طالب رضى الله عنه ، من أبى طالب رضى الله عنه ، مقال : «ما مذكم من أحد إلا وقد كتب مقعده من أحد إلا وقد كتب مقعده من الناره ، فقالوا : يا رسول الله ، أفلا نتّكل ؟ فقال : «اعملوا فكل ميسر لما طلق له ، ثم قرأ : فأمّا مَنْ أَعْطَى وَآتَفَى وَ وَصَدَّقَ إِلْمُسْتَىٰ و فَسَنَيْسُرُهُ وَلِيُسْرَى و وَأَمّا مَنْ بَحِلُ وَآسَتَغْنَى و وَكَلَّب إِلْمُسْتَىٰ و فَسَنَيْسُرُهُ وَلِيُسْرَى و وَأَمّا مَنْ بَحِلُ وَآسَتَغْنَى و وَكَلَّب إِلْمُسْتَىٰ و فَسَنَيْسُرُهُ وَلِيُسْرَى و وَلَمَّا مَنْ بَحِلُ وَآسَتَغْنَى و وَكَلَّب إِلْمُسْتَىٰ و فَسَنَيْسُرُهُ وَلِيُسْرَى الله ، أفلا من الما علق له بالله و المؤلف المؤلف و المؤلف الله و اله

١١ - وَمَا يُغْنِي عَنَّهُ مَالُهُ ﴿ إِذَا تُرَدُّى ٓ .

ماذا ينفعه المال إذا وقع في الهلاك والزُّد*ي ،* وعوقب على بخله وكفره بالنار ، سيترك المال لورثته ، وينتهى بالموت بخيلاً كافرًا إلى النار ويئس المصير . قال تعالى : وَلَقَدْ جِنْتُمُونَا فُرَ آدَىٰ كَمَا خَلَقُنْكُمْ أَوْلَ مَرْةٍ وَتَركُمْ مَّا خَوْلْنَاكُمْ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ ... (الأنعام: ١٤).

لقد خلق الله الإنسان ، ومنحه العقل والإرادة والاختيار ، وأرسل له الرسل ، وأنزل له الكتب ، فمن صدَّق بالآخرة وعمل لها ، يسر الله له طريق الخير ، ومن كتَّب بالآخرة ولم يعمل لها ، واستغنى عن الإيمان وكفر بالله ، يسر له طريق الشرَّ ، ولن ينجيه المال الذي تركه في الدنيا إذا سقط في جهنم .

قال تعالى : وَنَرِثُهُم مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا قَرْدًا . (مريم : ٨٠) .

إنما الذي ينفع الإنسان هو ما يقدمه في الدنيا من الإيمان وإخراج الزكاة والصدقة ، وفعل الطاعات وترك المحرمات .

قال ﷺ: «أَيُكِم مال وارثه أحب إليه من ماله»؛ قلنا : يا رسول الله ، كل واحد منّا ماله أحب إليه من مال وارثه ، فقال ﷺ: «فإن مالك ما قدَّمت ، ومال وارثك ما أَمَّرت»(٥٠٠)

الأشقى والأتقى

﴿ إِنَّ مَلِنَا ٱلْهُدَىٰ۞ وَإِنَّ لَنَالَاُحِوْوَوَالْأُولَى۞ فَأَندُرُكُمُّ فَارَانَظُن ۞ لاَيَصْلَمَهَ إِلَّا ٱلْأَنْفَى ۞ ٱلَّذِى كَذَبَ وَقَوَلُ ۞ وَسَيُجَنَّبُ ٱلأَنْفَى ۞ ٱلَّذِى يُقْوِقِى مَالَهُ بِيَرَكِّى ۞ وَمَا لِأَحَدٍ عِندُ مُون رِسِّمَةٍ جُرِّيَ ۞ إِلَّا أَيْفَاءَ وَجَوْرِوَا لَأَفَلَ ۞ وَلَسَوْفَ رَضَى۞ ﴾

المطردات:

تاخلى، أصله تتلظى ، أي : تتوقد وتلتهب .

لايصلاها؛ لا يحترق بها .

الأشتي، من هو أشد شقاء من غيره.

تسولسي؛ أعرض عن طاعة ربه.

يستبزكين بتطهر

تـــجـــزى: تجازى وتكافأ.

التفسيره

١٧ - إِنَّ عَلَيْنَا لِلْهُدَى .

إن علينا -- بمقتضى حكمتنا ورحمتنا بعبادنا -- أن نبين لهم طريق الحُقّ وطريق الباطل ، بواسطة رسلنا وكتبنا ، وما أورعناه في فطرة كل إنسان من أسباب الهداية .

قال تعالى : إِنَّا هَدَيْنَكُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا . (الإنسان : ٣) .

وقال تعالى : وَقُل ٱلْحَقُّ مِن رَّبُّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلَيْؤُمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكُفُرْ ... (الكهف: ٢٩) .

فمن أراد الهدى وسلك سبيل الرُّند ، أعانه الله يتوفيقه وسداده وأمدَّه بمعونته ، ومن أراد الضلال والشهوات والمحرِّمات ، سلب الله عنه الهدى وتركه ضالاً .

ويكون معني الآية :

إن من مقتضى حكمتنا أن نيسًر أسباب الهدى للبشر ، فمن اختار طريق الهدى أعنّاء عليه ، ويسرنا له البسرى ، ومن آفَرَ الضلالة سلبنا عنه أسباب الهدى ، ويشُرناه للعسرى ، أي للنار ويئس المصير .

وهذا معنى الحديث : «اعملوا فكل ميسر لما خلق له ، إن الله تعالى يقول : فَأَمَّا مَنْ أَعَفَّىٰ وَأَتَّقَىٰ ، وَصَدُكَ بِٱلْمُسْتَىٰ ، فَسَنَيْسَرُهُ وَلِيُسْرَكُ ، ورَأَنا مَنْ يَحَوِلَ وَالْسَتَقَنَىٰ ، وَكَذُب بِٱلْمُسْتَىٰ ، فَسَنَيْسَرُهُ وَلِلْمُسْرَىٰ .

١٣ – وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَٱلْأُولَىٰ .

قال تعالى : مَلْلِكِ يَوْم ٱلدِّين . (الفاتحة : ٤) .

أى: لذا ما في الدنيا والآخرة ، فمن طلبهما من غير الله فقد أخطأ الطريق ، حقًّا .. مسكين من ضل طريقه وعَمَى ربّه ، وأطاع هواه واتبع شيطانه ، وهو نفّسه ملك لربّه ، إذ الخلق والأمر بيده ، والعطاء والمنع لا يملكه أحد سواه ، وهذا الكون كله تحت تصرفه وقدرته .

وفى يوم القيامة ينادى المنادى : لَمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيُومَ ؟ هيكون للجواب : لِلَّهِ ٱلْوَاحِدِ ٱلْقَهَّارِ . (غاند : ١٦). ``

١٤ - فَأَنِذَرْتُكُمْ فَارًا تَلَظَّىٰ .

فحذرتكم نار الأخرة التي تتوهج وتتوقد ، ويأكل بعضها بعضا ، وهي تتلمظ شرقًا إلى العصاة الكافرين .

١٥ - لا يَصْلَنهَا إِلَّا ٱلْأَشْقَى.

لا يُعذُّب بين طبقاتها إلا الكافر الذي باع الهدى ، واشترى الضلال والإعراض عن طريق الله .

١٦ - ٱلَّٰذِي كُذُّبَ وَتُوَلِّيٰ .

الذي كذّب رسالة الأنبياء ، وكفر بالله ، وأعرض وأدبر عن طاعة الله وتجنبها ، هؤلاء الكفار يصطلون بنار جهنم ، ويمذبون بين طبقاتها ، وتفضاهم النار من فوقهم ومن تحت أرجلهم .

قال تعالى : لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّن ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ... (الزَّمر: ١٦).

أما المرَّمنون العصاة فلا يُعدِّبون بين طبقات جهنم ، بل يُعدبون على وجهها في الطبقة الأولى عدّابًا. دون عذاب الأشقياء من الكافرين .

- وَسَيُحِثَّبُهَا ٱلْأَثْقَى .

وسببتحد الأتقياء عن جهنم ، فيمرُّون عليها ولا يدخلون فيها ، بل يشاهدونها فقط ، ليزدادوا شكرًا للهُ على نجاتهم .

كما قال تعالى: فَمَن زُحْزِحَ عَن آلثارِ وَأَدْحِلَ ٱلْجَنَّة فَقَدْ فَازَ وَمَا ٱلْحَيَاةُ ٱللَّذِيَّةَ إِلّا مَسْكُ ٱلْمُرُورِ. (إلى عمران: ١٨٥).

وقال تعالى : دَإِن مُنكُمْ إِلَّا رَارِهُمَا كَانَ عَلَىٰ رَبُكَ حَثْمًا مُقْطِيًّا ، ثُمَّ يُنجَّى ٱلْلِينَ ٱلْقُواْ وُنَذَرُ ٱلطَّلِلِينَ فِيهَا جِيُّ الرميم ، ٧٧٠٧١ .

١٨ - ٱلَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ, يَتَزَكَّىٰ.

الذي يعطى ماله للفقراء والمساكين ، ويصرفه في جهات الخير والبرّ ، وعنق الرقاب ومساعدة المحتاجين ، رغبةً في التطهر من الذنوب والتقرب إلى علاَم الغيوب ، فهو يعمل القريات مع الإخلاص والبعد . عن الرياء والنفاق .

١٩ - وَمَا لِأَحَدِ عِندُهُ مِن لَعْمَةٍ تُحْزَيُّ .

ليس لأحد عنده من يدرأو معروف فيجازيه عليه ، بل عمل وجوه الخيرات تقربًا إلى الله تعالى .

قال المفسرون:

نزلت الآيات في حق أبي بكر الصدّيق رضي الله عنه ، حين اشترى بالالاً وأعتقه في سبيل الله ، فقال المشركين : إنما فعل ذلك لير كانت لبلال منده ، فنزلت .

٧ - إلَّا ٱلْبَعْفَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ .

أي: إنه فعل ما فعل من القربات ابتفاء مرضاة الله تعالى والدار الأخرة.

وفى معنى الآية قوله تعالى : إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَّآءً وَلَا شُكُورًا . (الإنسان : ٩) .

٧١ - وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ.

ولسوف يرضى عنه الله جزاء إخلاصه وتطوعه بعمل الخير من أجل مرضاة الله ، فقد وعده الله بأن يرضى عنه .

وقيل : إن المعنى : ولسوف يعطيه الله في الآخرة ما يرضيه ، وهو وعد كريم من رب رحيم ، والمؤمن المسادق راض عن الله تعالى ، والله تعالى راض عنه .

قال تعالى : رُضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ... (البيئة : ٨).

وقـــال عزَ شأنه : يَشَآيَتُهَا ٱلنَفْسُ ٱلْمُطَمِّنَةُ هَ آرْجِعِيّ إِلَىٰ رَبُكِ رَاضِيَةٌ مُوْحِيَّةٌ هَ فَادْخَلِي فِي عِبْــلـدِي هِ وَآدْخَلِي جَنِّسي . (الدجر: ۲۷ – ۲۰) .

(تم بحمد الله وتوفيقه تفسير سورة الليل) .



أهداف سيورة الضحى

(سورة الضحى مكية ، وآياتها ١٩ آية ، نزلت بعد سورة الفجر)

وسورة الضحى بموضوعها وتعييرها ومشاهدها ، لعسة من حنان ، ويد حانية تعسم على الآلام والمواجع ، وتسكب الرضا والأمل ، إنها كلها خالصة للنبى ﷺ ، كلها نجاء له من ربه ، وتسرية وتسلية وترويح وتطمين .

ورد في روايات كثيرة أن الرحى فَتْزَ عن رسول الله ﷺ وأبطأ عليه جبريل عليه السلام ، نقال المسلام ، نقال المسلام ، نقال المسلام ، نقال المسلام ، والرحمة المسركون : إن إله محمد ودُعه وقلاه ، عندند نزلت هذه السورة ، نزل هذا الفيض من الود والحب ، والرحمة والإيناس والقربي ، والطمأنينة واليقين .

وَاللَّهُ حَيْ . أَى : وحقُ الضحى ، وهو وقت ارتفاع الشمس ، وَالَّيلِ إِذَا سَجَىْ . أَى : سكن ، والمراد سكون الناس والأصوات فيه . أقسم الله بالضحى الرائق الذي ينتشر فيه الضوء والنور وتخف فيه حدة الشمس، وأقسم بالليل الساكن الهادئ ليربط بين القسم وجوابه وهو : مَا وَمُعَكَ رَبُّكُ وَمَا قَلَىْ . ما تركِّ ربك ولا جفاك كما زعم للمشركون ، وهو ربك وراعيك وكافلك . وللدار الأخرة خير لك من هذه الدنيا ، ولسوف يعطيك ربك من الكمالات ، وظهور الأمر ، ويقاء الذكر ، ما يجعلك ترضى .

وضم الإله اسم النبي إلى اسبه إذا قال في التحبس المؤذن أشهد وشق له سن اسبه ليُجلّه فذو العرش محمود وهذا محمد

ويمضى سياق السورة يُذكّر الرسول ﷺ بنم الله عليه : أَلَمْ يَجِلُكُ يَجِهَا لُعَنَاوَىٰ . أَى : فأواك إليه ، وعطف عليك القلوب حتى قلب عمك أبي طالب ، وهو على غير دينك .

ولقد كنت ضالا غير عالم بمعالم النبوة وأحكام الشريعة ، متحيرًا لا تجد طريقًا واضحًا مطمئنًا، لإ فيما عند أهل الجاهلية ، ولا فيما عند أتباع الأنبياء حيث إن هؤلاء الأنباع حرفوا وبدلوا ، ثم هداك الله بالأمر الذي أوحى به إليك ، وعلمك لحكام الشريعة والرسالة ، ولقد كنت فقيرًا فأغناك الله بكسبك ، وبمال خديجة ، وبما أفاء عليك من الربح في التجارة. وبمناسبة ما ذكره الله من النعم ، يوجه الرسول ﷺ ويوجه المسلمين من وراته إلى رعاية كل يتيم ، وإلى كفاية كل سائل ، وإلى التحدث ينعم الله التي لا تحصى ، فَأَمَّا الْيَّيَمُ فَلَا تَفْهُمْ . أَى : فلا تنظيه على ماله لضعفه فتسلبه إياه ، وأما السائل فلا تزجره . وَأَمَّا بِعُمْةُ رَبُّكَ فَحَدُثُ . وحدُث الناس بما عندك من علم ، يسبب إنعام الله عليك بالنبوة ، وكن جاديًا دائمًا إلى طريق الفوز والفلاح .

والتحدث بالنعمة صورة من صور للشكر للمنعم ، يكملُها البر بالعباد ، وهو المظهر العملي للشكر ، ولذلك يقول أبو حامد الغزالي : شكر النعمة هو استغلالها فيما خُلقت له .

فشكر نعمة البصر: التأمل في ملكوت السماوات والأرض، وغض البصر عن المحرمات.

وشكر نعمة السمع: سماع الحق والعلم والقرآن ، والامتناع عن سماع الزور والإثم.

وشكر ذهمة اليد : أن تكتب بها العلم والمق ، وأن تساعد بها ، وأن تضرب بها في سبيل الله ، وأن تجاهد أعداء الدين ، وألا تؤذئ بها أحدًا من المستضعفين .

وثلاحظ أن البيئة العربية فى الجاهلية كانت تجحد حقّ الضعيف ، وتهمل البتيم والمسكين ، وترى أن السيف هو القوة القادرة ، وهو الحكومة المنفذة ، حتى جاء الإسلام بأحكامه العادلة ، وشريعته السمحة ، فدعا إلى الحق والعدل ، والتحرّج والتقوى ، والوقوف عند حدود الله الذى يحرس حدوده ويضار عليها ، ويغضب للاعتداء على حقوق عباده الضعاف الذين لا يملكون قوة ولا سيفًا يذودون به عن هذه الحقوق .

مقاصد سورة الضحى

- ١ القسم بالضحى والليل على أن الله ما قلى رسوله وما تركه .
- ٢ -- وعد الرسول ﷺ بأنه سيكون في مستقبل أمره خيرًا من ماضيه .
- ٣ تذكيره ﷺ بنعمة الله عليه فيما مضى ، وأنه سبحانه سيواليها عليه .
 - ٤ طلب الشكر منة على هذه النعم .

بِنَ إِنْ إِلَى اللَّهِ الْخَرْ الرَّهِ عِلَا الْخَرْ الرَّهِ عِلَا الْحَرْ الرَّهِ عِلَا الْحَرْدُ الرَّهِ

﴿ وَالشُّمَىٰ ۞ وَالنَّلِ إِذَا سَمَىٰ ۞ مَاوَدَّ عَكَ رَبُّكَ وَمَاقَلَ ۞ وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى ۞ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَمَرْضَى ۞ أَلَمْ يَعِدْكَ يِنِيسَا فَخَاوَىٰ ۞ وَوَجَدَكَ صَالَا فَهَدَىٰ۞ وَوَجَدَكَ عَآيِلًا فَأَخَنَ ۞ فَأَمَّا ٱلْمِيْمِ فَلَائَقَهُرْ ۞ وَأَمَّا ٱلسَّآيِلَ فَلَانَنْهُرْ۞ وَأَمَّا بِيغْمَةِ رَئِكَ فَحَدِّتْ۞

المطردات :

والضيحي، أقسم بوقت ارتفاع الشمس.

مسجين سكن أو اشتد ظلامه.

ما ودعك ربك ؛ ما تركك منذ اختارك ، وهذه الجملة جواب القسم .

ومساقسلسى: وما أبغضك منذُ أحبك.

السم يسجدك، ألم يُعْلَمك ربك ، أي قد عَلِمَك .

يستسيسها؛ طفلاً مات أبوك وأنت جنين.

المستحري والمسك إلى من يكفك ويرعاك .

فسمسدى، فهداك إلى أسباب الهداية بما أوحى إليك.

عصائصلاء فقيرًا عديمًا.

فاغتنى؛ فرضًاك بما أعطاك ومنحك.

فلا تستسهس، فلا تغلبه على ماله ولا تستذله.

فلا تستهر ، فلا تزجره ، وترفق به .

التفسيره

١ ، ٢ - وَٱلصُّحَىٰ ﴿ وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ .

أُقسم بالضُّحى ، وهو وقت ارتفاع الشمس وانتشار الضوء ، وخروج الناس إلى أعمالهم ، وامتلاء الكون بنور الشمس قبل أن يشتد حرُّها ، وقد شُرعت صلاة الضحى شكرًا لله على هذه النعمة .

وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ .

وأقسم باللهل إذا سكن ، أو عَمْل بظلمته الذهار ، وستر كل شيء تحت ظلامه ، مثلما يسجَّى الرجل بالثرب ، ويُعلّى ويسجى الميّت بالكفن .

٣ - مَا وَدُعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ .

لم يتركك ربك ، ولم يقطعك قطع المودّع ، ولم يقطع عنك الوحى ، وما أبغضك وما كرهك وما قلاك كما يزعم بعضهم ، وقد ادّعت أم جميل زوجة أبى لهب أنّ شيطان محمد قد تأخرَ عنه ، وأنّ إله محمد قد أبغضه وتركه ، وقد روى البخارى ومسلم أن هذا كان سبب نزول سورة الضمي .

والسورة كلها حنان وعطف وتقدير لرسول الله ﷺ وردُّ على مزاعم الكافرين حين تأخر الوحى عن رسول الله ﷺ وقد سأله أهل مكة ثلاثة أسئلة :

الأوِّل : عن الروح .

الثاني: عن أصحاب الكهف.

الثالث: عن رجل طُّواف بلغ مشارق الأرض ومغاربها ، وهو (دو القرنين).

ققال ﷺ : وغذا أجبيكم، ونسى أن يقول: إن شاء الله، فتأخر الوحى خمسة عشر يوماً، فلما نزل جبريل قال النبي ﷺ: ويا جبريل، ما جنت حتى اشتقت اليك، وفقال جبريل: لأنا أشد شوقاً اليك منك إلى، فقال جبريل الأنا أشد شوقاً اليك منك إلى، فقال ﷺ: وما يَمنعك أن تنزل، وأن تجيء أكثر مما تجيء؟ فقراً جبريل الآية : وَمَا تَشَرَلُ إِلَّا بِأَمْرٍ رَمُكَ لَمْ، مَا يَنْ أَبْلُهِا وَمَا عَرْدُ وَلَاكُ وَمَا كُنْنَ رُقُلِكَ وَمَا كُنْنَ وَلَاكُ وَمَا كُنْنَ رُقُلْكَ وَمَا كُنْنَ اللَّهِ وَمَا كُنْنَ وَقَالُكُ وَمَا كُنْنَ وَقَالُتُهِ وَمَا يَنْهُ وَلَاكُ وَمَا كُنْنَ وَقَالُكُ وَمَا يَشْرُكُ وَمَا يَعْرُونُهَا لَعْنَا اللَّهِ وَمَا يَسْرُونُ وَمَا تَسْرُقُونُ وَاللَّهُ وَمَا كُنْنَ وَقَالُونُ وَمَا يَسْرُونُ وَمَا يَسْرُونُ وَاللَّهُ وَمَا كُنْنَ وَلْكُونَ وَاللَّهُ وَمَا يَعْرُونُ وَاللَّهُ وَمَا يَسْرُونُ وَمَا عَلَيْنَ اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَمَا لَلَّهُ وَاللَّهُ وَمِنْ وَاللَّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَمَا لَكُونَ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَمَا لَهُ وَاللّهُ وَمَا لَهُ وَاللّهُ وَ

وكانت هذه الفترة للوحى لإلهاب شرق النبي ﷺ إلى الوحى ، وإنها لنعمة كبرى أن يختار الله محمدًا رسولاً ، ويرسل إليه جبريل عليه السلام يحمل وحى السماء ، ليكون رسالة الله للبشر أجمعين .

\$ - وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لُّكَ مِنَ ٱلْأُولَىٰ.

في هذه الآية تفسيران:

الغسير الأول: أعطاك الله الرضا والمحيّة ، وسيتوالى فضل الله عليك في الدنيا ، فتزياد كل يوم عزًا ونصرًا ، حتى تفتح مكة ويدخل الناس في دين الله أفواجًا ، وقد صدق الله وعده ، فنصر رسوله في غزرة بدر ، واستمرّ نصر الله له حتى خضعت أم القرى ، وعمَّ الإسلامُ بلاد العرب ، وانتقل الإسلام في حياة النظفاء إلى بلاد الفرس والروم ومصر وشمال أفريقيا ، وغير ذلك .

وخلاصة معنى الآية : الفترة الآخرة من حياتك ستكون خيرًا لك من الفترة الأولى .

الغُمسِر الثاني : ستكرن منزلتك في الحياة الأَعَرة خيرًا وأَفضَل من الحياة الأَولَى ، حيث يعطيك الله الشفاعة والمنزلة السامية ، ويكرمك في أُمنُك .

والخلاصة : منزلتك يوم القيامة وعطاء الله لك في الآخرة خير لك من الحياة الدنيا .

وَلَسَوْفَ يُقطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى .

سيستعر عطاء الله لك ، وهو ربك وحبيبك ، فأعطاء الله الوحى ، وأراه مكان أمنّه ، وأن مكك أمنّه سيبلغ ما بلغ النهار ، فاستبشر ورضى ، وأعطاء الله فى الأُعرة الحوض والشفاعة والمنزلة الرفيعة ، وألاً يسوءه فى أُمنّه ، وغير ذلك مما يرضيه ﷺ.

٦ - أَلَمْ يَحِدُكَ يَعِيمًا فَخَاوَىٰ .

توفى والده ﷺ وهو جنين فى بطن أمّ ، فكلله جدّه عبد المطلب ، وماتت أمّه وعمره ست سنوات ، ثم مات جدّه عبد المطلب وله من العمر ثمانى سنين ، فكلله عمه أبو طالب ، وكان به حفيًا ، وكان يحوطه ويرعاه وينصره بعد نزول الرسالة عليه – وهو على رأس الأربعين – وكان أبو طالب على دين قومه لكنّه نصر محمدًا حتى مات ، وعمر الرسول ﷺ بقارب سبعًا وأربعين سنة ، وقد قيض الله له من يكرمه ويأويه، فنشأ كريمًا عزيزًا بفضل الله تمالي

وقيل : معنى : أَلَمْ يَجِدُكَ يَعِيمًا فَتَاوَىٰ .

ألم أجدك يتيمًا لم ترغب فيك المراضع ، فآويتك إلى مرضعة تحنو عليك ، ورزقتها بصحبتك الخير والبركة حتى أحبتُك وتكفلتك .

٧ - وَوَجَدَكَ ضَالاً فَهَدَئ .

ووجدك غافلاً عن الشرائع ، فأنزل عليك الوحى والتشريم .

قال تعالى: وَمَا كُنتَ تَطُواْ مِن قَلِهِ مِن كِنْسِهِ وَلاَ تَخْطُهُ بِيَمِيكَ إِذَا لاَّرَتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ . بَلْ هُوَ عَلِمُنتُ مُنِيَّدَتُ فِي صُدُورِ ٱلْلِينَ أُولُوا ٱلْطِلْمِ . . (العنتيم: ٤٤ . ٤٩) .

وقيل: المعنى: وجدك فى حيرة مما عليه قومك ، فاليهودية قد عيث بها الرؤساء ورجال الدين ، والمسيحية كذلك ، عبث بها القساوسة والشمامسة والبطارقة ، وكان العرب يدَّعن أنهم على دين إبراهيم ، ومع ذلك كانوا يندون البنات ، ويشربون الفمر ، ويرتكبون الزنا ، ويعبدون الأوثان ، ويبطش القرى بالضعيف ، ويستمسك الأغنياء والأقوياء بمالهم وجاههم ، فلا ينفقون منه على الفقراء والمحتاجين ، وكان الله قد منح محمدًا من فطرة سليمة ، فلم يسجد لمنم ، ولم يشرب الفمر ، ولم يرتكب الفواحش ، وكان يخلو بنفسه في غار حراء ، عابدًا لله متأملاً في هذا الكون ، متحيرًا مما عليه الناس ، حتى اجتباه الله وأنزل عليه الوحى ، وهناه إلى طريق الرسالة وإحياء دين الإسلام .

وجمهور العلماء على أنه 義養 قد فُطر على الإيمان بالله ، وما كان 藥 على دين قومه لحظة واحدة ، بدليل قوله تعالى : مَا صَّلَ مَا صِّكُمْ وَمَا فَوَى (النجه: ٢) .

وقد كان هناك متحنثون من العرب ، زهدوا فيما عليه القوم ، وانصرفوا إلى التحنث وتوحيد الله ، أي
ترك الحنث والإثم ، والزهد في الدنيا ، والرغبة في السمو الروحي ، وكان قس بن ساعدة الإيادي يخطب في
الناس ، ويقول : البعرة تدل على البعير ، وخط السيريدل على البسير ، سماء ذات أبراج ، ويحار ذات أمواج ، ،
وأرض ذات فجاج ، ألا يدل ذلك كله على اللطيف الخبير ، يقسم قسّ بالله فَسَمًا لا إنم فيه ، إن لله دينا هو
أرضى من دينكم هذا .

وكان النبي ﷺ قد استمع إليه ، ثم قال ﷺ لمن حوله : «أيكم يحفظ شعره» ؟ فقال أبو بكر الصدّيق : أنا أسفظ شعره ، وهو :

ين سن السقدرون بصدائر وق لسيس لسهسا مصدائر سا تسمضى الأكابر والأمساغسر سة حسيث صدار السقدوم صدائد

نسى السداهسيسن الأوّلين لسمسا رأيت مسواردا لسلسسوت ورأيت قسومسى نسمسوهسا أيسقسنت أنّى لا مسحسالسة وقد ذكر الأستاذ الدكتور حسين مؤنس في كتابه (دراسات في السيرة النبوية) أن محمدًا ﷺ كان قبل أن يدخل في مراحل النبوة قد اتجه بقلبه ونفسه إلى البحث عن الحقّ، أنفة من الأوثان ، وبصيرة منه بأنها عبث لا طائل وراءها ، أي أنه سار في طريق من عوفنا من الحنيفيَّة ، دون أن يكون في جملتهم ، إنما هو كان يبحث وحده عن ملة إبراهيم عليه السلام ، وهذا بدوره مرتبط أشد الارتباط بما كان محمد ﷺ عليه طول ما مضى من حياته كلها ، فقد وجهه الله سبحانه في طريق الفضائل والكمالات ، لما سبق في تقديره سبحانه من أنه مصطفيه للرسالة الكبرى ، فكان مثالاً في الفضل والخير والعصمة من الزلل ، حتى تستقيم معمه الرسالة .

وقد كانت في بلاد العرب يهودية لكنّها كانت سلبية لا تدعو الناس إليها ، وكانت تؤمن بالله ، وكانت في بلاد العرب مسيحية لكنها كانت محدودة جنّا في بعض الصوامع أو الأديرة ، وكانت تؤمن بالله .

وفكرة الله خالق الكون ظلت فى أذهان العرب ، لكنهم أشركوا معه معبوداتهم الوثنية ، وقالوا إنهم يتغربون بعبادتها إلى الله زلفى .

قال تعالى على لسانهم: مَا نَعَبُلُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى ٱللَّهِ زُلُقَى ... (الزمر: ٣).

وكان من الحنيفيين ورقة بن نوفل ، وهو عم خديجة بنت خويلد ١٠٠٠ ا هـ.

كان ﷺ في حيرة من أمر نفسه ، ومن أمر قومه ، فهداه الله بالرسالة الخاتمة ، وجعله هاديًا ومبشرًا ونذيرًا ، وباعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا متيرًا .

وقيل : إن معنى الآية : أن النبي ضلُّ عن جدَّه في شعاب مكة ، فرآه أبوجهل منصرفًا عن أغنامه ، فرده إلى جدَّه وهو متعلق بأستار الكعبة ، يضرع إلى الله تعالى ويقول :

یا رہ رد والدی محبادا ارددہ رہی واصطنع عندی یدا

A - وَوَجَدَكَ عَآلِلاً فَأَغْنَىٰ.

وجدك فقيرًا فأغناك من ربح التجارة في مال خديجة ، ويما وهبته له ﷺ ، أن أغناك بالقناعة ، فجعلك راشبهًا مؤممًا ، راغبًا في الأخرة ، عازفًا عن زينة الدنيا ، أو أغناك باستقبال الأنصار لك في المدينة ، وما أفاء الله عليك من الغنائم والفيء في الفتوح والغزيات والسرايا .

٩ - فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَفْهَرْ .

تأتى هذه الآيات تعليمًا للرسول ﷺ ولأمتُه بإكرام البتيم ، وعدم التطاول إلى أخذ ماله أو قهره أو إذلاله ، وقد حثُّ القرآن على إكرام البتيم فى السور المكية والمدنية ، وفى صدر سورة النساء وصايا متعددة بالبتامى ، حيث أمرت بإعطاء اليتامى أموالهم ، وعدم تبديدها وحسن استثمارها ، وتهديد من يأكل مال المبتم بالنثار وعذابها ، وتذكير الأوصياء بأنهم معرضون لأن يموتوا ويتركوا ورثة ضعفاء ، فهل يرضيهم أن يأكل الذاس أموالهم ؟ إذن فليتقوا الله وليستوموا باليتامي خيرًا .

قال تعالى: إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالُ ٱلْيَسْمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَازًا وَسَيَصْلُونَ سَعِيرًا. (النساء: ١٠).

وقد كان النبى ﷺ يتيمًا ، فأكرمه الله وأواه ، لذلك أمره الله بإكرام اليتيم ، وقد كان ﷺ قدرة عملية في ذلك ، فرعى أبناء الشهداء والمجاهدين ، وضمعهم إلى كفالته ورعايته ، وحين تزوج السيدة أمّ سلمة – وكان زوجها قد مات شهيدًا في الحرب – قالت: إنى ذات عيال ، فقال لها : «العيال على الله ورسوله».

وفي الصحيح: «أنا وكافل اليتيم له أو لغيره كهاتين» (١١٦١). وأشار بالسبابة والوسطى.

١٠ - وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ .

ينبغى أن تردُّ السائل بعطاء ولو كان قليلاً ، أو تردّه بكلمة طيبة دون أن تنهره أو تزجره ، وإذا جاء أحدُّ يستفهم عن أمور الدبن ، أو يستفهم منك في أيّ أمر من الأمور فلا تردّه بالغلظة والجفوة ، وأجبه بالرفق واللين ، فإن إجابة السائل فرض على العالم على الكفاية .

وروى مالك ، وأحمد ، والبخارى فى تاريخه ، عن أبى هارون العبدى قال : كنًا إذا أتينا أبا سعيد الخدرى رضى الله عنه يقول : مرحبا بوصية رسول الله ﷺ :إن رسول الله ﷺ قال : «إن الناس لكم تبع ، وإن رجالاً يأتونكم من أقبار الأرض يتغنّهون ، فإذا أتوكم فاستوصوا بهم خيرًا،"".

١١ - وَأَمَّا بِيعْمَةِ رَبُّكَ فَحَدَّثْ.

اشكر نعمة الإيمان والإحسان ، والوحى والعلم والغرقان ، وذلك بالتحدث بها إبلاغاً وتعليماً وتربية وهداية ، ومن التحدث بالنعمة إظهار فضل الله على الإنسان ، وإعطاء المحتاجين ، وشكر من أسدى إلينا جميلا .

أخرج أبو داود ، والترمذي وصححه ، عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ قال : «لا يشكر الله من لا يشكر الناسي ۱۵۰۹ . قال العلماء المحققون : التحدث بنعم الله تعالى جائز مطلقا ، بل مندوب إليه إنا كان الغرض أن يقتدى به غيره ، أو أن يشكر ريه بلسانه ، وإنا لم يأمن على نفسه الفتنة والإعجاب فالستر أفضل .

فائدة

رُوى عن الشافعي أنه رأى أن التكبير سنة في خاتمة سورة الضحى إلى آخر القرآن ، لأنه حين انتظع الوحي ثم نزلت سورة الضحي قال رسول الله ﷺ : «الله أكبر» ، تصديقًا لها أتى به القرآن .

وفى القرى المصرية يتوارث القراء أن يقولوا عقب سورة الضحى وما بعدها: (الله أكبر الله أكبر الله أكبر الله أكبر الله أكبر ولك ألبر الله أكبر ولك الحرج، أكبر، لا إله إلا الله وألبر، الله أكبر، الله أكبر ولك الحمد) وهي سنة عملية من فعلها فحسن، ومن ترك فلا حرج، والله أعلم .

قال المقسرون:

ولفظ التكبير إما بأن يقول : (الله أكبر) .

أو يقول: (لا إله إلا الله والله أكبر).

* * *

وقد كان الفراغ من تفسير سورة (الضحى) ظهر يوم الخميس ٨ من ربيع الأول ١٤٢٧ هـ ، الموافق . ٢٠٠١/٥/٣١ بمسجد حراء بمنطقة المقطم ، بالقاهرة .

والحمد لله الذي ينعمته تتم الممالحات ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه أجمدين، ومن تبعهم بأحسان إلى يوم الدين .



أهبداف سبورة الشبرح

(سورة الشرح مكية ، وآياتها ٨ آيات ، نزلت بعد سورة الضحي)

مجمل ما تضمئته السورة

١ - هيأ الله سبحانه وتعالى نبيه ﷺ لتلقى الرسالة الكريمة ، وأفاض عليه من نعمه الجزيلة .
 فشرح صدره بما أودع فيه من العلوم والحكم ، حتى حمل أعباء النبوة ، وجعل أمر التبليغ عليه سهلا هيئا .

٢ - قرن الله اسم النبي صلى الله العظيم في الشهادة والأذان والإقامة والتشهد.

٣ – بيَّن الله أن ما يصيب النبي ﷺ من شدة ، سيعقبها اليسر والفرج.

٤ - طلب الله تعالى من نبيه الأمين ﷺ إذا ما انتهى من تعليم الناس وإرشادهم ، أن يشغل نفسه
 بعبادة الله .

 م- أمره ألا يسأل أحدا غيره ، لأنه سبحانه وتعالى هو السيد القادر وحده على إجابة دعوة العبد السائل ۲۰۱۹.

مع السورة

نزلت سورة الشرح بعد سورة الضحى ، وكأنها تكملة لها ، فيها مظاهر الرعاية والعناية الإلهية ، وفيها البشرى باليسر والفرج : ألم نفسح صدرك لهذه الدعوة ونيسر لك أمرها ؟

وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرُكَ وَ أَلَّذِى أَلَقُصَ ظُهْرُكَ . أى : ووضعنا عنك عباك الذي أثقل ظهرك حتى كاد يعطمه من ثقله ، وضعناه عنك ببشرح صدرك له فخف ً وهان ، ويتيسيرك وتوفيقك للدعوة ومداخل القلوب.

وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرُكَ . رفعناه فى الملأ الأعلى ، ورفعناه فى الأرض ، ورفعناه فى هذا الوجود جميعا ، ورفعناه فجعلنا اسمك مقرونا باسم الله ، كلما تحركت به الشفاه : لا إله إلا الله ، محمد رسول الله . قال مجاهد في معناه : أي لا أنكر إلا نُكرت معي .

فَإِنَّ مَنَ ٱلْعَسْرِ يُسْرًا ، ومع الشدة فرجا ، ومع قلة ذات اليد السهولة والغنى ، فخذ في أسباب اليسر والتيسير، فإذا فرغت من مهمة تبليغ الرسالة فانصب واتعب في القيام بواجبات العبادة لنا . وَإِلَىٰ رَبُّكُ فَأَرْضُ . واجعل رغبتك إليه ، ولا تسأل إلا فضله متوكلا عليه . وَعَلَى آللّا فِلْيَوْكُ أَلْمُؤْمِرُكَ . (التفاسن : ١٦) .

«وتنتهى سورة الشرح كما انتهت سورة الضحى ، وقد تركت في النفس شعورين ممتزجين :

الشعور بعظمة الود الحبيب الجليل الذي ينسم على روح الرسول ﷺ من ربه الودود الرحيم، والشعور بالمطف على شخصه ﷺ ونحن نكاد نلمس ما كان يساور قلبه الكريم، في هذه الآونة التي اقتضت ذلك الود الجميل.

إنها الدعوة ، هذه الأمانة الثقيلة ، وهذا العبه الذي ينقض الظهر ، وهي مع هذا وهذا مشرق النور الإلهي ومهبطه ، ووصلة الفناء بالبقاء ، والعدم بالوجود» . (٣٠٠ .

. . .

مِنْ إِلَّهُ وَالْحَكِيمِ

﴿ أَلَوْنَشْرَحَ لَكَ صَدْرَكَ ۞ وَوَصَعْنَاعَنَكَ وِذْرَكَ ۞ اَلَّذِينَ أَنْقَضَ ظَهْرِكَ ۞ وَرَفَسَالُكَ ذِكْرَكَ ۞ فَإِنَّ مَعَ ٱلْمُسْرِيْشُرًا ۞ إِنَّ مَعَ ٱلْمُسْرِيُشُرًا ۞ فَإِذَا فَرَغْتَ فَأَنصَبْ ۞ وَإِلَى رَئِكَ فَأَرْغَبِ۞﴾

المفردات:

ألسم نشسسع ، ألم نُفسع بالحكمة والنبوة ، والاستفهام للتقرير ، كأنه قبل : قد شرحنا لك صدرك. وضعمانا صلك ، فَظُفنا عنك ، وسهلنا عليك .

وزرك عملك الثقيل، وهو أعياء الرسالة والنبوة.

الذي التقض ظهرك ، أثقاء حتى سُمع له نقيض (صوت) والكلام على التمثيل ، لأن النبي مُنْ كان يحمل همًا معنوبًا ، فشبه ذلك بمن يحمل حملا ثقيلا فوق ظهره ، ثم خفف الله عليه أعياء النبوة والرسالة التي تثقل الظهر ، من القيام بأمرها ، وأداء ولجباتها ، وحملً الله عنه ثقلها بأن صارت يسيرة له .

ورهمانا ثك ذكرك، بالنبوة والرسالة ، كأن جعلتك تُذكر مع ذكرى هى الأدان والإقامة والتشهد والخطبة وغيرها .

فسبإذا فسرغت : من عبادة أدِّيتها .

السائص بنا ، فاجتهد وأتعبها بعبادة أخرى ، أو بعمل آخر .

في جميم شئونك .

اتفسيد

١ - أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ .

الاستغهام هذا للتقرير ، فقد عدَّد الله تعالى عليه بعض النعم في سورة الضحى ، ثم أثمَّ تعديد النعم في سورة الشرح .

والمعنى:

قد شرحنا صدرك ، أي وسُّعناه ونورناه بالإيمان والرضا والسرور ، وإذهاب الضيق والآلام .

قال تعالى : أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُ, لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورِ مِّن رَّبُّهِ ... (الزمر: ٢٢) .

وقد كان ﷺ في ألم وحزن من تكذيب قومه ارسالته ، وإعراضهم عن دعوته ،

قال تعالى : وَلَقَدْ نَعَلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ، فَسَبَّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مَّن ٱلسَّلجِدِينَ .

(الحجر: ٩٨، ٩٧)

كانوا بقولون: ساحر وكاذب ومجنون ، وكانت يد الله تمسح على صدره ، فَتَهُون عليه ما يلقاه في سبيل الدعوة ، وتدعوه أن يذكر اسم الله في الشدة ، وأن يلجأ إلهه داعيا متبتلا .

قال تعالى : فَلَمَلْكَ بَلْخِعَ نُفْسَكَ عَلَى ٓ ءَالْرِهِمْ إِن لَّمْ يُولِمُواْ بِهَلْذَا ٱلْحَلِيثِ أَسَفًا . (الكهف: ٦) .

وقـــال تعــالى : قَـدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ, لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِي يُقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَثَّبُونَكَ وَلَنكِنَّ ٱلطَّلِمِينَ بِـقَائِسَتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ. (الانعام: ٣٣).

وقيل: المراد بالشرح هذا : توسيع الصدر حسيًّا حين كان يرضع من حليمة السعدية ، فأخذه مُلكَان فأضبعناه وشقا صدره ، وأخرجا منه حظ الشهطان وملاَّه بالإيمان .

وقد ورد ذلك فى صحيح مسلم ، وفى كتب السنة أن ذلك الشرح الحسّى تكرر وعمر النبي ﷺ عشرون سنة وأشهر ، كما وقع ذلك ليلة الإسراء والمعراج ، والجمهور على أن شرح الصدر هو تنويره بالحكمة ، وترسيعه لتلقى ما يرحى إليه .

وليس هناك ما يمنع من أن يُراد من شرح الصدر الشرح الحسَّى ، ويكين وسيلة لتطهير قلبه وتخليصه من أي أثر للشيطان ، ويكون هذا الشرح الحسَّى وسيلة أيضا للشرح المعنويّ ، وهو تحمّل أعباء الرسالة ، والصبر على الأداء ، واحتصال تكذيب القوم ، مع الصبر وانتظار الفرج ، وقد أشار إلى شيء من ذلك الإمام ابن كثير حيث قال :

أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ . يعنى : شرحنا لك صدرك ، أي نورناه وجعلناه فسيحا رحيبا واسعا .

وقيل : العراد بقوله : أَلَمْ تَطْرَحُ لَكُ صَدَّرُكُ . شرح صدره ليلة الإسراء ، وهذا وإن كان واقعا ، لكن لامتافاة ، فإن من جملة شرح صدره ﷺ ، الذي فُعل بصدره ليلة الإسراء ، ما نشأ عنه من الشرح المعنوي أيضًا . ا هـ .

والخلاصة:

إن الله جمع له بين الشرح الحسّى من جهة ، ثم أودع فى صدره من الهدى والإيمان والفضائل والحكمة ما لم يُعطه لأحد سواه .

٢ ، ٣ - وَوْ ضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ هِ ٱلَّذِيَّ أَنقَضَ ظَهْرَكَ .

قيل: إن معنى الآية: غفرنا لك ننبك الذي أنقل ظهرك ، أي آلمك وجعلك تنوء بحمله ، وترتب نفسك على ارتكاب شيء منهي عنه ، ولكن العراد على ارتكاب شيء منهي عنه ، ولكن العراد على ارتكاب شيء منهي عنه ، ولكن العراد منه ارتكاب خلاف الأولى ، مثل أن غيس في وجه عبد الله بن أم مكتوم ، حين جاء يلح في السؤال وطلب العلم ، وكان على منعتملا بعرض الإسلام على مجموعة أو أفراد من كبار المشركين ، طامعا في إسلامهم

ومثل أنه أدن لبعض المنافقين بالتخلّف عن الجهاد في غزوة تبوك حين استأذنوه في التخلف.

ومثل أنه قَبِلَ الفداء من كفّار مكة في أسرى بدر ، وقد كان عن اجتهاد منه 囊 ، ولكن الوحى نزل يبين أن ذلك خطأ أو مرجوح لا راجح ، وأن الأولى به 義 أن يختار الوجهة الأخرى التي شرحها القرآن.

والنبي ﷺ من حقّه أن يجتهد ، لأن الله تعالى أعطاننا جميعا العقل ، وكلفتا بالاجتهاد ، لكن النبي ﷺ لا يُعرَّ على خلاف الأولى ، وقد ذكر القرآن أَن الله قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر . لا يَعرُّ على خلاف الأولى ، وقد ذكر القرآن أَن الله قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر .

قال تعالى : إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ أَشَحًا مُبِينًا ؞ لِيُفَوِّرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا نَقَدَمَ مِن ذَنْبِكَ وَمَا تأخَرَ وَيُتِمْ يَعْمَنَهُ, عَلَيْكَ وَيَهابِكَ مِمِرَاطًا مُسْتَقِيمًا » وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا . (الفتح: ١ - ٣) . قال في التسهيل لعلوم التنزيل: وإنما وُصفت ذنوب الأنبياء بالثقل ، وهي صفائر مغَفُورة لهم ، لهمُهم بها ، وتحسّرهم عليها ، فهي ثقيلة عندهم لشدة خوفهم من الله ، وهذا كما ورد في الأفر : «إنَّ المؤمن يرى ذنوبه كالجبل يقع عليه ، والمنافق يرى ذنوبه كالنباية تطير فوق أنقه » (١٩١١) .

وذهب كثير من المفسرين (الله الله عنى قوله تعالى : وَرُضَعْنَا عَنكَ رِزْوَكَ م ٱلَّذِيّ أَتَقَضَ طُهُرَكَ . أي: يسرنا عليك أعباء النبوة والرسالة ، وينيّنًا لك طريق تبليغ الدعوة ، ويسُّرنا عليك تحمل الأعباء في دعوة قوم يصريُون على عبادة الأوثان والأصنام ، ويتهمونك بأنك شاعر أو كاهن أو مجنون ، ذلك أنَّ المقام مقام تعديد النّهم للتي أنعم الله تعالى بها على رسوله ﷺ .

وكان ﷺ قد حُكث في مكة فترة مؤلمة في بداية الدعوة ، تعرَّض فيها هو وأصحابه للأدي الحسّي والمعنوى ، ووقفت قريش حجر عثرة في طريق الدعوة ، بيد أن الله أمدُّ رسوله بالعزيمة والهمّة والقوة والصبر، نكان آية في هذا المجال.

وحين عرض عليه أهل مكة عروضًا منها المال أو الجاه أو الرئاسة أو العلاج من أثر الجن ، ووسُطوا عنه أبا طالب ليعرض عليه ذلك ، قال ﷺ: دولله ياعمّ ، لو وضعوا الشمس في يميني ، والقمر في يساري ، على أن أترك هذا الأمر ما تركته ، حتى يظهره الله أو تتقرد منه, هذه السالفة :

قال الأستاذ أحمد المراغي في تفسيره:

وَوَضَعْنَا عَمْكَ وِزْرُكَ ﴿ ٱلَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرُكَ .

أى: حططنا عنك ما أثقل ظهرك من أعباء الرسالة حتى تبلُّغها ، فجعلنا التبليغ عليك سهلاً ، ونفسك به مطمئنة راضية ، ولى قويلت بالإساءة ممن أرسلت إليهم. ٢٠٠٠).

﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرُكَ .

رفع الله له ذكره ، فختم به النبيين ، ويعل شريعته خاتمة الشرائع ، وجعلها باقية إلى يوم القيامة ، وأخزل عليه القرآن الكريم .

وملايين المآذن تردد الأذان ، وفيه شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمدًا رسول الله ، ويتكرر ذلك هي التُشهِد ، وفي خطبة الجمعة ، وفي كثير من الأمور .

وقد جعل الله على يدى رسوله محمد ﷺ إنقاد أعداد غفيرة من النَّاس من رق الأوهام ، وفساد الأحلام ، ورجم بهم إلى للفطرة ، وحررهم من عبادة الأرقان والأصنام والشموس والأقمار

قال حسان بن ثابت :

وضم الإله اسم النبيّ إلى اسمه إنّا قال في الخيس المؤذّن أشهد وشقّ له مني اسمه ليُجلّه فذو العرش محمود وهذا محمد

وقال قتادة : رفع الله ذكره في الدنيا والآخرة . أ هـ .

أي: جعل شريعته ورسالته خاتمة الشرائع ، ورفع ذكره في الآخرة حيث أعطاه الله الشفاعة العظمى التي اختصه الله تعالى بها .

وقال أخرون: رفع الله ذكره في الأولين والآخرين ، ونوّه به حين أخذ الميثاق على جميع النبيين أن يؤمنوا به ، وأن يأمروا أممهم بالإيمان به .

٥ ، ٧ - قَاإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا .

إن مع الشدة فرجا، ومع الصبر والكفاح نجاحًا وفلاحًا، وقد حدثت للدعوة الإسلامية والمسلمين في فجر الإسلام مضايقات من كفّار مكة ، فنزلت هذه الآيات تؤكد لهم أن مع العسر والضيق وتكالب كفار مكة على الإسسلام ، سيأتي يسر وفرج ، فقد تمت الهجرة وتم نصر المسلمين في بدر ، وتوالى نصر الله لرسوله ﷺ ، هتى فُتحت مكة وهفل الناس في دين الله أفولجا .

والآية السادسة تكوير وتأكيد للآية الخامسة ، ويحتمل أن يكون لها معنى جديد ، وهو قدوم لليسر والنصر العظيم ، والغني والفرج والمغانم .

حيث كان كفار مكة بعيرين رسول الله ﷺ والمسلمين بالفقر ، فنزات الآيات تبشره بأن الشدة ستزول ، وأن اليسر سيأتي بعد العسر ، وبالفعل أكرم الله رسوله ﷺ وأمته ، ففتح الله له البلاد ، ودان له العباد ، ودخل الناس في الإسلام أفواجا وجماعات ، ويلانا وأمما .

قال الشاعر:

ولرُّرِا َ نَازِلَةَ يَضِيقَ بِهَا الفَتَى فَرِمَّا وَعَنْدُ اللهُ مِنْهَا البَحْرِجِ كَمِكْ فَلَمَا استحكيت حلقائها فرحت وكنت أظنها لا تفرج

٧ ، ٨ - فَإِذَا فَرَغْتَ فَآنصَبْ ﴿ وَإِلَىٰ رَبُّكَ فَآرْغَب .

إذا فرغت من شئون الدنيا وأمرها فأتبع ذلك بالنَّصب والتَّعب في شئون الآخرة ، وارغب إلى الله في عبادتك وصلاتك ومناجاتك وتبتَّك ، وقُمَ إلى العبادة نشيطا فارغ البال ، وأخلص لربك النية والرغبة . ' وقيل: إذا فرغت من الصلاة المفروضة فانصب في صلاة النافلة ، أو في الدعاء والاستغفار .

وَإِلَىٰ رَبِّكَ أَلَّرْغَب . اجعل نيتك ورغبتك إلى الله عز وجل .

وقد سار النبى ﷺ على هذا الهدى الكريم ، فكان نمونجا يُحتدى فى عمله ، وقيام الليل ، وتدريب المسلمين وقيادة الجيوش، وتربية الصحابة والصحابيات ، وقد اقتدى به أصحابه من بعده ، فكانوا خير أبة أغد حد للناس .

قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : إنى لأكره لأحدكم أن يكرن خاليا ، لا في عمل دنيا ولا دين . وقال عمر أيضًا : إنى لأنظر إلى الرجل فيعجبني ، فإذا قبل إنه لا عمل له سقط من عيني .

* * *

تم بحمد الله تعالى تفسير سورة (الشرح) ، ونسأله سبحانه وتعالى العون والتوفيق والفتوح ، إنه نعم المرابي ونعم النصير .



أهيداف سيورة التين

(سورة التين مكية ، وآياتها ٨ آيات ، نزلت بعد سورة البروج)

والحقيقة الرئيسية التي تعرضها سورة التين هي حقيقة الفطرة القويمة التي فطر الله الإنسان عليها. يُنسم الله سبحانه على هذه الحقيقة بالتين والزيتون ، وطور سينين ، وهذا البلد الأمين .

وقد كثرت أقوال المفسرين في التين والزيتين ، فقيل : هما جبلان بالشام ، وقيل : هما هذان الأكلان اللذان تعرفهما بمقيقتهما ، وقد أقسم الله بهما لأنهما عجيبان من بين الأشجار المثمرة .

وَطُورِ سِنِينَ . هو الطور الذي نُودي موسى عليه السلام من جانبه ، وَهَلْذَا ٱلْبَلْدِ ٱلْأَصِنِ . هو مكة بيت الله الحرام .

لله خلفنا الإنسان في أحسن تعديل، بانتصاب قامته وحسن صورته ، واستجماعه لخواص الكائنات في تركيبه .

ثُمَّ زَدَدْتَنْهُ أَسْفَلَ سَنْفِلِينَ .

أى: ثم كان عاقبة أمره حين لم يشكر نعمة الله عليه أن رددناه أسفل سافلين ، حيث تصبح البهائم أرفع منه وأقوم ، لاستقامتها على فطرتها ، وإلهامها تسبيح ربها ، وأداء وظيفتها على هدى ، بينما هو المخلوق في أحسن تقويم يجحد ربه ويرتكس مم هواه .

لَقَدْ خَلَقَنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ. فطرة واستعدادا . ثُمَّ رَدَّدَنْنَهُ أَسْفُلُ سَنْظِينَ . حين ينحرف بهذه الفطرة عن الخط الذي هداه الله إليه ويينه له .

إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَاشُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّلِحَاتِ... فلهم أجر دائم غير مقطوع ولا منقوص ولا ممنون.

فما يكذبك بالدين بعد ظهور هذه الحقيقة ، وبعد إدراك قيمة الإيمان في حياة البشرية ؟

أَيِّسُ ٱللَّهُ بِأَحْكُمِ ٱلْحَكِمِينَ . اليس الله بأعدل العادلين ، حين يحكم في أمر الخلق على هذا النحو ؟ أ_و اليست حكمة الله بالغة ؟

والعدل واضح والحكمة بمارزة ، ومن ثم ورد في الحديث المرفوع : «إذا قرأ أحدكم : وَٱلْتَيْنِ وَآلَوْيُكُونِ . غَاتِم آخرِها : أَلَيْسُ ٱللَّهُ يَأْحُكُم ٱلْحَلْكِيسِ . فليقل : بلي ، وأنا على ذلك من الشاهدين» .

مجمل ما تضمئته السورة

أؤسم الله تمالى بأنه أحسن خلق الإنسان ، فجعله منتصب القامة ، متسق الأعضاء والخواص ، وقد يرده إلى أرنل للعمر فيصير ضعيفا هرما .

أو أنه فطر الإنسان أحسن فطرة نفسا ويدنا وعقلا ، إلا أنه تمثيا مع رغباته الأليمة ، ونزواته الشريرة ، انحطت منزلة بعض أفراده ، فصيره الله إلى منازل الغزى والهران ، واستثنى الله تعالى من هذا المصير ، أولئك الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، فلهم أجر غير مقطوع ، وأشارت السورة أيضا إلى أن الله تمالى هو أعدل الحاكمين ، وأعلى المديرين حكما .

* * *

حالة النوع الإنسائي خلقا وعملا



﴿ وَالِيْنِ وَالنَّهُونِ ۞ وَمُوْرِسِينِ ۞ وَهَذَا ٱلْبَكِيا ٱلْأَمِيبِ۞ لَقَدْ خَلَقَنَا ٱلْإِنسَنَ فِي ٓ أَحْسَنِ تَقْوِيرِ۞ ثُمَّ زَدْتُهُ أَسْفَلَ سَغِلِينَ ۞ إِلَّا ٱلَّذِينَ امْنُواْ وَعَلُواْ ٱلصَّلِيحَتِ فَلَهُمْ ٱجْرُ ۞ فَمَا يُكُونُهُ كَ بَعْدُ بِالدِّينِ ۞ ٱلْيَسَ اللهُ بِأَخْرَ لَلْنَكِيدِينَ ۞ ﴾

المطردات:

والتين والزيتون ، قسمٌ بهما ، وقيل : قسمٌ بمنيتهما من الأرض المباركة .

وطور سيئين ، جبل المناجاة للكليم موسى عليه السلام ، وسينين وسيناء علمان على الموضع الذي فيه جبل الطور .

البلد الأمين؛ مكة المكرمة.

الصد خلط شا، جواب القسم.

أحسن تشويم ، أكمل تعديل ، وأحسن صورة

رددنسسساه؛ رددنا الكافر، أو جنس الإنسان

أسقل ساقلين ؛ إلى النار ، أو الهَرِم وأرثل العمر .

غير مستون ، غير مقطوع عنهم

بالسنتيسن ، بالجزاء بعد البعث والحساب

التفسيره

١ - وَٱلنَّينِ وَٱلزُّيْتُونِ .

الله تعالى يُقسم ببعض مخلوقاته ليلفت النظر إلى فضلها ، أو يشير إلى منابتها وأساكن وجودها ، وقد تعددت آراء العلماء في المراد بالتين والزيتين .

وأقوى الآراء هنا رأيان :

الرأى الأول :

الدراد بهما: التين الذي نأكله ، والزيتون الذي نأكله ، وإنسا أقسم بالتين لأنه غذاه وفاكهة ودواه ، فهو غذاه لأنه طعام لطيف ، سريع الهضم لا يمكث في المعدة ، يكين الطبع ، ويقلل البلغم ، ويعلّس الكليتين ، ويزيل ما في المثانة من الرُّمَّل ، ويسمِّن البدن ، ويفتح مسام الكبد والطّحال ، وهو خير الفواكه وأحمدها ، وفي الأثر: (إنه يقطم البواسير ، وينضم من النقرس).

وكذلك أقسم الله بالزيترن لأنه فاكهة وإدام ودواء، يعصر منه الزيت الذي هو إدام غالب لأهل بعض المبلاد ودهنهم ، ويدخل في كثير من الأدوية .

قال تعالى : وَشَجَرَةٌ تَحْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِٱللَّهُن وَصِيْعِ لَّلاَّ كِلِينَ . (المؤمنون : ٢٠) .

وقال تعالى : وَزَيْتُونًا وَنَحْلاً . (عبس : ٢٩) .

الرأى الثاني :

أنهما كناية عن البلاد المقدّسة التي اشتهرت بالتين والزيتون ، ويكثر ذلك في بيت المقدس ، وجبل ببت المقدس الذي بُعث منه عيسى عليه السلام .

ويذلك يكون القسم فى السورة بالأماكن المقدّسة التى أُرسل منها الرسل الكرام : موسى ، وعيسى ، ومحمد ﷺ ، وقد جاه فى آخر الترراة نِكْر هذه الأماكن الثلاثة : جاه الله من طور سيناء (يعنى المكان الذي كلّم الله عليه موسى) ، وأشرق من ساعير (يعنى جبل بيت المقدس الذي بُعث منه عيسى) ، واستعلن من جبال فاران (يعنى جبال مكة التى أُرسل الله منها محمدًا ﷺ).

٧ – وَطُور سِينِينَ .

هو الجبل الذي كلّم الله عليه موسى بن عمران عليه السلام ، ويقال له : طور سَيناء بفتح السين وكسرها ، وقُرئ سَينين بفتح السين وسِينين بكسر السَّين ، قيل : هو اسم للبقعة التي بجوار الجبل . وقال الأخفش: سينين جمع بمعنى شجر، واحدته سينه أى شجرة، والقسم به لرفع ذكره، والتذكير بما كان عند ذلك الجبل من الآيات الهاهرات التى ظهرت لموسى وقومه، وما كان بعد ذلك من سنَّ الشريعة الموسوية وإنزال التوراة.

٣ - وَهَلْدًا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِين .

وهو مكة المكرمة ، وأمين بمعنى آمن ، حيث يأمن الإنسان على نفسه وماله وعرضه ، فقد حُرِّم فيه العدوان ، حتى لو وجد الإنسان قاتل أبيه في مكة فلا يحل له أن يقتله .

قال تعالى : أَوَلُمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنَا وَيُتَخَطُّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ... (العنكبوت: ٦٧) .

وقد سمّى الله مكة بكة ، وسمّاها أم القرى ، وسمّاها حرمًا آمنا ، وجعلها قبلة المسلمين إلى يوم الدين ، ويها المسجد الحرام ، والكعبة المشرفة ، ويها ولد محمد ﷺ ، ثم هاجر منها ، وعاد إليها فاتحًا منتصرا ، ثم أذرل الله عليه : آثَيْرُمُ أَكْمُلُ لَكُمْ وِيْنُكُمْ وَأَنْمُمْتُ عُلْيَكُمْ إِنْفُتِي وَرَضِيتَ لَكُمْ الْوَسُلَمْ وِيتًا . . (المائدة . ٣).

والمحتى : رأتسم بهذا البلد الذي جعله الله مثابةً للناس وأمنا ، والذي وُلد فيه محمد ﷺ ، ونزل الوحى عليه ﷺ في هذا البلد أول مرةً بغار حراء ، ثم تتابع الوحى وكملت شريعة الإسلام .

كما قال تعالى : لا أَقْسِمُ بِهَالَمَا ٱلْبَلَدِهِ وَأَنتَ حِلُّ بِهَالُمَا ٱلْبَلَدِ . (البلد : ١٠ ٢).

الله عَلَقْنَا ٱلْإِنسَانَ فِي أَخْسَنِ تَقْوِيمٍ .

هذا هو جواب القسم .

أى: أقسم بالتين والزيتون ، ويجبل طور سينين ، ويمكة البلد الأمين ، لقد خلقنا الإنسان في أحسن ما يكون من التعديل والققويم ، مسورة ومعنى .

فقد خلق الله الإنسان معتدل القامة ، جميل الصورة ، وفي وجهه للنظر عينان ، وللسمع أذنان ، ولسان وشفتان ، ومنحه الله يتين يبطش بهما ، ورجلين يمشى عليهما ، وعقلاً يفكّر به ، ونفع الله فيه من روحه ، وأسجد له الملائكة ، وكرَّمه الله تكريما عظيما ، وفضّله على كثير من مخلوقاته ، فَصندر الإنسان آية ، وبطنة آية ، وفرجه آية ، إلى جوار الأجهزة للمتعددة الموجودة في الإنسان كالجهاز الهضمى ، والجهاز العصبي ، والجهاز التناسلي ، ثم ميزه الله بالإرادة والاختيار ، والعقل والفكر ، وأرسل الله له الرسل ، وأنزل له الكتب . قال القرطبي : ولذلك قالت الفلاسفة: إنه العالم الأصغر ، إذ كل ما في المخلوقات جُمع فيه . ا هـ . قال الشاعر :

وتنزعتم أنك جنرم صنغيس وفنيك انطوى البعالم الأكمر

وقال تعالى : وَلَقَدْ تَكُومُننا بَنِي َ عَادَمْ وَحَمَلَتْنَهُمْ فِي آلْرُ وَٱلْبَحْرِ وَرَوْلَتَنْهُم مَنَ الطَّيَسَتِ وَفَصْلَتْنَهُمْ عَلَىٰ كَثِيرِ مُمَّارُ عَلَقْنَا فَهْجِيلًا . (الإسراء: ٧٠).

ه - ثُمَّ رُدُدُنَنْهُ أَشْفَلَ سَنْفَلِينَ .

أي. لقد خلقنا الإنسان في أفضل خلقة ، حسيًا ومعنويًا ، لكنه لم يشكر هذه النعمة ، ولم يغطن لهذا الفضل ، فرأيناه يكنر بفضل اللهو الفضك اللهود ، ويسير وراء نزواته ، ويفضّل اللهو والممر والكفر ، ومعاداة الرُسل ، فيستحق أن يكون من أهل النار ، وأن يكون في أقبح خلقة ، وأسفل درجة ، يكثره وعناده ، لم يدخوله جينم ويئس الدصير .

وذهب بعض المفسرين إلى أن المعنى كالآتي :

خلقنا الإنسان هي أغصل خلقة ، وينتقل من الضعف إلى القوة والربثد وبلوغ الأبثد، ثم يعود إلى أسفل ساظين ببلوغه مرحلة الكهر والضعف ، فيعود ضعيف القوة ، ضعيف الذاكرة ، وريما وصل إلى مرحلة ضهام الذاكرة وخرف العقل ، أو تغضّن الرجه واهتزاز اليد وقلة الحيلة .

وكان ﷺ يستعيد بالله من أن يردّ إلى أردَل العُمر ، واختار جمع من المفسرين الرأى الأول ، لأنه يرتبط بما قبله ويما بعده .

أي أن الله خلق الإنسان في أكمل صورة ، لكنّ الكافر هوى بنفسه إلى مرحلة البهائم ، أو أضل سبيلا ، باختيار الكفر على الإبمان ، والضلال على الهدى .

قال ابن كثير:

فُهُ زَ دَدَيْنَهُ أَشْفَلَ سَنْقَلِينَ .

أى إلى النار، قال ذلك مجاهد والحسن وأبو العالية وابن زيد، أى: بعد هذا الحسن والنضارة مصيره إلى النار، إن لم يُطع الله ويتبع الرُّسل، ولهذا قال بعد ذلك: إِلَّا اللَّينَ وَاثْوَا وَعَوِلُواْ ٱلْمُّـلِحُنْتِ ...

وقال بعضهم:

ثُمَّ رَدَدْنَنهُ أَسْفَلَ سَنفِلِينَ .

أى : إلى أرذل العمر (١٧٢). واختار ذلك ابن جرير الطبرى .

ولو كان هذا هو العراد لما حَسُن استثناء العرُمنين من ذلك ، لأن الهوم قد يصيب بعضهم ، وإنما العراد ما ذكرناه ، كقوله تعالى : وَٱلْقَعْسِ » إِنَّ ٱلْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ » إِلَّا ٱلْذِينَ ءَامَثُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّالِخَاتِ..... وَتَوَاصُواْ الْلَحَقُ ثَوَاصُواْ بَالْصُرِ . (العصر: ١-٣) .

٣ - إِلَّا ٱلَّذِينَ عَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّالِخَلْتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمَّنُونِ .

أى أن الكافر والعاصى يُردُ إلى أسفل سافلين فى جهنم ، لكن الذين آمنوا وعملوا المسالحات لهم فى الآخرة ثواب أعمالهم المسالحات لهم فى الآخرة ثواب أعمالهم غير منقوص ، لللّهِنْ أَخَمَنُواْ ٱلْخَشْئَى وَرِنَاكِةٌ ... (يونس: ٢٦). حيث تزداد وجوههم حسبًا ونضارة ، وإشراقا ونورًا ، بسبب الشيم الذى يتمتعين به ، وبسبب رضوان الله عليهم ، ويسبب الشباب والقوة والنعمة التى يعنحها الله لأهل الجنة ، فلهم أن يشبّوا فلا يهرموا أبدا ، ولهم أن ينعموا فلا يصيبهم البرس . وقالُواْ أَلْحَمَدُ لِلّهِ الذِي

أو المعنى:

لكن الذين كانوا مؤمنين صالحين من الزَّمنى والهَرْمَى فلهم ثواب متصل دائم لا ينقص بالهرم وقلة العمل ، هجزاء امتثالهم ، وصبرهم على الابتلاء بالشيخوخة والهرم ، ومقاساة المشاق ، والقيام بالعبادة مع ضعفهم ووهنهم .

أخرج ابن أبي حاتم ، عن ابن عباس أنه قال في الآية : إذا كبر العبد وضعف عن العمل كُتب له ما كان يعمل في شبيبته، ٢٠٠٩.

٧ - فَمَا يُكَذَّبُكَ بَعْدُ بِٱلدِّينِ .

ما الذي يجعك أيها الإنسان الكافر الجاحد مكذبا بيوم الدين والقيامة والبعث والجزاء ، بعد أن قدمتُ لك هذه الأدلة على قدرتى ، أليس الذي خلق الإنسان في أحسن تقويم بقادر على إعادته عند البعث والجزاء؟ فالمقصود بقوله تعالى: يُكَمُّبُكُ: يجعلك مكنها، أي لا عنر لك في التكنيب بالحق، وقيل: الخطاب للرسول محمد على المعنى: من الذي يكنهك أيها الرسول الكريم، ويكنب بيوم الدين والجزاء بحد أن ظهرت الولاق على صدقاته؟

إن كل عاقل ينبغي أن يمدقك ولا يكذبك، ويتبعك ولا يُعرض عنك.

٨ - أَلِسُ آللُهُ بأَحْكُم ٱلْحَلْكِمِينَ.

أليس الذي خلق فسيِّى ، وقلَّد فهدى ، وخلق الإنسان في أحسن تقويم ، وأبدع الكون ، وخلق كلَّ شيء فَقَدُرِه تقديرا ، أليس هذا الإله بأعدل العادلين ، حكمًا وقضاه ، وفصلا بين العباد ؟

قال ابن كثير:

أما هر أحكم الحاكمين الذي لا يجور ولا يظلم أحدًا ، ومن عدله أن يقيم القيامة ، فينتصف للمظلوم في الدنيا ممن ظلمه .

وقد روى الإمام الترمذي ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : همن قرأ منكم : وَٱلْتِينَ وَٱلْزَيْتُونِ . ثم انتهى إلى قوله تعالى : ٱلْبَسِ ٱللَّهُ ﴾ حَكم ٱلْحَكَجِينَ . فليقل : بلي ، وأننا على ذلك من الشاهدين» .

* * *

(تم بحمد الله تعالى وتوفيقه تفسير سورة التين) .



أهيداف سيورة العبليق

: (سورة العلق مكية ، وهي أول ما نزل من القرآن الكريم ، وعدد آياتها ١٩ آية لا

مع آيات السورة

 ١ - ٥ - ورد في كتب الصحاح أن النبي ﷺ كان يتعبد في غار حراء، فجاءه المَلَك فضمه ضما شديدا حتى بلغ منه الجهد ثلاث مرات ، ثم قال :

ٱقْرَأَ بِالسَّهِ رَبِّكَ ٱلَّذِي حَلَقَ هَ خَلَقَ ٱلْإِنسَسْ مِنْ عَلَقٍ ۚ ٱلْوَا ۚ وَرَبُكَ ٱلْأَكْرَهُ ۚ وٱللَّذِي عَلَّمَ بِالْفَلَمِ، عَلَمْ ٱلْإِنسَلَ مَا لَمْ يَعْلَمُ .

اقرأ باسم الله وقدرته ، الذي أحكم الخلق ، وهو يديع السماوات والأرض ، خلق الإنسان من دم متجد ، يعلق بجدار الرحم ، فسواه من نطفة إلى علقة إلى مضغة إلى عظام ، فكسا العظام لحما لم أنشأه خلقاً آهن ، فتبارك الله أحسن الخالقين .

اقرأ وريك الأكرم الذي له الكمال في زيادة كرمه على كل كريم ، يُنعم على عباده بالنعم ، ويحلم عليهم فلا يعاجلهم بالعقرية .

ومن الله يستمد الإنسان كل ما علم وكل ما يعلم ، والله هو الذي خلق وهو الذي علّم فمنه البدء والنشأة ، ومنه التطيم والمميقة .

وقد كان ﷺ أكمل الخلق ذكرا لله ، وكان ذكره الله يجرى مع أنفاسه قائما وقاعدا وعلى جنبه ، وفي مشيه وركويه ، وسيره ونزوله ، وسفره وإقامته ، واقد كان واجب كل إنسان أن يعرف ربه ويشكره ، ولكن الذي حدث غير هذا .

٦ – ٨ – كلا إن الإنسان ليتجارز الحد في التعدى، أن رأي نفسه مستغنيا ، إن إلى ربك الرجوع والحساب،
 فليس هناك مرجم سواه ، إليه يرجم الغني والفقير ، والضالح والشرير ، ومنه النشأة وإليه المصير.

وكان أبو جهل يقول: لو رأيت محمدا ساجدا لوطئت عنقه ، فأنزل الله عز وجل:

٩ - ١ - أَرْوَشِتْ ٱلْذِي يُنْهَى وَ عُبُداً إِذَا صُلْقى " أَي : أُراقِت أَبا جهل ينهى محمدا عن المسلاة ؟ أَرأيت إن كان
 هذا الذي يصلى على الهدى أو أمر بالتقوى ، ثم ينهاه من ينهاه مع أنه على الهدى وأمر بالتقوى؟

أرأيت إن كان ذلك الناهى مكتبا بالحق متوليا عنه : أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ ٱللَّهْ يَرَىٰ . ويطلع على أحواله ، ويرى نهيه للعبد المؤمن إذا صلى ، وسيواخذه على ذلك ، وقد وردت روايات صحيحة تغيد أن أبا جهل نهى النبى صلى على أعلظ له الرسول القول ، فقال أبو جهل : أتهددنى وأنا أكثر أهل الوادى ناديا ، أى مجلسا يجتمع فيه القوم والأعوان .

٥١ – ١٩ - وأمام مشهد الطغيان يجيء التهديد الحاسم الرادع الأخير: كلا لذن لم يرجع عما هو فيه ، لنقيض على التهذيل المنطقة الماريق ، لنقيض على المنطقة الماريق ، في التهذيل المنطقة الماريق ، المنطقة الماريق ، المنطقة والمنطقة المنطقة المنط

مقاصد سورة العلق

تشتمل سورة العلق على المقاصد الآتية :

 ١ – حكمة الله في خلق الإنسان من قطعة لحم علقت بجدار الرحم ، ثم تكوينه خلقا كاملا ، يبسط سلطانه على كثير من الكائنات .

- من كرم الله وإنمامه أن علم الإنسان البيان ، وأفاض عليه الكثير من النعم ، مما جعل له القدرة على
غيره مما في الأرض .

٣ - لقد غفل الإنسان عن هذه النعم ، فإذا رأى نفسه غنيا صلف وتجبر واستكبر.

تمهيد من السنَّة المظهَّرة

قال: فرجع بها ترجف بوادره ، حتى دخل على خديجة فقال: «وتمكونى زمكونى» ، فرمكوه حتى نهب عنه الروع ، فقال: «بها خديجة ، ما لى» ؟ وأخيرها الخبر ، وقال: «قد خشيت على نفسى» . فقالت له : كلاً ، أيشر فوالله لا يخزيك الله أبدًا ، إنك لتصل الرحم ، وتصدق الحديث ، وتحمل الكلُّ ، وتقرى الضهه ، وتعين على نوائب الحق ، ثم انطاقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن قصى ، وهو ابن عم خديجة أخى أبيها ، وكان امرأ قد تنصر في الجاهلية ، وكان يكتب الكتاب العبراني ، وكتب بالعربية من الإنجيل ما شاه الله أن يكتب ، وكان شيخًا كبيرًا قد عمى ، فقالت خديجة : أى ابن عم ، اسمع من ابن أخيل أخيك ، فقال ورقة : هذا الناموس الذي أنزل على موسى ، ليتني فيه جذعًا ، ليتني أكرن حيًّا حين يخرجك قومك ، فقال ورقة ، هذا الناموس الذي أنزل مهرمي ، وقال ورقة : نعم ، له يأت رجل قط بما جنت به إلا عُودى ، وإن يدركني يومك أنصرك نصرًا مززًا ، ثم لم ينشر ورقة أن الورقة : نعر الوحي ٣٠٠).

بِنْ إِلَيْ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ الرَّهِ إِلَيْ حِيدِ

﴿ اَقُرَأُ بِالْسِرَرَيِكَ الَّذِي خَلَقَ ۞ خَلَقَ الْإِنسَنَ مِنْ عَلَيّ ۞ اَفَرَأُورَتُكَ الْأَكْرَمُ ۞ الَّذِي عَلَمَ بِالْقَلَمِ ۞ عَلَمْ الْإِنسَنَ مَا لَتَيْعَمُ ۞ كَلَّمْ إِنَّ الْإِنسَنَ لَيَظْمَعَ ۞ اَنْ وَاهُ اسْتَغْنَى ۞ إِنَّ إِلَى رَئِكَ الرُّجْعَ ۞ أَرْمَيْتَ النِّي مِنْعَى ۞ عَبْدًا إِذَا صَلِّقَ ۞ أَرْمَيْتَ إِنْكَانَ عَلَى لَمُنكَ ۞ اَرْأَمَرَ بِالنَّقُوعَ ۞ أَرْمَيْتَ إِنْكَانَ مَنْ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ ا

المطردات ا

اق بيراء أي ما يُوحي إليك ويُتلى.

بــــاســــم ربك ، مبتدئا ومستعينا باسمه تعالى .

الأكسسرم؛ له كمال الكرم.

علم بالقلم : جعل الكتابة وسيلة العلم .

. علم الانسان ما لم يعلم ، أوجد فيه قوة إدراك المعلومات وطاقات تحصيلها ، ويسر له الدرس .

ك لا ، للزجر والردع .

السيسط في ويظلم.

أن رأه استنفسني ، أي بسبب غناه أبطرته النعم .

السرجم الرجوع والمصير إلى الله.

السدى يستسهسي ، إشارة إلى أبي جهل .

عصيصدا إذا صطلعي : يريد النبي ﷺ .

المستعدن الأخزنه بعزف

: _____ادر ____ في مجتمع القوم » والمراد : مَنْ به ع

الريادية العذاب.

واقترب إلينا بالطاعة.

التفسره

١ ، ٢ - أَقْرَأُ بِأَسْمِ رَبِّكَ أَلَّذِي خَلَقَ وَخَلَقَ ٱلْإِنسَانَ مِنْ عَلَقِ .

هذه الآيات هي أول آيات نزلت من الوحى على رسول الله ﷺ في غار حراء إنها أول آيات من وحى السماء ، إنها تمثل نقلة كبيرة في حياة الإنسان ، حيث يتفضل الإله العلى الكبير ، القادر الفغال لما يريد ، فيُنزل وحى السماء ، ويربط الإنسان المطوق بوحى الله الخالق ، وينزل الوحى يحمل الهدى والتشريع ، ويأخبار القيامة ، ويلفت النظر إلى الكون وما فيه ، ويرشد الإنسان إلى صفات الله وكمالاته ، ويرشده إلى المأمورات والمنهيات والأخلاقيات ، والرسالات والنبوات والغيبيات ، إنه كلام الله العلى القدير ، ورسالات السماء ، وفضائل الله على عباده ، حيث يشتار رسولاً من البشر فيوحى إلى عباده ما يشاء ، ويرسل جبريل إلى محمد ﷺ فينقل إليه القرآن الكريم خلال ثلاثة وعشرين عاماً ، كان المسحابة سعداء أن الوحى ينزل على نبيهم صباح مساء، يعلم م ويرشدهم ، ويهذبهم ويشرع لهم ، ويأخذ بأيديهم طريق الهذى والشاد ، القرأن القرآن روحة وهداية .

هال تعالى : وَكَفَالِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مَنْ أَمْرِفَا مَا كُمتَ قَلْدِي مَا ٱلْكِشَابُ وَلَا ٱلْإِيمَـٰنُ وَلَلَـٰكِن جَعَلَـٰنَهُ تُورًا نَهْدِي بِهِ مَن لَشَاةً مِن جَادِنَا وَإِلَّكَ تَشْهُدِيَ إِنِّي مِرَاطٍ مُسْتَقِيعٍ . (الشدوي. ٥٦) .

إن هذا الوحى هو الذي طهِّر هذه الأمَّة ، وألهمها رشدها ، وأخرجها من ظلمات الجاهلية إلى نور الإسلام .

عود إلى التفسير

ٱقْرَأُ بآسم رَبُّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ .

كن قارنًا للوحى يا محمد ، لا بحوّلك ولا بقوّتك ولكن بقدرة الله الخالق ، فابدأ القراءة ، بِأَسْمِ رُبُك . أي باسم الله الرحمن الرحيم ، فهي بداية مباركة لأجلّ كلام ، للوحي الإلهي .

ٱلَّٰذِي خَلَقَ .

فهو سبحانه الخالق الذي خلق فسوَّى ، هو الخالق الذي خلق السماوات والأرض ، وجعل الظلمات والذور ، هو الخالق الذي خلق كلُّ شيء ، ٱلَّذِيّ أَخْسَنُ كُلُّ شيِّ عَلَقَهُمْ وَمَذَا خَلْقَ ٱلْإِنسَانِ مِن طِينٍ . (السجدة .٧).

خَلَقَ ٱلْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ .

علق الله أدم بيده ، ونفغ فيه من روحه ، وأسجد له الملاتكة ، وخلق حواه من ضلعه ليسكن إليها ، وزرُّجه الله من حوّاه ، وأسكنه فسيح الجنة ، ونهاه عن الأكل من شجرة معينة ، فعصَى آدم ربّه وأكل من الشجرة ، ثم تاب الله عليه وهذاه ، وأنزله إلى الدنيا ليعمر الكرن ، وليكدح ويستعمر الأرض هو وذريته ، وجمل خلق نريته من منيً يُعنى ، ثم ينتقل العني من الذكر إلى الأنثى ، ثم يتم العمل ويتحول العني إلى علقة ، وهي قطعة لحم تعلق بجدار الرَّحم وتتشبت به ، وتمسك يقرار مكين في رحم الأم ، فما أبدع الخالق الذي خلق الكون للإنسان ، وما أكرم الخالق الذي خلق الإنسان من علق ، أي جمل بدلية خلق الإنسان من نطقة ، ثم تطورت إلى علقة ، ومرت بمراحل في بطن الأمّ إلى أن اكتملت حياة الجنين ، وقد أنشأه الله خلقًا أخر ، فَيَرَاكُ الله عَلْمَا

٣ ، ٤ ، ٥ - ٱقْرَأُ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ و ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ و عَلَّمَ ٱلْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ .

اقرأ الوحى ، وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرُمُ . كثير الكرم والفضل ، حين أفاء عليك بالنبُوّة ، وأنزل عليك الوحى ، وأعطاك الشريعة الشَّمحة التي ختم الله بها الشرائع ويسرها للناس ، وُيُسَّرِكُ لِلْبُسْرَىٰ . (الأعلى: ٨) .

ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ .

ويواسطة القلم كُتبت الشرائع والطوم والفنون ، والآثار والأخبار ، والتوراة والإنجيل ، والزبور والفرةان ، والحكمة والسُّلة ، لذلك أقسم الله بالقلم والدواة .

قال تعالى : نْ وَٱلْقَلَم وَمَا يَسْطُرُونَ . (القلم : ١) .

وأُنزل القرآن ليُكلى ويقرأ ، ثم يكتب ويُسطَّر ، واختار النبيُّ أميًّا ليكون معجزة بارزة ، فهذا الأميُّ لم يقرأ كتابًا ، ولم يخط بيمينه كتابًا ، ومع هذا يقرأ هذا الرحى المبين الحكيم المعجز ، ويتحدَّى به الناس أجمعين ، مما يدلُّ على أنه ليس من صنع بشر ، بل تنزيل من رب العالمين .

عَلَّمَ ٱلْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ .

أفاض الله الوحى والتشريع ، والهدى والقصص ، وأحبار الأولين والآخرين ، ومشاهد القيامة ، وأبب الدنيا والدين في هذا الوحى ، ليعلِّم به الإنسان كلَّ ما لم يعلمه ، فسبحان المعلَّم الذي اختار رسولاً وأنزل عليه وجيًا ، ليُملِّم الإنسان ما لم يعلمه إلا بطريق الوحى .

قال تعالى : إنَّى أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ . (البقرة : ٣٠).

وفي الأثر: (من عمل بما علم ورَّثه الله علم ما لم يكن يعلم).

يقول أحمد شوقي:

مبحانك اللهم خيبر معلم أرسلت بالتوراة موسى مرسلاً ويَجَرِّت ينبوع البيان معمدًا الجهل لا تعيا عليه جماعة ناشدتكم بلك الدماء زكية فترى الذين بنى المسلة جاتم

علَّمت بالقلم القرون الأولى وأبن البتول فعلم الإنجيلا فسقى الحديث وعلم التأويلا كيف العياة على يدى عزيلا لا تبعنوا للبرلمان جهولا لا تُبحسنون لإبسرة تشكيلا

جاء في تفسير القرطبي ما يأتي:

نبّه تعالى على فضل علم الكتابة ، لما فيه من المنافع العظيمة التى لا يحيط بها إنسان ، وما ذُوَنت العلوم ولا قودت الحكم ، ولا ضبطت أخبار الأولين ومقالاتهم ولا كتب الله المنزلة إلا بالكتابة ، ولولاها ما استقامت أمور الدنيا والدين . اهـ.

وقال ابن كثير في تفسير هذه الآيات:

أول شيء نزل من القرآن هذه الآيات المباركات ، وهنّ أوّل رحمة رحم الله بها العباد ، وأوّل نعمة أيّم الله بها عليهم ، وفيها التنبيه على ابتداء خلق الإنسان من علقة ، وأن من كرمه تمالى أنْ علّم الإنسان ما لم يعلم ، فشرّفه الله وكرّمه بالعلم ، وهو القدر الذي امتاز به آدم على الملائكة . ا هـ .

٣ ، ٧ ، ٨ - كَلَّا إِنْ ٱلْإِنسَانَ لَيْطُغَيَّ . أَن رُءَاهُ ٱسْتَغْنَى ۚ . إِنَّ إِلَىٰ رَبُكَ ٱلرُّجْعَنَى

حقًا إن الإنسان ليتعاظم ويتكبُّر، ويأخُذُهُ الغرور والفخر إذا أحسُّ بالاستغناء، أي بالوفرة في صحته وماله وتراثه، ويوشك أن يكرر ما قاله قارون: إِنْمَا أَوْيَتُهُ، عَلَىٰ عِلْمِ عِبْدِيِّ .. (القصم: ٧٨).

أيها الإنسان الذي خلقه الله من نطفة ، وعلُّمه ما لم يكن يعلم ، وأسدى إليه الفضل وسائر النعم ، إنك راجع إلى الله فيجازيك بعملك ، وستجد عملك شاخصًا بين يديك ، وكتابك لا يفادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها .

وفى الآيات تعديد ووعيد لكل عادر متجبّر، مغرور بالغنى والجاه ، وهى فى نفس الوقت خطاب لكل إنسان بأنه راجع إلى ربه ، وسيعرض عليه بلا حاجز ولا ترجمان ، يوم يقوم الناس لرب العالمين ، فليقدم غيرًا لذلك اليوم .

وقد ذكر المفسرون أنه ورد في الحديث الصحيح أنَّ أبا جهل حلف باللات والعزَّى لئن أتي محمدٌ ﷺ يصلَّى ليطأنَّ على رقبته وليعفُرنَ وجهه ، فأتى رسولَ الله ﷺ وهو يصلَّى ليفعل ، فما فجأهم إلا وهو يتكى ينكص على عقيبه ويتقى بيديه ، فقيل له : ما لك ؟ فقال : إنَّ بينى ويبنه خندقًا من نار وهولاً وأجنحة ، فقال رسول الله ﷺ : «لو بنا منى لاختطفته العلائكة عضوا عضوا» .

والآية بعد ذلك عامة لكل من تنطيق عليه ، لأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

٩ ، ١ ، ١ ، ١ ، ١ ، - أَرَعُيْتَ ٱللَّذِي يَنْهِي ، عَبْدًا إِذَا صَلَّى ، أَرَعَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَى ، أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَى .

هذه الآيات تعجيب من حال طاغية باغ ، يتطاول على إنسان مؤمن ، مستقيم عابد مصلاً ، ثم يتوجه القرآن بهذا النُّساؤل فيقول : أَزَعْبَ إِن كَانَ عَلَى الْهُدَىّ ، أَوْ أَمَرَ بِالْكَثْوَىّ . أَى : أُولِيت يا كلَّ من يتأتَّى منه الررية إن كان هذا المصلى المطيع لله المتقرع لعبادته ، على هداية من ربه ، قد ألهمه الله الهدى ، أو كان هذا المصلى آمرًا بالتقوى والإيمان والطاعة لله وعبادته ، كيف يُرْجر ويُنْهى عن الخير ؟! وقد ورد فى سبب النزول أن الآيات نزلت فى أبى جهل ، كان ينهى النبى ﷺ عن الصلاة عند الكعبة .. يترعده .

قال ابن عطية في تفسيره:

ولا خلاف بين المفسرين في أن المصلّى هو رسول الله ﷺ ، والنّاهي هو أبو جهل ، حيث قال: لئن ً رأيت محمدًا يصلّى لأطأن عنقه ، والإتيان بلفظ (العبد) منكزًا لتفخيمه ﷺ ، واستعظام النهى ، وتأكير التعجيب منه .

١٣ - أَزَءَيْتَ إِن كَذُّبَ وَتُولِّيَّ

أرأيت يا كل من تتأتى منه الرؤية إن كذَّب هذا المتكبر (أبو جهل) ، وتولَّى وأعرض عن الحق والإيمان ، وهو تعجيب من حال هذا الإنسان الطاغى الشقى الذى أصرّ على كفره ، وآثر الغيّ على الرشر ، والشرك على الإيمان .

٤ ١ - أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَى .

ألا يضاف الله ، ألا يتحرك قلبه وضعيره ، ألا يستعمل عقله وفكره فى أنه لا يجوز منع إنسان من المسلاة ، وتظل هذه الجملة أو هذه الآية ، تُهدد كل جبار عنيد إلى يوم الدين ، فكفى برزية الله المظالمين ، وفى الحديث القدسى يقول الله عز وجل : «يا عبادى ، إنى حرمت الظلم على نفسى وجعلته بينكم محرمًا فلا تظالموا» (١١٠١).

١٥،١٥ – كَلَّا لَيْن لُّمْ يَنْهِ لَنَسْفَعًا بِٱلنَّاصِيَةِ . نَاصِيَةٍ كَلْلِبَةٍ خَاطِئةٍ .

السُّفع: الجذب بشدة على سبيل الإذلال والإهانة ، والناصية: الشُّعر الذي يكون في مقدمة الرأس.

أى: كلا ليس الأمر كما يتصور هذا المغرور الطاغى ، ولنن لم يقلع عما هو فيه لنقهرنه ولندلله . ولنعذبنه عذابًا شديدًا في الدنيا والآخرة ، وقد كان المعروف عند العرب أنَّهم إذا أرادوا إذلال إنسان وعقابه ، سحبوه من شعر رأسه ، وقد قتل أبو جهل في غزوة بدر وسُحب من ناصيته ، وصعد عبد الله بن مسعود فوق صدره وجزّر قبته ، وأذله الله أيّ إذلال في الدنيا ، وينتظره عذاب الأخرة .

نَاصِيَةٍ كُلْذِبَةٍ خَاطِئةٍ.

صاحب هذه الناصية كاذب خاطئ ، فنسب الكذب والخطيئة إلى الناصية مبالغة في تعمد هذا الإنسان ارتكاب المنكر ، على حد قولهم: نهاره صائم ، أي صائم صاحبه ، ولأن الناصية هي مظهر الغرور والكبرياء .

١٧ – فَلْيَدْعُ نَادِيَهْ, .

فليدع أهل ناديه ، والمراد أنصاره وأعوانه وعشيرته ، والخطاب هذا للتهديد والوعيد ، فقد صنحُ أنّ أبا جهل عندما نهى النبى ﷺ وزجره وأغلظ له القول . فقال أبر جهل عندما نهى النبى ﷺ وزجره وأغلظ له القول . فقال أبر جهل : أتهددنى يا محمد وأنا أكثر هذا الوادى ناديا ؟ أي : أهلا وعشيرة وأنصارًا ! فأنزل الله تعالى : فَلْنَامُ نَادِيْهُر .

١٨ - سَنَدْعُ ٱلزَّبَائِيَةَ .

وتطلق الزيانية في كلام العرب على رجال الشرطة الذين يزّبنون الناس ، أي يدفعونهم إلى ما يريدون يفعهم إليه بقوة وشدة وغلظة ، ومنه قولهم : حرب زُبون ، إذا اشتد الدفع والقتال فيها . وناقة زبون ، إذا كانت تركل كل من يحلبها .

والمواد بالآية : سندعو له زبانية جهنم ، أي ملائكة العذاب ، لأخذه هو وأعوانه .

وجاء في تفسير القرطبي عن ابن عباس : لو دعا نابيه لأخذته ملائكة العذاب من ساعته .

١٩ - كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدُ وَٱلْتَرِبِ.

كُلاً . ردع آخر لهذا الكافر عن الغوور والطغيان ، أي أن هذا الكافر وأهل ناديه وغيرهم أعجز من أن يمنعوك يا محمد عن الصلاة عند الكعبة ، فلا تطعه ، ولا تكثرت لمنعه لك عن الصلاة ، واسجد لربك ، واقترب منه مناجيًا وداعيًا ومتبتلاً ، فإنه يسمم ويرى .

روى مسلم في صحيحه أن رسول الله ﷺ قال: «أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد» (١٧١٠).

اللهم اجعلنا من عبادك المساحين ، اللهم حبّ إلينا الإيمان وزينه في قلوبنا ، وكرّه إلينا الكفر والفسوق والعصيان ، واجعلنا من الراشدين ، اللهم ارزقنا علمًا نافحًا وقلبًا خاشحًا ورزقًا واسمًا ، اللهم ارزقنا الخشوع في الصلاة ، ومنَّ علينا بالاقتراب منك ، وحضور القلب بين يديك ، واجعلنا متبتكين لك ، راغبين فيما عندك ، اللهم اجعل خير أعمالنا خواتيمها ، وخير أيامنا يوم لقائك ، وصلَّ اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

* * *

تم بحمد الله تعالى ومعونته وتوفيقه تفسير سورة (العلق) مساء يوم الإثنين ١٢ من ربيع الأول ١٤٢٧هـ الموافق ٤ / ٦ / ٢٠٠١ م.



أهداف سيورة القدر

(سورة القدر مكية ، وآياتها ٥ آيات ، نزلت بعد سورة عبس)

والحديث في هذه السورة عن تلك الليلة الموعودة المشهودة ، التي سجلها الوجود كله ، في فرح وغبطة وابتهال ، ليلة الاتصال المطلق بين الأرض والملأ الأعلى ، ليلة بدء نزول القرآن على تلب محمد ﷺ. ليلة ذلك الحدث العظيم الذي لم تشهد الأرض مثله في عظمته وفي دلالته ، وفي آثاره في حياة البطرية . جميعًا ، العظمة الذي لا يحيط بها الإدراك البشري .

وهي ليلة نزل فيها قرآن ذو قدر ، على نبى ذي قدر ، لأمة ذات قدر .

هى ليلة من ليالى شهر رمضان المبارك ، قال تعالى : شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيَّ أَبْزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدُى لَلنَّاسٍ وَيُتَنَّاتُ مِنَ الْهُدُى وَٱلْفُرُقَالِ ... (للبقرة : ١٨٥) .

وقد وردت في تعيين هذه الليلة آشار كثيرة ، منها ما ورد في البخاري أن رسول الله ﷺ قال : ﴿إِنَّى رأيت ليلة القدر ثم نُسُتِها أو أُنسيتِها ، فالتمسوها في العشر الأواخر من رمضانه (١٣٠٠).

ويتوقع طلبها في أوتار الليالي العشر الأواخر ، أي : ٢٧ ، ٢٧ ، ٢٥ ، ٢٩ ، وفي كثير من الروايات أنها ليلة ٧٧ من رمضان .

وعظمة هذه الليلة مستعدة من نزيل القرآن الكريم فيها ، ذلك الكتاب الخالد الذي وصل الأرض بالسماء ، وكان هداية رب العباد للعباد ، وكان النور والهدى ، والسلامة والسلام للخلق أجمعين .

مع آيات السورة

ا - إِنَّا أَلْرَتُكُ فِي لِبُلَةٍ ٱلْقَدْرِ فَلْ القرآن من اللوح المحفوظ إلى سماء الدنيا جملة واحدة ، ثم نزل منجمًا على
 ثلاث وعشرين سنة ، ويدأ الإنزال في ليلة مقدرة لها شرفها عند الله ، وزادها شرفًا بدء نزول القرآن فيها .

- ب _ رَمّآ أَذْرُ سُكَ مَا لَيْلَةٌ ٱلْقَدْرِ . إن شأنها لعظيم عظمة لا تقدر ، ففيها فاض النور على الوجود كله ، وأسبغ
 الله فيها السلام والبشرى على البشرية بما تضمنه هذا القرآن من عقيدة وتصور ، وشريعة وآداب ، تشيع
 السلام في الأرض والضمير .
- ٣ ـ يَلْهُ ٱلْقَلْرُ خَيْرٌ مُنْ أَلْفَو شَهْرٍ . أَى هَى بما نزل فيها من ذكر وقرآن وهداية أفضل من ألف شهر من شهور الداجللية ، أو العبادة والعمل المسالح فيها أفضل من العبادة في ألف شهر .

روى عن مجاهد أن النبى ﷺ ذكر رجلاً من بنى إسرائيل لبس السلاح فى سبيل الله ألف شهر، فتعجب المسلمون من ذلك ، فأنزل الله عز وجل : إِنَّا أَنزَلْتُكُ فِى لِلْلَةِ الْقَدْرِ هِ وَمَا أَذْرَ لَكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ هِ لَيْلَةً الْقَدْرِ هِ لَيْلَةً الْقَدْرِ هِ لَيْلَةً الْقَدْرِ هِ لَيْلَةً الْقَدْرِ عَيْرٌ مَنْ أَلْفِ شَهْرٍ .

- ع يَرُونُ آلْمَلَكِنْكُةُ وَآلُورُ حُهِمًا بِإِذْنِ رَبْهِم مُن كُلُّ أَمْرٍ . تنزل الملائكة وجبريل الأمين في هذه الليلة بالسلام والأمان والرحمة لعباد الله ، وتنزل يأمر الله وتقديره ، من أجل كل أمر قضاه الله لتلك السنة إلى عام قابل
- ٥ سَلَنَمٌ هِيَ حُثى مَطْلَعِ ٱلْفَحْرِ. هي سلام وأمان ، وثواب موصول ، وهبادة مضاعفة الثواب إلى طلوع الفجر.
 وفي الصحيحين : «من قام ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا غُفر له ما تقدم من ذنبه».

فهى ليلة التجرد والإخلاص لله ، ليلة نزول القرآن ، وعبادة الرحمن ، ليلة تغمر الملائكة الأرض بالسلام والأمان من غروب الشمس إلى طلوع الفجر .

يِّسْكِ إِلَّهُ وَالْرَحِيَةِ

﴿ إِنَّا أَنزَلْنَهُ فِي لِتَلَةِ الْقَدَّدِ ۞ وَمَا أَذْرَنكَ مَا لِتَلَةُ ٱلْقَدْرِ ۞ لَيَلَةُ ٱلْقَدْرِ خَرُّ مِنَ ٱلْفِ شَهْرِ ۞ نَنْزَلُ ٱلْمَلَتَهِكَةُ وَالرُّحُ فِيهَ إِلِمَا فِن رَبِّهِ مِن كُلِّ أَمْنِ ۞ سَلَاهُ هِى حَتَّى مَطلعَ ٱلْعَجْرِ۞﴾

المفردات :

ليبلية التضدر؛ القدر: الشرف والقيمة والمقام.

وم ... أدراك، المراد بالاستفهام تقرير عظيم شأنها .

خيير من الفشهر، ثواب العبادة فيها خير من ألف شهر، والعدد لا يغيد التحديد وإنما يغيد التكثير فهي خير من آلاف الشهور في حياة البشر.

حتى مطلع الفجر؛ لا تزال الملائكة متنزلة بالرحمة والمغفرة حتى مطلع الفجر.

التفسير،

١ - إِنَّا أَنزَلْنَهُ فِي لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ .

أنزل الله تعالى هذا القرآن الكريم من علياء السماء في ليلة مباركة ، هي ليلة القدر .

قال تعالى : إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّهُلُوكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُعلَدِيِينَ . (الدُّحان : ٣)

وقد أضاف الحق سبحانه وتعالى إنزال القرآن الكريم إليه سبحانه تشريفًا لهذا الكِتَاب ، وتأكيدًا لصدق محمد ﷺ حين يبلُغ عن ربه ، وأنه حتًّا من عند الله . قال تعالى : وَبِالْحَقُّ أَنْزَلْنَكُ وَبِالْحَقُّ نَزَلُ ... (الإسراء : ١٠٥).

وسميت بليلة القدر لأن القدر يطلق على الشَّرف والرفعة ، تقول : فلان دو قدر ، أي : دُو منزلة عالية وقدر عظيم ، وأيضًا لأنه نزل فيها قرآن دو قدر ، على نبي دي قدر ، لأمرِّ ذات قدر .

و للقرآن الكريم ثلاثة تنزَلات :

التزل الأول: من عند الله تعالى إلى اللوح المحفوظ في السماء السابعة.

قال تعالى : بَلُ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ه فِي أَوْحٍ مُحْفُوظٍ . (البدوج: ٢١ . ٢٢) .

التنزل الثاني: من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة في السماء الدنيا ، جملة واحدة في ليلة القدر.

قَالَ تَعَالَى: إِنَّا أَنزَ لُنَنَّهُ فِي لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ .

العزل الخالث : من بيت العَرَة في السماء الدنيا إلى النبي ﷺ منجِّمًا حسب الوقائع والحوادث في خلال ثلاثة وعشرين عامًا .

قال تعالى: وَقُرْءَانًا فَرَقْسَاهُ لِتَقْرَأُهُ, عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكُثْ وَنَزُّنْنَهُ تَنْدِيلاً . (الإسراء: ١٠٦).

وقال تعالى : وَقَالَ ٱللَّهِنَ كَفُرُواْ لُوْلاَ نُولًا عَلَيْهِ الْقُرْءَانُ جُمُلَةٌ وَاحِنَةُ كَلَالِكَ لِثُبُتَ بِهِ فَوَادَكَ وَرَكُتُنَاهُ تَرْيِيلاً ﴿ وَلَا يَالُولَكُ بِمَثَل إِلَّا جِثَنَاكَ بَالْحَقَ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا . (الفرقان ٢٣،٣٢) .

والسرّ في تكرلر نزول القرآن الكريم هو تكريم هذا الكتاب ، باعتباره آخر الكتب السماوية ، فنزل من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة في السماء الدنيا ، جملة ولحدة في ليلة القدر ، إحدى ليالي شهر رمضان .

ثم نزل منجمًا أي سورة أر بعض سورة ، أو آية أو آيات ، حتى كمل نزوله في ثلاثة وعشرين عامًا هي مدة رسالته 羹 ، منها ثلاثة عشر عامًا في مكة وعشرة أعوام في المدينة المنورة ، ثم لقي 業ربّه في المدينة وعمره ثلاثة وستون عامًا .

٧ - وَمَا أَدْرَ سُكَ مَا لَيْلَهُ ٱلْقَدْرِ.

أى: ما أعلمك ما شأنها ؟ وما قدرها ؟ وما هو الغضل العظيم لهذه الليلة ، والثواب الجزيل الذي يورُعه الله على العاملين والعابدين قيها ؟

٣ - لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ ٱلْفِ شَهْر .

لقد جعل الله ثواب العبادة والعمل الصالح في هذه الليلة أكثر من ثواب العبادة في ألف شهر ليس فيها ليلة القدر، وذلك مِنْن من الله لابد أن نحرص على اقتناصها .

وفي الحديث الشريف: «في رمضان ليلة خير من ألف شهر، من حُرم ثوابها فقد حُرم».

فهي منحة ربُّانية ، وعطاء إلهي للعاملين والراغبين ، حيث يعطى العطاء الجزيل على العمل القليل.

وقد ورد في الصحيح أنها في العشر الأواهر من رمضان ، روى البخاري أن رسول الله ﷺ قال: وإني أُريت ليلة القدر ثم نُسُيتها أن أنسيتها فالتمسوها في العشر الأواهر من رمضان» (١٩٦٠).

وقد ورد فى الأثر أنها فى أوتار العشر الأواخر ، أى فى إحدى لهالى ٢١ ، ٢٣ ، ٢٥ ، ٢٧ ، ٢٩ ، والسُّر فى إخفائها أن يجدُ العرِّمن ويحتفى بشهر رمضان لاحتمال أن يصادفها ، فقد كثرت الأراء فى تحديدها حتى قبل : إنها فى أول ليلة من ليالى شهر رمضان ، وقيل : ليلة ١٧ من رمضان ، والأكثرون على أنها ليلة ٢٧ من رمضان .

* - تَنَوْلُ ٱلْمَلَلَثِهِكَةُ وَٱلْرُوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلُّ أَمْرٍ.

أى: تنزل الملائكة وجبريل عليه السلام أمين الوحى من السماء ، حيث يستأننون من ربّهم في النزول إلى الملائكة تبدئ من المهم في النزول المائرول وتحققه في هذه الله إلى الأرض إكرامًا للمؤمنين ، فيأذن لهم ، ومعهم كل قضاء وأمر قضّى الله أن يتم ظهوره وتحققه في هذه السُّنة ، من ليلة القدر إلى ليلة القدر القادمة ، وهي أمور غيبهة نستفيد منها أن الملائكة تنزل من السماء إلى الأرض ، وتنتشر في الأرض ، وقبل : تنزل الملائكة ومعها أربعة ألوية ، في عند الكعبة ، ولواء عند الكعبة ، ولواء عند العبد المقدس ، ولواء عند مسجد النبي رقب ولواء عند طور سيناء ، حيث كلم الله موسى عليه السلام ، وتنتشر الملائكة بنوازع الخير والبرى والبركة والرحمة ، والهداية والسلام والآمان لكل مؤمن ومؤمنة ، فالموفقون من تطهروا وقاموا بإحياء الليل ، وتلاوة القرآن ، وإخراج المصدقة ، والجهاد في سبيل الله ، والعمل على إعزاد دين الله ، وجمع كلمة المسلمين .

٥ - سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَع ٱلْفَجْرِ.

هي سلام وأمان ، ويركة وثواب وخير ، من أذان المغرب إلى طلوع الفجر .

قال الضحاك في معنى ذلك:

إنه لا يقدِّر الله في ثلك الليلة إلا السلامة ، وفي سائر الليالي يقضى بالبلايا والسلامة .

وروى عن الشعبى : تستمر فيها السلامة ، وتُسلَّم الملائكة على المؤمنين القائمين فيها إلى غايةٍ هى وقت طلوع الفجر ، أى هى ليلة كلَّها سلام وأمن وخير ويركة ، من مبدئها إلى نهايتها ، أو أن تنزل للملائكة فرجًا بعد فرج متتابعين إلى طلوع الفجر ، والله أعلم .

ملاحظة:

أورد الحافظ ابن كثير في تفسيره ثلاثة فصول في أعقاب تفسير سورة القدر، من بينها ما يأتي:

لختلف العلماء في تحديد لهلة القدر ، والأحوط ما أخرجه أبو داود أن رسول الله ﷺ قال : «هي في كارٌ رمضان» .

١ - وقال أبو حنيفة : ترتجى في كل شهر رمضان ، وهو وجه حكاه أبو حامد الغزالي أيضًا .

 ٢ - قيل: إنها تكون في أول ليلة ، وقيل: ليلة السابع عشر، وفي صبيحتها ليلة بدر، وقيل: هي في العشر الأواهر، خصوصًا أوتارها، وخصوصًا ليلة السابع والعشرين، وليلة التاسع والعشرين وختام رمضان.

٣ - قبل: إنها تنتقل في ليالي رمضان ، وقبل: هي في ليلة معينة ، وكان ﷺ يجتهد في العشر الأواهر
 من رمضان أكثر من غيرها ، وكان يعتكف في العسجد كما ورد في المحيدين عن عائشة .

وعنها رضى الله عنها قالت : كان رسول الله 癱 إذا دخل العشر الأواخر من رمضان ، أحيا ليله وأيقظ ألهله ، ومثر المتزر⁰⁰⁰،

ومعنى شدّ المنزر: استعدّ للقيام والعبادة والطاعة.

وعن عائشة أنها قالت : يا رسول الله ، إن وافقتُ ليلة القدر فما أدعو ؟ قال : «قولى : اللهم إنك عفوًّ تحبُّ العفر فاعف عني» ^{١٩٣٨}،

أخرجه أحمد ، والترمذي ، والنسائي ، وإبن ماجة ، وانظر مختصر تفسير ابن كثير تحقيق محمد على الصابوني ، المجلد الثنائث (ص ٦٦٢) ، فقد ترسَّم في الحديث عن موضوعات تتصل بليلة القدر ، والله أعلم .

(تم بفضل الله تعالى وتوفيقه تفسير سورة القدر).



أهداف سورة البيتنسة

(سورة البينة مدنية ، وآياتها ٨ آيات ، نزلت بعد سورة الطلاق)

وتعرض السورة أربع حقائق تاريخية وإيمانية:

الحقيقة الأولى : هي أن يعثة الرسول ﷺ كانت ضرورية لتحويل الذين كفروا من أهل الكتاب ومن المشركين عما كانوا قد انتهوا إليه من الضلال والاختلاف، وما كانوا ليتحولوا عنه بغير هذه البعثة .

قال تعالى: لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفُرُوا مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَسْبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُفَكِّينَ حَتَىٰ تَأْلِيهُم ٱلْبَيَّنَةُ هَ رَسُولُ مِّنَ ٱللَّهِ يَقُلُواْ صُحْفًا مُنظِهُ أَهُ فِيهَا كُشِّكًا فَيَهِمُ . (البيئة: ١ - ٣).

الحقيقة الثانية: إن أهل الكتاب لم يختلفوا في دينهم عن جهل ، ولا عن عموض فيه ، وإنها اختلفوا من بعد ما جاءهم العلم ، وجاءتهم البينة : وَمَا تَشْرُقُ ٱللَّيْنَ أُونُواْ ٱلْكِنْبُ إِلَّا مِنْ يَفْدِ مَا جَاءَتُهُمُ ٱلْبَيَّةُ ، (البينة : ٤) .

الحقيقة الثالثة: إن الدُين في أصله ولحد ، وقواعده بسيطة واضحة ، لا تدعو إلى المتفرق والاختلاف في دانها وطبيعتها المسيطة اليسيرة : وَمَا أُمُرُوا إِلَّا لِيُعْبُدُواْ اللَّهُ مُخْلِعِينَ لَهُ ٱلدِّينَ خُتَفَاءَ وَيُقِيمُواْ ٱلمُسْلَوَةَ وَيُؤْتُواْ أَلَّهُ مُخْلِعِينَ لَهُ ٱلدِّينَ خُتَفَاءَ وَيُقِيمُواْ ٱلمُسْلَوَةَ وَيُؤْتُواْ أَلَّهُ مُخْلِعِينَ لَهُ ٱلدِّينَ خُتَفَاءَ وَيُقِيمُواْ ٱلمُسْلَوَةَ وَيُؤْتُواْ أَلَّهُ مُخْلِعِينَ لَهُ ٱلدِّينَ خُتَفَاءَ وَيُقِيمُواْ ٱلمُسْلَوَةَ وَيُؤْتُواْ المُسْلَوَةَ وَيُؤْتُواْ وَالمُحْتَلِقَ وَيُؤْتُواْ وَاللهَ عِينُ ٱلْقَيْعَةِ . (البينة : ٥) .

المحقيقة الرابعة : إن الذين كفروا من بعد ما جاءتهم البينة هم شر البرية ، وإن الذين آمنوا وعملوا الصالحات هم خير البرية ، ومن ثم يختلف جزاء مؤلاء عن مؤلاء اختلافًا بينًا .

مع آيات السورة

١ - لَمْ يَكُن ٱللَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْل ٱلْكِتَلبِ وَٱلْمُشْركِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيهُمُ ٱلْبَيَّنةُ .

كانت الأرض في حاجة ماسة إلى رسالة جديدة ، كان الفساد قد عمُّ أرجاءها كلها ، بحيث لا يُرتجى لها صلاح إلا برسالة جديدة ، ومنهج جديد ، وحركة جديدة ، وكان الكفن قد تطرق إلى عقائد أهلها جميعًا ، سواء أهل الكتاب الذين عرفوا الديانات السماوية من قبل ثم حرّفوها ، أو المشركون في الجزيرة العربية وفي خارجها .

وما كانوا لينفكوا ويتحولوا عن هذا الكغر الذي صاروا إليه إلا بهذه الرسالة الجديدة ، وإلا على يد رسول يكون هو ذاته بينة واضحة ، فارقة فاصلة .

- ٧ رَسُولٌ مَنْ آللهِ يَتْلُواْ صُحُفًا مُظْهَرَةً . أي : محمد ﷺ وهو بدل من البينة يقرأ عليهم من صفحات كتابه المطهرة ، وآياته المقدسة ، ما يشتمل على المضمون الصحيح لكتبهم المنزلة على أنبيائهم ، موسى وعيسى وغيرهما ، عليهم جميمًا الصلاة والسلام .
- ٣ فِيهَا كُتُبُ قَيْمَةُ . يطلق الكتاب على الموضوع ، كما تقول : كتاب الطهارة ، كتاب المسلاة ، كتاب الزكاة ... أي : يشتمل القرآن على موضوعات وحقائق قيمة ، تحتاج إليها البشرية ، ولا تصلح إلا بها .

لقد كان الفساد قد استشرى فى الأرض قبل رسالة محمد ﷺ ، وطعست معالم الحق ، وبهتت حقائق الأديان ، وانسحب رجال الدين من ميدان الحياة ، واستبد الحكام والملوك ، وعظمت نكايات اليهود بالنصارى ، واشتد تدبير الكيد من النصارى لليهود ، واختلف النصارى حول طبيعة المسيح ، وعدَّب الحكام طوائف المخالفين .

- ع. رَمَا تَشْرُقُ ٱلنِّينُ أَرُواْ ٱلْكِتَسْبُ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتُهُمْ ٱلْبَيْلَةُ . طلم يكن ينقصهم العلم والبيان ، وإنما كان يجرفهم الهرى والانحراف .
 - ه وَمَا أُمِرُوٓ أَ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُحْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ خَنَفَاءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوْةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكُوْةَ وَذَالِكَ دِينُ ٱلْفَيِّمَةِ.

وهذه هي قاعدة دين الله على الإطلاق: عبادة الله وحده ، وإخلاص الدين له ، والميل عن الشراء وأمله ، وإقامة الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وَذَٰ إِلَّكَ ثِينُ أَلْقَيَّهُ . وهذا هو الدين الذي جاء في الكتب القيمة ، «وقصارى ما سلف ، أن أهل الكتاب افترقوا في أصول الدين وفروعه ، مع أنهم ما أمروا إلا أن يعبدوا الله ، ويخلصوا له في عقائدهم وأعمالهم ، وألا يقلدوا فيها أبًا ولا رئيسًا ، وأن يردوا إلى ربهم وحده كل ما يعرض لهم من خلاف» (١٩٠٠). ٦ - إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَابِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَتْمَ خَلِلِينَ فِيهَاۤ أُولَلْفِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبُرِيَّةِ.

لقد كانت الرسل تتوالى كلما فسدت الأرض ، لتردّ للناس إلى الإصلاح ، فأما وقد شاء الله أن يختم للرسالات إلى الأرض بهذه الرسالة الأخيرة الجامعة ، الشاملة الكاملة ، فقد تحدد الموقف أمام الجميع بصفة قاطعة . فمن كفر بهذه الرسالة أو أشرك بالله فهو في نار جهنم يصلى نارها ، وهو من شرار النظاق ، جزاء إعراضه عن دعوة للحق ، وعن رسالة الله .

قال تعالى : أُوْلَـٰكِكُ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ فَبِهُدَ لَهُمُ ٱقْتَادِهُ ... (الأنعام : ٩٠).

٨ - جَرَالُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَشْنَتُ عَدْنِ تَجْرِى مِن نَحْتِهَا ٱلْأَنْهُمْ عَنْلِينَ فِيهَا آلْمَا رُخِيقَ اللَّهُ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِي رَأَلُهُ. للد أحسن الله جزاءهم في جنات إقامة دائمة ، تجرى من تحتها الأنهار ، في جمال ونعمة ولذة دائمة ، وأسمى من ذلك سعادتهم برضا الله عنهم ، ومحيته لهم ، ثم الهمئنانهم ودضاهم للعميق عن ربهم ، وقوابه ونعيمه . وذلك كله متوقف على خشية الله ، والخوف منه والالتزام بأمره .

ملخص السورة

لما بعث الله محمدا ﷺ، تغير حال اليهود والنصارى والمشركين ، فمنهم من آمن به ، ومنهم من ترد في صحة الدين ، ومنهم من عاند وتكبر ، مع أن الله تعالى ما أمرهم إلا ليحيدوه مخلصين له الدين ، ولكن القساد كان قد استشرى بين أرباب الديانات السابقة ، وكانت البينة الواضحة والنور الهادى هو بعثة محمد ﷺ. وقد أوضح الله تعالى أن من كفر به سيصلى نار جهنم ، وأن من آمن به سيتمتع برضوان الله في جنات النعيم .

من فضائل السورة

أخرج أحمد ، والبخارى ، ومسلم ، والقرمذى ، والنسائى ، عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ لأبىً بن كعب : «إن الله أمرنى أن أقرأ عليك : لَمْ يَكُنِ ٱللَّبِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَابِ ... ، قال : وسمّانى لك يا رسول الله ؟ قال : «نعم» . قال : هبكى أَبِّي (١٠٠) .

أحوال الناس قبل بعثة محمد ﷺ

مِنْ التَّهُ التَّامُ التَّمُ التَّامُ التَّمُ التَّمُ التَّمُ التَّامُ التَّمُ التَّامُ الْمُعِلَّالِ التَّامُ الْمُلْمُ التَّامُ التَّامُ التَّامُ التَّامُ التَّامُ ا

﴿ لَمْ يَكُنُ الَّذِينَ كَفُرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِنْكِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِّنَ حَقَّ تَأْيِمُمُ الْبَيْنَةُ ۞ رَسُولُ مِنَ اللَّهِ مِنْ اللَّهِ مَنْ اللَّهُ مَنْ اللَّهِ مَنْ اللَّهُ مِنْ اللْهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللْهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللْهُ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللْهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللْهُونِ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللْهُ مِنْ اللْهُ مِنْ اللْهُ مِنْ اللْهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللْهُ مِنْ اللْمُنْ اللْهُ مِنْ الْمُنْ الْمُنْ اللْمُعُمُ اللْمُنْ اللْمُنْ الْمُنْ اللِمُ الْمُنْ اللْمُع

المفردات :

من أهل الكتاب ، اليهود والنصاري .

المشركيان؛ عبدة الأصنام.

منتفكيان، منتهين عما هم عليه.

السيسيسنسة: الحجة الواضحة: أو محمد الموعوديه في كتبهم.

وسسطول، بدل من البينة ، وعبر عنه بالبينة للإشارة إلى ظهور أمره ووضوح دينه .

صعفا مطهرة؛ مبرأة من الزور والضلال ، والمراد بها القرآن .

في صحف القرآن .

كتب قبيمة ، مضمون الكتب السماوية الأخرى ، وهي بلا شك لها قيمتها .

ومساتسفسرق ، اختلفوا إلى طوائف في الدين .

ما جاء تهم البينة : بتحقق المرعود برسالة محمد ﷺ .

وما أمرواء أي في كتبهم.

مخلصين ، جاعلين الدين خالصًا لله .

تمهيد:

أرسل الله محمدًا ﷺ على حين فترة من الرسل في وقت اشتد فيه الظلام ، واحتاجت الدنيا إلى رسالة واضحة تبين الحق ، وتفضم الباطل .

كانت القرس تعبد النار وتسجد لها ، وكانت الروم في خلاف شدياً حول طبيعة المسيح عليه السلام، وكان الحكّام يعذبون المعارضين لدينهم ، وفي أوسع مكان بالقارة الهندية كان الكامن يختص نفسه بكل عروس في أيامها الأولى ، زاعمًا أنه يبث في الزواج الهركة والنماء ، وليس الأمر إلا الدُّنس والفحشاء ، واشتد القتال بين اليهود والنصارى ، وفي بلاد العرب كانت هناك فضائل لكنها اختلطت بالرذائل ، ومن بين رذائلهم : وأد البنات ، وشهوع الزنا والريا وشرب المضر ، وقيام الحروب لأنفه الأسباب ، وكأن البشرية استفائت بالله أن يرسل لها من يهديها من الظلمات إلى النور ، فأرسل الله تعالى محمدًا ﷺ.

التفسير،

١ - لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَلْبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيهُمُ ٱلْبَيَّنَةُ .

أى: كان الفساد قد عمُّ أرجاء الأرض ، وأقميى الدين عن الدُنيا ، وانكمش رجال الدين في المعوامع والمعابد ، وكان الكفر قد تطرق إلى العقائد ، بسبب تحريف الكتب السماوية ، وحذف أجزاء منها أو إضافة أشياء إليها ليست منها ، وما كان أهل الكتاب والمشركون لينفكُرا ويتحولوا عن هذا الكفر الذي صاروا إليه ، إلا بهذه الرسالة الجديدة ، وإلا على يد رسول يكون هو ذاته بيَّنة واضحة فارقة فاصلة .

٢ ~ رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُواْ صُحُفًا مُّطَهِّرَةً .

وهذه البينة الواضحة وضوح الشمس هى النور المبين ، هى السراج الوهّاج ، هى محمد ﷺ ، دعوة إبراهيم ، وبشرى عيسى ، ورأت أمّه حين حملت به أن نورًا خرج منها أضاء مشارق الأرض ومغاربها ، هذا النبىّ هو رسول من الله إلى عباده ، ختم الله به الرسالات ، وجعل شريعته خاتمة الشرائع .

رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُواْ صُحُفًا مُّطَهِّرَةً .

نعم هو رسول الله ، أنزل الله عليه وحى السماء ، فهو يقرأ ما تتضمنه صحف القرآن المطهّرة من الخلط والكنب ، والشبهات والكفر والتحريف واللبس ، بلُ فيها الحق الصريح ، فيها التشريع والإرشاد والهدى والحكمة .

قال تعالى : يَنَّلَيْهَا ٱلنِّيُّ إِنَّا أَرْسَلْتُكَ صُلْهِمًا وَمُبَشَّرًا وَنَلِيرًا ه وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّه بِإِذْبِهِ وَسِرًا جَا مُثِيرًا . (الأحزاب: ٤٥، ٤٥)

٣ – فِيهَا كُتُبُّ قَيْمَةٌ .

الكتاب يطلق على الموضوع ، كما يقال : كتاب الطهارة ، كتاب الصلاة ، كتاب القيامة ، وهذه الصدة ، كتاب القيامة ، وهذه المحب المملهرة – وهى القرآن الكريم – مشتملة على كتب قيمة ، أي موضوعات مهمة ، منها : توحيد الله ، بدء المطلقة ، فلق الكون ، أحكام البيع والرهن والمعاملات ، آداب السلوك مثل غض البصر ، تحريم الزنا والريا وعقوق الوالدين ، الأمر ببر الوالدين ، صلة الرحم ، إكرام المسيق ، رعاية اليتامي والفقراء والضعفاء ، وغير ذلك من معالم الدين وآدابه ، وشرائعه وأحكامه وهداواته ، وقصوصه وأهياره.

\$ - وَمَا تَفَرُّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتُهُمُ ٱلْبَيَّنَةُ .

كان اليهود والنصارى يقرأون فى كتبهم أن نبيًا أظل زمانه ، بشُرت بذلك التوراة والإنجيل، كما قال : تعالى : أَلَّذِينَ يَّبِعُونَ ٱلرُّسُولَ ٱلثِّيِّ ٱلْأَمِّيُ ٱلْلَّهِى يَجِدُونَهُ, مَكُوبًا عِندُهُمْ فِي ٱلثَّوْرَالْةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعُرُوفِ وَيُتَهِمُهُمُ عَنْ ٱلْمُنكِرُ ... (الأعراف: ١٩٧).

وكما قال تعالى : وَإِذْ قَالَ عِسَى آئَنُ مُرْيَمَ يَلِيَينَ إِشْرَعِيلَ إِنْي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدُقًا لَمَا بَيْنَ يَدَى مِنَ آفَوْرَسَةُ وَمُشِكِّرًا بِرَسُولَ يَأْتِي مِنْ يَعَلِي ٱلسُّمَّةِ أَحْمَهُ ... (الصله: ١) .

وفي الحديث الشريف يقول النبي ﷺ: «أو كان موسى بن عمران حيًّا ما وسعه إلا اتباعي» (٢٣٠).

لقد كانوا قبل البعثة المحمدية متفقين على انتظار نبيّ آخر الزمان ، وأنه النبي الخاتم ، وكان البهود يقولون الإخوانهم من العرب من الأوس والخزرج : لقد أظلُّ زمان نبيٌّ نعرف صفاته ، فسنتبعه ونقتلكم به قتل عاد وارم ، فَلْمًا جَأَهُمُ مُا عَرُفُوا كَفُووْ إِنهِ ... (البقرة : ٨٩) . لقد آمن بعض أهل الكتاب ويخلوا في الإسلام ، مثل عبد الله بن سلام من اليهود ، وكفر تُخرون زاعمين أن محمدًا ليس هو النبي الذي بشرت به التوراة والإنجيل ، وأن هذا النبي سيأتي فيما بعد ، لكن القرآن قد صدق في أن محمدًا ﷺ كان ، رُسُولُ اللهِ وَخَاتَمُ النَّبِسُنَ ... (الأحزاب: ٤٠) ، ولن يأتي رسول بعد محمد ، فإن من أسمائه العاقب ، أي الذي يأتي في آخر الرسل .

قال ﷺ: «أنا العاقب فلا نبيّ بعدى» (١٣٠٠)

و المخلاصة: أن محمدًا ﷺ لما جاءهم بالرسالة الواضحة البيّنة ، والكتاب الواضح العبين ، اختلفوا: فمنهم من آمن به ، ومنهم من كفر ، مع وجود البينة أي الحجة الواضحة أمامه ، وهي محمد ﷺ وكتابه المبين .

• وَمَا أُمِرُواْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنفَاءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْثُواْ ٱلزَّكَوةَ وَذَالِكَ دِينُ ٱلْقَيْمَةِ.

أى: إنهم تفرقوا بشأن محمد ﷺ ودينه ورسالته ، مع أنهم لم يؤمروا فى التوراة والإنجبل والقرآن الذى جاءهم من عند الله ، إلا بعبادة الله وحده ، وتكون عبادتهم خالصة لا يشركون بااله شيئًا ، خُفَّاّةً . ماثلين عن كل ألوان الشرك ، أو ماثلين عن الأديان كلها إلى دين الإسلام ، عند ظهور نبى آخر الزمان ، مع إقامة الصلاة فى أوقاتها ، وتمام شروطها وأركانها وخشوعها ، وإخلاص القلب لله فيها ، وإيتاء الزكاة التى أوجبها الله لمستحقيها من الفقراء والمساكين .

وَذَا لِكَ دِينُ ٱلْقَيَّمَةِ .

وهذا هو دين الملة المستقيمة ، الموصلة للعبد إلى رضا الله وجنات الخلد .

وعيد الكفَّار ، ووعد الأبرار

﴿ إِنَّا أَذِينَ كَفُرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِنْبِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي اَرِجَهَنَّمَ خَلِدِينَ فِيهَأَ أُولَتِكَ هُمُ شُرُّالَمْرِيَّةِ ٥ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّلِحَتِ أُولَتِكَ هُرْخَيُرُ ٱلْمِرَيَّةِ ٥ مَرَ جَزَّاقُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّتُ عَدْنِ تَجْمِي مِن تَعْفِهَ ٱلْأَثَهُرُ خَلِينَ فِيهَا آبَداً رَضِي الله عَنْهُمْ وَرَضُواعَنَهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِي رَبُهُ ۞ ﴾

المفردات:

البريدة الخليقة

جنات عدن ، بساتين خُلد ومقام أبدى .

الأنهار؛ أي الأنهار الموعود بها من لين وعسل وخمر.

خشس ريسه ؛ خافه في الدنيا فأطاعه ، ونجا في الآخرة من عذابه .

التفسيره

٣ - إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتْلِبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَتُمْ خَلِدِينَ فِيهَا أُولَنِّكَ هُمْ شُرُّ ٱلْمُرِيَّةِ .

إنهم يعرفون أن محمدًا آخر الرسل ، وأن كتابه آخر الكتب ، وأنه آخر الأنبياء ، وقد يشُرت به التوراة والإنجيل ، فالذين كفروا بمحمد ورسالته من أهل الكتاب وهم اليهود والنصارى ، وكذك من مشركي العرب غباد الأصنام والأوثان وكل مشرك بالله ، هؤلاء في ذار جهنم ، خَلِلْيْنَ فِيهًا . خلودًا أبديًّا سرمديًّا ، أُولِّلُكُكُ هُمُ كُرُّ ٱلْتَرِيَّةِ . هؤلاء هم شر الخليقة ، والبرية هي الخليقة ، إذ هي من براً ، أي خلق ، والبارئ الخالق سبحانه وتعالى .

٧ - إِنَّ ٱلَّذِينَ عَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّالِحَلْتِ أُوْلَدِّكِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ .

إن الذين آمنوا بالله ربًّا ، وبالإسلام دينًا ، وبمحمد ﷺ نبيًّا ورسولاً ، وقربُوا الإيمان بالعمل المسالح ، أي بكلّ متطلبات الإيمان . قال ﷺ: وليس الإيمان بالتمني، ولكن ما وقر في القلب وصدقه العمل» (٢٠٠٠).

أُولِنَهِكَ هُمْ حُرُرُ ٱلْبِرِيَّةِ. مولاء هم خير خلق الله ، هولاء هم الصفوة المختارة ، هم خير أمة أُخرجت للناس ، واستجابت لدعوة الله ، وحققت رسالة الإسلام ووحى السماء ، من فكرة نظرية إلى أمة تستم ! ! للوحى وتستجيب للأمر والنهى .

٨ - جَزَآلِهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنْلَتُ عَدْنِ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَارُ خَلِدِينَ لِيهَا أَبَدًا رُّعِينَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَطُوا عَنهُ
 ذَاكَ لَمَنْ عَشِي رَبُّهُ

هذا هو الوسام الأخير على صدر المؤمنين ، إن الجزاء عند الله الغنى القوى الكريم ، هذا الجزاء في الدار الأخرة هو جنات إقامة دائمة في بساتين نُضِرة ، تجرى من تحتها الأنهار ، لسحادتهم وأنسهم مع الخلود الأبدئ السرمدى مع رضوان الله عنهم ، ورضاهم عن ربهم ، وينا له من ثواب عظيم .

إن الله العلى الكبير يتفضل بالرضا عن إنسان ، ثم يسمح لهذا الإنسان بالرضا عن ربه سبحانه وتمالى ، هذا الفضل لمن خشى ربّه ، وخاف مقامه ، وعلم ما يجب لله من كمالات .

قال تعالى: إنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهُ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعَلَمَا وَأَنْ ... (فاطر: ٢٨).

اللهم اجعلنا مع المؤمنين الصادقين ، اللهم اجعلنا ممن رضيت عنهم ورضوا عنك ، اللهم ارزقنا خشيتك وحبَّك والصدق في الإيمان بك ، اللهم ارزقنا الإخلاص والقبول ، اللهم آمين .

وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب، وصل اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

* * *

تم بفضل الله تعالى ومعونته وتوفيقه تفسير سورة (البِّنة) عصر يوم الأربعاء ١٤ من ربيع الأول ١٤٢٧ هـ ، الموافق ٦ / ٦ / ٢٠٠١ ، والحمد لله رب العالمين .



أهداف سورة الزلزلجة

(سورة الزلزلة مدنية ، وآياتها ٨ آيات ، نزلت بعد سؤرة التساء)

وهي سورة تهز القلب مثّل عنيفًا ، يشترك في هذه الهزة الموضوح والمشهد ، والإيقاع اللفظي ، وصيحة قوية مزازلة للأرض ومن عليها ، فما يكادون يغيفون حتى يواجههم الحساب والوزن والجزاء في بضع فقرات قصار ، وهذا هو طابع الجزء كله يتمثل في هذه السورة تمثلاً قويًّا .

مع آيات السورة

 ١ = ه - إِذَا زُلْوِنْتِ آلْأَرْضُ وِلْوَالْهَا ه وَأَشْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَلْقَالُهَا ه وَقَالَ ٱلْإِنسَلْنُ مَا لَهَا ه يَوْمَدِلُ تُحَدَّثُ أَخْبَارُهَا ه بِأَنْ وَلِلهَ أَنْهِ مَا لَهَا و يَوْمَدِلُ تُحَدِّثُ أَخْبَارُهَا ه بِأَنْ وَلِلْ الْإِنسَانُ مَا لَهَا و يَوْمَدِلُ تُحَدِّثُ أَخْبَارُهَا ه بِأَنْ أَلْهَا أَنْهَا مَا لَمَا لَمُعَلِّدُ أَخْبَارُهَا ه بِأَنْ أَلْهَا مَا لَمَا لَمُعَلِّدُ أَخْبَارُهَا ه بِأَنْ أَلْهَا لَمَا لَمُعْلَى اللَّهُ وَلَمْ اللَّهِ اللَّهِ عَلَيْكَ أَلْوَاللَّهِ اللَّهَا وَلَمْ اللَّهِ عَلَيْهِ اللَّهِ وَاللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهَا وَلَوْلَكُونُ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهُ اللّ اللّهُ اللّهُولُولُولُولُولُلْمُ اللّهُ ال

تصف الآيات مشهد القيامة حين تضطرب اضطرابًا شديدًا ، وترتجف الأرض الثابتة ارتجافًا ، وتزازل زلزالاً ، وتنفض ما في جوفها نفضًا ، وتُحرج ما يثقلها من الكنوز والدفائن والأموات ، وهو مشهد يخلع القلوب ، ويهز كل ثابت ، ويخيل للسامعين أنهم يترتمون ويتأرجحون ، والأرض من تحتهم تهتز وتمور . ومثال هذا ما نراه في حياتنا من جبال النار الثائرة (البراكين) ، كما حدث في إيطالها سنة ١٩٠٩ م من ثوران بركان فيزوف ، وابتلاعه مدينة مسينا ، ولم يبق من أهلها أحد .

فإذا شاهد الإنسان القيامة بأموالها ، والأرض تتحرك في زلزال عنيف ، وتُخرج ما فيها ، فإنه يتسامل من شدة هول ما يرى : وَقَالَ ٱلإِنسَّانُ مَا لَهَا . وهو سؤال المتحير الذي يرى ما لم يعهد ، وكأنه يتمايل على ظهرها ويترنح معها ، ويحاول أن يُمسك بأي شيء يشده ويثبته ، وكل ما حوله يمور مرزًا شديدًا .

يُوْمِيُو تُحَدُّثُ أَخْبَارَهَا . في ذلك اليرم تنطق الأرض بلسان الحال ، أي أن حالها وما يقع فيها من الاضطراب والانقلاب ، وما لم يُعهد له نظهر من الخراب ، يُعلم السائل ويُعْهمه الخبر : بأنُّ رُبُّكُ أَوْحُيْ لُهَا . وأمرها أن تمور مورًا ، وأن تزلزل زلزالها ، وأن تُخرج أثقالها ، وأن تحدث أخبارها ، فهذا الحال حديث وإضح عما وراءه ، من أمر الله ووجيه إليها .

- يَوْمَئِلْ يَمْشُرُ آلنَّاسُ أَشْتَاناً كُبُرُواْ أَغَمَّلُهُمْ . في ذلك اليوم الذي تحدث فيه الزازلة والهول ، يقوم الناس من
 القبور أشتاتًا متفرقين ، فالمحسنون فريق ، والمسيفون فريق آخر ، ويرى كل إنسان جزاء عمله .

٨ - كَفِينَ يُغْمَلُ مِثْقَالَ كَرْقُ وَعُرْبًا كَيْرَهُ، و وَمَنْ يُغْمَلُ مِثْقَالَ كُرْقَ فَرْاً يَرْمُهُ، و هَن يعمل من الخير أدنى عمل وأصغره
 فإنه يجد جزاءه ، ومن يعمل من الشر ولي شيئا قليلاً خإنه يجد جزاءه .

مقاصد السورة

اشتملت هذه السورة الكريمة على ثلاثة مقاصد:

١ – اضطراب الأرض يوم القيامة ، وبهشة الناس حينئذ .

٢ - نهاب الناس لموقف العرض والحساب أشتاتًا متفرقين ليروا أعمالهم .

٣ - بكافأ الإنسان على عمله من خير وإن كان مثقال ذرة ، ويُجازى على ما عمل من شرمهما كان صغيرًا .

* * *

فضل سورة الزلزلة

أخرج الترمذى - وقال: هذا حديث حسن - عن أنس بن ماك ، أن رسول الله ﷺ قال الرجل من أصحابه : هما تزوج " قال: «أليس معك : قُلُ أَصَّمَا به ، ولا عندى ما أتزوج " قال: «أليس معك : قُلُ مُلَّالُهُ أَنَّهُ وَأَلْفَتُمْ ، وقال: «لله ، ولا عندى ما أتزوج " قال: «لله ، هُوَ ٱللَّهُ أَخَدٌ .. ؛ قال: إلى ، قال: «لله قال: «لله

أمارة القيامة ، والجزاء على الخير والشرّ

بسَـــــالتَّهُ التَّهُ التَّهُ التَّهُ التَّهُ التَّهُ التَّهِ التَّهُ التَّهُ التَّهُ التَّهُ التّ

﴿ إِذَا ذَلِيْكِ الْأَرْضُ زِلْزَا لَمَا ۞ وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَفْقَالَهَا ۞ وَقَالَ ٱلْإِنسَنُ مَا لَمَا ۞ يَوْمَهِذِ شَحَدِثُ أَخْبَارَهَا ۞ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْمَى لَهَا ۞ يَوْمَهِ فِرَيَّ مُدُرُ النَّاسُ أَشْنَانًا لِيُسْرَوْا أَعْمَلُلَهُمْ ۞ فَمَن يَعْمَلُ مِثْقَ الْذَرَّةِ خَيْرًا يَسَرَهُ، ۞ وَمَن يَعْمَلُ مِثْقَكَ الدَّرَةِ شَسَرًا يَدَرُهُ۞ ﴾

المقردات ،

والسروات الأرض ، اهتزت واضطريت بعنف وبشدة .

رئاسها، المقدر لها، وذلك عند النفخة الثانية.

أشتسالها ما في باطنها من الموتى .

الإنسيان، الكافر أو كل إنسان.

مسالسها، ماذا أصابها من شدة ما يري .

تحدث الحبارها، ما كان فيها من أعمال العباد من خير أو شر.

بأن ربك أوحى لها : تحدث بالأخبار بوحي من الله بما تقول .

يصحر التاس؛ يرجعون إلى ربهم.

أشت الساء جمع شتيت ، أي : متفرقين .

مستمسق سال: المثقال ما يوزن به ، ومثقال الشيء ميزانه من مثله .

ء مثل في تناهي الصغر .

____ره، المراد يجازي به .

التفسيره

ذرة

١ - إذَا زُلْزِلَتِ ٱلأَرْضُ زِلْزَالَهَا .

إذا كان يرم القيامة ينفع إسرافيل في المنُور النفضة الأولى ، فيصعق الناس جميعًا ، وتموت الخلائق ، ويمكنون أربعين سنة ، ثم ينفع إسرافيل في الصور النفضة للثانية ، فتهتز الأرضى اهتزازاً شديدًا، ولا يبقى فوقها جبل ولا مرتفع ، بل تدك الجبال دكًا ، وتضطرت الأرض وتفقد تماسكها .

قال تعالى : يَنَلَّيُهَا النَّاسُ الثَّهُوا وْلَكُمُّ إِنْ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيِّةٌ عَظِيمٌ » يَوْمَ نَرْوَلَهَا تَفْعَلُ كُلُّ مُرْصِعَةِ عَمَّا أَرْصَعَت وَتَعَنَّعُ كُلُّ ذَاتِ حَمُلِ حَمْلَهَ وَتَوَى النَّاسُ شَكَنْرَى وَمَا هُم بِسُكْنَرَى وَلْكِنْ عَذَابَ الله شابِيةً . (السبي : ١٠ ٢) .

وقال تعالى : إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا . (الواقعة : ٤) .

وشبيه بذلك ما شاهدته البشرية من وقوع الزلازل والبراكين التي تبتلع قرى بأكملها ، وينقلب أعلاما أسفلها ، وأسفلها أعلاها .

٢ – وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْفَالَهَا .

لفظت الأرض ما في أحشائها من الأموات والدُّفائن ، كما قال تعالى : وَإِذَا ٱلْأَوْضُ مُدَّتْ ، وَٱلْقَتْ مَا لِهَا وَتَخَلَّتُ . (الانشقاق: ٣ ، ٤) .

فتخرج الأرش كنوزها يوم القيامة ليراها أهل الموقف ، فيتحسُّر العصاة إذا نظروا إليها ، حيث عصوا الله بهذه الكنوز ، ثم تركوها لا تغنى عنهم شيئًا ، فلا ينظر إنسان إلى الذهب ويريقه ولمعانه ، بل ولا ينقله من مكانه ، لأنه لا يفيده شيئًا في ذلك الوقت .

أخرج مسلم ، والترمذي ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : «تفيءُ الأرض أفلاذ كبدها ، أمثال الأسطوان من الذهب وللغضة ، فهجىء القاتل فيقول : في هذا قَتَّلَتُ ، ويجىء القاطع فيقول : في هذا قطعت رجمى ، ويجيء السارق فيقول : في هذا قُطعت يدى ، ثمّ يَنْعُونُهُ فلا يأخذون منه شيئًا هـ الما.

٣ - وَقَالَ ٱلْإِنسَانُ مَا لَهَا .

تعجّب الإنسانُ من أمر الأرض وما عليها ، حيث شيرت الجبال وصيرت هباءً ، واهتزت الأرض وتمددت ، وألقت ما في بطنها وتخلّت عنه ، وشاهد الإنسان أهوالاً واضطراباً ، وتبدّلت الأرض غير الأرض والسماوات غير السماوات ، فتحجّب الناس كلّ الناس ، ونهب فريق من المفسرين إلى أن التعجّب والدهشة تكون من شأن الكافر الذي كان يذكر البعث والحشر والقيامة ، أما المؤمن فيقول : هَلنّا مَا وَعَدْ آلرَّ حَهَنْ

٤ - يَوْمَعُدُ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا . بأنَّ رَبُكَ أَوْحَىٰ لَهَا .

يومئة تشهد أحوال الأرض وهيئاتها بأنَّ الله أمرها أن تفعل ذلك ، وهو أمر تكويني .

قال تعالى : إِنَّمَا أَمْرُهُۥ إِذَا أَرَادَ شَيْعًا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ . (يس : ٨٧) .

فالحديث الذى تحدّثه الأرض وتشهد به يتمّ بلسان الحال لا بلسان المقال ، كما يقول إنسان : هذه الدار تخبرنى أنها قريبة المهد بسكني أهلها فيها ، لما يُشاهد من آثار ذلك .

وقفل: إن الأرض تشهد بلسان أو بكلام أو دلالة تغيد ما وقع عليها، فتشهد الأرض على القاتل والزاني، كما تشهد الأماكن والمساكن للعابد والمتصدّق والمعلّم، والآمر بالمعروف، والناهي عن المنكر، أي كما تشهد الجوارح على الإنسان، تشهد الأرض بما فعله الإنسان عليها.

أخرج الإمام أمصد ، والترمذي ، والنسائي – واللفظ له – عن أبي هريرة قال : قرأ رسول الله ﷺ هذه الآية : يُوْضِّلُ تُحَنَّثُ أُخْبَارُهَا . ثم قال : وأثدرون ما أخيارها» ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : وفإن أخبارها أن تشهد على كل عبد وأمة بما عمل على ظهرها ، أن تقول : عمل كذا وكذا ، يوم كذا وكذا ، فهذه أخبارها» (١٠١٠). قال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح غريب .

وقال الطبرى : إن هذا تمثيل ، والمراد أنها تنطق بلسان الحال لا بلسان المقال .

٦ - يَوْمَوْلِهِ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْعَاتًا لَّيْرَوْا أَعْمَنْلَهُمْ .

فى ذلك اليوم – يوم الزلزلة الشديدة ، والهول العظيم – يتقدم الناسُ حال كونهم فرقًا شتَّى: فريق مؤمن ، النور يسمى بين يديه ومن خلفه ، وفريق كافر ، وفريق فاجر أو عاص ، هؤلاء العصاة يؤخذون ليشاهدوا أعمالهم ، وينا لها من لحظة حرجة ، لحظة الندم والحسرة والألم على فعل هذه الأمور المخزية ، في وقت يجتمع فيه الأولون والآخرون .

قال تعالى : وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرًا وَلاَ يَطْلِمُ رَبُّكَ أَخَدًا . (الكهف: ٤٩).

٧ ، ٨ - فَمَن يَعْمَلُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ, ه وَمَن يَعْمَلُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ, .

فمن يعمل أى خير مهما كان صغيرًا فإنه سيلقى الجزاء الحسن من جنس العمل ، ومن يعمل أى شر مهما كان صغيرًا ، فإنه سيلقى الجزاء المؤلم من جنس العمل .

وهاتان الآيتان جامعتان للإفادة بالجزاء العادل من الله عن كل صغيرة وكبيرة ، وأن الناس ستجازى بالإحسان إحسانًا وبالسوء سومًا.

وذهب جمهور العلماء إلى أن الكافر يُكافأ على الأعضال الصالحة بجزاء دنيوى، ثم يُعاقب على كفره بجهنم ، وذهب فريق من العلماء كالإمام محمد عبده والقاسمى في تفسيره والقاشاني وغيرهم إلى أن هاتين الآيتين تفيدان أن كل عامل خير سيلقى جزاء خيره ، وأن كل عامل شرسيلقى جزاء شرّه بدون استثناء بين كافر ومرّهن .

وجاء في تفسير المراغي ما يأتي :

فَمَن يَعْمَلُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ, ﴿ وَمَن يَعْمَلُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُرِ

أى: فمن يعمل من الخير أدنى عمل وأصغره فإنه يجد جزاءه، ومن يعمل الشر ولي قليلاً يجد جزاءه، لا فرق بين المؤمن والكافر.

وحسنات الكافرين لا تخلصهم من عذاب الكفر فهم به خالدون في الشقاء ، وما نطق من الآيات بحبوط أعمال الكافرين وأنها لا تنفعهم ، فالمراد به أنها لا تنجيهم من عناب الكفر وإن خففت عنهم بعض العذاب الذي كان يرتقبهم من السيئات الأخرى ، أما عذاب الكفر فلا يخفف عنهم منه شيء ، يرشد إلى ذلك.

قوله تعالى : وَلَصَعُ ٱلْمَوْادِينَ ٱلْقِسُطَ لِيوْمِ ٱلْقِيْسَةِ فَلاَ تُطْلَمُ نَفْسٌ شَيْنًا وَإِن كَانَ مِفْقالَ حَبَّةٍ مِّنْ عَوْدَل أَتَهَنا بِهَا وَكُفَىٰ بِنَا حَسْسِيسَ . (الكنبياء: ٤٧) . نقول : فَلاَ تُطْلَمُ فَشَّ شُيِّنًا ... صريح في أن المؤمن والكافر في نلك سواء ، وأن كلاً يوفّى يوم القيامة جزاءه ، وقد ورد أن حاتماً يُخفف عنه لكرمه ، وأن أبا لهب يُخفف عنه لسروره بولادة النبي ﷺ ، هذا تلخيص ما قاله الأستاذ الإمام في تفسير الآية """.

من تفسير ابن كثير

يَوْ مَعْدُ يَصْدُرُ ٱلْتَاسُ أَشْعَاتًا ...

أى: يرجعون عن موقف الحساب أَشْتَاتًا . أي : أنواعًا وأصنافًا ما بين شقى وسعيد ، مأمور به إلى الصنة ، ومأمور به إلى النار .

وقوله تعالى : كُيرَوْأُ أَغَضْلُهُمْ . أى : ليجازوا بما عملوه في الدنيا من خير وشرّ ، ولهذا قال : فَعَن يَعْضُل مِنْقَالَ ذُرُةِ حُيرًا يَرَةُ ، وَمَن يَعْمَلُ مِنْقَالَ دُرُّةِ صَرًا يَرَهُ .

روى البخارى ، عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال : «الخيل لثلالة : لرجل أجر ، ولرجل ستر ، وعلى رجل وعلى رجل وزر» الحديث . نستل رسول الله ﷺ عن الحدُر ؟ فقال : «ما أنزل الله فيها شيئًا إلا هذه الآية الفاذة الجامعة : فَعَن يُعْمَلْ مِثْفًالْ فَرْقٌ مِثْرًا يَرْهُمْ ، """.

وروى الإمام أحمد ، عن صعصعة بن معاوية عم الفرزدق أنه أتى النبي ﷺ فقرأ عليه : فَهَن يُغْمَلُ مِثْقَالَ ذُرَّةٍ خَيُرًا يُرَّهُ , وَمَن يُعْمَلُ مِثْقَالَ خَرَّةٍ ضَرًّا يَرَهُ, . قال : حسبي أن لا أسمع غيرها ١٠٠٠.

وفي صحيح البخاري ، عن عدى مرفوعًا : «اتقوا النار ولو بشق تمرة ، ولو بكلمة طيبة».

وله أيضًا في الصحيح: «لا تحقرن من المحروف شيئًا ولو أن تفرغ من دلوك في إنناء المستسقى، ولو أن تلقر أهناك ووجهك الله مندسك (١٠٠).

وفى المحميح أيضًا : «يا معش نساء المؤمنات لا تحقرنٌ جارة لجارتها ولو فرسن شاة» ١٩٦٩ . يعنى ظلفها ، وفي الحديث الآخر : «ردوا السائل ولو بظلف محرق» .

وعن عائشة أن رسول الله ﷺ قال : «يا عائشة ، استنرى من النار ولو بشق تمرة فإنها تسد من الحاتم مسدها من الشيماني°۹۰۱.

وروى عن عائشة أنها تصدقت بعنبة وقالت : كم فيها من مثقال ذرة .

وروى ابن جرير ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص أنه قال : لما نزلت : إِفَّا رُلُّولُتِ ٱلْأَرْصُ رُلُّوْالُهَا . وأبو بكر الصديق رضى الله عنه قاعد ، فيكى حين أنزات ، فقال له رسول الله ﷺ : «ما يبكيك يا أبا بكر» ؟ قال : يبكينى هذه السورة ، فقال له رسول الله ﷺ : «لولا أنكم تخطئون وتذنبون فيغفر الله لكم لملق الله أمة يخطئون ويذنبون فيغفر لهم ٢٠٠١.

وردى ابن أبى حاتم ، عن سعيد بن جبير فى قول الله تعالى: فَمَن يَعْمَلُ مِقَالَ كَرَّوْ عَبِّراً يَرَهُ و وَمَن يَعْمَلُ مِقَالَ كَرَّوْ عَبِّراً يَرَهُ وَ وَمَن يَعْمَلُ مِقَالَ كَرَّوْ عَبْراً يَرَهُ وَ وَمَن يَعْمَلُ عَبْقالَ كَرَةً شَرًا يَرَهُ و. ونلك لما نزلت هذه الآية : وَيُعْمِعُونَ الطَّقامَ عَلَىٰ حَبِّهِ مِسْكِينا وَيَهِما وَ أَسِيما وَ اللهِ الله الله الله يورد الله هردون على الشيء القابل إذا أعطوه ، فيجيء المسكين إلى أبوابهم فيسقللون أن يعطوه التمبي والكبيرة والكبيرة والكبيرة والكبيرة ونحو نلك فيردون ، ويقولون : ما هذا يشيء إنسانية ، وأشباه ذلك ، ونحن نحبه ، وكان آخرون يرون أنهم لا يلامون على الذنب اليسير : الكذبة ، والنظية ، والنظية ، وأشباه ذلك ، يقولون : إنما ويعلى الشير أن يعملوه فإنه يومثك أن يكثر ، فنزلت : فَمَن يَعْمَلُ مِقْالَ ذُرَّةٍ ، (١٩٩ يعني : وزن أصغر النغل . وحدرهم اليسير من الشر فإنه يومثك أن يكثر ، فنزلت : فَمَن يَعْمَلُ مِقْالَ ذُرَّةٍ . والنظية واحدة ويكل حسنة عشر عمنات ، فإنه كان يوم القيامة ضاعف الله حسنات المؤمنين أيضًا بكل واحدة عشرًا ، ويمحو عنه بكل حسنة عشر سيئات ، فون الدونة ومن ذابت حسناته على سيئة عشر الميات . فمن زادت حسناته على سيئة عشر الميات . فمن زادت حسناته على سيئة عشول لوحة عشرًا ، ويمحو عنه بكل

وروى الإمام أحمد، عن عبد الله بن مسعود أن رسول الله ﷺ قال: «إيناكم ومحقرات الذنوب، فإنهن يجتمعن على الرجل حتى يهلكنه»، وإن رسول الله ﷺ ضرب لذلك مثلاً كمثل قوم نزلوا أرض فلاة، محضر صنيع القوم، فجعل الرجل ينطلق فيجيء بالعود والرجل يجيء بالعود، حتى جمعوا سوادًا، وأججوا نارًا، وأنضجوا ما قذفوا فيها ا¹⁰،

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلُّم (١٠٠١)

* * *

(تم بحمد الله وفضله تفسير سورة الزلزلة) .



أهداف سسورة العاديسات

(سورة العاديات مكية ، وآياتها ٩ ٩ آية ، نزلت بعد سورة العصر)

تصف سورة العاديات الحرب بين كفار مكة والمسلمين ، وبدناً بمشهد الخيل العادية الضابحة ،
القادحة للشرر بحوافرها ، المغيرة مع الصباح ، المثيرة للنقع وهو الغبار ، الداخلة في وسط العدو فجأة
تأخذه على غرة ، وتثير في صفوفه الذعر والغرار . يليه مشهد ما في النفس من الكنود والجحود والأثرة
والشح الشديد ، ثم يعقبه مشهد لبعثرة القبور ، وتحصيل ما في الصدور ، وفي الفتام ينتهي للنقع المثار ،
وينتهي الكنود والشع ، وتنتهي البعثرة والجمع إلى نهايتها جميعًا .. إلى الله ، فتستقر هناك : إِنَّ رَبُّهُم بِهِمْ
يَرْمُيْدُ لَمُسِيرٌ ، (العاديات ، ١١) .

مع آيات السورة

١ - ٥ - وَٱلْمُنْادِيَاتِ ضَبَّحًا ه فَٱلْمُورِيَنْتِ قَدْحًا * فَٱلْمُفِيرَاتِ صُبْحًا * فَٱلْوَنْ به تَقْعًا * فَوَسَطْنَ به جَمْعًا .

يقسم الله سبحانه بخيل المعركة ، ويصف حركاتها واحدة واحدة ، منذ أن تبدأ عدوها وجريها ضابحة بأصواتها المعروفة حين تجرى ، قارعة للمحفر بحوافرها ، حتى تورى الشرر منها ، مغيرة في الصباح الباكر لمفاجأة العدو ، مثيرة للنقع والغبار ، وهي تتوسط صفوف الأعداء على غرة ، فقوقم بينهم الفوضي والاضطراب .

٦ - ٨ - إِنْ ٱلْإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ، وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَالِكَ لَشَهِيدٌ ، وَإِنَّهُ لِخُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ .

يقسم سبحانه على أن الإنسان كنود جحود ، كفور بنعمة الله ، يعد المصالب وينسى النعم .

«رُرُوي عن النبي ﷺ : «الكنود الذي يأكل وحده ، ويضرب عبده ، ويمنع رفده» . كأنه لا يعطى مما أنتم الله به عليه ، ولا يرأف بعباد الله كما رأف الله به ، فهر كافر بنعمة ربه . غير أن الآية عامة ،

والمراد منها ذكر حالة من حالات الإنسان التي تلازمه في أغلب أفراده» (١٠٠٠ ، إلا من عصمهم الله ، وهم الذين رَوُضوا أنفسهم على فعل الفضائل وترك الرذائل .

وسر هذه الجملة أن الإنسان يحصر همه فيما حضره ، وينسى ماضيه وما عسى أن يستقبله ، فإذا أنعم الله عليه بنعمة غرّته فضَلَّتُهُ ، ومنعه البخل والحرص من عمل الخير .

وَاللَّمْ عَلَىٰ ذَالِكَ لَشَهِيدً . وإن أعماله كلها لتشهد بذلك ، وإنه ليمترف بذلك ببنه وبين نفسه ، أو إن الله على كنوده لشاهد على سبيل الوعيد .

وَإِنَّهُ لِحُبُّ ٱلْخَبِّرِ لَطَائِيلًا . وإن الإنسان بسبب حبه للمال وتعلقه بجمعه وادخاره لبخيل شديد في بخله ، ممسك مهالغ في إمساكه ، متشدر فهه .

ومن ثم تجىء اللفتة الأخيرة في السورة لعلاج الكنود والشح والأثرة ، مع عرض مشهد من مشاهد الأخرة .

٩ – ١١ – أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْتِرَ مَا فِي ٱلْقُبُورِ ء وَحُصَّلَ مَا فِي ٱلصَّدُورِ ، إِنَّ رَبُّهُم بِهِمْ يَوْمَنِذٍ لَخَبِيرٌ .

وهو مشهد عنيف مثير : بعثرة لما فى القبور ، بعثرة بهذا اللفظ العنيف المثير ، وتحصيل لأسرار الصدور التى ضنت بها وخبأتها بعيدًا عن العيون ، تحصيل بهذا اللفظ القاسى ، ومفعول الفعل : يُعْلَمُ . محدوف لتذهب النفس فى تخيله كل مذهب .

أى: أفلا يعلم الكنود الحريص ما يكون حاله فى الآخرة يوم تكشف السرائر؟ أفلا يعلم ظهور ما كان يُطفى من قسوة وتحيل؟ أفلا يعلم أنه سيحاسب عليه؟ أفلا يعلم أنه سيوفى جزاء ما كفر بنعمة ربه؟

وشفتم السورة بعدل الجزاء ، وشهادة الخبير ، فتقول : إِنَّ رَبُّهُم بِهِمْ يَوْمَنِذٍ لُخَيرٌ .

فالمرجع إلى ربهم ، وإنه لخبير بهم يُوَّتِنْهِ . ويأحوالهم ويأسرارهم ، والله هبير بهم في كل وقت وفي كل حال ، وإنما خص هذا اليوم بذلك لأن هذه الخبرة يعقبها الحساب والجزاء .

كما قال تعالى : سَنَكُبُ مَا قَالُواً . . (إل عمران : ١٨١) . مع أن كتابة أقوالهم حاصلة فعلاً ، والمراد سنجازيهم بما قالوا جزاء يستحقونه .

أير السورة قطعة رائعة لعرض سلوك الإنسان ، والوصول به إلى مرحلة الجزاء ، في أسلوب قوى أسر معنى وافظًا ، على طريقة القرآن المبين .

المعنى الإجمالي للسورة

١ - القسم بخيل الغزاة والمجاهدين.

٢ - بيان حال الإنسان إذا خلا قلبه من الإيمان.

٣ - ذم الشح والبخل وجحود النعمة.

غرض صورة من مشاهد البعث والحساب والجزاء.

+++

القسم بالخيل على جحود الإنسان



﴿ وَالْعَدِينَةِ صَبْحًا ۞ فَالْمُورِبَةِ قَدَّمًا ۞ فَالْغِيرَةِ صَبْحًا ۞ فَأَثَرَنَهِ مِنْفَا۞ فَوَسَطَنَهِ مِمَّعًا ۞ إِنَّ ٱلْإِنسَكَنَ لِرَبِّهِ لَكَنُودُ ۞ وَإِنّهُ مَعَلَ ذَلِكَ لَشَهِيدُ ۞ وَإِنّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدُ ۞ ﴿ فَلَا يَعْلَمُ إِذَا أَبُعْثُرُ مَا فِي ٱلْقُبُورِ ۞ وَحُصِّلَ مَا فِي ٱلصَّدُورِ ۞ إِنَّ دَيَّهُم يَهِمْ يَوْمَهِ لِلْخَسِيرُ ۞ ﴾

المفردات:

الصعاديات ، الخيل التي تعدو مسرعة .

المسسب يسمح : صوت أنفاس الخيل حين الجرى .

المموريبات قندها ، هي الخيل تضرب بحوافرها الأرض فتقدح نازًا ، يقال : أورى الزناد ، إذا أهرج النار على هيئة شرار .

المشيرات صبحاء خيل الغزاة تُغير صباعًا .

الإنسيسارة ، التهييج وتحريك الغبار .

السنسقسع ، الغيار .

فوسطن به جمعاء توسطن جمعا من الكفار ففرقنه وهزمنه.

المسكسيسود، جدود النعم.

تشـــه ـــــيـــــد، يشهد على جُدُودِه لسان جاله بأقواله وأفعاله.

. السخسيسر ، المال .

لشـــــد؛ الحرص عليه .

بعثرما في القبور: أخرج ما فيها من الموتى.

حصل ما هي الصدور ؛ أبرز المكنون في الصدور ، وظهرت الأسرار .

المخسيسيس ؛ بالغ علمه بكل شيء .

التفسير،

١ - وَٱلْعَلدِيَلْتِ ضَبْحًا .

أقسم الله تعالى بالخيل التي تخرج للجهاد في سبيل الله ، ولها صوت صياح وحمحمة ، وهو الضبح.

قَالَ ابن عباس : الخيل إذا عنت قالت : أَحْ أُحُّ ، فذلك ضبحها .

وقال أبو السعود: أقسم سبحانه بخيل الغُزاة التي تعدن نحن العدنُّ ، وتضبح ضبحاً ، وهن صوت أنفاسها عند عدّوها.

هى نفس الخيل تعدو نحو العدو ولها حمحمة ، ومن شدة وثبها تقدح الشرر بحوافرها من مدم حوافرها للمجارة ، واندفاعها في سيرها عند الجري .

٣ - فَٱلْمُغِيرَاتِ صُبْحًا.

أى: فالخيل تَغير على العدوّ في الصباح المبكر قبل شروق الشمس ؛ لأخذه بفتة على غير أهية واستعداد .

جاء في روح المعاني للآلوسي:

هذا هو المعتاد في الغارات ، كانوا يستعدّون ليلاً لثلا يشعر بهم العدر ، ويهجمون صباحا ليروا ما يأتون رما يدرون .

 $2 - \hat{b}$ أَثُرُنَ بِهِ نَفْعًا .

فأثارت الخيل الغبار الكثيف لشدة العَدُّو في الموضع الذي أغرن به.

قال بشار بن برد:

وأسيافنا ليل تهاوي كواكبه

كأن منار النقع فوق رؤوسنا

والمعنى:

أثارت خيلنا غبارًا كثيفًا فوق رؤسنا كالليل المظلم ، وتحرّكت سيوفنا لقتال الأعداء وسط هذا الظلام ، فكان بريق السيوف يشبه تساقط الكراكب في ظلام الليل.

ه - فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا .

فتوسطن جموع الأعداء ، ففرقن صفوفهم ، وشتتن شملهم .

قَالَ الْآلُوسى: والفاءات للدلالة على ترتيب ما بعد كل منها على ما قبله ، فتوسط الجمع مترتب على الإنارة ، المترتبة على العدو السريح .

إن نظرة إلى جمال التعبير، وإقسام القرآن الكريم بالخيل المغيرة التى تصبل ، وبالشرر الذي يتطاير من حوافرها ، وبالإغارة فى وقت الصباح الباكر ، وبالغبار المتطاير من سرعة الجرى ، وبالوصول إلى وسط الجموع لتبديدها وتفريقها – كل ذلك ليلفت نظر المسلمين إلى أهمية الجهاد والغزو والكفاح ، والإعجاب بحركة الخيل وغذوها ، واقتحامها المعارك لتشتيت العدر وإصابته فى الصميم .

وقد ورد في القرآن الكريم والسنة المطهرة الحث على الجهاد وإعداد العدّة.

قال تعالى : وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوْةٍ وَمِن رَّبَاطِ ٱلْحَيْلِ تُرْهِيُونَ بِهِ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوُّكُمْ ... (الأنفال: ١٠).

وذلك يوجِب علينا العناية بالخيل وبُسائر الأُسلحة اللازمة للحرب ، فلا شيء يمنع الحرب أكثر من الاستعداد لها .

٣ – إِنَّ ٱلْإِنسَانَ لِرَبَّهِ لَكَتُودٌ .

أى: وحق الخيل التي يعتلي صهوتها المجاهدون في سبيل الله ، والتي تجرى بهم في ساحات القتال فيُسمع صوت أنفاسها ، والتي تظهر شرر النار من أثر صكّ حوافرها بالحجارة ، والتي تُغير على العدو وقت. الصباح ، فتثير الغبار وتمزق جموع الأعداء . إِنَّ الْإِنسْنَ لِرِّهِ لَكُنُودٌ . أي : من طبيعة الإنسان جحود النعمة والأثرة بها ، فهو يعد المصائب وينسي نعم الله عليه . وقد ورد فى السُّنة أن الكنود هو : «الذى يأكل وحده ، ويضرب عبده ، ويمنع رِفُده» . فهو أنانى ليس لديه إيثار أو معونة للأخرين ، وهى مُسىء العشرة يؤذى الخادم والأجير ، وهو بخيل شحيح لا يجود بالغير على المحتاجين إلى معروفه .

٧ - وَإِنَّهُ, عَلَىٰ ذَالِكَ لَشَهِيدٌ .

أي: إنه إذا خُلِّى بينه وبين نفسه رجع إلى الحق ، واعترف أنه لم يشكر ربّه حقّ الشكر ، ولم يستخدم نعمة الله فيما خُلقت له ، وأنه ضَنَّ بمعروفه على المحتاجين إليه ، فهى شهادة بلسان الحال ، وهى أفصح من لسان المقال .

٨ - وَإِلَّهُ لِحُبِّ ٱلْحَيْرِ لَشَدِيدٌ .

وإنه لشديد المحبة للمال ، وهو لذلك شديد الحرص عليه ، لا يسهل عليه أن ينفقه في وجوه الخير .

٩ - أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا يُعْرِرَ مَا فِي ٱلْقُبُورِ .

من شأن القرآن أن ينقل الإنسان مباشرة إلى بعض المشاهد لتحريك قلبه ، لتنبيه ضميره ، لتطهير فوّاده ، لإيقاظ العظة والاعتبار في وجدانه ، فهذا الإنسان الكنود الجَدُود ، الشديد الحبّ للمال ، الضنين به على مستحقّيه ، ماذا يكون حاله إذا بعثرت القبور ، وبعثت الأموات ، وخرج الموتى سراعًا للحساب والجزاء ؟

١٠ – وَحُصَّلَ مَا فِي ٱلصُّدُورِ .

ظهر وانكشف كل ما ستره الإنسان في الدنيا، وأصبح واضما مكشوفاً أمام العيان ، لا يستطيع إنسان أن يحجب سرائره وخباياه ، يَوْمُ بُنِلِي ٱلسُّرَائِرُ . (الطارق: ١) . وتظهر الخفايا ، ويعرض الجميع على الله ، حفاة عراة غُرلا ، لقد بان المستور ، وَحُمَّلُ مَا فِي ٱلمُشْدُورِ . أي جُمع ما في القلوب من خير اكتسبوه أو شُل القرفوه .

ومفعول الفعل : يَعْفُمُ . محدوف: لتذهب النفس في تصوره كل مذهب ، مثل : إن الجزاء سيكون من . جنس العمل .

أن أفلا يعلم أنه سيحاسب على ما فعل؟

أو أقلا يعلم أنه سيوفي جزاء ما كفر من نعمة ربه ؟

١١ - إِنَّ رَبُّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَيرٌ .

إنه سبحانه عليم بالسُّر، وما هو أخفى من السُّر، وقد قَرمُوا على العليم الخبير الذي لا تخفى عليه خافية، وهو خبير في كل يوم ، لكنَّه عبَرُ بقوله : إِنَّ رَبُّهُم بِهِمْ يَوْمَلِ لُخَبِرٌ ، نيبيْن أنه هو المحاسب وهو المجازى، وهو المعطى وهو المانع في ذلك اليوم .

قال تعالى : ٱلَّيْوُمُ تُجْزَرُنَ مَا كُسُّمُ تَعْمَلُونَ . (الجائية : ٢٨) .

نهر ربهم ولن يظلمهم ، وهو الحكم العادل ، والملك له وحده في ذلك اليوم ، وهو خبير بمعنى عليم بكلّ ما فعلوا ، وسيجازيهم جزام عادلاً .

قال تعالى : وُوْضِعُ ٱلْكِتُلُ قَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُلْفِقِينَ مِنْ فِيهِ وَيَقُولُونَ يَمْوَلُنَنَا مَالِ هَدَا، ٱلْكِتَلَبِ لاَ يُعَاوِرُ صَيرَةُ وَلَا كَبِرَةً إِلاَّ أَحْصَلُهَا وَرَجُدُوا مَا عَبِلُوا خَاصِرًا وَلاَ يَظْلِمُ رُبُّكَ أَحَدًا . (الكيف : ٤٤)

* * *

تم بحمد الله تعالى وفضله وتوفيقه تفسير سورة (العاديات) عِشاء يوم الجمعة ١٦ من ربيع الأول ١٤٢٧ هـ ، الموافق ٨ / ٦ / ٢٠٠١ م .





أهسداف سسورة القبارعة

(سورة القارعة مكية ، وآياتها ١٩ آية ، نزلت بعد سورة قريش)

والقارعة اسم من أسماء القيامة ، كالحاقة والصاغة والطامة والخاشية ، وسُميت قارعة لأنها تقرع القلوب بأهوالها . والسورة كلها عن هذه القارعة : حقيقتها ، وما يقع فيها ، وما تنتهى إليه ، فهى تعرض القلوب بأهوالها . والسورة كلها عن هذه القارعة : حقيقتها ، وما يقع فيها ، وما الجبال ، فيهدو الناس مشهدا من مشاهد القيامة : والمشهد المعروض هنا مشهد هول ، تتناول آفاره الناس والجبال ، فيهد كالفراش المبثوث ، مستطارون مستخفون في حيرة القراش الذي يتهافت على اللهلاك ، وهو لا يملك لنفسه وجهة ، ولا يعرف له هدفا ، وتبدو الجبال التي كانت ثابتة راسخة كالصوف المنفوش ، تتقانفه الرياح ، وتعيث به حتى الأنسام .

عندنذ يرجع وزن المؤمن وتثقل درجته ، فيعيش عيشة راضية ، ويخفُّ ميزان الكافر وتهوي منزلته ، فيصطلى بنار حامية .

مع آيات اڻسورة

١ - ٣ - ٱلْقَارِعَةُ مِ مَا ٱلْقَارِعَةُ مِ وَمَا أَدْرَسْكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ .

ٱلْقَارِغُةُ . أي : القيامة ، بدأ بها قرعا للأذهان بهولها .

مًا أَلْقَارِعَة . استفهام عن حقيقتها ، قصد به تهويل أمرها ، كأنها لشدة ما يكون فيها ، مما تفزع له النفوس وتدهش له العقول ، يصعب تصورها .

وَمَّ أَوْرَكُكُ مَا أَلْفَارِهُمُّ . : أَى شَيْ يعرفك بها ؟ زيادة في تعظيم تلك الحادثة العظيمة ، كأن لا شيء يحيط بها ويفيدك برسمها، ثم أخذ يعرفها بزمانها وما يكون للناس فيها .

ع - يَوْمَ يَكُونُ أَتْأَاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبُّوثِ. أي: يكون الناس من حيرتهم وذهولهم كالفراش الهائم على
 رجهه ، المنتشر في الفضاء لا يدرئ ماذا يصنع ، قال تعالى في آية آخري : كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُتشَفِّر . (القمد : ٧).

٥ - وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَالْبَهِن ٱلْمَشُوشِ . أى: تصبح في صورة الصوف المنفوش ، فلا تلبث أن تذهب
 وتقطاير ، وفي سورة (عم يتساءلون) قال تعالى : وَسُمِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا . (النبا ٢٠) .

٣ ، ٧ - فَأَمَّا مَن ثُقُلَتْ مَوْ إِينَهُ, ه فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ .

أى: من ثقلت موازينه برجحان كفة حسناته على سيئاته ، فهر في الجنة . ويقال : ثقل ميزان فلان ، إذا كان له قدر ومنزلة رفيعة ، كأنه إذا رُضع في ميزان كان له به رجحان ، وإنما يكون المقدار والقيمة لأمل الأعمال المسالحة ، والفضائل الراجحة ، فهزلاء يُجزون النعيم الدائم والعيشة الراضية .

٩ ، ٨ - وَأَمَّا مَنْ خَشْتْ مَوْ (زِينُهُ, هَ فَأَلْهُ, هَارِيَةٌ. يقال: خف ميزان فلان ، أى سقطت قيمته فكأنه ليس بشيء ، حتى لم وضع في كفة ميزان لم يرجح بها على أختها ، ومن كان في الدنيا كثير الشر قليل فعل الخير ، يجترئ على المعاصى ، ويُفسد في الأرض ، فإنه لا يكون شيئا في الآخرة، ولا ترجح به كفة ميزان لو رُضع فيها .

ويرى بعض المفسرين أن الذى يوزن من الصحف التى تكتب فيها الحسنات والسيئات ، وأن الحسنات تمثل وتقابل بالنور والخير ، وأن السيئات تمثل وتقابل بالظلام والشر ، وأن من كثر خيره كان ناجيا ، ومن كثر شره كان هالكا .

وهذا الميزان نؤمن به ونفُوْض حقيقة المراد به إلى الله تعالى ، فلا نصأل كيف يزن ؟ ولا كيف يقدر ؟ فهو أعلم بغيبه ونحن لا نظم .

قال تعالى : وَلَعَتْ ٱلْمُوْزِينَ ٱلْمِسْطَ يَوْمِ ٱلْقِياحَةِ فَلَا تَظْلَمُ فَلْسٌ شَيْنًا وَإِن كَانَ مِشَال حَبُّهِ مَنْ عَرْفَل آلَتِنا بِهَا وَكُفَى بَنَا حَسْسِينَ (الأنبياء: ٤٧).

فَأَمُّهُ هَارِيُّهُ . مرجعه الذي يأوي إليه كما يأوي الولد إلى أمه ، أي : فمسكنه ومأواه النار .

١٠ - وَمَّا أَذْرَسْكُ مَاهِيَّهُ . أي : ما الذي يخبرك بما هي تلك الهاوية ، وأي شيء تكون؟

١١ - نَارٌ خَامِيٌّ . هي نار ملتهية بلغت النهاية في الحرارة ، يهوى فيها ليلقى جزاء ما قدُّم من عمل .

مقاصد السورة

- ٧ وصف أموال يوم القيامة ومشاهده.
- ٣ وزن الأعمال ورجحان كفة المؤمن ، وخفة كفة الفاجر .
 - ٣ السعداء يدخلون الجنة ، والأشقياء يذهبون إلى النار.

x x z

مشاهد القيامة

مِلْقَةِ الْتُحْزِ الْحِيدِ

﴿ اَلْقَكَ اِعَةُ ۞ مَا اَلْقَارِعَةُ ۞ وَمَا آَدَرِنكَ مَا اَلْقَارِعَةُ ۞ بَوْمَ يَكُونُ اَلْتَ اشُ كَالْفَرَاشِ اَلْمَبْثُوثِ ۞ وَتَكُونُ الْحِبَ الْكَ الْمِفِي الْمَنفُوشِ ۞ فَأَمَّا سَ ثَقْلَتَ مَوَزِيئَهُۥ ۞ فَهُو فِي عِيشَكَةِ زَاضِيبَةٍ ۞ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتَ مَوْزِيئُهُۥ۞ فَأُمُّهُۥ هَا وِينَّةٌ ۞ وَمَا آذَرَنكَ مَاهِيَةً ۞ نَارُّعَامِينَةً ۞ ﴾

المفردات

السقسارعسة ، يوم القيامة .

وما أدراك ما القارصة ، استفهام عن حقيقتها ، قُصد به تهويل أمرها .

الصمييث وثر ، المنتشر المتفرق ، وهو مثل في الحيرة والحهل بالعاقبة .

البعسهين: الصوف.

السمسشسقسوش ، الذي نفشته بيدك أو بآلة أخرى ، ففرقت شعراته بعضها عن بعض .

شقات موازيت، بكثرة الحسنات.

خسفت مبوازيسنه ، بقلة الحسنات وكثرة السيئات .

فسأمسه هساويسة : مرجعه الذي يأوي إليه هاوية ، أي : مهواة سحيقة يهوي فيها .

التقسيره

٣ ، ٢ ، ٣ - ٱلْقَارِعَةُ * مَا ٱلْقَارِعَةُ * وَمَا أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ .

أَلْقَارِغَهُ. همى القيامة ، وسُميت القارعة لأنها تقرع الناس بأهوالها وشدّتها ، وتسمّى الحاقة ، والمساخة ، والطامة الكبرى ، والواقعة ، والقيامة ، وتبدأ بالنفضة الأولى من إسرافيل فى الصُور ، وتنتهي بفصل القضاء بين الخلائق ، فعنهم شقى وسعيد .

مَا ٱلْقَارِعَةُ .

تهويل لشأنها ، أي : أيّ شيء هي ؟ وما أعلمك ما شأن القارعة ؟

وَمَا أَدْرَكُ مَا ٱلْقَارِعَةُ .

تأكيد لشدة هولها على النفوس ، كأنّه لا شيء يحيط بها ، مهما تخيلت أمرها فهي أعظم من تقديرك وتوقّعاتك ، ثم فسّر ذلك ، وأبان زمانها وأماراتها ، فقال :

عَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبُّوثِ .

هذا وصف يبيّن الغزع والجزع ، والقلب المستطار ، والغزاد المشتن ، والهيام على غير هدى ، وقد شُيّه الناس فى ذلك اليوم بالحشرة الصغيرة ، التى تراها تترامى على ضوء السراج ليلا ، ويها يضرب المثل فى الجهل بالماقبة ، أو كجميع الحشرات الطائرة ، كالهاعوض والجراد ، فالناس فى انتشارهم وتفرّقهم ، ونهابهم ومجيئهم ، بسبب حيرتهم مما هم فيه ، كأنّهم فراش ميثوث، أى متفرق منتشر .

كما قال تعالى: كُأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّتَعْشِرٌ . (القمر: ٧) .

أى : كجراد يهيم على غير هدّى ، وعلى غير اتجاه موحد.

قال الزمخشري في تفسير الكشاف:

شبههم بالغراش في الكثرة والانتشار ، والشعف والذلَّة ، والتطاير إلى الدَّاعي من كل جانب ، كما يتطاير الفراش إلى النار .

وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ

الجبال تصبح رخوة مفتتة متهايلة ، كَالْعِهْنِ . وهو المسوف ٱلْمَنُّوشِ ، الذي نفش بالندف وأصبح خفيفا ، تحركه الرِّياح والأنفاس .

وإذا كانت الجبال في الدنيا يُصرب بها المثل في الرسوخ والتماسك ، فقد صارت في الآخرة هلامًا رخوا ، متطايرا غير متماسك ، كما قال تعالى : وَإِذَا الْجِبَالُ سُيُّرِتُ . (التكوير: ٢٢) .

وكما قال تعالى : وَكَالَتِ ٱلْبِحِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا . (المزمل: ١٤) .

أى: رمالا متحركة غير متماسكة.

وقال تعالى : وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَالَتُ سَرَابًا . (النبأ : ٢٠) .

فالجبال يوم القيامة تقتلع من أماكنها ، ويتحوُّل تماسكها إلى رمال متحركة متناثرة ، ثم تُدَّى في الهواء ، فتتطاير كالصوف المنفوش ، ثم تصبح سرايا لا حقيقة لها ، حيث تسوَّى الأَرْض ، وتبدَل بأَرض بيضاء مستوية : لاَّ تَرَّكُ فِيهَا عَرِّجًا وَلاَّ أَمَّنًا . (ط. ١٠٧٠) . أي : لا ارتفاع فيها ولا انخفاض .

إذا كان هذا حال الجيال ، فما بالك بالإنسان الذي خلقه الله ضعيفا ، إنه يُصاب يوم القيامة بالهلع والمفاجأة وشدة الصدمة .

قال تعالى : يَكَالَيُهَا النَّاسُ اتَّقُوا وَيُكُمُّ إِنْ لِزَلَةَ السَّاعَةِ شَىءٌ عَظِيمٌ ، يَوْمَ تَرُونَهَا تَذَعَلُ كُلُّ مُوْمِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتُ وَتَعَنَّعُ كُلُّ أَاتِ حَمْل حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسُ شَكَرْئِى وَمَا هُم بِسُكَرْئِى وَلَئِكِنْ عَلَىٰ اللّهِ شَلِيلًا . (السمي : ١ . ٢) .

وقيل : إن ذلك الهول يصيب الكفَّار والعصاة من المؤمنين ، أمَّا المسالحون المهتدُون فتنزل عليهم الملائكة تطمئنهم وتبشرهم بالجنة ونعيمها .

قال تعالى ؛ إِنَّ الَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا اللَّهُ ثُمُّ اَسْتَقَامُواْ تَنَوَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَنِّكِكُ أَلَّا نَحَالُواْ وَلَا صَوْلُواْ وَلَيْسُواْ وَالْمَصَالُواْ وَلَا يَعْرُواْ إِلَّا حَيْدُ الَّتِى كُشُمْ تُوعَدُونَ * دَحْنُ أُولِيَّا وُكُمْ فِي الْحَيْزَةِ الدُّنِّا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشَعُونَ * . فُولًا مِنْ هُفُورٍ رَحِيمٍ * (فصلت : ٣٠ – ٣٧) . ٧، ٦ - فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَا رِينُهُ, ه لَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ.

أى: من ثقلت موازين حسناته ، ورجحت على سيئاته ، فهو ناج ناهب إلى الجنة ، في عِيثَةٍ رَاهبَةٍ . هنيئة راض صاحبها ، موصوف بالرضا والاطمئنان ، والسرور والسعادة ، ومن شدة رضا المؤمن أُوميثُن عيشته بأنها راضية .

قال تعالى : رُّضِيَّ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ذَالِكَ لِمَنْ خَشِيَّ رَبُّهُ, . (البينة - ٨) .

٨ ، ٩ - وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَا زِينُهُ , . فَأَمُّهُ , هَاوِيَةٌ .

من خفت موازين حسناته أولم تكن له حسنات أصلا ، فمآله ونهايته إلى هارية ، وهي الهالكة حيث يهوى فيها مع عمق قعرها ، ولأنها نار عتيقة ، حرارتها سيعون ضعفا بالنسبة لنار الدنها ، وسُميت جهنم أُمُّة ، لأنه ياوى إليها كما ياوى الطفل إلى أمّه .

والمعنى:

وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوْ زِينُهُ ، . فمآله ومأوله هاوية في جهنم .

قال این کثیر:

وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَا إِيِّهُ ، أي : رجحت سيئاته على حسناته .

فَأُمُّهُ هَاوِيّةٌ . قيل : معناه - فهو ساقط هاوِ بأمّ رأسه في نارجهنم ، وعبّر عنه بأمَّه ، يعني : دماغه .

قال قتادة : يهوى في النار على رأسه .

وقيل: معناه: قأمَّه التي يرجع إليها ، ويصير في المعاد إليها ، هَاوِيَّةً . وهي اسم من أسماء النار (١٩٠٦)

١٠ - وَمَا أَدْرَكُ مَاهِيَةً.

ما أعلمك ما الهاوية ، وأيُّ شيء تكون ؟

١١ - نَارٌ حَامِنَةً .

هى نار شديدة الحرارة ، شديدة الإحراق ، شديدة اللهيب والتعذيب والإيلام لأهلها ، وهذا دليل على قوّتها التي تفوق جميع النيران .

نْقُولْ من مختصر تفسير ابن كثير

روى ابن جرير ، عن الأشعث بن عبد الله الأعمى قال : إذا مات المؤمن نُمب بروحه إلى أرواح المؤمنين ، فيقولون : روّحوا أخاكم فإنه كان في غمّ الدنيا ، قال : ويسألونه : ما فعل قلان ؟ فيقول : مات ، أر ما جاءكم ؟ فيقولون : ذُهب به إلى أمه الهارية ٢٠٠١.

وقوله تعالى: نَارٌ حَامِيَّةٌ. أَى: حارة شديدة الحر، قوية اللهب والسعير. عن أبى هريرة أن النبي ﷺ قال: «نار بنى آدم التى توقدون جزء من سبعين جزءًا من نار جهنمه، قالوا: يا رسول الله، إن كانت لكانية ؟ فقال: «إنها فضلت عليها بتسعة وستين جزءًا """. وفي رواية: «كلهن مثل حرها».

وروى الإمام أحمد ، عن أبى هريرة ، عن النبى ﷺ قال : وإن ناركم هذه جزّه من سبعين جزءًا من نار جهنم ، وضريت بالبحر مرتبن ، ولولا ذلك ما جعل الله فيها منفعة لأحد، (١٠٠٠).

وروى الترمذى ، وابن ماجة ، عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : «أوقد على النار ألف سنة حتى احمرت ، ثم أوقد عليها ألف سنة حتى ابيضت ، ثم أوقد عليها ألف سنة حتى اسودتُ فهى سوداء مظلمة، (۱۳۰۰) .

وثبت فى المحيحين أن رسول الله ﷺ قال: «اشتكت النار إلى ربها نقالت: يارب ، أكل بعضى بعضًا ، فَأَوْن لها بنفسين: نفس فى الشتاء، ونفس فى الصيف ، فأشد ما تجدون فى الشتاء من بردها ، وأشد ما تجدون فى الصيف من حرهاء (١٩٠٩).

وفي الصحيحين : «إذا اشتد الحر فأبردوا عن المبلاة ، فإن شرة الحر من فيح جهنم » (١٠٠).

* * *



أهسداف سسورة التكباثر

(سورة التكاثر مكية ، وآياتها ٨ آيات ، نزلت بعد سورة الكوثر)

من أسباب النزول :

أخرج ابن أبى حاتم ، عن أبى بريدة قال : نزلت : أَلْهَاكُمُ أَلْكَالُو . فى قبيلتين من الأنصار ، وهما : ينو حارثة ، وينو الحرث ، تفاخروا وتكاثروا ، فقالت إحداهما : أفيكم مثل فلان وفلان ؟ وقالت الأخرى مثل ذلك . تفاخروا بالأحياء ، ثم قالوا : انطلقوا بنا إلى القبور ، فجعلت إحدى الطائفتين تقول : أفيكم مثل فلان وفلان ؟ وتشور إلى القبر ، ومثل فلان ، وفعل الأخرون مثل ذلك ؛ فأنزال الله هذه السورة .

هذه السورة صيحة بالقلب البشرى الغارق في التفاخر والتكاثر بالدنيا ومظاهرها ، وتنبيه له إلى أن ما تفاخر به إلى زوال ، وأن الدنيا قصيرة ، وأن الغاية إلى حفرة ضيقة ، وهناك ترى الحقيقة الباقية ، واليقين المؤكد ، وتسأل عن هذه الألوان المتنوعة من الملذات ، وعن سأثر ألوان النعيم ، عن الشباب والمال والجاه والصحة والعافية ، ماذا عملت بها ؟

«ورُبوى : يُسأل عن التنمم الذي شفله الالتذاذ به عن الدين وتكاليفه ، وعن الحسن : يُسأل عما زاد عن كِنُّ يُؤيهِ ، وقوب يواريه ، وكسرةٍ تقُيهِ ، (۱۷۰)

مع آيات السورة

٧ , ٧ – أَلَهُ لَكُمُ ٱلتَّكَارُ و حَتَى زُرْتُمُ ٱلْمَقَائِر . أيها السادرون الغافلون ، أيها اللاهون المتكاثرون بالأموال والأولاد وأعراض الحياة ، وأنتم مفارقون ، أيها المخدوعون بما أنتم فيه عما يليه . أيها التاركون ما تتكاثرون به وتتفاخرون إلى حفرة ضيفة لا تكاثر فيها ولا تفاحر استيقظوا وانظروا .. فقد شفلكم حب الكثرة والفخر حتى هلكتم ، وصرتم من الموتى ، ورأيتم الحساب والجزاء .

وفي صحيح مسلم ، عن مطرف ، عن أبيه قال : أتيت النبي الله يقد ويقرأ : أَلْهَنْكُمُ ٱلْكَثَائُرُ . قال : «يقول ابن آدم : مالى ، ومالك ، يابن آدم ليس لك من مالك إلا ما أكلت فأفنيت ، أو لبست فأبليت ، أو تصدقت فأمضيت ، وما سوى ذلك فذامب وتاركه للناسء . ١٣٠٥. س ، ٤ – كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ * ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ .

أي: ازدجروا عن مثل هذا التكاثر والتفاخر، والجأوا إلى التنامس على الدق، والتكاتف على أعمال البر، والتضافر على ما فيه حياة الأفراد والجماعات، من تقويم الأخلاق، والتعاون على الخير والمعروف، وإنكم سوف تطعون سوء مفية ما أنتم عليه.

ثُمُّ كَلاً سَرْفَ تَطْلُمُونَ . وهو تكرير للوعيد لتأكيد الزجر والتوبيخ ، كما يقول الإنسان لآخر : أقول لك لا تفعل ، ثم أقول لك لا تفعل .

٥ - كُلُّا لاَّوْ تَغَلَّمُونَ عِلْمُ ٱلْيُقِينِ . أى: ارتدعوا عن تغريركم بأنفسكم ، فإنكم لو تعلمون عاقبة أمركم لشغلكم ذلك عن التكاثر ، وصرفكم إلى صالح الأعمال ، وأن ما تدَّعونه علماً ليس فى الحقيقة بعلم ، وإنما هو وهم وظن ، لا يلبث أن يتغير لأنه لا يطابق الواقع ، والجدير أن يسمى علماً هو علم اليقين المطابق للواقع ، بناء على العيان والحس ، أو الدليل الصحيح الذى يؤيده العقل ، أو النقل الصحيح عن المعصوم ﷺ.

٣ - لَتُرَوُّنُ ٱلْجَحِيمَ. ولاشك في رؤيتها ، والمراد برؤية الجميم: ذوق عذابها ، ثم أكد هذا المضمون بقوله:

﴿ فَمُ أَتَوْزُ فَهَا عَمَن ٱلْبَقِينِ ، أَى : لترونها رؤية هى اليقين بنفسه ، مهما كانت نسبتكم أو مجدكم ، فلن
 پنجيكم منها سرى أعمالكم .

٨ - ثُمُّ أَنْسَقُلْنَ يُوْضِدُ عَنِ آلْقِيمِ. لتسألن عنه: من أين نلتموه؟ وفيم أنفقتموه؟ أمن طاعة وفي طاعة؟
 أم من معصية وفي معصية ؟ أمن حلال وفي حلال ؟ أم من حرام وفي حرام ؟ هل شكرتم ؟ هل أديتم حق
 النعيم ؟ هل شاركتم الفقير والمسكين ؟ هل استأثرتم ويخلتم ومنعتم صاحب الحق حقه ؟

لتسألن عما تتكاثرون به وتتفاخرون .. فهو عب، تستخفونه في غمرتكم ولهوكم ، ولكن وراءه ما وراءه من مُمَّ ثقيل .

روى أن رسول الله صلى الله من أصبح أمنا في سريه ، محافي في بدنه ، عنده قوت يومه ، فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها ، ١٩٠٦ .

مقاصد سورة التكاثر

- ١ دَم الانشغال بمظاهر الحياة .
- ٢ التذكير بالموت والقبر والحساب.
- ٣ زجر الغافلين والعابثين ، وتذكيرهم بيوم الدين .
- ٤ لن ينقذهم من النارجاه ولا سلطان ، ولن ينفعهم سوى العمل الصالح.
 - ٥ الحساب على النعيم حق ، فيجب أن يكونُ النعيم حلالا طيبًا .

- - -

ذَمُّ التفاخر بالدنيا



﴿ أَلْهَ نَكُمُ النَّكَ أَثُرُ ۞ حَقَّ ذُرْثُمُ الْمُقَادِ ۞ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۞ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۞ كَلَّا لَوْتَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ۞ لَنَرَوُثَ ٱلْجَحِيمَ ۞ ثُمَّ لَتَرَوُبَّهَا عَبْرَ الْيَقِينِ ۞ ثُمَّ لَنُسَّئُلُنَ يَعْمِ نِهِ عَنِ النَّعِيمِ ۞ ﴾

المطردات:

أثيه الكمر

الستكائس : التباهي والتفاخر بالكثرة في الأموال والأولاد والأهل والعشيرة.

رُرت م المعقبات عرتم إليها ودفنتم فيها.

كسيسلا ، كلمة يُراد بها الزجر والردع .

سسوف تسعسلسمون ، خطأ ما أنتم فيه من التكاثر والتباهي ، وكرر الجملة للتأكيد .

لو تعلمون علم اليقين ، المراد : ما ألهاكم ذلك عن الآخرة والعمل لها .

لتبرون البصحبيسم، تفسير للوعيد السابق المكرر.

عمين السيقين ، عين هي اليقين نفسه .

التفسيره

١ ، ٢ - أَلْهَاكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ و خَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمُفَابِرَ .

شغلكم طلب الكثير من المال والجاه والسلطان ، رغبةً في كثرة ما تملكون ، لتكونوا أكثر مالا أو متاعًا من أندادكم ونظرائكم ، ولم تلتقنوا إلى عين الحقيقة ، وهي أن المال المقيقي هو الذي ينفقه الإنسان في سبيل الله ، وأن الفضل الحقيقي هو عمل الخير والمعروف ابتغاء وجه الله ، لأن ذلك هو الذي ينفعك في قبرك ، ويعلى درجتك في الآخرة .

حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ .

حتى ذهبتم إلى المقابر ودُفنتم فيها ، ولم تجدوا أثرًا لتكاثر الدنيا ، والتشبُّع بأموالها .

وفى قوله : حُثَّىٰ زُرُتُمُ ٱلْمَقَابِرَ . إشارة لطيفة إلى أن بيت الإقامة الدائمة هو الجنة أو الذار، أمَّا الزائر فإنه ينتقل عن بيت الزيارة ، فالقبر مدفن مؤفّت ، والدار الآخرة هي الحياة الدائمة .

وقيل : إن الآية تحتمل معنى آخر ، هو : شَعْلَكُم التَقَاهُر والتَكاثَر بِالأَحْيَاء حتَى زرتم المقابر لتَقتغروا بمن مات منكم من عظماء الدنيا على القبائل الأخرى .

أو المعنى: بنيتم مقابر مشيدة تفاخرًا بها ، كما قال الشاعر :

أرى أهسل السقصدور إنّا أُمِنوا يَسْوُّا فوق السقابر بالصخور أَوَّا إلا مسساهاة وفسخسرًا على الفقراء حتى في القبور

٣، ٤ - كُلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ، ثُمَّ كُلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ .

كُلًّا: ارتدعوا عن التنافس والتسابق في شتون الدنيا.

سَـُوْفَ تَعْلَمُونَ . سوف تعلمون عاقبة جهلكم ، وانشغالكم بما لا يفيد ، إذا دُفنتم في قبوركم.

ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ .

تأكيد للأول، وزيادة في الزجر والتهديد.

قال ابن عباس:

كُلًّا سَوَّفَ تَعْلَمُونَ . ما ينزل يكم من العناب في القبر .

ثُمُّ كُلُّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ . أي : في الآخرة إذا حلُّ بكم العذاب . اهـ.

ه - كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمُ ٱلْيَقِينِ .

تكررت كُلًا. ثلاث مرات، وهي حرف ردع ورجر، أي: انضرفوا عن الهوى والتفاخر والتكاثر بمال رائل، لأن الفضر الحقيقي بالمال الذي تنفقونه في سبيل الله فينفعكم.

لُوْ تَفْلُمُونَ عِلْمُ ٱلْيَقِينِ . جواب أَوْ. هنا محفوف ، تقديره : لو تعلمون العلم اليقيني النافع لازدجوتم واستعددتم للأخرة ،

وإنما كُذف الجواب لقصد التهويل، ولتذهب النفس في تصوَّره كل مذهب.

كقوله تعالى : وَلَوْ لَرَئَ إِذْ وُلِهُواْ عَلَى ٱلنَّادِ ... (الأنعام : ٢٧).

قال المفسرون:

وجواب لَّوْ ، محذوف لقصد التهويل ، أى : لو عرفتم ذلك لما ألهاكم التكاثر بالدنيا عن طاعة الله ، ولما خُدعتم بنعيم الدنيا عن أهوال الآخرة وشدائدها .

كما قال ﷺ: «لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيراه . (١١٠٠).

٣ - لَتَرُونَ ٱلْجَحِيمَ .

لتشاهدن جهنم مشاهدة حقيقية ، وهذه الآية جواب قسم مضمر ، أي : أقسم وأؤكد أنكم ستشاهدون الجحيم عيانا ريقينا .

قال ابن كثير:

توعدهم الله بهذا الحال وهو رؤية أهل النار ، الني إذا زفرت زفرة واحدة حُرُ كُل مَلُك مقرب ونبي مرسل على ركبتيه ، من المهابة والعظمة ومعاينة الأهوال ، على ما جاء به الأثر المروى في نلك .

٧ -- ثُمُّ لَتُرَوُّنُهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ .

أى: ثم لترونها رؤية حقيقية بالمشاهدة العينية ، أى أن ذلك أمر مؤكد ، أن تشاهدوا جهنم مشاهدة حقيقية ، بحيث لا يلتبس عليكم أمرها . جاء في التفسير الوسيط للدكتور محمد سيد طنطاوي ما يأتي :

وقد قالوا إن مراتب العلم ثلاثة:

علم اليقين: وهو ما كان ناتجا عن الأدلة والبراهين.

وعين اليقين : وهو ما كان عن مشاهدة وانكشاف.

وحقّ البقين : وهو ما كان عن ملابسة ومخاطبة .

ومثال ذلك : أن تعلم بالأدلة أن الكعبة موجودة فذلك علم اليقين ، فإذا رأيتها بعينيك فذلك عين اليقين ، فإذا ما دخلت في جوفها فذلك حقّ اليقين . ش^ي

٨ - ثُمَّ تُصْعَلُنَّ يَوْمَعِلْدٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ .

أى: ثم لتسألنُ يومنزُ عن شكر نعمة الله عليكم ، من العافية والرزق والحياة والعقل وسائر النَّعم ، حتى الشرية الباردة في اليوم الحار.

ومعروف أن شكر النعمة هو استخدامها فيما خلقها الله له ، فشكر المثال صلة الرّحم وعمل الخير ، يشكر نعمة النظر غض البصر عن المحارم ، والتأمل في كتاب الله وفي خلق الكون .

قال الشيخ محمد عبده في تفسير جزء عمَّ ما يأتي :

لُمُ لَتُسْتَلُنَّ يَوْمَئِلٍ عَنِ ٱلتَّعِيمِ.

أى: إن هذا النعيم الذي تتفاخرون به ، وتعدّرته مما يباهى به بعضكم بعضا ، هو مما لابدُ أن تُسألوا عنه : ماذا صنعتم به ؟ هل أديتم حق الله فيه ، وراعيتم حدود أحكامه فى التمتع به ؟ فإن لم تكن الحقوق أُديت ، ولم تكن الأحكام روعيت ، كان هذا النعيم غاية الشقاء فى دار البقاء .

نسأل الله أن يوفقنا لرعاية أحكامه فيما أنعم به علينا . [هـ .

من هَدِّي السُّنة

روى البخارى فى صحيحه ، والترمذي فى سننه ، عن ابن عباس قال : قال رسول الله 義 : «نعمتان مفيون فيهما كثير من الناس : الصحة والفراغ ، (۱۳۰۰) . ومعنى هذا أنهم مُفُصَّرون في شكر هاتين النعمتين ، لا يقومون بولجبهما ، ومن لا يقوم بحق ما وجِب عليه فهو مغبون .

وقال ابن عباس :

ثُمُّ لَتُسْتَلُنُ يَوْمَتِكِ عَنِ ٱلنَّعِيمِ .

قال: النعيم صحة الأبدان والأسماع والأبصار، يسأل الله العباد فيم استعملوها، وهو أعلم بذلك منهم، وهو قوله تعالى:

إِنَّ ٱلسِّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أَوْلَنْهِكَ كَانَ عَنْهُ مَسُّولًا . ""، (الإسراء: ٢٦) .





أهبداف سيورة التعبصير

(سورة العصر مكية ، وآياتها ٣ آيات ، نزلت بعد سورة الشرح)

«وفى هذه السورة الصنفيرة يتمثل منهج كامل للحياة البشرية كما يريدهـا الله ، وتبرز معالم التصور الإيماني بحقيقته الكبيرة الشاملة فى أوضع وأدق صورة .

إنها تضع الدستور الإسلامى كله فى كلمات قصار ، وتصف الأمة المسلمة · حقيقتها ووظيفتها فى آية واحدة ، مى الآية الثالثة من السورة .. وهذا هو الإعجاز الذى لا يقدر عليه إلا الله .

والحقيقة الضخمة التي تقررها هذه السورة بمجموعها هي : أنه على امتداد الزمان في جميع العصور ، وامتداد الإنسان في جميع الدهور ، ليس هنالك إلا منهج واكد رابح ، وطريق واحد ناج هو ذلك المنهج الذي ترسم السورة حدوده وتوضع معالمه: ١٩٧٩،

إن العمل الصالح هو الثمرة الطبيعية للإيمان ، ويذلك يصبح الإيمان قوة دافعة ، وحركة وعملا ، وبذاء وتعميرا يتجه إلى الله .

أما التراصى بالحق والصبر فيبرز صورة الأمة المسلمة متضامنة متضامةً ، خيرًة واعية ، قائمة على حراسة الحق والخير ، متواصية بالحق والصبر في مودة وتعارن وتآم .

مع آيات السورة

٢، ١ - وَٱلْتَعْشِ وَإِنْ ٱلْإِنْسُنْ لَلْي ضُشِر . أقسم الله بالزمن وهو ماضي لا يقف ، متغير لا يقرّ ، على أن الإنسان الذي يهمل إيمانه وموضاة ربه خاسر مهما كان رابحًا من مظّاهر الحياة ، لأنه قد خسر الجنة وخسر الكمال المقدر له فيها ، وخسر مرضاة الله وطاعته .

٧ _ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقَّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّهْرِ .

المؤمن يدرك أنه جسم وروح ، وهو ذر قلب وعقل ، وثر عراطف وجوارح ، وسعادته في نمو هذه القوى نموًّا متناسقًا ، وفي دور الخلافة الرشيدة للمسلمين تعاونت قوة الروح والأخلاق والدين والعلم والأدوات المالية ، في تنشقة الإنسان الكامل وفي ظهور المدينة المسالحة .

وكانت حكومة المسلمين من أكبر حكومات العالم قوة وسياسة وسيادة ، تزدهر فيها الأخلاق و الفضيلة مم التجارة والصناعة ، ويساير الزقي الروحي التقدم المادي والحضاري .

وخلاصة السورة أن الناس جميمًا في خسران إلا من اتصفواً بأربعة أشياء:

الإيمان ، والعمل الصالح ، والتواصي بالحق ، والتواصي بالصبر.

«وهذه السورة حاسمة في تحديد الطريق .. إنه الخسر، إِلَّا ٱلَّابِينَ ءَاشُواْ وَعَبَلُواْ ٱلصَّالِحَلَّ وَتَوَاصَوْاً بَالْحَقَّ وَتَوَاصَوْا بِٱلصَّبْرِ .

طريق واحد لا يتعدد ، طريق الإيمان والعمل الممالح ، وقيام الجماعة المسلمة التي تتواصى بالحق وتتواممي بالممبر ، وتقوم متضامنة على حراسة الحق ، مزودة بزاد الممبر .

إنه طريق واحد ، ومن ثمُّ كان الرجلان من أصحاب رسول الله ﷺ إذا التقيا لم يتفرقا حتى يقرأ أحدهما على الآخر سورة (والعمر) ثم يسلم أحدهما على الآخر الله).

لقد كانا يتعاهدان على الإيمان والعمل الصالح ، والتناصح بالحق ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، والصبر والتحمل في سبيل الدعوة إلى الهدى والرشاد .

مقاصد السورة

١ - جنس الإنسان في خُسر وضياع .

٢ - النجاة لمن أمن وعمل صالحًا ، وحثُّ على الفضيلة والحق ، وتحلى بالثبات والصبر .

بِنْ إِلَيْهِ إِلَيْهِ إِلَيْهِ إِلَيْهِ إِلَيْهِ إِلَيْهِ عِيهِ

﴿ وَٱلْمَصْرِ ۞ إِنَّ ٱلْإِنسَانَ لَهِي خُسْرٍ ۞ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّلِحَتِ وَتَوَاصَوْا بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا إِلْكَبْرِ۞ ﴾

المفردات

المصر ، اسم للدهر ، أى : الزمن الذي يحياه الإنسان ، وقيل : أقسم الله بصلاة العصر لفضلها ، أو أقسم بالعشى كما أقسم بالضحى .

خسسر : هلاك ، لسوء تصرفه وكثرة آثامه .

تواصواء تناصحوا وتعاهدوا.

بالحق : الواجب من فعل الطاعات وترك المحرمات.

التضسير،

١ ، ٢ - وَٱلْفَعْشِرِ ، إِنَّ ٱلْإِنسَانَ لَقِي خُسْرٍ .

أقسم الله تعالى بالعصر، وهو الزمان والدهر، وفيه الأيام والليالى والصباح والمسنّاء، والليل والنهار، وفي الزمان نجد يد الله تقلّب الأمور، فهو سبحانه يُعزُ ويُدُل، ويرفع ويضع، ويُعلى ويخفض، وفي الزمان تبدّل الأحداث والدُّول، والأحوال، المصاليه.

وقيل: أقسم الله بصلاة العصر تنبيهًا لأهميتها وفضلها ، حيث تكون في أواخر النهار .

وقيل: يطلق العصر على وقت العشيّ، وفيه الغروب والشفق، كما أقسم سبحانه بالضحى.

ورجّع الطبرى الرأى الأول ، فالحق سيحانه يريد أن ينبّه الإنسان إلى أهمية الزمان ، والصباح . والمساء ، وكان أهل الجاهلية ينسبون الأحداث إلى الدّهر ، فيقولون : زمان جائر أو دهر ظالم ، مع أن الذي يرفع ويضع ، ويعطى ويمنع ، هو الله تعالى وليس الدهر . لَخرج الإمام مسلم في صحيحه ، أن رسول الله ﷺ قال : «لا تسبُّوا الدهر ، فإن الله هو الدهر» (٢٠٠٠ . إن أن الله هو الذي يقلَّب الليل على الذهار ، والذهار على الليل ، وهو الذي يُعزُ ويُدُل .

قال تعالى : قُلِ ٱللَّهُمَّ مُثِلِكَ ٱلْمُلْكِ تُلِّتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمْن تَشَاءُ وَتَعزِ وَيَانَ يُبِيَكَ ٱلْخَيْرُ إِلَّكَ خَلَقٍ كُلِّ خَيْرِةً فَلِيسٌ . (ل عموان ١٣٠) .

إِنَّ ٱلْإِلسَانَ لَفِي خُسْرٍ .

أي : جنس الإنسان خاسر خسراناً مبيناً ، عندما يشترى الدنيا ويبيع الآخرة ، عندما يفقد صلته بريّه وإيمانه ، واعتماده على تلك القوى الكبيرة، عندما يأخذه الغرور ويمبير من الملحدين ، أو من عبيد العلم ، أ. عبيد المادة الذين هجروا الإيمان بالله والهوم الآخر.

قال تعالى : وَعَدَ ٱللَّهِ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعَدَهُ, وَلَنكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ • يَعْلَمُونَ طَنهِرًا مِّنَ ٱلْحَيْلِةِ ٱللَّٰتِيّا وَهُمْ مَن ٱلْاَجْرَةِ هُمْ خَلِهُمُونَ . (الدوم: ٢٠٠٧) .

وقيل: إن المراد بالإنسان إنسان معين من رؤوس الكفر.

قال ابن عباس:

أراد بالإنسان جماعة من المشركين كالوليد بن المغيرة ، والعاص بن وائل ، والأسود بن المطلب .

والأصح أن المراد بالإنسان هنا أنه اسم جنس ، يشمل جميع الناس ، أى أن من طبيعة الإنسان أن يكون في خسران ، لإقباله على الدنيا ، وإعراضه عن الإيمان والعمل للأخرة ، لأنه يرى الدنيا ويُهْرجها فيدخل في درًّامتها وينسى الآمرة ودوام ما فيها .

كما قال سبحانه وتعالى: بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيْوَةَ ٱللَّذُيَّا هِ وَٱلْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَلْقَنَى . (الأعلى: ١٧،١٦).

٣ - إِلَّا ٱلَّذِينَ عَامَتُواْ وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ وَتَوَاصُواْ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّرْ

أى : إن الإنسان لفي خسارة ونقصان وهلاك ، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، فإنَّهم في نجاح وفلاح ، ونصر مبين في الدنيا ، وسعادة في الآخرة . لقد حكم الله بأنَّ جنس الإنسان في خسران إلا من أتى بأربعة أشياء:

١ - الإيمان.

٢ – العمل الصنالح .

٣ - التواصي بالحق.

٤ -- التوامس بالصبر.

(أ) وعناصر الإيمان ستة:

الإيمان بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر ، وبالقضاء والقدر خيره وشره ، حلوه ومره .

(ب) وعناصر العمل الصالح ثلاثة :

أداء الفرائض ، واجتناب النواهي ، وفعل الخير .

(ج) والتواصى بالحق :

هو التواصى بالثبات على أمور الدين ، وشرائع الإسلام ، والأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر ، والعمل بالقرآن والسنّة ، والبعد عن الذور ، الدعة .

(د) والتواصي بالصبر :

هو أن يوصى الناس بعضهم بعضا بالثبات على الطاعات ، والبعد عن المعاصى ، والرضا بالقضاء والقدر في المصائف والمحن .

قال الإمام فخر الدين الرازي في تفسيره :

دلُّت الآية على أن الحق ثقيل ، وأن المِحَن تُلازمه ، فلذلك قُرِن به التواصى .

فضيلة سورة العصر

١ - قال الشافعي :

لو فكر الناس كلُّهم في هذه السورة لكفتهم . ا هـ .

نلك أن الكمال في معرفة الحق والدعوة إليه ، وفي التواصى بالصير والثبات عليه ، وذلك بعد الإيمان والعمل الصالح . قال تعالى . يَنْبَقَى أَفِمِ ٱلصَّلَوْةَ وَأَمُرُ بِٱلْمَعْرُوفِ وَآنَهُ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَالِكَ مِنْ عَزْمٍ الْأَمُورِ . (لقمان: ١٧) .

وقال عمر : رخم الله من أهدى إلى عيويي .

٢ – قال الشيخ محمد عبده :

إنما قال: وَتَوَاصَوُا أَ، ولم يقل: وأوصوا ؛ ليبيّن أن النجاة من الخسران إنما تناط بحرص كلّ من أفراد. الأمة على الحق ، وتقبّل الحق عند الوصية به ، فكأن في هذه العبارة الجزلة قد نص على تواصبهم بالحق ، وقد لهم الوصية به إذا وجهت إليهم .

* * *

(تم بحمد الله تعالى وتوفيقه تفسير سورة العصر).





أهداف سورة الهمزة

(سورة الهمزة مكية ، وآياتها ٩ آيات ، نزلت بعد سورة القيامة)

فكرة السورة

تعكس هذه السنورة صورة من للصور الواقعية في حياة الدعوة في عهدها الأول ، وهي في الوقت ذاته نموذج يتكرد في كل بينة ، صورة اللنيم الصغير النفس ، الذي يؤتي المال فتستطير نفسه به ، حتى ما يطوق نفسه ، ويروح يشعر أن المال هو القيمة العليا في الحياة ، القيمة التي تهون أمامها جميع القيم وجميع الأقدار : أقدار الناس ، وأقدار المعانى ، وأقدار الحقائق . كما يروح يحسب أن هذا المال إله قادر على كل شيء ، لا يمجز عن دفع شيء ، حتى دفع الموت وتخليد الحياة .

ومن ثم ينطلق في هوس بهذا المال ، يعده ويُستلذ تعداده ، وتنطلق في كيانه نفضة فاجرة ، تدفعه إلى الاستهانة بأقدار الناس ، وهمزهم ولمزهم ، وانتقاص قدرهم ، وتحقير شأنهم . وهي صورة لثيمة من صور النفوس البشرية حين تخلو من العروءة . والإسلام يكره هذه الصورة الهابطة ، وقد نهى القرآن عن السخرية واللمز في مواضع شتى ، إلا أن ذكرها هنا بهذا التشنيع ، يوحى بأنه كان يولجه حالة واقعية من بعض المشركين تجاه رسول الله ﷺ وتجاه المؤمنين ، فجاه الرد عليها في صورة الردع والتعديد والوعيد .

أسباب التزول

قال عطاء والكلمي : نزلت هذه السورة في الأحنس بن شريق ، كان يلمز الناس ويغتابهم ، ويخاصة رسول الله ﷺ .

وقال مقاتل : نزلت في الوليد بن المغيرة ، كان يغتاب النبي ﷺ من ورائه ، ويطعن فيه في وجهه . وقال محمد بن إسحاق صاحب السيرة : ما زلنا نسم أن هذه السورة نزلت في أمية بن خلف .

مع آيات السورة

- ١ رَبِّلُ كُنُّلُ هُمُزَةٍ أَمْرَةٍ ، ويلٌ وعذاب شديد لكل سبَّاب عيَّاب ، ينتقص الناس بالإبشارة والحركة ، والقول والفعل .
 - وبناء الصفة على فُعَلَّة يفيد كثرة وقوع الفعل، وجريانه مجرى العادة.
- وعن مجاهد وعطاء: الهُمَزة الذي يغتاب ويطعن في وجه الرجل، واللمزة الذي يغتاب من خلقه إذا غاب.
- اللّذي جَمَعَ مَالاً وَعُدَّدُهُ, . إن الذي دعا هذا وأمثاله إلى الحط من أقدار الناس ، ظنه الخاطئ بأن جمع
 المال ، والمبالغة في عدّه والمحافظة عليه ، مما يرفع قدره ، ويضمن له منزلة وفيعة ، يستطيع بها أن يُطلق لسانه في أعراض الناس ، وأن يؤنيهم بالقول والفعل .
- ٣ يَحْسَبُ أَنْ مَالُة أَخْلَدُهُ. إن حبه للمال أنساه الموت والمآل فهو يأنس بماله ، ويظن أن هذا المال الذي أجهد نفسه في جمعه ، ويخل به حتى على نفسه ، يحميه من الموت ويورثه الخلود.
- عَ -- كَلاً لِنُجْلَانَ في ٱلْحُطَافَةِ. لقد قابل القرآن بين كبريائه وتعاليه على الناس، وبين جزائه في الحطمة التي
 تحطم كل ما يلقي إليها، فتحطم كيانه وكبرياءه.
- ومّا أَذْرَ طلاً ما أَلْحُكُمْةُ. سؤال التهويل والتعظيم ، أى : أيّ شيء أعلمك بها ؟ فإن هذه الحطمة مما لا
 يحيط بها عقلك ، ولا يقف على كنهها علمك ، ولا يعرف حقيقتها إلا خالقها سبحانه وتعالى .
- أَنُّرُ ٱللَّهِ ٱلْمُوْقَدَةُ . إنها النار التي تنسب إلى الله الذي خلقها ، وهي موقدة لا تخدد أبدا ، ثم وصف هذه
 النار بعدة صفات فيها تناسق تصويري يتفق مع أفعال (الهمزة اللمزة) .
- إذا تُقْلِعُ عَلَى ٱلْأَلْكِنَةِ. إنها تصل إلى الفؤاد الذى ينبعث منه الهمز واللمز ، وهى تتغلب على الأفئدة
 وتقهرها ، فتدخل فى الأجواف حتى تصل إلى المدور فتأكل الأفئدة ، والقلب أشد أجزاء الجسم تألمًا ،
 فإذا استولت عليه النار فأحرقته فقد بلغ العذاب بالإنسان غايته .
- والنار لا تصل إلى الفؤاد إلا بعد أن تأكل الجاود واللحوم والعظام، ثم تصل إلى القلوب، والأفئدة موطن الإحساس والاعتقاد ، ومن كلمات عمر بن الخطاب للكفار : (حرق الله قلويكم) . أى : أصابكم بأشد ألوإن المحن والألم .

٨ - إِنَّهَا عَلَيْهِم مُؤْصَلَةً . إنها مطبقة عليهم لا يخرجون منها ، ولا يستطيعون الفرار أو الهرب.

قال تعالى : كُلُّمَا أَرَادُوٓا أَن يَحْرُجُواْ مِنْهَا مِنْ غَمِّ أُعِيدُواْ فِيهَا ... (الحج : ٢٢) .

٩ - في عَمَد مُّمَدُّدَةٍ . العمد جمع عمود وهو معروف ، والممددة : المطولة ، أى أنه أطبقها عليهم وأغلقها في عمد طويلة ، تمد على أبوابها بعد أن تؤصد ، وهو تصوير لشدة الإطباق وإحكامه ، وتأكيد لليأس من الخلاص .

قال مقاتل : إن الأبواب أطبقت عليهم ، ثم شُدت بأوتاد من حديد ، فلا يُعقع عليهم باب ، ولا يدخل عليهم روح .

اللهم أجرنا من النار، ومن عذاب النار، وأدخلنا الجنة مع الأبرار، بفضلك وكرمك يا عزيز يا غفار.

- مقاصد السورة

- ١ من الناس من يرى مثله الأعلى جمع المال والتعالى على العباد، وهو نموذج سيئ.
 - ٢ الويل والعذاب ينتظران كل عيّاب وسبّاب.
 - ٣ المال نعمة من الله ، ولكن العمل الصالح هو الوسيلة النافعة .
 - البخيل بالمال المتعالى على العباد له نار متقدة تحرق جسمه وتصل إلى فؤاده.
 - ٥ هذه النار مغلقة عليه يظل حبيسًا فيها أبد الآبدين.



﴿ وَيْلُ لِنَكُ لِي هُمَزَوَ لَّمَزَةِ ۞ الَّذِي جَمَعَ مَا لَا وَعَدَّدُهُ ۞ يَحْسَبُ أَنَّ مَا لَهُ وَأَخْلَدُهُ. ۞ كَلَّا لِيُنْبِدَنَ فِي ٱلْحُمْلَدَةِ ۞ وَمَا آذَرَنكَ مَا ٱلْخُطَدَةُ ۞ نَازُ اللّهِ الْمُوفَدَّهُ ۞ الَّتِي تَطَلِحُ كَلَ ٱلْأَغْفِدَ ۚ ۞ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّوْصَدَةً ۞ فِ عَمَدِمُمَدَّدَةٍ ۞ ﴾

المفردات:

وي الذم والقبح .

السمية: من يؤذي الناس بالفعل ، فكلاهما طمَّان عبَّات.

الذي جمع ما لا وعدده : شُغف بجمع المال وعده والتكاثر فيه ، لا ينفقه و لا ينتفع به .

يظن .

أخييل الدنيا .

اليستسيدان، ليطرحن.

الحطمة عن أسماء النار لتحطيم المعذبين فيها.

المستعرة ، المستعرة .

ترطلع على الأفئدة ؛ القلوب التي استقرت فيها العقائد الفاسدة .

بــــاســــدة ، مغلقة مطبقة .

شي عمد ممددة ، قيل : هي القيود والأثقال ، وقيل : العمد التي تتخذ لإيصاد أبواب جهنم على من فيها .

تمهيد:

ترسم سورة الهمزة صورة زرية لرجل عيَّاب ينتقص الناس ، ويعيبهم بالقول والإشارة .

التفسيرا

١ - وَيُلُ لَكُلُ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ .

عناب شديد لكل همّاز يعيب الناس ، ويغضّ من أقدارهم ، وينتقص من هممهم في حضورهم أو في غيبتهم ، يفعلُ نلك بالقول أو بالإشارة .

قَالَ ابن عباس : هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ . طمَّان عبَّاب .

وقال الربيع بن أنس: الهمزة: يهمزه في وجهه. واللمزة: من خلفه.

وسئل ابن عباس مرة أخرى عن (الهمزة اللمزة) فقال : هو المشّاء بالتميمة ، المفرّق بين الجمع ، المغرى بين الإخوان .

وقيل: نزلت هذه السورة في الأخنس بن شُرَيْق ، كان يلمز الناس ويغتابهم .

وقيل: نزلت في أمية بن خلف ، كان يهمز النبي ﷺ ويعيبه .

وقيل: نزلت في الوليد بن المغيرة ، كان يغتاب النبي على ويغض من قدره الشريف.

ولا يستبعد أن تكون قد نزلت فى مجموعة ، منها هؤلاء الثلاثة الذين دأبوا على السخرية والاستهزاء بالغضلاء ، مع اليقين بأن اللغظ عام ، يشمل كل من تنطبق عليه هذه الصفات ، فالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب .

٢ - ٱلَّذِي جُمَعَ مَالاً وَعَدَّدَهُ, .

إنه حريص على جمع المال ، وعلى عدَّه مرة بعد أخرى ، حبًّا له وشغفًا به ، وتهالكًا عليه ، وقيل . جعله أصنافًا وأنواعًا ، كعقار ونقود وماشية ، أو جعله عُدَّة لمصانب الأيام وكوارث الدهر .

٣ - يَحْسَبُ أَنُّ مَالَهُۥ أَخْلَدَهُر.

يظن الجاهل أن ماله سيدوم له أبد الدهر ، فنسى الموت والآخرة ، والثواب والعقاب ، ولم يؤدّ زكاة هذا المال ، ولم يتبيّن الحقيقة ، وهي أن مالكَ ما أنفقته في وجوه الخير والنفع ، ورعاية الفقراء 7777

والمحتاجين ، فهذا هو المال النافع ، ونحم المال الصالح للرجل الصالح ، أما ما تتركه في الدنيا ، ولم تكن أربت حق الله فهه فهو مال وارثك .

فهناك من يطك المال ، وهناك من يملكه المال ، أما من يملك المال فهو من يتقى الله في مائه باازكاة وهناة الرحم ، والعطف على الفقراء ومساعدة المحتاجين ، أما من يملكه المال فهو النموذج المذكر رفى هذه المورة ، الذي يجعل المال كلّ عنّه ، وينسى الموت والحساب ، ويظن أن ما عنده من المال قد حقظ له حياته الذي هو فيها ، وأوصدها عليه فهو لا يفارقها إلى حياة أخرى يُعاقب فيها على ما كسب من سيئ الأعمال .

٤ - كَلَّا لَيُسْتِلَانٌ فِي ٱلْخُطَمَةِ.

أي: ليرتدع هذا الهمزة اللمزة ، كانز المال المحجب به ، المنشغل بتعديده ، فهو ليس مالكًا للمال ، بل هو عايد للمال ، أو معلوك للمال ، إن هذا النموذج الردىء سيرمى ويُنبذ نبذ النواة في جهنم ، التي تحطم كل ما يلقى فيها وتلتهمه ، لذلك سدّيت بالحطمة .

ه - وَمَا أَدُرُ سُكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ .

تفخيم لشأنها ، وتعظيم لأهوالها ، أي : ما أعلمك بها ؟ إنها لا يحيط بها إلا الذي خلقها ، إنها الحطمة التي تصلم للمظام ، وتأكل اللحوم حتى تهجم على القلرب .

٣ - نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ .

هي نار الله ، المسدَّرة بأمره وإرادته ، ليست كسائل النيران ، فإنها لا تخمد أبدًا ، إنها تتلمظ غَيظًا وغَضَنَا على من عصص الله .

قال تعالى : وَزَءَا ٱلْمُحْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَطَنَّوا ٱللَّهُم مُّوالِهُوهَا وَلَمْ يَجِدُواْ عَنْهَا مِصْرِفًا . (الكهف: ٥٠).

وروى الترمذي ، عن أبي هريرة مرفوعًا ، والأصح أنه موقوف : أوقد على النار ألف سنة حتى لحمرت ، ثم أوقد عليها ألف سنة حتى ابهضت ، ثم أوقد عليها ألف سنة حتى اسودت ، فهي سوداء مظلمة (۱۳۰) .

٧ - ٱلَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْتِدَةِ .

أي : التي يبلغ ألمها ووجعها إلى القلوب فتحرقها .

قال الشيخ محمد عبده:

وقد قيل : إن معنى الاطلاع ههنا المحوفة والعلم ، أي أن هذه النار تعرف ما فى الأفئدة ، فتأخذ من تعرفهم أهلاً لها من أهل الوجّان الخبيث ، والنار التي تعرف من يستحق العذاب بها لا تكون من النيران المحروفة لنا فى الدنيا بالضرورة (٢٠٠٠).

وقال محمد بن كعب: تأكل كل شىء من جسده ، حتى إذا بلغت فؤاده ، حدو حلقة ، ترجع على -

٨ - إِنَّهَا عَلَيْهِم مُؤْصَدَةٌ .

إنها مغلقة على الكفار، ومطبقة عليهم، لا يستطيعون الخروج منها لو أرادوا ذلك.

قال تعالى : كُلُّمَا أَرَادُوۤا أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَآ أُعِيدُواْ فِيهَا . . (السجدة : ٢٠) .

٩ - في عَمَدِ مُمَدِّدَةٍ.

أى: هم موثوقون فى سلاسل وأغلال ، تُشدّ بها أيديهم وأرجلهم بعد إطباق أبواب جهنم عليهم ، ثم إن إطباق الأبواب عليهم وإغلاقها يعقبه وضع أعدة طويلة ممتدة على أبوابها ، وهو تصوير لشدة الإطباق وإحكامه ، وتأكيد للهأس من الخلاص .

اللهم أجرنا من النار ، ومن عذاب النار ، ومن كل عمل يقربنا إلى النار ، وأنخلنا الجنة مع الأبرار ، بغضاك وكرمك يا عزيز يا غفار .

* * *

تم تفسير سورة (الهمزة) منتصف ليلة الإثنين ١٩ من ربيع الأول ١٤٢٢ هـ، الموافق ١١ / ٦ /٢٠٠١م.

والحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا طاهرًا مباركًا فيه ، كما يرضى ربنا ويحب ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى أله وصحبه أجمعين ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .



أهداف سورة الفيسل

(سورة الفيل مكية ، وآياتها ٥ آيات ، نزلت بعد سورة الكافرون)

وهي سورة تشير إلى قدرة الله الغالبة ، وحمايته للبيت الحرام ، وقد وك النبي 義 عام الفيل ، وكان حادث الفيل إرهامنا بميلاده ، وبيانا لعناية الله بهذا البيت .

قصة أصحاب الفيل

حادث الفيل معروف لدى العرب ، حتى أنهم جعلوه مبدأ تاريخ يحددون به أوقات الحوادث ، فيقولون : وُلد عام الفيل ، وحدث كذا لسنتين بعد عام الفيل ، وتحو ذلك .

وجملة ما تشير إليه الروايات المتعددة أن الحاكم الحبشى لليمن -- في الفترة التي خضعت فيها اليمن لحكم الحبشة بعد طرد الحكم الفارسي منها -- ويسمى أبرهة الأشرم ، كان قد يني كنيسة في اليمن باسم ملك الحبشة ، وجمع لها كل أسباب الفخامة ، ليصرف بها العرب عن الحج إلى البيت العرام ، فخرج رجل من كنانة فقعد فيها ليلا ، وقيل : أججت رفقة من العرب نارا ، فحملتها الربح فأحرقت الكنيسة ، فغضب أبرهة وأقسم ليهدمن الكعبة فخرج بالحبشة ، ومعه فيل اسمه محمود وكان قوبها عظيما ، وإثنا عشر فيلا غيره ، وسار بجيشه إلى مكة ، وانتصر على كل من قارمه من العرب ، حتى وصل إلى المغمّس بالقرب من مكة ، ثم أرسل إلى أهل مكة يضبرهم أنه لم يأت لعربهم ، وإنما أتى لهدم البيت ففزعوا منه ، وإنطلقوا إلى شعف الجبال ينتظرون ما هو فاعل ، وأرسل أبرهة إلى سيد مكة ليقابله .

قال ابن إسحاق : وكان عبد المطلب أوسم الناس وأجملهم وأعظمهم ، وهر يومئذ سيد مكة ، فقدم إلى أبرهة ، فالم الله أوسم الناس وأجملهم وأعظمه ، وأكرمه عن أن يُجلسه تحته ، وكره أن تراه الحيشة يجلس معه على سرير ملكه ، فنزل أبرهة عن سريره ، فجلس على يساطه ، وأجلسه معه إلى جانبه ، ثم قال لترجمانه : قُلْ له نه ما حاجتك ؟ قال : حاجتى أن يردُ على الملك مائتى بعير أصابها لى ، فلما قال ذلك ، قال أبرهة لترجمانه : قُلْ له : قد كنت أعجبتنى حين رأيتك ، ثم قد زهدت فيك حين كلمتنى ، أنكلمنى في مائتى بعير

أ_{صب}تها لك ، وتترك بيتا هو دينك ودين آبائك ، قد جئت لهدمه لا تكلمنى فيه ؟ قال له عبد المطلب : إنّى أنّا ر_ب الإيل ، وإن للبيت ربًّا سيمنمه ، قال : ما كان ليمتنع منى ، قال : أنت وذلك ، فردُّ عليه إبله .

ثم انصرف عبد المطلب إلى باب الكعبة فأمسك بحلقه ، وقام معه نفر من قريش ، يدعون الله ويستنصرونه .

وروى عن عبد المطلب أنه أنشد:

لاهم إن العبد يمنع رحله فامنع رحالك

لأ يغلبن صليبهم ومحالهم أبدا محالك

وإنصر على آل الصليب وعابديه اليوم آلك

إن كنت تاركهم وقبلتنا فأمرُّ ما بدأ لك

دأما أبرهة فرجّه جيشه وفيله لما جاء له ، فَبَركُ الفيل دون مكة لا يدخلها ، وجهدوا في حمله على اقتحامها دلم يُطحوا .

ثم كان ما أراده الله من إهلاك الجيش وقائده ، فأرسل عليهم جماعات من الطير تحصيهم بحجارة من طين وحجر ، فتركتهم كأوراق الشجر الجافة الممزقة ، وأصيب أبرهة فى جسده ، وخرجوا به معهم يسقط أنملة أنملة ، حتى قدموا به صنعاء ، فما مات حتى انشق صدره عن قلبه ، كما تقول الروايات (١١١٠)

«وكان بين عام الفيل وبين المبعث نيف وأربعون سنة ، وكان قد بقى بمكة من شهد تلك الواقعة ، وقد بلغت حد التواتر حينئذ، فما ذاك إلا إرهاص للرسول ﷺ ، """،

وسُئل أبو سعيد الخدرى عن الطير، فقال : حمام مكة منها ، وقيل : جاءت عشية ثم صبحتهم هلكي . وعن عكرمة : من أصابته أصابه الجدرى ، وهو أبل جدرى ظهر في الأرض (١٣٠) .

وقد ذهب الأستاذ الإمام محمد عبده إلى أن الذي أهلك الجيش «هر انتشار داء الجدري والحصبة بين أفراده ، وقد نشأ هذا الداء من حجارة يابسة سقطت على أفراد الجيش ، بواسطة فرق عظيمة من الطير ، مما يرسله الله مع الربع ، فهي أشبه بالميكروبات الفتاكة التى تعصف بالجسم» (١٣٠).

فالأستاذ الإمام يريد أن يجعل هذه المعجزة الخارقة للعادة أمرا متفقا مع الممهود في حياة الناس، فيُرجع الهزيمة إلى انتشار وباء الحصبة أو الجدرى ، حتى يتسنى له إقناع العقول ، وفي نفس الوقت يتخلص مما ورد في بعض الروايات من العبالغة في وصف هذه الطير ، والحجارة التي حملتها في رجليها وقمها .

ونرى أن الأولى عدم إخضاع الآيات لمألوف الناس وما يحدث في واقع حياتهم ، لأفي الآيات تخبر عن خارفة وقعت بقدرة الله القادر ، الذي يقول للشيء كن فيكون .

وإذا سلمنا أن الأمر قد جرى على أساس الخارقة غير المعهودة ، وأن الله أرسل طيرا غير معهودة ، كان ذلك أدعى إلى تحقيق العبرة الظاهرة المكشوفة لجميع الأنظار في جميع الأجيال ، حتى ليمنّ الله بها على قريش بعد البعثة ، ويضربها مثلا لرعاية الله لحرماته ، وغيرته عليها .

دفعما يتناسق مع جوً هذه الملابسات كله ، أن يجىء الحادث غير مألوف ولا معهود ، بكل مقوماته وبكل أجزائه ، ولا داعى للمحاولة في تغليب صورة المألوف من الأمر ، في حادث هو في ذاته وبملابساته مفرد فذه . ١٩٠٨.

ثم إن إصابة الجيش بالرياء ، وعدم إصابة أحد من العرب القريبين منه أمر خارق للمادة ، وما دامت المسألة خارقة ، فعلام العناء في حصرها في صورة معينة مألوفة للناس ، مع أن السورة تفيد أن أمرا خاصا قد أرسله الله على أصحاب الفيل .

إننا لا يجوز أن نواجه النصوص القرآنية بمقررات عقلية سايقة ، بل ينبغي أن نواجه هذه النصوص لنظقي منها مقرراتينا الإيمانية ، ومنها نكرُن قواعد منطقنا وتصوراتنا .

«وليس معنى هذا هو الاستسلام للخرافة ، ولكن معناه أن العقل ليس وحده هو الحكم في مقررات القرآن ، ومتى كانت المداولات التعبيرية مستقيمة واضحة ، فهى التي تقرر كيف تتلقاها عقولنا ، وكيف نصوغ منها قواعد تصورها ومنطقها تجاه مدلولاتها ، وتجاه الحقائق الكونية الأخرى». [20]

مع آيات السورة

ا — أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَب ٱلْهِل . ألم تنظر أن ألم تعلم عن الحالة التى وقع عليها عمل الله ،
 الذى يتولى أمرك ، بأصحاب الفيل الذين حاولوا هدم البيت الحوام ؟ والخطاب هذا للرسول ﷺ ، وهو وإن :
 لم يشهد تلك الواقعة ، لكنه شاهد آثارها ، وسمع بالثواتر أخبارها ، فالعلم بها مساو فى قوة الثبوت للعلم الناشئ عن الرؤية والمشاهدة .

الجزء الثلاثون

٢ _ أَلْمَ يَجْعَلُ كُنِهُمْ فِي تَشْلِيلِ. لقد دبروا كيدا للبيت الحرام ، ببناء الكنيسة وصرف وجوه الحجاج المهارة فضلًا للله كيدهم بإرسال الله كيدهم بإرسال الله كيدهم بإرسال الله كيدهم بإرسال الله كيدهم بإرسال المهر عليهم .

ومعنى تضليل كيدهم ، أى إضاعته وإبطاله ، يقال : ضلُّ كيده ، إذا جعله شالا ضائعا ، ومدّه قولهم لامريخ القيس : الملك الضليل ، لأنه ضلُّل ملك أبيه ، أى ضيعه .

٣ - وَأَرْسُلُ عَلَيْهِمْ طُيْرًا أَتَابِلُ . أَبابيل : جماعات أو طوائف على هيئة أسراب ، أى : أرسل الله عليهم
 فرقا من الطير .

٤ - تُرْمِهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِحَيلٍ. السجيل: الطين الذي تحجر، أن الحجارة المحروقة، أي: أرسل الله عليهم جندا من جذوده، وكم لله من جنود لا يعلمها إلا هو، لقد أرسل الله على أبرهة وجنده جيشا من الطير، أسلحتهم حجارة صغيرة في مناقيرها، ترمى الجندي بها ، فتنفذ من أعلى جسمه إلى أسفله ، فتنهرئ لحريمهم ، وتتساقط متنافرة عن أجسادهم .

م. فَجَمَعُهُمْ تَحَصَفُو مُأْكُولِي . العصف: ورق الزرع الذي يبتى في الأرض بعد الحصاد ، تفته الربح
 وتأكله المواشى .

وقال الفراء : هو أطراف الزرع ، وقيل : هو الحب الذي أُكل لبَّه ويقى قشره .

ووصف العصف بأنه مأكول ، أي فتيت طحين ، حين تأكله الحشرات وتمزقه ، أو حين يأكله الحيوان فيمضغه ويطحنه ، وهي صورة حسية للتمزيق بفعل هذه الأحجار التي رمتهم بها جماعات الطير .

وذهب مقاتل وققادة وعطاء عن ابن عباس إلى أِن معنى عصف مأكول ، أَى: نبات أكلته للدواب وصار روثا ، إلا أنه جاء على أنب القرآن كقوله تعالى: كُاناً بِأُكُلانِ ٱلْعُقَامُ ٢٠٠١... (المائدة: ٧٠).

مقاصد السورة

- ١ بيان قدرة الله وحمايته لبيته.
- ٢ لفت الأنظار إلى ما صنعه الله بأصحاب الفيل.
 - ٣ لقد ضلٌ كيدهم وخاب سعيهم.
- 3 أرسل الله عليهم جماعات من الطيور في شكل أسراب.
- أصابتهم الطير بحجارة مخلوطة بالطين تحمل الهلاك والدمار.
- ٦ انتهى الجيش إلى ضياع وهزيمة منكرة ، كما ينتهى الزرع المأكول إلى روث مهمل ضائع.

+ + +

وَاللَّهِ الرَّحْمِ الرَّحِيدِ

﴿ أَلَوْ تَرَكَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ وَأَصَّلِ ٱلْفِيلِ ۞ أَلَوْ يَعَمَّلُ كَذَهُمُ فِي تَضْلِيلِ ۞ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيَّرًا أَبَابِيلَ ۞ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةِ مِنْ سِجِّيلِ ۞ جَعَلَهُمْ كَعَصْفِ مَّأْكُولٍ ۞ ﴾

التفسيره

١ - أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَلْبِ ٱلْفِيلِ .

للم يصل إلى علمك ما قطه ربك ومربيك وحاميك يا محمد بأصحاب الفيل ، وهم أبوهة الأشرم وجبشه الذى قدم من اليمن ، وانتصر على من قاومه من العرب حتى وصل إلى المغمس بأطراف مكة ، واستولى على إبل مكة .

ثم رغب أبرهة فى الهجوم على الكعبة ، فتقدمت الفيلة ، ورئيسها فيل كبير يسمّى محمود ، فَبرّك الفيل قَبَل الكعبة وامتنع تماما ، فإذا وجُّهوه جهة اليمن أو إلى أيّ جهة هرول مسرعا ، وإذا وجُّهوه إلى الكعبة امتنم .

٧ - أَلُمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَصْلِيل .

الكيد : أمر يدبر في الخفاء للإيقاع بالعدق.

والتضليل: الضياع والهزيمة.

والمعنى : ألم يجعل تدبيرهم وخروجهم بالجيش الكبير، ومعه الفيلة، لهدم الكعبة في ضلال وضياع وخسران؟

وهو استفهام تقريري ، معناه : قد حصل ذلك بأن مُزم أصحاب الفيل .

٣ - وَأَرْسُلُ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَالِيلَ.

وسلّط الله عليهم جماعات من الطير، أتتهم مسرعة متتابعة ، وأحاطت بهم من كل جهة ، وقد جاءت هذه الطير من جهة البحر ، ولم تُر قبل ذلك ولا يعده .

إنها المحجزة ، إنها قدرة الله ، وهو على كل شىء قدير ، فهذا القائد الذى هزم كلُّ من قابله من العرب ، وجاء بالفيل ومعه مجموعة من الفيلة ، سلَّط الله عليه جيشاً من الطير ، كان سببا في قهره .

قال تعالى : وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبُّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ . (المددر : ٣١) أ

جاء في تفسير ابن كثير :

طَيِّرُا أَتَابِسُ . أَى: قطعا قطعا مَخْذًا ، دون للحمام ، وأرجلها حمر ، ومع كل طائر ثلاثة أهجار ، وجاءت فعلقت عليهم ، وأرسات تلك الأحجار عليهم فهاكوا .

وقال المفسرون : أبابيل ، أي : جماعات متفرقة .

\$ - تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ .

سجّيل: طين متحجّر.

وقيل: حجارة من طين طبخت من نار جهنم ، وسجّيل أصلها سجّين ، فأبدات لامًا ، كما في أصيلان بأصيلال .

والمعنى:

تقذفهم بحجارة صغيرة من طين متحجُّر ، كالحمصة وفوق العدسة ، فإذا أصاب أحدهم حجر منها خرج به الجدرى أن الحصية حتى ملكوا .

والأولى أن نقول: إن الطهر كانت تقذفهم بصجارة تحمل وياءً ، أو تحمل قَدَرًا إلهيا تسبب في إهلاكهم.

فالأمر كان معجزة ، والمعجزة أمر خارق للعادة ، لقد أراد الله أن يصدّ هذا الجيش المعقدى عن بيته الحرام ، فجعل هذه الطيور سببا ظاهريا ، فأرسلها جماعات متتابعة تقذفهم بحجارة مهلكة ، والمسبب الحقيقي في ذلك هو الله تحالى .

٥ - فَجَعَلَهُمْ كَعَصْف مَأْكُول . .

العصف : وَرَقُ زرع يبقى بعد الحصاد،

مأكول: أكلته الدوات وياسته وأَفَتُّتُه.

فجعلهم كزرع مأكول ، كان ناضرًا مترعرعا ، فأكلته الدواب ، فانتهت حياته .

وقال آخرون :

فجطهم فضلات ويقايا ، مثل ورق الزرع أو الشجر إنا أكلته الدواب ، ثم أخرجته ووثا متفتتا. والمراد أن الله أهلكهم عن أخرهم .

وفي الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال : وإن الله حبس عن مكة الفيل ، وسلًا عليها رسوله والمؤمنين ، وإنه قد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس ، ألا فليبلغ الشاهد القائب، ^^^ .

قَالَ ابن إسحاق : ثمَّا ردّ الله الحبشة عن مكة ، عظَّمت العرب قريشا ، وقالوا : أهلُ الله ، قاتل عنهم وكفاهم مؤنّة عدوّهم ، فكان ذلك نعمة من الله عليهم .

إيحاء السورة

ظهر أن العرب لم يكن لهم وجود قوى قبل الإسلام ، فاليمن كانت تحت حكم الأحباش ، والشام كانت تحت حكم الرومان ، أو تحت حكم دولة عربية موالية للرومان .

أمًا جزيرة العرب فقد كانت قبائل متعددة متفرقة ، ولم يكن لها وزن دولى ، سواء كانت مجتمعة أو متفرقة .

ولم تكن لدى العرب فكرة عالمية غير الإسلام ، فلما جاء الإسلام على يد نبى عربى أُمّى قاوموه ، ثم انضموا تحت لوائه ، وجاهدوا في سبيل الله تحت لواء الإسلام ، فجاءهم نصر الله والفتح ، وزلزلوا عروش الأكاسرة والقياصرة .

وحين جامدوا في سبيل الله لم يُجاهدوا في سبيل تكوين إمبراطورية عربية ، إنما جاهدوا ، كما قال ربعي بن عامر رسول المسلمين في مجلس يزبجرد : الله ابتعثنا لنضرج الناس من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده ، ومن ضيق الدنها إلى سعة الأخرة ، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام (٨٠٠) . «وما الحرب بغير الإسلام ؟ ما الفكرة التى قدُّموها للبشرية ، أو يملكون تقديمها ، إذا هم تخلُرا عن الإسلام ؟إن كل أمة قادت البشرية في فترة من فترات التاريخ كانت تمثل فكرة .

والأمم التي لم تكن تمثل فكرة - كالتتار الذين اجتاحوا الشرق ، والبرابرة الذين اجتاحوا الدولة الرومانية في الغرب - لم يستطيعوا الحياة طويلا ، وإنما ذابوا في الأمم للتي فتحوها .

والفكرة الوحيدة التى تقدم بها العرب للبشرية كانت هى العقيدة الإسلامية ، وهى التى رفعتهم إلى مكان القيادة» (١٩٠٩).

ويقدر التزام العرب بأحكام الإسلام، نصًّا وروحًا ، يقدر ما يكونون أهلاً للنصر والسؤدد ، والله ولي التوفيق .





أهسداف سيورة قريش

(سورة قريش مكية ، وآياتها ؟ آيات ، نزلت بعد سورة الين)

وهي امتداد لسورة الغيل ، فقد حفظ الله هذا البيت من كيد المعتدين ، «وكان لحادث الغيل أثر مضاعف في زيادة حرمة البيت عند العرب في جميع أنحاء الجزيرة ، وزيادة مكانة أهله وسدنته من قريش ، مما ساعدهم على أن يسيروا في الأرض آمنين ، حيثما حلوا وجدوا الكرامة والرعاية . وشجعهم ذلك على إنشاء خطين عظيمين من خطوط التجارة – عن طريق القوافل – إلى اليمن في الجنوب ، وإلى الشام في الشمار ، والى تنظيم رحلتين تجاريتين ضخمتين : إحداهما إلى اليمن في الشتاء ، والثانية إلى الشام في الشعاء ، والثانية إلى الشام في الشعاء ، والثانية إلى الشام في الشياء . «ا» ا

وكانت حالة الأمن مضطرية في شعاب الجزيرة ، يفتخر الناس فيها بالصعلكة والسلب والإغارة والنهب ، ويعتدون على قوافل التجارة ، إلا أن حرمة البيت في أنحاء الجزيرة قد كفات لجيرانه الأمن والسلامة ، وجعلت لقريش منزلة ظاهرة بين العرب ، وفتحت أمامها أبواب الرزق الواسع المكفول في أمان وسلامة وطمأنينة ، وألِفَتْ نفوسهم هاتين الرحلتين الأمنتين الرابحتين ، فصارتا لهم عادة وإلفا ، وقد المتن الله على قريش بحادثة القيل وحماية البيت ، وامتن عليهم بالأمان والحماية لهم ، وسعة الرزق ورغد العيش من ربح القجارة ، ويلادهم قفرة جفرة وهم طاعمون هانتون من فضل الله .

مع:آيات السورة

لإيلَنفوقُونِش ، إ - لَنفِهِمْ وِ خُلَةَ الشُّنّاءِ وَالصَّيْف، فَلَيْتُندُواْ رَبَّ هَنذَا ٱلَّيْتِ وَاللَّهِمَ مِن جُوعٍ وَ عَامَتُهُم مَنْ خُوفٍ .

المعنى: أللت قريش واعتادت ، أن ترحل إلى ما جاورها من البلاد ، سعيا وراء الرزق ، وجلبا لمعايشهم ، وترويجا لتجارتهم . والله سبحانه يمتن عليهم بذلك ، ويقول لهم : من أجل إيلاف قريش رحلة الشتاء والصيف ، فليعبدوا رب هذا البيت ، الذي كفل لهم الأمن هُجعل نفوسهم تألف الرحلة ، وتذال من وراتها ما تذال .

فَلْيُتِيْدُواْ رَبُّ مُثَلًا ٱلَّيْتِ وَٱلَّذِيّ أَطْعَمُهُمْ مَنْ جُوعٍ ... وأنقنهم من المجاعات التي تنزل بهم ويأمثالهم من سكان البراري ، وَعَامَتُهُم مِّنْ مُوْفِي ، العدو ، أو كوارث الحياة . وكان الأصل بحسب ما هم فيه من ضعف ، ويحسب حالة الهيئة أن يكونوا في خوف ، فأمنهم من هذا الخوف .

فليشكر قومك يا محمد ربهم على هذه النعم ، وليُؤمنوا بربوبيته ، وليُعَروا بعبوبيتهم ، وليعبدوه بما هن أهل له من العبادة .

وقريب من هذه السورة قوله تعالى : أَوَلَمْ نُمُكُن لُهُمْ حَرَمًا ءَامِنَا يُجِنَّى ۚ إِلَّهِ ثَمَرَاتُ كُلُ شَيْءِ رُزَلًا مَن لَلْنًا وَلَنكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ . (اللسمين: ٥٧) .

مقاصد السورة

١ – من نعمة الله على قريش أن منحهم الهيبة والأمان فألفوا رحلة الشتاء والصيف.

٢ - من الواجب أن يعترفوا بفضل الله عليهم في حماية بيته ، وحماية تجارتهم ،

٣ – يجب عليهم أن يعبدوا ربهم ، وأن يستجيبوا لدعوة النبي الكريم ﷺ فإنه رسول رب العالمين .

مِنْ الْمُعْمِلُ الْمُعْمِلُ الْمُعْمِلُ الْمُعْمِلُ الْمُعْمِلُ الْمُعْمِلُ الْمُعْمِلِينَا الْمُعْمِلِينِ الْمُعِلَّيِلِينَا الْمُعْمِلِينَا الْمُعْمِلِينَا الْمُعْمِلِينَ الْمُعْمِلِينَا الْمُعْمِلِينَا الْمُعْمِلِينَا الْمُعْمِلِينِ الْمُعْمِلِينِ الْمُعْمِلِينِ الْمُعْمِلِينِ الْمُعْمِلِينِ الْمُعِلَّيْمِلِينِ الْمُعْمِلِينِ الْمُعْمِلِينِ الْمُعْمِلِينِ الْمِلْعِلَيْمِلْعِلْمِلْعِلَيْمِلْعِلْمِلْعِلَّمِلِينِ الْمُعْمِلِينِ الْمُعْمِلِينِ الْمُعِلَّمِلِينِ الْمُعْمِلِينِ الْمُعْمِلِينِ الْمُعْمِلِينِ الْمُعْمِلِينِ الْمُعْمِلِينِ الْمُعِلَّالِينِينِ الْمُعْمِلِيلِينِ الْمُعِلْمِلِينِ الْمُعِلْمِلْعِلْمِلْعِلْم

﴿ لِإِيلَنِفِ فَكَرَيْنِ ۞ إِلَىفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَاءَ وَالصَّيْفِ ۞ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَلَاَ ٱلْبَيْتِ ۞ ٱلَّذِي ٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعِ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ۞ ﴾

المفردات،

لإيهلاف قريش ، إلاف الشيء وإلفه : لزّومه والعكوف عليه ، وقريش اسم القبائل العربية من ولد النضر بن كنانة ، وأصل الكلمة تصغير للقرش ، وهو نوع من السمك مشهور ، ويمتاز بقوته على سائر الأسماك ، كما امتازت قريش على سائر القبائل بخدمة البيت للحرام .

رحلة الشتاء ، كانت إلى اليمن .

والصييف، أي: ورحلة الصيف، وكانت إلى الشام يتاجرون فيها ويمتارون.

التفسير،

١ - لإيلَاف قُرَيْش .

لقد ألفت قريش أن تخرج إلى الشام عند شدة الحرارة في فصل الصيف ، لتبيع وتشترى الحبوب الزراعية ، وأن ترحل إلى اليمن جنوبًا في فصل الشتاء ، لجلب العطور والبهارات الآتية من الهند والخليج ، و اليمن بلاد حارة تناسب فصل الشقاء .

قال ابن هشام:

لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ .

الفهم الخروج إلى الشام في تجارتهم ، وكانت لهم خرجتان : هرجة في الشتاء ، وخُرجة في الصيف ، والعرب تقول : ألفت الشيء إلغًا ، وألفته إيلافا ، أي : أحبيته واسترحت إلهه . لهـ . ومنه قوله تعالى: وَأَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي ٱلْأَرْضِ جَعِيعًا مَّا أَلْفُتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَلكِنْ ٱللَّهُ أَلْفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ . (الأنفال: ٦٣) .

٧ - ١- أَلْفَهِمْ رَخْلُةَ ٱلشَّتَّاءِ وَٱلصَّيْفِ.

الجزء الثلاثون

هذه الآية بدل من الآية السابقة وشرح لها ، أي : من سبب نعم الله عليها ، أنها ألفت الخروج من أرضها الصعبة التي لا زرع فيها ولا ثمر، وحبِّب الله إليها نعمة التجارة، والخروج في الشتاء إلى اليمن لجلب الأعطار والأقاوية ، والخروج في الصيف إلى الشام لجلب الأقوات إلى بالدهم .

وكانت العرب تحترمهم لأنهم سدنة بيت الله ، ولأن الله عز وجل قد ردٌّ عنهم أصحاب الفيل ، وأهلكهم قدرته ، فكان ذلك من أسباب عزة قريش ، وسعة أرزاقها ، لمحافظة العرب على تجارتها ، وكان العرب يغيرون على كثير من القبائل ، لكنَّ الله مكِّن لقريش .

قال تعالى: أَوَلَمْ لُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا عَامِنًا يُجْتَى إِلَيْهِ لَمَرَاتُ كُلُّ شَيْءٍ ... (القصص: ٥٠).

ونلحظ أن الله تعالى منَّ عليهم في السورة السابقة (سورة الفيل) بردَّ كيد أصحاب الفيل، وحماية البيت الحرام وأهل مكة منهم ، ثم منَّ عليهم في هذه السورة بنعمة الأمن والأمان ، وإلف السفر والتعوِّد عليه ، وكانت تجارتهم تربع ، والناس تحافظ عليها ، وكان الحجيج يحملون معهم ثمرات بالدهم أثناء الدي والعمرة . و

قال تعالى : أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطُّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ... (العنكبوت: ١٧) .

٣ - فَلْيُغَيِّدُواْ رَبُّ هَلْلَا ٱلَّبَيْت .

فلتتجه قريش وأهل مكة إلى عبادة الله رب البيت الحرام والكعبة المشرُّفة ، بسبب أنه عظيم وكريم ، وصاحب أقضال ونعم.

- ٱلَّذِي أَطْعَمَهُم مِن جُوع وَعَامَتَهُم مِّنْ حَوْف.

إن الله رب البيت العتيق، هو الذي أطعمهم من جوع، فيسُّر لهم التجارة الرابحة التي تجوب البلاد إلى الشام صيفا ، وإلى اليمن شتاءً ، فزادت ثروتهم ، وكانت مكة من البلاد الغنيَّة بسبب التجارة ، ويسبب محافظة الناس علي تجارة قريش وأهل مكة.

وَ ءَامَنَهُم مِّنْ خَوْ فِي .

حيث ردّ أصحاب الغيل وأهلك جيشهم ، وجعل البيت الحرام منطقة أمان يقام عندها الحج ، ويؤدّى الناس المناسك والعبادة .

قال تعالى: جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعَبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيلُمًا لَّلنَّاسِ ... (المائدة: ٩٧) .

أي: يقوم عندها أمر الدين، وتتم عندها وحولها مناسك الصبح والعمرة.

والخلاصة:

لتتَّجه قريش بعبادتها إلى الله وحده ، الذي أنعم عليها بنعم عديدة ، يكفى أن يكون من بينها رحلة الشتاء والصيف ، وليشكروا الله الذي يسر لهم الرزق والأقوات ، كما جعلهم في أمن بسبب البيت الحرام .

قال تعالى : وَمَن ذَخَلَهُ, كَانَ عَامِنًا ... (ال عمران: ٩٧).

قال ابن كثير :

ولهذا من استجاب لهذا الأمر جمع الله له بين أمن الدنيا وأمن الآخرة ، ومن عصاه سلبهما منه .

كما قال تعالى:

وَ صَوَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا فَإِنَّهُ كَالنَّ عَامِنَةً مُّفَاعِينَةً يَأْتِهَا وَقُلَهَا وَقُلَمًا مَن كُلُّ مَكَانِ فَكَفَرَتْ بِأَنْهُمِ ٱللَّهِ فَأَذَاقِهَا ٱللَّهُ لِلسَّ الْمِنُوعِ وَٱلْمَقُوفِ بِمَا كَانُواْ أَيضَنُونَ وَ لَقَدْ جَامَعُهُمْ وَمُولَ مَنْهُمْ فَكَذَّيُوهُ فَأَخَذَهُمْ ٱلْقَدَابُ وَهُمْ طَلِيلُهُونَ (١٠٠).

(النصل: ۱۹۳، ۱۹۳)

(تم بحمد الله تعالى وتوفيقه تفسير سورة قريش)



أهبداف سيورة الماعيون

(الآيات الثلاث الأولى من سورة الماعون مكية ، وبقية السورة مدنية ، وآياتها ٧ آيات ، نزلت بعد سورة التكاثر)

وهى سورة ذات معنى أصيل فى الشريعة ، تعالج حقيقة ضخمة ، هى أن هذا الدين ليس مظاهر وطقوسًا ، ولكنه عقيدة صادقة ، ويقين ثابت ، وإخلاص لله ، ويتمثل هذا البقين فى سلوك نافع ، وحياة مستقيمة . كما أن هذا الدين ليس أجزاء وتفاريق موزعة منفصلة ، وإنما هو منهج متكامل ، تتعاون عباداته وشعائره فى تحقيق الخير المفرد والجماعة .

مع آيات السورة

١ - أُرْعَيْتُ ٱللَّذِي يُكَذِّبُ واللَّذِينِ. أي: هل عرفت ذلك الذي يكذب بما وراء إدراكه من الأمور الإلهية والشئون الغيبية ، بعد أن ظهر له الدليل القاطم والبرهان الساطم.

قال ابن جريح : مزلت في أبي سفيان ، كان ينحر جزورين في كل أسبوع ، فأثناه يقيم فسأله لحمًا فقرعه بعصاء .

وقال مقاتل: نزلت في العاص بن وائل السهمى ، وكان من صفته الجمع بين التكذيب بيوم القيامة والإتيان بالأفعال القبيحة.

وعن السلى : نزلت في الوليد بن المغيرة .

وقيل: في أبي جهل ، وحكى الماوردي أنه كان وصياً ليتيم فجاءه وهو عريان يسأله شيئًا من مان نفسه ، فنفعه ولم يعبأ به ، فأيس الصبى ، فقال له أكابر قريش استهزاء: قل لمحمد يشفع لك ، فجاء إلى النبي في والتمس منه الشفاعة ، وكان النبي في لا يرد محتاجًا ، فذهب معه إلى أبي جهل فقام أبو جهل ويدب ويذل المال لليتيم ، فعيرته قريش وقالوا له : صبأت ، فقال : لا والله ما صبأت ، ولكن رأيت عن يمينه وعن يساره حرية ، خفت إن لم أجبه أن يطعنها في أ .

وقال كثير من المفسرين : إنه عام لكل من كان مكذبًا بيوم الدين .

٧ - فَأَذُلِكُ ٱلذِي يَلْحُ أَلْكِيم . أي: فذلك المكتب بالدين هو الذي يدع البتيم ، ويزجره رَجرًا عنيفًا ، لقد خلا قالبه من الرحمة ، وامتلاً بالكبر والغطرسة ، ولذلك أهان اليتيم وأناه ، واليتيم مظهر من مظاهر الضعف ، فقد فقد فقد الأب الذي يحميه ، والعائل الذي يحنو عليه ، ومن واجب المجتمع أن يتحاون علي إكرامه ، والأخذ بيده حتى ينشأ عزيزًا كريماً . إن كل فرد معرضٌ لأن يفاجئه المود وأن يترك أولاده يتامى ، فليعامل اليتيم بما يحب أن يعامل به أولاده لو كانوا يتامى .

قال تعالى : وَلَيْحُشُ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُواْ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرَّيَّةً ضِعَنْهَا خَافُواْ عَلَيْهِمْ قَلْيَقُواْ ٱللَّهَ وَلَيْقَولُواْ قَوْلاً صَدِيدًا . (للسَّاء: ٩) .

وقد تكررت وصايا القرآن برعاية اليتيم والمحافظة على ماله ، والتحذير من تضييع حقه ، ورد ذلك في السور المكية والسور المدنية ، فقى هذه الآيات وفي سورة الضحى – وهي من أوائل ما نزل من القرآن – وصية باليتيم ، وفي صدر سورة النساء المدنية تفصيل واف لرعاية اليتيم بدأ بقوله من القرآن – وصية باليتيم وكن تُبَلَّقُ أَلْخَيِبُ يَالْعُلْبِ وَلاَ كُلُواً أَمْوَالُهُمْ إِلَى الْمُوْلِكُمْ إِلَّهُ كَانَ حُوبًا كَيْبُ وَاللهُ عَلَيْكُمْ أَلَّهُ كَانَ حُوبًا كَيْبُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِل

وقد وردت عدة وصايا باليتيم في الآيات: السادسة ، والعاشرة ، والسادسة والعشرين من سورة النساء . كما تكروت الوصية باليتيم في آيات القرآن ، وأحاديث النبي ﷺ ، فقال ﷺ : «خير بيوت المسلمين بيت فيه يتيم يُحسن إليه ، وشر بيوت المسلمين بيت فيه يتيم يُساء إليه» .

٣ - وَ لا يَحْضُ عَلَىٰ طَعَام ٱلْمِسْكِينِ . أي : ولا يحث غيره على إطعام المسكين .

قال الإمام محمد عبده: وهو كناية عن الذي لا يجرد بشيء من ماله على الفقير المحتاج إلى القوت ، الذي لا يستطيع كسبا.

وليس المسكين هو الذي يطلب منك أن تعطيه وهو قادر على قوت يومه ، بل هذا هو المُلحف الذي يجوز الإعراض عنه ، وتأديب بمنعه ما يطلب ، وإنما جاء بالكناية ليفيدك أنه إذا عرضت حاجة المسكين ولم تجد ما تعطيه ، فعليك أن تطلب من الناس أن يعطوه ، وفيه حث للمصدقين بالدين على إغاثة الفقراء ولو بجمع المال من غيرهم ، وهي طريقة الجمعيات الخيرية ، فأصلها ثابت في الكتاب بهذه الآية ، وينحو قوله تعالى فى سورة الفجر : كَلاً بَل لاَّ تَكُومُونَ ٱلْبَيْمَ ه وَلاَ تَحَلَّشُونَ عَلَىٰ طَمَامٍ ` ٱلْمِسْكِينِ. (الفجر: ١٨، ١٨). ونعمت الطريقة هى لإغاثة الفقراء ، وسد شىء من حاجات المساكين.

وإن حقيقة التصديق بالدين ليست كامة تقال باللسان ، إنما هي تحول في القلب يدفعه إلى الغير والبر بإخوانه في البشرية ، المحتاجين إلى الرعاية والحماية ، والله لا يريد من الناس كلمات ، إنما يريد منهم معها أعمالاً تصدقها ، وإلا فهي هباء لا وزن لها عنده ولا اعتبار . وليس أصرح من هذه الآيات إ الثلاث في تقرير هذه الحقيقة التي تمثل روح هذه المقيدة ، وطبيعة هذا الدين أصدق تمثيل» (100

٤ , ٥ — فَوَيْلِ للْمُصَلِّينَ وَالَّذِينَ هُمْ عَن صَكَرِهِمْ سَاهُونَ . أي : إذا عرفت أن المكتب بالدين هو الذي أقفر قلبه من الرحمة ، وأجدب من العدل والمكرمة ، وفويل لأولئك الذين يصلون ، ويؤدون ما يسمى صلاة في عرفهم من الأقوال والأفعال وهم مع ذلك ساهون عن صلاتهم ، أي غافلة قلويهم عما يقولون وما يغطون ، فهو يركع في ذهول عن ركوعه ، ويسجد في لهو عن سجوده ١٩٥٥ . وإنما هي حركات اعتادها ، وأدعية حفظها ، ولكن قلبه لا يعيش معها ، ولا يعيش بها ، وروحه لا تستحضر حقيقة الصلاة ، وحقيقة ما فهها .

- اللَّيْنِ مُهُمُ يُرْآءُونَ . أي : يفعلون ما يُرى للناس فقط ، ولا يستشعرون من روح العبادة ما أوجب الله على
 النفوس أن تستشعره .

«إنهم يُصلُّون رياء للتاس لا إخلاصًا لله ، ومن ثم فهم ساهون عن صلاتهم وهم يؤدونها ، ساهون عنها لم يقيموها ، والمطلوب هو إقامة الصلاة لا مجرد أداتها ، وإقامتها لا تكون إلا باستحضار حقيقتها والليام لله وحده يهاء . (۱۰۰۰) .

٧ - وَيُفْتَعُونَ أَلْمَاغُونُ . أي: يمنعون المساعدة عن المستحق لها ، أو يمنعون ما اعتاد الناس قضاءه وتداوله
 فيما بينهم ، تعاونًا وتآزرًا ، ولا يمنعه إلا كل شميع يكره الخير .

«إنهم يمنعون المعونة والبر والخير عن لخوانهم في البشرية ، يمنعون الماعون عن عباد الله ، ولو كانوا يقيمون الصلاة حقًّا لله ما منعوا العون عن عباده ، فهذا هو محك العبادة الصادقة المقبولة عند الله (۱۱۱) ووأككر المفسرين على أن الماعون اسم جامع لما لا يُمنع فى الدادة ، ويسأله الفقير والغنى فى أغلب الأحوال ، ولا ينسب سائله إلى لؤم بل ينسب مانعه إلى اللؤم والبخل ، كالفأس والقدر والدلو والغربال والقدوم ، ويدخل فيه الماء والملع والنار ، لما رُوى : (ثلاثة لا يحل منعها : الماء والنار والملح).

وقد تُسمى الزكاة ماعونا ، لأنه بسببها يؤخذ من المال ربع العشر ، وهو قليل من كثير .

قال العلماء: ومن الفضائل أن يستكثر الرجل في منزله مما يحتاج إليه الجيران فيعيرهم ذلك، و ولا يقتصر على قدر الضرورة ، وقد يكون منغ هذه الأشياء محظورًا في الشريعة إذا استعيرت عن اضطراره (١٩٠٨).

إن الشرائع السمارية إنما أنزلت لتهذيب الضمير ، ونقاء القلوب ، وصفاء النفوس ، وتقويم السلوك ، ويذلك تسمو الحياة ، ويسود الحب والتألف ، والإجاء والتكافل الجديل .

مقاصد السورة

١ - الدين ليس رسومًا وطقوسًا ، ولكنه عقيدة صادقة وسلوك مستقيم .

٢ - الدين الحق صلاة خاشعة ، ورعاية لليتيم ، وحماية للمسكين ، ومساعدة للمحتاجين .

٣ – المكتب بالدين له سمات وصفات ، هي : إذلاله لليتيم ، عدم رحمة المسكين ، الانتفال عن الصلاة ،
 الرياء والنفاق ، منع المون والمعونة عن للمحتاج البها .

مِلْمُ الْأَجْزَالِيَ عِيمِ

﴿ أَرْءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِاللِّبِينِ ۞ فَذَالِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَنِيمَ ۞ وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ۞ فَوَيْـ لُّ لِلْمُصَلِّينَ۞ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۞ ٱلَّذِينَ هُمْ يُكِرَآءُونَ۞ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ۞ ﴾

المطرداتء

.....عض الحضُّ هو الحثُ على الشيء والترغيب فيه بشدة .

التفسير،

١ – أَرَءَيْتَ ٱلَّذِي يُكَدِّبُ بِٱللَّذِينِ .

هل شاهدت هذا الصنف من الناس الذي يكذّب بيوم الجزاء ، ويكفر بالبعث والحشر ، والثواب والعقاب ، وقد ورد أنها نزات في عدد من رؤوس الكفر ، كفروا بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الأخر، وظلموا البتامى وأكلوا حقوقهم ، ولم يعطفوا على الضعفاء ولم يساعدوهم ، لذلك نجد فريقاً من المفسرين يقول : إن الآيات للثلاث الأولى تتحدث عن الكافرين أ والآيات الأربع الأخيرة تتحدث عن المنافقين . (۱۳۰ الاوريقاً آخر يرى أن الآيات الكريمة في سورة الماعون تنطبق على المسلمين الذين يزعمون أنهم مسلمون ، لكن تصديقهم بالدين أصبح ضعيفاً أو باهتاً ، بدليل حيس أموالهم ومعروفهم عن اليتيم والمسكين ، و نخوانهم فى الصلاة بدون قلب حاضر ، وإنما هو الرياء والتظاهر ، ولا يهتمون بالتعاون لرفع مستوى معيشة الفقراء والمساكين (١٩٠١ .

وعند التأمل نجد أن السورة يمكن أن تنطبق على الكافرين والمنافقين كما ذهب الفريق الأول ، كما يمكن أن تشمل ضعفاء الإيمان الذين لا يقومون بحق الله كاملا ، ولا يؤدون حقوق العباد على الوجه السليم ، كما ذهب الفريق الثاني .

٢ - فَلَالِكَ ٱلَّذِي يَدُعُ ٱلَّيْتِيمَ .

أي: إن أردت أن تعرفه فهذه صفاته ، فذلك هو الذي يدفع البتيم دفعًا عنيفًا بجفوة وغلظة ، ويقهره ويظلمه ولا يعطيه حقه .

٣ - وَلَا يَحُضُ عَلَىٰ طَعَامَ ٱلْمِسْكِينِ .

أى: إنه لا يطعم المسكين ، ولا يحتُ غيره على ذلك ، والسبب هو ضعف الأيمان باليوم الآخر، وعدم الهقين بالجزاء العادل من الله ، فلو أن الإيمان بالله كان ثابتًا في القلب لرأيت صاحبه رحيمًا باليتيم ، متعاونًا مع غيره لإطعام المسكين ، وفيه إشارة إلى أن الإنسان إذا عجز عن مساعدة المسكين ، كان عليه أن يحث غيره من القادرين على ذلك ، ويدعوه إلى فعل الخير .

٤ ، ٥ -- قَوَيْلٌ لُلْمُصَلِّينَ و ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ .

عذاب شديد للمنافقين المتصفين بهذه الأوصاف القبيحة ، وهي عدم الاهتمام بالصلاة ، وأنهم لا يستحضرون قلوبهم وخشوعهم فيها .

قال ابن عباس : هو المصلَّى الذي إن صلَّى لم يرج لها ثوابًا ، وإن تركها لم يخش عليها عقابًا (١٠٠٠).

أى: إنهم من أهل الصلاة ، ثم هم عنها ساهون ، إما عن فطها بالكلية ، أو إخراجها عن وقتها .

وقال عطاء بن دينار :

الحمد لله الذي قال : عَن صَلاَتِهِمْ سَاهُونَ . ولم يقل : في صَلاَتِهِمْ سَاهُونَ .

فير خرونها إلى آخر الوقت ، أو لا يؤدونها بأركانها وشروطها ، من الخشوع فيها والتدبر لمعانيها ، فاللفظ يشمل ذلك كله ، كما ورد في صحيح البخاري ، وصحيح مسلم أن رسول الله ﷺ قال : «تلك صلاة المنافق ، تلك صلاة المنافق ، يجلس يرقب الشمس ، حتى إذا كانت بين قرنى الشيطان قام فنقر أربعًا , و ينكر للله فيها إلا قليانً "" .

فالإيمان غير وثيق في قلبه ، وذكر الله ضعيف باهت عنده ، ولعل الذي حمله على الصلاة هو الرياء .

قال تعالى : إِنَّ ٱلْمُنْسَلِقِينَ يُحَدِّرُعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ حَدْيِجُهُمْ وَإِذَا قَامُواْ ۚ إِلَى ٱلصَّلَاقِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَاعُونَ ٱلثَّاسَ وَلَا يَشْكُرُونَ ٱللَّهُ إِلَّا الْمُنَافِقِينَ لِمُحْدِرُعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ حَدْيِجُهُمْ وَإِذَا قَامُواْ إِلَى ٱلصَّلَاقِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَاعُونَ ٱلثَّاسَ

قال ابن عباس : يعني المنافقين الذين يُصلُون في العلانية و لا يُصلُون في السهُ (١٩٥)

٣ - ٱللِّينَ هُمْ يُرَاءُونَ .

يتظاهرون بالعبادة والصلاح أمام الناس. ، وقلوبهم خاوية من التقوى والإيمان والإخلاص لله تعالى .

٧ - وَيَمْنَعُونُ ٱلْمَاعُونَ .

أي: يمنعون الزكاة عن أصحابها ، أو يمنعون الصدقة والمعروف.

وسئل ابن مسعود عن الماعون ، فقال : هو ما يتعاطاه الناس بينهم من الفاس والقدر والدلو ، وأشباه ذلك من متاع البيت .

وقال عكرمة : رأس الماعون زكاة المال ، وأدناه المنخل والدلو والإبرة . ! هـ .

أى أن الماعون يشمل كل معونة كبيرة أو صغيرة ، للفرد أو الجماعة ، فالمؤمن ثافع لإهوانه ، مهتم بشئون المسلمين ، ولهذا جاء فني الحديث : «كل معروف صدقة» .

(تم بحمد الله تعالى وتوفيقه تفسير سورة الماغون)



أهبداف سيبورة الكوثبين

(سورة الكوثر مكية ، وآياتها ٣ آيات ، نزلت بعد سورة العاديات)

وهى سورة خالصة لرسرل الله ﷺ ، فقد كان أعداؤه يملكون المال والجاه والسلطان ، ويُعيُرونه بأن أتباء من الفقراء ، وكانوا يرون أن أبناء والذكور يموتون صفارًا ، فيُعيُرونه بأنه أبتر ، لا عقب له من الذكور ، وكانت هذه الأقاويل تلقى من يستمع إليها ويرددها ، في بيئة تئد البنات ، وتحتكم إلى السيف والقوة ، وترى الفقر سُبُّة ومنقصة ، فنزلت هذه السورة تدافع عن النبى الكريم ﷺ ، وتغيد أن الله أعطاه من الخير الكثير ، لقد أعطاه الله النبوة والهدى ، وأيده بالمسحابة الأوفياء ، وجعل سيرته عطرة منتشرة ، وشعيد لله بالرسالة :

وضمَّ الإله اسم النبى إلى اسمه إذا قال فى الخمس المؤذر أشهد وشقَّ له من اسمه ليُجله فذو العرش محمود وهذا محمل

مع ايات السورة

إِنَّا أَعَشَيْتُكُ ٱلْكُرْثَرِ. الكوثر صيغة مبالغة من الكثرة ، ومعناه : الشيء البالغ من الكثرة حد الإفراط ،
 وهو مطلق غير محدود .

وقد ورد أن سفهاء الريش ، ممن كانوا يتابعون الرسول ﷺ ودعوته بالكيد والمكر ، وإظهار السخرية والاستهزاء ، من أمثال العاص بن وائل ، وعقبة بن أبي معيط، وأبى لهب ، وأبى جهل وغيرهم، كانوا يقولون عن النبى ﷺ إنه أبتر ، يشيرون بهذا إلى موت الذكور من أولاده ، وقال أحدهم : دعوه فإنه سيموت بلا عقب وينتهى أمره ؛ فنزات هذه السورة لتشير إلى عطاء الله تعالى للنبى الكريم ﷺ، وهو عطاء كثير لا حدًّ له .

وقد وردت الروايات من طرق كثيرة تغيد أن الكوثر نهر في الجنة ، أوتيه رسول الله ﷺ .

و أخرج البخارى ، وابن جريد ، والحاكم ، وابن عساكر ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس رضى الله عنه أنه قال : الكوثر : الخير الذي أعطاه الله تعالى إياه ، قال أبو بشر : قات لسعيد : فإن ناسا يزعمون أنه نهر في الجنة ، قال : النهر الذي في الجنة من الخير الذي أعطاه الله عز وجل إياه ، عليه الصلام ، ويتروئ هذا الحواب عن لين عباس نفسه أنضاً ه⁰⁰⁰ المسلام ، ويتروئ هذا الحواب عن لين عباس نفسه أنضاً ه

وفي تفسير النيسابوري أنه وردت عدة أقوال في معنى الكوثر:

القول الأول : الخير الكثير ، إلا أن أكثر المفسرين خصُّوه فحملوه على أنه نهر في الجنة .

القول الثاني : أن الكوثر أولاده من نسل فاطمة ، أي أن الله يعطيه منها نسلاً يبقون إلى آخر[،] الزمان .

القول الثالث: الكوثر هم علماء أمته ، فهم رحمة إلى يوم القيامة .

ورُوى أن الكوثر هو النبوة والرسالة وكونه خاتم المرسلين (١٦٠).

كما رُرى أن الكوثر هو تبسير القرآن وتخفيف الشرائع ، وقيل : هو الإسلام ؛ وقِيل : هو التوحيد ، وقيل : هو العلم والحكمة ، وقيل : هو الفضائل الكليرة التي وهبه الله تعالى إياها .

وفقد أُسرى به لهلاً ، وانشق له القمر ، وكثر الزاد ببركة دعائه ، وأطعم الخلق الكثير من الطعام القليل ، وأعطاه الله القرآن هدى ورحمة للعالمين» (١٠٠٠ م

٢ - لَهُمَلُ لِرَبُكُ وَأَنْحُورُ . أي : فاجعل صلاتك لربك وحده ، وانحر ذبيحتك فاكرًا اسم الله ، مخلصًا لله في صلاتك و نحرك .

كما قال تعالى : قُلْ إِنَّ صَلَابِي وَنُسُكِي وَمَحْيَاتَ وَمَعَلِي لِلَّهِ وَبُ ٱلْعَلَمِينَ ۗ لَا شويكَ لَمُ وَبِلَالِكَ أُمِرْتُ وَأَنَّا أَوْلُ ٱلْمُسْلِمِينَ . (الأنعام : ١٩٦٧) .

«والأكثرون على أن المقصود بالصلاة منا جنس الصلاة، لأطلاق اللفظ، وقال الأخرون: إنها صلاة عيد الأضحى، لالقرانها بقوله : وَأَنْضَرُ. وكانوا يقدمون الأصحية على الصلاة نأمروا بتأخيرها عنها ، والوار تفيد الترتيب استحسانًا وأدبًا وإن لم تفده قطعًا» (١٠٠٠). ٣ - إِنَّ شَائِتَكَ هُوَ ٱلْأَلْتُرُ . أي : إن مبغضك - كائنًا من كان - هو المقطوع ذكره من خيرى الدنيا والآخرة.

إنهم لم يبغضوه لشخصه ، فقد كان الصادق الأمين ، ولكنهم أبغضوه لما يحمله لهم من الرسالة والهدى ، فأثروا أهوامهم ، وتخيطوا في ضلالهم ، حتى خذلهم الله وقطع أثرهم «فقد جرَّهم الخذلان إلى غاية الخسران ، ولم يبق لهم إلا سوء الذكر لبعضهم ، والنسيان التام لبقيتهم ، بخلاف النبي ﷺ ومن نقر المسالحين «٥٠٠» .

مقاصد السورة

٧ - أعطى الله محمدًا ﷺ الخير الكثير، فرفع ذكره، وأعلى شأنه، ونصر دعوته، وبارك في أمته.

٢ - ينبغى إخلاص الصلاة والعبادة والنحر لله سبحانه وتعالى .

٣ - مَنْ أَبْغَضَ النبي ودعوته انقطع أثره وياء بالخذلان ، بينما بقى ذكر النبي ﷺ ودعوته على مرُّ الأزمان.

* * *

بسيلقة التحزالت ي

﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ ٱلْكُوْثَرَ ۞ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَغَمَّرُ ۞ إِنَّ شَانِنَاكُ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ۞﴾

المفردات:

هسل الريك، فاعبد ريك الذي أعزُّك وشرفك.

والسحد ، لرجهه وياسمه إذا نحرت ، مخالفًا لعبدة الأوثان .

شائستك ، مبغضك .

الأبيتير ، المنقطع من كل خير.

التفسير،

١ - إِنَّا أَغْطَيْنَكُ ٱلْكُوْثَرَ .

الكوثر: الشير، وهو مبالفة من الكثرة، والعرب تسمّى كل شيء كثير كوثرًا

قال الشاعر:

وأنت كفيدر با ابن مروان طيِّب وكان أبوك ابنُ إلعقائل كوارًا

والمعنى :

إنا أعطيناك يا محمد الخير الكثير، والنصل الوفير، ومن ذلك: ذرُول الوحى والقرآن الكريم، والرسالة الخاتمة، والإسراء والمعراج، وأنت أوّل من تنشق عنه الأرض، وأول شافح مشفع، وكتابك مهيمن على الكتب السابقة ، وشريعتك خاتمة الشرائع ، وتُعطيت الحنيفية السمحة ، وتُعطاك الله الحكمة والطم , والحوض المورود ، والمقام المحمود ، وكثرة الأتباع ، والتُصر بعلى الأعداء .

وقد ورد في الممحيح أن النبي ﷺ فسّر الكوثر، فقال : «فإنه نهر وعدنيه ربّى عز وجل في الجنة , حافتاه من نهب ، ومجراه على الدرّ والياقوت ،تريته أطيب من المسك ، وماؤه أحلى من العسل» (۲۰۰۰).

٧ - فَصَلُ لِرَبُّكَ وَٱلْحَرْ.

اجعل مملاتك خالصة لوجه الله ، واجعل نحرك الإبل الله وحده .

كما قال سبحانه وتعالى: قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبَّ ٱلْعَلْمِينَ . (الأنعام: ١٦٢).

وقد كان المشركون يُصلُّون في البيتِ الحرام بالتصفيق ، ويذبحون ذباتُحهم للأصنام ، فأمره الله تعالى وأمرنا أن تكون صلاتنا خالصة لله ، وأن تكون ذباتحنا لله وحده لا شريك له .

وقيل: المعنى: صلَّ صلاة عيد الأضحى وانحر الأضحية.

٣ - إِنَّ شَالِعَكَ هُوَ ٱلْأَلْتَرُ .

مبغضك هو المقطوع الأثر، وقد رُوى أنه لمًّا مات القاسم شمت كفّار مكة ، وقال العاص بن وائل: دُعُره فإنه رجل أبقر لا عقب له ، ولا نسل له من الذكور ، فإذا مات انقطع ذكره ، فأنزل الله تعالى هذه السورة توضّع أن محمداً ﷺ في عز من الرحص ، ومنعة من العسلمين ، ودينه في انتصار ، وأن المسلمين جميعًا من زمانه إلى يوم القيامة في منزلة أبذائه وأحفاده ، فهو كالوالد لهم ، أما أعداؤه فهم مبتورون من رحمة الله.

أما محمد ﷺ فقد أبقى الله ذكره على رؤن الأشهاد ، وأرجب شرعه على رقاب العباد ، مستمرًا على دوام الآباد ، إلى يوم الحشر والمُعَاد ، صَلوات الله وسلامه عليه دائمًا إلى يوم التناد (١٠٠٠)

* * *

تم بحمد الله وفضله وتوفيقه تفسير سورة (الكوثر) مساء الثلاثاء ٢٠ من ربيع الأول ١٤٢٧ هـ، الموافق ٢١ / ٢ / ٢٠٠١ ، والحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .



أهداف سيورة الكافرون

(سورة الكافرون مكية ، وآياتها ٦ آيات ، نزلت بعد سورة الماعون)

وهي سورة تصدح بالحقيقة ، وترفض أنصاف الحلول ، وتعلن أن الإسلام إسلام ، وأن الكفر كفر ، ولن يلتقيا .

أسياب النزول

رُوى أن الوليد بن المفيرة ، والعاص بن وائل السهمى ، والأسود بن عبد المطلب ، وأمية بن خلف في جماعة آخرين من صناديد قريش وساداتهم ، أنوا النبى ﷺ فقالوا له : هلمٌ يا محمد فاتبع ديننا ونتبع دينك ، ونشركك في أمرنا كله ، تعبد آلهتنا سنة ونعبد إلهك سنة ، فإن كان الذي جئت به خيرًا كنا قد شاركناك فيه وأخذنا حظًا منه ، وإن كان الذي بأيدينا خيرًا كنت قد شاركتنا في أمرنا ، وأخذت حظك منه . فقال : «محاذ الله أن نشرك به غيره» ، وأنزل الله ردًا على هؤلاء هذه السورة ، فغدا رسول الله ﷺ إلى المسجد الحرام ، وفيه الملأ من قريش ، فقام على رؤوسهم ، ثم قرأ عليهم حتى فرغ من السورة فيئسوا منه ، وآذوه وصحبه ، حتى أضطر إلى الهجرة إلى المدينة "".

فكرة السورة

لم يكن العرب يجحدون الله ، ولكن كانوا لا يعرفونه بحقيقته التى وصف بها نفسه ، وهى أحد فرد صمد ، فكانوا يشركون به ، ولا يعيدونه حق عبادته ، كانوا يشركون به هذه الأصنام التى يرمزون بها إلى أسلافهم من الصالحين أو للعظماء ، أو يرمزون بها إلى الملائكة ، ويقولون : مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللّهِ رُنْهَى ... (الزمر: ٣) .

وكانوا يعتقدون أنهم على دين إبراهيم ، وأنهم أهدى من أهل الكتاب الذين كانوا يعيشون معهم في الجزيرة . ولحسم هذه الشبهات نزلت هذه السورة بهذا الجزم ، ويهذا التوكيد ، توضع أنهم كافرون مشركون ، قد نبذوا انتوجيد ، وخرجوا عن جادة الصواب ، فلن يعبد النبي ﷺ ما يعبدرن من أصنام و أوثان .

قال تعالى : قُلْ أَفَعَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓ لِّيٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَنْهِلُونَ . (الزمر: ٦٤) .

مع آيات السورة

- ر قُلْ يُنَلِّهُمُ ٱلْكُلْهُوُونَ. قال لهم: يا أيها الكافرون ، ناداهم باسمهم وحقيقتهم ، ووصفهم بوصفهم ، إنهم ليسوا على دين وليسوا بمؤمنين ، وإنما هم كافرون .
- \(\frac{1}{2} \) أَعْبُدُونَ. فعبادتى غير عبادتكم ، ومعبودى غير معبودكم ، وأنا لا أعبد أصناحكم ، ولا أسجد
 لآلهتكم ، وإنما أعبد إلها وإحدًا منزهًا عن النظير والمثيل: تَيْسَ تَمِظْهِ شَيْءٌ وَهُوْ ٱلسَّحِيمُ ٱلْمِيسِرُ .

 (الشورى: ١١)
- ٣ وَلاَ أَشْمُ عُلَيْدُونَ مَا أَغْيَدُ . وإنكم لكاذبون في دعواكم أنكم تعبدون الله ، لأن الذي تزعمونه ربًا تتخذون
 له الشفعاء ، وتجعلون له زوجة من الجن ثلد له العلائكة (٢٠٠٠) ، وتنسبون إليه ما يتنزه عنه الله . فهذا الذي تعبدونه ان يكون إلهًا مستحقًا للعبادة .
- ع وَلاَّ أَنَّ عَابِدٌ مُّا عَبُدَّمُ . تكرير وتوكيد للفقرة الأولى في صيغة الجملة الاسمية ، وهي أدل على ثبات الصفة واستمرارها ، وقد كرر نفي عبادته الهتهم قطعا لأطماعهم وتبقيسا لهم .
- ٥ وَ لا أَشْمُ عَشْبُونَ مَا أَشُبُدُ . تكران لتركيد الفقرة الثانية ، كى لا تبقى مظنة ولا شبهة ، ولا مجال لمظنة أن
 شبهة بعد هذا التوكيد المكرر ، بكل وسائل التكران والتوكيد .

قال أبو مسلم الأصفهاني: معناه: لا أنا عابد عبادتكم، ولا أنتم عابدون عبادتي.

وخلاصة ما سلف: الاختلاف التام في المعبود؛ والاختلاف البين في العبادة ، فلا معبودنا واحد، ولا عبادتنا واحدة ، إن عبادتي خالصة لله وحده ، وعبادتكم مشوية بالشرك ، مصحوية بالغفلة عن الله تمالى ، فلا تسمى على الحقيقة غيادة .

٦ - لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينٍ.

لَكُمْ دِينُكُمْ . مختص بكم لا يتعداكم إلىَّ ، فلا تظنوا أنى عليه أو على شيء منه .

وَلَيْ دِينٍ ، أي : ديني هو دين خاص بي ، وهو الذي أدعو إليه ، ولا مشاركة بينه وبين ما أنتم عليه .

مقاصد السورة

- ١ إن التوحيد منهج والشرك منهج آخر ولا يلتقيان .
- ٢ المؤمن لا يسجد للصنم ، ولا يعيد ما يعيده الكافر.
 - ٣ الكافر لا يعبد الله ، بل ضلُّ طريقه إلى عبادته .
- أ -- المؤمن واضح صادق فلن يعبد عبادة الكافر ، كما أن الكافر لا يعبد عبادة المؤمن .
 - ٥ سيلقى المؤمن ثوابه ، وسيلقى الكافر جزاءه .



﴿ قُلْ يَكَأَيُّهُا ٱلْكَنْفِرُونَ ۞ لَاَلْقَبُدُ مَا مَعْبُدُونَ ۞ وَلَاَ أَنْشُرْ عَنْبِدُونَ مَا آَعَبُدُ ۞ وَلَاَ أَنَاعَابِدُّمَا عَبَدُتُمْ ۞ وَلَا أَنْشُرْ عَنِدُونَ مَا آَعَبُدُ۞ لَكُودِينَكُو وَلَى دِينِ ۞ ﴾

المطردات؛

ماتعبدون، من الأصنام وغيرها.

ديت كبم ، أي : الشرك بعيادة الأصناء .

واسى ديسن ، دين التوحيد .

التفسير ،

١ - قُلْ يَنْآلِيُهَا ٱلْكَنْفِرُونَ .

هى فى الأصل نداء لكفار مكة ، لكنها عامة ، أى : يا محمد ، يا رسول الله ، يا صاحب رسالة الإسلام ، إنك مكلف أن تقول فى كلمة التوحيد : أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ، وهؤلاء يعبدون الأصنام والأرثان ، ويجعلونها شفحاء لله ، والله تعالى واحد أحد ، منزه عن الصاحبة والواد ، وعن الشريك والمثيل ، مَن ذَا اللَّذِي يُشْفُمُ مِندَكُمْ إلاَّ بِإذْنِهِ . . ((ابقرة : ٢٥٥) .

لذلك أعلنها النبي ﷺ، وبين أنهم كافرون بالله ، وعبادتهم للأصنام تخرجهم من الإيمان ، أي : قل يا محمد لهم : يا أيها الكافرون بالله الواحد الأحد .

٢ - لَاَ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ .

لا أعبد الهتكم ، ولا أسجد لأصنامكم ، ولا أشارككم في عقيدتكم .

٣ - وَلا أَنتُمْ عَلْبِدُونَ مَا أَعْبُدُ.

رأنتم لا تعبدون الله الواحد الذي أعبده ، فعبادتكم للأصنام في ضياع وهباء .

قال تمالى: وَقَلِهِنّا إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلِ فَجَعَلْنَا مُ مَبّاءً مَّناورًا . (الفرقان: ٢٣) .

\$ - وَلاَ أَناْ عَابِدٌ مَّا عَبِدُتُمْ.

الظاهر أنه تكرار للتأكيد.

قال الفراء: إن القرآن نزل بلغة العرب ، ومن عادتهم تكرير الكلام للتأكيد والإفهام ، فيقول المجيب : بلى بلى ، والممتنع : لا ، لا .

ومنه قوله تعالى : كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ، ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ . (التكاثر: ٣ ، ٤) .

وهو كثير نظمًا ونثرًا ، وفائدة التركيد ُهنا قطع أطماع الكافرين ، وتحقيق أنَّهم باقون على الكفر أبدًا ، والرسول ﷺ باقر على عبادة ربه أبدا .

ه – وَلَا أَنتُمْ عَلْبِدُونَ مَا أَعْبُدُ ,

أي: ولا أنتم عابدون عبادتي ، فلا معبودنا واحد ، ولا عبادتنا ولحدة .

أننا أعبد الله الواحد الأحد ، الفرد الصعد ، المنزه عن النظير والمثيل ، أولُّ بلا ابتداء ، وآخر بلا انتهاء ، بيده الخلق والأمر ، لا حدود لقدرته ، فهو على كل شيء قدير ، إذا أراد أمرًا كان وحصل ، فعَال لما يريد : إِنْمَا أَمُّرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيِّنَا أَنْ يُعُولُ لُمُ كُن فَهَكُونُ . (يس : ١٨) .

أما معبودكم فهو هذه الأصنام والأوثان ، وعبادتي خالصة لله الواحد الأحد ، وعبادتكم تشويها أفكار ملفّة أ. حيث تدعون أن الله تزرج من أغنياء الجن فولدوا له الملائكة ، وتدعون أن الأصنام تقريكم من الله ، وهي أصنام صماء لا تسمع ولا تنفع ، ولا تجيب ولا تعقل شيئًا.

٣ - لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِي دِين . ;

لكم شرككم ولى توحيدى ، ودينكم مختص بكم لا يتعدلكم إلىّ ، فلا تظنّرا أنى عليه ، أو على شيء منه .

وَلِيَ دِينٍ .

ولى رسالتى ودعوتى ، وهى خاتمة الرسالات ، وخاتمة الشرائم ، اشتملت على تنزيه الله عن مشابهة الحوادث ، وعلى أنه تعالى متضف بكل كمال ، ومنزُه عن كل نقص ، وله الأسماء الحسنى ، فهو سميع قدير ، المراف خبير قهار ، إنَّ اللَّهُ لَطِيفًا خَسِرٌ . (قمان : ١٦)

قال المفسرون :

معنى الجملتين الأوليين: الاختلاف التام في المعبود، فإله المشركين الأوثان، وإله محمد الرحمن.

. ومعنى الجملتين الأخيرتين: الاختلاف القام في العبادة ، كأنُّه قال: لا معبودنا واحد ، ولا عبادتنا واحدة .

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصالة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

* * *

(تم بحمد الله تعالى وتوفيقه تفسير سورة الكافرون) .

* * *



أهسداف سسورة النصسر

(سورة النصر مدنية ، وآياتها ٣ آيات ، نزلت بعد سورة التوبة)

ومع قصرها فإنها حملت البشرى لرسول الله ﷺ بنصر الله والقتح ، ودخول الناس في دين الله أفراجا ، ثم طلبت منه التسبيح والحمد والاستغفار .

إذَا جَاءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتَحُ . وأظهرك على أعدائه ، وفتح لك مكة . وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَقُواجًا . فوجا بعد فوج .. فنزه ربك حامدا إياه على ما أولاك من النعم والمنن ، واستُخفو الله لحظة الانتصار من الزهو والغرور والتقصير ، إنه كان ولم يزل توابا كثير القبول للتوبة . يحب التوابين ويحب المتطهرين .

ولما دخل النبي ﷺ مكة فاتحا منتصرا ، انحنى على راحلته حتى أرشك أن يسجد عليها، وهو يقول : «تاثبون آيبون حامدون لربنا شاكرون» .

سورة التوديع

وسورة النصر تحمل بين طياتها إتمام الرسالة ، وأداء الأمانة ، والاستعداد للحاق بالرفيق الأعلى . قال البيضاوى : تسمر سورة التوريم .

ويقال: إن عمر لما سمعها بكي ، وقال: الكمال دليل الزوال.

ورُدِي أن العباس بكي لما قرأها رسول الله ﷺ ، فقال ﷺ : هما يبكيك، ؟ قال : نُعيت إليك نفسك . وقال الذبي ﷺ : وإنها لكما تقول ، وإنما ذلك لأن فيها تمام الأمرة .

كمًا في قوله تغالى : آلْيُوْمَ أَكُمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ... (المائدة: ٣) .

وجاء في رواية للبخاري أن عمر رضى الله عنه سأل أشياخ بدر ، فقال : ما تقولون في قول الله تعالى : إِذَا جَاءَ لَمُر ٱللَّهِ وَالْنَتْحُ ، حتى ختم السورة ، فقال بعضهم : أمرنا أن نحمد الله ونستغفره إنا نصرنا وفتح علينا آ وسكت بعضهم فلم يقل شيئا ، فقال : أكذاك تقول يا بن عباس ؟ قلت : لا ، فقال : ما تقول ؟ فقلت : هو أجل رسول الله ﷺ ، أعلمه له . قال : إِذَا جَاءَ نُصُرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتُحُ . فذلك علامة أجلك . فَسَبَحْ بِحَمْلِهِ رُبُك رَاسَتُغْهِرُهُ إِنَّهُ رَكَانَ كُوابًا . فقال عمر بن الخطاب : لا أعلم منها إلا ما تقول . ("")

وغي رواية الإمام أحمد ، عن عائشة قالت : كان رسول الله ﷺ يَكثر في آخر أمره من قوله : «سيحان إلله ويحدد ، أستغفر الله وأترب إليه» . (٣٠٠)

مقاصد السورة

 ا - عند الفتح الأكبر ودخول الناس في دين الإسلام ، ينبغي شكر الله والاستغفار من كل تقصير ، إن باب الله مفتوح، وهو مساحب الطول ، ويقبل التوية من جميع التائبين .

 ٢ – وفي السورة إيذان بأداء النبي ﷺ للرسالة العظمي ، وانتهاء المهمة الكبري ، وتوجيه له بأن يستعد للموت بالاستففار والتوية وشكر الله والتسبيح بحمده .

﴿ إِذَا حِمَا ٓ اَ نَصْرُاللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۞ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفَوَاجًا ۞ فَسَيْحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْةً إِنَّهُ، كَانَ تَوَّا بُلاَّ ﴾

المفردات

السفستسج ، المراد به : فتح مكة .

أفسواجسا ، زمرا وجماعات .

سبيح ، نزهه وقدسه .

واستغضره؛ مما قد يكون منك ، وهو لتعليمنا .

تسوايسا : كثير المتاب والغفران لمن تاب .

تمهيد،

جاء فى كتب التفسير والحديث أن أحياء العرب كانت تتلوم (تنتظر) بإسلامها فتح مكة ، فلما فُتحت مكة قالت العرب : إن الله منع أضحاب الغيل من دخول مكة ، ولم يفتحها لمحمد إلا لأنه رسول الله ، فأنبل الناس على الدخول فى الإسلام ، جماعات جماعات .

وهناك عدة روايات في كتب السنّة تفيد أن هذه السورة القصيرة قد نُمْت إلى الرسول ﷺ حياته ، هزائهُ إذا نجح في أداء الرسالة ، وفقتت مكة ، وعمّ الإسلام بالأد العرب ، يكون قد أدى مهمته في الدنيا ، وهان لموقت أن يلحق بالرفيق الأعلى .

التفسير،

١ - إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْقَتْحُ .

إذا كثر نصرك على العباد، وفتح الله لك البلاد، وفُتحت مكة أم القرى.

ونلحظ أن الله أضاف النصر إليه ، فهو نصر الله ، لقد مكث المؤمنون في مكة ثلاثة عشر عاما ، يتعرضون لأقسى ألوان الاضطهاد ، ثم هاجروا إلى العدينة ، وخاضوا مع النبى ﷺ غزوات وسرايا ، بلغ عدها اثنتين وخمسين غزوة وسرية خلال عشر سنوات ، كلُّها كفاح وجهاد ، يُمسين ويُصبحون في الحديد، أي في الدروع والسيوف وألات الحرب ، وكانت النفوس تتشوف إلى نصر حاسم ، وكان الله تعالى يدخر ذلك لحكمة يعلمها ، وهو العليم الحكيم .

قال تعالى : حَتَّى إِذَا آسَتَيْصَ ٱلرُّسُلُ وَظَيَّراً أَلَهُمْ قَدْ كُلِيْواً جَآءَهُمْ لَصْرَنَا فَنجَى مَن نَشَاءُ وَلا يُرَدُّ بَأَسُنَا عَنِ القَوْم الْمُعْرِينَ. (يوسف: ١٩٠٠).

٧ - وْرَأَيْتَ آلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ آللَّهِ أَفْوَاجًا .

كان الناسُ يدخلون في الرسلام أفرانًا، فلما فُتحت مكة وبخل أهلها في الرسلام، وخضعت أم القرى، جاء الناس أفواجا وجماعات للدخول في دين الله تعالى، وهو الرسلام.

٣ - فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًّا.

عند مجىء النصر والفتح والغلبة ، ينبغى أن تشكر الله تعالى وتلجأ إليه ذاكرا شاكرًا ، مستغفرا تاتبا ، متجردًا من الغرور أو الإعجاب بالنصر .

فالنصر نصر الله ، والدُّين دين الله ، وأنت عبد الله ورسوله ، فعليك بذكره وتسبيحه واستغفاره ، ولما نزلت هذه السورة كان ﷺ يقول في ركرعه وسجوده : «سبحانك اللهم رينا ويحمدك اللهم اغفر لى» ، يتأوِّل الذرّاء ٢٠٠٠ . الذرّاء ٢٠٠٠ .

والمعنى:

إنه كان يجمع هذه الأوامر في صيغة تجمع معانيها ، فيقول : «سبحانك اللهم رينا ويحمدك ، اللهم اغفر لي» ، فهي ذكر وشكر ، واعتراف لله بالفضل ، ورغبة في القوية والمغفرة .

روى مسلم ، عن عائشة قالت : كان رسول الله ﷺ يكثر من قول : مسيحان الله ويحمده ، أستغفر الله أُقرب الميه، (۴۰۰) .

سيد الاستغفار

اللهم أنت ربى لا إله إلا أنت ، خلقتنى وأننا عبدك ، وأننا عبدك ورودك ما استطحت ، أعوذ بك من شرّ ما صنحت ، أبوء لك أبنحمتك علىً ، وأبوء بذنبى ، فاغفر لى فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت .

- - -

تمّ بحمد الله تعالى وتوفيقه تفسير سورة (النصر) ظهر يوم الأربعاء ٢١ من ربيع الأُول ١٤٣٧ هـ. الموافق ٣/٦/١٩٪ م.





أهلداف سلورة المسلد

(سورة الساء مكية ، وآياتها ٥ آيات ، لزلت بعد الفاتحة)

وتسمى سورة تبت ، وسورة أبي لهب ، وسورة المسد لذكرها فيها .

مقصود السورة

قال الفيروزبادى:

مقصود السورة : تهديد أبي لهب على الجفاء والإعراض ، وضياع كسبه وأمره ، ويبان ابتلائه يوم القيامة ، ونم زوجه في إيذاء النبي ﷺ ، وبيان ما هو مدخر لها من سوء العاقبة .

مع السورة

سورة المسد، وتسمى أيضا سورة أبى لهب، وأبو لهب – واسمه عبد العزى بن عبد المطلب – هو عم . النبى ﷺ ، وإنما سُمى بأبى لهب لإشراق وجهه ، وكان هو وامرأته أم جميل من أشد الناس إيذاء لرسول الله ﷺ وللمؤمنين بُه .

أخرج البخارى بإسناده ، عن ابن عباس أن النبي ﷺ حرج إلى البطحاء ، قصعد الجبل قنادى : «يا صباحاه» ، فاجتمعت الجبل قنادى : «يا صباحاه» ، فاجتمعت إليه قريش ، فقأل : «أرأيتم إن حدثتكم أن العدو مصبحكم أو ممسيكم ، أكنتم مصدقيُّ» ؟
قالوا : نعم ، قال : «فإنى نذير لكم بين يدى عناب شديد» . فقال أبو لهب : تبّا لك سائر اليوم ، ألهذا جمعتنا . فأنزل الله السورة : بَّتَّ يُقا أي نُهُم وَبُّ والبّاب : الهلاك والبوار والقطع ، وتبت الأولى دعاء ، وتبت الثانية تقرير لوقوع هذا الدعاء : ها نشا الربح والجاء ، سيدخل نازا ذات لهب ، وتجد هنا تناسقا في اللفظ ، فجهتم هنا ذات لهب يصلاها أبو لهب .

ومضمون السورة : خسر أبو لهب ، وضل عمله ، ويطل سعيه الذي كان يسعاه للصد عن دين الله ، ولم يغن عنه ماله الذي كان يتباهى به ، ولا جده واجتهاده في ذلك ، فإن الله أعلى كلمة رسوله ، ونشر دعوته ، وأناع ذكره . وسيعدب أبو لهب يوم القيامة بنار ذات شرر ولهيب وإحراق شديد ، أعدها الله لمثله من الكفار المعاددين ، فوق تعذيبه في الدنيا بإبطال سعيه ودحض عمله ، وستعنب معه امرأته التي كانت تعاونه على كنره وجحده ، وكانت عضده في مشاكسة رسول الله الله وإينائه ، وكانت تمشى بالنميمة للإفساد ، وإيقاد بنار الفتنة والعداوة .

وَٱمْرَأَتُمْرُحُمَّالَةُ الْحَطِّيرِ . أي : وستُعذب أيضا بهذه النار امرأته أروى بنتُ حرب ، أخت أبي سفيان بن حرب ، جزاء لها على ما كانت تجترحه من السعى بالنميـة ، إطفاء لدعوة رأسول الله ﷺ .

والعرب تقول لمن يسعى فى الفتنة ويفسد بين الناس : هو يحمل الحطب بينهم ، كأنه بعمله يحرق ما بينهم من صلات ، وقبل : إنها كانت تحمل حزم الشوك والحسك والسعدان وتنثرها بالليل فى طريق , سبل الله ﷺ لإيذائه .

في جيارمًا حَبِّلٌ مُن مُسُلِم . في عنقها حيل مما مسد به من الحيال ، أن أحكم فتله ، وقد صورها الله بمسررة من تحمل تلك الحزمة من الشوك ، وتربطها في جيدها كبعض الحطَّابات المعتهنات ، احتقارًا لها ، واحتقارًا لهعلها ، حين اختارت ذلك لنفسها .

وقصارى أمرها أنها فى تكليف نفسها المشقة الفادحة للإفساد بين الناس ، وإيقاد نيران العداوة بينهم ، بمنزلة حاملة للحطب التى فى جيدها حبل كشن تشد به ما تحمله إلى عنقها ، حين تستقل به ، وهذه أيشع صورة تظهر بها امرأة تحمل الحطب وهى على تلك الحال .

«ويرى بعض العلماء أن المراد بيان حالها وهي في نار جهنم ، إذ تكون على المدورة التي كانت عليها في الدنيا ، حين كانت تحمل الشوك إيذاءُ لرسل الله ﷺ ، فهي لا تزال تحمل حزمة من حطب النار، ولا يزال في جيدها حيل من سلاسلها ، ليكون جزاؤها من جنس عملها ، فقد رُوى عن سعيد بن المسيب أنه قال : كانت لأم جميل قلادة فاخرة ، فقالت : لأنفقنها في عداوة محمد ، فأعقبها الله في جيدها حبلا من مسد النار» (٢٠٠١).

«وكل امرأة تمشى بالفتنة والفساد بين الناس لتفرق كلمتهم ، وتذهب مذاهب السوء ، فلها نصيب من هذا العذاب ، وجزء من هذا النكال» (۲۰۰)

مقاصد السورة

- ١ -- ملاك لأبي لهب ثم ملاك.
- ٢ لن ينفعه ماله وجاهه ، ولا سلطاته و أولاده .
 - ٣ -- سيصطلى بنار جهنم ويحترق بلهيبها .
- 3 -- ويكون معه زوجه في صورة مهيئة مزرية ، إذ تحمل الحطب وفي عنقها حبل من ليف ، أشبه بالمرأة المهيئة ، أن الحمارة الكادحة .

- - -

مِنْ الْمُعْمِينِ الْمُعْمِينِ الْمُعْمِينِ الْمُعْمِينِ الْمُعْمِينِ الْمُعْمِينِ الْمُعْمِينِ الْمُعْمِينِ

﴿ نَبَّتْ يَدَآ آَيِ لَهَبٍ وَتَبَّ ۞ مَٓ آَ أَغَىٰ عَنْـ هُ مَا أُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۞ سَيَعْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَمْبٍ ۞ وَآمَرَاْتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطْبِ ۞ فِي جِيدِهَا حَبَّلٌ مِّن مَسَيْرٍ ۞ ﴾

المطردات :

ت بن التب : الهلاك والبوار ، وهو دعاء عليه .

أبي ثهب هو عبد العزى بن عبد المطلب ، عم النبي ﷺ ومن أشد الناس إيذاء له وللمسلمين .

ما أضتى؛ ما نفعه ولا أفاده لا في الدنيا ولا في الأخرة.

وما كسب ؛ المراد به الولد ، لأن الولد من كسب أبيه ، أو المال والجاه .

ذات ثهب التأججها واستعارها .

المراقية وهي أم جميل بنت حرب، أخت أبي سفيان .

الحصف، المراد : الأشواك التي كانت تلقيها في طريق النبي ﷺ والمؤمنين إيناء لهم ، أو هو كناية عن إلقاء . الفتنة بين النبي ﷺ والمشركين .

جيدها ، عنقها .

مستند؛ هو الليف ، أي : في عنقها حبل من ليف تجمع فيه الحطب وتحرّمه .

تمهيد:

ثبت في كتب السيرة أن النبي ﷺ كان يتتبع القبائل لدعوتها إلى الإسلام ، وخلفه عنّه أبر لهب يقول : يابني فلان ، هذا يريد منكم أن تنسلخوا من اللات والعزّى وحلفائكم من الجنّ إلى ما جاء به من البدعة والضلالة ، فلا تسمعوا له ولا تتبعوه ، وكانت زوجته أمّ جميل من سادات مكة ، وقد وقفت مع زوجها ترازره ، وبشدُ أزره في عداوة محمد ﷺ ، وتلقى الفتن بين محمد ﷺ وبين قبائل مكة ، وباعت قلارتها لتنفق ثمنها في عداوة محمد ﷺ ، فنزلت في زوجها وفيها هذه السورة التي تتلي إلى يوم القيامة .

التفسيره

١ - نَبُّتْ يَدَّا أَبِي لَهُبِ وَنَبُّ.

أي : خسرت يداه ، وخسر هو ، ومعنى خسرت يداه : بطل كل كير عمله .

وقحال ابن جريو :

لَبُّتْ يَذَا أَبِي لَهَبِ وَلَبُّ.

دعاء عليه من الله .

وُ تُبُّ .

هذا خبر من الله ، أي : تحقق ملاكه .

٧ - مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ, وَمَا كَسَبَ.

ما نفعه ماله ولا جاهه ولا منزلته ، ولا ميراثه الذي ورثه عن أبيه وكسبه .

قال المفسرون:

مَّا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُر ...

ما تفعه رأس المال الذي يملكه.

وّمًا كَسُبّ. وما استفاد من الربح والمكسب ، لأن مآله إلى جهنم ويئس المصير ، والدنيا التي يملكها لا تزن عند الله جناح بعوشه .

أو المعنى: سيلقى العذاب النفسيُّ في الدنيا ، وعذاب النار في الآخرة .

٣ - سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ.

سيممطلى بنار جهنم بيرم القيامة ، والسورة نموذج من الأدب الرفيع ، في توازن آباتها ، وحرف القافية فيها ، فالمعدُّب اسمه أبو لهب ، ووسيلة العذاب نار ذات لهب .

٤ - وَٱمْرَ أَتُهُ, حَمَّالُةَ ٱلْحَطْب .

كانت زيجته أم جميل تضمع الشوك في طريق رسول الله ﷺ إلى مسلاة الفجر ، وكانت تشيع عنه السوء ، وتمان الشار ويقطّع السوء ، وتمسل بالنديمة ، ويقال لمن بفسد العلاقات بين الناس : إنه يحمل الحطب ، أي : يشعل النار ويقطّع أواصر المودة .

٥ -- فِي جِيلِهَا حَبُلٌ مِّن مُسَلِيمٍ.

في عنقها حبل من ليف، أي هي في جهتم بصورة زرية ، تحمل حطب النار على ظهرها ، وفي عنقها حيل من نار ، شأن حاملي الحطب الذين يريطون حبلا في أعناقهم ، ويتأثقن فيه ما يحمدون .

للد كانت نموذجاً للعداوة هي وزوجها ، وقد آلدتها هذه السورة ونالت منها ، وذهبت للنبي ﷺ وفي يهما حجر لتقذفه به ، فأعمى الله بصرها عن النبي ﷺ ، فلم تشاهد غير أبي بكر الصديق .

والسورة تدينُن عدالة الإسلام ، فأقرب الناس إلى الرسول ﷺ نمّه القرآن ونم زوجته بسبب أعمالهما ، وقد مات أبو لهب حزينا كثيبا بعد هزيمة بدر ، ثمّ نصر الله رسوله مصدا ﷺ ، وخلًد ذكره .





أهسداف سسورة الإخسلاص

(سورة الإخلاص مكية ، وآياتها ؛ آيات ، نزلت بعد سورة الناس)

وتشتمل هذه السورة على أهم أركان الإسلام التي قامت عليها رسالة النبي ﷺ ، وهذه الأركان ولائة :

الأول : توحيد الله وتنزيهه .

والثالى: بيان الأحكام الشرعية في العبادات والمعاملات.

و الثالث : أحوال النفس بعد الموت وملاقاة الجزاء من ثواب وعقاب ، وصفة اليوم الآخر وما فيه من بعث وحشر ، وحساب وجزاء ، وصراط وميزان ، وجنة ونار .

وأبل هذه الأركان هن التوحيد والتنزية لإخراج العرب وغيرهم من الشرك والتشبيه ، ولهذا ورد في الحديث أن هذه السورة تعدل ثلث القرآن ، لاشتمالها على الترحيد رهو أصل أصول الإسلام .

وفي كتب التفسير: أن هذه السورة نزلت جوابا للمشركين حين سألوا رسول الله ﷺ أن يصف لهم. ربه ربيبن لهم نسبه ، فوصفه لهم ونزهه عن النسب ، إذ نفى عنه أن يكون والدا أو مولودا أو أن يكون له شبيه ومثيل .

هُوَ. ضمير تفسره للجملة التالية . آللُهُ أَخَلًا. وهو يدل على فخامة ما يليه بإبهامه ثم تفسيره ، مما يزيده تقريراً.

ٱللَّهُ أَحَدٌ .

الله. علم دال على الذات العلية دلالة مطلقة تجمع كل معانى أسمائه الحسنى ، وما تصوره من التقديس والتمجيد والتعظيم والربوبية والجلال والكمال.

أُخَدُّ . صفة تقرر وحدانية الله من كل الوجوه ، فهو واحد في ذاته وفي صفاته وفي أفعاله وفي عبادته ، أما أحديثه أو وحدانيته في ذاته فمعناها أنه يستقل بوجوده عن وجود الكائنات والمخلوقات ، فيجودها حادث بعد عدم ، وهي محتاجة إلى علة توجدها ونظل قائمة عليها حافظة وجودها طوال ما كتب لها من بقاء . أما وجود الله فوجود أزاى ، وجود لذاته ، ومنه انبقق كل الوجود ، إنه ولجب الوجود الذي لا إلى لوجوده ولا آخر ، والفرد الذي لا تركيب في ذاته .

آللهُ أَخَذَ . فلا إله سواه ولا شريك معه ، وكانوا قد عبدوا ألهة متعددة مثل الشمس والقمر ، واللات والعزيء ، ومثاة ونسر .

وكان منهم من اتخذ إلهين : إلها النور ، وإلها النظامة ، ومنهم مَنَّ قال : إن الله فالث فلاقة من الألهة وقد أعلن القرآن الكريم النكير على من اتخذ إلها غير الله تعالى ، وقرر القرآن أنه لا شريك له ولا مثهل .

قال تمانى : إِنَّ ٱللَّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكُ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَالِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكُ بِاللَّهِ فَقَدْ صَلَّ صَلَّكَارٌ يُعِيدًا . (النساء : ١٩١٧).

و حداثية الصفات تعنى تنزيه الله عن صفات المخلوقين من البشر وغير البشر ، فهو متفرد بصفاته تفرده بذاته : تُمَّسُ كَخِلُهِ شَيِّةً ... (الشورى: ١١) . لا في الذات ولا في الصفات .

وقد تعددت صفات الله في القرآن ، ولأنها ذاتية دعاها أسماء إذ يقول : وَلِلْهِ ٱلْأَسْمَاءَ ٱلْحُسْنَىٰ ... (الأعراف: ١٨٠) . ويقول تعالى : هُوَ ٱللَّهُ ٱلْحُنائِيُّ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ لُهُ ٱلْأَسْمَاءُ ٱلْحُسْنَىٰ ... (الحدر: ٢٤) .

وهذه الصغات منها ما يصور عظمة الله وجلاله ، مثل: العظيم ، المتعال ، الحميد ، المحيد ، القدوس ، نبى الجلال والإكرام . ومنها ما يصور خلق الكرن وصنع الوجود ، مثل : الهارئ ، المصور ، الشائق ، البديع ومنها ما يصور القدرة الإلهية ، مثل : القوى ، القائز ، القهار ، المهيمن . ومنها ما يصور العلم الرياني ، مثل : الهليم ، الحكيم ، الشبير . ومنها ما يصور رحمة للله بعباده ، مثل : الروف ، الرحمن ، الرحميم .. إلى غير ذلك من صفات قد تلتقي بصفات البشر ، ولكنها تختلف عنها في الجنس والنوع ، هي وكل ما يتصل ...

ورحدانية الله في أفعاله : هي التفرد في خلق الكون والقيام عليه وتدبير نظامه المحكم بقوانين مائلة في جميع الأشياء .

يقول الحق سيحانه : أَلْمُهُمْ يَنظُورًا إِلَى السُمَاءِ فَوْقُهُمْ كَيْفَ بَنِيْسُهُا وَرُبَّنِتُهُا وَمَا لَهَا مِن لُووجٍ ، وَالْأَرْضُ مَمَذَنَهُمْ وَالْقِيْنَا فِيهَا رَوْاسِيَ وَالْبُشَا فِيهَا مِن كُلُّ زَوْجٍ بِقَعِيجٍ ، تَعْمِرَةً وَذِكْرُنا لِكُلُّ عَبْدٍ فُيعِيهِ ، وَتَؤَلُّنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّهُوزَكَا فَأَنْتُنَا بِهِ جَنْدَتٍ وَحَبُّ آلَحَمِيدِ « وَآلْنَحَلُ بَامِغَلْتُ لُهَا طَلْعٌ لَضِيدٌ » رَزَّفًا لَلْجَادِ وَأَحْيَنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْنًا كَذَالِكَ آلخُورِجُ (ق: ٦-١١).

وهذا الكون العظيم بنظامه البديع وناموسه الرائع يدل دلالة واضحة على وحدانية الله وتفريم بالألوهية .

قال تعالى: لَوْ كَانَ لِيهِمَا عَالِهَةً إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَلَتًا ... (الأنبياء: ٢٧).

وقال سبحانه : مَا أَلْتُخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ, مِنْ إِلَهْ إِذًا لَلْهَبَ كُلُّ إِلَهْمٍ مِنَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْشُهُمْ عَلَىٰ بَعْض سُبْحَنْنَ ٱللَّهُ عَمَّا يَعِيشُونَ . (المرتمنين: ٩٠) .

ومضمون هذه الأيات أنه لو تعددت الآلهة فى الكون لفسد نظام السماوات والأرض ، ولاختل تماسكها القائم على وحدة نظام ، ووحدة تسيير ، ويما أن الكون لم يفقد نظامه ولا تماسكه فدلٌ ذلك على نفى الآلهة وثبتت وحدانية الحق سبحانه . فُلْ هُوْ آللهُ أُصَدَّ .

ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ.

آلهُمُهُ . هو المقصود في الحوائج وحده ، فهو الملاذ وهو الملجأ ، وهو المستعان وهو المستغاث ، ولا طول لسواه ، إنه الخالق المسانع الحافظ الهماب النافع الضار ، كل شيء بيده وفي قبضته ، يُعطى ويمنع ، ويبسط ويقبض ، ويثيب ويماقب ، وكل شيء في الكون متجه إليه يتلقى منه الرجود ، إنه يُعطى ويمنع ، ويبسط ويقبض ، ويثيب ويماقب ، وكل حيً بل كل كائن ينقاد إليه شاعرا بضعفه ويجزه ، وأنه المحيى المميى المميد المنافقة له ، فهو الكالئ الحافظ بالليل والنهار وعلى مر الزمان ، وهو الراعي الموبى الذي يفتقر إليه كل شيء في الوجود وينقاد بأزمته ، وفي ذلك يقول جلُّ ذكره : وَلِلْهَ بِسُجُدُهُ الْفِي السَّمَانُ اسْ وَكَافِي المُنْهِ مَنْ فَرْقِهمْ وَيُقْعَلُونَ مَا يُؤْمُرُونَ . (انتخا : ٢٠٠٥).

قال الإمام محمد عيده:

وقوله: ألَّهُمَّهُ : : يُشعر بأنه الذي ينتهى إليه الطلب مباشرة بدون واسطة ولا شفيع ، وهو في ذلك يخالف عقيدة مشركي العرب الذين يعتقدون بالوسائط والشفعاء ، وكلير من أهل الأديان الأخرى يعتقدون بأن لرؤسائهم منزلة عند الله ينالون بها التوسط لغيرهم في نيل مبتفاهم فيلجأون إليهم أحياء وأمواثا، ويعقومون بين أيديهم أو عند قبورهم خاشعين ، كما يخشعون لله بل أشد خشية (١٦٠) وقد نفى القرآن كل وساطة بين العبد وريه ، ويينَ أن باب الله مفتوح على مصراعيه ، للضارعين والتانبين والسائلين ، فهر قريب من عباده لا يحتاج إلى وساطة أو شفاعة .

قال تعالى: وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنَّى فَإِنِّى قَرِبِ أُحِيبُ دَعَوَةَ الشَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتجيبُواْ فِي وَلَيُوبِيُّواْ فِي لَعَلَّهُمْ يُرْخُلُونَ . (العقرة : ١٩٦٩) .

ويذلك نرى أن الله يرفع كل حجاب بينه وبين عباده ليتجهوا إليه بالمسألة حين تنزل بهم بعض الخطوب، أو حين تصيبهم بعض الفواجع، أن حين يلتمسون أي مقصد من مقاصد الدنيا أو مقاصد الآخرة.

قال تعالى : ٱذْعُونِيّ أَسْتَحِبُ لَكُمْ ... (غانر : ٦٠) .

وقال سبحانه : آدْهُواْ رَبُّكُمْ لَضَرُّمًا وَخُفْيةً إِنَّهُ, لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ . (الأعراف: ٥٥) .

وقد جعل الدين الدعاء مخ العبادة ، لأن الدعاء اعتراف ضمنى بقدرة الله وعظمته وأنه الخالق البارئ الرازق الفعال لما يريد ، وأن بيده الخير والأمر والنفع وأنه مسبب الأسباب ، وللدعاء آداب منها :

التورية النصوح ، وأكل الحالال ، وأداء الفرائض ، ولجتناب المحرمات ، والتزام التضرع والخضوع في مناجاة الله ودعائه ، واليقين الكامل بأن الله تعالى هو النافع الضار ، لا راد لقضائه ولا معقب لأمره : إِلْمَا أَمْرُورُ إِذَا أَرَادً شَيِّعًا أَنْ يُقُولُ لُهُرُكُونُ . (يس: ٨٢).

وتمكينا لهذه العقيدة الإسلامية في النفوس ، علَّمها رسول الله ﷺ إلى ابن عمه عبد الله بن عباس وهو غلام صغير وقد كان راكبا خلفه .

فعن عبد الله بن عباس قال: كنت رديف النبي على بغلته فقال لى: «يا غلام ، هل أعلمك كلمات ينفعك الله بهن في الدنيا والآخرة» ؟ قلت: بلى يا رسول الله علمنى . فقال لى : «يا غلام ، احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك ، إذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستمن بالله ، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن يضروك بشءً» ما ضروبً إلا بشيء قد كتبه الله عليك ، رفعت الأقلام وجفت المسحف» (***) . رواه أحمد , والترمذي ، وهو حديث صحيح .

وحيث يعلم المؤمن هذه الحقيقة ويحيى في فكره وقلبه صعدية الله تعالى ، فإنه لا يرجع في أمر من أموره إلا إليه سبحانه ، ولا يتقرب بأى قربى إلا قربى تدنيه من طاعة ربه ومرضاته ، وتثبيتا لحقيقة صعدية الخالق من حقائق صفات الألوهية ، قال سبحانه : آللّهُ ٱلْعُمَّمَدُ . أي : الله هو الغنى في ذاته وفي صفاته غنى تاما ، وهو الذي يُصعد إليه ، أي : يُرجع إليه في كل أمر صغر أو كبر.

لَمْ يَلِك. لَم يتخذ ولدا. وَلَمْ يُؤلِدُ ، ليس له والد يكنى به . والقرآن بهذا ينزه الله العلى العظيم عن الشيه بالأدميين اللفانين الذى يوجدون بعد عدم ، ويعيشون وينجبون الولد والأولاد ، ثم تشتعل رؤوسهم شيبا ويبلغون من الكبر عقبا ثم يموتون ، ويذلك يكين الإنسان والدا ومولودا في آن ولحد ، أما الله سبحانه فتمالى علوا كبيرا عن أن يلد أو يولد ، فهو منزه عن مجانسة الأدميين في اتضاذ الصاحبة أو الزوجة والتخاذ الأولاد .

قال تعالى : بَلِيهُمُ ٱلشَّمَوُ اسْوَ وَالْأَرْضِ آلِّى يَكُونُ لَهُ, وَلَدَّ وَلَمْ كَكُن لُهُ, صَاحِيَةٌ وَعَلَقَ كُل عَيْءٍ وَهُوَ بِكُلْ شَيْءٍ عَلِيمٌ • ذَالِكُمُ ٱللَّهُ وَيُكُمُ لَا وَلِمُهُ إِلَّهُ هُوَ حَالِقٌ كُلْ شَيْءٍ فَاضَيْدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلْ شَيْءٍ وَكِيلٌ • لَا تُسْرِكُهُ ٱلْأَبْصَارُ وَهُوَ يُمْوِكُ ٱلْأَبْصَارُ وَهُوَ ٱللَّعِلِفُ ٱلْخَبِيرُ . (الأنماء : ١٠٥ – ٢٠٠٠) .

وَلَمْ يَكُن لَّهُ, كُفُوًّا أَحَدُّ.

الكفء معناه المكافئ والمماثل في العمل والقدرة ، وهو نفي لما يعتقده بعض المبطلين من أن لله ندا في أفعاله يعاكسه في أعماله ، على نحو ما يعتقده بعض الوثنيين في الشيطان مثلا ، فقد نفي بهذه السورة جميع أنواع الشرك ، وقرر جميع أصول التوحيد والتنزيه .

« وقد جعل الله الآية الأخيرة خاتمة للآيات قبلها ، فبعد أن قرر وحدانيته وعظيم سلطانه ، وأنه ملاذ الكون ومخلوقاته ، وأنه منزه عن مشابهة الإنسان ومماثلته لتفرده بقدمه وأزليته ، قال في صيغة عامة إنه ليس له مثيل ولا نظير من الخلق في أي صفة ولا في أي قعل ولا في أي شيء من الأشياء» (١٣١٠). وقد سفُّه القرآن هي مواطن كثيرة من جعلوا لله أندادا من المخلوقات ، وبين أنه سبحانه الصانع الأعظم ، وما من كائن إلا ويفتقر إليه في وجوده.

وفى معنى سورة الإخلاص يقول الله سيحانه : وَقَالُوا أَلْتَعَدَّ الرَّحْسُنُ وَلَدًا و لَقَدْ خِتْمُ شِيَّا إِذَا ه تَكَادُ السَّمَنَوَاتُ يَتَفَطَّرُنَ مِنْهُ وَتَعْشَى الْأَرْضُ وَتَعِرُّ الْحِيَالُ مَثَّا و أَن دَعَوْاً لِلرَّحْمُنِ وَلَذَا و وَمَا يَنْبَعِي لِلرَّحْمَنِ أَن يَشْجِلُ وَلَذَا ﴿ إِنْ كُلُّ مَن فِي السَّمَنُواتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا عَلِي الرَّحْمَنِ عَبْلًا ﴿ لَقَدْ أَخْصَنُهُمْ وَعَلَمُمْ عَلَا ﴿ وَكُلُهُمْ عَلِيهِ يَوْمُ الْهَنِمَةُ لِمُوقًا . (مريم: ٨٨ – ٩٥) .

وقىال سېحانە : وَقَالُواْ ٱلْخَلَدُ ٱلْرَّحْمَانُ وَلَمُنَا سُبْحَنَهُ، بَلَ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ ﴿ لَا يَسْبِقُونَهُ, بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ بِهَمْلُونَ . (الانبياء ٢٠٠ / ٢٧) .



﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدُ ۞ اللَّهُ العَسَمَدُ ۞ لَمْ يَكِلَدْ وَلَمْ يُولَـدْ ۞ وَلَمْ يَكُن لَهُ حُنُواً أَحَدُ ۞ ﴾

التفسير:

١ - قَالُ هُوَ ٱللَّهُ أَخَدًى

قل لهم يا محمد: هو الله أحد.

هو الله أحد ، أى : واحد فى ذاته ، ليس له شريك ولا مثيل ، وهو واحد فى صفاته لأنه كامل القدرة. كامل الإرادة ، كامل الرحمة ، كامل القهر ، كامل الصَّفات الكاملة التى يتصف بها وحده .

وهو واحد في أفعاله ، بمعنى أنه خالق الكون ، وغيره لا يقدر على أن يفعل مثل أفعاله .

قال تعالى : أَفَمَن يَخْلُقُ كُمَن لا يَخْلُقُ أَفَلاَ تَذَكُّرُونَ . (النمل: ١٧).

وهذه الجملة تكفى المرّمن حين ينطق بها ، ويتمثّل معناها ومبناها ، ويتأكد أن الكرن له إله واحد ، هو المقصود ، وهو المعبود ، وهو خالق الوجود ، لذلك قالوا : من وجد الله وجد كلّ شىء ، ومن فقد الله فقد كل شىء .

٢ - ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ .

هو المقصود في الحوائج ، والصعد بمعنى المصمود ، أي المقصود مباشرة بدون وسيط أو شفيع ، فهو غني عن ألوسائط ، يفتح بابه لكل سائل .

وفى الحديث الصحيح يقول النبي ﷺ : «ينزل ربنا كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الأخير، فينادى : ياعبادى ، هل من داع فأستجيب له ، هل من مستغفر فأغفر له ، هل من تائب فأترب عليه هل من طالب حاجة فأقضيها ، حتى يطلم الفجرى ، ٣٣٠ . إن الله في الإسلام ليس بعيدا عن خلقه ، ولم يخلقهم ويتركهم ، إنه يسمع ويرى ، وهو قائمٌ على كل ينس بما كسبت ، وهر الرقيب والحسب والمحصى .

قال تعالى: أَحْفَسَاهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ ... (المجادلة: ٦).

وقال سبحانه وتعالى : وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرًا وَلاَ يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا . (الكهف: ٤٩).

قال أهل اللغة : ٱلصَّمَدُ . هو السيد الذي ليس فوقه أحد ، الذي يصمد إليه الناس في حواتجهم وفي المورهم ، وعن أبي هريرة : هو المستغني عن كل أحد ، المحتاج البه كل أحد .

إن الله أقرب إلينا من حبل الوريد ، وكان من دعاء الإمام زين العابدين : يا من ليس له , بُّ اب يُرجي، . ولا حاجب يُرشى ، صلُّ على محمد وآله ، واغفر ذنويي ، واستر عيوبي ، وتقبل رجاني . اللهم آمين .

٣ - لَمْ يَلِدُ وَلَمْ يُولَدُ .

لم بلد ولذاً ، ولم بولد من أب ، فهذا شأن المخلوق ، أن يكون مولوبًا ثم شايا ، ثم يتزوج ويوك له ، ويصبح أبًا ، وهذا شأن البشر، أما الإله فهو منزه عن ذلك .

قال تعالى : أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ, وَلَدَّ وَلَمْ تَكُن لَّهُ, صَلْحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلُّ شَيْءٍ وَهُوَ بكُلّ شَيْءٍ عَلِيمٌ . (الأنعام: ١٠١).

أخرج البخارى فى صحيحه أن رسول الله ﷺ قال : «لا أحد أصبر على أذى سمعه من الله ، إنهم يجطون له ولدًا وهو يرزقهم ويعافيهم: ⁽¹¹⁾.

وأخرج البخاري أيضنا أن رسول الله ﷺ قال ويقول الله عن وجل : كَتَبِنَى ابن آدم ولم يكن له ذلك ، وشتمنى ولم يكن له ذلك ، فأما تكذيبه إياى فقوله : لن يعيدنى كما بدأنى ، وليس آول الخلق بأهون علىً من إعادته ، وأمّا شتمه إياى فقوله : اتخذ الله ولدا ، وأنا الأحد العمعد ، لم ألد ولم أولد ولم يكن لى كفوا أحده . (۱۰۰) .

\$ - وَلَمْ يَكُن لَّهُ, كُفُوا أَحَدُّ.

وكُفُوا : أصلها كفوا.

والكُفِّء : هو المكافئ والمماثل والمشابه لغيره في العمل أو القدرة .

أى : ولم يكن أحد من خلقه مكافئا ولا مشاكلا ولا مناظراً. له تعالى ، في ذاته أو صفاته أو أفعاله .

قال تعالى: لَيْسَ كَمِعْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ . (الشورى: ١١) .

وقد ورد في الشّنة الصحيحة أن سورة الإخلاص تعدل ثلث القرآن ، لاشتمالها على التوجيد ، وتأكير وحدائية الخالق ، ونفي التعدد بقوله سيحانه : قُلْ هُوَ اللَّهُ أَخَدٌ .

ونفى عن ذاته النقص والاحتياج ، وأثبت حاجة الخلق كلهم إليه بقوله : ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ .

ونفى غن ذاته أن يكون والدًا أو مولودًا بقوله عز شأنه : لَمْ يَلِدُ وَلَمْ يُولَدُ .

ونفى عن نفسه الأنداد والأشباه والنظراء بقوله تعالى : وَلَمْ يَكُن لُّهُ, كُفُوا أَحَدُّ .

فالسورة الكريمة إثباتً لصفات الجلال والكمال ، وتنزيه للرب بأسمى صور التنزيه عن النقائص .

ومن أصول عقيدتنا أن الله تعالى يتصف إجمالاً بكل كمال، ويتنزه إجمالاً عن كل نقص ، ويتصف تقصيلا بصفاته الكاملة ، مثل: القدرة ، والأرادة ، والوحدانية ، والقيام بالنفس .

وفي الحديث الصحيح : وإن لله تسعة وتسعين اسمًا ، مائة إلا واحدًا ، والله تعالى وتريّحب الوتر ، من أحصناها دخل الجنة» : (١٩٠٠).

قال العلماء: من حفظها دخل الجنة.

وقال المحققون : الإحصاء : هو الإحاملة بمعانيها علمًا وعملا ، فإذا أيقنت أنه الرزاق أهنت بالأسباب ، وعلمت يقينا أن المسبب الحقيقي هو الله تعالى .

* * *

تم بحمد الله تعالى وتوفيقه تفسير سورة (الإخلاص) مساء الأربعاء ٢١ من ربيع الأول ١٤٢٧ هـ. الموافق ٢٧١٣/١/١١.



أهداف سيورة الفليق

(سورة الفلق مكية ، وآياتها ٥ آيات ، نزلت بعد سورة الفيل)

وسورة الفلق توجيه من الله سبحانه لنبيه ﷺ وللمؤمنين جميعًا ، للعياد بكنفه ، واللياذ بجاهه من كل سوء ، والاعتصام بقدرته والاحتماء بجلاله من شرور مخلوقاته ، وما عسى أن يصدر عنهم من إفك وحسد .

مع آيات السورة

١ ، ٢ - قُلْ أَعُوذُ بِرَبُ ٱلْفَلَقِ . مِن طُرٌ مَا خَلَقَ .

الفلق هو الصبح ، وقال جمع من المفسرين : إن الفلق هو الموجود الممكن كله ، أي : قل : أستعيذ برب المخلوقات ويفالق الإصباح من كل أذى وشر يصبيني من مخلوق من مخلوقاته جميمًا .

ثم خصص من بعض ما خلق أصنافًا يكثر وقوع الأدى منها:

٣ - وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ. أَصل المعنى في مادة غسق: السيلان والانصباب، وأصل الوقب: النقرة في
 الجبل ونحوه، ووقب بمعنى دخل دخولاً لم يترك شيئًا إلا مرَّ به.

والمراد من الغاسق هنا : الليل ، ووقب : أي دخل وغمر كل شيء كأنما انصب عليه واشتدت ظلمته .

أى: أستعيذ بالله من شر الليل إذا دخل وغمر كل شيء بظلامه. وأستعيذ بالله من الظلام الحالك، وما يختبئ فيه من حشرة مؤدية، ومن شيطان تساعده الظلمة على الانطلاق والإيحاء، أو من ظلمان انفس وغلبة الشك والحيرة.

وعن أبن عباس : هو ظلمة الشهوة البهيمية إذا غلبت داعية العقل ٢٠٠١.

٤ - وَمِن شُرِّ ٱلتَّهُ عَنَاتِ فِي ٱلْفَقَدِ. أي: رمن شر النمامين الذين يقطعون روابط المحبة ، ويبددون شمل المودة ،
 «والنميمة تشبه أن تكون ضرياً من السحر لأنها تَحَوَّل ما بين المديقين من محبة إلى عداوة ، بوسيلة

خفية كاذبة ، والنميمة تضلل وجدان الصديقين ، كما يضلل اللبل من يسير فيه بظلمته ، ولهذا ذكرها عقب ذكر الغاسق إذا وقب ، ولا يسهل على أحد أن يحتاط للتحفظ من النمّام ، فريما دخل عليك بما يشبه الصدق حتى لا يكاد يمكنك تكنيبه ، فلابد لك من قوة أعظم من قوتك تستعين بها عليه، ٢٠٠١.

أو النفاثات في العقد: الساحرات الساعيات بالأذى عن طريق خداع الحواس، وخداع الأعصاب، والإيحاء إلى النفوس، والتأثير في المشاعر، وهن يعقدن العقد في نحو خيط أو منديل، وينغثن فيها كتقيد من تقاليد السحر والإيحاء.

ويصح أن يُراد بالنفاثات في العقد: النساء الكهادات اللواتي يفسدن عقد الزوجية ، بصرف الزوج عن زوجته واستمالته حتى يهجر زوجته الأولى ، فكأن الثانية أفسدت عقد الزوجية بين الزوج وزوجته الأولى "").

٥ – وَمِن شُرِّ حَاسَدٍ إِذَا حَسَدَ. والحسد انفعال نفسى إزاء نعمة الله على بعض عباده مع تمنى زوالها، وسواء أتبع الحاسد هذا الانفعال بسعى منه لإزالة النعمة تحت تأثير الحقد والغيظ، أن وقف عند حد الانفعال النفسى، فإن شرًّا يمكن أن يعقب هذا الانفعال.

فإذا حسد الحاسد ، ووجه انفعالاً نفسيًا معينًا إلى المحسود ، فإن شرًا يمكن أن ينفذ إلى المحسود عن طريق العين أو النفس ، ونحن نستجير بالله ونستعيذ به ، ونلجاً إلى رحمته وفضله ، ليعيننا من هذه الشرور إجمالاً وتفصيلاً .

وقد روى البخارى بإسناده ، عن عائشة رضى الله عنها أن النبي ﷺ كان إذا أوى إلى نراشه كل ليلة جمع كفيه ثم نفث فيهما وقرآ فيهما : قُلُ هُوَ اللّٰهُ أَحَدٌ . و قُلُ أَعُوذُ بِرَبُ ٱلْفَاتَى . و قُلُ أُعُوذُ بِرَبُ آثاس . ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده ، يفعل ذلك ثلاث مرات (٣٠٠ . وهكذا رواه أصحاب السنن .

مقاصد سورة الفلق

١ - الالتجاء إلى الله والتحصن بقدرته من شر الخلق.

٢ - ومن شر الظلام إذا انتشر وغطى الكون .

٣ - ومن شر النساء الكيادات صاحبات الحيل ، ومن شر أهل الفتنة والنميمة .

٤ - ومن شر الحسود إذا رجُّه كيده للحسد .

﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَكَقِ ۞ مِن شَرِّمَا خَلَقَ ۞ وَمِن شَرِّعَا سِقِ إِذَا وَقَبَ ۞ وَمِن شَرِّعَا سِقِ إِذَا وَقَبَ ۞ وَمِن شَرِّعَا سِدٍ إِذَا حَسَدَ ۞ ﴾

المفردات :

اهـــود؛ ألجأ وأتحمنن .

المسلق، الصبح، أوجميع الموجودات.

ما خملق، من الشرأو الأشرار.

ضاسق : هو الليل المظلم .

وقسسيه، دخل ، شمل ، غمر .

النفائات، النفث: النفخ مع شيء من الريق.

السعسة، ما أُحكم ربطه حسًّا كعقدة الحبل ، أو معنى كعقد البيع والنكاح ، والمراد : عقد السحر أو النميمة والفتنة بين الناس التي تقطع روابط الألفة .

تمهيد:

سورة الفلق وسورة الناس سورتان كان النبي ﷺ يتعوَّد بهما كل ليلة وكل صباح .

أخرج الترمذى ، والنسائى ، وابن ماجة ، عن أبى سعيد أن رسول الله ﷺ كان يتعرَّد من أعين الجان ، ومن أعين الإنسان ، ظما نزلت المعونتان أغذ بهما وترك ما سواهما (^(۱۱۱) ، وقال الترمذى : حديث حسن صحيح .

وأخرج مالك ، ورواه البخارى ، وأبو داود ، والنسائي ، عن عائشة أن رسولُ الله ﷺ كان إذا اشتكى يقرأ على نفسه بالمعوذتين وينفث ، فلما اشتد وجعه كنت أقرأ عليه بالمعوذات وأمسح بيده عليه رجاء بركاتها ٢٠٠٠ . وأخرج أحمد ، وأبو داود ، والنسائي ، أن النبي ﷺ أمر أحد أصحابه أن يقرأ بهن كلما نام وكلما قام .

وفى حديث عائشة أن رسول الله ﷺ كان يقرأ بهن وينفث فى كفّيه ويمسح بهما رأسه ويجهه وما أقبل من جسده . (انظر تفسير ابن كثير).

التضيره

١ - أَلِلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْقَلَقِ .

قل يا محمد : أعود وألود بربّ الفلق ، أي برب المخلوقات ومبدع الكائنات ، أو قل : أعتصم برب الصباح الذي يتجلى عنه الليل .

٢ – مِن شَرِّ مَا خَلَقَ .

من كل شر فى الدنيا والأخرة ، وشر الإنس والجن والشياطين ، وشر السباع والهوام ، وشر الثار ، وشر الذنوب والمحاصبي ، وشر النَّفْس ، وشر العمل ، ومن شر الثقلين وغيرهما .

ْ ٣ - وَمِن شَرِّ غَاسِي إِذَا وَقَلْبَ .

ومن شر الليل إذا اعتكر ظلامه ، وعمّ سواده كل شيء ، أن من شر القمر إذا بـ فل في الكسوف واسود ، أو دخل في المحاق في آخر الشهر ، وقيل : الغاسق إذا وقب : الحية إذا لدعّت ، أو الشهرة إذا غليت داعية المقل

٤ - وَمِن شَرَّ ٱلنَّفُاهَاتِ فِي ٱلْعَقَدِ .

المرأة الساحرة أو الكيَّادة التي تُفسد عقدة الزرجية بين الرجل وزوجته ، أو تتزين وتتلون وتتحسَّن أمام الزرج حتى يميل إليها ويتزرجها ، ويطلَّق زرجته الأولى .

وذهب الزمخشرى فى تفسير الكشاف وغيره من المفسرين إلى أن المراد من النفاذات فى العقد : من يمشون بين الناس بالنميمة ليقطعرا روابط المحبّة ، ويبددوا شمل المودة ، فقد أفسدوا عقدة المعداقة ، وحَّهُوا الأحبة إلى العداوة أن الجفرة .

٥ - وَمِن شَرَّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدٌ .

و الحسد : هو تمنى زوال نعمة الغَيْر ، وكذلك العائن الذي ينظر بعينه للشيء فريما آناه بدون قصد ، والحاسد يتمنى زوال النعمة قاصدًا ، وهو بلاء ومرض . وقد محةً في الحديث الشريف النهي عن الحسد وعن الاشتراك فيه ، فقال ﷺ : «لا تحاقدوا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ، وكونوا عباد الله إخواناً، ٣٣٠ .

وقال ﷺ: «إياكم والحسد، فإنه يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب» (٢٢١).

الشحر

تكلم العلماء كلامًا طويلاً عن السُّحر، وخلاصة كلامهم رأيان:

الرأك الأول : أن السحر خيال وخداع أو خفة يد ، أن وهم يوهم به الساحر الآخرين ، وقد ذهب إلى ذلك المعتزلة ، وتُلتَّهم بعض العلماء .

الرأى الثانى : أن السحر يؤثّر حبًا ويُغضًا ، وقد ذُكر فى القرآن الكريم فى قوله تعالى : وَلَلْكِنَّ ٱللَّيْنَطِينَ كَفُرُواْ يُعَلِّمُونَ آثَاسَ ٱلسَّحْقُ ... (البقرة ٢٠٠١).

وقد علُّمنا الإسلام أن نلجاً ونتحصن بالله تعالى ، ويتم ذلك بما يأتى :

١ - قراءة سورة الفاتحة ,

٢ – قراءة آية الكرسي .

٣ - قراءة خواتيم سورة البقرة ، الآيتين الأخيرتين : ءَامَنَ ٱلرُّسُولُ بِمَا أَنْزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبّهِ ... (البقرة : ٢٨٥) .

ة - قداءة الآيتين الأخيرتين من سورة (ن والقلم)، وهما: وَإِنْ يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفُرُواْ لَيُرْلِقُونَكَ بِأَيْمَسْرِهِمْ لَمَّا سَمِعُواْ الدِّكْرُ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمُجَوِّدٌ ، وَمَا هُوَ إِلَّا دِكُرُ لَلْمَلْكِينَ . (القلم: ١٥ , ٥٥)

قراءة: «بسم الله ما شاء الله ، لا قوة إلا بالله».

قراءة : قل هو الله أحد ، قل أعوذ برب الثلق ، قل أعوذ برب الناس .

٧ – إخراج مندقة .

٨ - دعاء الله بالحفظ، مثل: فَاللَّهُ خَيْرٌ خَلْفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّاحِمِينَ ، (يوسف: ١٤).

 ٩ - اليقين الجازم بأن كل أمر بيد الله ، فهو سبحانه المسبب الحقيقى ، والمخلوق ما هو إلا سبب ، قال تعالى: وَمَا هُم بِعَمَالَ إِنْ بِهِ مِنْ أَحَدِيلًا بِإِذْنِ ٱللهِ ... (البقرة : ٢٠). اللهم احفظنا من كل سوء اللهم احفظنا من السحر والحسد، ومن مشر كل نفس أنت آخذ بناصيتها، ومن طوارق الليل والنهار إلا طارقًا يطرق يخير يا رحمن.

خاتمة في أدعية النَّوم

اللهم غارت النجوم ، ونامت العيون ، ويقيت أنت يا حي يا قيوم ، الهُدِ ليلي وأنم عيني .

اللهم رب السماء وما أظلُّت، والأرضين وما أقلُّت، والشياطين وما أضلَّت، كن لي جارًا من شرار خلقك عرَّجارك.

* * *

تم يفضل الله تعالى وتوفيقه تفسير سورة (الفلق) بعد منتصف ليلة الخميس ٢٧ من ربيع الأول ً ١٤٢٧ هـ، الموافق ١٤ / / / / ٢٠٠١ .





أهداف سيورة النساس

(سورة الناس مكية ، وآياتها ٦ آيات ، نزلت بعد سورة الفلق)

وهي سورة يلجأ فيها المؤمن إلى الله سبحانه وتعالى ، ويعتصم به من وساوس الشيطان ، الذي برسوس في صدور الناس خفية وسرًّا ، وهو أنواع ، منه شياطين الأنس ومنه شياطين الجن .

مع آيات السورة

- ١ قُلَّ أُعُودُ بِرَبَّ آلنَّاسِ، ألجا وأتحصن بالله خالق الخلق، والمتفضل عليهم بالنعم والجود.
- مَلِكُ إِنَّاسُ . فهو ملكهم وآخذ نامييتهم بيده ، وهو الخالق الرازق ، مرسل الرسل ، ومنزل الشرائع ،
 والحاكم المتصرف الذي إذا أراد شيئًا قال له كن فيكون .
 - ٣ إِلَا إِلَّهِ ٱلنَّاسِ . هو معبودهم بحق ، وملاذهم إذا ضاق الأمر .
- ع. مِن شَرَّ ٱلْوَسُوَاسِ ٱلْخَسَّاسِ. أصل الوسوسة: الصوت الخفى، وقد قبل لأصوات الحلى عند الحركة:
 وسوسة، و ٱلْوَسُواسِ ٱلْخَتَاسِ. هو الشيطان الموسوس الذي يوجى بالشر، ويهمس بالإهم.
- والمُخوس: الاختفاء والرجوع. والخناس هو الذي من طبعه كثرة الخنوس. أي: نعوذ بالله من وسوسة الشيطان الذي يغرى بالمعاصى والمفاسد ، ويلقى بالشرور فى قلوب الخافلين ، ويغرى بانتهاك الحرمات عن طريق الشهوات.
- ٥ أللي يُوسُوسُ في صُدُورِ آلناسِ. أي: يجول في المدور، ويجري من ابن أدم مجرى الدم، وخصُ المدور بالرسوسة لأنها محل القلوب، والقلوب مجال الخواطر والهواجس، وإن ذلك الشيطان الذي يجلم على قلب ابن آدم ويتسلط عليه إذا أصابته الغفلة، هو من الضعف بمكان، فإذا ذكرت الله خنس ورجع، وإذا حكمت عقلك وانتصرت للحق ضعف كيد الشيطان.

قال تعالى : إِنَّ كَيْدُ ٱلشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا . (النساء: ٧٦).

وقال تعالى: إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱلْقُوَّا إِذَا مَسَّهُمْ طُلِّيفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطُسْ تِلَكُّرُواْ فَإِذَا هُم شَعِرُونَ . (الأعراف ٢٠١٠).

وقال تعالى : إِنَّهُ, لَيْسَ لَهُ, سُلْطَانُ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَاسُواْ وَعَلَىٰ رَهِمْ يَتَوَكُّلُونَ ء إِنَّمَا سُلُطُكُهُ, عَلَى ٱلَّذِينَ يَوَلُونُهُ, وَٱلْأَيْنِ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ . (الدعل: ٩٩ ، ١٠).

٢ - مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاس . هذا الوسواس الذي يغرى بالشر قسمان :

القسم الأول: الجنة الخفية تخطر للإنسان في صورة خواطر، توعز بالشر وتغرى بالإثم، وتزين الخطيئة .

القسم الثاني : الناس الذين يتدسسون إلى الصدور تدسس الجنة ، ويوسوسون وسوسة الشيطان ، ومنهم : رفيق السوء الذي يجر رفيقه إلى الانحراف ويغريه بالفساد .

وحاشية الشر: التي توسوس لكل ذي سلطان ، حتى تتركه جبارًا طاغيًا مفسدًا ظالمًا .

والنمَّام الواشي: الذي يزين الكلام ويزيفه ، حتى يبدو كأنه الحق الصراح.

ويائع الشهوات: الذي يتدسس من منافذ الغريزة ، في إغراء لا تدفعه إلا يقطة القلب وعون الله .

وعشرات من الموسوسين الخناسين الذين ينصبون الأحابيل ويخفونها ، وهم شر من الجنة وأخفى منهم دبيبًا .

والإنسان عاجز عن دفع الوسوسة الخفية ، ومن ثم يدلُه الله على عدّته وجِثْتُه وسلاحه في هذه المعركة الرهبية . والمؤمن يستمد قوته من يقينه بريه ، وثقته بقدرته ، وتحصنه بحماه ، واستعادته بالله من شر المسواس اللخناس ، الذي يخنس ويضعف أمام قرة الإيمان والاستعانة بالرحمن .

قال تعالى : إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَلْنَ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ . (المجر: ٤٢) .

إن الصداع بين الخير والشر مستمر في هذه الحياة ، وهناك جنود للرحمن هي المعونة والتنبيت ، وشرح الصدر للإيمان والهنين ، والعزيمة الصادقة ، والتواصي بالحق والتواصي بالصبر. وهناك طريق للشيطان ، يتولى بها على الضعفاء ، وستظل هذه المعركة ما بقيت السماوات والأرض . يحاول الشيطان أن يُضل الناس ويُرسوس لهم ، وينصب الله الناس أدلة الهدى والرشاد من العقل والحكمة ، والرسالات السماوية ، وأثمة الحق ، والدعاة والهداة .

وقد ذكر القرآن ذلك في كثير من الآيات.

قال تعالى : يَنْتِيَ عَادَمَ لَا يَفْسِتُكُمُ الطَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَنُولِكُم مِّنَ ٱلْحِثْةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِلسَهُمَا لِلْرِيَهُمَا سَوْءَ يَهِمَا إِلَّهُ يَرِسُكُمْ هُوَ وَقَيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْقُهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيْطِينَ أَوْلِنَا فِلْلِينَ لَا يُولِئُونَ . (الأعراف: ٧٧).

وقال تعالى : إِنَّ ٱلشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوَّ فَٱلْحِدُّوهُ عَدُوًا إِنَّمَا يَامُواْ حِزْيَمُر لِيُكُونُواْ مِنْ أَصْحُلبِ ٱلسَّعِيرِ . (فاطر : ٢)

وقال تعالى : قَالَ رَبُّ فَأَنظِرُهِيْ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْتَعُونَ ، قَالَ لَإِنْكَ مِنَ ٱلْمُنظَوِينَ ، إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمُعْلُومِ ، قَالَ فِيرِّ لِكَ لَأَخْرِينَهُمْ أَجْمَعِينَ ، إِلَّا جِنَادَكُ مِنْهُمُ ٱلْمُنْطَمِينَ . (ص : ٧٩ – ٨٣) .

وقال تعالى : يَنَأَلُهُمَا الَّذِينَ ءَامَتُواْ لَا تَخِمُواْ خَطُوْاتِ الشَّيْطَانِ وَمَن يَقْبِعُ خُطُوْاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ, يَأْمُرُ بِاللَّهُ خَشَاءٍ وَالْمُمْكُو ... (للنور: ٢٧).

وقال جلُّ ذكره : إِنَّ ٱلشَّهْطَانَ كَانَ لِلْإِنسَانِ عَلَوًّا مُّبِينًا . (الإسراء: ٥٣) .

وقال سبحانه : وَمَن يَكُن آلشَّيْطَانُ لَهُر قَرِينًا فَسَآءَ قَرِينًا . (النساء : ٣٨) .

وقال تمالى: وَمَن يَتَعِلِ الشَّيْطَانَ وَلِيَّا مَن دُولِهِ اللَّهِ فَقَدْ حَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ، يَعِدُهُمْ وَيُمَنَّهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الطَّيْطَانُ الاَّ خُرواً ، (النساء: ١٩١٩ ، ١٧٠) .

مقاصد سورة الثاس

١ - التحصن بجلال الله وقدرته والاعتصام به : وَمَن يَقتصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِي زِلْي صِرْ طٍ مُسْتقيمٍ . (ال عمران : ١٠١) .

٢ - الشيطان يوجه همُّته وجنوده لإغراء بني آدم.

٣ – رفقاء السوء ودعاة الشرهم أعوان الشيطان .

بِنْ _____ِاللَّهِ ٱلدَّهُ وَالرَّهِ عِيدِ

﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ اَلْنَاسِ ۞ مَلِكِ اَلنَّاسِ ۞ إِلَىٰهِ اَلنَّاسِ ۞ مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ ٱلْخَبَّاسِ ۞ الَّذِى يُوَسَّوِسُ فِى صُدُّودِ النَّاسِ ۞ مِنَ الْجِنْسَةِ وَالنَّسَاسِ ۞ ﴾

المفردات:

وأستجير.	، ألحاً	اه ــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

ال_______ والمربى والموجه والراعي والحامي.

ي الملك الحاكم المتصرف .

الإن المتسلط، المعبود بحق .

السب وسيست واس والشيطان يوسوس للناس ويزين لهم الشر والمعصية .

السيخ من المتفاء عند ذكر الله .

يوسوس في صدور الناس ؛ بالإغراء بالمعامى ، والحض على الشر.

من المجددة والمنساس ، أي : من شياطين الجن والإنس .

التفسيره

١ - قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ.

هذه السورة نزلت بعد سورة الذلق ، وقد ورد في الصحيح فضل السور الثلاث : قل هو الله أحد ، وقل أعوذ برب الفلق ، وقل أعوذ برب الناس ، والسور الثلاث لم يُر مثلهن ، كما في صحيح مسلم ، أي أذهن التجام وتحصُّن بالله تعالى وقدرته . والآية الأولى أمر من الله تعالى لرسوله ﷺ ولكل مؤمن أن يلجأ ويتحصَّن ويشتعين برَبَّ آلتَّاسِ. أي: ﴿

٢ - مَلِكِ ٱلنَّاس .

إن العلول يملكون بعض مثنون الأرض ، والله تعالى هو المَلك الدائم المُلك ، صاحب التصرف الكامل والقهر والسلطان .

٣ - إِلَنْهِ ٱلنَّاسِ.

إنه الخالق المتصرف ، وهو المستعلى المستولى المتسلط، فهو سبحانه ربُّ كل شىء ، وملك كل شىء ، وإله كل شىء ، ولكن ذكر الناس مُنا يجعلم يدركون القربى والانتماء ، والاعتماد والتحصُّن برب كل شىء ومليكه وإلهه ، فالله تعالى يوجّه عباده إلى التحصن به سبحانه .

\$ - مِن شَرِّ ٱلْوَسُواسِ ٱلْخَنَّاسِ.

والوسوسة : المنوت التففيُّ .

والخنوس: الرجوع والاختباء والنكوص.

والخنَّاس : هو الذي من طبعه كثرة الخنوس .

وقد ذكر الهشارى ، عن لهن عباس أن رسول الله ﷺ قال : «الشيطان جاثم على قلب ابن آدم ، فإذا ذكر الله تعالى خذس ، وإذا غفل وسوس» .

إن السورة تطيم لنا أن نتحصن بالله من شرّ الشيطان الذي يوسوس لنا بالشرّ، ويزين لنا المعاصى ، ويُغْرِينا بالمخالفة ، فإذا ذكرنا الله تعالى ضعف هذا الشيطان وخنس ورجع وتصاغر ، وأيس من الإنسان .

وقد ورد فى الصحيح أن الشيطان يهرب عند شماع الأذان والإقامة (۲۳۰) ، ثم يعود يوسوس للإنسان فى صلاته ، يقول له : اذكر كذا ، اذكر كذا ، حتى ينتهى من صلاته .

وتجارب الحياة وأوامر الدين ترشدنا إلى أنَّ الصلاة تحتاج إلى مشارطة ومراقبة ومحاسبة ، ومعاتبة رمعاقبة ، شأنها شأن الحياة ، فأنت تشرط على نفسك أن تلتزم بطاعة الله ، ثم تراقبها وتحاسبها ، وإذا أخطأت تعاتبها ، وإذا تكرر الخطأ تعاقبها ، وكذلك في الصلاة تقول لنفسك : أريد الإخلاص في الصلاة والخشوع ، والتأمل في قراءة الفاتحة والسورة ، وتسبيع الركوع والسجود ، وحضور القلب ، وكلما الْصَرفَت تلوم نفسك ، وتجدد الشرط والمراقبة لنفسك ، حتى تصبح لك عادة ، هى حضور القلب فى المسلاة ، والتركيز أيناء المسلاة ، وترك سائر شفون الدنيا ، ويعينك على ذلك أن تذكر أن الدنيا لا تزن عند الله جناح بعوضة ، وأن متاع الدنيا قليل ، وأن الأخرة خير وأبقى ، وأن تستعيذ بالله من الشيطان الرجيم ، وأن تقرأ : قل هو إلله أحد والمعرفتين .

الثاس (۱ - ۱)

٥ - ٱلَّذِي يُوَسُوسُ فِي صُلُورِ ٱلنَّاسِ.

تلك وظيفة الشيطان ، أن يتحسس ويتدسس إلى صدرك بصوت خفى ، وإغراء بأمور تصرفك عن المسلاة ، أو تزيّن لك الشرّ، فهو عدو مبين ، لُخرج أباك من الجنّة ، ويريد أن يُخرجك عن طاعة الرحمن إلى علاعة الشيطان .

الشهطان ابتلاء واختبار ، ورغبة في إغواء بنى آدم ، وأنت أيها الإنسان تملك قهره ورجره ، والاستعادة بالله منه ، فلا تضعف ولا تستسلم ، بل قاوم الشيطان بالإيمان وذكر الله .

قال تعالى: إِنَّ ٱلشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُو لَاتَّخِذُوهُ عَدُوا إِنْمَا يَدْعُواْ جِزْيَهُ لِيكُونُواْ مِنْ أَصْحَلْبِ ٱلسَّعِيرِ . (فاطر: ١) .

وفى يوم القيامة يقف الشيطان خطيبًا فى أهل جهنم ، فيُقى عليهم اللَّوم ويبين أنه لم يجبرهم على الكفر أو ارتكاب المعاصى ، إنما زين لهم فقط ، لكنهم استجابوا وأهملوا عقولهم ، وأطاعوا نزواتهم وشهواتهم ، فاللَّوم عليهم .

قال تعالى : وَقَالَ ٱلشَّيْطَانُ أَمَّا قَضِيَ ٱلْأَثْرُ إِنَّ ٱللَّهُ وَعَدَّكُمْ وَعَدَ ٱلْحَقَّ وَوَعَدَّكُمْ فَأَعَلَمُكُمْ وَعَدَ الْحَقَّ وَوَعَدَّكُمْ فَأَعَلَمُكُمْ وَعَدَّلُكُم مَّن سُلطَان إِلَّا أَن دَعَوْ تُكُمَّ قَاسَتَجَتُمْ فِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُوثُواْ أَنْفُسَكُم . . . (برامع ٢٠٠) .

٣ - مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ.

أي : إن الذي يوسوس في صدور الناس صنفان :

الأول : الجنَّة ، وهم شياطين الجن ، ومهمتهم الوسوسة والإغراء والتزيين .

الثاني: شياطين الإنس، الذين يزينون المعاصى للكبير والصغير والمرأة والرجل، وهم قرناء السوم، ورفقاء الشرّ، ومن الواجب أن نستعيذ بالله منهم، وأن نحذرهم، وأن نتخير الرفيق الصالح الذي إذا ذكرت الله أعانك ، وإذا نسبت ذكرك. ومن رفقاء السوء النَّمام الواشي المفسد للعلاقات ، ومن رفقاء السوء بائع الهوى والشهوات ، وذو الرجهين والمنافق .

قال تعالى : وَكَذَالِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِي عَدُوا شَيَنطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنَّ يُوحِى بَعَظَهُمْ إِلَىٰ يَعْضِ زُخُوفَ ٱلْقُول. غُرُودًا ... (الأنماء ١٩١٢).

تلك سورة الناس ، ذكر الله تعالى فيها الناس ثلاث مرات ، فى ثلاث آيات تنتهى بحرف السين ، وهو حرف مهمرس ، يناسب المبهيّ المنقير فى النطق ، ويُيسٌر عليه الحفظ .

* * *

في أعقاب تفسير سورة الناس

١ -- جاء في صفوة التفاسير ما يأتي :

قال المفسوون: إنما خصُّ الناس بالذكر - وإن كان جلت عظمته رب جميع الخلاقة - تشريقًا وتكريمًا لهم ، من حيث إنه تعالى سخر لهم ما قبل الكون، وأمدهم بالعقل والعلم ، وأسجد لهم ملاتكة قدسه ، فهم أفضل المخلوقات على الإطلاق . مُلِكِ آتَاسٍ . أي : مالك جميع الخلق حاكمين ومحكومين ، مُلكًا تاسًا شاملاً كاملاً ، يحكمهم ، ويضيط أعمالهم ، ويدبرٌ شئونهم ، فيُحرِّ ويُذلّ ، ويُعنى ويُفقر : إِنْكُ آتَاسٍ ، أي : معبودهم الذي لا ربُّ لهم سواه .

قَالَ القَّرَطَي : وإنما قال : مَلِكِ ٱلنَّاسِ وِ إِلْمُ ٱلنَّاسِ . لأن في الناس ملوكًا فذكر أنه ملكهم ، وفي الناس من يعيد غيره فذكر أنه إلههم ومعبودهم ، وأنه الذي يجب أن يستعاذ به ويكجأ إليه دون العلوك والعظماء .

وترتيب السورة بهذا الشكل في منتهي الإبداع ، وذلك لأن الإنسان أولاً يعرف أن له ربًّ ، لما يشاهده من أنواع التربية . رُبَّ أَلنَّاسٍ - ثم إذا تأمل عرف أن هذا الرب متصرفٌ في خلقه ، غنى عن خلقه فهو الملك لهم : مَلِكُ آلنَّاسٍ - ثم إذا راد تأمله عرف أنه يستحق أن يُعبد ، لأنه لا عبادة إلا للغني عن كل ما سواه ، المفتقر إليه كل ما عداه . إِلَيْمُ آلنَّاسٍ . وإنما كرر لفظ الناس ثلاثًا ولم يكتف بالضعير ، لإظهار شرفهم وتعظيمهم والاعتناء بشأنهم ، كما حسن التكرار في قول الشاعر :

لا أرى الموت يسبقُ الموت شيء نفَّس الموتُ ذا الغِتى والفقيرا

قال ابن كثير : هذه ثلاث صفات من صفات الرب عز وجل : الربوبية ، والملك ، و الإلهية ، فهو رب كل شىء ومليكه وإلهه ، وجميع الأشياء مخلوقة ومعلوكة له ، فأمر المستعيدُ أن يتعوذ بالمتصف بهذه الصفات (٣٣). ٢ - أوضحت السورة أن الموسوس إما شيطان الجن ، وإما شيطان الإنس .

قال الحسن: هما شيطانان ، أمَّا شيطان الجن فيوسوس في صدور الناس ، وأمَّا شيطان الإنس فيأتي علانية .

وقال قتادة : إن من الجنّ شياطين ، وإن من الإنس شياطين ، فنعوذ بالله من شياطين الإنس والجنّ.

٣ - جاء في تفسير فخر الدين الرازي ما يأتي :

يلاحظ أن المستماذ به في سورة الفلق مذكور بصفة واحدة ، وهي أنَّه : رب الفلق ، والمستعاذ منه ويلاية أنهام ، وهي : الفاسق ، والفُّائات ، والحاسد .

وأما في سورة الناس فالمستعاذ به مذكور بصفات ثلاث ، وهي : الربُّ ، والملك ، والإله ، والمستعاذ منه آفة واحدة ، وهي : الوسوسة ٢٠٠٠).

وفي التحصُّن من الوسوسة سلامة الدين ، ومن سلم دينه سلم له كلُّ شيء .

دعاء يورث الإخلاص

«اللهم إنى أعود بك أنْ أشرك بك شيئًا أعلمه ، وأستغفرك لما لا أعلمه» ،

دعاء يورث السعادة

«اللهم إنى عبدك وابن عبدك وابن أمتك ، ناصيتى ببدك ، ماهن في حكمك ، عدل في قضارك ، أسألك بكل اسم هو لك ، سمّيت به نفسك ، أو أنزلته في كتابك ، أو علَمته أهذًا من خلقك ، أو استأثرت به في علم الغيب عندك ، أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبي ، وذهاب غمّى وحزني، (٢٠٠).

دعاء من صحيح البخاري

«اللهم إنى أعوذ بك من الهم والحزّن ، وأعوذ بك من العجز والكسل ، وأعوذ بك من الجبن والبُخل ، وأعوذ بك من غلبة الدُين وقهر النُّجالِ» (٢٠٠٠)

وصلٌ اللهم على سيدنا محمد النبي الأمن وعلى آله وصحبه وسلم ، اللهم لك الحمد ، حمداً كثيرًا طيبًا طاهرًا مباركًا فيه كما ترضى رينا وتحب ، اللهم اجعل هذا العمل خالصًا لوجهك الكريم ، اللهم انفع به كلَّ من تعلَّم ووفقه للعمل الصالح ، وللسير على الصراط المستقيم ، اللهم اغتم لنا بالإيمان والإسلام ، وصلً اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

فالعالقالين

﴿ فَلِوَ الْمُسَدُّدُونِ إِللَّهِ مَنْ اللَّهِ مِنْ الْمُسْلِّينَ ۞ وَلَهُ ٱلْحَصِيرُ لِمَا فِأَلْتَمُوكِ وَٱلْأَرْضُ وَهُوَالْمُنِيزُ الْحُصِيدُ ۞ معدله العم (المبلغة ٢٧،٢١)

مكنَّتُ في تفسير النصف الاول من القرآن الكريم ١٥ عامًا ، كنت أفسّر في كل سنة جزءًا من القرآن ، حيث كنت أعمل أستاذًا ورئيسًا لقسم الشريعة الإسلامية في كلية دار العلوم جامعة القاهرة ، ثم في كلية التربية والعلوم الإسلامية بجامعة السلطان قابوس بسلطنة عمان .

ثمّ تفرغت تمامًا لتفسير النصف الثانى من القرآن الكريم لمدة خمس سنوات ، من ١٥ / ٣ / ١٩٩٦ إلى ١٤ / ٣ / ٢ ٠ ٠ ٢ .

و تم يحمد الله تعالى الانتهاء من تفسير القرآن الكريم مساء يوم المخميس ٢٧ من ربيع الأول ٤٢٧ هـ ، الموافق ٢٤ / ٣ / ٢ ٠ ٥ ٩ م .

وتمت مراجعته يحمد الله فنجر يوم الجمعة ٢٣ من ربيع الأول ٢٧٪ ١ هـ ، الموافق ١٥ / ٦ / ٢ ٠ ٠ ٢ م .

اللهم لك الحمد ولك الشكر ، ولك التعمة ولك الفضل ، ولك الثناء الحسن الجميل ، سبحان ربّك رب العزة عما يصفون ، وسلام على المرسلين ، والحمد لله رب العالمين .

اللهم لك الحمد ، اللهم هذه دموعي أسكيها شكرًا لك وعرفانًا بفضلك ، اللهم لك الحمد يا ولي التوفيق ، يا أول يا آخر ، يا ظاهر يا باطن ، اللهم اجعل ذلك العمل خالصًا لوجهك الحمد يا ولي التوفيق ، يا أول يا آخر ، يا ظاهر يا باطن ، الكريم . وَمَثَنَّ تَكْلِيمُ مُنْ الْفَيْمُ . (الأندام ، ١٥٠) .

اللهم اجعل القرآن العظيم ربيع قلوبنا ، وذهاب غمنا وحزننا ، اللهم أكرمنا بالقرآن ، وبنور القرآن ، وبركة القرآن ، وتلاوة القرآن ، اللهم حبب إلينا الإيمان وزينه في قلوبنا ، وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان ، واجعلنا من الراشدين ، وَمَاخِرُ دُعُونَهُمْ أَنِ ٱلْحَمُدُ لِلَّهِ رَبُّ ٱلْصَلَيْسَ . (يونس: ١٠). د/ عبد الله شمحاتة القاهرة في ه ١٩٠١/ ١٠٠

خَاجَةً الْقِوَالِيَ

ٱللَّهُ تَرَا وَحَنِي ٱلْفُرُهُ إِن وَأَجْعَلُهُ لِي إِمَامًا وَثُوزًا وَهُدَكُ وَرَحْمَةً اللَّئَمَّ ذَكِّرْنِيمِنْهُ مَانَسِيتُ وَعَلِّنِي نِهُ مَاجَمِلْتُ وَأَوْثُو فِي لِلْاَفَيَّةُ آنَاءَ ٱللَّيْلِ وَأَمْلَ إِفَ النَّهَارِ وَٱجْعَلُهُ لِهُجَنَّةً يَا رَبَّ ٱلْمُسَالِّينَ ۞ ٱللَّهُ مَرَّاصُهُ فِي فِينِي ٱلَّذِي هُوَعِصْمَةُ أَمْرِي وَأَصْدِرُ لِيهُ نُبَاكَأْلَةِ فِيهَا مَعَاشِي وَأَصْلِمْ لِي آخِيرَ فِي الْتَي فِيهَامَعَادِي وَٱجْعَلِ ٱلْحَيَاةَ زِيرَادَةً لِك فِكُ إِخْدُ وَلَجْمَ لِلْمُؤْتَ دَاعَةً لِلْمِن كُلِّ أَسِرٌ كَاللَّهُ مَّلْجُعَلُغُ رُعُرُى آخِرَهُ وَخَيْرِعَكِ خَوَايْمَهُ وَخَيْراً مِّيَامِ يُؤْمَ أَلْمَاكَ فِيهِ ٥ ٱللَّهُ مَّ إِنَّ أَسْ ٱلْكَ عِيشَةً مَيْنَةً وَمِينَةً سَوِيَّةً وَمَرَةً أَغَيْرَ كُخُدْرٍ وَلَافَاضِ كَاللَّهُ إِنْيَاسَأَلُكَ خَيْرًالْمَسْأَلَةِ وَخَيْرًالْدُعَآءِ وَخَيْرًالْجَمَّاحِ وَخَيْرَالْعِيلْمِ وَخَيْر ٱلْعَلِ وَخَيْرُٱلنَّوَابِ وَخَيْرًا لَحْيَاةً وَحَيْرًا كُمَّاكِ وَثَبِّتُنِي فَقَيِّلُ مَوَانِينِ وَحَقِقُ إِيمَانِ وَٱرْفَعُ دَرَجَنِي وَقَتَبَ لُصَلَاقِ وَلَغُ فِرُحُطِيكَا قِب

وَأَسْ الْكُ ٱلْمُعُلامِنَ ٱلْجَنَّةِ ۞ اللَّهُ مَا لِيَّ أَسْأَلُكُ مُوحِبَاكِ رَحْمَلُكَ وَعَزَآؤُهِ مَغْفَرَنِكَ وَٱلسَّكَلامَةَ مِنُكُلَّ إِنَّهِ وَٱلْفِيهِمَةُ مِن كُلِّ بِيِّهِ وَٱلْمُؤْذَ بَالْجُنَةِ وَٱلْجَنَّا مِّينَ النَّارِ ٥ اللَّهُ مِّ أَحْسِنَ عَاقِبَنَا فِٱلْأَمُورُكُلِّهَا وَأَمِرْنَا مِنْ خِرْيِ ٱلدُّنْيَا وَعَذَا بِٱلْاَحْرَ فِي ٱللَّهُ مِّذَا فِيهِ لِنَا مِنْ خَشَيْئِكِ مَاتَحُولُ بِوبَيْنَا وَيُنْ مَعْصِيَاكَ وَمِن طَاعَنِكَ مَانْكِلَوْنَا بِمَاجَنَّنَكَ وَمَزَّالُيْن مَانُهُونُ بِدِعَلَيْنَامَصَهَا يُسَالُكُنُيَّا وَمَيْفَنَا بأَسُاعِنَا وَأَبْصَارِنَا وَفُتَلِنَا مَاأَحُينُنَا وَٱجْعَلُهُ ٱلْوَارِثَ مِنَا وَٱجْعَلُ ٱلْزَمَا عَلَىٰ مَنَ ظَلَتَ اوَٱنصُرُكَ عَلَى مَنَ عَادَانَا وَلاَ يَجْعُلُ مُصِيبَتَنَا فِي دِينِنَا وَلاَ يَجْعُلِ ٱلدُّنْبَ ٱلْكُرَهِينَا وَلَامَنُكُمْ عِلْمُنَا وَلَا تُسَلِّطُ عَلَيْنَا مَنَ لَا يُرْخُمُنَا ۞ ٱللَّهُ مَّ لَانَدَعُ لَنَا ذَنْاً إِلَّا غَنَهُ لَهُ وَلَاحَتَّا إِلَّا فَرَّجْنَهُ وَلَادَيْنَا إِلَّا قَصَيْنَهُ وَلَا حَاجَةً مِن حَالِيْجِ ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَيْزِ وَلِآفَ فَصَيْلُهَا يَا أَرْحَكُ ٱلرَّاحِينَ ۞ رَبَّنَا آتِيا فِي الدُّنْيَا عَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ عَسَنَةً وَقِيَّا عَذَابِ ٱلتَّارِ وَصَلَّا لَّذَهُ عَلَىٰ بَبِينَا هُحُكُّمُ لِي وَعَلَىٰ ٱلدِوَأَصْحَابِهِ آلأخت إد وَمَكَمْ تَسْلِمُ الْكَثْمَا كَثِيرًا



(١) في خلال القرآن ، للأستاذ سيد قطب ، ٦/٣.

(٢) يخرج عنق من النار :

رواه الترمذي في صفة جهنم (٢٥٧٤) وأحمد في مسنده (٨٢٢٥) من حديث أبي هريرة بالفظ: «يخرج عنق من النار يوم القيامة له عينان يبصر بهما».

(٣) تفسير الطبرى المجلد ١٢ تفسير سورة النبأ ص ٤٣٤ دار الغد العربي .

(٤) ورد مثا المعنى في سررة الزمر في الآية ٦٨ حيث يقول سيحانه ﴿وَنفَعْ في الصور فصعق من في السمارات ومن في الأرض إلا من شاء الله ثم نفخ فيه أشرى فإذا مم قيام ينظرون﴾ .

(٥) يرحم الله موسى لقد أوذي :

رواه البخارى فى أحاديث الأنبياء (٣٤٠٩) وفى الدعوات (٦٣٣٦) وأحمد فى مسنده (٣٨٩٢) من حديث عبد الله بلفظ: ويرحم الله موسى نقد أوذى بأكثر من هذا فصير ...» الحديث .

(٦) طوى : علم للوادى ، وهو واد بأسفل جبل طور سيناء .

(٧) إن أحدكم يجمع خلقه في يعلن أمه :

رواه البخارى فى بده الخلق (٢٠٢٨) وفى أماديث الأنبياء (٣٣٣٦) وفى القدر (١٩٩٤) ومسلم فى كتاب القدر (٢٦٢٩) والترمذى فى القدر (٢٠٢٧) وابن ماجة فى المقدمة (٧٦) وأحدد فى مسلده (٣٦١٧) من حديث عبد الله بن مسعود بلطة : وإن أحدكم أجمع خلقه فى بطن أمه فى أريمين يوميا ثم يكون ...» الصديث .

(A) تفسير جزء عم للشيخ محمد عبده ، دار ومطابع الشعب ص ١١ وقد ورد هذا المعلى في تفسير القرطبي ، وغيره من كتب التفسير .

(٩) من خأف أدلج:

رواه القرمذي في صفة القهامة والرقائق (٧٤٥٠) من حديث أبي هريزة بلفظ : ومن خاف أبلج ، ومن أدلج بلغ المنزل ، ألا إن سلمة الله ...» للحديث .

(۱۰) متى السامة :

رواه أحمد في مسنده (١٣٢٨) من حديث أنس بن مالك بلفظ: متى الساعة ؟ فقال رسول الله : ووما أعدرت لهاء ؟ فقال الأعرابي …ه الحديث .

(١ ١) ما المستول عنها بأعلم من السائل:

رواه البخارى في الإيمان (* 0) ، وفي تفسير القرآن (٧٧٧ع) ، ومسلم في الإيمان (٨ . ٩) ، والترمذي في الإيمان (* ١٩٠) ، والترمذي في الإيمان (* ١٩٠) ، والنمان (* ١٩٥) ، وابن ماجة في المقدمة (٣ ، ١٤) ، وأحد (١٣٠) ، وأحد (١٣٠) ، وأحد (١٣٠) ، ومان حديث عمر بن المطلب . وقال الترمذي : حديث حسن صحيح .

(١٧) بعثت أنا و الساعة هكذا:

رواه أحمد في مستده (۱۹۹۶ ، ۲۳ ، ۲۰ ، ۱۹۹۲) والنسائي في مسلاة العيدين (۱۹۷۸) والدارس في المقتمة (۲۰۷) وابن ماجة في العقدمة (1 ف) من حديث جابر بن عبد الله قال : خطيفنا رسول الله قحمد الله وأثنى عليه بما هو له أهل ثم قال : وأما أيه بد ، فإن أمدتنا العديث كتاب الله ، وإن أنقشل الهدي مدين محدد ، وثن الأمور حسنائلها ، وكل بدمة مشلالة ، ثم يرفح صرية وتحمر وجناته ويشتد غضبه إذا تكر الساعة كانه منذر جيش ، قال : ثم يقول : وأنتكم الساعة ، بعثت أنا والساعة مكتا – وأشار باصبعيه السابة والوسلى – صبحتكم للساعة ومستكم ، من ترك مالا فلأهله ومن ترك بديا فلأهله ومن

ورواه أحدد في مسنده (٣٢٤٣٨) من حديث بريدة قال : سمعت النبي 糞 يقول : «بعثت أنا والساعة جميعا إن كادت التسقد.» .

(١٣) متى الساعة :

تقدم تخریجه ، انظر هامش (۱۰).

(۱٤) تفسیر النیسابوری ۳۰/۳۰ .

(ه ١) أترى يما أقرل بأسا :

رواه الترمذي في تفسير القرآن (٣٣٣١) من حديث عائشة بلفظ: أترى بما أقول بأساء فيقول: لا، ففي هذا أنزل ... الحديث،

(١٦) الماهر بألقرآن مع السفرة:

رزاه البخاري في تنصير القرآن (۲۹۷) من حديث عائشة بلفظ: «مثل الذي يقرآ القرآن رفيو حافظ له مع الصفرة الكرام ...ه الصعيف. ورواه مسلم في كتلب صلاة المسافريين (۷۹۸) والترمذي في فضائل القرآن (۲۹۰) وأبو دارد في المسلاء (۱۹۵۵) وأحمد في مسلمه (۲۷۵۱) وابن ماجة في الأدب (۲۷۷۹) من حديث عائشة بلفظ: «الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة والذي يقرؤه ...ه المحديث.

(٩٧) سلمان منا أهل البيت :

ذكره السيرطى فى الجامع السنفير (٤٦٩٦) ونسبه للطيراني فى الكبير، والملكم فى المستدرك من حديث عمرو بن . عرف، وصححه .

(١٨) قدمت أنا وأخى من اليمن :

رواه البخاري في المغازي (٤٣٨٤) ومسلم في كتاب فضائل المسعابة (٢٤٦٧) والترمذي في المغاقب (٣٨٠٠) من حديث ابن موسى بلفقة : قدمت أنا وألمى من اليمن فكنا حينا وما نرى ابن معمود ... المعديث .

(14) تحشرون حفاة عراة غرلا:

رواه قديمةى في تفسير القرآل (٣٣٧٣) من حديث عبد الله بن عباس يلفظ: «تحشرون حفاة عراة غرلاء . فقالت امرأة : أيمسر أو يرى بغضنا ... الحديث . ورواه البخاري في الرقاق (۱۹۲۷) ومسلم في الجنة (۲۸۳۹) والنسائي في الجنائز (۲۰۸۳) وابن ماچة في الزهد (۲۸۸۳) وابن ماچة في الزهد (۲۸۸۳) وابن ماچة في الزهد (۲۸۸۳) وأحمد في مسنده (۲۳۷۶) من حديث عائشة رضمي عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : «تحشوين حفاة عراة غراق عراق عراق عراق الله ، الرجال والنساء ينظر بعضهم إلى بعض ۲ فقال : «الأمر أشد من أن يهمهم ناك».

ورواه البخارى في أحاديث الأنبياء (٢٩٤٩) ومسلم في البغة (٢٨٩٠) والترمذي في صفة القيامة (٢٤٤٧) وفي تفسير القرآن القرآن (٢٣٣٣) والنسائلُ في البخائدُ ((٢٠٨١) والدارس في الرفاق (٢٠٨١) وأحدد في سعده (٢٠٨١ ، ٢٠٩٧) من حديث ابن عباس من الذي قال المنافق نعيده عليناً المنافق نعيده عليناً عليناً المنافق المنافقة المنا

ررواه الدارمی فی الرفاق (۲۰۰۰) من حدیث ابن مسعود آن النبی ﷺ قبل له : ما المقام المحمود؟ قال : «ذاك بوم ينزل الله تعالی علی كرسیه یشط كما یشط الرجل الجدید من تضایقه به وهو كسعة ما بین السماء والأرض ، ویجاء یكم حفاة عراة غرلا فیكرن أول من یكسی إبراهیم یقول الله تعالی : اكسوا خلیلی فیوتنی بریطنین بهضاوین من ریاط الجنة ثم أكسی علی إثره ثم أقوم عن یمین الله مقاما یفوطنی الأولون والآخرون» .

(و ٧) ربي غضب غضبا لم يغضب قبله مغله :

رواه البضاري في أحاديث الأنبياء (۱۳۷۰) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: كنا مع النبي ﷺ في دعوة فرقعت إليه الدراح – ركانت تعجبه – فنهس منها نهسة وقال: «أنا سيد القوم يوم القيامة، هل تدرون بم يجمع الله الأولين والأخرين في مسعيد راحد فيمصرهم الناظر ويصمعهم الداعي وتدنيق منهم الشمس ، فيقول بعض الناس : ألا ترون إلي ما أنتم فيه إلي ما بلخكم ، ألا تنظرين إلى من يشفع لكم إلى ربكم فيقول بعض الناس : ايركم آلم ، فيأثرية فيقيلون : يا أمم ، أنت أبو البشر خللك الله بهده وفيفة فيك من ربعه وأصر الملائكة قسجدوا لك وأسكتك الجينة ألا تشفع لمنا إلى ربك ألا ترى ما نمن فيه وما بلغذا ، فيقول : ربى غفس غضبا لم يغفس قبله مثله دولا يفضس بعده مثله ، ونهائى عن الشجرة فعصيته ، نفسى غضى ، أنفيوا إلى غيرى ، اذهبوا إلى نوح ، فيأتون نوسا فيقولين : يا نوح ، أنت أبل الرسل المنافق الا تشفع لنا إلى ربك فيقول: . يا شعد المرافق الله عبدا حكوراً أما تري إلى ما نحن فيه ، ألا تري إلى ما بلغنا ألا تشفع لغنا إلى ربك فيقول: . ويا الوبي المنافق المنافق المنافقة المنافقة المنافقة المنافقة المنافقة على المنافقة على المنافقة المنافقة المنافقة على المنافقة المن

(٢١) في ظلال القرآن للأستاذ سيد قطب ٣/ ٤٨٢.

(٢٢) في طلال القرآن دار الشروق المجلد ٦ ص ٣٨٣٩.

(٢٣) تفسير جزء عم للشيخ محمد عبده ، دار الشعب من ٢٧ .

(٧٤) في حديث بالتليفزيون في برنامج «نور على نور» ، وقد سجلته شركة صوت القاهرة للصوتيات ، وطرحته للبيع .

٠ (٢٥) تفسير جزء عم للشيخ محمد عبده.

(٢٦) تفسير جزء عمَّ ، كتاب الشعب من ٢٣ .

(٢٧) التفسير القرآني للقرآن ، عبد الكريم الخطيب ، المجك الثامن ص ١٤٧٢.

(٢٨) قارن بكتاب: في رحاب التفسير عبد الحميد كشك المجلد التاسم ص ٧٨٨٠.

(٢٩) تفسير النسفى ٤/٢٥٣.

(٣٠) في ظلال القرآن للأستاذ سيد قطب ٣٠/ ٤٩١.

(٣١) تفسير في ظلال القرآن نقلا عن كتاب: الله والعلم الحديث، للأستاذ عبد الرزاق نوفل.

(٣٢) تنسير في ظلال القرآن نقلا عن كتاب: العلم يدعو إلى الإيمان.

(٣٢) تفسير في ظلال القرآن نقلا عن كتاب: الله والعلم الحديث.

(٣٤) في ظلال القرآن: نقلا عن كتاب (الله والعلم الحديث) مع التلخيص والتصرف.

(٣٥) ثلاث من كن فيه وجنا حلاوة الإيمان :

رواه البضارى فى الإيمان (٦٦، ٢١) وفى الإكراه (١٩٤٦) ، وصلم فى الإيمان (١٤) والترمذى فى الإيمان (١٣٥٠) ، والنسائى فى الإيمسان (١٩٨٨) وابن ماجــة فى الفنن (٢٠٤١) وأحدد فى مسـنده (١٩٩٩) من حديث أنس بن مالك رضى الله عنه ، عن النبي ﷺ قال : وثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان . أن يكون الله ورسوله أحب إليه معا سواهما ، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله ، وأن يكره أن يعود فى الكفر كما يكره أن يقذف فى الفار».

(٣٦) يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل والتهار:

رواه البخاري في مواقيت المسلاة ((90) ، وفي التوجيد (٧٤٩ ، ٢٧٤٨) ، وسلم في المسلجد (٣٣٦) ، والنسائي في المسلحة (643) ، وأحد (٢٧٣٠) ، والنسائي في المسلحة (643) ، وأحدث أبي هروية بلذفا : «يتمالقبون في الأنداء للمسلاة (420) ، ومن حديث أبي هروية بلذفا : «يتمالقبون المسلحة (420) ، ولي تأسير القارآن (٧٤٧١) ، ويتمال في المسلحة (420) ، ولي تأسير القارآن (٧٤٤) ، وليما في المسلحة (420) ، والمسلحة (420) ، والمسلحة في المسلحة (420) ، والمسلحة المسلحة في المسلحة (420) ، والمسلحة (420) ، والمسلحة

(٣٧) يابني هاشم أنقذوا أنفسكم من التار:

رواه مسلم في الإيمان (٣٠٣) ، والترمذي في تفسير القرآن (٣٠١)، والنسائي في الوصايا (٣٥٨٤) ، وأحمد (٢٠٨١، ٢٧٢٧ . ٨٣٧١).

(٣٨) اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت :

ر وإه البخاري في الدعوات (٢٠٣٠/ ١٩٣٠) والنسائي في الاستعادة (١٩٣٧) وأحمد في مستده (١٩٦٦٧) من حديث شاد بر أي ابن بلقط: «اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خالمتني وأنا عبداه ...ه الحديث .

ورواه ابن ماجة في الدعام (٣٨٧٧) من حديث بريدة بلفظ: «اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك ... الحديث.

(٣٩) قال الترمذي: حسن صحيح ، وللحديث روايات أغرى بألفاظ قريبة في المعنى .

- (٤٠) تفسير المراغي للأستاذ أحمد مصطفى المراغي ، ط ٣ ، مصطفى البابي الطبي ، ٣٠ /٨٢.
 - (٤١) تفسير جزء عم ، للأستاذ محمد عبده، الطبعة السادسة مطابع الشعب ، ص ٣٧ .

(٤٢) قوموا إلى سيدكم:

رواه البضارى في الجهاد (٣٠٤٣) ومسلم في الجهاد (١٧٦٨) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: لمنا نزلت بنر قريفة على حكم سعد – هو ابن معاذ – بعث إليه رسول الله ﷺ وكان قريباً مثة فجاء على حمار، فلما دنا قال رسول الله ﷺ: قوموا إلى سيدكم: . فجاء فجلس إلى رسول الله ﷺ فقال له: «إن هؤلاء نزلوا على حكمك:، قال: فإنى أحكم أن تقتل المقاتلة وأن تسبى الذرية، قال: «لقد حكمت فيهم بحكم الملك».

. (٤٣) من أحب أن يمثل له الرجال قياما :

رياه أبو داود فى الأدب (٧٣٩ه) والتردذى فى الأدب (٧٣٥٥) عن أبي مجاز قال: هرج معاوية على ابن الزبير وابن عامر فقام ابن عامر وجلس ابن الزبير فقال معاوية لابن عامر: اجلس فإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: ومن أحب أن يمثل له الرجال قياما فليتبرأ مقدد من الناره .

- (٤٤) تفسير المراغى للأستاذ أحمد مصطفى المراغى المجاد الماشر الجزء ٣٠ ص ٧٥ دار الفكر للطباعة والنش والتوزيع .
 - (٤٥) تفسير القرمليي ويه مزيد من القول في ذلك الموضوع .
 - (٤٦) تفسير جزء عم للأستاذ الإمام محمد عبده ، دار الشعب ص ٣٨ .
 - (٤٧) مختصر تفسير ابن كثير تحقيق محمد على الصابرني المجلد الثالث ص ٦٩٧.
 - (٤٨) في ظلال القرآن للأستاذ سيد قطب ٣٠/٩٨.
 - (٤٩) رواء الإمام أحمد بإسناده عن عبد الله بن الزبير عن عائشة ، وهو صحيح على شرط مسلم ولم يخرجه .

(٥ ٩) من توقش الحساب هلك :

رواه البخارى فى العلم (۱۰۳) وفى التفسير (۴۶۳) وفى الزفاق (۱۵۳۳) ومسلم فى الجنة (۲۷۷۳) وأبو داود فى الجنائز (۲۰۹۳) والترمذى فى صفة القيامة (۲۶۲۷) وفى التفسير (۲۳۳۷) وأحد فى مستده (۲۳۲۸) من جديث عائشة أن النهى ﷺ قال: «من حوسب عذب». قالت عائشة: فقلت: أو ليس يقول الله تعالى: ﴿وَفَسُوفَ يَحاسَبُ حَسَابًا يسيرا﴾ قالت: فقال: «إنما ذلك العيض، وإكن من توقش الحساب يهاك».

(٩ ٩) اللهم حاسيني حسابا يسرا : ١

رواه أحمد في مسنده (٣٣٦٩٥) من حديثِ عائشة بلفظ: «اللهم حاسبني حسابا يسيرا» ، فلما انصرف قلت : يانبي الله ... الحديث .

(87) سترتها عليك في الدِنيا:

رواه البختارى فى المطالم (٤٤١) ومسلم فى الثوية (٢٧٦٨) من حديث صفوان بن محرر المازنى قال: بينما أنا أسفى مع ابن عمر رضى الله عنهما آخذ بيده إذ عرض رجزاً فقال: كيف سمعت رسول الله ﷺ يقول فى النّجرى فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله يدنى العرّمن فيضع عليه كنفه ويستره ، فيقول: أتعرف ذنب كذا؟ أتعرف ذنب كذا؟ فيقول: : نعم أى رب ، حتى إنا قرره بذنويه ورأى فى نفسه أنه هلك ، قال : سترتها عليك فى الدنيا وأنا أعفرها لك اليوم ، فيعطى كتاب حسناته ، وأما الكافر والشفافق فيقول الأشهاد : مولاء الذين كنبوا على ريهم ألا لدقة الله على الظالميزي .

(٥٣) مختصر تفسير ابن كثير تحقيق محمد على الصابوني ٣ / ٦٢٠.

(٤٥) جاء في تفسير البحر المحيط ما يأتي:

رإنما ذكر الأوصناف التى يستحق بها تعالى أن يؤمن به ، وهى كونه (عزيزا) أي : غالبًا قادرًا يخشي عقابة . (حميدًا) أي : مندما يجب له الحمد على نعمه ﴿ له ملك السماوات والأرض﴾ أن : وكل من نيهما يحق عليه عبادته والنشوع له ، وإنما ذكر ذلك تقريرًا ، لأن ما نقموه منهم هو الحق ، ولا ينقمه إلا مبعل منهمك في الفيّ والضلال .

(٥٥) في خالال القرآن ، الأستاذ سيد قطب ، دار الشروق المجلد ٦ من ٣٨٧٤.

(٥٦) يقرأ في العشاء الآعرة :

رواه آحمد فى مسئده (٨٩٣٧) من حديث أبى هرورة بلفظ: يقرأ فى العشاء الآخرة بالسماء ، يعنى : ذات البروج ، والسماء والطارق .

(٥٧) أمر أن يقرأ بالسمارات في العشاء :

رواه أحمد في مسنده (٨١٣٣) من حديث أبي هريرة بلفظ: أمر أن يقرأ بالسماوات في العشاء.

(Aه) وقال الشحاك : مم قوم من النصاري كانوا باليمن قبل ميّحث رسول الله ﷺ بأريمين سنة، أعدّهم يوسف بن شراحيل ابن تُبُع المميري ، وكانوا نيفًا وثمانين رجلاً ، وهنر لهم أعدوبًا وأحرقهم فيه .

(۹۹) تفسیر ابن کثیر: ۱/۹۹۹.

(۱۰) التفسير المنير في المقيدة والشريمة والمنهج ، الأستاذ الدكتور رفية الرحيلي دار الفكر المعاصر بيروت لبنان ، الجزء ١٥٢/٣٠ – ١٥٢.

(٦١) تفسير المراغي ٣٠/ ١١٥ نقلا عن تقرير للدكتور عبد الحميد العرابي وكيل مستشفى الملك سابقا .

(٦٢) في خالال القرآن ٣٠/ ١١٩.

(٦٣) كتاب الله فيه نبأ ما كان قبلكم:

رواه الترمذي في فضائل القرآن (٣٠٩) ، والدارس في فضائل القرآن (٣٣٣) ، وأحمد (٢٠٩) من حديث على بن أبى طالب ـ ذال الترمذي : هذا حديث غريب لا تعرفه إلا من هذا الرجه وإسناده مجهول وفي الحارث مقال ـ فال السيوطي في طائري : وأخرج ابن أبي شبية والدارس والترمذي وضعفه وابن جرير وابن أبي حاتم وابن الأنباري في المصاحف وابن مرارويه والبهيقي في شعب الإيمان عن على ـ فذكره .

(٤٤) نهى أن يطرق الرجل أهله طروقًا :

رواه البشارى فى النكاح (٤٨٤٢) ، ومسلم فى الإمارة (٣٥٥٧ ، ٣٥٥٧) ، وأبو داود فى الجهاد (٣٣٩٥) ، وأحمد (١٣٧٧) .

(٩٥) ومن طوارق الليل والنهار:

رياه مالك في الموطأ كتاب الجامع (١٧٧٣) من حديث يحيى بن سعيد أنه قال : أسرى برسول الله ﷺ فرأى عقريقا من الجون ا الجن يطلبه بشطة من نار كلما التفت رسول الله ﷺ وآء فقال له جبريل : أفلا أعلمك كلمات تقولهن إنا قلتهن طفئت شملته وغر لفيه ، فقال المجاريل : فقل : أعرذ بوجه الله الكريم ويكلمات الله التامات اللائي لا يجارية من بور لا فاجر من شرما يغزل من السماء وشرما يعزج فيها ، وشرما نرأ في الأرض وشرما يغزج منها ، ومن منا نرأ في الأوض وشرما يغزج منها ، ومن ما نرأ في الأرض وشرما يغزج منها ،

(٢٦) يقرأ في العيدين وفي الجمعة يسبح :

رياه مسلم في الجمعة (٨٧٨) من حديث النعمان بن بشير قال : كان رسول الله ﷺ بقرأ في العيدين وفي الجمعة بسيح اسم ريك الأعلى ، وهل أتاك حديث الفاشية ، قال : وإذا اجتمع العيد والجمعة في يرم واحد يقرأ بهما أيضا في المسلانين .

(٦٧) كان رسول الله ﷺ يحب هذه السورة :

رواء أحمد في مسنده (٧٤٤) من حديث على رضى الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ يحب هذه السورة: ﴿سبح اسم ربك الأجلى﴾ .

(١٨) تفسير جزء عم ، سورة الأعلى ، ص ٥٢ .

(٩٩) اجعلوها في ركوعكم:

رياه أبر داود نى المسلاة (١٩٦٨) وابن ماجة فى إقامة المسلاة (٨٨٧) وأحد فى مسنده (١٩٩٦) من حديث عقبة بن عامر قال: لما نزلت ﴿ فسبح باسم ربك العظيم﴾ قال رسول الله ﷺ: واجعلوها فى ركرعكم، الما نزلت ﴿ سبح اسم ربك الأعلى﴾ ، قال رسول الله ﷺ: واجعلوها فى سجودكم، .

(٧٠) في طلال القرآن ٢٠/ ١٧٤.

(٧٩) في ظلال القرآن ٢٠/ ١٣٥ نقلا عن كتاب (الإنسان لا يقوم وحده) للعالم وأ. كريس موريسون» رئيس أكاديمية الحلوم بنيويوركه ، وقد ترجم الكتاب الأستاذ الإمام محمود ممالح الفلكي بعنوان (العلم يدعى|لي الإيمان) .

(٧٢) تفسير جزء عم ، للأستاذ محمد عبده ، سورة الأعلى من ٥٢ .

(٧٣) أن يشاد الدين أحد إلا غلبه :

رواه البخارى فى الإيمان (٣٩) والنسانى فى الإيمان (٣٠ ه) من حديث أبنى هريرة عن النبى ﷺ قال : «الدين يسر ، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه ، فمددوا وقاربوا وأبشروا واستمينوا بالفدوة والريحة وشيء من النلبغة» .

(٧٤) لا تشددوا على أنفسكم فيشدد عليكم:

(va) المذبت : هو الذي يجهد دابته في السير حتى تموت.

(٧٦) إن المنبت لا أرضا قطع :

ذكره السيوطى فى الجامع الصنير (٢٠٠٩) ورمز لضعف . قال المنارى فى النيف : قال الهجلمي : وفعه يحبى بن المتوكل أبن عقيل وهو كتاب . انتهى . ورواء البيهقى فى السنن من طرق وفيه اغسطراب روى موصولا ومرسوماً ومؤرفياً وانسطراب فى الصحابي أهو جابر أن عائشة أن صرة ويجع البجارى فى التاريخ إرساله . قال العجارتى فى كشك المقادة : وراه الابزار والمحاكم فى علومه والبهبقى وابن طاعر رأبد تميم والقضاعى والعسكرى والمطابى فى العزاز عن جابر مؤرمًا بلفظ : عزان هذا الدين متين فأويهفى وابن طاعر رأبد تميم والقضاعى والعسكرى والمطابى فى العزاز الم قتلم ولا ظيرا أبقى و المطلف فى إرساله وصاف .

(٧٧) رحم الله رجلاً سمحا إذا باع:

رواه البخارى في البير ((٧٠٧) وابن ماجة في التجارات (٧٠٣) من هديث جابر بن عبد الله رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: هرهم الله رجلا سمما إذا باح وإذا أطنري وإذا اقتضىء .

(٧٨) المؤمن يألف ويؤلف:

رواه أحمد في مستده (۲۲۳۲۳) من حديث سهل بن سعد الساعدي قال : قال رسول الله ﷺ : «المؤمن مألفة ولا هيو فيمن لا يألف ولا يؤلف» .

ورراه أحمد فى مسنده أيضنا (٨٩٤٥) من حديث أبى هريرة أن النبى ﷺ قال : والمؤمن موَّلك ولا خير فيمن لا بألف - لا تألف».

(٧٩) اللند في الخصومة: تجاوز الحد والتقول على الخصم بالحق والباطل، وفي البخاري: وثلاث من كن فهه كان منافقة: إذا حدث كتب وإذا وعد أعلف وإذا اؤتمن خارَم، وفي رواية: وإذا عاهد غدر وإذا غناصم فجر، وفي القرآن ﴿ومِن الناس من يحبدك كتب وإذا وعد أعلف وإذا يوبينه الله على ما في قلبه وهو ألد الخصام﴾ (البقرة: ٤٠٢)، والفجور في الخضومة هو الشدة واللدد والادماء على الخصم بالحق والباطل، والمؤمن نزيه وممادق حتى في خصومة،

(٥ ٪) إِنَّ أَيْفُورِ الْرَجَالِ إِلَى اللَّهُ الْأَلَدُ الْخَصِيمِ :

رياه البخاري في المظالم (٤٥٧) ومسلم في العلم (٢٦٦٨) من حديث عائشة رضي الله عنها ، عن النبي ﷺ قال : وإن أيفض الرجال إلى الله الألد القصيم .

- (٨١) تفسير النيسابوري بهامش تفسير الطبري ٣٠/٧٧ ، طبعة بولاق .
 - (٨٢) تفسير جزء عم للأستاذ محمد عبده ، سورة الأعلى من ٤٥.

(۸۳) پشروا ولا تطروا ويسروا ولا تعسروا :

رواه البخارى في العلم (١٩) من حديث أنس بن مالك عن النبي ﷺ قال: «يسروا ولا تعسروا ، ويطروا ولا تغفروا» ويراه مسلم في الجهاد (١٩٧٨) أوبو داود في الأدب (١٩٧٥) وأحدد في مسئده (١٩٧٨) من حديث أبنى موسى قال: كان مسلم في الجهاد (١٩٧٨) من حديث أبنى موسى قال: كان مسلول الله ﷺ إذا بعث أمدا من أصحاب في بعض أمره قال: «يعرفروا ولا تنفروا ، ويسروا ولا تعسروا» . ويراه البخارى في الأخرية (١٩٧٣) وأصحد في مسئده (١٩٧٠) من حديث أبنى موسى قال: أما بعث رسول الله ﷺ وعماد بن جهل قال لهما: «يسرا ولا تنصرا ، ويشرا ولا تنظرا وتطارعاء قال أبن موسى : با رسول الله ، إذا بلوض يصد فيها خراب من العمل يقال له المجتر ، وخراب من الشمور يقال له المتر ، فقال رسول الله ؛ إذا بلوض يصد

(84) ما أنت بمحدث قوما حديثا :

رواه مسلم في المقدمة من حديث عبد الله بن مسعود قال : ما أنت بمحدث قرما حديثا لاتبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة .

(٨٥) حدثوا الناس بما يعرفون :

رواه البضارى فى العلم (٧٧٧) قال : وقال على : حدثرا الذاس يما يعرفون أتحيون أن يكذب الله ورسوله . حدثنا عبيد الله بن موسى عن معروف بن غربوذ عن أبى الطفيل عن على يذلك .

(٨٦) إنَّ الجير إذا قلفَ به في القلب اتسعُّ له الصغر والشرح :

قال السيوملي في الدر المنظور: وأخرج ابن مردويه عن عبد الله بن مسعود رضمي الله عنه قال: تلا رسول الله 騰 قدّه الأية ﴿ أَمَن شَرِح الله مسره للإسلام فهو على قور من ربه ﴾ فقلنا: يا رسول الله، كيف انشراح صدره؟ قال: وإذا محل الغور القدام نار الغرور، والقدامب للموت قبل نزول الموته، قال العراقي في تخريج الإحياء: رواه الحاكم في المستدرك من حديث ابن مسعود.

(٨٧) من أحب دنياه أضر بآخرته :

رواه أحمد ثى مسنده (١٩٩٩ه) من حديث أبى موسى الأشعرى أن رسول الله ﷺ قال : «من أحب دنياه أغس بأخرته، ومن أحب أخرته أضر بدنياه ، فاتروا ما يبقى على ما يفنى بر.

(٨٨) تفسير جزء عم ، للأستاذ الإمام محدد عبده ، ص ٨.

(٨٩) في ظلال القرآن ، نقلا عن فصل التناسق الفتي في كتاب التصوير الفني في القرآن ، بتصرف .

(٩٠) التفسير القرآني للقرآن – عبد الكريم الشطيب المجاد الثامن الجزء ٣٠ من ١٥٤٠.

(٩٩) تفسير جزء عم للأستاذ الإمام محمد عبده ، سورة الفجر .

(٩٢) تفسير المراغى ، للأستاذ أحمد مصطفى المراغى ٣٠/٣٠ مطبعة مصطفى البابي الطبي بمصر.

(٩٢) في طلال القرآن للأستاذ سيد قطي ٢٠/٧٥٠ ، يتصرف .

(٩٤) يتعاقبون فيكم ملاتكة بالليل:

رواء البخارى فى مزاقيت الصلاة (٥٥٥) ، وفى الترميد (٢٤٦٩، ٢٧٤٨، ومسلم فى العماهر (٢٣٦) ، والنسائى فى الصلاة (٤٨٥) ، وأحد (٢٩٣٦، ٢٩٣٦، ١٩٩٣، ، ومالك فى النداء للمسلاة (٤١٣) ، من حديث أبى هرورة بلفظ: «يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة باللهار ...» الحديث .

(٩٥) ما من أيام العمل الصالح فيهن :

ر وإه الترمذي في المدرم (٧٥٧) وأبر داو. في المديام (٣٤٣) وابن ماجة في المديام (١٧٢٧) من حديث عبد الله بن عباس بلفظ: « ما من أيام العمل الممالح فهين أحب إلى الله من هذه ... « الحديث .

(٩٢) اللهم غارت المعوم وهدأت العوث :

قال الميشمي في السجعيد : من زيد بن ثابت قال : أصابتي أرق من الليل فذكوت ذلك إلى رسول الله ﷺ فقال : وقار : اللهم غارت الشجوع وهدأت العيون وأنت حي قهوم ، يا حي يا قيوم أنم عينني وأهدئ ليليء فللتها فذهب عنى ، وقال : وواه الطيراني. وفيه معرو بن الحصين المقيلي وهو متروك ، وذكره مالك في الموطأ كتاب النداء للصلاة فقال: وحدثني من مالك أنهم بلغهم أن أبا الدرياء كان يقوم من جوف الليل فيقول : نامت العيون وغارت النجوم وأنت الحي القيوم ... فذكره مكذا من قبل أبي الدرياء ، وقال المأفظ ابن حجر : لم أقف على من رسله ، ولا أسنده ابن عبد البر مع تتبعه لذلك ... إلى . القدرمات الريانية ٢/ ١٧٧،

(٩٧) إن الله ليملي للطالم ، حتى إذا أخله ثم يفلته :

رواه البخارى فى التفسير ، باب قوله : ﴿ وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القري وهى خالمة إن أخذه ألهم شديد﴾ (٩-٤٤٤) ومسلم فى البروالصلة والأداب ، باب : تحريم الظام (٢٥٨٣) وابن ماجة فى الفتن باب الحقوبات (٢٠٠٤) من أمى موسى رضي الله عند قال : قال رسول الله ﷺ : وإن الله ليملى للظالم ، حتى إذا أخذه لم يطلقه قال : ثم قرآ : ﴿وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرئ وهى ظالمة إن أخذه ألام شديد ﴾

(٩٨) إن الله ليملي للطائم ، حتى إذا أخذه لم يقلته :

انظر ما قبله .

(49) أنا وكافل اليتيم:

ر وله لايشفارى فى الطلاق (۲۰۰۶) ، وفى الأنب (۲۰۰۵) ، والتريذى فى الدر والصلة (۱۹۹۸) ، رأيو داود فى الأدب (۱۹۰) ، ولعند (۲۲۲۱۷) ، من حديث سهل بن سعد ، وقال التريذى : حين معجره . ومالك فى الجامع (۱۷۲۸) بلاغاً .

(٩ . ٩) خير بيت في المسلمين :

رواء ابن ملجة في الأدب (٣٦٧٩) من حديث عبد الرحمن بلفظ: دخير بيت في المسلمين بيت فيه يقيم يحسن إليه وشر بيت ... الحديث .

- (۱۰۱) تفسير النيسابوري بهامش تفسير الطيري ۳۰/۳۰.
 - (١٠٢) انظر تفسير النيسابوري للسورة ٢٠/٣٠ .
 - (١٠٣) انظر تُفسير النسفى ٢٦٧/٤ .
- (١٠٤) تفسير جزء عم للشيخ محمد عبده ص ٩٦ مطبعة الشعب.
 - (١٠٥) تفسير جزء عمُّ للشيخ محمد محيى الدين عبد الحميد.

٠ (٢ ، ٢) اخر الكم جعلهم الله تحت أيديكم :

رواه أبر داود في الأدب (١٩٥٨) والترمذي في البر والسلة (١٩٤٥) وابن ماجة في الأدب (٣٦٩٠) وأحدد في مستده (٠٠٠ ٣) من حديث جندب بن جنادة بلفظ: «إخوانكم جعلهم الله تحت أيديكم فمن كان أخوه تحت بديه ...» الحديث.

(٧ ، ١) ترى المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم :

البخاري في الأدب (٢٠١١)، ومسلم في الدر والصلة والأداب (٣٥٦٦)، وأحمد (١٧٦٤٨، ١٧٦٤٨) من حديث النعمان ابن بشير قال: قال رسول الله ﷺ، وترى المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتحاطفه كمثل الجسد إذا اشتكى عضو تداعى له سائر جسده بالسهر والحمر»:

(۱۰۸) من نقس عن مؤمن كرية من كرب :

رواه مسلم في الذكر (٢٦٩٩) من حديث أبي هرورة قال : قال رسول الله ﷺ: ومن نفس عن مؤمن كرية من كرب الدنيا نفس الله عنه كرية من كرب يوم القيامة ، ومن يسر علي معسر يسر الله عليه في الدنيا والأعرة ، ومن ستر مسلما ستره الله في الدنيا والأعرة ، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه ، ومن سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له يه طريقا إلى البهنة ، وما لجتمع قوم في بيت من بيون الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحقتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده ، ومن بطأ به عمله لم يسرح به نسبه ».

- (١٠٩) في ظلال القرآن للأستاذ سند قطب ٣٠/ ٢٧٠ .
 - (۱۱۰) في ظلال القرآن ۳۰/۲۷۰.

(١١١) كل الناس يغدو ، فباتح نفسه فمعظها :

رواء مسلم في الطهارة ، باب فضل الوضور (٢٣٧) ، والترحذي في الدعوات (٣٥٨٧) والنسائي في الزكاة ، وابن ماجة في الطهارة (٣٥٨٧) ، وأحد (٢٣٣٥) . من حديث أبي مالك في الطهارة (٣٥٠) ، وأحد (٢٢٣٥) . من حديث أبي مالك الأشيري . وتمام لفظه "«الطهور شطر الإيمان ، والحمد لله تمالاً الميزان ، وسبحان الله والحمد لله تمالاً أن أو تمالاً ما بعن السمارات والأرض ، والصلاة فور ، والصدفة برهان ، والصبر ضياء ، والقرآن حجة لك أو عليك ، كل الذاس يقدو فبائح نفسه فمعتقها أو موبقهاء .

(٩ ٩ ٩) ما من يوم يصبح فيه العباد إلا ملكان ينزلان:

رواه البخارى فى الزكاة (۱٤٤٣) ، ومسلم فى الزكاة (١٠١٠) وأحمد (٢٩٩٣) من حديث أبى هريرة . ورواه أحمد (٢٩٢١٤) من حديث أبى الدرباء .

(١١٣) اعملوا فكل ميسر لما خلق له :

رواه البخارى في تفسير القرآن (۱۹۵۶)، وفي التوجيد (۲۰۵۷)، ومسلم في القدر (۲۰۱۷)، ۱۳۶۹)، والترمذي في القدر (۲۰۲۷)، وفي التجارات (۲۰۲۲)، وفي التجارات (۲۰۲۲)، وأحمد (۲۰۲۲، ۲۳۵۲)، من حديث على، وعمر، وعمران بن الحصين، وأبي حميد، وسراقة، وأبي يكر الصديق.

(١٩٤) أيكم مال وارثه أحب إليه من ماله :

رواه البضاري في الرقاق (٦٤٤٣) من حديث عبد الله بلفظ: «أيكم مال وارثه أحب إليه من ماله» ٦ قالوا : يا رسول الله ... الحديث.

(١١٥) دراسات في السيرة النبوية د. حسين مؤنس من ٧٨ طبعة بنك فيصل الإسلامي .

(١ ٢ ٩) أنا و كافل اليتهم:

تقدم تخريجه ، انظر هامش (٩٩) .

(١١٧) إن الناس لكم تبع:

رواه الترمذي في العلم (٢٦٠٠) وابن ماجة في المقدمة (٢٤٩) من حديث أبي سعيد الخدري بلفظ : إن الناس لكم تبع وإن رجالاً باترنكم من الطار الأرضين ... الحديث .

(١١٨) من لا يشكر الناس لا يشكر الله:

رواه أبو دارد في الأدب (٤٨١٩) والترمذي في البر (٤٥٠) (٧٥٤٧) (٨٨٠١ ، ٨٨٠١) من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «من لا يشكل الذام لا يشكل الله» . وقال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح - ودراه القرمذي في الدبر (٩٥٥) وأحمد في مسئده (١٩٨٥) من حديث أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: «من لم يشكل الله». وقال القرمذي : هذا حديث حسن صحيح ، ودراه أحدث من مسئده (١٩٧٨) من حديث التممان بن بشير قال: قال النبي في على المنبر و من لم يشكل القليل لم يشكل القليد ، ومن لم يشكل الفامات الم يشكل الله». لمنابعة الله تكثر ودركها كثر ، والجماعة رحمة والفرقة عذابه ، ورواه أحدث في مسئده (١٣٧٦) من حديث الأشحث بن قبس قال: قال الله ﷺ ولا يدكن الله من لا يشكل الله ، الأشحث بن قبس قال: قال الله ﷺ ولا يدكن الله من لا يشكل الله ، الأشحث بن قبس قال: قال

(١١٩) التفسير الفريد للقرآن المجيد للدكتور محمد عبد المنعم الجمال. ص ٣٣٢٥.

(١٢٠) في ظلال القرآن للأستاذ سيد قطب ٣٠/١٨٩ .

(١٢١) إن المؤمن يرى فلوبه :

ر واه الترمذي في صفة القيامة والرقائق (۲٤٩٧) وأحد في مسنده (٣٦٢٣) من حديث عبد الله بلنظ. إن المؤون برى نفريه كانه في أسل جبل يضاف أن يقع ـــ الحديث. (۲۷) انظر تفسير المراغى ، وتفسير جزء عم للشيخ محمد عبده ، وتفسير جزء عم للشيخ محيى الدين عبد الحميد ، وقد رجح هذا الرأى د. محمد سيد طُنطاوى فى تفسيره الوسيط ، وكذلك التفسير الوسيط بإشراف مجمع البحوث الإسلامية من ١٩٥٤.

(١٢٣) تفسير المراغى ، أحمد مصطفى المراغى ، الجزء الثلاثون عن ١٨٩ .

(۱۷۶) روى هذا القول عن ابن عباس وعكرمة ، حتى قال عكرمة : من جمع القرآن لم يردُ إلى أرذل العمر ، واستشهدوا بقوله تعالى : ﴿ ومن نعمره ننكسه فى الملق﴾ (يس : ۱۸). -

حيث يتحول الإنسان من القرة إلى الضعف ، وحيث يتقرُّس ظهره بعد اعتداله ، ويبيض شعره بعد سواده ، ويضعف سمعه ويصرُه ، فسئهه دليف كالعقيدُ ، وصوته خافت .

قال تعالى : ﴿الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة يخلق ما يشاء وهو العلوم القدير﴾ (الروم: ٤٥) .

(١٢٥) مختصر تفسير ابن كثير تحقيق محمد على الصابوني المجلد الثالث ص ١٥٥٠.

(٢٦٦) التفسير الوسيط تأليف لجنة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر.

(٢٧٧) أهرجه الشيخان والإمام أحمد واللفظ له . وانظر مختصر تفسير ابن كثير اختصار وتحقيق محمد على الصابوني المحلد الثالث ص. ٢٥٦.

(۲۸) يا عبادي إلى حرمت الظلم على نفسي :

رواه مسلم في البر والصلة (۲۵۷۷) ، وأحمد (۵/ ۲۵۶ ، ۲۰۰ ، ۲۷۷) ، والترمذي (۲۶۹۵) ، وابن ماجة (۲۲۷۵) ، وعبد البرزاق (۲۰۲۷) من حديث أبي ذر .

(٩ ٣ ٩) أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد : .

رواه مسلم في الصالاة (٤٨٢) وأبر داود في السالاة (٨٧٥) والنسائيُّ في الافتتاح (٢٢٦/٢).

(١٣٠) إني أريت ليلة القدر ثم أنسيتها :

رواه البضارى فى صلاة التراويح (٢٠١٦) من حديث سعد بن مالك بلفظ: «إنى أريت ليلة القدر ثم أنسيتها أو نسيتها فالتمسوها ...» الحديث.

(١٣١) إني أريت ليلة القدر ثم أنسيتها :

انظر ما قبله .

(١٣٢) إذا دخل العشر أحيا الليل:

رواه البخارى في صلاة التراويح (٢٠٢٤) ومسلم في كتاب الاعتكاف (١١٧٤) وأبو داود في الصلاة (١٣٧٦) وأحمد في مسنده (٢٣٦١١) من حديث عائشة بلفظ: إذا دخل العشر أحيا الليل وأيقظ أهله وجد وبشد المذرر... الحديث.

(١٣٢) قولي اللهم إنك عقو كريم:

رواه النرمذي في الدعوات (٥١٣) وابن ماجة في الدعاء (٧٨٥٠) وأحمد في مسنده (٧٤٩٦٧) من حديث عائشة بلفظ: «قولي اللهم إنك عفو كريم تحب المعفو فاعف عني...» الحديث

(١٣٤) تفسير المراغى للأستاذ أحمد مصطفى المراغى ٣٠/ ٢١٥ مطبعة مصطفى البابي الحلبي، الطبعة الثالثة.

(٩٣٥) إن الله أمرني أن أقرأ عليك :

رواه البخارى في تفسير القرآن (٩٠٩) ومسلم في صلاة المسافرين (٧٩٩) من حديث أنس بن مالك بلفظ: «إن الله أمرتي أن أقرآ عليك لم يكن الذين كلاوا ...» للحديث

(١٣٦) لو كان موسى حيا :

أخرجه على القارئ في الأسرامِ المرفوعة (٢٩، ٢٩٢).

(١٣٧) وأنا العاقب:

رواه البيضارى فى تفسير القرآن (٤٨٦٦) وبسلم فى الفضائل (٢٣٥٤) والترمذى فى الأب (٤٨٤٠) وأحمد فى مسنده (١٦٧٩٣) من حديث جبير بن مطمع رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : وإن لى أسماء : أنا محمد ، وأنا أحمد وأنا الماحى الذى يمحو الله بى الكفر ، وأنا الحاشر الذى يحضر الذاس على قدسى ، وأنا العاقبه .

(٩٣٨) ليس الإيمان بالعمني:

ذكره السيوخي في الجامع الصنير (٧٥٧٠) وعزاه لابن النجار والديامي في مستد الغربوس عن أنس، وقال السهوطي في «الدر المنظور» و أخرج ابن أبي شهية عن الحسن قال : إن الإيمان ليس بالتملي ولا بالتمني ، إن الإيمان ما وقر في إذلك ومدقه العمل ، فذكره مكذا موقوفًا .

(۱۳۹) هل تروجت يا فلان:

رواه الترمذى فى فضائل القرآن (۲۸۹۷) من حديث أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال لرجل من أمسعايه : هعل تزرجت با فلارك، ٣ قال ١٠ و الله بار سول الله ولا عندى ما أنزرج به ، قال : فأبس معله قل هو الله أحده ؟ قال : بلي، قال ، «لات القرآن» قال : وأيس معك إذا جاء نصر الله والفتح ؛ قال : بلي ، قال : «ربع القرآن» ، قال : «أنس معله قل به إنها التكافرون»؟ قال : بلي ، قال : «ربع القرآن» قال : «أنيس معك إذا وارات الأرض» ؟ قال : بلي ، قال : «ربع القرآن» قال : «قررج» .

قال أبر عيسى : هذا حديث حسن .

(• ٤ ٩) تقيء الأرض أفلاذ كينها أمثال الأسطوان :

رواه مسلم في الزكاة (۱۰۲۳) والترمذي في الفنن (۲۲۰۸) من حديث أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : متقيء الأرض أفلاذ كبدما أمثال الأسطران من الذهب والفضة فيجيء القائل فيقول : في هذا قتلت ، ويجيء القاطع فيقول : في هذا قطعت رحمي ، ويجيء السارق فيقول : في هذا قطعت يدي ، ثم يدعونه فلا يأحذون منه شيئاء .

(1 \$ 1) أتدرون ما أخيارها :

رواه المتردي في صفة القيامة (۲۶۲۹) وفي التفسير (۲۳۵۳) وأحدد في مسنده (۲۵۵۰) من حديث أبي هويرة قال: قرارسول الله ﷺ (وومئن تحدث أغبارها) قال: وأندرون ما أغبارهاء قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «فإن أغبارها أن تشفيه على كل عبد أو أمة بما عمل على ظهرها أن تقول: عمل كذا وكذا يوم كذا وكذا قال فهذه أغبارهاء.

قال أبو عيسى : هذا حديث حسن غريب .

(١٤٢) تفسير المراغى: أحد مصطفى المراغى ، الجزء الثلاثون ص ٢٣٠ دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، وقد ورد ذلك م مسا في تفسير حزء عم للإمام محمد عيده .

(١٤٣) أخرجه الشيخان واللفظ للبخاري.

- (١٤٤) أشرجه أحمد والنسائي .
 - (١٤٥) أخرجه البخاري .
- (١٤٦) أخرجه البخاري أيضاً.
 - (١٤٧) أخرجه أحمد .
 - (۱٤۸) أخرجه ابن جرير .
- (١٤٩) أشرجه ابن أبي حاثم.
- (١٥٠) أشرجه الإمام أحمد.
- (١٥١) انظر مختصر تفسير ابن كلير، تعقيق الصابوني المجلد الثالث ص ٦٦٦ ، ٦٦٧ .
- (١٥٢) تفسير جزء عم ، للأستاذ الإمام محمد عبده ، ص ٢٠٩ ، مطبعة الشعب الطبعة السادسة .
 - (١٩٣) مختصر تفسير ابن كثير محمد على الصابوني المجلد الثالث ص ٩٧٠.
 - (١٥٤) أشرجه ابن جرير.
 - (١٥٥) أخرجه مالك ورواه البخاري ومسلم يتحوه.
 - (١٥٦) أغرجه الإمام أحمد.
 - (١٥٧) أخرجه الترمذي وابن ماجة.
 - (١٥٨) أخرجاه في الصحيحين.
 - (۱۵۹) مقتصر تفسير ابن كثير المجلد الثالث ص ٩٧٠.
 - (۱۳۰) تفسير النسقى ٤/٢٧٩ .
 - (١٦١) يقول ابن آدم مالي مالي :

رواه مسلم في الزهد (۲۹۵۷) والترمذي في الزهد (۲۹۵۲) وفي التفسير (۳۳۵۶) والنساتي في الوصاييا (۳۱۳۳) وأحمد في مسنده (۱۵۸۷) من حديث مطرف عن أبيه قال: أتيت النبي ∰ وهو يقرأ ﴿ الهاكم التكافر ﴾ قال: يقول ابن آدم مالي مالي، قال: وهل لك يا ابن آدم من مالك إلا ما ما أكلت فأفنيت أو لبست فأبليت أو تصدقت فأمضيت.

(١٩٢) من أصبح منكم آمنا في صربه:

رواه الذرمذي فى الزهد (٣٣٤) وابن ماجة فى الزهد (٤١ ا ٤) من حديث سلمة بن عبيد الله بن محصن الخطمى عن أبيه وكانت له صحبة قال : قال رسول الله ﷺ : من أصبح منكم آمنا فى سربه معافى فى جسده عنده قرت يومه فكأنما حيزت له الدنيا » قال أبو عيسى : هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث مروان بن معاوية . وحيزت . جمعت

(١٦٣) انظر تفسير القرطبي للآية .

(١٦٤) التفسير الوسيط د. محمد سيد طنطاوي شيخ الأزهر ، الجزء الثلاثون ، سورة التكاثر من ١٩٨ .

(و ١٩) نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ :

رواه البخارى فى الرقاق (٦٤٢٧) والترمذى فى الزهد (٣٠٤٤) وابن ماجة فى الزهد (٤٧٠٩) والدارمى فى الرقاق (٧٠٧٧) وأحمد فى مسنده (٢٣٣١ ، ٢٧٢٩) من حديث ابن عباس يرفعه : «نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس : الصحة والفراخ» .

(١٦٦) مختصر تفسير ابن كثير المجلد الثالث من ٦٧٣ . ,

(١٦٧) في ظلال القرآن للأستاذ سيد قطب ٣٠/٥١]

(١٦٨) في خلال القرآن ٢٤٣/٣٠ ، بتصرف .

(١٩٩) لا تسبوا الدهر فإن الله هو الدهر :

رراه مسلم فى الألفاظ من الأدب (٣٢٤٦) وأحمد فى مستده (٨٨٩٣) من حديث أبى هريرة عن النبي 義 قال : «لا تسبوا الدهر فإن الله هو الدهر» .

(١٧٠) أوقد على النار ألف سنة :

رياه الترمذي في صفة جهنم (٢٥٩١) من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «أوقد على النار ألف سنة حتى لحعرت ثم أرقد عليها الف سنة حتى ابيضت ثم أوقد عليها ألف سنة حتى اسريت فهي سويام مظلمة».

وقال القرمذى: حدثنا سويد أخبرنا عبد الله بن المبارك عن شريك عن عامم عن أبى مسالح أو رجل آخر عن أبى هريرة نحره ولم يرفعه قال أبو عيسى - حديث أبى هريرة فى هذا موقوفًا أصح ، ولا أغلم أحدا رفعه غير يحيى بن أبى بكير عن شرك :

(١٧١) تفسير جزء عم للشيخ محمد عبده دان ومطابع الشعب ص ١٩٨٠.

(۱۷۲) مختصر تفسیر ابن کثیر ۱۷۵/۳.

(۱۷۳) انظر تفسير النسفي ٤/٠٨٠، وفي ظالال القرآن ٢٠٨٠/٠٠ ، وتفسير جزء عم للأستاذ الإسام محمد عبده هن ١٢٠، و تفسير المراقي للأستاذ أحمد مصمطفى المراقي ٣/٤٢/٣٠ ،

(۱۷٤) تفسير النيسابوري بهامش تفسير الطبري ٣٠ / ١٦٤.

(١٧٥) المرجع السابق ٢٠/١٦٥.

(١٧٦) تفسير جزء عم للأستاذ محمد عبده ص ١١٩ ، ١٢٠ .

(۱۷۷) في طَلال القرآن للأستاذ سيد قطب ٣٠/٦١٩.

(۱۷۸) المرجم السابق ، بتصرف ، ۲۷۲/۳۰ .

. ١٧٩] الآية ٧٥ من سررة المائدة وتمامها : ﴿ ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه مسيقة كانا يأكلان الطعام انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر أنى يؤتكون ﴾ .

والدياد أنهما من جنس البطر كانا يأكلان ويتخلصان من قضلات للطعام بالابول والغائط، ومن كان كذلك كان إنسانا مختابا للأكل والشرب وقضاء الصاجة، والاحتياج نقص والنقص على الله محال .

(٩٨٠) إنَّ الله حبس عن مكة القيل:

رواه البخارى في اللقطة (٢٤٢٤) ومسلم في الدعج (١٣٥٥) وأبو داود في المناسك (٢٠١٧) وأحمد في مسنده (٢٠٢١) من حديث أبي هريرة رضى الله عنه قال: لما فتح الله على رسوله ﷺ مكة قام في الناس قحد الله وأثنى عليه ثم قال: وإن الله حبس عن مكة الافيل وسلط عليها رسوله والمؤملين فإنها لا تحل لأحد كان قبلي وإنها أحلت لي ساعة من نهار وإنها لا تمل لأحد بعدى لا يعتر صيدها ولايقتل شركها ولا تحل ساقطتها إلا لمنشق ومن ثقل له قبل فهو بخير الغشرين إما أن يقدى وإما أن يقديه ، قال العباس : إلا الإذخر فإنا نبطة لقهورن اليهوتنا ، فقال رسول الله عند «إلا الإنخر» ، فقام أبو شاه رجل من أهل اليمن فقال "كتبوا لمي يا رسول فقال ﷺ : «كتبوا لأبي شاه» . ثابت

(١٨١) البداية والنهاية لابن كلير.

(١٨٢) انظر في ظلال القرآن ، المزء الثلاثون ، من ٦٧٤ ، ٦٧٥ . (اقتباس واختصار) .

(١٨٣) في ظلال القرآن ٣٠ /٧٦ .

(١٨٤) مختصر تفسير ابن كثير المجلد الثالث ٦٨٠. تحقيق محمد على الصابوني دار القرآن الكريم دمشق.

(١٨٥) في ظلال القرآن للأستاذ سيد قطب ٣٠/ ١٨٠.

(١٨٦) تفسير جڙء عم تاڙمام محمد عبده ص ١٧٤.

(١٨٧) في طلال القرآن ٣٠/ ١٨١. .

(١٨٨) المرجع السابق .

(۱۸۹) تفسير النيسابوري بهامش تفسير الطبري ۲۰/ ۱۹۷٤ ، طبعة بولاق .

(١٩٠) صفرة التفاسير معمد على الصابوتي ٢/٨٠٣ -- ٢٠٩ .

(١٩١) تفسير جزء عم للشيخ محمد عبده مطابع الشعب ١٧٤ .

(١٩٢) التفسير الكبير للإمام فضر الدين الرازى .

(١٩٣) تلك صلاة المنافق:

رواه مالك في القداء للصلاة (٩٢٦) ومسلم في المساجد (٩٢٢) وأبد داود في الصلاة (٤٦٣) والترمذي في الصلاة (٢٠٣) والترمذي في الصلاة (٢٠٣) والترمذي أن يدل على أنس (٢٠٠) والنسائي في المواقية (٢٠٠) وأحد في مستده (١٩٥٨) من حديث العلاء بن مالك في داره بالمجموعة المستود الله المستود المستود المستود المستود الله المستود الله في المستود الله في المستود الله في المستود الله المستود الله في المستود الله المستود المستود الله المستود المستو

ورواه البخاري في المواقيت (٥٤٩) مختصرا ولم يذكر فيه شاهد الحديث: «تلك صلاة المنافق ...»

(١٩٤) صفرة التفاسير مصد على الصابرتي ٢/ ١٨١.

(١٩٥) تفسير جزء عم ، للإمام محمد عبده ، ص ١٧٦، وقارن بتفسير النيسابوري ٣٠ / ١٧٥.

(١٩٦) تلسير النيسابوري " ١٧٦/٣٠ ، وقد أورد صفحات عدة في فضائله ﷺ ، وقد جمع الله له جموع خصائص الرسل أجمعون ، فقد أعطاء الله كتابا خالدا ، وكتاب أدم كان كلمات ، وأعطى إبراهيم ومرسى صحفا محدودة ، وكتاب محمد ﷺ مهمون على الجميع .

(١٩٧) المرجع السابق.

(١٩٨) تفسير النيسابوري بهامش تفسير الطبري ٣٠/ ٢٧٩ .

(١٩٩) تفسير جزء عم للإمام محمد عبده ص ١٢٨ ، مطبعة الشعب ، الطبعة السابسة .

(۲۰۰) نهر وعدنیه ربی عز وجل :

رواه مسلم هي الصلاة (* *) وأبر داود في الصلاة (4 / 2) وفي السنة (4 / 2) والنساني هي الافتتاح (5 * 4) من حديث . أدس قال : بينا رسول الله ﷺ ذات يوم بين أظهرنا إذ أغفى إغفاءة ثم رفع رأسه مقوسما فلانا: عا أضحكك يا رسول الله ؟ قال : طارئة على أنظ أسرية لقدراً بسم الله الرحمن الرحيم ﴿إِذَا تُماطِئاتُكُ الكور . فصل لويك وانصر . إن شانتك من الأبرون ما الكوري ، * فقلنا : الله ورسوله أتمام قال : طأنة نهو وعدته وبرع نوج والم خير كثير هي وصوف ترب عليه أمام قال : طأنة نهو وعدته وبرع نوج والم خير كثير هي حرض ترد عليه أمتى يوم القيامة الرئة عدد المنجرة فيضلة البعد مثم فأقول : رب إنه من أمتى فيقول : ما تدرى من المستود وقال : ما العدت بعدك .

(٢٠١) مفتصر تفسير ابن كثير المجاد ٣ من ٦٨٤. تحقيق معمد على الصابوني ،

(٢٠٢) انظر تفسير النيسابوري والبيضاوي، وتفسير المراغي، وتفسير الطبري ٢٠٤/٠٠.

(٢٠٣) قال تعالى : ﴿ وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا ولقد علمت الجنة إنهم لمحضرون ﴾ . (الصافات : ١٥٨).

وقال سبحانه: ﴿ وجِعُوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثنا أشهدوا خلقهم ستكتب شهادتهم ويسألون ﴾ . (الزخرف: ١٩).

(٤٠٤) هو أجل رسول الله :

رواه البخارى في المفازى (٤٢٤٤) وأحدد في مستده (٣١٤٧) من حديث إبن عباس رضى الله عنهما قال : كان عمر
يدخلنى مع أشياخ بدر ققال بعضهم : لم تدخل هذا اللتي معنا ولينا أبناء مثل ؛ فذال : إن بدمن قد عامتم قال : فدا
ذات يرم ويعانى معهم قال : وما رئيت دمانى يومين إلا ليويم مني فقال : ما تقولين في ﴿وَإِذَا جاء نصر الله واللقع
ورأيت الناس يعطين في دين الله أقواجاً﴾ حتى ختم السورة ققال يعضهم : أمونا أن تحدد الله وتستقفره إذا نصرا
ورثيت المناس يعطين في دين الله أقواجاً﴾ حتى ختم السورة ققال يعضم : أمونا أن تحدد الله وتستقفره إذا نصرا
وقتم علينا وقال بعضمم : لا تدري أن لم يقل بعضهم شيئا فقال في : يا أبن مباس : كذلك تقول اقلت ؛ لا ، قال : فما
تقول ؛ قلت : هو آجل رسول الله ﷺ أعلمه الله له ﴿إذا مناس الله واللتم﴾ فتم مكة ذلك علامة أجلك ﴿قسم بحد
ربك وأستغلزة إذ كان قرباً إسراباً قال معر: ما أعلم منها إلا ما تطم .

(٥ . ٧) يكثر في آخر أمره من قول سيحان الله ويحمله:

رواه أحمد في مسنده (٣٣٥٤٥) ومصلم في الصلاة (٤٨٤) من حديث عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ وكثر في أخر أمره من قول سبحان الله ويحمده أستغفر الله وأتوب إله»، قالت: فلا رسول الله ، ما لي أراك تكثر من قول سبحان الله ويحمده أستغفر الله وأتوب إليه قال: وإن ربي عز وجل كان أهبرني أني سأري علامة في أمتى وأمرني إذا رايتها أن أسبح بحمده واستغفره إنه كان وابا فقد رأيتها ﴿إذا جاء نصر الله والقتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا فسيح بصد ربك واستغفره إنه كان تواباً في ر

(٢٠٩) يكثر أن يقول في ركوعه وسجوده:

رواه البخاري في الأذان (۸۱۷) وفي التفسير (٤٩٦٨) ومسلم في الصلاة (٤٨٤) من حديث عائشة رضي الله عنها أنها قالت : كان النبي ﷺ يكثر أن يقول في ركوعه وسجوده : سبحانك اللهم رينا ويحمدك اللهم اغفر لي، يتأول القرآن .

(٢٠٧) يكثر من قول سبحان الله وبحمده :

تقدم تخريجه ، انظر مامش (٢٠٥) .

(٢٠٨) تفسير المراغى للأستاذ أحمد مصطفى المراغى ، ٢٦٣/٣٠ .

(٢٠٩) مقتيس من تفسير جزء عم ، للأستاذ الإمام محمد عبده ، ص ١٣٧.

(٢١٠) تفسير جزء عم، للأستاذ محمد عبده ، ص ١٢٥ ، مطابع الشعب .

(٢١١) يا غلام إني أعلمك:

رواه الترمذي في صفة القيامة (٢٠١٦) وأحد في مسنده (٣٦٦٤) من حديث ابن عباس قال: كنت خلف رسول الله ﷺ
يوما ققال: وبا غلام أي أمامك كلمات، لحفظ الله بعشظاك لمنظ الله تجده تجامله إذا سألت فأسأل الله وإذا استعنت
المستعن بالله واعلم أن الأمة لو إجتمعت على أن ينشعوك بدنيء لم ينشعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك وقد لوجتموا على
أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك رفعت الأقلام وجف المسحف، وقال القرماتي : هذا حديث
حسن صحفح، قال العجلوني في كشف الخفاء رواه أبو القاسم بن بشران في أماليه ، وكذا القضاعي عن أبي هريرة
رضي الله عنه ، ورواه الطبرائي في الكبير عن ابن عباس يلفظ: كنت ربيف رسول الله ﷺ فالقضاء على فكان فلو أن الملق
لمنظ الله بمنظك ، احفظ الله تجده أمامك، تعرف إلى الله ... – الحديث ، ويفه - قد جف القلم بما هو كائن فلو أن الملق
كلهم جميعا أرادوا أن ينفعوك بشيء لم يقضه الله لك لم يقدروا عليه ، أن أرادوا أن يضروك بشيء لم يقضه الله عليك لم
يقدروا عليه ، ويفه وعلم أن ما أصدائه لم يكن ليضطاك ، وما أحطاك لم يكن ليصيبك، واعلم أن النصر مع الصبر ، وأن
الشرح مع الكرب وأن مع العسر يسرا . وأورده الشياء في المختارة وهو حسن ، وله طاهد رواه عبد بن حديد عن أبن
عباس رضي الله عنهما رفعه بافظة : ديا أبن عباس ، لصفظ الله يضلك ، الحفظ الله تجده أمامك ، تعرف إلى الله في
الرغاء بعرف في الشخة ...ه وذكره مطولا بست ضعيف ، ورواه أحمد والطبراني وغيرهما يسند أمس وجالا وأقرى ، قال
في المقامد: وقد بسطت الكلام عليه في تضريج الأربعين .

(٢١٢) دكتور شرقى غنيف ، سورة الرحمن وسور قصار ص ٣٨٠ ، مطابع دار المعارف .

(٣١٣) ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة :

رواه البخاري في الجمعة (۱۹۵۰) ، وفي الدعوات (۱۳۳۱) ، وفي الترحيد (۱۳۹۹) ، ومسلم في مسلاة المسافرين (۱۸۷۸) ، ومالك في الموملاً كتاب الذاء إلى المسلاة (۱۹۳3) ، وأبر داود في المسلاة (۱۳۲۵) وفي السنة (۳۷۹) . والترمذين في المسلاة (۲۵۱) ، وفي الدعوات (۱۳۵۸) ، والدارمي في المسلاة (۱۳۷۸ ، ۱۹۷۸ ، ۱۹۸۹) ، وابن ملجة في إقامة المسلاة (۲۳۲۱) ، وأحمد (۱۳۷۷ ، ۱۳۷۵ ، ۱۳۷۸ ، ۱۳۹۵ ، ۱۳۹۵ ، ۱۳۹۵ ، ۱۳۹۵ ، ۱۳۹۰) من مديت ۱۳۸۲ ، ۱۳۷۲ ، ۱۳۷۳ ، مديدة . ورواه الدارمي في المسلاة (۱۳۵۸) ، وأحمد (۱۳۹۳ ، ۱۳۹۰) من مديت جبير بن معلمي . ورواه الدارمي في المسلاة (۱۶۸۳) من حديث رقاعة العواقي معمود . ورواه الدارمي في المسلاة (۱۳۸۳ ، ۱۳۸۲) ، ۱۳۸۳ ، ۱۳۸۲)

(٢١٤) لا أحد أصبر على أذى:

رواه البخاري في الأدب (۱۰۹۹) ، وفي التوحيد (۷۳۷۸) ، ومسلم في صفة القيامة (۲۸۰۶) ، والحمد (۱۹۰۹، ۱۹۹۲) ، من حديث أبني موسى مرفوعًا : «أيس أحد أن ليس شيء أصبر على أذى سمعه من اللهه الحديث .

(۵ ۱ ۲) کلبنی ابن آدم ولم یکن له ذلك :

رواه البخارى فى تفسير القرآن (٤٩٧٤ ، ٤٩٧٥) والنسائى فى الجنائز (٢٠٧٨) وأحمد فى مسنده (٣٩٩٨) من حديث أبى هريرة رضى الله عنه ، عن النبي ﷺ قال : هال الله · كنبنى ابن آمم ولم يكن له ذلك وشتمنى ولم يكن له ذلك ، فأما تكذيبه إياى فقوله : ثن يعيدنى كما بدأنى وليس أول الطاق بأهون على من إعادته وأما شتمه إياى فقوله : اتخد الله ولدا وأنا الأحد الصمد لم أدو ولم أولد ولم يكن لى كنزًا أحداث

رواه البخارى فى تفسير القرآن (٤٤٨٧) من حديث ابن عباس رضى الله عنهما عن النبي ﷺ قال: وقال الله : كذبتى ابن آمم وام يكن له ذلك وشتمنى ولم يكن له ذلك فأما تكذيبه إياى فزعم أنى لا أقدر أن أخيده كما كان وأما شتمه إياى فقوله : لى ولد ، فسيحانى أن أتخذ مساحبة أن وإداء .

(٢١٩) إن لله تسعة وتسعير اسما من أحصاها :

رواه البغارى في الشروط (٢٧٣٦) وفي التوحيد (٢٣٦٢) ومسلم في الذكر (٢٧٧) والترمذي في الدعوات (٢٠٥٠، ٢٠٥٠) وابن ماجــة في الدعاء (٢٨٦٠) وأحد في مسـنده (٢٥٠٠) وابن ماجــة في الدعاء أو (٢٨٦٠) وأحد في مسـنده (٢٥٠٠) وابن ماجــة في الدعاء الترمذي في الدعوات الديات الدعوات الدعو

(۲۱۷) تفسير النيسابوري بهامش تفسير الطبري ، ۲۱٤/۳۰ .

(۲۱۸) تفسير جزم عم للإمام محمد عبده ، ص ۱۳۸ .

(٢١٩) و في الحديث : ولا تسأل المرأة طلاق أختها لتستفرغ صفحتهاء .

أي : لا ينبغي للمرأة أن تطلب من الزرج طلاق زرجته لتحل محلها ، وتأكل في إنائها وتحتل مكانتها . ومن النساء من يحلو لهن إفساد ما بين الزرج وزرجته ، أن خطف الرجل من امرأته ومو كيد تستعيذ بالله مفه .

(٢٧) كان إذا أوى إلى فراشه كل ليلة جمع كفيه :

رواه البخارى في فضائل القرآن (14 ° 6) وأبو داود في الأدب (6 ° 6) والترمذي في الدعوات (۲ ° ۲ °) وأحدد في مسنده (۲۲۳۷ °) من حديث عاشقة أن النبي 幾 كان إذا أرى إلى فراشه كل ليلة جمع كليد ثم نفث فيهما فقرآ فيهما : قل هو الله أحد وقل أعوذ برب الفاق وقل أعوذ برب الناس ، ثم يعسح بهما ما استطاع من جسده بيداً بهما على رأسه ورجهه وما أقبل من جسده ، يقدل ذلك ثلاث مرات .

(٢ ٢) كان رسول الله عَنْهِ يتعوذ من الجان وعين الإنسان:

رواه الترمذي في الطب (٢٠٥٨) والنساني في الاستّعادّة (£240) من حديث أبي سعيد قال : كان رسول الله ﷺ يتعوذ من الجان وعين الإنسان حتى نزلت المعونتان فلما نزلتاً أخذ يهما وترك ما سواهما .

قال أبو عيسى: وفي الباب عن أنس ، وهذا حديث حسن غريب.

(٢ ٢ ٢) كان إذا اشتكى نفث على نفسه بالمعوذات :

رواه البيغاري في المغازي (٤٤٩٩) ويسلم في السلام (١٩٩٧) من حديث عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ كان إذا اشتكى نفث على نفسه بالمعودات ومسح عنه بيده فلما اشتكى وجعه الذي ترفى فيه طفقت أنفث على نفسه بالمعوذات التي كان ينفث وأمسح بين الذي ﷺ عنه

(224) لا تحاسدوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا :

رواه مسلم في البر (٢٥٦٤) والترمذي في البر (١٩٩٧) وأحمد في مسنده (٢٠٧٧) من حديث أبي هريرة قال:
قال رسول الله ﷺ: «لا تحاسدوا ولا تناجشوا ولا تبايضوا ولا تنابروا ولا يج بعضكم على بهع بعض وكونوا عباد الله
إلهواننا المسلم أمّو المسلم لا يظلمه ولا يختله ولا يحتوه التقوي ما هنا – ويشير إلى صدره ثلاث مرات – بحسب امروع
من الشر أن يحقر أمّاه المعملم ، كل المسلم على المسلم حرام دمه وصاله وعرضه».

(٢ ٢ ٢) إياكم و الحسد فإن الحسد يأكل الحسنات :

رواه أبو داود فى الأدب (٢٩٠٣) من هديث أبى هريرة أن النبى ﷺ قال: «إياكم والحسد فإن الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحملي أو قال العشب».

يرواه ابن ماجة في الزهد (٢٢١) من حديث أنس أن رسول الله ﷺ قال : «الحسد يأكل المسنات كما تأكل النار المطب والمسدقة تطفئ المُطينة كما يطفئ الماء النار والصنلاة نور المؤمن والصيام جنة من الذار» .

(٢٢٥) إذا تودي للصلاة أدبر الشيطان:

رواه البخارى في الأنان (٢٠٩) ومسلم في المسلاة (٣٨٩) من حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «إذا نودي للمسلاة أدبر الشيطان وله ضراط هتى لا يسمع التأذين فإذا قضى النداء أقبل حتى إذا ثوب بالمسلاة أدبر هتى إذا قضى التلويب أقبل حتى يخطر بين العره ونفسه يقول: الذكر كذا ، لذكر كذا ، لما لم يكن يذكر حتى يظل الرجل لا يدرى كم صلى».

(٢٢٦) صفوة التفاسير أ . محمد على الصابوتي ، المجلد الثالث ص ٦٣٧ .

(٢٢٧) انظر التفسير المنير أد وهية الزحيلي ٢٠/٣٨٤.

(٢ ٢٨) اللهم إلى عبدلا وابن عبدك وابن أمتك :

رواه أحمد في مسنده (٢٠٤٤) من حديث عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: مما أصباب أحدا قبط هم ولا حزن فقال: اللهم إنى عبدك وابن عبدك وابن أمثك ناصيتي ببدك ماشر في حكمك عدل في قضارك أسالك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أن علمته أحدا من خلفك أو أنزائه في كتابك أو استأثرت به في علم الغيب عندك أن تجمل القرآن ربيع قلبي ونور صدري وجلاء حزني ونهابي غمي : إلا أنهب الله همه وحزنه وأبدله مكانه فرجاه ، قال: فقيل: يا رسيل الله ، ألا نتطمها ؟ فقال: «بلي ينهني لمن سمعها أن يتطمها».

(٢٢٩) اللهم إني أعود يك من الهم والحزن:

رواه اللبخاري في الدعوات (۱۹۲۹) من حديث أنس بن مالك قال : كان النبي 義 يقول : «اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن والعجز والكسل والجبن والمبخل وضلع الدين وغلبة الرجال..

(فهرس موضوعات) محتويات الكتاب

رقم الصفحة	أول الآيات	رقم الآية
7799	جزءعم	-
74.1	تفسير سورة النبأ	-
74.4	أهداث سورة الثيأ	_
74.7	رع من ب	١ ،
74.7	﴿عبِن السنديا الصطاعيم	۲
74.7	﴿السِدْي هِسِم فِسِيسِه مِسخَستَسلِسفَسون ﴾	٣
74.4	«≥	٤
74.2	﴿ السم كــــلا ســــــــــــــــــــــــــــــــ	ه
74.7	﴿ أَلَيْنِهِ مَنْ يَنْ يَصِينَا عَلَيْكُ الْأَرْضُ مِنْ عَلَيْكُ الْأَرْضُ مِنْ عَلَيْكًا اللَّهُ ا	٦
74.7	﴿ والسبباداً . ﴾	· v
74.7	﴿ و القاد اكسم أزواجًا . ﴾	٨
74.7	﴿ وج عدا نسا نسوم کے سر بسائے ا	4
74.7	﴿ وجسع السندا الساسيال السبساسًا ﴾	١.
74.7	﴿ وجِــه للسنسا السنسهار مسعساشا . ﴾	11
78.7	﴿ وَهِ مَنْ مِينَا فَسَوْقَ كُمْ سَبِعَا عُسُوادًا . ﴾	17
74.7	وُوجِ عالمات استراجُ سا وهساجُ سا ،	14
77.7	﴿ وَأَنْسَرُكُ مِنْ الْمُعَامِّدُونَ مِنَاءُ تُسْجِبَاجُنَا . ﴾	. 18
77.7	﴿ لِـنــخــرج بِــه حــبُـا ونــبـاتــا ﴾	10
77.7	﴿ وج حداث السف المساد المساف المساف	13
1771	﴿إِنْ يَسِومِ السِفْصِيلِ كَسِانَ مِسِيسِقِسَاتُ سَا .﴾	١٧
1771	﴿ يَسِونَ أَضُواجُنَا ﴾	14
1777	﴿ وَفَـــتــحت الســعــاء فـــكــانت أبـــوابــا . ﴾	11
1411	ووسيدرد البجهدال فسكدانت سرابك .	٧.
1771	﴿إِنْ مِسهد ما كسانت مسرمساناً ﴾	71
7711	(ا ا المالي	77
1771	﴿ لايستسيدن فسيسهدا أحسفسابُ ﴾	74
7711	﴿لا يستوقسون قسيسهسا بسردا ولا شسرابسا ﴾	72
7711	والاستاف المساق	70
7711	والم الم الم الم الم الم الم الم الم الم	77
1771	﴿إِنْ عِمَانُ مِا لا يُسْرِجُسُونَ حَسَابُسًا ﴾	YV

رقم الصفحة	أول الآيات	رقم الآية.
7711	﴿وكنبوا بايساتنا كنابُا.﴾	YA
1771	وُو <u>ک</u> ل شـــیء أحمـــ <u>يــنــ</u> اه کــــتــابُـــا.﴾	44
1771	﴿ فِي دُوقِ فِي السِّلِينِ لِيرِيدِ كِيمِ إلا عَدِدَابُ اللهِ	٧٠.
7516	﴿إِن المستقيدين مسفانًا .♦	۳۱
7777	﴿ حسائسة وأعسنسابسا .	44
7414	﴿وكــــاواعب أتــــارابــا ،﴾	44
7414	﴿ وَ كَاسُ اللَّهِ الللَّمِلْمِ اللَّا	4.5
7717	﴿لا يسمعون فيها الفوَّا ولا كذابًا.	40
7717	﴿جِــــزاء مـــن ريك عــطــاءُ حســـابـــا ﴾	77
7719	ورب السماوات والأرض وما بيشهما البرحمن	87
7719	﴿ يَسِم يَسْوِم الروح والمالاتكة منفًا لا يتكلمون ﴾	۳۸
7514	﴿ذلك اليوم الحق قمن شاء اتخذ إلى ربه مابًا.﴾	79
7719	﴿إِنَا أَنْدَرِنَاكُم عَنَايًا قَرِيبًا بِيهِم يَنْظُر الْمَرَّ مَا قَدَمَت يِدَاه﴾	. 1.
1771	تفسير سورة النازعات	_
7777	أهداف سورة الثارعات	-
7777	﴿والـــــــانعــــاتغــــا،﴾	
7777	﴿والـــنــاشــمان نشــمطــا، ﴾	۲
7444	﴿والسابحات سبددا،﴾	٣
7446	﴿فَالسَّاسِ فَصَاتُ سَنِي فَعَا ﴾	٤
7446	﴿ فَـــالَـــ مِــدِاتِ أَمـــدِرُا . ﴾	•
7444	﴿يـــرم تــــرجـــف الـــراجـــ فـــة ﴾	٦
7777	♦ تــــــــــــــــــــــــــــــــــــ	٧
7446	الم	٨
7444	﴿أبصارها خاساشاها،	4
7777	﴿يقوارون أثنا اسمردودون فسى السمافرة . ﴾	١٠.
7444	﴿أَنْ ذَاكِ فَا عَظِ امْ انْ فَي رَهُ ﴾	11
7444	﴿قـــالــوا تـــك إذًا كــرَة خــاســرة .﴾	17
7777	﴿فَالْمَامِينَ وَمِدَةً وَالْمَامِينَ وَالْمِينَانِ وَالْمِينَانِ وَالْمَامِينَ وَالْمِينَانِ وَالْمِينِينِيِّ وَالْمِينِينِ وَالْمِينِينِينِ وَالْمِينِينِ وَالْمِينِ وَالْمِينِينِ وَالْمِينِينِ وَالْمِينِينِ وَالْمِينِينِ وَالْمِينِينِ وَل	17
7444	﴿فسياذا هم بالسياهين ،	18
7441	﴿ ٨ ـــــــــــــــــــــــــــــــــــ	10

	(3 3 0 30 7	00 1040
رقم الصفحة	. أول الآيات	رقم الآية
7771	﴿إِذْ نَسَاداه ريسه بِسَالَسُواد السَّمِقَدِس طَسُوي . ﴾	17
7771	﴿انْهِ إِلَٰ فَ صَرِعَ وَنَ إِنَّهُ طَعْمَى ﴾	17
7777	﴿ فَصَدَالَ هُ صَالَ لَكَ إِلَّهُ مِنْ أَنْ تَصَرَكُ مِنْ عُنِي ﴾	1.4
7441	﴿وَأَهِ دِيكَ إِلْ مِن رِيكَ فِي تَدَّ مَثَّ مِن .﴾	١٩
. 7771	﴿ وَ اللَّهِ الآيادَ ا	۲.
7441	﴿وْفْ كَ نَبْ وعمــــــــــــــــــــــــــــــــــــ	۲١
7771	﴿نـــــم أدبـــــــم أدبــــــــــــــــــــــــــــــــــــ	77
7881	﴿فــــــــــــــــــــــــــــــــــــ	74
1771	﴿ ف قال أنا ربكم الأعابي .﴾	45
1771	﴿ فَاحْدُهُ اللَّهِ نَصَدَالُ الْأَحْدِرَةُ وَالْأُواسِي . ﴾	۲٥
7441	﴿إِن فَـــــى ذلك لــــعــــبــــرة لـــمـــــن يـــخشــــى .﴾	77
3775	﴿ ٱلْنَاتِمِ أَشْدَ عُسِلَاقًا أَمِ السَّمَاءُ بِكَاهَا .﴾	44
3775	﴿رفع سمك المسواها .﴾	7.4
3775	﴿ وأغيطش ليساسها وأخرج ضدها ا	44
3775	﴿والأرض بـــــعـــد ثلك دحـــاهـــــــــــــــــــــــــــــــــ	٣٠
3775	﴿ المصري مستسها مساءها ومسرعاها .﴾	71
3775	﴿والسجسال أرسساهسا ﴾	44
3775	﴿مِنْ تَنَاعُ الْمُكْتِمِ وَلَانْتِ عِنَامِ كُتُمِ . ﴾	44
7446	﴿ فَـَاذَا جِنَامَتَ السَّطِينَامِينَةَ السَّكِينِينَ ﴾	4.8
7440	﴿ يسوم يستنكسر الإنسسان مسا سسمسي . ﴾	٣٥
7444	ويسرزت المجمعينم لسمين يسرى .﴾	4.1
7440	(نـــامـــا مـــن طـــخــــى.)»	٣٧
7444	﴿ وَآثِ رَال حِيدِ الْمَاءُ الْمَادِ الْمِنْ الْمَادِ الْمِادِ الْمَادِ الْمَادِ الْمَادِ الْمَادِ الْمَادِ الْمَادِ الْمِي الْمَادِ الْمَادِ الْمَادِ الْمَادِ الْمَادِ الْمِادِ الْمَادِ الْمِادِ الْمَادِ الْمَادِ الْمَادِ الْمَادِ الْمَادِ الْمَادِ الْمِلْمِلْمِ الْمَادِ الْمَادِ الْمِلْمِي الْمَادِ الْمِلْمِي الْمِ	~ WA
7777	﴿ فَسَانَ الْسَجِيدَ عَلَيْهِ السَّمَاوَى ﴾	44
7444	﴿ وأما من شاف مقام ريه وشهى النفس عن الهوى ،	٤٠
7446	أفيان السجيسنية هسي السمسأوى . ♦	٤١
7777	﴿ رِسِالِدونِكِ عِنْ الساعِبِ أَيْسِانَ مِسْرِسِنَاهِ الْ	٤٢
7777	﴿ ف ب انت م أنت م	23
7446	والسمى ريك مستنسب	٤٤
7444	﴿ إِنْ مِنْ أَنْتُ مِنْ نَصْدُر مِنْ يَنْ حُدُّمَاهُ كَا ﴾	٤٥
7447	﴿كأنهم يوم يرونها لم يلبثرا إلا عشية أو ضحاها. ﴾	٤٦

رقم الصفحة	أول الآيات	رقم الآية
1377	تفسير سورة عبس	-
7887	أهداف سورة عيس	-
7757	«عــــــبس وتــــــــــــــــــــــــــــــــــــ	١ ،
7857	. ﴿إِنْ جِـــاءه الأعـــاء	۲
7887	﴿ ومـــا يـــدريك لـــمــــــــه يـــــزكـــــى .﴾	۳ ا
7757	﴿ أُورِيدِنِكِيرِ فَسِتَينِيفِيهِ السِنْكِيرِي ﴾	٤
7757	﴿أمــــا مــــن اســــــــــــــــــــــــــــــــ	٥
7787	﴿ وْ الْمُ الْدَاتِ الْمُ	٦
7887	﴿ ومــا عــلـــيك ألا يـــزكـــى .﴾	٧
7727	﴿وأمــــا مـــن چـــاءك يســـمـــــي .﴾	٨
7827	(,s	١ ١
7787	﴿ وَالْمُعَالِينَ عَصَادُ اللَّهِ الْمُعَالِينَ عَصَادُ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّ	١٠٠
7727	﴿ كــــــــــــــــــــــــــــــــــــ	11
7757	ن شاء ذک	١٢
7787	﴿نــــى مــــــــف مــــکــــرمـــــة .﴾	177
7377	﴿ ــــراــــــرة .﴾	18
7757	﴿ السابِ عن سندي سندرة . ﴾	١٥
7787	ردة	17
707	الإنسان مسا أكسفسره. ﴾	17
707	﴿مــــن أى شــــىء خــــــــــــــــــــــــــــــــ	14
7404	(مسن نسطسقسة خسلسقسه نسقبدره .)	19
707	√	۲٠
7077	﴿ نَصِمِ أَمَاتِ فَاللَّهِ فَاللَّهِ عَلَيْهِ الْمُعَالِقِينَ اللَّهِ عَلَيْهِ اللَّهِ عَلَيْهِ اللَّهِ اللَّه	71
7077	الم	77
7077	«كــــلا لــــمــــا يــــقض مــــا أمــــره.﴾	77"
3075	في المعامد في الإنسسان إلى طبعاميه .	3.7
3075	﴿ السَّا السَّا السَّا السَّا السَّا السَّا السَّالِ السَّالِي السَّالِ السَّالِي السَّلِي السَّالِي السَّلِي السَّالِي السَّالِي السَّلِي السَّلِي السَّلِي السَّلِي السَّلِ	40
3075	﴿ الأرض شــقــا . ﴾	77
3077	﴿ الله الله الله الله الله الله الله الل	44
3075	﴿وعــــــا ﴾	44
3075	﴿ورزيــــــــــــــــــــــــــــــــــــ	79

رقم الصفحة	أول الآيات	رقم الآية
3075	﴿وحدائدة غد ا بنا	۳.
3075	﴿ رف اک م الله الله الله الله الله الله الله ال	17
3077	﴿ مستساغسا لسكم ولأنسعسام كم .	44
7077	﴿ فِي اِذَا جِيادَ الْمِيادَ الْمِيادِ الْمِيادَ الْمِيادِ الْمِيادَ الْمِيادَ الْمِيادِ الْمِيا	44
7077	﴿ يـــوم يـــــــــــــــــــــــــــــــ	4.5
75.02	﴿وامــــه وابــــه .﴾	40
7707	﴿و <u>رســاحـــبــتـــه ويـــنــــه</u> .﴾	[77
1077	﴿ لِسَكَسَلَ اصري صنعهم يسومسند شسأن يسفندينه .﴾	٣٧
7507	﴿ رَجِ وَمِ الْمُ الْمُونِ الْمُ الْمُونِ الْمُونِ الْمُونِ الْمُونِ الْمُونِ الْمُونِ الْمُونِ الْمُ	4.4
7507	﴿ نِـــاد کِــة مــــــــــــــــــــــــــــــــــ	49
7707	﴿ورجدوه يسومك ذعمل يسهما غمهدرة .﴾	٤٠
7407	(ii)	٤١
7507	﴿أَوْلِــــــــــــــــــــــــــــــــــــ	13
7404	تفسير سورة التكوير	-
777.	أهداف سورة التكوير	_
7770	﴿إِذَا الْمُفْسِينِ عَلَيْكُ مِنْ الْمُفْسِينِ عَلَيْكُ مِنْ الْمُفْسِينِ عَلَيْكُ مِنْ الْمُفْسِينِ عَلَيْكُ م	\
7770	﴿وَإِذَا الْـــــنـــجـــــوم انْــــكــــدرت.﴾	۲
7770	﴿ وَإِذَا الْـــــــــــــــــــــــــــــــــــ	ا ۴
7770	﴿ وإذا الــــعشـــار عــط الــات . ﴾	ا ٤ إ
7470	﴿ وَإِذَا السَّاسِ وَهِ سَنَّانِ عِلْمُ عَشَّلِ مِنْ عَشَّلِ السَّالِ عَشَّلِ عِنْدُ اللَّهِ عَلَيْهِ عِنْدُ ا	
1770	﴿ وَإِذَا الْبِ الْبِينِ الْب	,
7770	﴿وَإِذَا اللَّهِ مِنْ رَبِّيجِت ﴾	v
0777	﴿ وَإِذَا الْسَاسِ مِنْ وَوَدَةَ مُسَاسِكُ اللَّهِ الْمُ	
7770	﴿ إِ اللَّهِ عَلَى ذَنْكِ قَالَ اللَّهِ عَلَى اللَّهِ عَلَى اللَّهِ عَلَى اللَّهِ عَلَى اللَّهِ اللَّهِ اللَّ	4
7770	﴿ وَإِذَا الصِيدِ اللَّهِ عَلَى اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّه	١٠.
7770	﴿وإذا الســــــماء كشـــــــطت .﴾	111
0777	﴿ وَإِذَا الْفِيدِ مِنْ مُنْ الْفِيدِ مِنْ الْفِيدِ مِنْ الْفِيدِ مِنْ الْفِيدِ مِنْ الْفِيدِ مِنْ الْفِيدِ مِ	17
7770	﴿ وَإِذَا الْـــــــــــــــــــــــــــــــــــ	14
7770	وُ مِيا مِن تَسِيقُس مِيا أَحِفْسِسِرت ﴾	١٤
7777	﴿ نِــــــــــــــــــــــــــــــــــــ	١٥
7474	وال المستنس ﴾	17

رقم الصفحة	أول الآيات	رقم الآية
7444	﴿ واللَّا عساس ﴾	۱۷
7444	ورائم بعلم إذا تعلق في	. 14
7474	﴿إنه له قد ول رسدول كريسم.	19
7474	وُذي قــوة عــنــد ذي الــعــرش مــكــيـــن . 🆫	١ ٧٠ [
7777	﴿ الماع الما	171
7474	﴿ وما صاحب كم يسمسجد نون ﴾	77
7444	﴿ راحة حدراً ه بــالأفــق المحمد بمسيدن . ﴾	77
7474	﴿وما هـ وعاـ س الـ فـيب بضـ نــيـــن .♦	37
7444	ورمسا هسو بسقسول شيسطسان رجسيسم.	70
7474	(ن <u>اي</u> ن ت <u>نم</u> بين ٠٠٠٠)٠	47
7777	﴿إِن هِــو إلا ذكــر لــلــعــالــمــيــن . ﴾	77
7474	(اسمن شام منکم أن يستنقيم.)	YA
7474	﴿ وما تشاءون إلا أن يشاء السلب رب السعال مسين . ﴾	79
7464	تقسير سورة الانقطار	_
747	أهداف سورة الانقطار	-
0.475	﴿إِذَا السِـــاء اذ فطرت . ﴾	\
٦٣٨٥	﴿ وإذا السك واكب انتقال على و	4
777.0	﴿ وَإِذَا ال ب حار ف ج رت . ﴾	ا ۴
7470	﴿ رَادًا السَّقِينِ وَرَادَ السَّالِينِ اللَّهِ عَلَى إِنَّ السَّالِينِ اللَّهِ عَلَى اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ	٤
7740	﴿ مَـــلَــعت نَـــفس مــا قــدمت وأخــرت . ﴾	0
0.477	ويسا أيسها الإنسان مساغسرك بسريك السكسريس . ﴾	۱ ۲
777.0	السددى خاسفك قسعُ اك قصدلك . ﴿	Y
7440	﴿ فــــــــــــــــــــــــــــــــــــ	- ^
777.9	﴿ کــــلا بـــــل تــــکـــذبــــون بــــالــــديــــن . ﴾	٩
7774	﴿وإن عسليكم ليهمافيظ يدن ﴾	١.
PA77	﴿ ک رام ک ات بین ﴾	11
PATE	· (يــــــــــــــــــــــــــــــــــــ	17
PATE	﴿إِنْ الأبِـــراد لِــفــــى نــــعـــيـــم . ﴾	14
PATE	﴿ وإن السفحار الفي جمعيم . ﴾	١٤
የለግፖ	﴿يمسلسونها يسوم السديسن. ﴾	10
PATE	﴿وساهم عند ها بعدائه بين .	17

رقم الصفحة	أول الآيات	رقم الآية
7844	﴿ووسا أدراك مسايسوم السديسن.	17
7774	وثـــم مـــا أدراك مــا يـــوم الــديــن.	1.4
7774	المريوم لا تملك نفس لنفس شيئًا والأمريومئذ لله . ﴾	19
7790	تفسير سورة المطففين	_
7847	أهداف سورة المطففين	-
78.7	﴿ريـــل الــــال ما شــقــين.﴾.	\
78.4	(الذين إذا اكتبالوا عباسي النباس يستوفون .)	۱ ۲
76.4	وإذا كالوهم أو وزنوهم يستسرون .	۳
75.4	والا يستلسن أولي الله أنسهم مسيسه والسون . ﴾	٤
78.4	ال يــــــــــــــــــــــــــــــــــــ	
75.47	﴿ يسوم يسقسوم السنساس لسرب السعسالسمسيبان . ﴾	1
78.7	♦ کال إن كتاب الفجاد لفى سنجين.	V
75.7	ورميا أدراك ما سنجسين، ﴾	
78.7	﴿ وَكِينَا عَلَيْهِ الْمُعَالِينِ مُسْتِعَالِينِ مُسْتِعِينِ	4
76.7	«ويــل يـــومــــــذ لـــلــمـــكــذبـــيـــن،♦	1 1.
18.7	﴿الــــــــــــــــــــــــــــــــــــ	111
78.7	﴿ وما يكذب يم إلا كمل مصتد أثميم .﴾	14
78.7	وإذا تتابي عليه أياتنا قال أساطير الأوليان ﴾	14
78.7	وكلا بل ران على قلويهم ما كانتوا يكسبون .	١٤
75.7	وي الا إنهم عن ريهم يسومشذ المحدودون. ♦	١٥
٦٤٠٦	ودم إنهم اعمال والمحمدم ﴾	17
78.7	وُئے پہتال ہڈا الدی کشتم یہ تکذیحین۔﴾	1 1
78.9	وكالأإن كستاب الأبسرار اسفسي عسلسيسيان · ﴾	1.4
78.9	﴿ربا أدراك مساعات	11
75.9	وم الله مساور مساور م	.4.
78-9	﴿ن ب ال ما الم	71
78.9	وُإِن الأبِ راد است من تسبعه م	77
78.9	م الأرائك ي <u>نظ</u> رين ﴾	77
78.9	ورسوه ما تفسرة السنام الم	75
78.9	الم المستقدين مسن رسيد ق مستسوم الم	70
78.9	﴿ مُنتامه مسك وفي ذلك فالمتنافس المتنافسون .	41

رقم الصفحة	أول الآيات	رقم الآية
78.9	ورمـــزامِـــه مـــن تعـــ نــــم .)	**
78.9	﴿عينايشربيها المقريسون.)	YA
7815	 أإن الدين أجرموا كانوا من الدين آمنوا يضعكون . 	44
7817	﴿وإذا مسروا بسهم يستد في احسنون ٠٠	۳٠
7818	﴿ وَإِذَا انْسَقَالِهِ وَا إِلَى أَمَالُهُمُ انْسَقَالِهِ وَا شَكَهِينَ . ﴾	77
7817	﴿ رَإِذَا رَأُوهِ سِم قَسَالَسُوا إِنْ هِسَوْلاء تَصْسَالَسُونَ . ﴾	44
7137	ورما أرسلواء اليهم حافظ بين .	77 .
7137	وفاليوم الذين أمنوا من الكفاريضحكون. ﴾	4.5
7818	﴿عالى الأرائك يستنسط وين .	40
7818	﴿ همل السوب السكنف الرصا كسانسوا يسف حساسون. ﴾	77
7817	تفسير سورة الانشقاق	
7614	أهداف سورة الانشقاق	-
7877	﴿إِذَا السَّاسِ اللَّهِ اللَّه	١
7877	﴿ وأذنت لــــــــــــــــــــــــــــــــــــ	۲
7877	﴿ وَإِذَا الْأَرْضَ مُ ـــــــــــــــــــــــــــــــــــ	٣
7577	﴿والسقت ما في ها وتسفيات.﴾	٤
7577	﴿ رأننت السسريسي وحسان ٥٠	
7577	. ﴿ يِنَا أَيِنِهَا الْإِنْسَانَ إِنْكَ كَادِحِ إِلَىٰ رَبِكَ كَنْضًا فَمَلَاقَيْهِ . ﴾	٠, ١
7277	. ﴿ فَسَأْمِنَا مِن أَوْسَى كَتَنَابِهِ بِيمِينَهِ . ﴾	٧
7737	﴿فسيرف يسفساس حسابًا يسييرًا .﴾	_ ^
7737	﴿ ريب تنف ساب إلى أهم المه مسريراً . ﴾	٩
7737	﴿ وأمسا من أوتى كستسايسه وراء ظهره .	١٠ ١
7277	﴿ الله على ا	11
7877	(ega1).	17
7877	﴿ إنسه كسان فسي أهسلسه مسسوراً . ﴾	14
7877	﴿انے عظے ن أن اے ن يے عدد ﴾	1 8
7277	(ا سان ان راسه کسان اسه انجسیسا ک	\=
7578	﴿ فِ لِلْ أَنْسِمِ بِ الشَّفِي فِي الْ	117
4737	﴿والـــــا وســــق.﴾	17
7.27	﴿ والــــــــــــــــــــــــــــــــــــ	114
٦٤٢٨	﴿التسركين طبقًا عسن طبق.﴾	19

*****	(3-3-0-34-)	البياري السادسون
رقم الصفحة	أول الآيات	رقم الآية
7577	﴿ ف ال ال الله الله الله الله الله الله ا	٧٠
7578	واذا قرئ مايهم القرآن لا يسجدون .)	17
7578	﴿بِسِل السِّدِيسِين كِسفِسِروا يسكِسدِبِسِين ﴾	.44
7578	﴿والسِئْسِهُ أعسلُهِم بِسمِا يَسْوعَسُونَ .﴾	77
AY3F	﴿ وَ الْمُ	4.5
AY3F	﴿إِلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غير ممنون .﴾	.40
7877	تفسير سورة البروج	- 1
3737	أهداف سورة البروج	-
. A73F	﴿والســـــاء ذات الســــــــــــاء ﴿] \
7547	﴿والـــــــوم الــــمـــوعــــود .﴾	۲
7877	ورشاه ومشاه دو ک	. 4
7577	وقي تال أصيدود .)	٠.
A737	﴿السينين الذات السين وقسيسود .	■ :
127A	﴿إِذْ هِمَ عَمَا سَيْسَهُمَا تَسْعَسُودَ ﴾	۱ ۱
7.57%	﴿ وهم على ما يضعلون بالمؤمنين شهود ﴾	V
727	وُوما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد.)	
ATSF	﴿الذي لِهُ مِلْكَ السَمَاوَاتِ وَالْأَرْضُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءَ شَهِيدً ﴾	٩
N73F	وأن الذين فتفوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتويوا فلهم	1 1.
V432	وإن الندين آمنوا وعملوا المسالحات لهم جنات	11
7337	وُإِن بِـــــــــــــــــــــــــــــــــــ	14
7887	﴿إنسه هسويسبدي ويسعب	1 14 .
7337	﴿ وه ـــــو الـــــــ في ـــــود الــــــود به	18
7335	وُّذَو الــــــــــــرش الـــــمـــــجــــــــــــــــــــــــــ	10
7887	<u> </u>	13
7337	وُم ل أت الله حديث السجد نصود . ﴾	1 17
7337	﴿ فر م م م م م م م م م م م م م م م م م م	14
7337	﴿ وَمِيلِ السِدَيِسِينَ كَسَفَسِرِوا فَسَمِي تَسَكَسَدُينِهِ . ﴾	19
7337	﴿ والسلسه مسن ودائسهم مسمسيط	٧٠
7237	وبسال همسوقسدران مسجسيسك	41
7337	ونسسى لسموح مسمد سفسيظ،)	77
780-	ملحق بتفسير سورة البروج	-

رقم الصفحة	أول الآيات	رقم الآية
7607	ُ تَفْسِير سَورَةَ الطَّارِقُ	_
7505	أهداف سورة الطارق	_
7604	﴿والســــاء والــــارق.﴾	\
7608	﴿ومـــا أدراك مــا الـــاطــارق.﴾	۲
7501	﴿الـــــــ اقب.﴾	. 4
1604	﴿إِنْ كِلْ نَصْسُ لِمِا عِلْيِيهِا حِنَافِظُ ﴾	٤
7504	الم	0
X037	ر 🕹 ـــــــــــــــــــــــــــــــــــ	١ ،
Nº37	﴿ يستقدرج مسن بسيدن العسسلب والسندرائب . ﴾	V [
7504	﴿إنْـــه عـــــــادر.﴾	_ ^
7601	﴿ السرائد. ﴾	1 •
7504	﴿ وَصَادِينَ السَّاهِ مَسِنَ السَّاهِ وَلا تَسَامُ صَادِينَ }	1.
7577	﴿والســــــاء ذات الـــــــــــــــــــــــــــــــــــ	11
7577	﴿ وَالْأَرْضَ ذَاتَ الْمَهِ عِلَى الْمَهِ عِلَى الْمَهِ عِلَى الْمَهِ عِلَى الْمَهِ عِلَى الْمُعَالَّ	17
7577	﴿إنـــه لـــة ـــول فصـــل.﴾	14
7577	﴿ووسا هــــو ينسالـــهـــزل.﴾	16
7577	﴿ إِنْ مِنْ كَانِهُ ﴾	10
7577	﴿واکــــد کــــدا،﴾	17
7577	﴿ فصمها الكسافريس أمها عدم رويسداً . ﴾	17
7570	دعاء التصر	-
7577	تفسير سورة الأعلى	-
7874	أهداف سورة الأعلى	-
7570	وسيح اسم ريك الأعساسي.	1
7570	﴿الساى الله الله الله الله الله الله الله ال	Y
7540	﴿والــــــدى قــــــدر فـــــدى .﴾	۳
7540	﴿والــــــــــــــــــــــــــــــــــــ	٤
7540	ونسج اسه غست اء احسوی . ﴾	٥
7570	وسنتراك فسلاتيسي، ﴾	1 1
7540	﴿ إلا منا شاء الله أنه يعلم الجهروما ينققى . ﴾	٧
78.70	(ei	٨
7579	﴿ فِينَ كُنُ رِإِنْ فِي فِي عِنْ الْسِنْكِ رِي. ﴾	٩

	رقم الصفحة	أول الآيات	رقم الآية
	7879	﴿ يَ نَدُ رَمُ نَ يَ نَدُ مِنْ وَ الْعَلَامِينَ وَ الْعَلَامِينَ وَ الْعَلَامِينَ وَ الْعَلَامِينَ وَ الْعَلَامِينَ وَالْعَلَامِينَ وَالْعَلَامِ وَالْعَلَامِ وَالْعَلَامِ وَالْعَلَامِ وَالْعِلَامِ وَالْعَلَامِ وَالْعَلَامِ وَالْعَلَامِ وَالْعَلَامِ وَالْعَلِيمِ وَالْعَلَامِ وَالْعَلَامِ وَالْعَلَامِ وَالْعَلَامِ وَالْعَلِيمِ وَالْعَلَامِ وَالْعَلَامِ وَالْعَلَامِ وَالْعَلَامِ وَلَّامِ وَالْعَلَامِ وَالْعَلِيمِ وَالْعَلَامِ وَالْعِلَامِ وَالْعِلَامِ وَالْعَلِيمِ وَالْعِلَامِ وَالْعَلَامِ وَالْعَلِيمِ وَالْعِلَامِ وَالْعِلَامِ وَالْعَلِيمِ وَالْعِلْمِ وَلَامِ وَالْعِلَامِ وَالْعِلَامِ وَالْعِلَامِ وَالْعِلَامِ وَالْعِلَامِ وَالْعِلْمِ وَالْعِلَامِ وَالْعِلَامِ وَالْعِلَامِ وَالْعِلَامِ وَالْعِلِمِ وَالْعِلَامِ وَالْعِلَامِ وَالْعِلَامِ وَالْعِلَامِ وَالْعِلِمِ وَالْعِلَامِ وَالْعِلَامِ وَالْعِلَامِ وَالْعِلَامِ وَالْعِلِيمِ وَالْعِلَامِ وَالْعِلَامِ وَالْعِلَامِ وَالْعِلْمِ وَالْعِلْمِ وَالْعِلْمِ وَالْعِلْمِ وَالْعِلْمِ وَالْعِلَامِ وَالْعِلَامِ وَالْعِلَامِ وَالْعِلَامِ وَالْعِلَامِ وَالْعِلَامِ وَالْعِلْمِ وَالْعِلَامِ وَالْعِلَامِ وَالْعِلْمِ وَالْعِلَامِ وَالْعِلْمِيلِي وَالْعِلْمِ وَالْعِلَامِ وَالْعِلْمِ وَالْعِلَامِ وَالْعِلَامِ وَالْعِلْمِ وَالْعِلْمِ وَالْعِلَامِ وَالْعِلَامِ وَالْعِلَامِ وَالْعِلِمِ وَالْعِلْمِ وَالْعِلَامِ وَالْعِلَامِ وَالْعِلَامِ وَالْعِلْمِ وَالْعِلَامِ وَالْعِلَامِ وَالْعِلَامِ وَالْعِلْمِيلِي وَالْعِلَامِ وَالْعِلْمِ وَالْعِلْمِ وَالْعِلَامِ وَالْعِلِمِ وَالْعِلَامِ وَالْعِلْمِ وَالْعِلَامِ وَالْعِلَامِ وَالْعِلِمِ وَالْعِلِمِ وَالْعِلَامِ وَالْعِلِمِي وَالْعِلِمِي وَالْعِلْمِي وَالْعِلِمِ وَالْعِلَامِ وَالْعِلِمِلْعِلِمِ وَالْعِلْمِ وَالْع	١٠.
	7279	﴿ ريت جَدِيهِ الأَشْفِينِ . ﴾	- 11
	7879	﴿الصَّدَى يمساسى الصَّفَارِ الصَّكِيدِ ري.﴾	١٢
	7879	ولسم لايسمسون فسيسهسا ولايسميسي.)	17
	7579	﴿قـــد أفــــلـــع مــــن تــــزكــــى.﴾	16
	7579	﴿وِنْكَــــراســـم ريـــه نمــــا ــــى.﴾	10 -
	7579	﴿بِسِل لَسورُ الصياة السدنسيا.	17
	7879	﴿والأخـــرة غــــي وأبـــقـــي.﴾	17
	7579	الأولىسين.)	· 1A
	7879	﴿مستنق إيسراه سهيم ومسوسي، ﴾	19
	7580	تمسير سورة الفاشية	_
	7647	أهداف سورة القاشية	-
	789.	﴿ هـ ل أتـ اك هـ ديث الـ خاشـيـة.	1.
	789.	وبياره يسون الشاهاد الشاهاد الم	۲
	789.	﴿عــاءــاهـــا نــاصــيــة،﴾	٣
٠	789.	﴿تمال مامال	٤
	789.	٠ ﴿ تَسِــــــــــــــــــــــــــــــــــــ	0
	789.	﴿ لِيس الله م طبعام إلا من فسريدع. ﴾	٦
	7.69.	ولايسمدن ولايد فرنسي مدن جدوع.	٧
	769.	وجسوده پسروساند نساعب	٨
	789.	﴿ مَا مِنْ مَا مِنْ مُنْ مُنْ مُنْ مُنْ مُنْ مُنْ مُنْ مُ	4
	789.	﴿نــــى جـــنـــة عـــالـــيــة ﴾	١.
	759.	€. i	11
	784.	وني بي اعماع مين جسان سية.)	17
	789.	وني بيا سرد مرن <u>و</u> عية.)	14
	7840	﴿ وَأَكِ وَابِ مِ بِ وَمْ صَالِحَ عَلَى الْعَالَ عَلَى الْعَالَ عَلَى الْعَلَى الْعَلِي الْعَلَى الْعَلِي الْعَلَى الْعَلِي الْعَلَى الْعَلَى الْعَلَى الْعِلَى الْعَلِي الْعَلَى الْعَلِي الْعَلَى الْعَلَى الْعَلَى الْعَلَى الْعَلَى الْعَلَى الْعَلَى الْعَلِي الْعَلِي الْعَلِي الْعَلِي الْعَلِي الْعَلِي الْعَلَى الْعَلِي الْعَلَى الْعَلَى الْعَلَى الْعَلِي الْعَلَى الْعَلَى الْعَلَى الْعَلَى الْعَلِي الْعَلِي الْعَلِي الْعَلِي الْعَلِي الْعِلِي الْعَلِي الْعَلِي الْعَلِي الْعَلِي الْعَلِي الْعَلِي الْعِلِي الْعَلِي الْعَلِي الْعَلِي الْعَلِي الْعَلِي الْعَلِي الْعِلِي الْعَلِي الْعِلْمِ الْعِلِي الْعِلِي الْعَلِي الْعَلِي الْعِلْمِ الْعِلِي الْعَلِي الْعِلْمِ الْعِلِي الْعِلْمِ الْعِلْمِ الْعِلْمِ الْعِلْمِ الْعِلْمِ الْعِلْمِي الْعِلْمِ الْعِلْ	١٤
	789.	ورز می فی وفی ا	١٥
	789.	ورندا الله الله الله الله الله الله الله ال	17
	7890	وأن لا ينظرون إلى الإيال كيف خاصة . ﴾	17
	7590	﴿والسبع السبعساء كسيسف رفسعت،﴾	14
	7890	﴿ وَإِلْكِ مِنْ الْكِحِيْدِ الْكِكِيْدِ الْفُرْدِيْدِ الْفُرِيْدِ الْفُرْدِيْدِ الْفُرْدِيْدِيْدِ الْفُرْدِيْدِ الْفُرْدِيْدِيْدِ الْفُرْدِيْدِ الْفُرْدِيْدِيْدِ الْمُرْدِيْدِ الْفُرْدِيْدِ الْفُرْدِيْدِيْدِ الْمُوالِيْدِ الْمُرْدِيْدِ الْمُرْدِيْدِ الْمُرْدِيْدِيْدِ الْمُرْدِيْدِ الْمُرْدِيْدِ الْمُرْدِيْدِ الْمُرْدِيْدِ الْمُرْدِيْدِ الْمُرْدِيْرِ الْمُرْدِيْدِ الْمِرْدِيْدِ الْمُرْدِيْدِ الْمُرْدِيْدِ الْمُرْدِيْدِ الْمُرْدِيْدِيْدِ الْمُرْدِيْدِ الْمُرْدِيْدِ الْمُرْدِيْدِ الْمُرْدِيْدِ الْمِرْدِيْدِ الْمُرْدِيْدِ الْمُرْدِيْدِ الْمُرْدِيْدِ الْمُرْدِيْدِي الْمُرْدِيْدِ الْمُرْدِيْدِ الْمُرْدِيْدِ الْمُرْدِيْدِ الْمِيْدِيْدِ الْمُرْدِيْدِ الْمُرْدِيْدِ الْمُرْدِيْدِ الْمُعْلِيْدِيْدِيْدِ الْمُعْلِيْدِي الْمُعْلِيْدِ الْمُعْلِيْدِ الْمُعْلِيْدِيْدِيْدِيْدِ الْمُعْلِيْدِيْدِيْرِيْلِيْعِيْدِ الْمُعْلِيْدِيْدِيْدِ الْمُعْلِيْدِ الْمُعْلِيْدِي لِلْمِيْعِ الْمُعْلِيْدِي ال	19
			

رقم الصفحة	أول الآيات	رقم الآية
7890	﴿ وَإِلَّ عِينَ الْأَرْضَ كِينَ فَ سِيطِ عَتِي ﴾	۲٠.
7890	﴿ فَ ذَك ران ما أنت منذك سر . ﴾	71
7890	«است <u>عـــا ـــيـــهـــم بـــمصـــيــطـــر.</u> »	77
7890	﴿إِلا مَـــن تــــواــــى وكـــفـــر.﴾	44
7890	﴿فَـــيـــعــــــــــــــــــــــــــــــ	37
7890	﴿ان الِـــــا الـــــالــــا الـــــا	40
7890	﴿ الله الله الله الله الله الله الله الل	77
7899	تفسير سورة الفجر	-
70	أهداف سورة القجر	-
7000	(وا د.)	١ ١
70.0	ول <u> </u>	۲
: 7000	﴿والشـــــــــــع والــــــوتـــــــر.﴾	٣
70.0	ورا <u>ا</u> اذا یســــر.﴾	٤
70.0	﴿ الله الله الله الله الله الله الله الل	٥
70.0	﴿ السم تسر كسيسف فسعسل ريك بسمسانر. ﴾	3
70.0	ارم ذات الـــــــــــــــــــــــــــــــــــ	٧
70-0	﴿الستى لَم يَسْمُلُنَ مِثْلُمِهِا فَمِي السِمِلادِ ﴾	٨
70.0	﴿والسمود الدين جسايسوا المستعسر يسالسواد ﴾	٩
70.0	ون ذي الأوتـــــاد.﴾	3.
70-0	﴿ السنديسن طسفسوا فسي السبيلاد. ﴾	
70.0	﴿ فَ اللَّهِ مِن اللَّهِ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهِ عَلَى اللَّهِ عَلَى اللَّهِ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهِ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَّى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَّى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَّى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَّى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللّ	14
7000	وقصب عسلسه مهم ريك سسنوط عسداب ﴾	17
70.0	﴿ان ربك السمال مساد.﴾	1 18
7011	﴿ فَمَا الْإِنْسَانَ إِذَا مَا ابْسَلَاهُ رِيَّهُ فَأَكُرِمَهُ وَسَعِمَهُ ﴾	10
7011	﴿ وأما إذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربى أهادن . ﴾	17
7011	«كــــلابـــل لاتـــكـــرمــون الــيــتــيــم. ﴾	17
7011	﴿ ولا تسماضون عالى طعام العسكين. ﴾	14
7011	﴿ وتاكلون الستراد أكلاً الساء ﴾	111
7011	﴿وت حب ون المصال حديث إجسار	٧٠
3107	﴿ كِ الْأَرْضَ بِكُ الْأَرْضَ بِكُ اللَّهِ الللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ الللَّهِ الللَّهِ الللَّهِ الللللَّمِي اللَّلَّ اللَّهِ اللَّهِ الللللَّمِ الللَّهِ الللَّهِ الللللَّمِي الللللَّمِ الللَّ	17
. 1018	﴿وجِساء ربك والسمسلك صدفًا صنفًا .)	44

	(معرض موسوست)	البروالدرون
رقم الصفحة	أول الآيات	رقم الآية
3101	وجىء يومئذ بجهنم يومئذ يتذكر الإنسان وأنى له الذكرى .	77
3015	﴿يعقبول يسالسيستسنسي قسدمت لسحيساتسي.	72
3015	﴿ فَــيـــو مــــــــذ لا يــــعــــذب عــــذابـــه أحــــد . ﴾	70
7018	﴿ولا يــــونـــق وثــاقــه أحــد.﴾	47
3015	أيب أيب إلى المنفس المطمئينة.	77
3018	﴿ارجعي إلى ربك راضية مرضية .	YA
3018	﴿ فَ الْمُعَلِّلِينَ فَ عَلَيْهِ اللَّهِ اللَّلَّمِ اللَّهِ الللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ الللَّهِ اللَّهِ	79
3107	(والخصياب مي جست تي.)	4.
7019	تمسير سورة البلد	-
704.	أهداف سورة البك	-
3707	﴿لا أقسم إسها السياسد.	\
3707	ورانت مسل بسم دا السبب لد.	٧.
3705	وروالــــــد ومـــــا واـــــد.	7
3707	وُل قد خط قد خا الإنسان في كبد. ﴾	٤
3705	﴿أي حسب أن لـــن يــــــدر عـــلـــيـــه أحـــد.﴾	
3707	ويد عل أها كت مالاً ليدا.	1 1
3707	وأيت حسب أن ليم يسمسره أمسد.	V
. 7078	﴿الــم نــجــــــــــــــــــــــــــــــــ	,
3707	وراسان وشفينين، ﴾	4
3707	ورهدي نياه السنسجديين.	1 1
7079	ف لا اقت م المستبدة.	11
7079	﴿ رَبِيا أَبْرَاكُ مِنَا الْسِعِينَةِ ﴾	17
7079	الله الله الله الله الله الله الله الله	17
7079	﴿ أَو إِطْفِ عَامِ فَ عِي يَدِومِ ذِي مَسِ غَدِي . ﴾	18
7079	في تا المام	10
7079	فارس کی داست سانا	17
7079	ولام كيان من النفيس أمنيوا وتواميوا ببالمسهور	17
7079	وُأُولُ عَلَى أَمِ حَمَانِ الصِّحِينَ ﴾	14
7079	ورالذين كشروا باياتينا هم أضحاب المشأمة. ﴾	19
7079	« <u>ما يسهم ن</u> ارمسؤهسدة.﴾	۲٠
7000	تَمْسير سورة الشمس	-

رقم الصفحة	. أول الآيات	رقم الآية
7077	أ أهداف سورة الشمس	-
7079	﴿ والشين وضين وضينه المالة	,
7079	﴿ والمستقدم وإذا تسلام الم	۲
7089	﴿ والمستسهار إذا جسلاهسا ﴾	٣
7049	﴿. لــــــــــــــــــــــــــــــــــــ	٤
7044.	﴿ والســـمـــاء ومـــا يـــــــاهـــا ﴾	٥
7049	﴿والأرض ومـــا طــــما طــــما	٦
7079	المرابع المستقدين ومستقد المستقدين الم	. v
7079	ونسألهمها فسجسورها وتسقسواها الم	٨
7079	﴿قــــد أفـــــلــــع مــــن زكـــــاهــــــا .﴾	4
7049	﴿ وقد د عداب مدن دساها .﴾	١.
7084	﴿ كَــــــــــــــــــــــــــــــــــــ	11
7088	﴿إِذِ انْ عِنْ أَشْدُ الْمُعَالِينَ الْمُعَالِينَ الْمُعَالِينَ الْمُعَالِينَ الْمُعَالِينَ الْمُعَالِينَ الْم	17.
7057	وفقال لمهم رسول الله ناقة الله وسقياها .»	14
7305	وفكذبي فعقروها فدمدم عليهم ريهم بذنيهم فسواها .﴾	١٤
7305	، ﴿وَرِلا يِسْمُ اللَّهِ عِسْمَ عِلْمُ اللَّهِ عِلْمُ اللَّهِ عِلْمُ اللَّهِ عِلْمُ عَلَيْكُ إِنَّا	\=
7087	تقسير سورة الليل	_
7081	أهدا ت سورة الليل	-
7001	﴿ والصليلية الإا يستخشمن ، ﴾	1
7001	﴿ را نهار إذا تهما الله عليه الله الله الله الله الله الله الله ا	۲
7001	﴿ وما عالمان المانك و والأنب المانك .	۳
7001	﴿ان سے یہ کے انشہ تہ ہی۔﴾	٤
7001	﴿ نِسِياً مِسِا مِسِنَ أَمِيطِ عَلَى وَالْسِقِينِ وَالْسِقِينِ وَالْسِقِينِ وَالْسِقِينِ وَالْسِقِينِ	۰
7001	﴿ وصدق بسال حسن أن ﴾	7
1001	ون <u>ساره لباسی</u> سری. •	٧
7001	﴿ وأميسا مسن بسخسل واستسفنسي . ﴾	, Y
7001	﴿ رك ني بي ال المالي	٩
7001	﴿ فسيديه ليسلونه ليسلسبعسيري . ﴾	١,٠
7001	﴿ وما يــــــــــــــــــــــــــــــــــــ	iv
7000	﴿إِنْ عِسِدِ السِّينَ السَّاسِينَ عِينَ ﴾	14
7000	﴿ وَإِنْ لَــــنا لَــالْمُـــرة وَالأُولِــــي . ﴾	14

جرء النا <i>ردون</i>	(فهرس موضوعات)	****
رقم الآية	أول الآيات	رقم الصفحة
12	﴿ فَانْدُر تَكُمْ نَارًا تَا ظَيَّ ﴾	1000
10	﴿لا يمسلاما إلا الأشقى،	7000
17	﴿الـــــــذى كــــــذب وتــــــى .♦	1000
1 1 1	﴿وسيجنبهاالأتقى،	7000
1.4	﴿السنى يسرئسى مسالسه يستسركسى.﴾	7000
11	﴿ وما لأحد عانسده مان نسعه مسة تسجسزي .	1000 :
٧٠	﴿إِلا أَبِــــــــــــــــــــــــــــــــــــ	2000
171	﴿ ولسين وف يستن رفين أَ	7000
_	تقسير سورة الضحي	7009
_	أهداف سورة الصّحي	707.
1	﴿والض	7077
۲ ا	﴿ والــــــــــــــــــــــــــــــــــــ	7077
۳ ا	و ما ودعك ريك وميا قييا	7077
٤	﴿ وَا اللَّهُ مِنْ مُ مُنْ اللَّهِ الللَّهِ اللَّهِ اللَّمِي الللَّهِ الللَّهِ الللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّا	7077
	﴿ واستوف پنده كاستيك ريك قت رفستي ،	7077
1 7	﴿أَلَّهِ يَجِدُكُ يَنْ يَبِهُ الْمُأْلِينَ ﴾	7077
V	﴿ رُورِ لِللَّهُ مُنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مُنْ اللَّا لِمُنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مُلَّا مُنْ اللَّهُ مُنْ مُنْ اللَّا مُنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مُ	7075
1 ,	وُروج بك عسائلاً فسأغسنسي:﴾	7078
1	﴿ فَامَا البِيتِيمِ فِلا تُنْفَهِرِ أَنَّهُ	7077
1	﴿ وأمدا السيائيل فيلا تسنيها ل	7077
1 11	﴿وأميا بِنِي مِنْ مِنْ اللَّهِ اللَّهِ عَلَيْهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ	7077
-	تُصْسِير سورة الشرح	7079
_	أهداف سورة الشرح	707.
١,	﴿أَنْ مِنْ مُنْ اللَّهِ عَلَى مُنْ اللَّهِ عَلَى اللَّهِ عَلَى اللَّهِ عَلَى اللَّهِ عَلَى اللَّهِ عَلَى اللَّه	7077
1 4	وريض م ن ا ع ن اله وزرك .	7077
*	والدي أنسقض ظهولك .	7077
	ورز و ورز و و و و و و و و و و و و و و و	7077
	﴿فَـــان مِـــع الــــعـــرية ﴿	7077
1	﴿إِنْ مِـــعِ الـــعِ الـــع	7077
1 ,	3,7	7077
l v	﴿ فِي اِذَا فِي سِيادًا اللَّهِ عِلَى اللَّهِ الللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّاللَّمِلْمِلْمِلْمِلْمِلْمِلْمِلْمِلْمِلْمِلْ	

رقم الصفحة	أول الآيات	رقم الآية
7079	تفسير سورة التيث	-
704.	· أهداف سورة الثين ·	_
70.07	﴿ والسند يسمن والسند وي ب	1
7865	﴿ وط ون سين ن . ﴾	۲
70.67	﴿ وه ذا البياب الأمين ف	٣
70.67	﴿ لَمُ مَا مُا لَقَتُمَا الْإِنْسَانَ فَنِي أَحْسَنُ ثَنْقُونِهِم . ﴾	٤
70.67	﴿ثــم ريدنــاه أســفــل ســافــــــــــن .﴾	٥
70.67	﴿إِلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم أجر غير ممثون .﴾	٦
7047	﴿فَصِمَا يَكُذِيكَ بِعَدِدِ بِكَالَدِينَ . ﴾	. v
7017	(ألبيس البلبة بسأحكم البحباكيميين)	٨
7049 -	تصْسير سورة العلق .	-
709.	أهداف سورة اثملق .	-
7097	تمهيد من السنة المطهرة .	-
7095	﴿ اقصراً بساسم ربك البذي خصلصق .	١.
7098	الإنسان مبن عالى .	۲
7098	والقصيراً وريك الأكيسيرم.	٣
7098	﴿السدىء عمل من السقادي السقادي السقادي عمل من السقد عمل من السق	٤ .
7045	وعطيم الإنسان مساليم يسعيب .	0
7095	﴿كــــــــــــــــــــــــــــــــــــ	١ ٦
7098	﴿أَنْ رَآه السَّمَّةِ فَالْمُوا الْمُعَالِينَ الْمُعَالِينَ الْمُعَالِينَ الْمُعَالِينَ الْمُعَالِينَ الْمُعَا	٧
7095	﴿إِنْ اِلـــــــى ربك الــــــرجــــــــى.﴾	٨
7095	﴿أَرَأَيْتُ الْـــــــــــــــــى ﴾	1 1
7095	في المام الم	1.
7095	﴿ أُرأيت إِن كـــان عــان عــاـي الــهــدى . ﴾	11
7095	ال المستريال	14
7098	﴿أُرأَيت إِنْ كَــــــنب وتــــــواـــــى ﴾	14
7095	﴿السم يسمل م السال	1 1 1
7098	وكلا لكن لم يسته لنصف من يسالسلم في	10
. 7098	﴿ناصية كانبة خاطات، ﴾	17
7098	ف ا ا ا ا ا ا ا ا ا ا ا ا ا ا ا ا ا ا ا	17
7098	« قــــــــــــــــــــــــــــــــــــ	۱۸

رقم الصفحة	أول الآيات	رقم الآية
7098	♦ کالا لا تــط عــه واســج د واقــت رب .	19
77-1	تفسير سورة القدر	_
77.4	أهداف سورة القدر	
77.5	﴿إِنْسَا أَنْسَرُا لِنِسْاه فَسِي لِسِيالِة السِقِيدر.﴾	١
77.5	﴿ ومسا أدراك مسا لسيسلسة السقسدر. ﴾	۲
37.5	﴿لسيساسة السقسير خسيسر مسن ألسف شبهبر.﴾	۳
3.57	﴿تَدَرَلُ السَلائكةُ وَالروحَ فَيَهَا يَازَنُ رَبِهِم مِنْ كُلُ أَمِرٍ.﴾	٤
3176	﴿سَلِهُم هَمَنِي حَمَّتَنِي مُنْظِئِعِ النَّفْ جِمَارِي﴾	
77.4	تقسير سورة البيئة	-
7711	أهداف سورة البيشة	-
7717	﴿ لَم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين حتى	١ ،
7715	﴿ وَمُسدُولَ مِسْنُ السِلْسِهِ يَسْدُلِسِ حَسَسَتُ مَا مَسْطَهُ وَهُ . ﴾	۲
7717	﴿ نــــــــــــــــــــــــــــــــــــ	۳ ا
7717	﴿ وَمَا تَقْرِقَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابِ إِلَّا مِنْ بِعَدِ مَا جَاءَتُهِمَ الْبِينَةَ . ﴾	٤
7717	﴿وما أمروا إلا ليعجدوا الله مُخلصيان له الديان	
7717	﴿إِنْ الْدَيِنِ كِفْرُوا مِنْ أَهِلِ الْكِتَابِ وَالْمِشْرِكِينَ فَي نَارَ جَهِنْمٍ﴾	٦
7717	﴿إِنْ الذَينَ آمِنُوا وعملوا المسالحات أولئك هم غير البرية .﴾	V
7717	﴿جِزَارُهُم عند ربهم جنات عدن تجرى من تحتها الأنهار	٨
7714	تشسير سورة الزلزلة	-
777.	أهداف سورة الزلزلة	-
7777	وإذا زازات الأرض زازااهـــا.﴾	١ ،
7777	﴿ وَأَخِيدِ رَجِتَ الأَرْضَ أَفِيدِ السَّالِ اللَّهِ الأَرْضَ أَفِيدًا اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ	۲
7777	﴿ وقيال الإنهاان مسال السبها ﴾	۳
7777	أي <u>رما نز تمد</u> ك أخسيسانهسا .♦	٤
7777	﴿ اِسْمَانُ رَبِكُ أَنْ مُسْمَانُ رَبِكُ أَنْ مُسْمَانًا ﴾	
7777	﴿ يُسوم تَنْزِيصِ عِنْ الْمُنْاسُ أَسْتَاتًا لَيْسِ وَا أَعْمَالُهُمْ . ﴾	1 1
7777	﴿ فَصِينَ يَعِمِلُ مَعْتِقًالُ ذَرَةَ خَسِيرًا يَسِرِهُ ﴾	V
7777	وُومِينَ يسعيميل مطبقيال ثرة شيرًا يسره .﴾	۸ ا
7779	تَضْسِير سورة العاديات	_
774.	أهداف سورة العاديات	_
7777	﴿والعاديات ضعاب	١

رقم الصفحة	أول الآيات	رقم الآية
7777	ونسال موريات تسلما .	۲
7788 :	ونال مسقسيسرات مسبحسا.)	۱۳.
7777	﴿نِ أَنْ سِنْ بِ فِي الْمُعَالِينِ الْمُعَلِّينِ الْمُعَالِينِ الْمُعَالِينِ الْمُعَالِينِ الْمُعَالِينِ الْمُعَلِّينِ الْمُعَلِّينِ الْمُعِلِّينِ الْمُعِلِّينِ الْمُعِلِّينِ الْمُعِلِّينِ الْمُعِلِّينِ الْمُعِلِّينِ الْمُعَلِّينِ الْمُعِلِّينِ الْمُعِلِّينِ الْمُعِلِّينِ الْمُعِلِّينِ الْمُعِلِينِ الْمُعِلِّينِ الْمُعِلِينِ الْمُعِلِّينِ الْمُعِلِينِ الْمُعِلِّينِ الْمُعِلِّينِ الْمُعِلِّينِ الْمُعِلِّينِ الْمُعِلِّينِ الْمُعِلِّينِ الْمُعِلِّينِ الْمُعِلِّينِ الْمُعِلِينِ الْمُعِلِّينِ الْمُعِلِّينِ الْمُعِلِي الْمُعِلِينِ الْمُعِلِي الْمُعِلِّينِ الْمُعِلِّينِ الْمُعِلِينِ الْمُعِلِي الْمُعِلِي	٤
7788	﴿ نـــوســبطـــن بـــه چـــمـــفــــا ﴾	٥
7788	﴿إِن الإنسان السريسة السكيستسود.﴾	١ ٦
7777	﴿ وَإِنْ عَدِيدً عَالَى لَنْكَ لَشَا عَدِيدً . ﴾	v
7777	﴿ وَإِنْ ــــه لــــحب الـــحف ـــيبـــر لشـــديــد. ﴾	۸
7788	﴿أَفْسَالَا يَسْعَنْكُمْ إِذَا يُسْعَنْكُمْ مِنَا قَسَى النَّقَيْدِ وَرَبُّ	4
7744	﴿ رحمـــــل مـــــا فـــــــى المسكور. ﴾	١٠.
7755	(ان ريسهم بسهم ينبي الداسة بسيد.)	11
1744	أ تشسير سورة القارمة	-
178.	أهدات سورة القارعة	-
7757	﴿الــــــــــــــــــــــــــــــــــــ	١,
7788	♦ ,	Υ
7758	﴿ وحسب أدراك مسب السبقين وعسبة . ﴾	۳
7757	﴿ يسوم يسكسون السنساس كسائسف واش السعسيستسوث . ﴾	٤
7357	﴿ وتكنون النجيبال كناليميهن النميذ قوش . ﴾	•
7758	﴿ فَسَأَمِسًا مِسَنْ تُسَقِّلُتُ مُسِوَازِيسِنْسِهِ . ﴾	'
٦٦٤٣	﴿ فَبِسَهِ سَوَ فَسَنِي عَسَيْقًا إِنَّ أَنْ سَيِّسَةً . ﴾	V
7758	﴿ وَأَسِيا مِن المِنْ المِنْ المُنْ المُ	٨
7355	(ii,i,i,i,i,i,i,i,_	۱ ۹
7355	﴿ومــــا أدراك مـــا هـــــه ﴾	١٠.
7355	(ii,i,i,i,i,i,i,	11
7789	تفسير سورة التكاثر	-
7700	أهداف سورة التكاثر	-
7704	«ألب ماكسم السيد كالسرد.»	١ ١
7705	﴿ حستسى زرتسم السمسقسابسر. ﴾	۲
7704	فرک لا سرف تسم است بن.)	ا ۳
7707	والسم كالاستاق تسعاب مسان.)	٤
7077	«كـــلاكــوتــعــلــمــون عــلــم الــيــقــيــن.﴾	
7705	واستسعن السجسم.	٦

رقم الصفحة	أول الآيات	رقم الآية
7704	(الم استرون مها عديدن النيدة ميدن.)	٧
7705	﴿ وْسَم لِسَدْسَ الْسِن يَسُومَ شَدَدُ عَسَنَ الْسَعَسَيْمِ . ﴾	٨
7704	تقسير سورة العصر	-
777.	أهداف سورة العصر	-
7777	﴿والــــــــــــــــــــــــــــــــــــ	\
7777	﴿إِن الإنسان لسنة سي عسسر. ﴾	٧.
7777	﴿إِلا الذين أمنوا وعدارا المسالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر .	٣
7777	تقسير سورة الهمزة	-
אדדר	أهداف سورة الهمزة	-
1777	﴿ ربيال احكال مسمنة السمنة . ♦	\
7771	﴿السَّدِي جِسمَ مِسالاً وعسدده .	۲
1771	ويستسب أن مستاسية أغساسيده.	٣
7771	﴿كــــــــــــــــــــــــــــــــــــ	£
1771	. ﴿ وَمِــا أَدِرَكَ مِنِـا السِيمِـطِيـمِـة . ﴾	
1771	﴿نـــار الـــــلـــه الــــمــــقـــدة .﴾	1
1777	﴿السِنْسِي تَسْطُمُ لِسِمْ عَسْلِسِي الْأَفْسِلِسِيَّةِ.﴾	V
1771	(انهاء اعطی است	٨
7771	(i	9
77.70	تقسير سورة الفيل	- 1
7777	أهداف سورة القيل	_
17.61	﴿ أَلَامَ تُبِرَكُ بِيكَ فَنَعَالَ رِيلُهُ بِأَمْنِكُ إِنَّ اللَّهِ بِأَمْنِكُ إِنَّ اللَّهِ فِيلًا . ﴾	,
17,77	. ﴿البِم ينجِ عبل كيندهم فني تفسلسيسل .﴾	۲ ا
17.77	﴿وأرسال عبانيهم طيدارا أبايسيان ﴾	۳ ا
17.61	وترميهم بمدجارة من سجيال.)	٤
17.77	ون جد المهم كسعه في مساكسول .	
77.60	تفسير سورة قريش	_
77.67	أهداف سورة قريش	_
77.66	﴿رِي لِن ت لِين ﴾	١ ،
3344	﴿ المسيدة الشياء والمسيدة .	۲ ۲
7744	« تيــــــــــــــــــــــــــــــــــــ	4
۸۸۶۶	وُالدِّي أطبعهم عنَّن جبوع وآمنتهم من عنوف. ﴾	٤

رقم الآية الفيرسورة العاهون الأيات (قم الصفحة الفيرسورة العاهون المعاهون ا			
اهداها سورة العاهون اهداها سورة الكاهرون اهداها سورة الكاهرون المداها سورة المداهر المداهر المداها سورة الكاهرون المداها سورة المداهر المداها سورة المداهر المداها سورة المداها سورة المداها سورة المداها المداها سورة المداها المداها سورة المداها المداها المداها سورة المداها المداها سورة المداها	رقم الصفحة	أول الآيات	رقم الآية
	1791	تشيير سورة الماعون :	_
	7797		_
	7797	﴿ أَرَايِتِ الصِدْي يِسِيكِ ذَبِ بِسِيالِ وَيَسْنَ . ﴾	\
	7797		٧.
	7797	وُولا يسمشن عسلسي طسعسام السمسكسيسن . ﴾	٣
المالة	7747	6. cj	٤
	7797	﴿السذيسن هم عسن صلاتسهم ساهسون .	٥
تشمير سورة الكوثر أهداها سورة الكوثر أوإنا أعالى الكافرون كاب المحافر الكوثر ا	7797	والسند في من مريد المعدن ﴾	٦.
	7797	ور من من السماع ون ال	v
	7744	تفسير سورة الكوشر	_
۲۷۰۳ ۲۷۰۳ ۳ ۲۷۰۳ تقسير سورة الكافرون ۲۷۰۳ ادمداف سورة الكافرون ۶۷۲ ا وقد لي الي المحافرون ۶۷۲ ا ولا أعلى الي المحافرون ۶۷۲ ا ولا أعلى الي المحافرون ۶۷۲ ا ولا أنسب عمال حول المحافر الم	! 174	أهداف سورة الكوثر	
۲۷۰۳ ۲۷۰۳ ۳ ۲۷۰۳ تقسير سورة الكافرون ۲۷۰۳ ادمداف سورة الكافرون ۶۷۲ ا وقد لي الي المحافرون ۶۷۲ ا ولا أعلى الي المحافرون ۶۷۲ ا ولا أعلى الي المحافرون ۶۷۲ ا ولا أنسب عمال حول المحافر الم	74.42	وإنا أ <u>مط بيذ</u> اك السكوات ر.﴾	١ ،
تفسير سورة الكافرون اهداف سورة الكافرون	77.77	وند لرًا استريك وانست	۲
	7445	وَإِن ش <u>ازعك م</u> والأب <u>ت</u> ر.♦	٣
	74.0	تفسير سورة الكاهرون	-
	77.7	أهداف سورة الكاهرون	~-
	77.4	﴿قـــل يــــا أيـــهـــا الـــكـــافـــرين ﴾	\ \
	77.4	ولا أميد ما تسميدين .	٧
	77.4	. ﴿ولا أنستسم عسايسبدون مسا أعسيسد .﴾	٣
۲۷۰۹ ۲۷۱۲ تقسیر سورة النمبر اهداف سورة النمبر (ان النماء النمبر الله الله الله الله الله الله الله الل	7714	ورلا أنسا عابد ما عبدتم.	٤
تقسیر سورة النمبر اهدایا سورة النمبر اهدایا سورة النمبر ﴿ الله الله الله الله الله الله الله ال	77.4	﴿ ولا أنسبة سم عسمايسدون مسما أعسبه سد .	۰
الهداف سورة النصر أوانا جساء نصيب الساسات والسفيت	77.4	(اسبکے می <u>نگ</u> ے واسی دیے۔۔ن .)	٦
۱ (﴿ الْمِسَاء نَصَيِّ النَّبِ اللَّهِ اللَّهِ الْمَسِّ اللَّهِ اللَّهِ الْمَسِّ اللَّهِ اللَّهُ الللِّهُ اللَّهُ الللْمُنْ الللِّهُ اللَّهُ اللْمُنَالِمُ اللللِّهُ الللِهُ الللِّهُ الللِل	7717	تقسير سورة الثمس	_
۲ (ورایت النشاس پیده لدین فسی دیدن اللیه قد وایداً . ۱۷۱۳ ۲ (وفسیسی پیده مدن به واستفقره اینه کنان تنوایداً .) ۲ تقسیر سورة المسد ۱ افغالف سورة المسد ۲ (ورت بیت پیدا آبیدی السید ورت .)	7712	أهداث سورة الثمسر	:_
۲ (۱۷۲ و و و و و و و و و و و و و و و و و و و	7717	﴿إِذَا جِساء نصب السلسة والشفية تسبح .	١ ،
تقسیر سورة المسد المداف سورة المسد المداف سورة المسد ﴿	7717	﴿ ورأيت السنساس يستصلون فسى ديسن السلب أفسواجًسا .	.۲
ر الهداف سور 3 المسطد (المسطد) ۱۷۲۰ (و ت بت ب ب ب ب ب ب ب ب ب ب ب ب ب ب ب ب	7717	وفسيسح يسمدريك واستخفره إنه كنان تنوايسا . ﴾	٣
١ ﴿ وَ بِن بِ مِالْهِ سِي الصِيدِونَةِ ﴾ ١٧٢٧	7719	قضبير سورة المسن	
	777	أهداف سورة المسف	
۲ ﴿ مِنْ أَغْسِنْتُ مِنْ مُنْ اللَّهُ وَمِنْ الْكِينِ . ﴾	7777	﴿ تِ بِن يِ سِنا أَبِ سِي السَّهِبِ وَتَبُّ.﴾	١
	7775	﴿مِيا أَغْسِتْمِينَ عِيثُ مِالِيهِ وَمِيا كَسَبٍّ .﴾	٧

رقم الصفحة	أول الآيبات	رقم الآية
7777	وسيماك تال السهب	٣
٦٧٢٣	﴿وامــــرأتــــه حــــمــــالــــة الــــحـــماب.﴾	٤
7777	﴿ فَسِن جِسِيدِهِ الصِّيالِ مِسْنَ مُسْسِد. ﴾	٥
7777	تقسير سورة الإخلاص	
۸۷۷۶	أهداف سورة الإخلاص	- 1
3778	وقيسيل همسو السياسية أحسد.	\
3777	(II	۲
3775	ول ول_	۱ ۳
3775	﴿ وا م ي ك ن ا م ي ك الم الم ك ك	٤
7777	تفسير سورة الفلق	- 1
7777	أهداف سورة الفلق	_
175.	﴿ ت_ل أعـــوذ بــرب الـــ ذ ــلــ ق .﴾	,
775.	و ن شر د د د د د د د د د د د د د د د د د د	4
778.	وم ن شد ل غد است ق إذا والب ﴾	+
778.	أو <u>د ن شروا نامات اس</u> ى المعاقد. ♦	٤
7780	فورين شنرحاسد إذا حسد .	
2750	تتسير سورة الناس	_
7787	أهداف سورة الثاس	_
7764	وقد ال أعددول بسدوب السندساس .	, [
7759	() () () () () () () () () ()	۲ ا
7789	المرابع المستعدد المس	۳ ا
7754	وليست والسيوسيوان السنة سنساس .	٤
7789	﴿السدي يسبوسسواس فبسي مسدور السفياس . ﴾	
1754	وسن السبوسية والسيداس،	,
1707	في أمقاب تفسير سورة الناس	_
3045	خاتمة	_
7,700	دماء ختم القرآن	
7000	تغريج أحاديث وهوامش	
7774	هرس الكتاب	_

تم بحمد الله تعالى الجزء الثلاثون. ولله الفضل والمنة .

والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيننا محمد وعلى آله وصحيه وسلم . تم بحمد الله تعالى وعونه وتوفيقه الانتهاء من إصدار وتضسير القرآن الكريم، كاملاً لفضيلة الدكتور عبدالله شحاتة أستاذ الشريعة الإسلامية بكلية دار العلوم جامعة القاهرة ؛ بمطابع مدار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، بالقاهرة بإشراف الأستاذ هاني أحمد غريب رئيس مجلس الإدارة وذلك تحقيقًا لرغبة المغفور له الحاج أحمد غريب - رحمه الله - في نشر تفسير القرآن الكريم جعله الله خالصًا لوجهه الكريم في ميزان حسناته ومغفرة له وسببًا في الخير والثواب والسعادة وفاتحة خير لأبنائه وأحفاده

وللمسلمين أجمعين

وهدار غريب للطباعة والنشر والتوزيع» إذ تقدُّم للأمة الإسلامية أغلى هدية وأثمن كتاب «تفسير القرآن الكريم كاملًا من سورة الفاتحة وحتى سورة الناس» - في ١٥ مجلدًا في ثوب قشيب وطباعة فعمة أنيقة ، تتمنى للأمة الإسلامية العزة والانتصار والسير على نهج القرآن الكريم والتمسك بسنة النبي الأمين ﷺ جيلاً بعد جيل ، وتُعِد القارئ الكريم أن تكون دائمًا عند ثقته وتقدُّم دائمًا كل جديد ومفيد ونافع للمكتبة الإصلامية خدمة للرُّجيال المقبلة واجين أن يتقبل الله مبا هذا الجهد .

ويُعَد هذا التفسير إضافة جديدة وجليلة للمكتبة الإسلامية استغرق مولفه في كتابة تفسير النصف الأول من القرآن الكريم ١٥ عامًا والنصف التاني استغرق فيه حمسة أعوام متفرغًا تمامًا لتفسير القرآن الكريم كتابة .

وكنان الفراغ منه في مساء الخميس ٢٧ ربيع الأول ١٤٢٧ من هيعرة المصطفى ﷺ الموافق ١٤ يونية عام ٢٠٠١ من ميلاد السيد المسيح عليه السلام.

اللهم الفع بهذا العمل كل من قرأه وتعلمه واغفر لكل من ساهم في إحراجه للنور ، واحتم لنا بخاتمة السعادة يا كريم وصلى اللهم على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين .

والحمد للدرب المالمين

